

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1939

Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

**PROVENANCE DE LA
COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

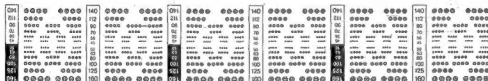
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1
NF Z 43-007

AFNOR
Cedex 7 - 92060 PARIS-14-DÉFENSE



الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والذائع

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السقوت
احمد حسن الزيات

برل الاشراف عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الوزارة

دار الرسالة بشارع البغدادي رقم ٣٤
قائدين - القاهرة
تليفون ٢٣٩٠

العدد ٤٨

٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ - ١٥ يناير سنة ١٩٣٩

السنة الثالثة

من ضهور الرقيق
جذيلة

أقصوصة مضمرة
يقدم الأستاذ محمد الخفيف

وأخذته الحيرة وهو يدنو
منها ماذا عساه أن يقول بمد
هذا الغياب؟ وجعل يدور بعينيه
ليني ما إذا كان أحد يراه من
أهل القرية ... ولكنه حين
أصبح منها على خطوات وحين
وقعت على عيناها عيناه أحس
من نظراتها كأنما أساب قلبه

سهم مسموم ...

وصرت به الفتاة مصفارة الوجه لا تكاد تنفج
شفاتها على رغمها عن بسمة كالشعاع الخافت ، حتى
تطبقهما كأنما تدارك أنها تأتي شيئاً محرماً ،
وتتجهج للفتى وتنكر كأنه بات من عدوها ؛ ثم
تدور بوجهها متظاهرة أنها تزجر بقرتها فتجذب
حبليها وتستحبها ولا تستقبل الطريق حتى تقوته
بخطوات .

رأها أول مرة بعد عودته ، ولم يبق من الشمس
إلا حمرة طفيفة في أطراف السقف ؛ وكانت كماداتها
كل مساء قافلة إلى القرية بعد أن سقت بقرتها من
قناة قرية
أخذتها عيناه مقبلة فسار للأمام وإنه من فرحه
ليطفر كما يطفر المصفور ، وإن قلبه ليخفق خفقات
بكاد لا يقوى عليها جسده ، فلقد ارتبكت مفاصله
حتى ما تحمل رجلاه بدنه إلا في مشقة



يرى في لون الشفق مثل حمرة الجنون قرحة النجيب
والسهر ...

وسات جلية إلى دارها فربطت بقرتها وألقت
أمامها بعض الملف ، ثم تناولت جرتها من فوق
المصطبة الناعمة في مدخل الدار وخرجت لتألفها
من الساقية ، وسارت ثقيلة الخطى كما عا ينقص
ظهرها عب ... وجلست عند الساقية حتى يأتي
دورها ، وصاحباتها يتساحكن ويتمايلن ، وهي عنهن
في شغل عما ينقل فؤادهن ، وهن لا يدري ما يكربها
وكانت من قبل يبين أسرعهن إلى الزواج وأمهرن
عند اللدابة ، كما كانت تقفهن جميعاً على كثرتهن
عدوية روح وخفة حركة ..

وعادت تحمل الجرة فوق أفتالها ، فوضعتها حيث
كانت ثم صعدت إلى سطح الدار فجلست على التراب
شاحصة إلى القمر وبوجهها مثل ما بوجهه من
شجوب ومثل ما به من ملاحه

ودخل على القرية في نور القمر وإنه ليتواري
من الأعين في ظلال النخيل والشجر ، ولا يدري
لماذا يحس في نفسه الرغبة ألا يراه الناس ، ولما بلغ
منزله وهو في القرية أول ما تقع عليه عين القادم من
الحقول ، صعد إلى حجرته ونادى الخادمة فأشعلت
له الصباح ؛ ثم صرعا مشدداً عليها أنه متب فلابح
أن يرى أحداً وأنه عما قليل سيأوى إلى مضجعه
وأخذ الفتى يفكر وقد طافت برأسه الوسوس
وأخذته الحيرة من أسر تلك الفتاة التي طالما كانت
تبتني إلى قلبه الوسيلة ونجد في استرضائه وتحرص
على مودته ، والتي بلغ من سرورها بلقائه في العام
الماضي أنها لم تقو وهي في سرب من صاحباتها على
كتمان ما بها حتى لقد سقطت جرتها فطحمت
وبللت ملابسها وزادتها ربكة على ربكة

وكيف يحمل على الصبر نفسه ، وهو يرى في
هذا الجفاء إهانة له ، وأى إهانة أشد وقسا على نفسه

ويقف هو كالتمثال لا يبي ولا يتحرك ، وقد
جف ريقه وتصيب بالمرق جبينه ، ويظل على تلك
الحال الأليمة حتى يتنبه بعد لحظات على صوت رجل
يحميه وقد صر به مسرعاً على ظهر دابته ... فيعد
عينيه ويرسل بصره فلا يراها تلتفت وراءها صرة
حتى تنيب عنه . فيكاد يأكل النيط قلبه ويود لو أنه
استطاع أن يسحقها أو يسحق ذلك القلب . ثم إنه
يجر رجله بعد ذلك جرّاً لا يدري أين يذهب ؛ فهو
مأخوذ عن نفسه كمن نزع من الشيطان نزعاً

كان ذلك أول الصيف وقد عاد على إلى القرية
يلتمس في مساوحها الراحة بعد الغناء ، ويقضى
لباة نفسه وأرب مشاعره من فتون السحر وضروب
الجمال في مجالها ؛ وإنه ليحمل للقرية كل عام أجازته
للعلوبة اللهم خلا أيام معدودات يقضيها غريباً على
بعض السواحل ... وإنه ليحس كلما عاد إلى منبته
ومنجر أرومته مثل إحساس النبات بجي به إلى يئنه
وترته فترحم واستنظف واستوى على سوقه ...

للساء حلو للنسيم تبقي أنفاسه الرخية في غير
انقطاع ولا ونا ، والأفق الغربي بارح الرواد تطرز
حواشيه ظلال الغروب وتتجمع في جوانبه ألوان
الشفق ، والحقول منبسطة أمامه إلى آخر ما يجتد إليه
بصره ، وهي بين خالية تنتثر فيها بقايا عيدان القمح
بعد الحصاد ، وحالة تربها شجيرات القطن الغالية
التي تقرأ العين في سطورها مبلغ عناء الزارع وكده ،
وشجيرات السرو والصفصاف والجز على جوانب
القدرا موزقة فيناة تتباعد حيناً وتقارب أحياناً
فتكون منها مخاليل هبيجة لا عمل الأعين من النظر إليها
ولكن عليها يحس أن هذا المجال الساحر قد شملته
في تلك الساعة كابة قابضة فلم يدرى شيئاً من
رواه ؛ وإنه ليخيل إليه كأنه منجاً غريباً من الوجوم
والوحشة بات يشقى القضاء من حوله وأن بالشجر
مثل ما به من مم فهي تهايل من فتور ومسكنة ، ثم إنه

ومهما يكن من الأمر فهو لن يحفل بمدى كان أو بلغت إليه .

كانت جلية في الثامنة عشرة من عمرها بمجدها صبايا القرية على ما توافى لها من أسباب الجمال . وكان اسمها على ألسنة الشباب كلما هفا بهم إلى الحب والجمال ذكر ... وكانت تعرف ذلك فتدب به وترمي ولا ترداد باللال إلا ملاحه وفنته

وماذا عسى أن تبلغ للكلمات من هذا الجمال وفي مقدمة خصائصه الأعجاز ؟ وما كان النظر إليه إلا ليشرع الناظر لأول وهلة بالتجدي ، تحدى الريف أنه قد ثبتت من الجمال نوعاً تتقاصر عنه المدن ... وتحدى الطبيعة أنها تأتي إذا أرادت بما لا يحسن أن يأتي بتله فن مهما تأنى له من قوة التخيل وعمق التأمل وبراعة الابتكار ... وتحدى الفقر أنه قد يبلغ على ضمته منزلة يتحرق النسي أن يلنها ولو يخلع رداءه والهبوط من سماءه ، ثم من وراء هذا كله يرى الناظر ذلك السحر الذي يحس ولا يفهم ويسبج ولا يوصف ، ذلك السر الذي يكون قصارى أمرنا فيه متافنا به واجتذابنا إليه وإذعاننا له ولقد أحس على حينها وقمت عيناه على هذا الجمال أول ما وقفتا كأنما تتلخ له طيف أحلامه هيكل عتي على الأرض ! وهو لا يدري لتهافته على هذا الجمال سببا غير هذا السبب ، وكثيرا ما حدثه خياله الشاعر أن بهذه الفتاة القروية من السحر ما لم ير في غيرها من بنات الريف أوثبات المدن

كان يجيل إليه أن هذه القسامة لن توجد في وجه غير هذا الوجه ، وكان إذا تأمل في تكوينه يحار أي أجزائه بث فيه تلك الفنتة الأخاذة وهاتيك الطلاقة الرائسة ، أما هاتيك العينان الساجيتان الدجوان ، أم هو ذلك النغم اللطيف الذي ترف عليه أحلام الصبا وتختلج في بساطه عذاب اللنى .. أم هو ذلك الأنف الذي يراه وكأنما صيغ لينسقى في هذا

من أن يتقدم بالزنى إلى فتاة لا يحسبها تزيد في المرتبة عن خادمته ، فتشيع بوجهها عنه ولا ترمي له مقاماً ! ثم إنهما تظهر الجفاء على غرة فلا تحفظ الجليل ولا تذكر ما كان بينهما من مودة ولا ما كان منه على بعد ما بينهما في الدرجة من ملاطفة وإحسان و زين له شيطان أن بمض الحاقدين قد سمى بينها وبينه ، فود لو يعرفه ليدبغه من بأسه وليريه طافية تطاوله ثم ليربها معه مبلغ ماله من جاء وسطوة ليفهمها أنه إن مفا عنها فما ذلك إلا لضمفها وهوان شأنها عنده

وتطوف برأسه فكرة تمذه وترمجه فهي قد آثرت عليه غيره ، وهذا الذي باتت تؤثره قد أخذ عليها المهد ألا تكلم الناس وعلى الأخص لا تكلمه هو ، وإلا فهو لن يعرفها إن قمت ... ومضى إيماء تنفذ الآن ما أمرها به لا تنهاون فيه ، وما أشد ما يشغل منها هذا الاذن لصاحبها وهو لا يراها . أفا كان منها كلمة ثم تنطلق في سبيلها ولا تنجأ هذه المفاجأة للشقيقة الوحشة ؟

ثم إن الفنى يقزع إلى النوم من هذه الوسواس فيطفيء المصباح ، ولكنه قبل أن يذهب إلى سريره يطل من النافذة على القرية الماحجة ، وقد غاب القمر ، وما يلبث أن يتنسم كأنما هو يسخر من نفسه وبضحك من أوهامه ، وكأنما يلقي بأفكاره في هذا القضاء التوسط أمامه والذي تكتنفه الظلمة فلا يراه وإن كان يعرفه ...

سخر من نفسه أن كان يحمل كل هذا الملم من أجل فتاة قروية ساذجة فقيرة ؛ ورأي المسألة أهون من أن تكدر عليه صفو أجازته ، فانه إلى الراحة في هذا الصيف أشد حاجة منه في كل ما سلف من الأعوام ، لما كان من نصيبه في الاستعداد لامتحان . ولن يخرج الأمر فنيا يظن عن أن يكون أبواها قد شددا عليها ألا تلميه أو تطلع غيره من شباب أسرته

نظرات الناشئات في الحرير والورد ، بل لتكون أكثر عزة لأن فيها عفة هي مع الفقر غاية للنبل هكذا كان نصيب جليلة من الحسن ، بحيث لو جملوا في الريف ملكة للجمال لاستويت هي على عرشه ، ولكنها وحى في عرشها التخذ من الصنفاص والسف والكافور والسعد ، أمي منزلة في الجمال من كثيرات تربن على عروش الذهب والفضة

وكان على يستشرف للحادية والمشرن وهو في القرية سيد ابن سيد ، لأسرة الرئاسة والحكم فيها منذ أكثر من مائة عام ، وقد انحصرت الرئاسة في هذا البيت لا عن جبروت وبلش كما هو الشأن في كثير من البيوت في الريف ، ولكن عن كرم محند وطيب عنصر ومماحة

ولئن لم تكن تلك الأسرة بذات ثروة واسعة كثيرا من الأسرى في القرى المجاورة ، فلقد كان لها من حسن سمعتها وعراقة أصلها ما رفع قدرها في أمين الأعيان والخصوم على السواء

وكان على يجب الفلاحين ويسطف عليهم ، وكثيرا ما كان يجلس إلى جماعتهم يتفأون ظلال الأشجار في أوقات المجبر وينعمون بالهواء الرخي على ضفاف الترع في ساعات الأسيل ويسمرون على جوانب اليبادر في ليالي القمر ، ولقد أحبه هؤلاء الفلاحون وأكبروه ، وما لبثت أن ارتفعت بينه وبينهم السكافة فصار كأنه أحدم ، وهو في القرية يحس كأنما انقطعت الصلة بينه وبين المدينة حتى كأنه ما خرج منها قط ، وكثيرا ما كان يضحك بينه وبين نفسه ، إذا تصور ما عسى أن يقوله شاب من خلانه من أهل المدينة إذا هبط القرية ورآه في جلبابه الفضفاض جالسا في ذروة كومة من الرماح تحت سرحة أو على بقايا حصير في مصلى على ضفة قناة ، ولكنه لن يمسأ بذلك ولن يرى شيئا أحب إليه من

الجمال ... أم تري هو ذلك الخلد الأسيل الشرب الصفحة من حمرة الشفق ووضاء البدر ؟ الحق لقد كان مراد ذلك الجمال إلى هذا كله ، وقد اختلف على صورة معينة اهتزت لها نفسه وجاوبتها روحه ، بحيث لو جاء على نسق آخر ما كان له في قلبه ذلك السحر العجيب ... أضف إلى ذلك مماحة ونضارة كانت منهما الروعة وكان فيهما السر وكأنما أرادتا الطبيعة ألا يكون في هذا الجمال نقص ، فأودعت فيها سر الأنوثة كأنم ما تكون الأنوثة وسوت هيكلها بحيث يكون بهجة في منظره ثم هو في حركته نوع عجيب من الألحان الصامتة التي تحس النفس فيها وإن لم تقصد معاني الاثلاف والتناسق والظرف - ولقد كان على يشبه حركاتها ولتفاتاتها بما يكون من حركات المهره للكرمية التي لم تتعلم شيئا مما يتدبه من رشاقتها فهي تأل به لأنها هكذا خلقت ... وإنه ليراهما من بعد بين صويحباتها فيميزها منهن بمجرة أو التفتاة قبل أن تتحقق من شخصها مبناه

وكان لها صوت تجمعت فيه كل معاني أنوثتها وكل خصائص جمالها ، حتى لو قدر للمرء أن يسمع ذلك الصوت دون أن يرى صاحبته لعل عليها دلالة الصورة أو دلالة الوصف ... صوت كأنما يطن به الحب من نفسه ثم هو يسوقه بدد دليلا على سلطانه وكان في سجاياها شيء من الكبر فوق ما كان فيها من اللال ... ولكنه كان كبراً تحبه النفوس إذ تشير أن مبعثه الاحساس بالتفوق والليل إلى اللئس ، وما كان التبذل ليتفق وهذا الجمال ، بل ما كان التواضع إلا لئال من عفوانه وينقص من سلطانه ؛ وكثيرا ما استمتع على بهذا التكبر لأنه كان يكبر فيه معنى السمو ، وإنه ليجب ويغرب تلك النظرات التي كانت تنبش من عينها وهي في أعمالها ، فلا تكون أقل أنفة واعتزازاً من

يسطف على أخبها ، وهو فني في مثل سنه ، وكان
أخوها يثنى عليه إذا جاء ذكره ويصف لأبيه وأمه
طيب قلبه وتواضعه وسخاء يده . وعرفت جليلة
هذا السخاء بمد حين فيا كانت تبنيه له من الخضر
التي كان يشتريها ولا حاجة به إليها فيقدها أضفاف
نمها وهو متبسط بهذه الوسيلة التي بها يستطيع أن
يسطيها من ماله دون تخرج أو استحياء ، وإنه ليذكر
ما عراه من الاضطراب وعراها من الحياء يوم غير
طريقته في العطاء لأول مرة . فقال لها : « خذي
هذا نمنا تلك الخضر وهذا لك أنت »

واطأأت الفتاة إليه وصارت تحرس على لقاءه
على علم من أنها إذ كان يسرها سخاؤه ؛ وما كان
على قبض يده عنها قط وما كانت هي تتردد أن تمد
يدها لتتال ما يمنحها حتى لقد داه ذلك أن يحمل
إليها من القاهرة بعض الهدايا كالأب إلى القرية ،
وإنها لتفرح بذلك أشد الفرح وما كان أشد غبطته
وابتهاجه حين كانت تقبل هداياه بقولها : « كتر
خيرك يا سيدي . ربنا يخليك لنا »

ذكر على ذلك حيناً رأى من الفتاة ما رأى من
إعراض وسد ؛ وأخذته حال عجيبة من الحيرة والألم
مما ؛ وصار إذا اتجه فكره إليها يتنازعه مزيج من
الصفح والغضب والحلم والتأني ، وكثيراً ما كان يسخر
من حاله ويرد ما هو فيه إلى الوم والخيال ... ولكنه
يعود فيسأل نفسه أهو يجب تلك الفتاة ؟ فإذا أجابته
نفسه بالنفي تسأل فيم إذا هذا ألم كه من أجلها ؟
وماذا يهجه من إضرابها عنه وهي مهما تلاوت
لا تريد مرتبة على خادمته ؟ وإذا أجابته نفسه أنه
يجبها ازدادت حيرته وراح يتساءل ما غرضه من هذا
الحب ؟ إنه لا يعرف السوء ولا يطبق حتى مجرد
ذكره ، وهو يسمو بروحه عن مواطن الفجاءة ،
ويقوى على عصيان الشيطان قوة قلما تحتاج لمن كان
في مثل سنه ، كما أنه من خياله وحسه يصبح أبداً

أن يطلق نفسه على سجيها
وكان لا ينبغي عن القرية إلا ازداد حباً لها
وتعلقاً بكل ما فيها ، فإذا آب راح يمثل كل شيء
حسنه لا يستثنى منظرأ مهما هان أمره ، وبخاصة
تلك الللاب التي كان لا يفتأ وهو غلام يثب في
أحضانها ويرف كالرف الفراش ... تلك المسارح
الخضراء في ظلال النخيل وحول أشجار الليمون
والنارج في بستان أسرته ... وهاتيك الغلال
الوارفة التي تبسطها خائل الثوت على ضفة التربة
الكبيرة في الحقل البعيد ...

وكان على يستصعب معه بعض الكتب كل
حام وكان أكثرها دواوين شعروقصص ، وما كان
أعجب أمر هذا الفلاح الشاهر حين يقلب صفحات
الشعر يقرأ نارة للمتنبي ونارة لبيرون في تلك القرية
فيرى في كل شيء لهمة واختلاجة تصور ما تنطوي
عليه نفسه ... إذ كانت مناظر قريته أعز عنده
وأحب إلى فؤاده من كل ما يحيط به الكتب

في وسط هذا الكون الذي ينسم بروائح الجنة
وفي ميمة هذا الشباب المتوثب للفتى ، وفي نشوة
هذا الخيال الشاهر ، رأى على جليلة وكان ذلك منذ
عامين حين كانت في السادسة عشرة تسويها يد
الطبيعة وتفيض عليها من رونقها ، وتبرز محاسنها
وتوضح مفاتها

رأها الفتى فحجب كيف لم يرها من قبل ،
وما أسرع ما نسي ما بينها وبينه من الفوارق ،
فصار يرى فيها خلاصة ما في القرية من سحر ،
وكان جمال تلك القرية بكل ما يسع من الماء قد
تجسم فكان هاتيك الفتاة . بل لقد غدت عنده هي
التي تثبت في تلك البقعة من الوجود كل ما يجلبها إلى
نفسه ويربطها بمشاعره

وحادثها فلم تمرض عنه أو تهيب من مودته .
فكانت لا تزال غريبة لاهية ، ثم إنها كانت تراه

ولكن ذلك كان قصاراه منها ؛ كان حسبه أن ينهر بالجمال في صورة من صورده وفي غط من أعاطه وأن يستمتع به استمتاع صاحب الفن بمثل من تعاطيه ، فما كان يرى فيها أكثر مما يراه في دمية من الدمي إلا أنها تتحرك وتنطق وتبسم !

والآن تعبس دميته وعمر به كأن لم يكن بينها وبينه شيء ، وما كان ذلك منها من غضب فكثيراً ما رآها من قبل غائبة ، ولكنه يكن لم يرق في ملاحظها وعينها من الماضي مثل ما يرى اليوم ؛ إنه يرى القطيعة سافرة جليلة بحيث لا يتخاطه فيها شك ؛ وهذا المم الذي يرسم على عيائها وتلك الصفرة التي بانت تنشاه وهذا السكون الذي حل محل الجذل والروح في طبعها ، إنما هي دلائل لا يفطن عنها إلا غر أو أحمق . ولكن فلنعمل جليلة كما تشاء أو كما يشاء لها صاحبها فهو لن يشغل بها نفسه بعد اليوم . ذلك ما وطد عليه العزم

تجنب على طريقها فلم يعد براها ، وأعرض عن أختها فلم يعد يدعوها إليه ، وخاصم أمها فلم يعد رد عليها بحباتها إلا بقدر ؛ ورأى أبوها أنه لا يتحرك للدفاع عنه إذا شكاه إلى عمه الممدد شاك من المائتين أو إذا اعتدى عليه ممدد من الفلاحين ؛ وحارت تلك الأسرة في ذلك أول الأمر ولكنهم ردوه إلى ما استقر في نفوسهم من ممان وما علق بحبائلم من صفات بنمت بها كثير من الفلاحين في قرى مصر فوى الجاه والنفوذ فيهم ، مهما تبين لهم مما ينهض دليلاً على عكس ما يستقدون ؛ وإنهم يؤمنون بتلك الأفكار إيماناً كونه فيهم ما تودعوا أن يذوقوه من البطش والجورم وأسلافهم طوال القرون وهم يملكون على تلك التربة لياً كانوا وينفوسوا ولو كما تأكل وتنفس الأبواب !

ومضى شهر من الأجازه وعلى لا يرى جليلة ، ولكنه لم يطق أن يبقى حيث هو طول هذا الشهر ،

في عالم من الشر والسحر لا يرى فيه الجمال إلا على أنه وسيلة تتخلص بها النفس من هذا الطين وتطلع بوحه صوب السماء ، ولكن كان له في هذا الجمال الذي أسبغته الطبيعة على تلك الفتاة ، من ضروب الرحي وسنوف الألهام

وإذا كان هذا أسره فلم يبق من غاية إلا الزواج ، ولكنها غاية أبعد من المستحيل ، فما زال سلطان العرف في مصر يضع بين الطبقات من الحوائل والعوائق ما لا تكسره إلا ثورة جارية أو حطب قد تمتد حتى تبلغ القرون . وهل يجوز في عقل أن يقدم شاب من أسرة كآسرة ، له مثل ثقافته ونظرة إلى الحياة ، فيمد يده إلى فتاة كنتك الفتاة التي ما عرفت سوى دارها وحفلها والتي مارأت غير أهل قريبها من الناس إلا من يجيئون إليها من الباعة والشرين يوم السوق من كل أسبوع ؟ إنه لكي يفعل هذا لا بد له من أحد أمرين : السر ، وهذا غير معقول ولا مقبول ولا طم له ، أو العلن ، وهذا ممناه في رأي الناس الجنون

وإذا كان هذا موقفه من جليلة فقم إذا كان انصاه بها مدة طم ؟ وكيف يفسر تلك الصلة ؟ ألم يك يحرم على لقائها فيجلس وإياها إذا جهما الليل وسرها عن أعين الرقباء وينم بحديثها الساذج ساعة أو بعض ساعة ؟ ألم يك يبعد إلى المرور بحقلها الصغير مرتين أو ثلاثاً في اليوم الواحد كلما علم أنها هناك في بعض شأنها ؟ ثم ألم يك يحمل مسيره عصر كل يوم في طريقها إلى التربة لكي يراها تحظر بين أربابها من حاملات الجراد فلا يتحول بصره عن سدورها للناهد وعن قوامها للرهف الرشيق حتى تنيب عنه ، وفي نفسه نشوة قوية تهزه إثر نظره من نظراتها أو إثر اقباسمة خفية لا تلبث حتى تطفئها وقد أثلج قوادها أنه رآها ؟

ذلك كل حق لا مريه فيه ولا أثر لحيال أو وهم ؛

وأقبل الليل فأقبلت عائشة فأشارت إليه بيدها وهو جالس أمام داره ، غفغف إليها فأسريت في أذنه كلمات ثم أنصرفت مسرعة وجلس هو يفكر ، وفي نفسه نشوة كشوة النصير

أمام دار من تلك الدور للتواضعة ، في دزب من الدورب الضيقة خلف « دوار » الممدة ، اجتمع لفيف من الشبان لساح « المواويل » ينشئ بها في سكون الليل إبراهيم ، ذلك الذي بقيه شباب القرية أبنا سار ويتحللون حوله في كل سامر ، يمتنون أنفسهم بتلك الأغاني الحلوة التي يرتجلها في يسر عجيب وفي رشاقة تسحر الألباب ويدبرها على كل معنى يحظر له أو يقترح عليه . وكان إبراهيم في تلك الليلة في حال من التجلي ارتفع بها عن مستواه ؛ فلقد كانت ليلة من ليالي عرس صاحبه حسن ، ولذلك اكتنفت الحارة بالجالسين حتى لم يبق فيها إلا عمر ضيق يسلكه القادمون في صر شديد ؛ وكان أمام دار حسن في تلك الليلة « كابوب » وهاج يشبع الضوء في الحارة كلها ، لذلك لم تجلس الفتيات كاتمودن أن يجلسن إلى جوانب المحيطان فأوبن إلى سطوح الدور ليستمنن مسحورات طروبات .. وعلى سطح إحدى الدور الملاصقة « الدوار » الممدة جلست عائشة وجلييلة ؛ وكانت عائشة قد أغلقت باب دارها حتى لا يصعد إلى سطحها أحد من البنات

جلست البناتان على حافة السطح ، أما إحداها فكانت مقبلة على إبراهيم تني نواويله بسمعها وقلها وأما الأخرى فهي جلييلة فلم تكن تسمع شيئاً وما هي إلا برهة حتى نزل شبح على سلم كانت وضعت عائشة على جدار « الدوار » ، وغمزت عائشة صاحبها بأصبعها فأفاقت صراخاً ونظرت فافنا هو على ! ..

ونهبنا تلقاه فسارتا بضع خطوات على استحياء

كما أنه لم يستطع أن يسافر فيميد كل البعد ، ولذلك أتر أن يذهب إلى حيث يقيم جماعة من البدو في حقل لأسرته بميد فأقام هناك في شبه عزلة ، وهو يتمل بمحاجته إلى الهدوء والراحة والهواء النقي

وخطر له ذات صباح أن يعود إلى القرية فولي وجهه شطرها ، وسار حتى أصبح منها غير بعيد فلمحت عيناه سريعاً من البنات كن عائدات من الترفة ورأى فيهن جلييلة فأثر أن يمشي على مهل حتى لا يدركهن ، ثم رأى إحداهن تتأخر عنهن فسكاد يدخل في روعه أنها هي لولا أنه تبين أنها عائشة ، ومن عجيب أمره في تلك اللحظة أنه تأهب ليجدشها كأنما نسي غضبه وترقه . ثم إنه أدرك عائشة فحينه باسمه وحياها ، فرأى في وجهها وعينها أنها تود أن تقول شيئاً ولكنها تحار كيف تبدأ الحديث فبدأ هو بسؤالها لم تختلف عن صاحباتها ، وكأنما فتح لها هذا السؤال باب الحديث على مصراعيه فأجابت في خفة وفي خبث :

— عازره أقول لك كله يا سيدي

— قولي

— رأيتك من بعد فأحببت أن أكلك فأنا من

أليام أريد ذلك

— وهل رأيتي وحدك ؟

— لا . رأيتك كنا وجلييلة في الأول

— لا . لا أحب أن أسمع اسمها أو سيرتها

— كيف وهي دائماً تذكرك وتشكر

— كاذبة .. كاذبة ؟ فأبليي فيما يد .. فأبليي

فيا بعد

وأسرع على في مشيته وترك عائشة في حيرة شديدة واضطراب ؛ ولم يتوقف أو يبطئ حتى بلغ القرية فأسرع فدخل منزله ، وصرت عائشة بعد برهة وفي وجهها كدرة من أثر الحمية ، وذهل مما قلعت به الدهشة

ياكية وهو يصدها، وأما من قريب تدعو عليه دعوة
ارتاع لها فؤاده...

وأخذت الأيام تتصرم، وكان على ربي صاحبته
من بعد إذا ساقته إليها المصادفة، وكانت إذا أمنت
الربيب تدنونه فتجيبه باسمه وبجيبها... ولكنه
لم يصد ربي في وجهها شيئاً من تلك المعاني التي
يفهمها الماشقون بالهجة الحافظة دون حاجة منهم
إلى لغة الكلام... واكتفى على بذلك، وكانا هان
أمر تلك الفتاة عنده، فلقد استثمر الراحة بعد
تضرعها إليه وبكائها بين يديه في تلك الليلة التي
لا ينساها؛ وكان إذا لمس يدها في نفسه هاجس
أنها تحبده، وأنها تحب فتي من طبقها حاول أن
يرضى بذلك، بل لقد صور له قلبه أن يكون قصارى
حبه لها العمل على إسعادها وما وسمه الاسماء، وكان
يسأل نفسه كلما ذبت النظرة إلى قلبه: ماذا يريد منها؟
وماذا ينتظر سوى أن يحب فتي على شاكلتها تأمل
من وراء حبه ما تأمله فتاة في مثل عمرها؟

وأوشكت أجازته أن تنتهي فلم يبق منها إلا شهر
أو نحو. وأقبل الخريف السمح على القرية يسبح
عليها بكفه وينفحها بأنفاسه، وغصت الطرقات بين
المزارع في البكر والأصال والبساتين والعيبة يسيرون
جبايات إلى الحقول ويمودون منها بدمج تلك النمرة
البيضاء الغالية التي ما زال الفلاحون يملقون عليها
الأمال كل عام على رغم ما لحق بها من كساد وما
أصابها من بوار. والمزارعون يسودون بالقطن في
الأعدال فيكون في منظرهم وهم يدخلون به القرية
فرحة السعة وبشير الخير، وإن كان منهم من ينس
على القطن وسينته «إلى بقت زى الوقت»

وكان يحشد من أبناء القرية وبناتها عدد كبير
يلج قطن المدة وأسرته، فيذل على كل ما في وسمه
لكي تكون جليته بين هؤلاء فيحشدونها وتعدنه
ولو مرة قبل أن يسافر، وما لبث أن تذكر أن أباهما

قد يده دون أن يشكلم وأخذتها عائشة فقبلها،
وأخذت جليته تلثمها ولكنه شهدا سريراً وجلس
فجلسا أمامه...

ولم يدر أول الأمر ماذا يقول، ولكنه دامعها
مشيراً إلى ما يسمع من معاني الحب ترخر بها
أغنيات إبراهيم. ثم أشار إلى عائشة من طرف
خفي فطلبت إلى جليته أن تنتظرها برهة ريثما تعود
ونزلت إلى فناء الدار... فلما انفردا قال لفتاته:

— أهكذا يصير ما بيننا؟

— لا شيء يا سيدي، أنا خادمتك، وسأبقى
خادمتك. أنا «غلبانه» وللتناس يهيموني إذا...
أهي أخاف أن «يبل يحن».. وأنا أحلف لهم فلا
يصدقوني، أبداً لا يمكن أن أرى مثلك وسأبقى
طول عمري أحلف بحياتك. بس أنا خائفة من
«ميلة البخت»

— وماذا أردت من مقابلي؟

— أردت أن أعتذر إليك وأرجوك أن تنساني
فأنا خادمتك يا سيدي فلا أستحق أن يهتم بي مثلك
إني لن أنساك أبداً... أبداً ولي عندك يا سيدي
مسألة؛ ابن عمك سيدي عماد يريد أن يحجز على
الجاموسة في نظير الإيجار المتأخر فن أجل خاطري
قل له ينتظر حتى يفرجها ربنا الله بخليتك لنا يارب.

وأجهشت الفتاة، ولكنها كتمت بكاءها
خشية أن يسمها أحد، واستجمع على قوته وأخذها
بين ذراعيه لأول مرة منذ رأها وضماها إلى صدره
وأحس بدسوعها تبلل شفتيه، ثم لمس في أذنها
قائلاً: «لا تخافى قلن يحجز عليك أحد وأنا
بوجود»... ولم يفصد على السر وتركها وحدها

في حال أشبه بالاعفاء، وآوى إلى مضجعه وهو
لا يدري إن كان ما وقع حقيقة أم كان في حلم؟ ورأى
تلك الليلة فيما يرى النائم أن جليته أمامه تتوسل إليه

يريقهما لولا بقايا من فتور زادت ملاحه وسحراً ؛
وقام بنو الأعمام متظاهرين أنهم يقتشون وراء
الحولى وأعوانه ... وكان يذهب كل منهم إلى حيث
كانت جليبة يجمع القطن فيحبسها ويلطفها وهي
لا يجيب إلا بالإنسامة هادئة ... أما محمد فربها وفي
عينه شر وفي وجهه عيوس وحقن

وحاول على أن يذهب كما ذهبوا ولكنه بقي
مكانه متردداً ؛ ولقد كان يبذل إليه أن الأنظار جميعاً
لا بدأن تنجس إليه إن هو فعل وهو لا قبل له بالتميزات
تبادلها الخبيثات من البنات ؛ وعلى الرغم من أنه كان
يدرك أن موسم جمع القطن موسم تطلق فيه الحرية
بعض الشيء ، فقد بقي مكانه لا يتحرك ؛ وكان يكتفي
بنظرة من عيني صاحبه كلما جاءت إلى « الفرش »
على رأس الحقل لتضع فوق كومتها ما جمعت ...
على أنه كان يتبرم أحياناً لندرة مجيئها ، ولأنها لا تأتي
إلى التربة لتسرب كما يفعل غيرها كأنها لا تحب أن
تبادل النظرات ، وكأنها إنما تأتي لتضع القطن
حسب ...

وجاء فتى من القرية يدعى أحمد طويل القامة
أبلج الجبين ، طلق الحيا ، في عينه خبت وفي نظره
جرأة وذكاء ؛ ودخل بين الخدم ولم يدعه أحد وراح
يجيب « الطالبات » في خفة وسرعة ويؤدي ما يطلب
منه في لباقة عجيبة ، حتى لقد صار لا ينادي غيره ،
فهو طوراً ينقل الفرش إلى الطبل ، وطوراً يصنع
الشاي ويدبر كؤوسه ، وطوراً يشغل نفسه بأعداد
الطعام ...

وفي الظهيرة خرجت الماملات يطعنن ويتلصسن
في ظلال الشجر مقيلن ؛ وبسدت كل منهن خرقه
فيها طعاما ، وجلسن يأكلن على ضفة التربة وقام
على فرهن ، ونظر ماذا تأكل جليبة ، فلم يجد على
خرقتها غير الخبز المتخذ من الترة ؛ وقطعة من الجبن
وبعض الملح ، وراعه سفرة قائمة تمشت في وجهها ،

مدني لأن همه فلتعمل أيما نظير جزء من هذا
الدين وليضايف هو لها الأجر سراً ، ولجأ إلى
صاحباتها تخيبن إليها ذلك كأنه من ليهن حتى قبلته
من أجل أبيها ؛ وسر على بذلك وأخذ يتربص شوق
شديد ...

وحان يوم الجمع في حقول الأسرة وخرجت
جليبة مع « القافلة » كما يسميها الفلاحون في هذه
القرية ، ولقد جرت المادة أن تكون على رأس كل
قافلة امرأة تتمهد بجميع البنات تسمى « شيخه »
القافلة ، وقابل على « الشيخة » في الليلة السالفة
وأوصاها بجليبة وشدد عليها أن تتأكد من
حضورها كل يوم

ولم يشأ أن يذهب على أول يوم إلى الحقل إلا عند
الاصيل ؛ ولقد استطاع أن يحمل على الصبر نفسه
طول النهار ، ولما ذهب وجد عمداً زين للبنات لكل
ما جمعت ويكتب ذلك ابن أم آخر في كراسة ، ووقف
على ينظر فلما جاء دور جليبة أبصر عمداً يدايعها
ويطيل في مدايعها ولكنها لا ترد إلا بالإنسامة خفيفة
ثم تدير وجهها عنه ؛ ورأى على أن ذلك يؤله وإن
كان يخفي ذلك الألم ، فأوحس في نفسه خيفة عليها
فلما كان محمد باليدى يرضى أن يتكبر عليه فلاحه وهو
الذى يخشى الرجال والشباب بأسه ويتوقون جرأه
ويطشه به النساء والبنات

وفي اليوم الثاني بكر على إلى الحقل في رفقة من
بنى أعمامه فسبقوا إليه القافلة ، وقد حمل الخادمون
لهم سجادة ووسائد فرشوها تحت شجرة ؛ ولم تكذب
ترتفع الشمس على الأفق حتى أقبلت الماملات ،
ونزلت كل واحدة في خطها ، وبعد ساعة أو نحوها
خرجن بـ « الوش » الأول وضمت كل فتاة قطعها
في كومة ...

وكانت جليبة في ذلك اليوم فتنة الحقل وبهجته ،
عادت إلى وجهها نصرته وبشاشته ، وعاد إلى عينها

مقربة منهما رجال لهم الظلام وقد هجعت القرية ،
وتقدم أحد الرجال فمسي في أذن محمد وعاد إلى
موضعه ، وغمر محمد الخفير ، فمحب حاراً ومشي
به خطوات وقد أقبل نحوه شبح فلما سار أمامه
أسك به وتفتح في « سفارة » وتجمع الرجال
وقد هب بعضهم من النوم ، وجازاً يستفهمون
فوجدوا أحمد يساق إلى « دوار » النمدة لأنه
سرق حاراً من زريبة البستاني

وشهد الشهود وكتب المحضر وسبق السكين
إلى « نقطة البوليس » ، وأصبح حديث للقرية
كأما في اليوم التالي . وراحت جليلة تبيح حفظها
العائر فلا أقل من ستة أشهر يقضيها تناها في
السجن كما يجبرها بذلك المارغون ...

وعرف النمدة حقيقة الأمر ، فعدا أيا الفتاة
وأما ، وأسرهما في هجرة سارمة أن زوجها من
ابن خالتها إسماعيل خشية أن يفتضح أسرهما وأن
يقول عليها الناس الأكاذيب ... وحينئذ بالأذون بعد
ساعة وأرغمت البنت إرغاماً على القبول فأعطت
« التوكيل » وإنها لنوشك أن تموت من اللبظ
والحسرة ...

وسافر على بعد أيام ولو أنه بقي لرأى مكان
جليلة فتاة غير فتاته التي أحبها . لو أنه بقي لرأى
بقايا هيكل من جمال وسحر ، يمس منظره اليوم في
النفوس من حسرة وألم بقدر ما كان يمس فيها
أسس من نبوة وشوق ، وهل كان يقوى على رؤية
جسدها الناحل المربل ووجهها الذي يلوح عليه
شبح الموت ، وعينها اللتين أصبحتا تيران عن
الألم والوعدة ؟ حسبه ما يؤرقه إذا أراد النوم ،
وما يشغل باله من م كذا ذكر ذلك الحلم الذي أفاق
منه على توصيل جليلة ودعوة أمها

الطيب

وضريح من الدهشة والخوف يمتلئ في عيائها ...
وكانت قد بسطت مائدة الطعام ومخاض حول
الصينية النحاسية الكبيرة بنو الأصحاب ، فسادوا
عليك جلس وأخذ من الطعام جزءاً بيديه وكادى
إحدى الخادومات فأمرها أن تذهب به إلى جليلة ،
ولم يبال في تلك اللحظة ما أرتسم على وجوه الجميع
من دهشة وسخريّة ، وتلفت فلماذا رأى ؟ أيمكن ذلك ؟
ها هي ذى جليلة تريد أن ترفض مستندة ! ولا حظ
عليها أنها قد بدما تارة وتستردّها ناظرة إلى أحد
وهو يحدها حدج اللامة ، ولكنها لم تستطع آخر
الأمر إلا أن تأخذ الطعام فتضمه أمامها . وصارها
أحد بعد برهة وقد جعل إليها بعض الحلوى مما بقي
على المائدة فأخبتها مطرقة وفي وجهها ووجهه من
الماني مالا يخفى على أحد

إذا لقد انكشف الأمر ؛ ولكن ليه ما انكشف !
لقد تبد وجهه على وأظلمت في عينية الدنيا ، وصارت
تأكل الفيرة قلبه ، وعبثاً حاول أن يهدي نفسه ،
فلقد غابت عنه فلسفته ؛ ودخل منطقته وتبدد حلمه ،
أوتيمه هذه الفتاة من أجل أحد ؟ وكيف اجترأت
على خداعه والمكر ؟ ! ألا إنه لنخدوع غر ثم إنه
لما نفي أحق . ذلك ما كانت تحدّثه به نفسه ؛ وفي تلك
اللحظة التي يمس الحقد فيها البصائر ، حدث على
محمد آ حديثاً ، يا شؤمه من حديث !

انقضى اليوم ، وسار البنات تلقاء القرية ،
وركب على دابة لتعود به فما كان مما به من م يقوى
على المضي ، وكأنما أرادت الظروف أن تكيد له كل
الكيد فما هو ذا يرى جليلة وأحمد تحت شجرة
بنتاجيان ، ولما رآه الفتى من بعد أسرع الخطى
واخفى ... واختفت جليلة ولم تمد بعد بلع القطن
اقتضت أيام وفرغت للقرية من جمع القطن ،
وتعلها فنور الخريف وطافت بها طيروفه .. وفي ذات
ليلة كان يقف محمد وإلى جانبه أحد الخفراء وعلى

عروس الماء

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
يَقْلَمُ الاسْتَاذُ دُرَيْبِي خَشَبَةً

وكان النسيم يلاعب شجرها
الأسود الفاحم الغدودن ليسرق
عطره، وينشره في ذلك الكون
العظيم أوجاً ينفس النفوس
بالأمل، أو يكون للضالين قبسة
من سيناء !
تري لماذا أرسلت هذا
الدهاز الأسود الحزين، فوق تلك

الشفوف البيض الحمرية !؟

تري لماذا جلست وحدها فوق تلك الصخرة
الفريدة النائية عن السويس، في تلك الساعة التي
توشك أن تنام فيها الطبيعة ؟
كل شيء ساكن هادي، إلا خبر الماء
ورشاش التنج

الشمس تالج أبواب الغرب، والبدر يندر من
بيان المشرق ...
الشمس تغم كتاب النهار ... والبدر ينفى
أنشودة الليل ...

فيا ترى لم جلست هذه الحساء وحدها
هناك ... فوق تلك الصخرة الفريدة ؟

فيم تفكر ؟

أوه ! إنها تبكي !!

يا لله ! ألا ما أجل المموع في ميون المناري ؟
ألا ما أجل المذراء تبكي وحدها في دنيا جميلة كهذه
من شفق وينفسج ونسيم وبر وبحر وأرض وسما
وليل مقبل ونهار مول ؟

فيم تبكي يا ترى ! ألا ما أقل هذه المموع التي
تنسكب من هذه الميون !؟

إسمي يا طيبة ! إن عنراءك تنفي :

كانت تجلس وحدها على صخرة فريدة من تلك
المغمور الوردية التي تشرف على هذا البحر القديم
الكريم المقدس، بحر التازم كما كان يسميه العرب،
أو البحر الأحمر كما تسميه الطبيعة والشر، لأنه بحر
الزرجد والمقيق والمرجان، وبحر الجمال والدهكريات
والجوارى النشئات !

وكانت الشمس تهبط إلى الأفق، متأججة في
السحاب المتثرة في سماء السويس الساحرة، فتوشى
أذيلها بالشفق، وتغمر في اللجة دنائير الذهب،
وتسكب في حواشها ذوب اللجين ... ثم تمحور
للطبيعة كلها هيكل تلك الراهبة الصامتة، الجالسة
فوق الصخرة الفريدة تفكر ساعمة، وتغلى من
جمال الله ووحدانيته، وتمتد في هذه الأفكار الجليلة
الجليلة السكالة التي أبدعتها يده، وبرأها قدرته،
فعى عندها الغليل عليه، والوسيلة إليه

وكان النسيم الرخي يهب في أنفاس الغرب كأنما
عمره هزة من ذكريات موسى حين ألمح للصخرة الجليلة
الرائمة تشرف على بحره القديم للكريم المقدس فيكاد
يكون فرقين لتخوض بينهما فتلعب بمحباء دهره،
وتلهو بمكنون صرجه ...

كانت تنظر بين يديها التجلاويين في الموج المضطرب

وجه حزين ، بيد أنه جميل فتان رائع .. وجسم
شفه الوجد وأسنته الأحزان ، بيد أنه أبيض مشوق
يقتنى ... وثويان ، أما أحدهما فأبيض كالنهار
وأما الآخر فأسود كالليل ، يتبدل بوقوفهما شعر قائم
خلق الحب ولم يخفق للأحزان !

وعجب علوي لفناء الفتاة ، لأنه كان يتشقق من
نفس ياكبة ، وروح وفية ، في صوت بللته الدموع ،
وأفئاس صهرتها نيران الألم ، وعاطفة مكبوتة محبوسة
لا يفرج عنها الشدو إلا قليلا

ثم صممت الفتاة فجأة ، لأن القرص الذهب أخذ
يستتر روئداً وراء الأفق ؟ ونضت ثوبها الأسود
في هدوء وثوقة ، وترزت حذاءها ، وكشفت من
ساقها ، فاختلط بياض الحرير ببياض اللحم الوردي
وقبل أن يخفى القرص الذهب كله ... أو حين
لم يبق منه إلا هذه البضعة التي تحكي الجرح في كف
الأفق ... فجردت الفتاة من ثوبها الأبيض كذلك
ثم وقفت هروساً من عرائس الماء مادة ذراعها نحو
البحر ... وهبطت إلى الماء فجأة ففاصت فيه

وأفاق علوي من الطلمس الذي سحر قلبه حينما
شهد الفتاة تتجرد من ثوبها ، وذكر أن هذا الجزء
من الشاطئ هو أخطر الجهات للاستحمام ، لكثرة
ماه من الصخور اللؤذية ، وما يأوى إليه عادة من
حيوان هذا البحر ليستخفي فيه ... وإن تكن تلك
خرافة انتشرت بين أهل السويس ، لم تؤيدها
حجة ، ولم يقر على صحتها برهان

ذكر ذلك علوي فبرز من مخبئه على جبل ...
ونضا ثيابه على جبل كذلك ، وكانت فكرة جديدة
من ألوف الأفكار التي ترد في الخاطر في مثل تلك
ال لحظة تريد في مجلته ، وتضاعف نشاطه ، حتى

« ما أفساك أيها البحر ، لم قلت حيبي ؟ »
إنها تسرد مأساة غرامها ، وما هي ذى تنغم من
بحر موسى ما أطبق موجة على ابن فروع !
مستكنة أيها المذراء ، لقد تخضب مرجان
البحر بدماء حيبيك ، وفتحت أصدافه لتلقف
أنفاسه ليكتسب الدر سناءها !

كان علوي يذرع رمال الشاطئ في هذه الهدأة
الرائحة من مغرب السويس ، حينما لح الفتاة الباكبة
تجلس وحدها فوق الصخرة القريفة ، ترسل في أطباق
الوج نظراتها المنددة

لقد أحس الشباب بماطفة قوية تجذبهم إلى حيث
جلست الفتاة ، فهرول كالشبح بين الكتيبان الناعمة
حتى كان قاب قوسين من صخرتها ، فجلس في كن
يسمع إلى بكائها وغنائها ، فاذا البكاء والفناء قصة
حب دامية ، وإذا الفتاة قد أقبلت من جهة بعيدة
نائية تصل من أجل حبيبها ، وتذرف الدموع حارة
سخبنة على ذكراه !

ولقد كان علوي ينظر إلى الفتاة من ركنه ،
فيراها ملاكا نورانياً صورته يد القدرة في نسيم
البحر الأحمر ، أو طيبته في أديم سماء ؟ وكانت
جلستها جلسة شمرية ، لأنها لم تكن تلتفت حولها
بينة أو يسرة ، بل كانت تثبت عينها في لجة واحدة ..
وتبكي ! وبكاء هنراء تجلس وحدها فوق صخرة
موحشة من صخور هذا البحر ، تئى بثير الفضول
في فؤاد المار ، وخاصة إذا كان في مثل شباب
علوي المشبوب

لقد لح علوي جمالاً بثير الألم في النفس ...
جالاً غامضاً من ذاك الجمال النادر الذي يخلق الله
كما يخفق المجرات

قرية من سطح الماء ، فوق فوقها مهبوا مكندوداً ،
لا يكاد يحسك نفسه من التعب
وكان القمر المصري الجليل قد أخذ يسكب فضته
فوق الكون الهامد إلا من جرجرة الزوج حول
الصخرة التي وقف فوقها علوى الحائر ...
فيأري ؟ هل يسبح القمر بمولوى ، كما سحر
به البحر ؟ !

أين الفتاة يا ترى ؟
لقد راح السكين يبحث فيها بعينه للزمتين
في آفاق الماء ... لكنه لم يجد شيئاً ، غير لجة عند
لجة عند أخرى ... !!

هل غرقت ؟
ولم لا يكون ذلك ؟
إن هذا بحر تفرق فيه الجن ، فبال فتاة طرية
حزينة كمود القصب الرقيق !
أخذ علوى طائف من الجزن والوجوم وأخذت
الوساوس تنصف في قلبه ، وشعر كأن كنزاً بأ كله
من السمادة والهناء قد أفلت من يديه .. وراح وهو
فوق الصخرة ، وحوله هذا الموج للفتى ، يستعيد
رجع التناء الذي ملأ أذنيه فوق الشاطئ ، فلا يذكر
أنه سمع مثله فيما عاش حلاوة وطلاوة ولا سحراً ..
ولا ليحاجاً كذلك !

وطفق يتحدث نفسه حديثاً طويلاً مؤسباً ...
« وأأسفا عليك يا فتاة ! لبتك عشت لي ؟ لبتك
عزفتي قبل أن تلقى بنفسك في هذا اللج الصخاب
هل حببت أن الدنيا أقفرت من القلوب بعد
حببتك ؟ ! أي قلوب العالم لا تتفتح كأثره لتنشق
أنفاسك ؟ هللى إلى من للماء يا هروس الماء اعدوى
إلى الحياة فعلى أحفل من قاع البحر بحبيبتك

لأوشك أن يرتبك وهو يخلج ثيابه ، فكان لا يزال
تقطيع أزراره أو تعزيق إزاره ... ذلك أنه حسب
أن الفتاة قد فلتت فعلتها لتتسحر ، وقد كان غناؤها
الجزين يعني ذلك ، لأنها ذكرت أن تلك اللجة في
ذلك المكان عند هذه الصخرة ، كانت قبر حبيبها
الذى غيبه البحر في أحشائه ، غير راحم شيابه ...
لذلك ارتبك علوى ارتباكاً شديداً قبل أن يتدفق
بنفسه في اليم ليتخذ الفتاة الجميلة البارة التي ضاقت
بها الحياة بعد حبيبها ، فبادرت إلى الانتحار في
المكان نفسه ، وفي البحر نفسه ، وفي هذه الهدأة
الرائحة من مترب السويس نفسها

وسبح علوى ...
ثم سبح ... بيد أن البحر الذى يخضع للفتيد
الحسان التوامم ، هو البحر نفسه الذى يأبى أن
يقهره أحد من ذكران البشر ، ولو كان فرعون
ومن وراء فرعون جنوده ! لذلك لم يدر علوى لم
تار العباب حوله وفار ، واصطبغ الموج وأرغى الزبد
وهزى الشاب الفتى أول الأمر ، ثم مضى في
سباحته قدما ، غير أن البحر هزى هو أيضاً ،
ثم جرجرت حول علوى أمواجه ، وأزبدت من
فوقه أثيراه ، حتى غدا الليل في عينيه ليلين ،
وإن كان البدر السافر قد سار هو الآخر في روعة
يبدرن ، يدرأ في السماء وبدراً في الماء !

وحجب علوى لطيفان البحر وشدة صراحه ،
ودرجع بذأكرة إلى ألوف المرات التي خاض فيها
عياه ، فلم يذكر أنه عتا مثل هذه المرة ، ومثل ذلك
المتو ...

ثم سبح ولم يزال ...
وبلغ بعد إعياه وبمدجهد ، جزيرة من الصخر

— أنا ... أنا ... علوى ؟ وأنت ؟

— علوى ؟ ... من علوى ؟

— أجل ... أنا علوى ... أنا والله علوى الذى
كاد يهلك فى هذا الباب من أجلك ! ألا تريد
أن تذكري اسمك ؟ إذن لماذا كنت تبكين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فوقت فوق الصخرة ،
وراحت قلب فى وجه علوى عينها الحاليتين ...
ثم أشاحت فجأة ، وصرخت قائلة :

— كلا ... لست أنت علوى ... هذا حلم ...
هذا ... باطل !

ثم أصرحت إلى اليم فأحملت فيه ذراعها
ولم يتوان علوى ، بل قذف بنفسه فى البجة ،
وانطلق يسابق الفتاة إلى الشاطئ ... وقد نشط
هذه المرة ، وتدقت القوة كالخديد فى أعصابه ،
وأحس كأن الماء الذى كان كالتاج قبل لحظة ،
قد صار حماماً ساخناً

وألزم بما عراه من جأ وتلف ، فقد ذهب
بأكل هذا الجبال العائم بينيه الجائعتين ، وبملا
رقتيه بذاك الأراج الذى أخذ يتضوع بالحب فوق
البحر وتحت القمر ...

وكان علوى أسبق من الفتاة إلى الشاطئ ،
فوقف عنده ينتظرها ...

وقالت له وهى فى الماء

— إذا أنت ظلت واقفاً هكذا فما عود !

— تبودين ؟ وإلى أين ؟

— إذهب أرجوك !

— بل أخرجى وأنا خادمك ... إلى أميك

حياتى تسمير فى ركابك حتى تبلى مأسن المدينة !

— أشكرك ... لا حاجة بي إلى أحد !

والترمين بك ، وعباد جمالك ! إن حبيلك الذى
نصيبته قد نوى كالحرف فى أسداف هذا اليم ، هو
هنا ! هنا ، فوق هذه الصخرة ، وهو يكلمك الآن ،
إنه ليس هناك فى القاع يا فتاة فمودى ! عودى إلى
الذى لا يعرف اسمك ، وإن كان قد انطبع فى فؤاده
رسمك ! عودى فإن فى قلبك جنة موشاة بأزاهير
حبك ، وهى فى حاجة إلى الأنفاس البقية التى رددتها
فك الجبل الشادى ! لم كرهت الدنيا وشيكا هكذا ؟
لأن قلباً واحداً من ملايين القلوب التى تنفق
بجيك قد أودى ، فانك تهجرين الدنيا من أجله ؟
أو قد كنت تخلمين له إلى هذا الحد ؟ ما أسمده
حياً وميتاً ؟ ترى من هو يا فتاة ؟ أو هكذا تسمين
حلماً فى خلدك بعد إذ كنت حقيقة ملء نظرى ؟
وكان الربح قد هدأ ، والوج قد تظامن إلا قليلا
والبدر قد ارتفع بضمة أمتار فوق الأفق ، وكان
علوى قد يس من الثور على الفتاة ولو جنة هامة
تطفو على اليم ... وكان قد سرت فى كياته وعشة
من البرد والحزن والخوف ، فاعترم أن يعود إلى الشاطئ
وقبل أن يخوض الماء ، سمع خلفه هائفاً
يقول : « هل السيد فى حاجة إلى معانوة ؟ »

وتلفت علوى مذهولاً ، فرأى الفتاة معلقة
بنتوء من صخرته ، وجسمها الجليل يلعب فى فتنة
القمر ، تخفق قلبه خفقة شديدة لهذه المفاجأة ثم قال :

— أى أنت ؟

— ... ؟ ...

— ألم تترقى ؟ أما ترالين حية ؟ ما أسمدنى !

— ماذا ؟

— لقد كنت أبكى قبل لحظة من أجلك !

— من أجل أنا ؟ ... من أنت ؟

كالجمامة من فوق صخرتها واقتربت حتى كانت تلقاه
ثم وقفت صامتة ساكنة ولم تحرك ...
ومد علوى يديه للتداعيتين بالنفطة آخر الأمر
ثم قال :

— أشكرك !

— وأين ثيابك ؟

— وراء الصخرة السعيدة !

— الصخرة السعيدة ؟ ماذا تعني ؟

— الصخرة السعيدة التي كانت تحملك إذ أنت

تبكين وتشتين !

— أوه !

ونهدت الفتاة فكانت فوق الصخرة ، ثم
استدارت حولها . فاكتشفت لكن الساكن
حيث ملابس الشاب ، وحيث كان يجنبي ويسترق
السمع . والأين . والبكاء . والنرا !

وعادت تحمل ملابسها جميعا فوضعتها على الرمال
تلقاه ثم قال له : « هذه ملابسك فينبني أن
تلبسها ولا تعرضت نفسك لخطر البرد . أما فوطي . »
ولم تكلم عبارتها ، بل أطلقت ساقها لتسليم
البحر فكانت فوق الصخرة ، وحات حقيبتها
وانطلقت لا تولى على شيء ...

وجفف علوى ما تبقى على بدنه من قطر ، ثم هرول
فوق الشاطئ . وملابسه في يده ، وانطلق يمدو
في إثر الفتاة ... وكان مع ذلك يدس إحدى ساقيه
في جزء من سرواله — أي يتطاوله — ثم يخطو
فيتنثر ، ويقف يبدس الأخرى في مكانها الآخر
من السروال ، ثم يمدو ... ويدس ذراعه في كم
القميص ، ويطلع ، ثم يدس الذراع الثانية في الكم

— وكيف ؟ إن هذا مكان موحش ، وإن
الطريق لغير ، ولا بد أن أحبك إلى الدنية ...
أو إلى حدودها على الأقل ! أتمرغين لم تزلت وراءك
إلى البحر ؟

— لتفرق ؟ أليس كذلك ؟

— بلى ! لقد كنت أحرق والله !

— لقد رأيتك تجاهد الموج ، ولولا أنك كنت
قريباً من الصخرة لأتخذتك ... فاذهب مشكوراً
إذن !

— ولكنك تفرغين نفسك بالبقاء هكذا
في الماء . فلم لا تخرجين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فازلزل فؤاد علوى ...
ثم تواتبت كالنفطة فوق رمال الشاطئ حتى كانت
دون الصخرة ، فقفزت قفزتين أو ثلاثاً فكانت
فوقها ...

واثنت تفتح حقيبتها فأخذت فوطه فمسحت
بها جسمها البض المرتجف ... وهنا ... نظر إليها
علوى وهو فوق رمال الشاطئ ينتفض من برد
الليل ، ففهمت سؤاله ، وقذفته بالنفطة فتلقيها
باسما ، وبداً من أن يجفف بها جسمه المرتعش ،
دس فيها وجهه ، ولا يمل إلا الله ماذا كان يصنع ،
وأى أنفاس حار كان يرد ، ولا أى دموع كان
يذرى ويسكب !

ولبست الفتاة ثوبها الأبيض الناصع الذي زاده
أشعة القمر بهاء وسناء وجاذبية ، ثم أضفت عليها
من ثوبها الأسود ، واستدارت لترى هل انتجى
علوى ... فلما رآه واقفاً تحت هذا الليل القضي
والريح تساوره ، قطرات الماء تعاوده ، هبطت

- الآخر، وهكذا. حتى لم يبق في يده إلا حذاءه !
ضحك علوى حين رأى نفسه يقتنى أثر مبدوءة
المفاجئة وفي يده حذاءه ! فتركه على الصخر
وانطلق كالظليم وراءها .
— ما هذا ؟
إن الفتاة تقفز في سيارة كانت تنتظرها عند
هامش الصحراء في أول الطريق الموصل إلى طريق
القاهرة ...
ولم يعلو ذلك ، فكاد يصق وتخشب ساقه ،
فلا يستطيع عدوا بل لا يستطيع حراكا ...
لكنه سمع على أن يلحق بها . لأنه أحس بشيء
غريب يتخرج بدمه ، ويجرى دفقا في عروقه ...
وأحس أيضا أن القدرة التي حرمتها كل
هذه السنين الطوال نعمة الحب ، قد فتحت له
جنة الحب فجأة يتفيا منها حيث يشاء فإذا
هربت هذه الفتاة فستفلق أبواب الجنة ، ويظل
إلى الأبد طريقا منها ، يطوف بأعراقها ، ولا يناله
من نعيمها شيء ... فجري ، ثم جري ، وظل يجري
كالمجنون ، وكان يسب الأرض لأنها لا تنطوى
يسهولة تحت قدميه ، وظل يدعو الله أن ينبت له في
ظهوره جناحين أو ثلاثة أو أربعة ... أو أجنحة
لا عد لها ، ليبلغ السيارة قبل أن تنهم ...
ولم يقبل الله دعاءه طبعاً ... فلم تنبت له أجنحة
بيد أنه مع ذلك قد بلغ ذاته ... وقبل أن تتحرك
السيارة ، استطاع أن ينطرح أمامها لتقف ...
أو لتقتله ... وهل أشقى في هذه الدنيا من قتله
بسيارة تحمل حبيبا كهذا الحبيب !
وتيسمت الفتاة ... وأوقفت الماكينة ... ثم
- زلت ترى ما خطب هذا الشاب !
— أوه ؟ ماذا تريد ؟
— أريد أشياء كثيرة .
— أريد أن أعرف
— قبل كل شيء أحب ألا تبسبى هكذا ؟ هل
أنت غصبي ؟
— وكيف لا أغضب وقد حصل منك كل
ما حصل ؟
— وماذا حصل متى جئت فذاك ؟
— ألم تخشى "لنسرقت سرقاته ؟
— الصدفة والله فملت هذا ؟
— ولماذا زلت البحر وأنت لا تحسن السباحة ؟
— أنا أحسن السباحة جداً ، وقد فملت ضاقي
هذه لأتقذك ؟
— لتتقذن ؟ وماذا ظننتي أسنع ؟
— حسبك ...
— حسبت ماذا ؟
— حسبك عولت على الانتحار ؟
— وماذا يجعلني أنتحر ؟
— ألم تكوني تشين وتبكين وتذكرين حبيبا
لك ... أوه ؟ مغفرة ... ؟
— آه ! إنها أغنية يا هذا ؟
— أنا لست (هذا) .. أدرجك .. لقد ذكرت
لك اسمي ؟
— آه ! اسمك ... علوى ... أليس كذلك ؟
— هو ذاك ... وبقيني أنه كان يسمى
علوى (١) أيضا
— كان يسمى علوى ؟ ومن هو يا ترى ؟

(١) تنتشر عن منح الأعلام من الصرف في كل قصصنا

— لا والله يا أخاه ، لكنى أشفق على عيالك
وجالك أن يستسلم ليد الديول فتذوى زهرتك وهى
أعقب ماتكون ، ويصوح ريمك وهوبند فى إياه !
— أشكرك ... ألا تتركى أنصرف إذن ؟
— تنصرفين ... وأنا ؟
— وأنت ماذا ؟
— أين أذهب ؟
— إلى بيتك !
— ليس لي بيت ... لقد خرجت اليوم من صدفة !
— أرجوك ... أنا لا أحتمل العنابة !
— دعابة ؟ أية دعابة يا ... يا عجبا ! ألا أعرف
اسمك ؟

— هذا مستحيل !
— وله ؟
— لأنى أقسمت ألا أخونه !
— أقسمت ألا تخونى من ؟
— لقد عرفته ...
— ألم أقل لك ؟
— ألم تقل لى ماذا ؟
— ألم أقل لك إن اسمه علوى !
— حقا ، لقد كان اسمه علوى ...
— ولماذا غرق إذن ؟
— كما أوشكت أنت أن تغرق !
— لبتى غرقت ... لبتى غرقت !
— ولم تمنى ذاك ؟
— لأنى أوشكت أن أقنط من ...
— م ؟
— من إقناعك !
— إقناعى بماذا ؟

— الشاب السميد الذى غرق فى البحر
— لقد بدأت تمزح !
— كلا والله ، إلى ما إلى المزاح أردت !
— إذن كيف يكون سميداً من يفرق ؟
— أى غلوق يرزقه الله نعمة ... حبك ...
— يكون أسعد خلق الله ولو غرق ؟
— حقا إنك شاب جرى ...
— لست جريئاً ولكنى ...
— ولكنك ماذا ؟
— ولكنى أقول الحق !
— إنهم ... لقد أرويت المال بالدم للتعب
من قديمك ؟

— دم ؟ ... أوه ؟ ... لبتى سفتك دى كله
نحت قديمك !
— ما شاء الله ؟ كيف تستطيع لنفسك أن
تخطبى هكذا ؟
— وكيف أعاطبك إذن ؟
— كما يخاطب الناس أناساً لا يعرفونهم ؟
— غير أنى أعرفك !
— تعرفنى ؟
— ولم لا ... لقد كان غناؤك وجيا تنزل على
فؤادى لحفظته عن ظهر قلب ... لقد حفظت قصتك
كلها ... أنا ذنن بسماعها ؟
— وهل تؤمن أن ما غنيت قصة ؟
— بل أومن أنها حقيقة لا ريب فيها !
— فلم إذن لا تحترم قدس الموت ؟
— قدس الموت ! أوه ! ما أبشع أن يذكر
اسم الموت هنا ؟
— لأنك رجل أنانى !

- بجمال هذه الدنيا وكثرة مباحيها ...
- فاذا غاب منها شخص لم تندجيلة كما تحسب ...
- هذا وهم ، ويجب أن تعالجه بالتيان !
- أجل ، سأعالجه بأن أنسى كل شيء ...
- لا ذكره ! آه يا علوى ! آه يا حبيبي ! تمال الآن من قاع هذا البحر للفترس فانظر كيف يريد الناس أن ينسجوك من ذا كرى ! الناس الأثانيون الذين لا يحرمون قدس الموت ، ولا تقشرون دلوهم فرقا لذكره ! لقد جارت الدنيا بليدة من بملك يا حبيبي ها هو ذا رجل ... لا يريد أن يخلص فتاة لانها ادى أخلص لها حتى الموت ... الذى خفى نفسه وشبابه من أجلها ... ما أقبعك أيها الدنيا ! لقد شوهتك أمانة الانسان ! لقد كنت قبل آدم جميلة ساذجة طهوراً فلما جك وجهك بأوحاه
- تنح أيها الشاب ! لقد كنت أحسب دماءك هذه دماء نقية ... لقد كنت أرى لك والبحر يلقفك ... لقد خدعت في دموعك التى ذرفت من أجلى فوق رمال للشاطي ، وكنت أرجو أن أعتز في روحك على صديق ، فاذا للشيطان القدر يتحدر في سلك من أيام آدم
- أختاه ... أرجوك ؟
- علام تسأمني ؟ على قلبي ؟
- بل أذ نخبة أخرى من تخايك
- أسكت فانى ليس لى تخايك ... إنك تدنس دمك ودموعك بهذا المرء ! كيف تستبيخ لنفسك لتخلص على جناح القلوب
- اللصص ! آه ! إنك تهيننى !
- وأنت أمنت ذكرى حبيبي ، وآلمت روحه !
- إذن ، فانا أعتذر
- إذن ، تنح ، فقد طال حوارنا ، وأريد أن
- أبلغ القاهرة في مباد لا أحب أن أعدوه وتنحى علوى ... وقفزت الفتاة في السيارة .. وقبل أن تعلق بابها نظرت إلى الشاب نظرات غامضة لم يفهم منها إلا أنها تدعوه . فتقدم خطوات ووقف كالشبح .. فدت إليه يدها الناعمة الخصبية ، قتناولها في يديه جيماً ، ثم أهوى عليها بفمه المرتش يطبع فوقها عشرات القبل ، وينثر عليها قلبه وروحه ودموعه ...
- ثم مدت يدها الأخرى فربقت بها على شمره الأثمت ، وخديه البلقين ، وجذبتة إلى جانبها في السيارة .
- آه يا قاسية !
- لننسى !
- وما اسمك إذن ؟
- اسمى ... ستعرفه في القاهرة !
- فى القاهرة ؟
- أجل ... هناك !
- لقد تركت هنا ...
- طربوشك وحذاءك ؟ أليس كذلك ؟
- بلى !
- نشترى غيرهما من هناك ؟
-
- وأقيم في السويس سراقذ غم حاشد ، وأقبل الناس من كل فج يزورون والده علوى ... أليس قد غرق ؟ أليس هذا طربوشه وهذا حذاءه ، وهذه فوطة ملقاة على الرمال !
- وكان من بين المزين علوى نفسه !
- لقد أقبل هو وأسماء في الليلة التالية ليزفا إلى أيه البشرى السعيدة ... لقد خطبها !
- دميرى مضيق

الرسالة في عامها السابع

الجلد التي أحدثت في الأدب الحديث مدرسة خاصة

الجلد التي ثبتت على مكاره الجهاد والانقاذ والزمن

الجلد التي تنسج بأريج الاسلام والعروبة والشرق

الجلد التي لا تتخلف ولا تتوقف ولا تنهت

ستخطو هذا العام أوسع خطواتها وأجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

تدريس ، محاضرات ، مؤتمرات ، مؤتمرات ، أخبار ، مسرح ، سينما

أسرة الرسالة في سذتها الجديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازني ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكري ، الأستاذ اسماعيل
المنشاشي ، الأستاذ ساطع بك المصري ، الدكتور محمود عزمي ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكي
مبارك ، الدكتور محمد محمود غالي ، الدكتور أحمد موسى ، الدكتور يوسف هيكل ، الأستاذ محمد أحمد
النفراري ، الأستاذ سعيد الريان ، الأستاذ دريني خشبة ، الأستاذ عبد النعم خليل ، الأستاذ محمود الخفيف ،
الأستاذ عمر البسوي ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكي ، الأستاذ علي الطنطاوي ،
الأستاذ أنور المطار ، الأستاذ أحمد الطرابلسي ، الأستاذ الحوماني ، الأنسة أسماء فهمي ، الأنسة زينب
الحكيم ، الأنسة الزهرة ، الأنسة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفي جمعة ، الأستاذ فليكم فارس ،
الدكتور بشر فارس ، الأستاذ محمود غنيم ، الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغاية آخر يناير ستمين قرشاً

تكتب مجلة الرواية ومعهما كتاب متوسط الحجم ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى
أو الثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك في الخارج
هو مثله في الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا في
الرسالة خلال شهر يناير — أما الاشتراك بعد مدة للتخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية
في الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون في الخارج للرواية ويخصم في كل منها للطلاب ٢٥٪ .

تظهر في ثوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبع متن

كَيْلُهُنَّ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

القليل الذين يصادفهم أجل
التوفيق وأسمده في دنيا النساء
فشقن عدداً وأفرأ من المثلاث
والراقصات وربات القصور
المصونات غير متردد ولا متحرج
ورشف من كؤوس الهوى خراً
سافية ، أحمته نشوتها عن طي
الأهوام ، فإبدى يوماً وإلا وهو

يصحو على حاذل يقول : « أتباع الخماسة والأربعين
ولما تزوج ؟ » الخماسة والأربعون ... أحفأ ذهب
الشباب الناضر وولي ؟ أحفأ تسن ذروة الكهولة ؟
ووجد نفسه يفكر في مسألة الزواج تفكير
شاب يهدف للتلاين ، ويكاد الزواج أن يكون
كالموت نهاية كل رجل ، وإلا فلن يترك هذه الثروة
الطائلة التي يمتلكها ؟ ومن يؤنس وجشته إذا احتجزه
البيت يوماً ؟ ومن يسيته على متاعب الشيبوخة
وأهوال الكبر إذا تألبت عليه عوامل الفناء ؟

ولكنه لم ينفل عن طبيعه وأنه مناصر عشاق ،
ومثله يستطيع أن يقرأ قلب المرأة كما يقرأ الكتاب
الفتوح ، ويعرف طبيعتها معرفته لبدنيات الحساب
لذلك رأى أن الحكمة على عليه ألا يختار زوجة
شابة تفصل بينها وبينه عشرات الأهوام ، ويحت
عزيمته على الزواج من أرملة أو مطلقة في الثلاثين
على أدنى تقدير ، حذراً من أن يقضى عليه بما قضى
به على نضايه الكثيرين ...

ولكنه شاء غير ما شاءت الأقدار ، وما حيلته
في ذلك ؟ لم يكن هو الذي يرم الأقدار حين دعى
يوماً إلى حفلة زفاف فراح مالكا لنفاده وعاد مسلوب
النفاد والارادة ، ولم يكن هو الذي يخلن الأحمار

هل يمتنى الانسان على الله أكثر من أن يهبه
زوجة حسناء وثروة طائلة ، وعتمه بصحة سافنة
وبنين ، ويؤنه مركزاً اجتماعياً فذاً ، وقد فاز حضرة
صاحب المرأة جمال بك ذهبي بأولئك جيماً ، كانت
له زوجة شابة حسناء يمزى النظر إلى وجهها الحسن
عن أحزان الدنيا جيماً ، ووهبه الله أربعة من الأبناء
كالرودود سعة وجمالاً ، وترقى في مراتب الدولة حتى
نولى كرمي الاستشارة في أكبر هيئة قضائية ،
وورث عن والديه ثروة طائلة ما بين عقار ومزارع ،
ومع ذلك فن كان يطلع على وجهه ذلك اليوم إذ هو
جالس في شرفة قصره المطل على شارع السرايات
ياخذ المصباح لهذا الاكفهرار الذي يظله وتلك
النظرة الثقيلة التي تحار في عينيه منذرة بالشقاء !

ولا سبيل إلى إبطال هذا المصباح ما لم تلزم بماضيه
لأن حاضر الانسان يقع غالباً من ماضيه موقع النتيجة
من القدمات وإن كانت لا تدمم العلاقة بينهما
في الحياة بما يندم به في المنطق من الضرورة والاحكام ،
ومهما يكن من الأمر فقد كان ماضى صاحب المرأة
حافلاً بالشباب الروح السعيد والعمل النزيه والذكاء
الرفاد والمناصرات التي تجمل من الشباب ديوان
شعر غنياً بالذكريات المذبة ، لأنه كان من الرجال

في هذه الفيلا يارى منذ زمن بعيد، وهل هو متزوج أم أعزب ؟ وكان يستطيع أن يسأل زوجه عما يحيرة ولكنه غفر من هذا نفورا عجبيا وأثر عليه الجمل والحيرة .

وكان قلقه غريبا لدرجة أنه ود لو يستطيع أن يجعل زوجه على ثقل حجرة النوم إلى الجهة الأخرى من القصر المطلة على شارع التشلوق وإحلال المكتبة عملا، ولكنه لم يدر كيف يمل طلبه وأبت كبرياؤه عليه أن يفانحها بشأه .

ووجد في حياة الفراق الجديدة فرصة طيبة لمراقبة «غريمه» في صمت وحذر، فلاحظ أنه يتناول الشاي كل صباح في شرفته وأنه يسود فيجلس بها عند الأسيل ساعة أو نحو ذلك ، وفي تلك الأثناء يصادف أن تدخل زوجه إلى الشرفة فيديم الشاب النظر إليها ، وغيل إليه أن بصرها يتجه أحيانا إلى شرفته ، ثم يحتمل ألا يكون وراء هذه النظرات أى معنى سوء ولكن يتعذر عليه أن يتصور أنه من الممكن أن ينظر شاب إلى مثل زوجه الحسنة نظرة بريئة لا يشوبها طمع .

وضاق بعصته المرحق فأشار يوما إلى شرفة الضابط وسألها :

— من يقم في هذه الفيلا ؟

فقلت :

— جار جديد ، أظنه مفتشاً في الماخيلة

فسألها بلا اكتراث في الظاهر :

— ومن الضابط الذى يظهر أحيانا كثيرة

في هذه الشرفة ؟

— أى ضابط ؟ ... لا أدري ... لمهلبان المفتش

فوقع تجاهلها من نفسه موقفاً أليماً ؛ واشتد

إذا كانت التى سلبته نؤاده في العشرين من عمرها ، ربما قلت إنه كان ينبغي له أن يئلب الحكمة والمقل على الموى ، ولكن وأسفاه فان هذا القول وأمثاله لا يمدى فيمن تسيطر عليهم الشهوات ، فجميعهم — أيا كانت الشهوة التى تتحكم فيهم — لا يرون في العقل إلا وسيلة لتحقيق شهواتهم ، يستوى في ذلك منهم من يبعد الله أو يبعد المال أو يبعد النساء ، فلو يتردد جمال بك عن سلوك سيبله المتهوم وخطب الأكنسة حياة إلى والدها الأستاذ محمد موسى الخبير بالمجلس الحسى وتمت الزيجة وأثمرت على الأيام أربعة من الأبناء أكرم في المدرسة الثانوية وأسفرهم في الروضة ...

ولكن للزمن حكمه الصارم كذلك ، فقد أحبل المستشار في هذا الأسبوع إلى الماش وأذن النذير بجى الخماسة والستين بكوارثها الموهودة من نضوب الأعصاب وبرودة الاضمحلال وتكرر معالم الدنيا وتآلب أسرارها ، وما كان به من ظلم ولا جوع فقد ارتوت نفسه من لئائذ الدنيا وأخذ نصيبه كاملا من متاعها الفزور ، ولكن دب بقلبه ديب القلق الذى نمود بواعثه التى تلك الزوجة الحسنة التى يطمها الزمن — الأخذ منه — نضجاً وكالا ويزيدها كل يوم حسناً على حسن ، وما كانت مخاوفه أوهاما ولا محض حذر عليه مناسراته الماشية ، ولكنه شاهد هذا الصباح في شرفة الفيلا التى تواجه قصره ضابط بوليس شاب ، يتألق جماله في بذلته الرسمية المزدانة بالنجوم الذهبية ، وتنفخ صدره قوة الشباب وغروره ، وتبث أمله بشاربه الأنيق الصغير فانقبض صدره لمرآة وتوجس منه خيفة لئير سبب بين ، وعجب كيف أنه لم يره قبل اليوم ، وهل يقم

وكان يهدى في زوجه البرود والزناة والسيطرة
على الأعصاب وكانت كعده بها فلم تنفجاً بحضوره
وسأته بانكار :

— خير ... ما الذى أنى بك قبل ميمادك ؟

فانفجر غاضباً وسألها بنفيظ وحنق :

— قولى أنت ما الذى أنى بك إلى هذه الشرفة ؟

فقال بنضب وإياء :

— إنك تهينى يا بك إهانة لا تحتمل

فاشتد به النضب وللنيط وقال بنفث :

— أنت تحاولين تضليل باسطناع هذا الإباء

الكاذب

— عهدي بك أعظم أدباً من هذا

— ما شاء الله ، وهدت لو يستمع إليك أبنائنا

إذ تملين أيام الأدب

— أما أنا فلا أود أن يستموا إلى أبهم وهو

بكيل التهم لشرف أمهم

فنظر إليها نظرة عميقة وهو يضرع إلى الله أن

يظلمه على خبيثة نفسها وجمل يتسأل في حيرة :

ترى هل هى صادقة في غضبها ؟ هل هى حقاً بريئة

مما رماها به ، وتهد حزناً شقيقاً وقال وكأنه بمحادث

نفسه :

— حقاً إن الشك مس من الجنون .

فقال باستياء :

ألا ترى أنك تعترف بأنك شككت في ؟

فماوده النضب وقال لها بمرارة :

— لماذا تودون إلى الظهور بهذه الشرفة ؟ وفي

هذه الساعة المهددة ؟ اسئلى إلى يا هاتم ، أنا لا أسمع

لأمرأة بأن تنفثلى أبداً ...

— هذا كلام لا يليق برجل له مكانتك

فضبه اشتداداً لا يستند إلى أسباب معقولة فقال :

— لا أشك في أنه ضابط أحق وقع

فبدت الدهشة على وجهها وسأته :

— ما الذى يفضبك عليه ؟

فقال بمدة :

— رأيت مراراً ينظر إليك نظرات وقحة

سافلة ، جعلتني أفكر جدياً في قتل حجرة النوم

إلى الجهة الأخرى

فقال بلهجة استياء :

— ولكنه تب لا مبرر له ، وأرى أنه يتضمن

إهانة قاسية لي يا بك

— كلا يا هاتم ، ما أردت هنا قط ولكني أحب

أن تتمنى بحريتك بعيداً عن تطفل الميون

فوزت منكيبها استهانة وقالت : « افضل

ما بدالك »

وتحقت مشيئة ، ولكن آله استهانتها واعتقد

أنه تسرع تسرعاً مميماً وردفه فيه النضب وأحس

من تصرفه بجزى ألم وكبر عليه أن يتلء رعباً

من نظرة يرسلها هذا الشاب للزور ، وما عسى

أن يفيدته قتل حجرة من مكان إلى مكان ؟ وهل

يمنى هذا حزيمة الحب من موضعه إذا كان أنشب

أظافره في لحم قلبها الطرى ؟ ... هيات ...

ولم تهادهن شكوكه وخاوفه ، وقد ثقلت عليه

وطائها يوماً وكان يجلس في قهوة لولبارك مع محام

كبير فاستأذن بئنة وقام إلى سيارته التي انطلقت به

إلى قصره وبلدت شارع السرايات وكان الوقت

أصيلاً ونظر خلل زجاج النافذة فرأى زوجته في

شرفة المكتبة ونظر إلى الناحية الأخرى فرأى

الشیطان ...

— أبداً ؟

فقال يهود :

— سألازمك ككثك

— يا له من أسر صرقي !

— لك ؟

— كلا ... فانه يسمدن ولا شك أن يظل

زوجه إلى جاني ، ولكن كيف لك أنت بالصبر على
هجر لوتبارك وست جيمس ؟

— هذا شأن بيتني وحدي

فلم ترد على أن قالت : افعل ما فيه راحتك

ومضى اليك يحقق وعده أو وعيده دون إسهال
تفعل نياحه وارندى البيجاما والروب دى شامبر
وجلس إلى جانبها . وتسلست الأيام على متوال
واحد ، فكانا يقطعان النهار معاً يتحدان حيناً
ويطالمان حيناً آخر ، فإذا شمتت من جلستها قامت
إلى الشرفة أخذت مقعداً إلى جانبها ، أو نزلت إلى
حديقة القصر تريض في عماشها واقفاً إليها حتى
إذا ولي النهار وجاء الليل وحانت ساعة النوم أو ما
إلى غدهما فقام ملء جفنيه ...

وكانا يخرجان كثير آريارة الأصدقاء والأقارب ،
أو لنشيان اللالاب والملاهي والسينات فلا يفرقان
دقيقة . وتأخر على حياته الجديدة مثابة الصابرين
ولازمها حقاً كظلمها ، وحافظ على كفته أن يتركها
تفعل كما تشاء على أن تتركه بفعل ما يشاء كذلك ،
ولم تظهر السيدة أى تذمر وقضت أيامها مرحلة
ضاحكة كأنها أسعد الأزواج حقاً . وفي يوم من
الأيام اقترحت عليه أن يذهب إلى شيكوريل لشراء
حاجياتها وحاجات الأولاد ، فذهب معاً ودخلا
الحل الشهير ، ودارت به على الأقسام المختلفة تشاهد

وأخلاقك ويجدربك أن تنادى عقلك الذى عذب به
الغضب ، فإذا يفتك إغلاق الأبواب والنوافذ إذا
أنا بيت النذر ؟ ... وما يثيرك ظهورى بكل مكان
إذا انطوى قلبى على الاخلاص والأمانة ؟
فقال بذهول :

— الاخلاص ... الأمانة ... ما عدت أفقه
مضى لهذه الكلمات لأن عقلى تسم فبنيت أن تفهمى
ذلك جيداً ، قد يكون المرض لمة ، وقد يكون
لغير علة إلا الوم ، فاعمل على إعادة العائنة إلى
نفسى ، ودى الوعيد جانباً ... فأننا رجل لا يمكن
أن تنفله امرأة مهما أوتيت من المكر والهاء
— أهلكذا تنفخ بعد المشرة الطويلة وتنقلب
إنساناً غير الإنسان لأنك رأيت شاباً ينظر إلى من
بيد ؟

وأى امرأة لا تلتهمها الميون ككابت لناظرين ؟
نظرة من بيد . كلا ليس الأمر كذلك ، إنها
تكذب وتجد في الكذب وهى تعلم بما يذبه ويشقيه
إنها تتجاهل الحقيقة وليس لتجاهلها إلا معنى واحد
إنها تنفله ولكنها لن تفوز بطائل ...

— اصنى إلى يا هاتم لا بد من وضع حد
لسكل هذا

فنظرت إليه بارتياح وقالت :

— يا له من قول خطير . فقال :

— لا خطورة هناك ، إنى أقر بأنى أخطأت
فيا صنعت من تغيير ترتيب بيتنا ، وأقر بأنى ليس
لى الحق في الحجر عليك لأنه يبنى أن أكون أرفع
من الموم ، فاذهى إلى حيث تشاءين وتنقل كما
تشهين ولكننى لأأفرك وأظن أن هذا حتى أيضاً
فلم يتألك نفسها من الضحك وسأنته :

إلى المحل ، ويحث عن زوجته ببنييه ، ومضى يسير هنا وهناك ولكن الظاهر أنها كانت بالطابق العلوى فصعد الأدراج على مهل وقطع المكان ذهاباً وإياباً ولكنه لم يمر لها على أثر ، فماد أدراجه وهم بالبحث مرة أخرى في الطابق الأول ولكنه رآها مقبلة من أقصى المحل والظلام يتبعها حاملاً المشتريات فلم يرد أن يظهر لها نفسه وسبقها إلى السيارة ... وتساءل في صمته كيف لم يمر بها مع أن المحل لم يكن مزدحماً ؟ هل لأنه لم يحسن البحث ياترى ؟ ... وقامه الشك ... هل من الممكن ... ! ولكن هذا بعيد عن التصور

وجادت معه في غداة اليوم التالي ودخلت المحل ولبت هو في السيارة كما فعلت بالأمس ولكنه لم يجهلها إلا دقيقة ثم تبعها على الأثر وراكها تسرع الخطأ منطقة إلى بين المداخل فظن أنها قاصدة إلى المصعد ولكنها واصلت السير إلى باب المحل الجانبي وخرجت منه ، تخفق قلبه بشدة وتبعها بحمل سريمة ، وبأنح الباب ، ثم نظر إلى الطريق فرآها تدخل إلى عمارة « لا كلير » المواجهة لباب المحل وشاهدها تدخل إلى المصعد ثم صعد بها ، فأجتاز الطريق ودخل إلى الدار وانتظر هبوط المصعد وسأل البواب عن الطابق الذى صعد إليه فرفع الرجل بصره وقال :

« الطابق الرابع » فدخل المصعد وضغط الزر رقم ٤ وخرج منه فوجد نفسه في ردهة تواجهه ثلاثة أبواب فالتفت إليها نظرة هائلة وهو يقول : تري في أيها دخلت ، واقتربت من أولها فقرأ عليه اسم السيوفالديمير كراوس المسمى بالحكمة المختلطة ، وقرأ على الباب الثانى اسم هـ . ليني متهم راديو تلفنكن وكتب على الثالث « مدموازيل فلورا خياطة

البضائع وتساءل البائسين وصعدا إلى الطابق الثانى وجالا هنا وهناك ، وهو يتبعها صامتاً يقف حيث تقف ويسير حيث تسير ، فمر على تجوالهما ساعتان أو يزيد لم يسترح للشيخ فيها دقيقة واحدة حتى لفت من شدة التعب وعلا صدره وانخفض ، وسال عرقه بارداً ، واشترت ذلك اليوم شريطاً من الماتتلا : ثم عاد إلى السيارة فارتى الرجل على مقدمه منهوك القوى وقال لها :

— لم تشتري شيئاً ذا بال

فقلت :

— يذنب الترتيب في الشراء ، ستمود غداً

وعاد في الند ودارت به كما فعلت بالأمس ولكنه لم يهتمل المشى والوقوف ولحقه الامياء فقال لها :

— سأنتظرك في السيارة

واتنظرها ساعة أو يزيد ، ثم حضرت يتبعها غلام يحمل المشتريات ، فسألها البك :

— هل انتهيت والحمد لله ؟

فقلت بهندوء :

— هذه كسوة حسنى

فقال الرجل دهشاً :

— حسنى فقط ؟ ... وإخوته ... وأنت ؟

فقلت :

— له يا بك ... له ... أرجو ألا تنكر

على تباطي هذه عاتق في الشراء وإن كنت تطلع عليها لأول مرة ...

وجاء مما في اليوم التالي ودخلت الزوجة إلى المحل وانتظر البك في السيارة وفات على دخولها ساعة ثم ساعة أخرى فتملأ البك في جلسته وأحس برغبته في الحركة فقاد السيارة ودخل

السيدات « ووقف أمام الباب الأخير لا يرم ، وقد انحصر فيه ارتياحه ، وضبط على الجرس ففتح الباب ، ودخل قبل أن يؤذن له بالدخول فتراجعت أمامه التي فتحت الباب دهشة مستاءة ، وألقى نفسه في ردهة متوسطة الحجم تحيط بها حجرات أربع ، منها ثلاث متقلبة الأبواب وواحدة مفتوح بابها على مصراعيه ويرى بداخلها بعض السيدات والأوانس منهن من تطلعن إلى مقدمها ومنهن من تقف أمام المرآة لتلقى النظرة الأولى على فستانها الجديد .

واشبه إلى الفتاة الواقعة أمامه يبدو على وجهها الانكار ومهما تسأل : « هل اللدام مع البلك ؟ » فالتفت إلى مغزى السؤال وتغير كيف يجب أو كيف يتندر عن وجوده ، لأنه اندفع تحت تأثير التضب والحنق اندفاعاً فلم يتدبر أمره ، وألقى على الأبواب

المنقطة نظرة ارتياح وقهر ، وود لو يستطيع أن يقتحمها ليرى ما بداخلها ولكنه لم يفعل شيئاً لأنه لم يكن فقد عقله ، ولأنه وهو رجل القانون - لم تكن تخفى عليه مغبة عمله فيها أخطأ تقديره وحسابه . وكأنه أراد أن يقاصر بما تبقى لديه فساءلها « أليست هذه شقة مدموازيل فلورا ؟ » فقالت الخبيثة : « بلى ، ألم تقرأ اللافتة ياسميو ؟ » فقال : « إن زوجتي سبقني إلى هنا » فسألته : ما اسمك ياسيدي ؟ فقال : جمال ذهني . فصاحت بصوت عال لدرجة مزعجة : مدام جمال ذهني . ولكن سيدة من الموجودات لم تلب النداء ، فقالت : اللدام غير موجودة بلا شك . قالت ذلك بلهجة من ترى وجوب انتهاء المقابلة عند هذا الحد ، فلم يردنا من الخروج ، وأغلق الباب خلفه ، ولكنه لم يشعر من مكانه ولبت يرمى الباب بين متقعدة . ترى هل أخطأ

البواب حسابه ؟ أم أن الشيطانة موجودة بداخل شقة الخياطة ؟ ولماذا صرخت الفتاة للموت بهذا الصوت المزعج وهي تنادي مدام جمال ذهني ؟ ألا يجوز أنها فعلت ذلك لتحذر النافلين ؟ وهل يجوز أن يبقى في مكانه لا يحرك ساكناً وزوجه في داخل الشقة في خلوة غرامية ؟ فاعسى أن يفعل وكيف بضبط الآتمة متلبسة بجرميتها ...

وعند ذاك فتح الباب ، فتقهقر خطوتين ، وخرجت سيدة ، وأوصلتها الفتاة الانجليزية وقد رآه ولكنها لم تباه ، وأغلقت الباب مرة أخرى .

ففى بروج وبجي في خيرة شديدة . من المؤكد أنها في هذه المرة ، قد رآها وهي تدخل ورآها وهي تندس في المصد ، وأكد البواب أنها سمعت إلى الطابق الرابع وما هوذا الطابق الرابع ، ولا مكان يصح افتراض دخولها إليه إلا شقة الخياطة . فالشيطانة لا شك في الداخل ، ولكن ما عسى أن يفصل ؟ هل يظل بروج وبجي ؟ أم هل ينتظر إلى ما شاء الله ؟ وبما يزيد ارتباكاً أن وقوعه هكذا قد يربب الصاعدين والمهابطين وتيارم لا يتقطع . وصرت عليه ساعة كاملة كانت أقصى ساطت حياته جميعاً ونال منه التنب والنهر كل مبال ، فاضطر إلى متاهة مكانه وفي نيته أن ينتظر ما لدى الباب الخارجى ولكن خطر له خاطر أزعجه فسأل البواب : « هل للمارة مدخل آخر ؟ » فأجابه الرجل بلهجة البربرية بأن للمارة ثلاثة أبواب ، فأحس بالياس وذاق صرامة الخيبة وعرض شفته من الحنق والنفط ، وكبر عليه أن تتنقل الشيطانة وتعمل بهذا التمثيل الزرى . وكان ما عاله عقله وجسمه فوق ما يحتمله شيخ في

إلى القبر وهو كظيم . وكيف يفضل غير ذلك وهو
القاضي الذي قضى حياته في خدمة القانون ؟
ولاحث منه التفاتة إلى الطريق فرأى بعض
المارين يمدجون السيارة بنظراتهم الطفلة ، فسأل
نفسه ترى هل ينفسون عليه السيارة الفخمة
والزوجة الحسنة ؟

حقاً إنه يستحق الرثاء ، وسيكون أحق بالرثاء
في مستقبله حين يحلوا بيته منها — وهو ما صدقت
نيته عليه — فكيف تكون حياته بلازوجة ؟ وكيف
تكون حياة أبنائه بلا أم ؟
وهل تروج يوم تزوج إلا إشفاقاً من أن يلحقه
الكبر وهو وحيد فيماني حرارة الشيخوخة ووحشة
الوحدة ...

نجيب محفوظ

سنه ، فساد خائر القوى إلى سيارته . ولم كانت دهشته
عظيمة حين م بال دخول فرأى زوجه جالسة آمنة
مطمئنة تنتظر أوبته منذ زمن غير يسير وقد نظرت
إليه بانكار وسألته :
— أين كنت يا بك ؟

فأنم في وجهها للنظر فرأها تبتسم ابتسامتها
اللاذنية ، ولكن لم يخف على عينه اللثابة شعوب
لونها ونظرتها الدالة على الأثم ودلائها على
التهايرة للمبظمة ، فهي شيطانة بلا ريب ولكنها
لم تنمود الاجرام بمد

وجلس إلى جنبها صامتاً وانطلقت بهما السيارة
وكان مقهوراً مغلوباً على أمره ، يماني حرارة
المرجة ويمس كأن يدأ تخفق كبريائه خفقاً . وكان
يسوؤه أن يجلس هكذا إلى جانب المرأة التي تنفله
وهزأت بكرامته ولوثت عرضة ، ولم يرتب قط في
أنها تعلم بأمر مطاردة للفاشة لها . ومن يلم ؟ فلعلها
تضعك في سرها الآن من خيئته وهزيمته . ياله من
نصور لا يحتمل !

لقد أنذرنا بأنه لن يتركها لحظة ، ثم اضطر
إلى تركها أو هي اضطرت إلى ذلك ، ولكن لم يحظر
له على بال أن تتخذ من زيارتها لشيكوندويل سبيلا
إلى مقابلة عشيقها

واستلزم لتذكير الحزن ، وذكر طريقة حادة
الشعب في الانتقام من الخائنات فوجد نفسه — في
عنته — يقرها ، وهل تستحق الأثم إلا تهشيم
رأسها ؟ ... أما هو اليك الوجيه الثقف فيجلس
إلى جانب سديته يماني الآلمة في صمت ، ويشيع كبريائه

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جون الانلاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالية تد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشاً

تصطدم بصخرة تنصر الهائلة
وتنحصر عنها فيسمع لها زئير
كزئير الأسد وهزم كهزم
الرهدة

في تلك الأثناء كان الأميرال
المرکز « دى بك هيلون »
جالساً إلى نضد صغير وضع عليه
بضع رسائل عنى على لوها الزمن

فاصفر وحال ، وبضع زهور زاوية ونوط قلادة
وعربط من الحرير الأزرق ، وبحوار هذه الأشياء
صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس المطم
بالماس ، كان ولارب يضم تلك الآثار الثمينة للثائرة
على النضد . وتجلت أمارات الحزن العميق على وجه
الأميرال بينما لمعت عيناه فجأة يبريق للنضب المسجوز
وكان الأميرال رجلاً رقيق السن واهن العظم
له وجه منضن يارز العظام ، وعينان غائرتان قد
قد انطفاً فيهما التأني والبريق ، وبدان مبروقتان
ماريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان بذه النهوك قد
ذبل بفعل المرض الذى يفتك به فتكا قذيباً
ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة للمزم التى
كانت تسبب ثائرة في دمه وتشمع من عينيه .
وخفت فيه ذلك الصوت الجهورى الملى الذى
كان يمزق المواصل ويطنى عليها . ولم يبق
فيه ذرة من القوة التى طالما أعجب بها رجال أسطوله
وبهارته من قبل . وأبت الجراحة والبلساء أن تسكنا
ذلك الجسم المهمل اللغاني فقارنته بعد إذ كانتا تفوران
فيه فوراناً حينما كان يزخر بقوة للشباب ويحوج
بفتوة الرجولة . واشتد به السقام حتى سيره هزيلاً
ناحلاً . ولم يبق عليه الرض الجاثم فوق صدره إلا
ليمالج هذه الجريحة النكراء التى اكتشف الآن فقط

انْتِقَامُ لَامِيَالْ

لِلْقَصَصِ الْفَرَنْسِيِّ أُرْسِيَتْ دُرُودُهُ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ

كان للقصر المتيق يجثم كالحصن الجبار فوق
صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس
حينذاك تضيئ للروب وتنحدر وريداً من شارف
السماء ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها
أباطح الدم ، وارسم على جبينها الكلال والأثني .
ويشرق القصر أيضاً على الطريق المتبد إلى « برست »
وعلى قارعة هذا الطريق تقع البناء وقد أطلت من
ورائها سوارى السفن ومداعنها مصبوعة بألوان
الشفق الزاهي الجميل ... ومن نوافذ القصر الضيقة
بان البحر كأنه بساط من سندس واستبرق تجرى
عليه السفن بقلعها التى يهددها نسيم الأسيل
فتتموج ، وتداعبها الرياح الخفيفة فتترجرج ...
وتمل من القصر المنيف قباب وأبراج شامخة في
الفضاء تتعدى الزوايا المائية والمواصل الموهجاء ..
وتحف أغصان الأشجار اللغاء الوارفة بمجدران
تحركما الرياح الدواني فتبدو كصفائر جافة خشنة
لطيف اسراء تضرب فرعاً في الليل للدم ...
وعند ما غسق الليل وأجن الكون في مسوحيه
الطاخي الأسحم ، أترعت السماء سحب ثقال بنشئات
تحركما المواصل الموج في شدة وعنف . وغب
عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة الزبدة فراحت

من عنايته ، وغمره بفيض من صداقته .. يا لمار
ويا لدرن ! أنسى هذا السافل الخثون ، هذا الجاحد
الكنود ... أنسى كيف كان يرماه كابته وزبادة ؟
وهذه الشقية زوجة ؟ لا نكران أنه اقترن بها
والفرق بين عمرهما جد كبير . إذ كانت في العشرين
وهو في الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من يتكرأ أيضاً
أنه انتشلها من وهدة اليم والمسقية ، وأضى عليها
لقبه المجيد التاد وقلها في تراثه الواسع ، وضمن
لها الحناية والرعاية في حياته ، وسيخلع عليها من
تراثه درهماً يقينا من بعده عدوان الناس وغدرات
الزمن . أبداً ما أرغما امرؤ على الزواج منه ، بل كان
هذا من اختيار منها ورغبة ... ولم يكن يوماً لى
عن تلبية رغبة لها معها صبت وشقت . فالصيف
في الريف الجميل الساحر ، والشتاء في أرفع فنادق
باريس الفواخر . أو إذا شادت في قصره العظيم
في « نيس » . في كل حفل كانت تبدو زينة الأراب
والمصاحب . في كل جمع كان يملو بها اسم زوجها
إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سائر الفتيات والمقاتل .
وبينا كان يثق في وقاها وإخلاصها ويسجب ببها
وقفتها وبقية لسعها وأنوثتها ، إذا هي تخونه
وهو لا يدري

لقد خدم بلاده أربعين سنة سوياً . حارب في
أفريقيا وفي المكسيك ، وحاز أرفع القلائد والأوسمة
وجلب الجهد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك
الحياة الحافلة بمجالات الأعمال وطيب المآثر ؟ مار
تجلبه عليه هذه الخلوة الشقية وهو من الموت على
شفا جرف مار

وليت الأمر قاصر على هذا غصب ، بل جرت
إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله
فيمضى إلى رمة غبولا . ابنه « باتريك » زهرة

دليلها الخامس ، وليرى مدى قدرته على التآر وهو
من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث
اعتاد أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة ، يقول
فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك
محمدة في حياتك ، دائية على البيت بشرفك ، ولملك
وحسد الشخص الذي لا يمل شيئاً عن علاقتها الآمنة
بمساعدهك السابق الكاتبين « فوشيرون » . وإذا
أردت على ما أقول شاهداً ودليلاً فاذهب إلى مخدع
الركيزة ، فهناك من ناحية رأس السرير تري تحت
إحدى الصور المعلقة خزانة في الحائط ، بها صندوق
صغير . افتح هذا الصندوق واقرأ ما فيه ، فستشعشع
النشأة من عينيك ، وتبين يوضح ما قاب عن
بصيرتك كل تلك السنين الماضى »

وهذا الركيزة هذه الساية إلى خادم مطرود . لذلك
فهي سرياً على ما أثاره الخطاب في نفسه من
شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة في يماه وهم يمزقها
لولا أن حاك الشك في صدره فأرجع الكتاب يتلوه
مرة أخرى ... وللرة الأولى في كل حياته مع زوجته
تساوره الظنون والريب . ويحامل على نفسه وغادر
مضجبه ، ثم راح يجر نفسه جراً ، وفي الحز المين
في الكتاب أنى أدلة الإتهام السود

وراح يمثلي ويسجب كيف صرت عليه هذه
السنون الطوال وهو غارق في فليج هذا الوحل دون أن
يدري ... ما هو ذا يعضى إلى مثواه الأخير تكنتفه
قرائن الجريمة الدسة التي اكتشفها اليوم فقط هازئة
ساخرة ... فكيف إذن يقضى له التآر لنفسه من هذين
الجرمين قبل أن ينطق سراج حياته الخافت الضئيل
باللخانة ويا لندر ! أزوجه التي شملها بحبه
وهوب لها كل قلبه ؟ وصرؤوسه الذي أسطره بوابل

— قل إني انتهيت يا دكتور
 — لم يضع الأمل بعد يا سيدي ... إنك في
 حال سيئة ولكن ...
 — لا تراوغي . لقد سمعت الموت مراراً ،
 ولا أود أن يأخذني هذه المرة على حين غرة . قل الحق
 إني آسرك ...
 فقال الطبيب سامتاً لا يتبسق دقيقتين قال بهذما:
 — سيختارك الله هنا . الساء على الأكثر
 يا سيدي إن لم يحدث معجزة
 وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال
 — حسن ... وستعودون طبيماً مرة أخرى ...
 أليس كذلك ؟
 — بالتأكيد يا سيدي الأميرال . ألا تحب أن
 نخطر سيدي المركبة
 — وأي جدوى في ذلك وهي في نيس . ثم
 إني لا أود أن أحملها الجزن فجأة . إنها تعلم أن
 مريض . وستمر على كل حال أنها ترملت . ولكن
 يجب أن يكون هذا بعد أن أموت
 فانسحب الطبيب
 وقابله باريك لدى الباب فقال له :
 كيف أرى ؟
 فلم يتبس الطبيب بل أجابت عنه عيناها . فأصرع
 الصبي نحو أبيه بقلب جزوع . فنهض الأميرال
 بجهد جهيد على سريره وقال :
 — ادن مني يا بني . إن لي حديثاً معك ...
 إنك في الثانية عشرة من عمرك يا باريك . ولكني
 مضطر أن أحدثك كما أحدث رجلاً
 ولم يأخذ منهما الحديث طويلاً . ولكن حينما
 انتهى ومضت عينا الصبي يريق من نار ، وتلجج بدنه
 حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه

آماله وعمره الثاني ... آتبه هو ، أم ابن خريعه
 فوشبرون ؟ باريك . لقد شب ونما في قصره المتيد
 حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو
 ليماثقه ويتعلم من رؤيته . إنه يبدو قوياً كصن
 شامخ فني ، ويحمل الزهو والكبرياء في نظراته ،
 ويبدو الصلف والخيلاء في لفتاته ، وتتعلق ملائح
 وجهه بقوة العزم وشدة الراس . ياله من إله صغير
 من آله القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف .
 وما زاد الرجل تعلقاً بابنه وحباً له أنه ورث عنه
 قوة العزم وصلابة الرأي وثبات الجنان
 والآن تقضى هذه الجريعة التي اقترعتها زوجته
 على كل تلك الكريات السامية حول ابنه وذلك
 الانجاب الذي يمنحه الرجل لوحيد
 وأمسك الرجل التنس رأسه التائر بين كفيه
 كأنه يمنه من الانفجار ، وسرت حتى الغضب في دمه
 فتمغم وهو في تلك الحال من اليأس والضعف والمرض
 — سأنتقم لنفسى ... سوف أثار لشرفى ...
 ولكن كيف ؟ أيقول ذينك الذين لوأا اسمه
 ولطغا شرفه ، وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ
 المدبدة تفصلهما عنه . فلا هو بمستطيع أن يلتهما .
 ولا ما يبالنيه قبل أن يموت ... وأوغل في سبل
 الانتقام للكثيرة المشبهة ... وأغطش الليل ولا يهدئ
 فكره إلى سبيل يلته طيته فيشفي غليله ... واستلقى
 على الفراش بقلب عمزق وأضلع تكتنز نازاً تكاد تأتي
 على بقايا جسمه المظم
 وعند ما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب
 الطوافة « المتيد » التي اغتلاها علم الأميرال طويلاً ،
 ليمود رئيسه الليل وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه
 الشاحب المنتع ودمعش لتقدم المرض السريع في
 يوم وليلة ... وتم وجهه عن ذعره ودهشته فقال
 الأميرال :

فاستدار نحو باتريك وقال :

— إن الأياقة تقضى بندق الباب قبل الدخول
— إنه ينبغي ياسيدى . ومن حق أن أدخل
أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان . ثم إن
لى حديثك معك

— لك حديث ملى ... تكلم

— إلى أهل سبب وجودك هنا . وإن ما تفييه
لا يمكن أن يتم . ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود
أبداً . إننى أمنمك من الزواج بأى
— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل
— من الخير لك أن تطيعنى

فشعب وجه فوشيرون من شدة الغضب .
وومضت عيناه من فرط الغضب . قال :

— أخرج أيها الغرور وإلا هركت أذنك

وانجه نحو باتريك رافعا يده . فتراجع الغلام
عنه ثم وأخرج من جيبه شيئا كان يخفيه ، مسدداً
ورفع به يده . ضغط الزناد ، فانطلق

فانشق صدر فوشيرون عن صرخة هائلة دوت
فى سكوت القصر العميق . وترج ثم سقط جثة
هامة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركيزة على الجمل ورأت كل شيء ...
ثم صرخت تقول : بعد أن ألفت بنفسها على ابنها
وجرده من سلاحه .

— ماذا فعلت أيها الشقي ؟

وتركها باتريك تأخذ منه السلاح ثم قال : وقد
ركأها ترتجى على الجثة تكبها وتندسها :

— لقد أنبأتني أبى قبيل وفاة أن هذا الرجل
عدوى وعدو لك ، وأوصانى بمهايتك منه شره وغدره
حتى ولو أدت الحال إلى قتله . ولقد نفذت وصية أبى .
ثم أشيع بين الناس أن السكابتين فوشيرون
مات متحرراً محمد عبر الفتاح محمد

إلى يده . وفى أثناء هذا الوقت القصير انتقل فجأة
من طور الطفولة إلى طور الرجولة وما تحمل من
متاعب وأعباء

وفى السنة التى تلت ذلك . أى بعد موت الأميرال
بشرة أشهر أو تقل راح الناس يلطفون بقرب
زواج أرملة من الشاب الوسيم اللطيف فوشيرون .
تناقلا ذلك فيما بينهم فى غمز ولز كأنما كان ذلك
مبع ما يتوقعون . ويبدو أن الماشقين قد آثرا بعد
علاقتهما النسبة الآتمة أن يرتبطا بملقة يقرها
العرف والدين

ووصل السكابتين فوشيرون ذات صباح إلى القصر
المتيد حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد أن قضى
زوجها محبه

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل
باتريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره
الصغير . قال لها :

— أحقا أنك تمدين المدة للزواج من السكابتين
فوشيرون يا أماء ؟

فأجابته بصوت مضطرب :

— من أبلنك هذا ؟

لم ينس الغلام . فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه

— إنى لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل

السكابتين فوشيرون مكان أبى

— لا تقبل ! ماذا قصد بهذا الهراء ؟

ثم أشارت إلى الباب غاضبة واستأنفت

— أخرج من هنا حالا ياسيدى

فانصرف من لهنها إلى غرفته ، ثم غادرها بعد
بضع دقائق إلى غرفة فوشيرون واقترعها دون
استئذان واضماً إحدى يديه فى جيب بطلونه

وكان فوشيرون يملأ لحينه أمام مرآة ،

التلاف بطبيعة كونه مسجلاً ألف
مثل هذه الأحوال فيها على عينيه
منظاره، وقرأ في صوت أجش
جبل على تقصيل المقود :

يا ابني، يا ابني العزيز،
إني لا أستطيع أن أنام قريراً
في شجتي الأبدية ما لم أبت

إليكما من رجاء القبر باعتراف، باعتراف بجمرة ضرت
حياتي بالندم . أجل ، لقد اقترفت جرماً ، جرماً
خفيفاً شنيعاً

كنت إذذاك في السادسة والعشرين من عمري ،
أمارس الحمامة في باريس ، وأميش في تلك المدينة
عيشة الشبان الغدباء ، بشير معارف ولا أصدقاء
ولا آباء .

فاتخذت خليل . وكم من الناس من يشورون
لهذا اللفظ وجده : « خليل » ولكن بعض الخلق
لا يستطيع أن يعيش فردياً ، وأنا من بين هؤلاء ؛
فإن الوحدة لنألفني باستيعاش خفيف ، وحدة المأوى ،
قرب الصلح ، في السماء . حينئذ يجيل إلى أي عيش
على ظهر الأرض ونجيداً ، نحدق في أخطار مهمة ،
وتكتفي أشياء مجفولة وخفيفة . حينئذ يجيل إلى
أن الحاجز الذي يقصلي عن جاري ، جاري الذي
لا أعرفه ، يمدني عنه بيد التجبرم التي أألمها من
نافذتي ؟ فتمروني حي من الجزع والخوف ، ورعبي
سمت الجدران . ما أبلغ الحزن وما أجمع الصمت
في غرفة الرجل الوحيد ! أنت هناك لا يأخذك
الرب إذا رنق الصمت قدر ما يحتويك إذا اخلطج
ستر أو قرقت قطعة من أثاث . لأنك في مأواك

الإعتراف

للقصص الفرنسي جي دي موباسان
بقلم الأديب شكري محمد عيسى

أقيمت قرية « فزيرلورديل » من بكرة أبيها تشيع
جناز السيد « بادون ليرمته » وتشهد رسمه .
وانطبعت في كل ذهن تلك نائب الولاية في تأييده :
« إن أقل ما يقال فيه إنه رجل شريف ! »

لقد كان رجلاً شريفاً بكل ما قدم من عمل مجيد ،
بأفواله ومثله ، بسلوكة ومعاملاته ، بسماه وشارته ،
بهيبة لحيته ووضع قيمته . ما قال يوماً كلمة إلا ضمنها
حكمة ، ولا جاد يوماً بصدقة إلا شفعها بنصيحة ،
ولا بسط يوماً يده إلا كان كمن زلف حسنة

ولقد خلف ودين : ذكرراً وأنتى . أما الابن
فقد كان على وشك أن يمين قائداً في الجيش ؛ وكانت
الابنة من عتائل فزير ، فقد كانت زوجة للسجل
السيد بوارل دلا فولت

وكانا لوت أبيهما آسيتين لا يميزان ، فقد كانا
يصدقانه الحب ويخلصان له الراء

وما انتهت مراسم الففن حتى آبا إلى النزل ،
واختلوا ثلاثتهم : الابن والابنة وزوجها ، ففضوا
الوصية التي كان عليهم أن يتلوها وحدثهم بعد أن يقر
في الأرض كابوت التقيد . وكانت على المنظر
إشارة تدين هذه الرغبة ، وتحم هذا الشرط
كان السيد بوارل دلا فولت هو الذي فاض

ينشأ ويحفظ دون أن يمرقني، ودون أن يمرقني الناس . ذهلت لهذا الخبر وامتلكتني فكرة مبهمة ما كنت لأحسبها ، ولكني أحسستها في قلبي على أمة للبروز ، كأولئك القوم الثوارين وراء السدل ينتظرون إشارة بالظهور . كانت تدور في أحمالي تفكيرى رغبة فانك : لو حدثت حدث ! إنه كثيراً ما يقع تلك الكائنات الصغيرة ، التي تموت قبل أن تولد !

أوه ! ما كنت أريد أن تموت عشيقتي ، فقد كنت أحبها حقاً تلك الفتاة المسكينة ؟ ولكن لعل كنت أؤمل أن يموت الآخر من قبل أن أراه بيد أنه برز إلى الوجود برهقنا بالنفقات وبطالينا بالنهاية ؛ لقد كان يشبه كل الأطفال وما كنت لأحبه . والآباء لا يجيبون إلا متأخرين فليس لهم مثل ما للأهبات من حنان فطري وحسب مكتسب وحسب سريع . لكن يستيقظ عطفهم شيئاً فشيئاً ، ويرتبط قلوبهم بتلك الوشيجة التي تؤلف بين المتماشيين وتزيد على الأيام توثقاً وإسراءاً .

وأدبر حول جديد فاذا أنا أفر من مسكني الصغير وقد انتشرت فيه ثياب ولعائف وجوارب كالقفاز ، وألف شيء من كل نوع ملق في كل مكان : على قطعة من أثاث أو على ذراع من مقعد . ولقد كنت أفر حتى لا أسمع صياحه ، فقد كان يصبح دائماً ويصرخ بشير انقطع : إن بدلنا مكانه أو نظفنا جسده ، أو لسناه أو أرقناه أو حسناه .

وعقدت مع بعض الأسرات أوامر المعرفة ، فقلت في أحد الأيام تلك التي غدت أمكاً ، فشفت بها حباً واستيقظت في نفسي رغبة أن أتزوج منها .

الكتيب لا تنتظر صوتاً ولا توقع نامة
وكم من مرة أربعت السكون الأخرس فطقت
أنكم ، أفوه بألفاظ لا رابطة بينها ولا معنى لها
لأحدث صوتاً . حينئذ يلوح لي صوتي من الترابية
بحيث أخافه هو أيضاً . وهل أبست على الرب من
أن تنكح وجداً في منزل خال ؟ إن صوتك ليلوح
لك حينئذ كأنه صوت سواك ، صوت مجهول يتكلم
لغير سبب ولغير أحد ، ويشق جوف الهواء لنير
أذن تسمعه . ذلك بأنا نرف قبل التلفتل ما نوشك
أن نقول ، فإذا أرن الصوت الحزين في الصمت
الجاثم لم يمد إلا غيبه الصدى ، صدى عجيب خلفت
ضليل حمس به الدهن الكليل .

اتخذت خلية : فتاة كليل أولئك الفتيات
اللاتي يمشن في إربس من عمل لا يقين . كانت
حولة نائمة سمحة بسيطة ؛ وكان أبواها يستوطنان
واس ، فكانت تذهب إليهما من حين إلى حين
تتمضي بينهما بضمة أيام .

قضيت معها حولاً في عشرة هادئة ، وأنا ثابت
المزم على هجرها متى وجدت الفتاة التي أرستها
زوجة . وكنت أحبها أجراً قدرأ صغيراً من اللال ،
فقد جرى العرف في مجتمعتنا أن الحب يجب أن
يشرى من المحبوب بالمال إن كان فقيراً وبالحدايا
إن كان غنياً .

ولكن هامى ذى تينثي ذات يوم أنها حبل .
فذهرت ولحت في لحظة كارثة وجودى . وبدا
لي النمل الذي سوف أرسف فيه دائماً : في أسرى
المستقبل ، في شيخوختي ، حتى أموت . غل المرأة
التي ارتبطت بي بوليد ، غل الطفل الذي يجب أن

أن أذوده ، وبأن أفتح ذهني لأفكار جديدة وآمال جديدة ، كما تفتح النافذة لنسيم الصباح البكر فيزج هواء الليل للسم ، ولكني لم أستطع أن أبده من ذهني لحظة واحدة . لست أدري كيف أصف هذا المناب . لقد كان يقضم روحي ، فأحس لجذ أستاذته أنا هائلا ، أنا حقيقيا يلهب الجسد والروح جميعا .

لقد قضيت نحيبي ، فكيف أخلص من هذا الكلام ؟ كيف أرد الهممة ثم أثبت الاعتراف ؟

لقد كنت أحب تلك التي غدت أمل حب الجنون . وكنت أقول إن الحجر الكئود سوف يسد طريقها أيضا ، وسوف يملأ قلبها شجي ولوعة وامتلكني غضب خفيف ، غضب سد حنجرتي ودفعني نحو الجنون ... نحو الجنون ... ! بقينا لقد كنت مجنوناً ذاك المساء البعيد ؟

كان الصغير يتنام . قمت ونظرت إليه وهو نائم . إنه هو ذاك السقط ، تلك البودة ، ذلك اللاشيء الذي يلزمي شقاء مبرما لا راجع ! كان يتنام مفتوح الفم ، مدرجا في لثاقفه ، ناعما في سنده ، قرب فراشي الذي لم أكن أنا أستطيع عليه نوما !

كيف فعلت ما فعلت ؟ هل أطمأ أنا ؟ أي قوة دفعتني ؟ أي شيطان استبطني ؟ لقد كانت الجريمة تجتذني بشير وهي مني . لست أذكر إلا أن قلبي كان يدق ، وكان في رأسي صخب عجيب كأنما غادره كل تفكير وكل هدوء . كنت في ساعة من ساعات الدحول حيث لا يقدر المرء مابري ، ولا يدري مايفعل ولا يقرر ما يريد

رفعت الأعطية التي كانت تستر جسد ولدي ،

وعينت في القضاء فطلبت يدها ، وأجبت إلى ماطلبت . وأسيت من أمرتي في رهي شديد . أأيي بتلك التي أبغدها ولي ذاك الولد ، أم أصرح بالحق فأفقددها وأفقد السعادة والمستقبل وكل شيء ؟ لقد كان أبواها من الصامرين الزمتمين ولو علما الحقيقة ما أسألهما إلى .

قضيت شهرا في أنون من المم والألم ، تموج في ذهني آلاف من الأفكار الخفية ، فتثير في نفسي البغض والعداء نحو أبي ، نحو هذه النطفة الوجلة من اللحم الحلي ، نحو هذه النطفة التي تسد طريق ، وتسكن إلى وجود لا رجاء فيه ، ولا أمنية تملأ للشباب حياة وجمالا .

ولكن ها هي ذى خلياني يمتريها الرض فأبقي والطفل وحدي .

كنا في ديسمبر ، وكان الطقس قرأ شديدا . يا لها من ليلة ! لقد بارحتني خلياني فتشبت في قاعتي الضيقة وحدي ، ودلفت إلى غرفة الصغير النائم . جلست على مقعد إلى المصطل ، وكانت الزبح تمصف فيفرق لها الزجاج ، وكنت أبصر النجوم من نافذتي تلعب لهما الحاد في ليالي الصقيع .

إذا ذاك صعد إلى رأسي الكره الذي احتواني شهرا ، وما كنت أجلس ساكنا حتى هبط على ونفذ إلى وتا كل قلبي . وإذا هو في رأسي كال فكرة الراسخة ينخر فيه نحر السرطان في اللحم الغريض . كان يخيل لي أنه يدب مني في الرأس والقلب والجسد ، وعس مني الأطراف والشفاف والسامع ، ويبتلني كأنه الوحش الجائع النهوم . فأردت أن أطرده ،

رأيتُه يقتنفس في هدوء فطأنت نفسي ، بيد أنه سعل
مرة ثالثة فأحسست مثل وقع الصاعقة ، ونكست
على عقي كمن رأى شيئاً أروعهُ فسقطت الشمعة
من يدي

ولا التفتُّها واستويت واقفاً إذا بجدي مبللان
بالرق ، بذلك المرق الذي تعجبه النفس ساعة نورتها
لاهباً مثلجاً في وقت ممّا ، وكأنيما تنفست بين العظم
والخناق نفحة من ذلك المذاب التليظ ، الفارس
كالثج ، اللافح كالنار

طلبت حتى الصباح طافكاً على ولدي ، أسرى
عن نفسي الممّ كلاً رأيتُه هدأ وصفاً ، وعزّفتي الألم
كلاً انبثت من فم الصغير سلة خافتة

واسيقظ وقد احمرت عيناه ، واضطرب حلقه
وبأن عليه الألم

وعند ما أنبلت جاذبي أرسلت في طلب طبيب ،
فجاء بعد ساعة ، وقال بعد أن فحص الصغير :

— ألم يصبه برد ؟

فطفقت أرتعد كارتعاد الشيوخ الطامنين
وعتمت :

— كلا ، لا أظن

فأجاب :

— أنا لا أعرف شيئاً غير هذا . سأعود هذا
الساء

وعاد في الساء . وكان ولدي قد قضى جل النهار
مثنياً لا يفتيق ، ساعداً بين الحين والحين

وولمت تلك الحال عشرة أيام ، ولست بمقادير
على أن أسف ما سويت في تلك الساعات للتلاط التي

والتيها تحت المهد ، فرأيتُه طارياً تماماً . ولم يستيقظ
فذهبت إلى النافذة في هدوء وفتحتها

واندفت هبة من الهواء كأنها المجرم الأثيم ،
نكست لبردها ، وخفق لمصفا نور الشمعتين .
وظلّت بجوار النافذة قائماً ، لا أجسر على الارتداد
حتى لا أرى ما يجري خلفي ، وأنا أحس على يدي
وخدي وجيبي برد الريح الميتة لا تفتأ ما كفة
على المبوب . وبقيت كذلك طويلاً

لم أفكر قط ولم أندب شيئاً ، حتى غمت سلة
صغيرة أرسلت في رعدة بلغت منبت الشمر أحسبها
الاحظة مرة أخرى ، وفي حركة عتيقة مجنونة أو سدت
مصرامى النافذة ، ثم عدت فعدت إلى المهد

كان ما يزال نائماً ، مفتوح الفم ، طارياً تماماً .
فلست قديمه فانا بما باردتان كالثج ؛ فرددت
عليهما النظام

ورق قلبي فجأة وانحطم ، وامتلاً حناناً ومطفاً
وحبا لذلك الخلق البريء السكين الذي أردت قتله
قبلته طويلاً في شمرة الرقيق ، وعدت فجلست
إلى المصطلي

تدبرت في ذهول ووعب ما فعلت . وساءلت
نفس من أين تصف بالإنسان هذه الفكر التي يفقد
مهما كل تقدير للأشياء وكل سلطان على نفسه ،
فيعمل في مثل نشوة السكران أو ذهول الآخرق
بغير عالم ما يفصل ولا حاسب حساباً لما سيكون ،
فكأنه زوزق وسط إحصار شديد

سمل الطفل ثمانية ، وأحسست كأن قلبي يمزق .
آه لو مات ! آه ! آه ! ومن أعذو أنا ؟
نهضت كي أراه ، وحنوت عليه وفي يدي شمعة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر اللطيف

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،

وفي أسلوبه ، وفي مناهيه . وهو الذي قال فيه

نأقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل

طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة

في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محور حسن زباني

تحت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التن ١٢ قرشاً

تفصل بين كل صباح ومساء ، وكل مساء وصباح
لقد مات ...

ومنذ تلك اللحظة لم أحرف ساعة واحدة

تفصلي من شناعة هذا الجرم ، أو تحبيني من لحيب

هذه الذكرى التي تعد الحشا وترمض الجوانح ،

ويبدور في النفس كوحش يميت ، حبيس في أعماق

هذه الروح

آه ! لو استطعت أن أعود مجنوناً !

خلع السيد بوارل دلائل منظاره في حركة

مألوفة لديه عند فراقه من قراءة عقد ، وتبادل الورثة

الثلاثة النظرات دون أن يتبسوا بكلمة ، فقد كانوا

شاححين سامعين لا يتحركون

وبعد دقيقة قال المسجل :

— يجب أن نمدم هذه

ونخفف الآخرين رأسهما إشارة الاقرار ،

فأوقد السيد شمعة ، وفي عناية واحتراس فصل

الأوراق الحاوية الاعتراف المخوف عن تلك الشاملة

توزيع المال ، ثم قدمها إلى النار وقذفها في المدخنة

وراقبوا الأوراق البيضاء وهي تحترق ، فلم تمد

بعد قليل غير كومة صغيرة سوداء . ورأت الابنة

أجزاء من الورق لا تزال بيضاء تحمل حروفاً قليلة

خطمتها بفريبات صغيرة من كذب حناياها وخطبتها

بالرماد القديم

وبقي ثلاثتهم زمناً يشهدون هذا الرماد ، لا تها

خشوا أن يفر من المدخنة السر المحرق

شكري محمد عياد

وفي مقصورة - وقتئذ -

من مقاصير الحمراء ، اللقمة
بأريج المسك ، وشذى المنبر ،
كان أبو عبد الله آخر ملوك
بنى الأحمر جالساً للقرنصاء في
حرايب الصلاة ،
يبعد الله ويندب حظه ، ويودع

نَفْسُهُ الْعَجْزِي
أَفْضَوْصَةً شَرْقِيَّةً
يَقْلَمُ الْأَسْتَاذَ مُحَمَّدَ عَبْدَ اللَّهِ الْعَوْدِيَّ

أيلمه المظرة السابحة على أمواج الماضي في آخر
ليلة من ليالي الحمراء العابسة !

وتوالى الطلقات تدمع في أفاق غرناطة ،
فلم أن الساعة قد أزفت ، وأمر الله قد وقع ، فقام
من فوده متثاقلاً وانحط على شرفة من شرفات
الحمراء فترامت له جبال سيرانافادا Sierranevada^(١)
وقد تجمعت بركام من الثلج الفضي الذي يلعب في
أعطاف الفجر ؛ وإنه لكذلك وإذا بنسبات الفجر
الرفيعة قد هبت من أعلى هذه الجبال حاملة معها
أنفاس اللروج ، وعطر الأحراج ، إلى غرناطة
وحرايتها !

ثم أغضض عينيه ، ووضع رأسه بين يديه ،
واستسلم لتفكير عميق ممض ، وواحت مواكب
الذكريات تنزاح على نفسه ، وتقل صدره ، ولم تدم
طويلاً لأن غفمة الأحراج ، وهجمة الجداول
الساحية التي تنشق دوهات الحمراء قطعت عليه سلسلة
تفكيره فرفع رأسه الثقيل ورمى بطرفه ثانياً في ضوء
الفجر فرأى غرناطة ، غرناطة حبيبتها التي صب
عليها أجداده من قبل أنوار العظيمة والجمال ،
تارقة في أمواج من الحضرة والنضرة والسكون

للمصيق ...

(٢) متناحاً سلسلة جبال الثلج

(إلى غرناطة ...)

لوه ... يا زهرة مدائن الأندلس العجيلة ؛
يا موطن النور والحب والأزهار !
أين ذهبت السادة التي كان يرغل في أتوابها
ساداتك الأجداد ؟ أين قصورك الصيفية الصربية
البيضاء ذات اللآلئ الطاعة في أجواز الفضاء ؟
ما الذي حدث يا غرناطة حتى قطعت عن الوجود
ملكك للطرب ، وأغانيك الشبية ؟
(الفرناطي : جوزي زورلا)

في صباح مكفر الوجه ، صرهد الأفق ، وفي
ساعة مشوشة من ساطت الدنيا الفاصلة لجمال التاريخ
وقعت أجمع فاجعة دامية حملها تاريخ الاسلام ،
وطويت آخر صفحة من صفحات النبوغ العربي
في بلاد الأسبان !

كان ذلك في صباح ١٠ يناير من سنة ١٤٩٢
ميلادية عند مادوت في سهل الفيجا Vega الفسيح
خريتان من مدفع نصب على أعلى برج من أبراج
الحمراء ، غطرة ملك إسبانيا الجديد فرناندو التحصن
بمدينة سانتافي Santafé^(١) التي لا تبعد كثيراً عن
غرناطة ، أن يتحرك ليتسلم زمام الأمر ومقاليد
الحكم في حمراء غرناطة !

(١) مدينة في اليبيا بناها الكاثوليك أثناء حصار
لغرناطة

شوارع غرناطة وقد أنفرت من كل شيء تحف به كوكبة من رجاله المخلصين ويبلغ آخر المار فاحتضنه سهل الفيجا ، فلاحت خلال أخصان النار الخوذ اللامعة ، والزماح المتألقة ، ودمدمة الجيش الاسبان المتصير يشق طريقه إلى غرناطة ...

وهناك في مكان معين قابلته أولى طلائع الجنود الاسبانية وقد نسجت في الجو من عثيها رداء عكراً حجب قرص الشمس ، وقد ملأ هزيعها الآفاق وفي مقدمتها ذلك الملجج الأسباني (يدرو فانزالو دي مندوزا) الذي يستبره التارخ أعظم موقد لنار الحرب على غرناطة . ونظر هذا إلى أبي عبد الله نظرة الشبهة ، أبتمها بصبغة صفراء صرقت أحشاء الأمير العرب التمس

وتتابعت مواكب الاسبانول تملاً السهل والوعر ، وهي تصب في سهل الفيجا أروع محاسبات قتلتا ، وأعذب الحان أرافونيا ، وابن الأحر سام واجه تفرسه الآلام ، وتنوشه الموم من كل جانب ، ولكنه أبدى من رباطة الجأش ، ومتانة الرجولة ، ما بهر أنظار الفرسان وهم يحرون به سريعاً .

وبينا طرفه بموج في هذه الأمواج إذ لاحت له كوكبة من الفرسان تتوسطها مركبة مرصعة بكرات الفضة ، وعلى واجهتها الخلفية الزنقة يتذبذب في وأجج الشمس صليب ضخم الحجم هائل المنظر ، من تحته يجلس الزوجان السيدان فرداند وإزابيلا ومن حولهما صفوة مختارة من الفرسان شاكي السلاح !

وطبقاً للشروط القياسية التي تمهد بتنفيذها هذا الأمير التمس قد انحط من على فرسه بسرعة البرق

وصعدت من صدره زفرة أرسلها في جوف الفجر إزاء هذه المناظر الساحرة التي حركت إحساسه ، وألهبت عواطفه ، وهزت أسلاك قلبه ، وأثارت كامن شجونه ! ثم طفرت من عينيه دمعتان ساخنتان ، وعيناه شديتان يمثل هذا الماء في جميع الأدوار القياسية التي صرت به ، ولكن للرجال ساعات تتلاشى فيها رجولتهم وكبرياؤهم

وراح صدره ينلر ويهبط ، وعيناه محدتان إلى غرناطة وقد بلتهما المموج ونسجت عليها نوباً شفافاً تراءت له هذه المدينة الساحرة من خلاله وهي مضطجعة في هذا السهل المرع المنضجل ، كأنها قطعة من سحب ناصع ضارب في سما صافية !

وغرق ابن الأحر في بحار التأملات ، وما أفق إلا على قول الحارث بن حازم :

أجموا أمرهم عشاء فلما

أصبحوا أصبحت لهم ضواء

من ناد ومن مجيب ومن نصها

ل خيل ، خلال ذاك رغاء

فأطل من شرته ليري ما الخبر ، فاذأ بمحاشيته تضطرب في فناء السباع ، وقد أعدت كل ممدات السفر ، ولم يبق إلا نزول السلطان ليأخذ طريقه إلى منفاه !

غامت مقاصير الجراء في عينيه ، وقد كانت بهجة النفوس ، ومتممة الخواطر ، ونزل ابن الأحر .

يجر أذيال الخلية وقتل الزمن ، وحساب التاريخ ، متناقلاً متهاكاً يترخ في مشيته كائن ، واخترق الفناء فامتلى صهوة جواده الأدم فاندفع به في

أبواب غرناطة بينما الأهازيج تجلبجل في أجواء الفعيجا
ووقف سيد الأسس وطريد اليوم ، يندب حظه
وملكه للضائع ، ثم زفر زفرة عرقة مزقت أحشائه
وسقط منشياً عليه ، وما أفاق إلا على طلقة مدفع
أحدثت دوياً شديداً في سهل الفعيجا ...

نهض وقد علت بوجهه الشاحب حبيبات من
الرمل ، أبدها برده ثم أقبل على جواده فرأى هناك
بيداً على قنة برج من أبراج الحمراء صليباً من النضة
الصافية مؤذناً بأفول الهلال ، وعلى برج آخر حلت
على راية القرآن الياقة القشتالية تتموج في الرياح !
ومن هذا اليوم انقطع ذلك العن الساري
الحنون الذي ينصب في أذن الفجر هاتفاً : الله أكبر ...
الله أكبر ... وارتفعت ضربات النواقيس ، ودق
الطبول ، وترانيم القسوس ، وسقطت غرناطة في
أحضان المسيحية !



تحرك ابن الأحمر من مكانه ، وامتنى صهوة
جواده ، ولحن به أصحابه ، فظهم الأفق برداه
وهناك تحت أقدام جبال الثلج انطجبت قرية
صغيرة على سفح من سفوحه قد لفها الضباب برده
تسكنها بضعة عائلات عربية رقيقة الحال ، تشتغل
بالزراعة

فترى ابن الأحمر على عين من عيونها يقضي
(سواد) نهاره هناك ، وعلمت بمقدمه جموع
المغرب تتوافدت إليه تسكب بين يديه المبرات
الحرار ، وتتلعب ملكاً عزقه العصية ، وتثره
الشهوات والأهواء !

عند ما اقتربت منه المركبة الملوكية ، واخترق
الصقوف ، ووقف في قلب اللوكب والحزن يحز قلبه
خزاً ، وشاهده في هذه الأثناء فردناند بعامتة العربية
البيضاء المتنازة تقربت قليلاً في سيره ليسلب شرقه
هائيكاً ويحطم كبريائه العربي ، ونظر إلى أبي عبد الله
نظرة فهم مضمونها فأنهى له هذا ، وقد أغمض
عينيه ، انحادة ماعرفتها ملوك العرب منذ الأزل ،
انحادة كان كابوسها الرهيب يمثل له في لياليه
الأخيرة حتى أجهز عليه !

وتأذت أنظار الجمهور من هذه النهاية المؤلمة التي
حلت بأمير المؤمنين سلطان غرناطة ومالقة والرية
أبي عبد الله سليل بني الخضر !

ثم رفع السلطان رأسه وقد اخرت عيناه وأدلى
بينه على جبينه وأخرج مفاتيح المدينة وقدها
لفردناند قائلاً :

« أيها السيد ! هذه غرناطة ملكك ، وما قدر
الله كان ، فهأنذا أسع مفاتيح هذا الفردوس بين
يديك وأفوض إلى رحمتك وصدق إخلاصك حقوق
أبنائي » (١)

ثم أشاح بوجهه وقد تقصد جبينه عرقاً ،
وظن الجمهور أن الأسباني وقد أخفته نشوة
النصر ، وتفتحت له جنان غرناطة ، ستأخذه حنوة
على هذا الأمير الشكود فيفيض على قلبه المسحوق
اللطيف وحسن المعاملة ، ولكن المزة الكاذبة ،
سلبتا منه مميزات النفس البشرية فاستلم المفاليد
وتابع سيره في جموع المسيحية التي قاربت طلائعها

(1) Luisa banal : gli ultimi signori dell'al-hambra

فترامت لهم أكاف الأندلس في سخوة الفجر تبمت
مما في التهليل والتسبيح في النفوس ... هذه رحاب
الأندلس كلها قد بدت كالإسباط الدور حالة غارقة
في أمواج الخضرة ، ضاحكة بفنان الطبيعة ؛ وهذه
خيالات القزى البيضاء قد لاحت من خلال أشجار
السرو والصصفاء كالقواذف للثبور ! وتفقد ابن الأحرار
مدينة أحلامه ، ليودعها آخر نظرة ، وأحر زفرة ،
إلى الأبد ! فرأها غارقة في سبات محمق وقد غسلت
أمواج القمر أبراجها للشمخورة ومنازلها السامقة ؛
فبدت تتلألأ في ضمير الفجر كتاريخ من فضاء
تهللت من أجفان السماء !

أثر هذا النظر الساحر في نفسه فزفر زفرة
عميقة سجلها التاريخ في مطاويه ثم هتف هتافاً
عالياً :

الله أكبر .. الله أكبر .. !
غريطة .. غريطة .. !

وسقط تخنقه العبرات في نجيب طويل !

في هذه الأثناء كان قرص الشمس المتهيب قد برز
من خلال الجبال سهباً تلك النائم الرقيقة السابعة
في هذه الأجواء . وأفاق ابن الأحرار على قبيلات
الشمس المائتة وقد تهرجت أجفانه من فرط النجيب
بينما كان أحبابه ينسجون نشيداً مؤلماً يفتت الأكباد
ويذيب الجناد ، وتضجع أحدهم وقد آلمته هذه
المواقف التي تدنى الفؤاد فتقدم نحو السلطان وعلى
شفتيه بضع كلمات تقال في مثل هذه المناسبات
الوحيدة تخفيفاً للكرب وترفعها للخاطر المشرود :

— صبراً يا عظيم الروح صبراً ... فليعض

لم يعض على وسوله ساعات حتى أقبلت أمه
حائشة ، المرأة التي كان لها القدح الملئ في هذه
الفتاحة ، تحف بها جوع الخدم والحشم وقد حملت
من أبهاء الحزاء كل ما خف حله ، وغلا تخنه !
وأذنت للشمس بالغييب ، وقبل أن تختبئ وراء
خرب الأبدة ، وقبل أن تمانق فلولها هامات الجبال
المكللة بمصابب الثلج ، أوى أبو عبد الله إلى مخدعه
بانساً وقد هد الحزن أركان قلبه ، وأكبت نار
الغضب فؤاده ، وانطرح على فراشه ويهونه تنبجز
بالأم أعظم فاجعة عرفها تاريخ البشر !

كان ذلك في اليوم الحادى عشر من شهر يناير
سنة ١٤٩٢ ، قبل أن تنفض ذكاء أعضتها الدافئة
على أعالى جبال البشراة Alpuxarrat أخذ
أبو عبد الله طريقه إلى إفريقيا في غلس الفجر قبل
انبثاق النور ...

ولفهم سهل الفيجا بصمته الريب ، فلم يحس
لحم حساً ولا جرساً ، ألهم إلا حوافر الخيل توقع
الحنن الوجع في سماع الطبيعة ، وتغل على الوجود
سورة الخلود العربي الخلف في بلاد الأسبان
وجافة ، كانت الخيل قد وصلت إلى أعتاب
جبال الثلج ، فالتحمت صخورها ، وتثلثت
في أحشائها زهاها مرتفعاتها المسعبة سندا إلى
أعتان السماء !

وهنا بنوا البروة القصوي لهذه الجبال ،
وهنا نقت العربي المزمجى زفرة الأخيرة كأفاس
الصيف ...
وأجال للفرسان أنظارهم من على هذا التخم ،

وقفته الأخيرة ، وزفر فيها زفرته المشهورة فلا تزال
حتى هذه الساعة تؤلف مزيجاً من الخرافة والتاريخ
في صدور الأسبانيول

يعربها السائر فيحسبها فتحتدم في نفسه ذكريات
الماضي المطر ، ويرنو إليها البحار الأسباني وهو
معلق بساريسيفيته في عرض البحر المتوسط فيطرب
مليا مشغول البال ، ميليل الحاضر ، ثم يترنم بأغاني
شعبية ومقاطع رومانية تتلح بأخبار العرب
وأثامهم ... هذه الروبة مشهورة في الفناء والتاريخ !
هذه *il sospiro del moro* « زفرة المروي »^(١)
(الفاهرة) محمد عبد الله العمري
ديوم دار العلوم

للمائب عن ... ! ولها فوائد فمالة عند ما تنموج
ذكرياتها في أذهان الأحفاد ... !

ولكن أبا عبد الله لم يسيا بهذا ، بل أشار بيده
وقد خفضها قليلا إلى غرناطة الساحرة وهي تضعك
في نور الشمس وأجاب بكلام رقيق كنوم للشعر :
— آواه ! أي نكبة تعادل نكبتى هذه ؟

ثم عز جواده العظيم ، فابطلته أحشاء الجبال ،
وغابت عن عينيه غرناطة ... إلى الأبد !
وركب البحر إلى (ميللا) على الشاطئ الأندلسي
وشخص نحو (فاس) حاسمة الأيالة الراكشية وبقيت
روحه منشعة بوشاح الحزن والكآبة طيلة حياته

(1) Yoseph moorabe : the splendour of moorish
spain

أما الروبة العالية التي وقف عليها أبو عبد الله

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها ...

رائعة في ألوانها ...

فادروا باخذ طلباتكم

الصادرة إليك فتأني بالمعدة وكبار أهل
المدينة؟ أنا لو كنت هناك لأخرقت جثث
هؤلاء الأوغاد أو لأذقتهم أنواع التمزيب
حتى يعرفوا بأن فيهم ثروة مخبوءة»

وقال شمير بك بعد أن نظر إلى مستنجداً:
« لقد كنا نريد أن تأتي بهم وشددنا ونأقهم
وغير بنام وعنفانم وحاجي بابا يعرف كل شيء فقد
طلب إليهم أن يدفعوا الضريبة قديماً وإلا فأنهم لن
يجدوا منا رحمة لأن الرحمة ليست من أخلاقنا، وحذرهم
من سطوتك يا سيدي الرئيس قائلاً إن شجاعته
لا تعرف التردد، وقوتك لا تعرف الهين؛ ولم يزل
يصفك أمامهم حتى أغشى عليهم من الخوف»

قال لي الجلال: « ما الذي أجابوك به يا حاجي بابا؟
إنني لم أفهم لماذا لم يأت هؤلاء القوم أمامي كما أمرت»
فقلت بمتعنى الخضوع: « وأنا لم أفهم كذلك
فإن شمير بك هو الذي كان ينوب عنك في هذه
المهمة، وقد تولى الأمر كله بنفسه وقد ذهبت في
خدمته فلم يهد إلى شيء»

عند ذلك ثارت فائرة الجلال وغلطينا بأشد
الفاظ الاحترار ونظر إلى أصدقائه وقال: « من
الواضح أن هذين الرغدين قد لعبا لعبة هناك.
قل لي يا شمير بك بحق الملح والخبز الذي
أكلته في خدمة الشاه، كم طوماناً أخذت في هذه
الصفقة؟» ثم نظر إلى وقال: « وأنت يا حاجي لم يمس
عليك أكثر من شهر واحد في الخدمة فكيف طوماناً
ربحت؟»

حاولنا عبثاً أن نبري أنفسنا وأقسمنا أغلظ
الايمن فلم تقابل بنير التكميز. ثم استدعى الجلال
(٦)

حاجي بابا أصفها ناني

للكاتب الإنجليزي بى. جيمز مؤرخ
بقلم الأستاذ عبد الطيف المشوار

الفصل الخامس والثلاثون

الخط يتسم في وجه حاجي بابا بك

كانت الهدية الوحيدة التي عدنا بها إلى رئيسنا
هي كبشين سميين، فلما وصلنا إلى مسكرنا قدمنا
نفسينا إلى النائب الذي قدمنا إلى «النازا كشي باشا»
وكان إذا ذاك جالساً في خيمته يتحدث مع بعض
أصدقائه

قال لشمير بك: « هل جئت بالضريبة
أم بالمعدة؟ ما الذي فعلت؟»

قال شمير بك بلهجة محيية من التناق لم أتصور
أنه قادر على مثلها: « كلا يا سيدي الرئيس لم أجد
بهذا ولا بذلك، ولكن المدة أرسل كبشين ليذبحها
عند بابك، ولم يكن عنده غيرها حتى ولا القوت، وإذا
لم تنجد الحكومة الإيرانية هذه القرية بما يكفيها من
الطعام فإن أهلها سيموتون جوعاً أو سيبأكل بعضهم
بعضاً»

فصاح الجلال: « أ هذا هو الصدق؟ إذا كان
عندهم خراف فهل يقول أنه ليس عندهم ناس؟ هل
هذا القول مقبول؟»

قال شمير بك: « إن غنك سائب يا سيدي
الرئيس ولكننا لسنا نتكلم عن النعم بل عن القمع»
قال الجلال: « ولكن لماذا لم تبيع الأوامر

زملائي ينظرون إلى نظرتهم إلى رجل تزيه لانتسخته
الطامع وقال أحدم : « إن ذلك يرجع إلى كونه
طيباً والأطباء يعرفون الحكمة وهي أعلى من
كنوز الأرض »

وقال آخر : « إنه رجل يقدر العواقب فلا يضع
رجليه حيث يذني أن توضع رأسه »

وصفوة القول أنني اشتهرت بأني رجل حريص
حذر وأني — بالرغم من كل ما رأيته من الصائب —
رجل حسن الطالع موفق الحظ

وكانت نتيجة هذه الشهرة أنني عينت مساعداً
لرئيس الجلادين، وهذا منصب كبير الأهمية كاستبضع
لقراء .

الفصل السادس والثلاثون

رزة القاب لا تغيرها طبيعة المنصب

في ذلك الوقت نشبت الحرب بين حكومة الشاه
وبين السكوف الذين اعتدوا على الحدود الإيرانية
في المقاطعة الواقعة بين نهري خور وأراس، وهي
مقاطعة يحكمها قائد من خاصة أتباع الشاه، ورتبته
في الجيش رتبة « سردار » قصد هذا الحاكم الجنود
الروسية التي اخترقت حدود بلاده، ولكنه لم يكن
بذلك بل طارد الأعداء في بلادهم رغبة في تحقيق
أمل قديم عند الإيرانيين وهو الاستيلاء على البلاد
الجنوبية من القوقاز حتى مدينة تفليس

وكانت الأخبار تصل يومياً إلى الشاه في قصر
السليمانية كما كانت تصل بين حين وحين رؤوس
الضباط الروسين الذين يقتلهم الجيش الإيراني، فكانت
تقابل بمقتلات عسكرية لأن استمرار إرسالها كان
دليلاً على النصر

قائه وأصره أن يسجننا حتى يأتي السمدة ورجال
المدنية فيواجهوم بنا

ولما صرت أنا وشعير بك وحدنا عرض على
نصف ما أخذناه قائلًا : إنه لم يرد خرماني ولكنه
كان ينتظر عودتنا ثم تقسم الهدية

فقلت له : « كلا أيها الصديق . لقد جاء هذا
الجود بعد فوات الوقت وإذا كنت قد شربت
من الخمر الحمرمة فأصيب رأسك بالصداع فلماذا
تطلب إلى أن أصدع رأسي وأنا لم أشاركك في شربها؟
حسبي من هذه الرحلة أنني تعلمت درساً وفتنت به ؟
وشكراً لأنك أنت الذي علمتني هذا الدرس »

فحاول بعد ذلك أن ينال مني وعداً بمساعدته
عند ما نواجه بالسمدة وأن أقسم على صحة ما سوف
يحدثه . وبالرغم من تشدده نكرة ولينته طوراً فاني
لم ألق هذا الوعد . وقال لي إنه إذا جلد قلبي يمشي
لأنه اشتهر بالقسوة الشديدة في جلد المحكوم عليهم
وإنه لذلك لا يرجو من الجلادين شيئاً من الرحمة،
وأقسم أنه يفضل أن ينكب بأية نكبة على أن يحكم
عليه بالجلد

ولما اقترب الوقت الذي سندهي فيه إلى
« التازا كشي بائي » لم يوجد شعير بك . وسئلت
عنه فقلت : إنه خاف أن يحكم عليه بالجلد ، ولذلك
لاذ بالفرار

ولما جئ بالسمدة وأصحابه شهدوا بأنني لم أأخذ
منهم أي شيء ، وأنني على التقيض من ذلك كنت
أحنيهم على تقديم هدية ثمينة للتازا كشي بائي
وشهدوا ضد شعير بك بأنه جاوهم وقبل رشوتهم
وقد أثرت شهادتهم هذه أثرًا حسناً في نفس
التازا كشي بائي . وتداولت صيرت الألسن فأخذ

ولى العهد إلى مدينة جانبها التي حاصرها العدو
ولما تداول السردار مع نازا كشي بائى يوم
وصول الأخير اتفق رأيهما على بث الجواسيس فى
الجهات القريبة من الميدان لترقب حركات الروس
وجعلت رئيساً للجواسيس المينين من قبل
نازا كشي بائى وجعل رجل آخر رئيساً للجواسيس
المينين من قبل السردار ولكن القسم الأخير لم يكن
له مثل درابتنا هذه البلاد فكفوا باستشارتى وجعلت
فى الواقع رئيساً على اللفرتين، فجمعت الرؤساء حولى
بعد صلاة العشاء وألقيت عليهم أوامرى ثم صرحت
بهم إلى قرية « اشتارك » وصرهنا فى أثناء الطريق
إليها بقرية اينشمبارك وهى قاعدة للبطريركية الأرمنية
وكان وسولنا إلى جسر اشتارك قبيل الفجر ؟
وكنا نسير على الشاطئ الصخرى النهر بين المرتفعات
العالية . وكانت القرية واقعة خلف تلك المرتفعات .
وبالرغم من أن نور الفجر لم يكن قد سطع فى هذا
الحين فقد كان من فى القرية يستطيعون رؤيتنا بين
الأكام المتخلفة عن بقايا الكنائس الأرمنية الكثيرة
فى هذه البقعة من إبران

وقد نهت حوافر الجبال فى عدوها كلاب
القرية فأخذت تنبح ونحن لا نزال يبيدن ، فلما
ازددنا من القرية دواً سمنا رجلاً يقول للآخر :
« يا على ! يا على ! ألا ترى شعباً أبيض بالقرب من
الكنيسة ؟ »

وأشار إلى مكاننا

فأجابه الآخر : « نعم هذا هو النول الذى
اعتدنا رؤيته فى هذه الساعة . إنه يحث عن جثة
لياً كاهنا »

سرفنا فى الطريق ونحن نسمع هذين الرجلين

وأمر الشاه حاكم مقاطعة أذربيجان بأن يمد
السردار بقوة عظيمة من جيشه ليستمر فى غزواته
للبلاذ الروسية

وفى يوم من الأيام جاء رسول من السردار
يقود خمسة جمال محملة برؤوس الروسين، ولكن يظهر
أنه جاء فى الوقت نفسه بأخبار مقلقة لأن الشاه
أمر بإرسال حملة يقودها نازا كشي بائى وعدد
جنودها مائة ألف ومعه ضباط برتبة بكباشى
« قائد ألف » وبيوزبشى « قائد مائة » وأونيائى
« قائد عشرة »

فى ذلك اليوم أنهم على كثيرين من الجلادين
يبيض هذه الرتب واكتظت الطرق المؤدية إلى خيمة
القائد بالضباط الراغبين والنادين على عمل تلقى الأوامر
الخاصة بنظام هذا الجيش

وكانت مهمتى من أصعب المهمات لأننى كانت
بقيادة فرقة من الجنود والمرور بها على الفرى لتجنيد
الشبان من أهلها وتدريبهم على القتال
وكانت هذه المهمة تستلزم نشاطاً شديداً وحركة
دائمة ولكن فيها من جهة أخرى نفماً كبيراً لأنه
كان من السهل على فيها أن أحصل على ثروة كبيرة
لوأردت ذلك . لكن الوعظة التى استغفرتها من حادثة
شعير على بك لم تنب عن ذهنى، فزمت على أن ألقى
نار الطمع بماء الصبر وعلى أن أبقي يدى طاهرة من
أموال الناس

وصلت بفرقتى إلى مدينة أديغان قبل وصول
الجيش يرضة أيام . وهناك وجدت السردار وكان
قد وصل إلى مدينة جانيشلى ولكنه عاد فتنهقر
إلى أديغان منتظراً وصول اللند . وفى هذا الوقت
وصلت فرقة أخرى من الجيش الفارسى بقيادة

شيئا بشأنك . من أين جئت ؟ وإلى أين تريد الذهاب ؟ »

فقال لى الشاب : « إن قصتي طويلة محزنة ، فإذا ساعدت على نقل هذه الفتاة المسكينة إلى حيث تأمن ويمنى بأمرها فسأقص عليك قصتي . وهي مصابة بجراح شديدة ولكنها ستشفى منها إذا سادت عناية . أهد الله على أنك لم تكن من جنود السردار وأرجو أن تعطى على "لأنك ستجد بعد أن تسمع قصتي ما يملك على مساعدتي وإقاذي " .

لم أكن في حاجة إلى استجدائه رحمتي لأنني أشفت عليه وعلى المرأة التي معه ساعة وقع نظري عليهما وقلت له إنني أجيب مطلبه فيما يتعلق بالفتاة وإني سأخبره عن رأيي فيه بعد أن أسمع قصته

ثم ساعدته على تضميد جراح الفتاة وأمرت واحداً من جنودي بأن يترجل من جواده وعلناها عليه وأخذناها إلى القرية ثم درنا على منازل أهلها حتى توصلنا في أحدم الروء والانسانية فهدأنا إليه بملاجئنا ووجدنا من الرجل قبولا حسناً وشهامة ، وقابلتنا زوجته فقالت إنها تسر من أداء هذه الخدمة في علاج المريضة ، وعلت من ذلك الشاب أن صاحي النزل أرمنيان مثله ومثل المريضة التي معه وأنه مسرور لذلك فهو لم يكن يتوقع أحسن منه

الفصل السابع والثلاثون

يوسف الأرميني وزوجته مريم

كان في عزى الذهاب إلى مرثعات أيران حيث الهواء بارد طاق وحيث الرمي مشب خصب صالح للعباد ، ولكنني علمت أن قبائل الرجل التي كنت أحسبها مسكورة في مكان معين قد انتقلت

وعبرها يستميزون بالحسين والأئمة وبالنبي وبسلي . وعلمهم أحد الموجودين آية ، قال : إنهم إذا تلوها هرب القتل . فتلوها ولكمهم ما زالوا يرون شعباً غامضاً ، فأكد ذلك الرجل أن الشبح لو كان غولاً لاخفى بعد تلاوة الآية الشريفة ، وقال وهو يبدو بجواده : انتظروني حتى أراء وأخبركم بحقيقته وجرى في غير انجاعتنا ثم عاد يقول : إن الذي كانوا يحسبونه غولاً لم يكن إلا امرأة على وجهها نقاب أبيض وهي تحاول الاختفاء في أنقاض كنيسة أرمنية

عرفت أنهم لم يكونوا ناظرين إلينا . وذهبت إلى المكان الذي أشار إليه لأرى تلك المرأة ذات النقاب الأبيض لها ذات صلة بالهمة التي نيطت بنا وأمرت رجال أن يتبعوني عن بعد

وجدت في ركن بين جدارين مدهمين من هذه الأنقاض امرأة يظهر من اصفرار وجهها أنها مريضة وكان معها رجل ، وكلاما في ميمة الشباب ؛ والفتاة جميلة فائنة والفتى قوى تبدو عليه خبايل القوة والنشاط والرجولة ، وهو يحمل إلى جنبه سيفاً ولاحت أن ثياب الفتاة وبدها غضبة بهم ، وعرفت أن الرجل ليس عدواً لها لأنه كان يضمدها جراحها ويواسيها . وبالرغم من أن حملي ومهيتي كانا يستازمان قسوة في القلب فقد أخذتني رحمة بهما واحتزمت حزنهما وقلت : « ما الذي تفعلانه هنا ؟ وإذا كنتم خرييين فلماذا لا تذهبان إلى القرية ؟ »

فقال لى الشاب : « إن كنت رجلاً ذا قلب فاحم هذه الفتاة ؛ وإذا كنت مرسلان قبل السردار لا اعتنالي فاني لن أقوم ولكن الفتاة تحتضر فارحمها » قلت له : « من أنت ؟ إن السردار لم يقل لنا

وهو قسيس القرية ، ومن أجل ذلك أراد والياي
أن يمسك قسيساً

ولما بلغت العاشرة من العمر أرسلت إلى الكنيسة
لأنظر الكتابة والقراءة وأصول الدين وكان في
الكنيسة كتب كثيرة أخذت أقرأها واحداً بعد
واحد حتى أصبحت القراءة أحب طائفي وأزها؛
وصرت أشتري كتباً من أنواع مختلفة فلا أسترع
منذ يصل إلى كتاب حتى آتي على آخره

وكانت أكثر هذه الكتب دينية، ولكنني قرأت
بعض كتب التاريخ الأرمني فغلبه إحساسي بماطفة
الوطنية وعرفت أن بلادى كانت أمة وكان لها ملوك
اضطروا للعالم إلى احترامهم؛ وتاملت في حالتنا اليوم
فغزنت ووددت أن يتاح لنا من يث بيتنا الدعوة
ويجمع ثملنا للتخلص من نير الحكم الأجنبي وشغلى
الغرم على أن أهل نحو هذه الناية عن الواجبات
الدينية التي كرست حياتي لها باعتباري قسيساً

وفي هذه الأثناء نشبت الحرب بين روسيا وبين
فارس وكانت بلادنا في وسط ميدان القتال لوقوعها
على الحدود فانتقلت من الكنيسة إلى قريتي لأكون
بين أهلى الدين وجسدتهم شديدي الخوف والقلق
بسبب هذه الحروب لأن كلا الفريقين التجاردين
(فارس وروسيا) جدير بأن يخاف

ولم تكن نتيجة الحرب لتفيد إحدى الدولتين
فائدة كبرى ولكنها كانت شديدة الضرر علينا،
لا لخوفنا من القتل فقط بل لأن الجيوش المحاربة
من الجانبين كانت تفسد علينا زراعتنا وتغلب التناضج
من الحبوب وتطمح جيادها بما لم ينضج بعد

وكان الفلاحون ممرضين دائماً للاعتقال والأسر؛
ولما خشينا أن نموت من الجوع بسبب هذا الاعتداء

إلى تلك المرتفعات وما يلها من الجبال خوفاً من
الحرب الناشئة، فزمت على أن أغل في أشتاروك حتى
تخف حرارة النهار

واقسم رجال فذهبوا إلى أجزاء مختلفة في المدينة
فذهب البعض إلى جهة الجسر ليطمعوا جيادهم من
الحشائش الطويلة النابتة على الشاطئ، وذهب فريق
آخر إلى طاحون بجانب النهر ليستظلوا ولتفرض
السائف أيضاً . وجلست في غرفة من أقباض
إحدى الكنائس قائمة على قمة عالية لأشرف على المنظر
كله ولأرى أى شبح يبدو من جهة الحدود الروسية
وقد أثر الهواء الطلق في نفسي فتمت ساعتين
ثم فت فاحتدعت للشباب الأرمني وطلبت إليه أن
يقص على قصته خصوصاً ما كان متعلقاً بمجيئته مع
السيدة إلى هذا المكان الذى قابلتهما فيه

وكانت القوة والحياة قد ظهرت على وجهه وتبينت
من مخايل الليل البادية عليه أنه لم يقل غير الصدق
وهذا هو مجل القصة على لسانه :

« أنا أرمنى الولد مسيحي الدين واسمى يوسف
وكان أبى رئيساً لبلدية جافيشلو التي أكثر سكانها
من الأرمن وحى قرية من مجرى نهر « بمباكي »
وتبعد عن هذا المكان ستة فراسخ وحول هذه
المدينة أراض خصبة مزروعة وحى غنية بمحصولاتها
جميلة للناخ هادئة السكان

وكنا كسائر أهلها سمداء على قفرنا بما رزقناه
من جودة الصحة ومنا فريق يسكن في الجبال خوفاً
من مظالم الحكام الذين لا ينجو من بطش أيديهم
كل أهل المدن

وطائفتنا كلها بسيطة ونظام حياتنا ديني يحث
ولى عم من الأساقفة في بطريركية إبتشميزين، وخال

السر . وإذا نسيت شيئاً فلن أنسى شعوري بالحب
وبالسرور وبالشقة ساعة أبصرتها وأحسست بأن
مشاعري في هذا الحين جديدة كلها ونسيت كل ما كان
لي في الحياة من غاة أو غرض إلا السهر على ما فيه
خير هذه الفتاة ورضاها

وجرت أول كلمات قائلاً الفتاة في مجري دى
من المروق ثم بكت بكاء شديداً أخذت بمدته تهاكك
نفسها شيئاً فشيئاً

ولما علمت أنني من أبناء جنسها وبأناء دينها
وذكرت أنني منقذها أخذت تشر نحوى شعوراً
مختلفاً، وأمل على غروري أن إحساسها نحوى كان
مثل إحساسى نحوها

وشجسى هذا التردد على أن أكشف النقاب
عن وجهها وكان ذلك منى جريئة لم تتفكرها الفتاة
لأن اللفتيات الأرمنيات يحتفظن بكل الاحفاظ
أمام الأجانب عنهن ويمدون السفور فضيحة منكزة
ولما رأيت غضبها وقفت أمامها وقوف المجرم
ولكننى اعتذرت بأن وقوعها عن ظهر الجواد
قد حبس أنفاسها وبأنه لولا نزاع هذا النقاب من فها
وأفها لاختنقت ، لكن هذا الاعتذار لم يصادف
قبولاً عندها . ولم يكن فى استطاعتى إقناعها بأن
رؤيتى وجهها كله أمام هذه الضرورة لا تشينها
ولا تلحق بها عاراً لأن ذهنها كان ممثلاً بهذه الفكرة،
ثم أقسمت لها بأن رؤيتى لإيها سبق سرّاً أكتمه
ما دمت على قيد الحياة ، فأطأنت وتمزت ثم طلبت
إليها أن تقص قصتها على وتغبرنى عن الرجل الذي
كان من حسن حظى أنني أعفيتها من بين يديه
فقلت : « إن كل ما أعرفه عن الرجل أنه فارسي

على المزارع وصلنا الليل بالهادر في خدمة الأرض
لنوض ما فقدناه ، ولكن فلاحينا كانوا يخرجون
إلى الحقول والفتوس في أيديهم والسيوف إلى جنوبهم
والبنادق محشوة بالبارود معلقة على ظهورهم ، وكنا
كلنا رأينا أجانب مقبلين نحونا تجمنا وأظهرنا
استعداداً للدفاع

وبقينا على هذه الحال عدة أعوام استطعنا فيها
أن نحفظ بالقوت بالرغم من القليل الذى كان يؤخذ
على الرغم منا

ومنذ طعين ذهبت في جملة من ذهب إلى الحقل
من أبناء قريتي لمراقبة الحصاد عند جنيته كالعادة
حاملًا بندقيتى وسبقى فرأيت جواداً يبدو على ظهره
رجل فارسي ووراءه فتاة أسيرة

وعند ما وقع نظر الفتاة على صاحبة مستجيعة
مستجيعة فركبت جوادى وركضت نحو الفارسي
شاهراً أسنني في وجهه فلم يستطع الرجل بالنظر لوجود
المرأة خلفه أن يجرده سيفه وبهاجمنى فاختار أن يسرع
حتى يفر منى ، ولكننى أسرعت فأطلقت من بندقيتى
رصاصة في الهواء ففزع جواده لأن الرصاصة كانت
قريبة من عينيه وشب فصرخت الفتاة المردفة خلف
الفارس وسقطت عن الجواد

وكان الرجل في هذه الحالة يستطيع أن يقاتلنى
إما بالسيف أو بالبندقية ولكنه وجد بندقيتى مصوبة
نحو رأسه فرأى للفرار أسلم ونجا بنفسه ، وذهبت
إلى تلك الفتاة التي كانت منقبة فساعدتها على الوقوف
ووجدتها جريحاً لسقوطها عن الجواد

وبعد إسماق لها وأنا كدى من أنها لم تصب بكسر
أورض تبينت أنها أرمنية مثل ووجدتها أجمل شيء
وقع نظري عليه وحى لا تتجاوز الخامسة عشرة من

ولما دنوا أمر بوا لها من دهرهم لما علموا أنها اختطفتها وقالوا إنهم يحمدون الله إذ لم يضاروا الطريق وبسبب أن وصفت لهم كيفية اختطافها قالت في حياء واضطراب إن الفضل إن نجاتها يرجع إلى فأتجهت إلى ميونهم وبدأ عليهم الأهليام بمعرفة حقيقتي وقال لي أبوها : « من أين أنت يا بني ؟ »

قلت : « أنا ابن رئيس قرية جافيشلو »

فأجابني : « أنت إذن ابن صديقي وجاري ولكنني لم أرك من قبل . لملك الطالب الذي كان ينظر في الكنيسة ثم عاد بعد نشوب الحرب لمساعدة أهله ؟ » قلت : « نعم أنا هذا الطالب » فرحب بي ودعا لي وقال إنه وأسرته مدينون لكثير ، وأسر على أن أذهب معه لا كون في ضيافته ، وقال : إن أبناء أسرته يسرون بأن يعملوني على رؤوسهم ويقبلوا قدي لا تقاضى سريم من البيع في سوق اريقني فتصبح طول عمرها في أسر المسلمين »

ثم حياني أعمامها بكلمات رقيقة وألحوا على أن أرافقهم إلى القرية فلم أستطع مقاومتهم لشدة نأري بما أبدوه من اللطف والأني كنت أريد أن أرى سريم في دارها فقبلت الدعوة وسرنا جميعاً إلى قربتهم ولما وصلنا إلى تلك القرية وجدنا النساء والأطفال عند بابها منتظرين عودة سريم مع من ذهبوا للبحث عنها . ولما رأوها تنود معهم أبداً من مظاهر الفرح ما ليس في وسع كاتب أن يوفيه حقاً من الوصف . وأعيدت على مسمهم قصة اختطافها وإتقازها

وبمثل سرعة البرق انتقلت القصة من فم إلي فم وزيد عليها من المبالغات ما لا يد منه في مثل هذه الحالة ، وكان مجمل القصة كما رويت للمرة الأخيرة : أن شيطاناً ذا رأس من الحديد وحوافر

ولم أره قط قبل هذه المرة ولم يحتفظني إلا لكي يبيعي في سوق الرقيق .

ومنذ أيام قليلة حدثت موقعة بين الفارسيين وبين القوزاق ، فطرد الفارسيون القوزاق من قرية أرينان وهي القرية التي أنا منها وابتهجوا بذلك ابتهاجاً عظيماً ، وصار الفرس يتقلون النساء القوزاقيات ويرسلونهن إلى البلاد الأخرى لبيعهن في أسواق الرقيق . ويظهر أن الوغد الذي اختطفني أراد يبي على أني قوزاقية

ذهبت في الصباح كالعادة لأملاً إلقاء من الذئب فلاني وشرع في وجعي سيفاً وهدوني بالقتل إنا لم أتيمه حيث شاء دون أن أحدث ضجة فاطمته مكرمة وأركبني جواده

وكان الفتيات في ذلك الوقت يصبرنا فذهبن إلى المدينة ركضاً واعتمدت على الضجة التي سبغتها هؤلاء الفتيات بعد هودتهن . ولكنه لم تمض بضعة دقائق حتى كنا بيدين عن المدينة بسرعة الجواد بين النجاد والوهاد التي يقل فيها سرور الناس ، وكنت أنت أول إنسان رأيته واستنجدت به على الرغم من طول المسافة التي قطعناها »

لم تكن الفتاة تصل إلى هذا الحد من قولها حتى بدا لنا عدة أشخاص أحدم على ظهر جواد واللباقون مشاة ، وكانوا مقبلين نحونا على جناح السرعة وقد عرفتهم الفتاة عند ما رأيتهم فهلل وجعها استبشاراً وصاحت : « هذا أبي وإخوتي أولاد وأغوب وأرتوان ومهم أعمام أيضاً »

وكنت أخشى أن يكون في الأشخاص المقبلين أحد يستميل عطفها عني ولكنني حمدت الله إذ لم يكن فيهم غير الأعداء

الحديث الذي دار بين عيني وعينيها طويلاً عمتاً يدل على أن شعورها نحوي مثل شعوري نحوها . وبلغ بي الزهو إلى حد تخيلت معه لو أن الفارسي الذي اختطفها وأتقناتها منه كان مشربين فارساً ليكون لي حق المفاخرة والتباهي ، ولكنني عدت فذكرت أنني لست إلا أرمنياً فقيراً من شعب حقير وأنني لست من النوة بحيث يحق لي أن أعني هذا القمى .

وحسبني أن أطرد الدئب عن أغصاني

أمضيت طول هذا اليوم في قرية « جلجو » وهي للقرية التي فيها أهل حريم . وأقيمت لي وليمة ذبح فيها كبش سمين ودعى كثيرون من الأصدقاء والأهل ..

وفي اليوم التالي عدت إلى أبوي اللذين أزعجهما غيابي فنهما والذين أنصتا إلى قصتي بكل ما كنت أرجوه من الاهتمام ، وكان اشتغالي بهذا الحب الأكبر من أن يسمح لي بالتفكير في أي شأن آخر وقلت لهما : « إنني بفضل الله وفضلكما أصبحت قوي الدراعين وبللت من العمر ما يحق لي منه أن أفرد بالنظر في أمر نفسي وأريد أن أتزوج وقد هيات لي العناية الإلهية طريق الزواج »

ثم طلبت إليهما أن يضبطا حريم من أبويها ثم قبلت يدي والدي ووالدتي ، وكان جوابهما أن الزواج أمر كبير الأهمية خصوصاً في هذا الزمن الصعب ، وأن الأسرة فقيرة لا تستطيع القيام بتفقات الزواج ، وأنه من الضروري شراء ثياب وخاتم وشمع وحلوى وفراش وأغطية للفراش واستئجار منبتين والدعوة إلى وليمة ، وأن كل ذلك يتطلب من المال ما لا يوجد منه شيء ..

قلت : إن هذا كله صحيح ؛ فاللغز غير موجود

كخوافر الخليل وغالب كغالب الأسد اختطف الفتاة فوضها على جواد من جياد النار ينهب الأرض في قفزه ، ويكاد يبلغ السباء بوثيه ، وجري بها فراسخ وأميالاً ، فحبط من السباء ملاكاً من ملائكة الرحمة ولعن الشيطان لمنة حاقته به ، فقلت يده وأخرست لسانه وأتقنت الفتاة من غلبه بمد أن أحالته وماداً . ومازال هذا الملك الحارس يحمي الفتاة حتى وصلت إلى أهلها . ثم أشير إلى وقيل : إنني هذا الملك . فأنجحت إلى عيون أهل القرية جميعاً . ولكن حدث لسوء الحظ أن فتي من المزارعين كنت أراه كثيراً في الحقل نظر إلى وقال لأهل القرية : إنني لست ملاكاً ، ولكنني يوسف بن رئيس قرية جافشيلو ، فصدت في نظرم إنساناً هالكا كما كنت . ولكنني مع ذلك ظلت أعمل ماملة ممتازة عن التي ياملها سائر الناس خصوصاً من أهل حريم الدين لم يتركوا وسيلة إلا أحزبوا بها عن شكرهم وعن مجرم من إظهار كل ما تكتنه جوارحهم نحوي من الشكر وحرمان الجليل

ولكنني لم أجد أبصر حريم صرفوعة النقاب ، فقد مضت تلك اللحظات الهنية التي ملئت فيها بحسنها ، ولكنني قلت في نفسي إن هذه الصلة لن تقطع بل ستعود وستبقى مستمرة طول الحياة ، ولن تكون في الحياة قوة تستطيع للفصل بيني وبينها . إنني لم أكن أعرضها ولم يكن بيني وبينها أية علاقة ؛ فالقوة التي سافنت إليها وساقتها إلى قوة مريدة رأت جمع حظي وحظها والتوثيق ما بين نفسي ونفسها . ولو أن هذه القوة كانت تريد غير ذلك لترك الفارسي الذي اختطفها يذهب بها إلى حيث شاء . وبالرغم من أن حديثي مع حريم كان قصيراً فقد كان

وكذا من المصوغات ومناويل اليد وأخرى للرأس وجوارب وحذاء من سلسلة ذهبية للمتن وخمسين قرشاً فارسياً للمصاريف الثرية وأن يكون سلسلة المتن طومان فارسى .

وبعد أن استشار أهل المروس بعض سواحبن قبلن ما عرضته أى ، ولكن مجوزاً فيهن كانت خادمة فى بيت من البيوت الإيرانية اقترحت اقتراحاً أثار المناقشة وهو أن أقدم مقداراً من المال لا يتفق على تحديده وإنما يترك لاختيارى جرباً على العادة الإيرانية

فقلت أى : إن هذه العادة ليست من هوائد الأرمن ولا يحسن بنا اتباعها . وقد أدت المناقشة إلى ارتفاع الصوت فى الخاطبة من الجانبين بالرغم من تأكيدى على والمدى ألا توجد أو تين على وجود شيء من المصائب . ثم وقف البحث فى ذلك إلى مقابلة أخرى مع الرجال

ودعيت وخالى فذهبت ، وقد نصح لى الأصدقاء ألا أضحك أو أبسم فى أثناء الحديث لأن ذلك يعتبر عند الأرمن فالاً سيئاً على الحياة القليلة

ذهبت فوجدت أى ومن معها وأماهين أم المروس وإلى جانبها سواحبا . ودخلت صرير فى اللحظة التى دخلت فيها تقدمت أى لما خاتماً (وكان لسوء حظى من النحاس) فوضته فى أصبعها وقدم النبيذ إلى القسيس فشرب جرعة منه وقال : إن الخطية أصبحت مقودة بين صرير وبينى وهنأنا الحاضرون فكان سرورى عظيماً بقبول هذه التهنئة . ورأيت على وجه خطيبى كل علامة السرور والفرح وربما كنا أسعد المتزوجين فى هذه الساعة التى تم فيها عقد الخطبة

والزواج لا يحسن أن يتم بنشر هذه التكاليف محافظة على كرامة أسرتى وإظهاراً لتقديرى أسرة المروس . ولكن فى وسى أنت أقترض لأن لى أصدقاء فى الكنيسة وسأعمل بجهد مضاعف حتى أتمكن من الوفاء ولن أعيش عيشة السرفين حتى لا يصبح وقاء دينى مستحيلاً .

وقلت لهما إن فى عزى الاشتغال فى خدمة واحد من التجار والسفر معه أو عنه إلى الاستانة أو اسرخان ، وفى كسب هذا العمل ما يقوم بتفانى ويضى ديوى .

وجعل القول أنى أقنعت والى بمقدرتى على الكسب وعلى تحمل مسئوليات الزواج وقد وعدنا بأن نخطب صرير من أبويها . وتحدد يوم قريب لسفر أبى وعمى القسيس ورجل من المتقدمين فى السن من أهل القرية — إلى قرية « جوكلى »

وفى نفس هذا اليوم ذهبت إلى تلك القرية منتحلاً سبباً من الأسباب حتى لا تفاجئى هي وأهلها بهذه الخطبة

وقد استقبلت أسرة الفتاة رجال أسرة أحسن استقبال ، وفتح باب الكلام فى هذا الموضوع فأبدى أهلها رضى واختباطاً ، وانتهزوا هذه الفرصة فقدموا لضيوفهم أكثر مما اعتادوا شربه من العرق ، وهو الشراب المفضل عند الأرمن ؛ وتم الاتفاق على إتمام المراسم الشرعية للزواج بعد أن يتم الجهاز

وبعد ثلاثة أيام ذهبت أى وثلاث من نساء القرية وخالى القسيس إلى جوكلى فكان استقبالهم أحسن من الاستقبال الأول وتم الاتفاق معهم على جانب آخر من التفاصيل وقررت أى بالنيابة عنى أن أقدم للمروس كيت وكيت من الثياب وكذا

في أثناء الطريق بمض رجال القبائل الراحلة فتنام في خيامهم

وقد اشتهرت هذه القبائل بكرم الضيافة على الرغم مما هو معروف عنهما من الشر والميل إلى التلب والسلب

سافرت وكانت أمي على ظهر الحمار وكنت

أسير على قدي والبنديقة على ظهري والسيف إلى جنبي

فلما وصلنا إلى مرقدات أيران وجدنا خياماً

كثيرة بيضاء وفي وسطها خيمة كبيرة حسنة التشكيل

هي خيمة الزعيم . وأخبرنا فارس قائلنا في الطريق

أن هذه خيام سردار إيفان وجنوده وقد عسكروا

هنا استعداداً للحرب مع الروس

أزعجنا هذا الخبر ورأت أمي أن تعود إلى قريبنا

وأن تؤجل الزواج الآن . ولكن حبي كان أكبر

من أن يسمح لي بالإسقاء إلى مثل هذا الرأي فغثتها

على الإسراع حتى تتمكن من العودة سريعاً .

وأسرعنا في اليوم الأول حتى بد لنا في نهاية هذا

اليوم دخان إيفان

وقضينا الليلة تحت شجرة بارزة واستأنفنا

السير في فجر لند فوصلنا إلى إيفان آسرين

وذهبت أمي لشراء الملابس في يوم وصولنا؛ أما

أنا فتجولت في الأسواق مصنيماً لأحداث الدين

يسرون فيها فسمعت إشاعات كثيرة عن الحرب

وعن الواقع التي ينوي السردار أن يقوم بها ضد

الروس . وظهر لي أن هذه الحرب ستكون من أشد

الحروب التي اشتركت فيها فارس لأن عمال الأخيرة

كانوا يواصلون الليل بالنهار في صنع قنابل من نوع

لم يسبق صنعه في البلاد الفارسية

وخطري خاطر كدت أبداً في تنفيذه وهو أن

أطلب بواسطة الكنيسة من السردار أن يحمي قرانا

ثم حدثت أمي ومن معها إلى القرية ، وبقيت

للاتفاق على سائر المسائل التي لم يكن تم الاتفاق

عليها . وعزمت على أن أجبب بالقبول على كل

ما يطلب مني مهما كان التلوه فيه والسرف

ولما تكلمنا من المال وجدت مجلة ما يطلب مني

على أجزاء قد بلغت مبلغاً معضلاً فوافقت وأنا أفكر

في اقتراض البقية من شخص آخر غير الذي أزممت

الاقتراض منه إلى حد معين

ولكنني دهشت عند ما رأيت أبي يخرج من

جيبه كيساً من النقود ويقدمه لأهل العروس

ويناولني عشرة طومات وهو يقول لي : « إن رئيسي

قرية جالشيلا يرضى على ابنه بشيء في يوم غمرسه .

خذ هذا يا يوسف وقدمه لزوجتك زيادة على

ما اتفقتم عليه »

عند ذلك لم يسمي إلا السجود وتقبيل يديه

وتأثر حمي من موقف أبي وموقف فياركي

وقال لي : « إن الكنيسة الأرمنية فقيرة وإن رجالها

أشد فقراً؛ ولكن خذ هذا واشتر به شمعاً لمرسك »

وأعطاني عشرين عباسية فضية

وكذلك فل سائر أقراني حتى لم تعد ضرورة

ندعو إلى الاقتراض ؛ وزاد عندي من المال ما يكفي

للاتفاق مدة بعد القيام بكل النفقات المطلوبة . فشكرت

لهم وعزمت على السفر إلى إيفان وهو المركز الذي

تنبه القرية لكي أشتري منه الثياب اللازمة

لكنني كنت أجهل في البيع والشراء خصوصاً

ما كان متعلقاً بثياب النساء ، فعزمت على أن أأخذ

من أمي وأن أركبها حماراً وأن أسير على قدي .

ولكن للسافة كانت بعيدة ولا بد من النوم ليلاً

في أثناء الطريق فاحتمدت على أن أجد مصادفة

قريبين . وكان من المنتظر أن تدور حى الحرب فوق رؤوسنا

وكان صبرى يقل فى كل يوم وحى يزداد ولكنه كان من المحال إتمام الزواج فى هذه الظروف ولذلك كان على أن أصبر على كرههما ككفى الصبر مضى أسبوعان من يوم عودتنا ولم يحدث حادث جديد وكانت علاقتنا بمتيوقنا الروسين خسنة جداً . وكانت الروابط التى تربطنا بهم كثيرة فهم مسيحيون مثلنا ينادون عند الفزع الإلهى بتعبده ويشكرون عند النصر الذى نشكره ويصلون فى الكنائس التى تصل فيها ويشربون معنا الخمر وبجالسها كما يعلم شاربوها تقوى الروابط

وكان قائد الفرقة الروسية شاباً حسن الأخلاق شديد الرغبة فى معرفة أسوأنا وعوائلنا كثير الميل إلى محادثتنا فى كل موضوع نحب أن نتحدث فيه . وقد كلمته فى موضوع زواجى فأسنى إلى باهتمام شديد ووجدت فيه صديقاً صادقاً . وكان مما قاله لى : « ولماذا تؤخر الزواج ؟ أقبل نصيحتى وتزوج الآن فإنا إنما جئنا لنحبكم ولم نأتكم الفارسيون إلى الآن ما يدل على أنهم سيقدمون خطوة واحدة

ووعدتنى فضلاً عن ذلك بأن يقدم لروسمى هدية هي مقدم الذهب الروسى وبأن يبرئ جواده لأركبه فى يوم الزفاف ولم يكف بمحدثته من بل حدث أهل المروس فى هذا الموضوع فاقنعتهم بتسجيل الزواج وتحديد يومه بواسطته . ولقد كان اهتمامه الشخصى بإتمام هذا الأمر يكاد يثير ديبقى ويحمل على النيرة منه لولا أنه كان قبيح الوجه إلى درجة عظيمة فلا خوف من أن تبيل مريم إليه لأنه خير لها أن تحب قرداً بدلاً من أن تحب ضابطاً كهذا

الأرمينية . ولكن قليلاً من التفكير جعلنى على المدول عن هذا الحائط وقلت إن حاية الله وسيوفنا خير من حاية السردار وجنوده

وعدت أنا وأوى من نفس الطريق الذى ذهبنا منه ولكننا كنا أبطأ فى السير لعدم الحاجة إلى السرعة ولأننى كنت أحمل عبئاً ثقيلاً من الثياب . ولم يحدث لنا أى حادث يستحق الذكر حتى وصلنا إلى مرتفعات جافيشار فرأت أى خيمة فأشارت إليها وسألنى عنها ولم أكن إذ ذاك أفكر فى أى شيء غير المرس ومعداته فكان جوابى لها : « لعل أهل المروس سيقبضون لنا مادية فى هذا المكان »

قالت : « ما هذا القول يا يوسف ؟ هل جنت ؟ يظهر أن اروسين قد احتلوا قريقتنا » فلم أجبها ولما وصلنا إلى القرية وجدت ظناً كان سائياً فان فرقة صغيرة من الجنود الروسية قد احتلتها وأرثت كل أسرة فى المدينة أن تقدم الطعام لواحد من الجنود . ولما كانت أسرتنا أسرة الرئيس فقد كان ضيفنا هو قائد الفرقة ؟ ولقد كان من سوء حظى حدوث ذلك فى وقت المرس ، وقد شكوت أصرى إلى بعض أصحابى فى جوكلى التى لم يكن الروسون قد احتلوا ولكن أهلها شاركوا خوفنا لما علموا بما حدث عندنا

وقابلت مريم بالزعم من أن عوائلنا لم تكن تسمح بالتحدث معها فى الفترة ما بين الخطبة والزفاف ، ولكن الحب يتلب كل عادة ويتلب على كل المصائب قابلهما وتحادثت معها صراراً وكنت على وشك الجنون من حدوث هذه الحوادث التى من شأها تأخير زواجنا . وكانت القرائن كلها تدل على قرب حدوث نكبة عظيمة لأن الجيوشين المتحارين كانوا

أصحابي من الأرمن والاضباط الروس، وكانت الموسيقى
أماننا تمرز بألحانها الجميلة . ولما وصلنا إلى منزل
المروس أدبرت علينا المرطبات وودف علينا أهل
القرية جميعاً لتهنئتنا

ولما حان وقت عودتنا مع المروس إلى قرية
أبي ألبست المروس ثياباً حمراء من مفرق الرأس
إلى القدم . وأركبت جواد أبيها وسارحوها إخوانها
وأحماهم ووضعوا في يدها طرقات من حبل أمسكت
أنا بطرفه الآخر وأنا على جوادى وفقاً للمادة حتى
وصلنا إلى الكنيسة

وحسب للوكب كل من له علاقة به من قريب
أو صهر أو صديق وأن بعضهم شاة والبعض على
ظهور الخيل وكانوا يهتفون سامة ويغنون سامة

وكان عمي يقود هذا اللوكب . ولما وصلنا
إلى القرية وجدنا فرقة من الجنود الروسية في انتظارنا
كما أحمرها الضابط للتولي قيادتها وهو صديق الذي
رافقني في اللوكب ومشت أماننا هذه الفرقة
إلى الكنيسة فزادت موكبنا جلالاً وهيبه .

وكنت والمروس لازال محسكين بطرف الخيل
حتى بعد أن ترجلنا عن الجوادين . وألقي علينا
الأصدقاء الزهور والورد .

ثم ، وقفت أمام حريم ووضعت يديها في يدي
وقضت الكتاب المقدس فجعل بين رأسي ورأسها
ثم جاء القسيس وسألها وسألني هل يريد كل منا
أن يتزوج من الآخره فأجبنا إجابة القبول ثم أخذ
القسيس يترنل وأقيمت صلاة الرس .

ولما انتهت هذه الصلاة علا الغناء والانشاد
ودقت الطبول وصدحت الموسيقى . وكان ضوء
النهار في هذه الساعة قد تلاشى وبدأت الماصفة

وذا وجه كبير المظالم وحجرتين عظيمتين في مكان
عينيه ، كبير الأنث أفتاه ، هيئة وجهه كهيئة
البومة ، وكانت شفته العليا غليظة وفكها الأسفل
منثرا ودفقة رقيقة عذبة

قلت في نفسي : « حال أن تحب حريم مثل
هذا الوجه وهي أشبه بأن تحب محملاً فارسيًا من
حبها مثل هذا الروسي

ثم وازنت بينهما وبين نفسي فأرشيت غروري
بأن قلت إنني أجل منهما وإنها لن تحب غيري

قبل الزفاف بليلة أرسلت الثياب وغيرها من
الهدايا إلى قرية المروس في موكب يتقدمه الموسيقيون
وهم يكتفون في كل مدينة وكل قرية ، وقد أعارنا
الضابط الروسي طبسة من بطول الجيش زيادة
في إكرامنا

وبعد إرسال الهدية بإصات قليلة ذهبت إلى
تلك القرية لكي أخذ الهدية التي تهديها المروس
وفقاً لمواثنا

وكانت هديتي لي مسدسين مصنوعين في الفوزاق
وقد كانا محلوكن من قبل لأحد أحماهم وهو ضابط
في جيش الوالي الفارسي لتلك الولاية قبل أن يستولي
عليها الروس

وفي اليوم التالي وهو الذي كنت أعدده أسعد
أيام حياتي وكنت أنتظره بصبر نافذ استيقظ كل
أطاري ميكرن . وكان الجو يندثر بهبوب طاففة
والسواء بلبدة بالتيوم ، ولكن الهواء كان مستدلاً تقياً
لأن المطر الذي هطل في الليلة السالفة نفاه وطهره .

وأرسل إلى صاحبي الضابط جواده في ذلك اليوم
وابست ثيابي الجديدة ونحلت بكل ما أمك من
الخناجر والسدسات وعلب انخرطوش وسار معي

وسمنا أسواناً عتيقة ونجيباً خصبنا ذلك من هزم
الزعد . ولكننا عرفنا بعد قليل أنها أصوات آدمية
وسمنا وقع حوافر الخيل تدمر في الطريق
وكانت الكوة مسدودة سداً محكماً خوفاً من
الطر ولم أجسر على فتحها خوفاً من تسرب الساء
إلى الثرف ولكن سرعان ما سمعنا وقوع شيء ثقيل
فوق سقف الثرفة ووجدنا جانباً منه يسقط بجانب
الفرش ورأينا نور الساء يشعل الثرفة فصحت
بزوجتي: إن هذه صاعقة . وأسرعتها بالفرار من الثرفة
لتنجو ، ولكن قبل انقضاء لحظة واحدة حدث
انفجار في الثرفة فذهلت وحسبت أنني نقلت إلى
الجحيم ووقعت على الأرض في حالة إغماء ، وكل
الذي أذكره عن تلك اللحظة أنني رأيت نوراً يتفجر
وشمعت رائحة كبريتية ثم ساد سكوت عميق
لا أعرف كم انقضى وأنا غائب عن الحس؛ ولا
عاد إلى الشهور عاد بالتدرج . ولا تنهت وجدت
أنني لم أسب بجرح أو كسر وراجعت ذاكرتي في
الحوادث الثرية فذكرت زواجي كأنه حلم رأيته
في النوم أو قصة سمعتها ، وأسكنت فسمعت حركة
عظيمة اختلط فيها الأنين بأصوات الفرقعات
وصليل السلاح بالأصوات التي تحدث من تهديم
النازل . ولم أزل أحسب نفسي في عالم آخر حتى
ذكرني بالحقيقة صوت امرأة تصرخ وكان هذا
الصوت هو صوت حريم وقت لأري مصدر الصوت
فوجدت تراباً كثيراً قطعاً مشيرة من الأحجار
ملقاء فوق جسي فنفضتها وقت فرأت في الطريق
منظراً لا أستطيع وصفه لموه
وجدت رجلاً فارسياً يجري وفي يمينه سيف
مجرد مخضب بالدم وفي يساره رأس مقطوعة ، وكان

التي كانت منذ الصباح تنذر بالهبوب فتساقطت
الأمطار الغزيرة وهبت الرياح الموحاء وأرعد الرعد
وأرق البرق ، ومن أجل ذلك انتهت سرياً الحلقة
التي أقامها أبي الضيوف . وبعد انصرافهم قابلت
المروس فكننت بهذه المقابلة أسعد إنسان في الوجود
لست أعرف هل يجب أن أقف عند هذا الحد
من قصتي المزجة الرهيبة أم تريد أن أسمع ما حل
بنا بعد ذلك من التكبكات .

أريد قبل كل شيء أن تعلم أن مروسى كانت
جميلة مشرقة مثل كوكب الصبح طاهرة، بريئة مثل
اللائكة، وكانت تحبني أخلص حب وأنها؛ وأظنك
تقدر موقفي في هذه الساعة بعد إذ علمت أنني كنت
شديد اللقن من تأخر يوم الزواج ، وبعد إذ علمت
مقدار حبي لها ورغبتني في التزوج منها ، وبعد اعتباري
هذه الليلة أسعد ليلة في الحياة

ولكي تفهم حقيقة الحال يجب أن تعرف أولاً
أن البيوت في القوزاق وفي هذا الجزء من البلاد
الأرمنية يجعل جزء منها تحت الأرض لأنه ينحت
في بطها نحتاً بحيث أن الساكنين في الطرقات يسمعون
أن تحت الطبقة الأرضية التي يمشون فوقها عرفاً
من البيوت القائمة على الجانبين . وفي هذه الثرف
يقم أهل تلك البيوت . وكانت غرفتي في بيت أبي
إحدى تلك الثرف الأرضية وبها كوة على الطريق
تصلح باباً وتقوم مقام النافذة .

وكان من عادات الأرمنيين أن يدخل الزوج
غرفته قبل عروسه وتتولى المروس نزع حذاءيه
وجورديه ثم تطفى النور قبل أن تنزع ثيابها
وفي هذه اللحظة كانت المروس تهزم في الساء
وتحدث أسواناً خفية مزجة، وكان الشتاء يتدفق.

من الافتراضات التي أعلل نفسي بها غير أنني قد جئت
وعند ذلك فالتت من عيني الدموع التي كانت
لا تزال محبوسة ، وقت أمشي على مهل نحو المنزل
ورأيت الفلاحين في أثناء الطريق مجتمعين ذرافات
وهم يتحدثون همسا عما جرى بالأمس والخوف
يكاد يقضي عليهم جميعا . وكان كل منهم ينتظر أن
تحل به نكبة من النكبات

أما أنا فلم أكن أنظر شيئا منها لا اعتقادي أنه
لم يبق في الدنيا نكبة لم تحل بي وأنني لم أجد أحدا
من أهل باقي على قيد الحياة فلا زوجة لي ولا أب
ولا أم ولا إخوة ولا قريب أو صاحب ، وأن المنزل
الذي أسير نحوه قد أصبح أنقاضا مهتمة . لكن
خيالي كان متألجا في تصور الواقع قائمًا كد أقرب
من المنزل حتى رأيت أوى مقبرة محوى وعاطفتني
وقبيلتي وهي تبكي

ثم لا هدا روحها وروحي أخبرني أن أبي أسير
في جسمه ورأسه بجراح من انفجار المفرقات وأن
منزلنا قد هدم بمضه خصوصا غرفة الروس فانه
لم يبق بها شيء وأن الضابط الروسي الذي كان ضيفا
لدينا قد خرج عند ما حدث الانفجار الأول
فاختطفه جنديان فارسيان وأن أهل منزلنا فيما عدا
ذلك لم يصابوا بسوء

قالت ذلك ثم أدخلني المنزل فقدمت لي قوبا
من ثياب أبي . وبعد أن مدت أبي عزنت على أن
أبدأ في الحال بالبحث عن زوجتي واقتنمت بأن بعض
الجنود الذين هاجموا المدينة قد اختطفوها وأنها لا بد
أن تكون الآن في مدينة أريضان لأنها أقرب سوق
للرقيق وأخذت سبقي ومسدساتي وبنديقي
ووضعت في جيبي بعض النقود الفضية وودعت

بنير الظلام بين لحظة ولحظة وميض البرق وتمكنت
بواسطته من رؤية ما يجري في الطريق من مطاردة
الجنود الفارسية لجنود الروس ومن كان يؤوبهم
من الأرمن

ولم أعرف كيف ولا أين أبحث عن زوجتي
وكنت لا أزال أسمع بكاءها، وعمرت جسمي رعشة
لا خفت أن يكون أيتها هو أنين الاحتضار، وبالرغم
من أنني كنت في ثياب النوم فقد خرجت إلى
الطريق بحالة أشبه بحالات المجانين فرأيت على وبيض
البرق فارسين يجران ومعهما امرأة فتبعتهما ركضا
لأنني لم أكن أبالي بشيء غير زوجتي

ولما كان اتجاهاهما ساعة رأيتهما نحو الجبل فقد
سرت في هذا الانبعاث وأنا لا أراها ، وكنت حافيا
والأرض كثيرة الأحجار والصخور . وكنت عاريا
والبرد شديد والمطر ينهمل ؛ وكنت متسببا الجسم من
شدة الدهر ، ولكنني لم أزل أجري على غير هدى
حتى رأيت نفسي على قمة الجبل ، ثم أدركني السكالك
واشدت الجراح فلم أعد أستطيع الاستمرار في
الجرى الذي رأيته غير مجد ، فجلست باكيا متوجعا ولم
أفنى حتى سمعت في الصباح تفريد الدصاير وفتحت
عيني فرأيت الشمس مسفرة

وقلت في نفسي : « أين أنا ؟ ومن الذي جاء
بي إلى هذا المكان ؟ »

وكان الجو في ذلك اليوم جليدا ، وليس بالساء
ما يدل على حاصفة الأمس ، فلم أستطع تليل الحالة
التي كنت فيها إلا بأنها حلم من أحلام الشيطان

لكن إذا كان كل ما رأيته حلما فإن زوجتي
الحبوة ؟ هل هي لا تزال بالمنزل وهل تركتها فيه
وجئت إلى الجبل حافيا بثياب النوم ؟ إذن فلم يبق

وأنا لا أعلم شيئاً من مريم ولكنى كنت أعتقد أنها في قصره هناك وكان ذلك القصر مبنياً على صخرة عظيمة تحمها هاوية تفصل بين ذلك القصر وبين مجرى النهر

وكان على هذا النهر جسر وهذا الجسر هو الذى يصل البلاد التركية على أحد الشاطئين بمجران على الشاطئ الآخر

وكان القسم المخصص للسيدات فى هذا القصر مطلقاً على النهر وهو مميز عن غيره بما على نوافذه من الحواجز، وكنت لا أشك أن مريم موجودة وراء تلك النوافذ فوقفت على الجسر أنتظر أن تطل فأراها. وكنت أقول فى نفسى : « ماذا أستفيد إن أطلت على ؟ إننى لا أزداد بذلك إلا يأساً وحسرة » وكان مما يشبه المستحيل أن تنجو من هذا السجن أو تبقى على قيد الحياة إذا ألفت بنفسها من إحدى النوافذ المطلّة على الهاوية سوى أن تحت نافذة واحدة من تلك النوافذ شجرة يمكن أن تكون وسيلة للفرار ظلت فى مكانى أنظر إلى النوافذ وأطيل التفكير والتأمل وكنت أخشى أن يرانى أحد فتقع على شبهة فشيت على أن أعود عند انتهاء النهار

استمرت مراقبى للنوافذ أسبوعين كاملين ، وفى آخر يوم من هذه المدة رأيت نافذة مفتوحة ، وقد رفع الحاجز الذى عليها ورأيت امرأة تطل منها فاشتبهت فى أنها هى وانتظمت أنفاسى حتى ظهر لى أن التى تطل من النافذة قد عرفتنى ودنوت من المنزل قائلاً هى مريم ، وكنت إذ ذاك بالشاطئ الآخر . ولما مدت يديها نحوى لم أفكر فى المواقب بل ألقيت بنفسى فى النهر وسبحت إلى الشاطئ

فريقى منذراً ألا أعود إليها حتى أجد زوجتى وسافرت بخطى سريعة إلى أديفان سالكا إليها أقصر طريق . وفى أثناء الطريق وجدت فارسين فاستوقفتانى وسألانى عن نائى فلم أردت فى إخبارهما بالحقيقة عليهما يساعداننى على البحث عن زوجتى وقد عرضا على هذه المساعدة ولكن بأخشن لمجة مما دعانى إلى الشك والريبة

وكانا لقصتهما يضحكان من حزنى ويسخران من شدة اهتمامى وأفهمانى أنها إن كانت الآن فى منزل السردار بين الجوارى التى أسرن فإن كل جهد أبذه سينهض سدى

حدث الله إذ سمع لى هذان الشريدان بالدهاب وحذى فذهبت وكلى أمل فى الله الذى ابتلانى بهذه النكبة أن يجد لى مخرجاً منها أو يعلم قلبى صبراً وسلاوفاً

ولما اقتربت من المسكر الذى كنت قد رأيته أثناء ذهابى مع أى إلى أرتيان علمت أن السردار كان لا يزال فى هذا المسكر وأنه أرسل رؤوس الروسين الذين قتلوا فى قريتنا إلى للشاء لأن جلالته لا يقطع بنصر جنوده إلا إذا رأى هذا الدليل المادى وعلمت أن فى المسكر حركة تدل على شدة السرور بما فعلوه فى قريتنا كأنما كانوا يظنون أنه ختام للحرب أو أن هجؤهم فى الليل على قرية صغيرة يمد موقعة حاسمة . ولكن سرعان ما تغيرت الحال فإن هذا المسكر التقطى بنشوة السروق قد أعد المدة للتقهقر وجلا عن موقعه فى أقل من ساعتين حيث ظهر الجيش الروسى من جهة الحدود رحل السردار بجيشه إلى أديفان وتبته إليها

الدهاب بها إلى قريتي ولكنني عدت فذكرت
أنه لا بد لنا من عبور النهر أو الانتظار إلى الند
حيث يصاد الجسر الذي يرفع في المساء عادة لنمر
السفن . لكنه ما كان في وسعنا الانتظار حيث
كنا . وكذلك رأيت أن تقضى الليل في أتعاض
الكنيسة الأرمنية وهناك أقمنا حتى جئت ووجدتنا .
ولقد كان أمل كبيراً في عطفك ولست أستطيع
وصفك بمد الذي وجدته من رأفتك إلا بأنك
حامينا ومنقذاً فشكلنا لك من القلوب الخمسة التي
تنتظر هودتنا . ومهما كانت مهمتك والفرص الذي
جئت من أجله فانك كبير الرجولة وسندهم لك
بالرغم من كوننا على غير دينك دعوة يستجيبها الله
الذي يثيب على عمل الخير

« ينع » هير اللطيف النشار

الذي هي فيه ووقفت على حافة الهاوية تحت النافذة
التي تطل منها زوجتي المحبوبة

وتكرر مدعها ذراعها نحوى كأنما كانت
هم بأن تلقى بنفسها من النافذة فأثرت إليها
بالا تقبل وكدت أرفع صوتي بتنبيهها إلى ذلك
خوفاً عليها

وكان كلانا ينظر إلى الآخر نظرة شوق وقد
منعنا الخوف أن نتكلم وأن نهرب عما يبيح في
سدورنا من للشوق

وأخيراً رأيتها على حين فجأة ترفع بقية الحاجز
وتفتح المصراع الآخر من النافذة فبقيت في مكان
أنتظر النهاية ثم رأيتها تلقى بنفسها من النافذة فهبت
ولم تقو رجلاي على حلي وشردت نظراتي وفارت
عيناى في وجهي ثم رأيت جسمها معلقاً على الشجرة
التي تحت هذه النافذة فصعدت على الشجرة مدفوعاً
بدافع الغريزة لأنه لم يكن لدى مجال للتفكير . ولو
أن حيواناً في مكانى لما فعل غير ما فعلت ، وبذلك
أقنعت أعم مخلوق لدى

ولما أزلتها عن الشجرة جلست وإلها على
جانب حائط مهدم ، وكان كلانا ملسوب القوة ولكنها
كانت متخنة بالجراح من أثر الصدمة التي اصطدمتها
بفروع الشجرة . وبالرغم من أنه لم يتكسر شيء
من عظامها فقد كانت جراحها بالثة لأن بعض
فروع الشجرة قد شق ثيابها وجعلها في مواضع
متعددة وأضعفها ما نزع منها ضعفاً شديداً وكانت
مفقودة الرشد من الخوف والاعياء

وأخيراً آفقت وأدت باسمي فكنت في هذه
الحظة أن أجن من الفرح وعاطتها وقت أريد

مجموعات الرسائل

نباع مجموعات الرسائل مجلدة بالوشاح الأزرق

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

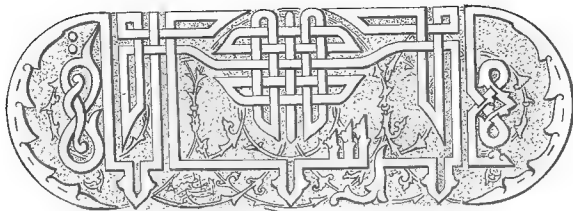
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قروشاً في الخارج عن كل مجلد

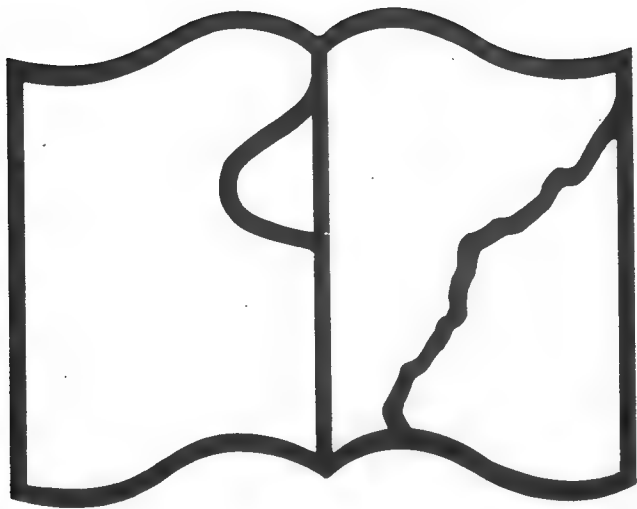


مَجَلَّةُ الْآدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْمِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْمِي فِي النُّشْءِ اسْأَالِبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِيِّ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجِلُ الْآدَابِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ سَوَاءً ، وَالْحَاجِجِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مِصْرِيَاءَ ، وَلِبَدَارِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْمُوعَةٍ ٢٠٪



Texte détérioré — reliure défectueuse

NF Z 43-120-11



صاحب المجلة ومديرها:
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل انترناشيونال
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن البند الواحد

إدارة
دار الرسالة بشارع البديوي رقم ٣٤
ماديدن - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرورية

مجلة أسبوعية للقصص والديناميخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ - أول فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٤٩



فهرس العدد



صفحة

٥٨	قصصية جديدة ...	ألفصوة مصرية ...	بقلم الأستاذ دويش خشة ...
٦٩	النافذة المفتوحة ...	من الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...
٧٢	الأراجوز الحزن ...	ألفصوة مصرية ...	بقلم الأديب نجيب مخلوط ...
٧٩	غزوة الجزائر البريطانية ...	للكتاب الانجليزي آرثر كونان دويل ...	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
٨٥	الأب التماكل ...	ألفصوة مصرية ...	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٩٢	مذ هبط من سمائه ...	ألفصوة مصرية ...	بقلم الأديب محمد طه الحاجري ...
٩٧	حامي بابا أصفهاني ...	للكتاب الانجليزي « جيمز مور »	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...

صُوفِيَّةٌ جَلِيلَةٌ

أَقْصُوصُ مُصَرِّتِي
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرِّي خَشْبَةِ

— لست أعظم ! جمال
الظاهر كماى شيء ؟
— كالسحر الذي ملأ به
عيونهم ، وحرارة الورد التي
تموه بها خدودهم
— وكأى شيء أيضاً ؟
— القوام الرشيق !
— وماذا أيضاً ؟

— والسيفان الخلدلية والأذرع التي تكاد
تتمدد من لين وطراوة ؟
— ثم ماذا يا شيخ عبد القوي ؟
— أسكت لحاك الله ... وماذا بعد هذا ؟
— بعد هذا ما يمد به يا شيخ عبد القوي ...
أيها الصديق الصوفي !
— معاذ الله أن أكون قد ضللت !
— أنت . ومن زعم لك أنك ضللت ؟
— حسبتك ظننت هذا !
— كلا أيها الصديق ... لكني أطمع في أن
تكلمني بأسرح مما فلت ... أفى الحق أن الله
قد خلق أكثر جمال الظاهر كما ترحمون فتنة لعباده
المتقين !

— أنا أعتقد هذا
— إذن أنتم تؤمنون أن الله يريد للفتنة ؟
— معاذ الله أن يريد شرّاً بالعباد !
— أليس قد خلق أكثر جمال الظاهر فتنة لنا ؟
— هو بلاء غيب !
— إذن نحن غيرون
— الله خلقنا وما نصنع ! ؟
— من خير أو شر !

— آه يا صديقي الشيخ عبد القوي لو رأيتهن
مرة واحدة ! مرة واحدة يا صديقي الشيخ
عبد القوي ثم تسمى هذه الصوفية وذلك النقشب !
— فاك لأنني إن فلتت ألقى بزماي للشياطين
أمثالك !
— أ تستطيع أن تحسد لم خلق الله النساء ؟
— خلقهن لمار هذه الدنيا يا صالح !
— ولم خلقهن جيلات رائعات فائنات ؟
— ليبار عباده ، فمن سلم منهن سلم في دينه
ودنياه ، ومن أغوينه خسر الدنيا والآخرة
— إذن أنتم يا معاشرة التصوفة ترحمون أن الله
خلق الجمال للنوايا !

— ليس الجمال كله ... أرجوك !
— جمال النساء غيب !
— وليس جمال النساء كله !
— جزء من جالهن فقط ؟
— هو ذلك
— وهذا الجزء ، أأكثر الجمال هو أم أقله ؟
— أكثر جمال الظاهر
— جمال الظاهر ؟
— أجل ...

- قل كل من عند الله !
— هذا هو الذى لا تفهمونه من كلام الله ...
لترك هذا... وجمال الباطن ، ماذا تصيدون به ؟
— جمال الروح
— وكيف تكون الروح جميلة ؟
— الروح التى تفزع من الألم
— هذا هو الجانب السلبي ...
— وتصبر عنها الكرمات
— أحسنت ! والروح التى تفزع من الألم ،
هل تحسبونها تفزع من جمال المرأة ؟
— قل جمالها الظاهر أرجوكم ! أجل ، إنها
تفزع من هذا الجمال الخبيث فزعا شديدا
— ألا تتفق معي أن مثل هذه الروح تكون
روحاً شريرة ناقصة ؟
— ولماذا تكون كذلك ؟
— لأنها كلما رأت جمال المرأة الظاهر نفرت
وقرنته بالشر ؟ ولو أنها قرنته بالخير ، ومجدت الله
الذى خلقه ، لكان خيراً لها وأكثر إيماناً بالله !
— .. ؟ ..
— أراك لا تستطيع أن تتكلم ، وأنت تريد
أن تفعل ؟ !
— ولماذا هذا الحوار الطويل عن المرأة ،
ألا يوجد فى الدنيا غيرها ؟
— بل يوجد غيرها كثير ... فمى تريدنى
أن أناقشك ؟
— أنا لم أعترض على مخلوقات الله مثلك ،
فتكلم أنت !
— وهل حشبتنى اعترضت على مخلوقات الله
يا صديق ؟
- وهل تريد أن تتكرر ذلك ؟
— إني أنكره لأنى لم أفعله !
— ألم تترض على الصوفية والتصوفة ؟
— لقد سألتك عن أشياء لم تستطع أن تفرع
حجتي ، أفيمكن ذلك اعتراضاً منى ؟
— إننا يا صديق قد طلقنا هذه الدنيا ثلاثاً ،
ونحن أحرار نصنع ما نشاء
— وكيف تطلقونها وقد اعترفت أن الله أراد
عمارها ؟
— أنا اعترفت بهذا !
— ألم تعترف ؟
— أبداً ، أبداً ...
— إذن يريد الله خراب الدنيا !
— أليست الساعة ستقوم ؟
— سوف تقوم ما فى ذلك ريب !
— أليس فى قياسها خراب الدنيا ؟
— إنها تكون قد انتهت إلى الأجل الذى
أجلها الله إليه ، وإلى أن يبعث سوف تظل طامرة
جيلة ناضرة !
— آه من عمارها وجمالها ونضرتها !
— وما عليك من ذاك يا عبد القوى ؟
— طوى لمن يخلع عنه بردها الزائف بإصالح !
— وكيف يخلع بردها ولماذا ؟
— إنها دار الضرور يا أخى !
— أنا أسألك كيف يخلع المرء بردها ولماذا
يخلعه ؟
— يخلعه هكذا ... إليس كما إليس أنا ...
ذاك الصوف الخشن وتلك النمل المخصوصة ، وهذا
الطروش الذى ليس له زر ... و...

— ما ضر الدنيا من عبادة الأصنام !

انصرف صالح لشأنه ، وأقام عبد القوى ،
أو الشيخ عبد القوى زعيم متصوفة القرية ، يفكر
في هذا الحديث الطويل الذي جرى بينه وبين صديقه
من ظاهري الجبال وباطني ، وعن المرأة من وجهة
نظر المتصوفة ، وعن الدنيا ... والتكشف ...
والشعر الرسل واللبس الخشن ... والنمل
المخسوفة ... ثم هذه المكحلة وتلك المذبة التي
هي فضل منديل العمامة ...

ولكنه كان يعود من كل أفكاره إلى التفكير
في المرأة ، فكانت أفكاره فيها عابداً إلا كما يخطف البرق
لقد نى عليه صالح أن المتصوفة يمدون المرأة
مدوم الأكبر لأنهم يزعمون أن الشياطين تتخذ
من مفاتها سموماً تصيد فرائسها ... وصالح يقول
إن هذا زعم خاطئ ، لأنه يقرن جمال المرأة بالشعر ،
ولو قنوه بالغبر لكان أسلحاً لأرواح الناس ،
ولقربت الدنيا أن تكون جنة ، ولهربت الأبالسة
من حياتنا ...

فكرة طيبة ، وهي أقرب إلى حكمة الله من
هذا النظر الأسود إلى أحسن مخلوقاته التي اختصها
بالجمال ، واستودعها الرقة والندوبة والطلاوة والسحر
ووفر في قلب الشيخ أنه لم يستطع أن يدفع
حجة صديقه صالح في فساد رأي المتصوفة في المرأة ..
وكان يحزه ذاك أول إحساسه الخفي بالهزيمة ، وقد
رأى يسيء تصويره كيف أخنت هذه التصورات العجيبة
التي شادها الوم في وجدانه الصوفي تنهار وتنقض
وتسحق وتصبح ركناً

— وماذا أيضاً يا عبد القوى ؟

— وترسل لحبتك وشعر رأسك حتى تكون لك

وفرة ولثة وفواحب

— ثم ماذا ؟

— وتكون لك سحرة كبيرة ومكحلة

— ولماذا المكحلة ؟

— لا تكون سوفيا إلا بها !

— لقد جملت المكحلة للتجمل والزينة ، أليس

كذلك يا صديقي الشيخ ؟

— كلا ... كلا ... إنها تقاليد يا صالح !

— لا ... لا بد أن تفسر لي أعزاءكم المكحلة

وتشبهكم بها !

— وهل ذلك في استطاعة أحد ؟

— ليس في استطاعة أحد أنت يفسر

أعزاءكم المكحلة ؟

— هذا محال يا صديقي !

— ولماذا يكون محالاً ؟

— مثل المكحلة مثل هذه المذبة التي ترى !

— لقد كدت أسألك عن أمر هذه المذبة

لماذا ترسلونها على أفتيككم هكذا ؟

— هي أيضاً من تقاليدنا معاشر المتصوفة

— ما أحسبها إلا من بقايا الوثنية التي تندس

في طبائع الناس دون أن يشعروا ...

— وثنية ! نحن لسنا وثنيين يا صديقي !

— ومن قال إنكم وثنيون يا عبد القوى !

— وما بقايا الوثنية التي أدمست في طبائنا إذن ؟

— هذه المكحلة التي تأخذون بها أنفسكم

وتلك المذبة ، والنمل المخسوفة

— وماذا خربك من ذاك ؟

— حل من حديثه في قلبي أنه يعبرني بأنتا
مماشر التصوفة تقرر نظرا إلى ما ظهر من جمال
المرأة بالشر ، ولو أننا قرنا هذه النظرة بالخير لكان
خيرا لأرواحنا ، ولطردنا الأبالسة من حياتنا وبذلك
تصبح الدنيا جنتنا الأولى ...

— كلام جميل ، بيد أنه مُخْطَب ... أو ...
ممسول !

— أما إنه جميل فهذا رأيي فيه ... ولست أدرى
كيف يكون خليا

— إن الذي قال صالح هو ما تقول يا أخى
— نحن نقول بالذي يقول به صالح أيها الشيخ
— هو هو !

— هذا عجيب !
— وما مجبه ؟
— وأى خير تقرر به جمال المرأة ؟ ألم نلاحظ
عدة الشيطان ؟

— لماذا الله أن يكون ذلك ؟
— إنك تحيرني يا سيدي الشيخ !
— وكيف ؟
— أليس أول ما يأخذ به الصوفي نفسه هو

الحذر من المرأة ومن الدنيا ؟
— هذا حق !

— إذن فلم نبحث ما ظهر من جمال المرأة ؟
— نحن لا نبحث جمالها ما ظهر منه وما بطن !
— يا سيدي وأنت مع ذاك كبير من مشايخ
الصوفية ؟ !

— بل أنا أكبر مشايخها قاطبة ! ! اسمع
يا عبد القوي ، إننا معاشر للتصوفة نحب الجمال
ونهم به ونفنى فيه ، وجمال المرأة هو أبرز صورة من

ولقي بعد ذلك شيخا من أجل مشايخ الطرق
فأعتم أن أثار السئلة بمخاضها ... وكان قد نسي
القرار الذي لم يكن منه بد في تناول هذه المسائل ،
والتي يزعم التصوفة أن الغلوض فيها كالغلوض في
حديث القضاء والقدر ، لا بد فيه من الاحتراز
والاحتباس إن لم يفضل فيه التسليم كل التسليم
ولحظ الشيخ الجليل في عهده هذا التبدل الذي
يخرج بالصوفي عن أصول المذهب ، فشده أول
الأسر ... ثم علم أنه الشيطان قاتله الله قد استطاع
أن ينفذ إلى قلبه ، وأن يسيل من هناك على لسانه ،
فقال له :

— أى حبيبي عبد القوي ، ماذا دعاك ؟ إنك
تتحدث بما لم نمهد فيك !

— حمرك الله ماداهاني شيء ... إنما هو حديث
جري بيني وبين صديقي صالح ، لم أستطع أن أورد
عليه شيئا مما قال

— لا بد أنه كلك في المرأة وفي الدنيا وفي الذي
نحاربهما به من الجفوة والتعسف !
— أوه ! ... لقد حصل كل هذا ، فهل حدثك
مثل ذاك الحديث ؟

— كلا ولكنني فهمت ذلك من سياق حديثك
— وماذا ترى إذن في الذي حدث ؟

— أرى أنه حتى يؤدي إلى باطل
— حتى يؤدي إلى باطل ؟
— أجل يا أخى !

— وكيف أيها السيد ؟
— أنساني كيف ؟

— إني والله إني أسألك
— قل لي أولا ماذا حل من حديثه في قلبك !

- لكنا الدنيا ... لكن نظرنا إلى جمالها غير نظرة
سوانا من الناس ... إن الناس ينظرون إلى المرأة
بين تنقذ شهوة وقسوة ، أما نحن فننظر إليها
لنمجد الله ونقدس أسمائه . ونحن حين نحشى المرأة
لا نخشاهم لأنها عدوة لنا ، بل نحشى أن نفتن
ونزل ونقع في حبائل الشيطان الذي أقسم ربنا أن
يقعد لعباده طريقهم المستقيم ... فنعن نستفيد
بأنه من الشيطان إذا وقع بصرنا على المرأة ، ليس
لأنها عدوة لنا ولكن لأن الشيطان هو عدو لنا ...
ونحن ننظر المرأة كأننا ننظر الدنيا التي غلاها بالفاسد
والعاصي ، ولو عقل بنو آدم للأوها بالطاعات
والخيرات فتكون جنهم الأولى كما زعم لك صديقك
صالح ... ولكن ...
- ولكن ماذا يا سيدي الشيخ !
— ولكن ... لي ملك كلمة بعد الذي قلته لك !
— تفضل !
— أستطيع يا عبد القوي إذا أنت نظرت إلى
المرأة - غير حاق طبعاً - أن تجعل نظرتك للخير
لا للشر ؟
- وكيف لا أستطيع ؟
— هذا ما أشك فيه !
— وهل تستطيع أنت يا شيخنا الجليل !
— أنا دائماً أجاهد نفسي
— ولماذا لا أجاهد نفسي أنا أيضاً ؟
— هنا تفاوت نفوس الصالحين ... ولذلك
قلت لك إن كلنا صالح حق يؤدي إلى باطل يا صديق !
— وكيف أيها الشيخ ؟
— لأننا لا نستطيع دائماً أن نقرن نظرنا
إلى المرأة بالخير ... هذه مرتبة الملائكة التي أعيت
أكثر البشر
- لكنا ...
— لكنا ينبغي أن نحارب في نفوسنا الهيام
بالمرأة ...
— ولذلك ...
— ولذلك أرسلنا شعورنا وأعفينا لحانا وآثرنا
لبوس الصوف الخشن والنمل المخصوفة والهندام
الجاني ...
— ليتك جادلت صالحاً ... ليتك جادلت صالحاً

لم يدع عبد القوي هذا الرجل المتصوف المتقشف
الزاهد بعد ... لقد تبدلت حاله ، وصار كلما تذكر
المكحلة والنمل المخصوفة والسبعة والوفرة والدواب
يلعن هذه الأيام التي حرم نفسه فيها من مباحي الحياة
لقد شك أول الأمر في قيمة هذه الأسلحة
التي يتخذها المتصوفة ليظهروا في ذلك المظهر الخشن
الجاني بحجة أن هذه أحسن وسيلة لاذلال النفس
وقهر الشيطان ... وعجب لماذا لا تكون الأناقة
والمظهر المهذب والنظافة موانعاً للمرء على ضبط
النفس واكتبال أديها ...
- لا ... لن تكون لي هذه السبعة الكثرة ،
ولا ذاك المظهر الزري ... لتذهب المكحلة والسبعة
إلى الشيطان ... لماذا أهد صلاتي وتبديعاني ؟
أفضل ذلك لأحسب ربي ؟ أم أتحذ السبعة شاراً
ومظهراً ورثاء الناس ؟ لن يفتنى ظاهري إن لم يكن
لي وازع من باطني ... إن هذا الطربوش الذي
ليس له زر تدجيل وشعوفة ، إن لم يكن على الناس
فعل نفسي ... لقد خلق الله الدنيا وجعل فيها من
كل شيء ، فلنملأها بشراً وخيراً ولنملأها سلاماً
وإنساناً ... ليكن كل ما فيها جيلاً فقد خلقها الله

لا يثبت إلا من أعين المؤمنين الصالحين الخاشعين ،
الذين لا يستمتعون على عبادة الله بغير أبدانهم وحرمان
نفوسهم ، ولكن يستمتعون على تقديسه بالاندماج
الطاهر في الدنيا التي برأها وأبدع فيها الكائنات

وذهب صرة إلى قرية قريبة في عمل له ، فسمع
الناس يلهمون بذكر رجل تقى ورع قوام الليل
سوام للدهر عزوف عن الدنيا ، تكفيه السمسة
إذا أفطر ، والزبينة إذا نعل ، ونبتة الماء إذا غلى ...
لا يحرك لسانه بهجر ولا يرفع عينيه فيمن يكلمه ...
يعطيل الركوع ويخضع في السجود ويسبغ الوضوء
ولا يفتر لسانه عن ذكر الله والتسبيح له

وعرف أن الرجل يتخذ صومعة في منعرج
قريب تحت حجرة باسقة عند شاطئ النيل ، فهو
يمثل الناس فيها فلا يلقاهم إلا لاما

واتوى الشيخ عبد القوي أن يزور هذا الرجل
الصالح حتى أن ينغمه الله بقائه ، أو أن يقف منه
على سر عزله واستيعاشه ... ولم يشأ أن يصحب
أحدًا ممن عرضوا أن يذهبوا معه إلى الشيخ الصالح
بل شكرهم وآثر أن يذهب إليه وحده ... لأنه

يرى من تجاربه أن الوحدة هي الطريق إلى البوح ،
ثم هو يعلم أن التأمل والاتحاد بالمالم لا يتلفهما
إلا فضول الناس والتأثرة التي هي فطرة في ألسنتهم
فا يقلعون عنها إلا قليلا

وخرج الشيخ عبد القوي من مسجد القرية
بعد صلاة المشاء ، وتسلل من الناس ثم اتخذ سبيله
إلى شاطئ النهر

وكان الليل قد نشر طيلسانه فوق الكائنات ،
والقرية توشك أن تهجع إلا من بناح الكلاب ،

جميلة ... لماذا تبدو في هذا المظهر الأشعث الأغبر
لنذل أنفسنا وتؤذيها بالقر ، وكان خيرا لنا أن
نأخذها بالكرامات وحيد الخصال ... إن السبع
لا يزداد بالقائمة إلا شراسة وشماسة ... وهو بالين
والموادة يسلس وينقاد ويطأطيء لروضه ... إنما
يبنى أن أذكر دائما أنني في نضال مع نفسي ...
لن أتركها تنتصر على ... لن أدع زمامها للشيطان
ولكني لن أأخذها بالخشونة والقر مع ذاك ... كلما
لقيت امرأة قلن أنظر إليها بشهوان ولا فسوق ...
إن المرأة الجميلة تحفة راتمة من صنع الله فيبنى
ألا تدنسها بانظارنا الشريرة ... والدنيا مثل المرأة
فيجب أن نغلاها بهجة ... إن اشتهاؤنا للمرأة هو
مثل اشتهاؤنا للدنيا ... الأول يدل على قصص في
طبائنا كلما حاولنا إرواءه من النساء تضاعف ثم
تضاعف حتى يجرنا ... والثاني يدل على طائفة من
حيونا من أبرزها الجشع والطمع والاتقاء والذل
المقيم لمطالب الجسد من طعام وشراب وكساء ...
ونحن أمام هذين ننحط إلى مراتب الحيوان الأحمق
وننسى فضائلنا ...

وهكذا استطاع الشيخ عبد القوي أن يرسم
هذه الصوفية الجديدة ... وهي صوفية ممنوعة سامية
لم يزخر على نفسه بلوغها بتأثر الشر وفوائده ،
ولا بهذه البهانة التفضاضة من الصوف الخشن ،
ولا بتلك النمل المصوفة والسبعة الهائلة
وصرت الأيام ...

وبدا عبد القوي يبين الناس قتي أتيق البزة
رشيح الهندام نظيفا ، لا تحمل ذقنه إلا شمرات ،
ويثبت من عينيه هذا البريق العجيب الجميل الذي

يفنى في سمواتهم بهذه العبارة ، وهم يرددونها بعده
لذلك كلما سمعوها ،

وبرز رجل من كهف فجأة ، وأخذ هو أيضاً
يقول في إرتسيبج الكروان : « اللهم مالك الملك .
لك الملك .. وأنت صاحب الملك .. »

وتلفت عبد القوي فأذا حياه رجل أشعث أغبر
قد أرسل لحيته حتى تهدلت فوق بطنه ، وانتشرت
فوق ظهره ذوائب بيض كالندف ، وهو مع ذلك
أصلع عريض النكين ، ويده هراوة كبيرة كأنها
هراوة نوح أو عصا موسى

ثم صرخ الرجل صرخة مدوية ، وأخذ يترنح
يمنة ويسرة وهو يقول :

« الله — حى — الله — حى — الله — حى —
وكان يقولها في تلك النشمة اللوسيقية المروفة
التي وقع بها المنشدون أذكارهم ، ورتلون
على جرسها أورادهم ...

ووقف عبد القوي مكانه باهتا صامتا مسبوها
لهذا الشيخ التمرد الذى انشق عنه بطن الأرض
فبرز يشوه جمال الطبيعة بصوته الأجش ويحتمه
المنكرة ، وإنشاده المختنق ، ويكسب صداً حشرجته
موسيقى القمر وغناء الكروان

— السلام عليك أيها المؤمن !

— حى — الله — حى — الله —

— اللهم لا حول ولا قوة إلا بك !

— الله — حى — الله — حى !

— الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... رويدك
يا أخى وترفق بنفسك

— حى حى ... حى حى ... حى حى ...

وإلا من فاك لضوء المريض التنبث من دكان البقال
الذى يبيع الناس ألف صنف مما يحتاجون
ما أعد رهبة الليل في صروج الريف ؟

لقد كان خربير الماء التندق في التيل يمت
الرب في قلب الشيخ عبد القوي حتى لقد فكر
في أن ينشئ إلى بيت مضيقه ، ويقذف إلى الشيطان
زيارة هذا الشيخ الصالح الذى أدنزل العالم تحت تلك
الصفصافة البعيدة كأنها في عالم وحدها ...

وكان الظلام المماس يسل عفاريته في الهواء
الرطب فلافتأ ترقص فوقاً كوام السباخ وشواخص
القبور للقرية .. لكن عبد القوي استماد بالله وتتم
بآيات من القرآن .. ثم ذهب لا ياب بهناويل الليل
واقترب من الجزيرة ... فأرهف أذنيه حسى
أن يسمع تسبيح الشيخ الصالح المتكف نحة ...
بيد أنه لم يسمع شيئاً

وكان القمر قد أخذ يرسل أذنته السوداء
في الأفق الشرقى ، فيختلط الضوء النحاسى بفحمة
الليل ...

ومن وراء أحراج التلخل البعيدة ، ظهر البدر
الشاحب فاهتزت السكائنات خاشمة لهذه الآية من
آيات الله القدير ... ووقف الشيخ عبد القوي هو
أيضاً يفكر في خالق الأرض والسموات ، ويرمق
النهر الجبار الأبدى يجرى كأنه نهر الزمن لا ياب
للتوانى والمفائق والساعات .. بل الأيام والهور .

وأرسل الكروان المصرى الجليل شدة في هدأة
الليل السامى ، فقال الشيخ عبد القوي مه « اللهم
مالك الملك . لك الملك وأنت صاحب الملك ... »
والفلاحون في ريف مصر يزعمون أن الكروان

- أجل ... أنا أهرتك ... أهرتك من
 زمن طويل !
 — ومتى عرفتني وأين ؟
 — قل لي أولاً ... لن أجيئك حتى تقول لي :
 — أقول لك ماذا ؟
 — أين لميتك الضافية السابقة ؟
 — لحقي ؟
 — أجل ... لميتك التي كانت أطول من هذه !
 — حلقها !
 — وله ؟
 — لقد كانت تضاني !
 — والكحلة ؟
 — استنيت فيها
 — والسبعة ؟
 — فرطت عقدها !
 — ولماذا آثرت هذا المندام الأنيق ؟ هل
 صبات ؟
 — معافاه أن أفضل ! ألا تخبرني من أنت إذن ؟
 — أنا ؟ ... أنا عبد الله !
 — عبد الله من ؟
 — ولماذا تلحف ؟
 — أحب أن أهرتك ...
 — لا حول ولا قوة إلا بالله ! سبحان الذي
 بدلنا يا عبد القوي !
 — سبحان من بدلنا كيف ؟
 — إذن ... قاهر أنني ... خدّن شبابك
 ورفيق صباك ... صالح !
 وخطا عبد القوي نحو الرجل خطوات ثم أخذ
 يرت على كتفه يمينه ، والرجل مع ذلك كأنه
 يتدول الساعة يهبط هنا ثم يهبط هناك
 ثم جذب عبد القوي جذبة قوية فتوقف الرجل
 ثم حلق فيه بصره وقال :
 — إتن الله ... لماذا تجذبني هكذا ؟
 — أعتذر إليك إن أكن قد أسأتك
 — ولماذا آيت إلا أن تقطع عليّ تأملاتي ؟
 — أنا ؟ أنا قطعت عليك ... أي تأملات
 يا صاحبي ؟
 — تأملاتي في خلق الله ؟
 — لقد كنت تتأرجح وتعيد وتهتز ، أهذه
 تأملات ؟
 — أسكت ... لحالك الله أيها الشيطان !
 — من ؟ أنا ؟ ... أنا شيطان ؟
 — أنت أكبر الأبالسة !
 — معاذ الله يا صاحبي ... ليس هكذا يكون
 خلق الرجل الذي انقطع لعبادة الرحمن
 — من أنت ؟ هه !
 — أنا ... أنا عبد من عباد الله سميت إليك
 لأزورك
 — ما اسمك ؟
 — ولماذا تريد أن تعرف اسمي ؟
 — أنت عبد القوي ؟
 — هل تتبنا ، أم أنك تطلع النبي ؟
 — لا هذا ولا ذاك ... لكني أهرتك !
 — تعرفني ؟

- قال ذلك وكأنما ساخت قدماء في الأرض ، ثم
 نشج نسيجاً مؤلماً ... واستعبرت عيناه ... ثم
 استخرط في البكاء ...
- ماذا ؟ هل تبكي ؟ ... ويك ... ؟ أنت
 حقاً صالح ؟
- ... ! ... !
- لا حول ولا قوة إلا بالله !
- أجل يا عبد القوى ... أنا صالح يا صديقي !
 وهذا حال !
- مسكين أيها الرفيق !
- أين أنت أيها الأخ طيلة هذه السنين ؟
 ليتني ... ولكن ...
- ليتك ماذا ؟ ... لماذا قطعت كلامك ...
 قل ...
- لا أجسر !
- لا تجسر ؟ ولماذا يا أخي ؟
- أخشى أن تنخسف الأرض تحتي !
- أترك يا صديقي هذه المواجهات التي تستمر
 في قلبك فإله ولينا ...
- ليتني يا أخي سرت في الحياة سيرتك ...
- أية سيرة يا صالح ؟ ...
- سيرتك الأولى التي كنت أعجبها عليك !
- سيرتي الأولى ؟
- أجل ... سيرتك الأولى التي كنت تستعين
 عليها بلحيكتك ومبجحتك ومكحلكتك وهراونتك
 وسوفتك الجاني الخشن ونسلك المخصوصة النليظة !
- أنت تحيرني يا صالح ...
- لا ... لست أحيرك ... أنظر يا أخي ماذا
 أصابني !
- إن كنت تشتهي أن تكون مثل في الأيام
 الخوالي ، فإليك الآن أشد رهابة وأكثر تشقفاً ...
 فم تشكو ؟
- أشكو أنني لم أكن كذلك قبل أن أعترض
 عليك !
- لقد كنت تعيب هذا الظهر على ، فما الذي
 جعلك تؤثره على ما أحل لنا الله من زينة هذه
 الحياة الدنيا ؟
- أوه ! ... لا أستطيع ... لا أستطيع !
- لا تستطيع ماذا ؟
- لا أستطيع أن أحرك بذلك لساني !
- هو سر رهيب إذن ؟
- رهيب جداً يا صديقي !
- مسكين !
- مسكين جداً
- لكنك تمنب نفسك بالكتمان أضفاف
 ما تنبها بالبوح ... تكلم ...
- هذا حق ... لكنني لا أستطيع ...
- تخيل لي أنك عصيت الله مصيبة كبيرة !
- أوه ...
- ولذلك فانت تخجل من الكلام !
- كل ما تقول ...
- صحيح ! أليس كذلك ؟
- أجل يا صديقي !
- لكني أعذك أن أكرم ما تقول ، وأن

جعلتني شيئاً آخر... لقد ضاعت كل نظراتي التي
كنت أبدها بها فلا تستطيع لها رداً... لقد
كنت أقول لك، لم لا تترن نظرتنا إلى المرأة بالخير؟
لم لا ننظر إليها فنبدد الله وندس أسماءه؟ لماذا جعل
من جمالها شرّاً مستطيراً تتجنبه وتتوقاه؟ لم تستمعون
يا معاشر التصوفة على إذلال أنفسكم بإرسال مشورك
وأعفاء لحاكم والصوف الخشن والنمل المخصوصة؟
إنكم تشبهون خلق الله الذي شاء أن يجعله جيلاً
موتقاً وتأيون أنتم إلا أن تجعلوه بشماً كريهاً...
هكذا كنت أقول لك.. وهكذا كنت أني عليك!
وأأسفاه! لبتى كنت مثلك يا عبد القوى... لبتى
أرسلت لحيتي وأعفيت شمري وأذلت نفسي بما أذلتكم
به نفوسكم.. لا.. لقد ذهبت أدل بشيائي وأنيه..
وأشدد بنظرات فارغة ما جعل الله لها سنداً من
الحق، وإن جعل لها رواء وإن جعل فيها طلاوة!
لم أستطع يا أخي أن أسبر على حبها الذي غزبا
قلبي وعصف بنفسى، وزلزل وجداني... إذن،
لقد نازلتها... ولم تمتص طويلاً على... فقد
صديتها في شرك محكة من كلات النزل الملول
وأهات الهوى المشتملة...
وسهرنا الليالي...
وتبادلنا التبل...
ثم.. سقطنا!
وضقت بها وبفضي حيناً جاءها الخاض... ماذا
أصنع؟! طونتها... لكن، لأنجو من جرمي...
لأقلت من الجريرة...
ثم فردنا إلى جبة نائمة. وفي الطريق. وتحت جنح
الليل، جلسنا تحت صفصافة حيث وضعت!

أعينك على بلواك إذا استطعت!
— أنقسم لي؟
— أنقسم لك
— إذن... لقد قتلت...؟
— قتلت؟
— أجل يا عبد القوى! أجل يا صديقي!؟
— قتلت من؟
— ولدي...؟... ولدي...
— ولماذا أيها الرجل تقتل ولك؟
— ألا تعرف لماذا؟ لقد أتيت به من سفاح
يا أخي!
— آه... جريرة تله جريرة...
— لقد خدعتني نظراتي في الحياة يا أخي!
— كلا... لقد كنت أنت اللبيب في احتناقي
هذه الصوفية الجديدة الهذبة يوم هتيت بالرد عليك.
لقد كنت على حق يا صالح، ولم تكن قط على ضلال
ولكن لم تخدني كيف سقطت هذا السقوط!
— أوه؟ هذا خدبت شاق يا أخي!
— ليس شافاك كما تتصور... أوه... لقد تبت
على ما يبدو... لم إلى كهفك المسجون تسترح به
وكان القمر قد أطل وارتفع، وأرسل أضواءه
ملء الكون... وكانت البرايا كلها قد أرهقت
أفانها تصنى للحديث وتتلقفه... أليست هذه
مأساة الجميع؟ أليس يبيب الانسان أمراً ثم يتردى
فيها هو شر منه؟!
— عرفتها يا أخي راية الاهاب موفورة
الشباب... لقد كانت فينائة كالزهرة تتيق بالحب
في فؤاد كل من نظر.. حيناً رنت إلى قلبت كياني..

- يا لله ... ربي ؟ لقد وسعت رحمتك كل شيء ... مسكين يا بني ؟ ... ليتني أقيمت عليك وأعترفت بك وذهبت فداك ... لقد خفت يا بني أن تفضحني حينما سمعت أول سيحنتك في هذه الدنيا المنكودة فلم أبال أن أبض على رقبتك وأخفك ! لماذا يا ربي لم أمت قبل أن أفعل هذا ؟
- مسكين يا صالح . والفتاة ؟ ماذا صنعت ؟
- لقد كانت تبكي على ولدها
- أهذا كل شيء .. ؟
- لا إنها طلبت إلى أن أقتلها
- هل فعلت ؟
- أجل يا صديقي
- وواريت سوء نيتها ؟
- بل ألقيتها في ...
- أين !!
- في هذا النهر ... آه ... آه ... إنه ينظر إلى ... إحمي يا عبد القوي إحمي يا صديقي ... إن اللبيل يفرقاه ليبتلني ! إني أسمع صياح ابني وآلام حبيتي ...
- مسكين ! ومن يدري ؟
- ومن يدري ماذا يا أخي ؟
- لا شيء ... ولكن ... خبرني يا صالح ...
- ماذا ترجو بعد ذاك من الله ؟
- أرجو مغفرة يا أخي ! إلى أسوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !
- وهل ذلك يكفي لو فعلته ألف سنة ؟
- وماذا أصنع ؟ لقد مجزت عن حرب نفسي
- وما حصلت منها شيء مما يروى الآن
- إن كنت تطمع في مغفرة الله
- فافذا أصنع يا أخي
- فلا يكفي أن تحيا حياتك هذه !
- وكيف ؟
- يجب أن يقع عليك اللقصاص الذى أمر الله أن يقع على أمثالك !
- أوه ! لقد فكرت في ذلك ... !
- وما الذى عاقتك أن تفعل ؟
- خفت أن أقتل نفسي !
- لو قتلت نفسك لكانت جريمة رابحة !
- إذن ...
- تعلم نفسك لولى الأمر !!
- وربى ضربة

آلام فرتر

للساهر الفيلسوف جيمز الانجلى

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طلبة تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعنا ١٥ قرشاً

- مسكين ! ومن يدري ؟
- ومن يدري ماذا يا أخي ؟
- لا شيء ... ولكن ... خبرني يا صالح ...
- ماذا ترجو بعد ذاك من الله ؟
- أرجو مغفرة يا أخي ! إلى أسوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !
- وهل ذلك يكفي لو فعلته ألف سنة ؟
- وماذا أصنع ؟ لقد مجزت عن حرب نفسي

كنت من الذين تصاب أوتار
الصوت عندم بالشلل عند رؤية رجال
البوليس

وكان هذا الجندي طويلاً جداً
عريض الأكتاف قوى الجسم
والنظرات أحمر الشعر مهبب العظمة في
نظري على الأقل ، وكان ينظر إلى

القضاء كما أكثر رجال البوليس حيناً يرون سارقاً
أو قاتلاً لا يستحق التشريف ينظرون إليه

فلما اقتربت منه رمقني بنظرة كمنظرة علماء
المشروبات تحت الجهر فلاحظت زرقة عينيه واتساع
ذقنه وبرزها

ولم يكن من عادتي دعوة رجال البوليس إلى
الاشتراك في حديث : أولاً لأنني أخشاهم ، وثانياً
لأنني قصير القامة نحيل وأعد من الأمور الهينة لي
أن أقف ثانياً رأسي إلى الوراء لأتمكن من مشاهدة
العائقة الطوال ، لكنني الآن تحت تأثير الخمر وجدت
في نفسي ميلاً إلى تحية هذا الجندي لا لأحدثه ،
ولكن لأتق عليه السلام ثم استمر في طريقي . وقد
يكون هذا الليل من جانبي مظلماً واضحاً من مظاهر
الخلوف .

قلت : « سمد صباحك ! » فأجابني الجندي
وقد سر من تحييتي إياه سروراً كأن يحاول كتابته :
« سمد صباحك ! »

قلت وكنت لا أريد أن أحدث ولا أن أقاخره ،
ولكن لأشرح علة وجودي في الطريق في مثل هذه
الساعة : « لقد كنت مدعواً إلى وليمة فتأخرت
للآن » فنظر إليّ الجندي نظرة طويلة وقال :

« وهل أنت من سكان هذا الشارع ؟ »
قلت : « نعم في المنزل رقم ٢٨ » فأشار لي الجندي

النافذة المفتوحة

عن الأنجلو
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

وقفت لحظة في منتصف من شارع « كريكت
جراوند » لأشمل غليوني وأشكر نعمة الله عليّ أنني
غير متزوج ، لأنني في حياة العزوبة استطعت أن
أقضي هذه الليلة السارة ساحراً إلى منتصف الساعة
الخامسة صباحاً فأشهد ظلمة الفجر في اليوم المقبل
الجميل من أيام شهر يونيو . وكنت إذ ذاك في طريقي
إلى المنزل بعد وليمة عيت إليها في بداية الليل فتتممت
بالطعام الشهى وبالشراب التقي . وكنت رجلاً
كسائر الرجال غير خال من الهم ، في ليلة كهذه
تفريج عن النفس وسرور ومثمة قلما ينسيان بعد
عدة أعوام . وفضلاً من مسرات هذه الليلة فقد
اشتركت فيها في لعب القمار فكان حطلي حسناً
وفوق الحسن

ثم مشيت وأنا أنفسي طروباً مرحاً ولكن لا تحسب
أنني كنت أرفع صوتي بالقضاء في مثل هذه الساعة
فأنا قن راحة التائبين لأنني كنت أوفر أدباً من ذلك
بل كنت أغني بصوت رقيق لأرضي عاطفتي التي
بشمتها في نفسي نشوة الخمر ونشوة الكسب في القامضة .
وإني لأعترف بأن تأثير الخمر في نفسي كان شديداً
جداً وإن كان لم ينسني إلى ذلك الوقت طريقي إلى
منزلي ولم يسلبني قوة التفكير

ولما وصلت إلى شارع « لا بورنم » رأيت جندياً
من جنود البوليس فاحتبست الأغبية في حلقى لأنني

النافذة في هذا الوقت. فلما وقف الجندي أمام الباب قلت له : « إذا كان بالنزل اس واحد ساعدتك عليه؛ وإن كان به لسان قبضت على واحد وأنت على الآخر وإن كانوا عدة لصوص استمعت في على الاستجداد بمجنود أخرى »

فلم يجيبني الجندي ولكنه دفع الباب فوجده مفتوحاً ودخل فدخلت وراءه بشير دعوة . وكنت في أثناء سيرى أراقب الأثاث وقد أعجبني بناء المنزل ولم يجيبني لأنه فقلت للجندي : « هذا فراشي رث وإن منزل إحدى الخدم لأفضل . . . » فلم يدعني الجندي أنم جلتي بل زجرني بلفظة حادة ونظرة أشد إزعاجاً لنفسى ، فلزمت الصمت وتبتمته إلى الشرقة التي رأينا فيها النافذة المفتوحة ، فافا بها مكتب المستر تروول ؟ ولحت أدراج مكتبه مفتوحة وأسرى الجندي بالوقوف في مكاني وتقدم هو :

وكانت هذه أول مرة خالفت فيها أوامر البوليس لأنني لو بقيت حيث كنت لما تمكنت من رؤية الجسم الممدد على الأرض ، وتبتمت الجندي قرأيتها

قال الجندي : « أهذا هو المستر تروول ؟ »

قلت : « نعم هو وأرى رأسه ماثلاً بشكل غير طبيعي. فقال الجندي : « إن رقبته مكسورة ولا بُدَّ أن يكون الذى لواها قد فعل ذلك من وقت قريب » قلت : « إن الذى فعل ذلك قد أراح الدنيا من شرير كبير ، ولا شك أن كثيرين سيفرحون عند ما يصل إليهم هذا الخبر »

وقلت : « نعم فقد كان الرجل مراهقاً يتر في وقت عمله أموال الساكين ويتجر بالقضائى ليحاول الكسب أيضاً عن طريق التشهير بالناس وإذاعة أسرارهم » فقال الجندي : « هل كان الرجل سيئاً إلى هذا الحد ؟ »

إلى المنزل الذى أسامه وقال : « وهل تعرف القيم في هذا المنزل ؟ » فنظرت إلى منزل جميل صغير للساحة له حديقة أنيقة وقلت : « نعم هذا المنزل رقيم ؟ يقيم فيه المستر « أليك تروول » هل تحب أن تعرف به ؟ » فقال الجندي : « هل هو صديقك ؟ »

قلت : « إنه ليس صديقاً لأى إنسان » فتأمل الجندي في المنزل لحظة ثم قال : « إننى أستغرب بقاء هذه النافذة مفتوحة في مثل هذه الساعة » وأشار إلى نافذة فقلت : « إن نظرك كمنظر الصقر ولكن لا أظن أن من حق أحد أن يسأل المستر تروول عن فتح نافذته »

قال الجندي : « هذا صحيح ولكن هذا وقت غير مناسب لفتح النوافذ وأظن أنى رأيت النافذة مغلقة ساعة صرحت بالنزل منذ عشرين دقيقة »

فقلت : « إن المستر تروول رجل شاذ ولا يبعد أن يكون قد تمهد فتح النافذة الآن ليستنشق نسيم الفجر في هذا اليوم الجميل »

فتأمل الجندي في وجهي لحظة وقال : « يظهر أنك تعرف الشيء الكثير عن هذا الرجل فكيف مع ذلك تقول إنك لست صديقه ؟ »

فقلت : « لقد أخبرتك بأنى لست صديقه وبأنى لا أظن له صديقاً في العالم؛ ولو أنى خيرت بينه وبين كلب أمور أخرج لهجت في الحال لأشتري طوقاً للكلب . إننى لست صديقه ولكنى أحره كما يحره عدد كبير من الناس »

قال الجندي : « أهذا وصفه ؟ إننى على كل أرى فتح النافذة الآن أسراً خريباً » ثم عاد إلى النظر نحو النافذة ومشى مسرعاً نحو منزل المستر تروول مشيت وراءه لأنى لم أكن متوجلاً في الذهاب إلى منزلى ، ولأنى كنت مثل الجندي أستغرب فتح

السرى وقدمت لى ابنها فوجت ساعة رأيت وصاحته دون أن يفوه كالآب بحرف

وانتهزت فرصة غلوت به فقال : « لا تذكر شيئاً لأنى عن سابقة لقائك لى فانى لم أخبرها »

وكان ابن خالى هذا هو الجندى الذى اجتمعت به فى منزل القنيل

ثم صارحته فقلت : « لقد عثرت ساعة كنت تتسكلم فى التفتون على زر من أزرار سترة عسكرية تحت ذراع القنيل فوضمت فى جيبى وهذا هو » ثم أريته إياه

وقلت : « وقد نسيته بعد ذلك نظراً لحالة السكر التى كنت فيها . ولكنى تنبته له بعد انتهاء القضية . وأظنى فهمت بعض الشيء »

فانقسم ابن خالى وقال : « هو زر سترى وأنا الذى قتلته ثم عدت إلى الوقوف فى الطريق متربحاً رؤية سكران مثلك برىء لأستشهد به على ملاحظتى رؤية النافذة المفتوحة واستكشاف الجريمة . ولكنى لم أكن أريد قتل هذا الرجل بل أخذ أوراق عنده لأنه كان يهدد أى بالتشهير بها لأن لديه خطابات منها . وكانت أى تسكنه بالمال حتى لم يبق لديها شيء منه فذهبت لأحصل على تلك الخطابات ولكن الرجل كان ضيقاً فلم يتحمل تهديدى ومات بين يدي ، وأتذكر أنك حدثنى من قريب لك اضطر إلى الاستدانة منه ثم سرق بسببه ليوفى باقى الرأب المضاعف منها . أنا هذا القريب . وقد تطوعت فى خدمة البوليس من أجل هذا الفرض .

وعلى الرغم من أنى لم أكن أميل إلى الاجرام فلم يسعنى إلا تهنية ابن خالى على قتله هذا الشرير وعاهدته على بقاء سره مكتوماً . وقد كتمته حتى مات ابن خالى بعد عدة أعوام

عبد الطبيب النشام

قلت : « نعم ولو لم يقتله قاتله القيلة فانى أعرف نحو خمسين من غير الجرمين يودون لو يقتلوه ؟ ثم هم مستعدون بعد ذلك لتحمل جزاء القتل لى كى يرمحوا العالم منه . وقد علمت أن شاباً من أقاربى اضطر إلى الاستدانة منه وكان هذا الشاب لا يزال صغيراً جداً فلم يزل يدفع من أقساط الدين ما بلغت جلته نصف ما استدانه ، ولكنه ظل مديناً بعد ذلك بجزء كبير من الرأب . وضايقه « ترول » ليضطره إلى الوفاء فاضطر هذا الملائس إلى سرقة مال من المصنع الذى كان يشتغل به ووفى دينه ، ثم هرب لما وقعت عليه الشبهة ولا يزال أهله يبحثون عنه فلا يجدونه من نحو عشرين عاماً

وكان الجندى يصنى إلى قصتي باهتمام ثم خطر ببالى خاطر فقلت : « لعلنا بالتحدث الآن عن حياة هذا الوغد نفعل غير الذى ينتظره القانون من رجلين استكشفا جريمة فى الساعة الخامسة . ألا نستدعى الطبيب ؟ » فقال الجندى : « هل تعرف مكان التفتون ؟ » فأشرت إلى غرفة الجلوس وذهب وأصرنى بالبقاء حيث أنا حتى يعود .

أخذت القضية مجراها فلم تهتد النياية إلى شيء وقضت بأن القاتل مجهول

وبعد بضعة أسابيع وصل إلى كتاب من خالى فى بلدة قريبة فى الريف تدعوى فيه إلى مادية ، فساغرت وكنت قد علمت قبل ذلك أن ابنها النائب منذ عشرين عاماً قد طرد من أمريكا فجلت غرضى من إجابة الدعوة أن أهنئها وأرى ابن خالى الذى أوقعه سوء الحظ فى شبابه فى نكبته تلك التى اضطرته إلى الفرار

وتلقتنى خالى بالثاق وعرفتنى بسائر المدعوى وكلمهم من على القوم الذين كانوا أصدقاء لزوجها

ولكن هيات أن تكفى هذه
الكلمة للدلالة على ثروته، فهو
يملك خمسة آلاف فدان في النيا
ونصف مليون من الجنبات
تقدأ في البنك الأهل، وحمارة
النياوى الشهيرة بشارع الملكة
فازلى بالقاهرة. هذا غير الأسمم

الإبراهيم الخبز

أقصوصة مصيرية
بقلم الأديب نجيب محفوظ

والسندات مما لا يعلم عده إلا الله
فصاح الشاب وقد تملكته الدهشة :
— يا سلام سلم
فقال الشيخ مبتسما :
ألا تعلم أنه الآن حميد أحرق أسرة بالنيا ؟ ...
هو الابن الوحيد للمفقور على على باشا النياوى الذى
كان وزيراً للأوقاف، وحفيد حمد باشا النياوى أحد
النظار في نظارة نوبار باشا
ففيها الشاب عن عهده لحظة ثم قال متسائلاً :
— والظاهر من خطابه أنه متعلم
فأمن الرجل على قوله قائلاً :

— إنه حاصل على شهادة الحقوق المصرية .
وعلى أعلى شهادات فرنسا في القانون . والحق أن العلم
والمال من بعض تراث أسرته البريقة ...

وانتهى عند ذلك الحديث وودعه الشيخ وذهب
إلى حال سبيله . وأجس الشاب برغبة في الشئ بعد
طول الجلوس في السراقد المكنت ، فسار إلى غير
وجهة مملومة ينتقل من طريق إلى طريق كيفما
اتفق، وخواطره تحوم حول الشاب السعيد وما قاله
عنه الشيخ إبراهيم . وانتهت به قدسه إلى محطة
النيا . وعند اقترابه من بابها الخارجى وقفت أمامه
سيارة غمة ، وفتح بابها وإذا بالخارج منها الوجه

كانت المرة الأولى التي رأى فيها عبد الرحيم
افندى جاد الكاتب بنبابة النيا الأهلية الوجه السرى
محمد بك النياوى في الاجتماع الانتخابى الذى أقيم
للدعوة لبك الوجه . رآه واقفاً على منصة الخطابة
بأقى الخطاب الختامى فأنشأ على من تقدمه من الخطباء
والشراء الذين أخطبوا تواضعه ، وشرح برنامجه
الانتخابى الحرى بأن يصلح أمماً برمتها شرعاً مسهباً
في أسلوب خطابى رائع قوبل من ألوف الحاضرين
بالتصفيق الحاد والمهافت التواصل ، ولكن عبد الرحيم
افندى لم يؤخذ بمنطقه قدر ما أخذ بجمال وجهه
الفتان ، ولم يتعمس لبرنامج الانتخابى بعض تحمسه
لشبابه الفض وقافته للكلمة وقوته البادية . وانفض
الاجتماع وغادر المكان وخياله لا ينى ينشبت بصورة
الشاب الجليل ، الذى لم تقع عينه قط على إنسان يعاذه
حسناً وشباباً وقوة . وكان يسير إلى جانبه الشيخ
إبراهيم سليم المعلم بالمدرسة الإزلامية وهو شيخ
متقدم في السن قضى من عمره ستين طويلاً في النيا
فقال له :

— مرشح دائرتنا عظيم لا نظير له بين الشباب ،
وتبدو عليه النعمة ... هل هو غنى ؟

فقال الشيخ إبراهيم :

— غنى ! ... نعم يا بى غنى وما غنى إلا الله .

لحوم وطيور وعاكة . وإن أراد شرباً فله ما يشاء
من ماء اللبل وماء فيثي والكونياك والشمبانيا .
وإن أتى إلى مشاهدة فالأرض جميعاً من الأسكندرية
إلى البندقية ، ومن سويسرا إلى اسكتلندا تفتح
له ذراعها وتمتد ... فيا للقوة ... ويا للحرية ...
ويا للسعادة ...!

رباه ... وما نصيه هو من الدنيا ...!

وحين خطر له هذا السؤال علت شفثيه ابتسامه
ساخرة صريرة .

ما هو إلا هيكل نحيل ، شاحب اللون ، غائر
العينين ، بارز الفكين ، متهاق البنيان ، يستقبل
الفصول الأربعة بيذلة واحدة لا تبدل حتى يباس
منها الرغام ينكش فيها شتاء كمصفور يتق البرد
تحت غصن شجرة خار ، ويشوي فيها صيفاً في جو
الصعيد الحاقق ... وهو ابن جادرسوان البائع البائس
بمحل عطارة الماوردي بالتورية ؛ والله وحده يعلم من
هو رضوان حيد ، فلو كان شيئاً يذكر ما أتى أبوه
على ذكره استلزاماً من الصمت الأليم . وأما تزوجه
فهي ستة جنهات شهيرة برسل منها لوالده ثلاثة
لتسنيه على معاش أسرته المكونة من عشر أخوات
وعمتين . فهو على يؤسه وفقره ليس الابن الوحيد
لجادرسوان ، وإن كان محمدبك النياوي الابن الوحيد
للي باشا النياوي . وبقى له ثلاثة جنهات يدبرها
حياته من مسكن وما كل وملبس . وإن كان يدين
لشيء غير هذا فهو القول المدمس والطمية والطياطم
والجبن الرومي ، فهي غناؤه طول أيام الأسبوع
إلا يوم الجمعة جملة عيداً بهيجاً فيذهب فيه إلى
« لوكانة الأحرار » ويطلب أرزاً ونصف رطل
كباب وضغفاً من الحضر تشتت حيرته عادة قبل
(٢)

محمد بك النياوي وفي صحبته عادة هيفاء مياسة
لقد ، بأدية الفتنة ، وهبها الله عينين ساجيتين جمع
فيهما ما وزعه على عيون الحسان النواي من الفتنة
والروعة . وكانت ترتدي مطفأ أسود ويزين وجهها
البرقع الأبيض الشفاف الذي تتمسك به سيدات
الأسر التركية النبيلة ؛ فأحس بقلبه يكاد يقفز من
صدرة ، ولبت مكانه واقفاً ذاهلاً غافلاً عما حوله
حتى غيبتها عن عينيه الساهيتين باب الحطة . ثم مضى
ثانية في سيره وهو لا يشك في أنه رأى الوجه
مع زوجه

وشعر عبد الرحيم بفهر غريب لا يجده
إلا المظلومون المظلوبون على أصرم . وخال الدنيا عدواً
يتكبر به ويتشقى منه . فأحس نحوها بكراهية صريرة
وعرد مكتوم لا يجيد منفذاً بنفس منه من كرهه .
وانطوى على نفسه كأنه يرغب في مقاطعتها تعالياً
عليها . والحق أنه يصجز كل الدجز أن يصلها صلة نجمل
له فيها قيمة أو شأن . وتساءل متكرراً غاضباً : كيف
أمكن أن يوجد السكال على الأرض ؟ ... كيف
فعل الدهر من هذه السعادة للتناحية ؟ وكيف
جهلت الأحزان الطريق إلى هذه الجنة الآمنة ؟ ...
ألا من عيب يشينه ؟ ... ألا من نقص يتوره ؟ ...
جمال لم يكتس بثله وجه رجل من قبل ، وسمحة لم تمتنع
بثملها جسم إنسان ، ونسب يرد غفراً وتبهاً كلاً
أوغل في الماضي المجيد ، وثروة لا يحيط بها حصر
ولا يفنيها الدهر ، وزوجة تسير السعادة بين يديها
سير الشماع النير بين يدي الشمس السافرة . ومستقبل
بأس مشرق بالآمال يبشر اليوم بالنبأية وغداً بالوزارة
والدنيا جميعاً طوع لإشارة من يده . تطليه ما يشاء
حين يشاء ، فإذا اشتوى طاماً فدونه وما يحب من

وتساءل : ترى هل يوجد في هذه الخليقة من يشعر
بآلاى ... ؟

ولكن كانت السماء جامدة متعالية ، والأرض
صلية خرساء ، والناس منشغلين بهمومهم . فأحس
بمزلة قلبية موحشة . وخلال نفسه ميتاً في قبر مظلم ،
وغاد إلى حجرة الكليشة كاسف اللبال ، تنطوى نفسه
على غيظ قاتل . وثورة جاعحة وحسد أليم ضاعف
أثقال حياته ، وجعلها سلسلة متصلة من الغضب
والسخط والتبريم

والواقع أنه كان مقدراً له أن يرى من حقائق
الدنيا أعجب مما رأى . واستطاع وهو جالس إلى
مكتبه الحقيق أن يطلع على أسرار حسنها عقله الشاردة
الثانية أعجب ما في الدنيا من عجائب ...

أند كحادثة الصراف حسين عارف الذى اختلس
عشرة آلاف من الجنيهات منذ شهر ؟ لقد اتضح
للمحققين أن التهم تمت بصلة القربى إلى الوجه
محمد بك النياوى ، فطلبوا إلى نيابة الدنيا إجراء
اللازم للاطلاع سرأى على الخطابات الواردة للبك من
جميع أنحاء القطر لمل وعسى أن يمتروا بينها على
خطاب من اللص الحارب يهددون به إلى المنطقة
التي يلوذ بها . وكانوا قد شددوا الرقابة على الحدود
فندا اللص محصوراً داخل القطر هرصة لقيد
البوليس في أى وقت . وعلوا لذلك أنه ربما دفنه
الخوف واليأس إلى الاستئانة بقرية ذى النفوذ ...
وكان الأمر خطيراً ، لأن انتهاك حرمة
الخطابات إجراء لايحاً إليه المحققون إلا في ظروف
قاسية دقيقة ، وزاد من خطورة ما يتمتع به البك
من منزلة سامية في البيئات الماليلة والأوساط
السياسية . وعرضت النيابة المسألة على القاضي ،

اختياره ... ومن الغريب أن نفسه كانت تهوى
الحركة والتنقل والمغامرات البعيدة ، وتبرم بالعمود
والجمود ولون الحياة الذى لا يتغير ولا يتبدل ،
ولكنه لم يعلم بمواقع البلدان إلا في كتاب الجغرافيا .
وأن له أن يراها وكامله يتود بالقرى وسلاسل الوظيفة
الرهقة التي تسليه وقته كله وتحم عليه أن يكون
رهن إشارتها آتاه الليل وأطراف النهار ؟ ... ولقد
ما يمزجه الحرمان ويقتله التبريم . ولقد ما تتوزع
قلبه للشهوات وتثبت به الأحلام والأخيلة ، وكم من
مرة يكون جالماً إلى مكتبه بدار النيابة ، ثم يثمد
عقله لتغيب عن حنيه الأوراق والدفاتر ، ويخال
الدكتيب مائدة طعام حفلت بما له وطاب من فرائح
عطرة ولحم مشوى وفريك بالحم والبطاطس والرز
والملبية والبغلاوة والكنافة . أو يستحضر له خياله
صوراً قاتنة مما علق به في الطريق فيرى صدره تاهداً
أودعاً قتيلاً أو لحظاً كيلاً أو ساقاً ممثلة . وربما
جذبته الأوهام إلى وديان بعيدة فيخلق لنفسه دنيا
على هواه ويتدمج فيها اندماجاً كاملاً ويستسلم
لأحلامها السعيدة ويظل كالنائم حتى يستيقظ على
نداء زميل أو دعة جوع ...

ولكنه كان على كل حال يسلّم — في أوقات
يقظته — أنها دنيا خيال لا تتحقق على الأرض
أبداً ، حتى رأى النياوى بك ، فأمن بأن تلك الدنيا
التي حلم بها لنفسه تحققت في عالم الحقائق لنيره .
ورفع ما كان يظنه ممجزة

وحين انتهى من هذه الموازنة النعمة بينه وبين
الشباب الوجهة نهد من صدر ثقيل ، ونظر فيما حوله
إلى السماء والأرض والبيوت والداكين والسابلة ،

وأذن القاضى للنبابة بفحص الخطابات بعد اقتناعه
بوجهة نظر المحققين ...

وكان عبد الرحيم يتتبع سير التحقيق باهتمام شديد . فلما انتهى إلى تلك النبابة نهى ارتياحاً وأحس بفرح أنهم أن تتاح له فرصة الاطلاع على خطابات محمد بك الخصوصية . أليس هذا انتقاماً شافياً من الذى خلقته الدنيا عدواً له وغريباً ... ؟ واستطاع بالفعل أن يطلع على الخطابات التى وردت للبك فى فترة التحقيق ، وكان مرسلوها إما من الأصدقاء أو التجار أو بعض شباب الحزب الوطنى ولم تكن تحوى شيئاً ذا بال، ولكن أرادت المصادفات أن تكتب إلى البك أمه فى تلك الفترة خطابين غريبين قد ينسى عبد الرحيم اقتضى ماضيه وحاضره قبل أن ينسى مدلولها . وقد جاء فى الخطاب الأول بعد القدمات الممهودة ما يلى « ... أخبرنى الدكتور بأنك لا تنفى باتباع نصائحهم وتعاليمه العنانية المرجوة، وأنتك تنهون أحياناً كثيرة فتأكل ما تشبهه نفسك وربما باططات عن تجديد الأدوية؛ وقد يبلغ بك الاستهتار ألا تتماطلى الحقن فى مواعيدها المقررة . والله وحده يعلم بما أحدثه كلام الدكتور فى نفسى من الحزن والأسف . لآنى أدرى خطورة السكر وضغط الدم وخاصة إذا اجتماعا . فخذ حذرك يا بى العزيز ولا تهمل صحتك واتبع بدقة تعاليم الطبيب مهما كانت قاسية ، فلا تذق اللعوم ولا الصلصة ولا المواد الدسمة ، وامتنع بتاتا عن تناول النقويات والحلوى ، وواظب دائماً على تماطلى الهواء عسى الله أن يبقيك شراً للرض ويسون لى ولك شبابك . واذكر دائماً أن أى إهمال لتعاليم الدكتور هو بمثابة قضاء أبدي على بالحزن والألم »

وأما الخطاب الثانى فكان مختصراً لا يشغل إلا التطفل ويدل على تخرج كاتبه ولكنه كان عظيم الدلالة وقد جاء فيه ما يلى « ... لماذا تشكو دائماً يا بى العزيز .. لماذا تكتب لى دائماً هذه الكلمة التى ينفر منها قلبى أشد انفرور: (ليت الله يأخذ ثروتى ويهبى السعادة) والحق أقول لك أن قلبى لا يسلم بوجهة نظرك . وأنا على كل حال أمك ، وبحق لى أن أقول لى فى هذا الشأن على الأقل أعظم منك تجربة ومعرفة، لذلك تلمعنى نفسى بأن التوفيق بينك وبين قريبتك ليس أمراً مستحيلاً كما تقول وتؤكد . فأرجو أن تترتب قبل أن تخطو تلك الخطوة الأليمة التى لم تنكب بها أسرتنا من قبل . وإنى أقرح عليك أن تنفصلاً مؤقتاً عسى أن يبوب كل منكأ إلى رشده ويدير أمره بما يصون كرامته ويحقق له السعادة . » ولبت عبد الرحيم زمناً لا يدري كيف يصدق ما طالت ميثاءه ، ولا كيف يفتق من الدهشة والحيرة اللتين استولتا على عقله . ومضى يتسائل تسائل الحيران هل حقاً أن ذلك الشاب الذى رآه منتصباً كالطود على منصة الخطابة عليل سقيم ؟ وهل حقاً أن مرضين ويبلين يهدان شباباً للفض بالقبول والثناء ؟ وهل حقاً أنه مضطر إلى الزهد الأبدى فى أطياب الطعام والشراب ليدفع عن نفسه غائلة الهلاك ولا ضحلال ؟ ولن خلق نعيم الدنيا إذن مادام يمز على الفقر ويؤذى النقى القادر ؟ ... أليكون وهو الضيف التهاك الذى لا يستطيع أن يتقى شراً أو يدفع بلية أسح منه بدناً وأكل عافية وأهناً حياة .

إنه على أى حال لا يشكو مرضاً ولا يبانى مر السواء وألم الحقن . نعم إنه لا يستطيع أن يأكل

شكوى البك أن الزوجة هي المتجنية عليه .. فهل جنت هذه الشابة الحسنة فهي لا تبصر ولا تنقل ؟ كيف لا تحب هذا الشاب الكامل ؟ . وإذا لم تحب محمداً بك النياوي فمن عسى أن تحب من الرجال ؟ .. وبدت له هذه الأسئلة التي راها المبريون غاية في التفاهة والابتذال أنفاً مستعصية على كل حل ومحاجبات خارقة تمدل المعجزات ، وتوهم عقله المريض الذي أنهكه الحرمان أن هذه الحقائق دليل على الانتقام الإلهي من الأخيلاء . فالدنيا تطعيم مالاً وجاهاً والله يسومهم سوء العذاب والمرض ، ولكن لماذا لم ينف الفقراء من ضريبة الشقاء والعذاب ؟ ومهما يكن من الأمر فإن عبد الرحيم لم يشعر نحو غيره بشيء من الرحمة أو الإثراء ، وعلى العكس من هذا وجد في شقاءه شقاء لحفده وسخيمته وعزاء من حرمانه وقهره ...

وقد التقي في ذلك الوقت بالشيخ إبراهيم سليم فأدنى إليه بالسر الزهيب وقال له دهشاً وهو يضرب كفاً بكف :

— أنظر يا أستاذ إلى محاجبات الدنيا !

ولكن الشيخ إبراهيم هز رأسه استهانة وقال برزائته المبهودة :

— ألم تسمع يا بني بالقول الحكيم : (لو اطلمت على النيب لاخترتم الواقع) وهأت ذا تطلع على خبيثة أكبر الناس حظاً من حسد الناس فكيف تحبده أحق بالثناء مني ومنك . . . أليس كذلك ؟ فتغلب طبع الشاب المريض عليه وقال بمجدة :

— كلا يا شيخ إبراهيم . لست أقل منه شكوى أو شقاء . بل إن شقاءه يهونه للسال أما شقاؤى فلا يهونه شيء ، أتقول اخترتم الواقع ؟ ... كيف

ما تشتهي نفسه ولكنه يتناول يوم الجمعة ما لا يستطيع أن يذوقه البك الوجبة إلا ويمرض نفسه لشر المرض وقدره . وقد نتاح له فرص سيدة فيدعي مع موطنى النياية إلى ولائم وأخيرة لنسابت الترقى والملاوات فيأكل بشهوة نهمة ويشرب بشراهة مفترسة غير متعرج ولا خائف حتى ينتفخ بطنه ويفقد التلظى والقدرة على الحركة .

يا محمداً ! ما فائدة المال ؟ .. كيف لا يقي صاحبه شر المرض والخواف ؟ . . . وكيف لا يشفيه إذا أصابه سوء ؟ .. كيف ينسل حزن من أحزان الدنيا إلى بيت تتمر خزائنه الذهب والفضة ؟ ...

على أن ذلك جميعه بدا لناظره قافها إلى جانب الحمجية الأخرى التي يدل عليها الخطاب الثاني وتسامد في تهيب وخوف وعدم تصديق ترى هل يفرق شقاق بين قلبى الوجه الثرى والثناة الحسنة التي رأها تخطر إلى جانبه كلاك كرم ؟ .. ياله من تساؤل سخيف بعيد عن التصور . ومع ذلك فما الذى يدل عليه خطاب الأم الثانى ؟ ... وياه ..

أى شيطان ما كرا استطاع أن يسي بالفساد بين هذين الخلوقين الجميلين ؟ ... أيطمع البك في امرأة تفوق زوجه حسناً وجمالاً ؟ . أم تتوهم الزوجة أنه يوجد بين الرجال من يفوق زوجها شباباً وثراءً ومكانة ؟ .. فما الذى عكر صفوحهاهما وجعل البك بجار بالشكوى ويصارح أمه بأن التوفيق أصبح مستحيلاً ؟ ما الذى جعل البك المجنون يتمنى الفقر الذى لا يفقه معناه ويهذه في ماله وجاهه ؟ ..

واشتدت به الحيرة وغلبه القهر ومضى يضرب أخماساً لأسداس ... ترى أيهما المسئول عن هذا الشقاء الزوج أم الزوجة ؟ ... أليس الظاهر من

وقلت لنفسي جاداً: حري بمن كان حاله كحال أبا كل
إلا كذا من الطعام وألا يرتدى إلا كيت وكيت
من الثياب وأن تقتصر ملاهيه على هذا وذلك من
الملاهي البريئة . وابتعت نظاماً دقيقاً لا أحيد عنه
ولا أنطلع إلى سواء حتى أنه لا يوجد من الطعام
في الدنيا إلا ما آتاه ، ولا من الثياب إلا ما أرزقته
ولا من الملاهي إلا ما أتاني به . فلم أرمق بعين الحسد
من فضلهم الله على بالألاء والنعمة وتمزيت بذكر من
فضلني الله عليهم فقدد لهم حظاً دون حطلي وعشت
حياتي قائماً سعيداً لا يني لسانني عن الشكر والحمد .
ولكل حياة سعادة توأمتها يستطيع الإنسان أن يفوز
بها إذا راض نفسه على الرضاء والقنوع وسداد
النظر . ولو أنني تركت نفسي تهيم في ودان الأمانني
والأحلام الخلب لأضلتنى شقاء وشكوى ولم تجدني
شكوي شيئاً ... فقال عبد الرحيم بتمرد جامع :
« إذا كانت هذه هي القناعة فعي الموت . وأنا
لا أدري ماذا كان يكون حال الدنيا لو أمنت بمحكمتك
هذه . هل كانت تكشف أمرى كما ؟ هل كانت تستفل
الناسم وتستمر الأراضى ؟ ... هل كانت تقوم
الثورات وتغلق اللبادي والأنظمة ؟ .. هل أستطيع
بالقناعة أن آكل ما تشتهي نفسي ، وأن أسعد
أخواتي وأبي ، وأن أشفي في أسوان وأسطاف في
الاسكندرية ... وأن أزوج امرأة حسناء وأخلف
بنين وبنات .. ؟ هل السادة أن أقنع نفسي بأنه
لا يوجد طعام في الدنيا سوى الطعمية والبقول
للدمس ... وأنه لا توجد بها ثياب إلا هذه البذلة
للقدرة للهلهلة ... وأنه لم تر فيها نساء قط ؟ ... »
فضحك الشيخ إبراهيم وقال :
« المسألة قناعة أو لا قناعة . والذي لا يقنع

أختار الواقع إذا كان ييسر أماني مستقبلاً مظلماً
فانها وفقر مدحاً ويضع على باقي أبا شيخاً وعشر
أخوات وعمتين ؟

فقال الشيخ :

— إن الله لا ينسى مخلوقاته : ألا ترى أنه رزق
الطير على فصوص الشجر ويطم الخمل في سراويل
الأرض ؟

— أرى حقاً أن الخمل يجد رزقه سائناً ،
أما عبد الرحيم جاد الكاتب ببنابة الدنيا الأهلية
فلا يذوق اللحم إلا يوماً واحداً في الأسبوع ،
وأصبحت الطعمية تأكل كل مدتي وليس بمدتي
التي تأكلها

فقال الشيخ بلهجة المهادة :

— القناعة ملاذ المؤمنين

— إنما جميعاً مؤمنون ولكننا لاني من الشكوى .
الكل يشكو ويشق . والظاهر أن الدنيا هي أصل
للأبلاء . وكأنني بها تطرب لأت الشكوى والألم
فهز الشيخ سليم رأسه بقوة وقال بحدة :

— من أخطر الأخطاء التي ترتكبها أن نضل
الشيء بغير أسباب الحقيقة فنخلع لأنفسنا مشكلاً
غير قابل للحل ومستمعي على العلاج ، ومثل انهماك
الساذج هذا للدنيا مثل اتهام الغوام للشيطان أو العين
الحاسدة أو لتناول اللبن والسمك يوم الأربعاء .
ما ذنب الدنيا ؟ هل الدنيا هي التي جعلت للتياوي بك
يفرط في الأكل والشراب والاستهتار حتى وقع
فريسة للأمراض ؟ أم هي نفسه الأماراة بالسوء ؟
الإنسان هو السبب الجوهرى في إسعاد نفسه
أو شقاءها ... أنظر إلى يابني . أنا إنسان سعيد
لا يعرف الشكوى ، وقد بما خبرت حالى بعين فاحصة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الأنايب

ابي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقتها،
وفي أسلوبه، وفي مبادئه. وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن. ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاهرتين

مترجمة بقلم

أحمد حمدي الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

لا يقنع ولولمك الدنيا. فكما يشكو عبد الرحيم أخندي
يشكو محمد بك النياوى. وإذا كان ذلك كذلك
فما جدوى التنفير؟... أراك تهم بالاعتراض على...
مهلاً فقد وجدت صلاة المصر وليس لدى منفع
من الوقت ولن أقول لك إلا كلمة واحدة: إذا
استطعت أن تحول التراب إلى ذهب كأبناء أمريكا
فانمل.. وإلا فاقنع. هل تجد سبيلاً غير هذين؟...
ولكنه لا يستطيع أن يحول التراب إلى ذهب،
ولا يستطيع أن يقنع ويرضى. وهل كان محمد بك
النياوى حول التراب إلى ذهب؟ وهل في مصر
كلها من حول تراباً إلى ذهب؟... ومع هذا فيها
من يتقلب على الذهب وأغلبها يعمخ في التراب.
ما ذنبه أن يكون هذا نصيبه من الدنيا؟...

وانتهى التحقيق في جريمة المصراف بالقبض
عليه كما يذكر القراء. واستدعى رئيس نيابة
النيا حضرة صاحب الليرة محمد بك النياوى ليخبره
بما اتخذته النيابة بمحوه من الاجراءات السرية،
وحضر الوجهه إلى دار النيابة فرآه عبد الرحيم للمرة
الثالثة؛ ولكنه لم ينظر إليه هذه المرة بالعين التي
نظر إليه بها في المرتين السابقتين. نعم لم يزل يمدد
عدوآه، ولكنه عدو حقيق يأتى على أية حال.
وقد اجتمعت لمرآه ابتسامة ساخرة كأنه يقول له لائته
جيباً، ولا تخش في الأرض مرصاً، فأنا أعلم بما
وراء هذا الحسن والشباب من البلاد والشقاء

آه لو يتكاشف الناس!... آه لو تعلم سرائم
للأعين كوجوههم وثيابهم!... ألا يدون حينذاك
كألموبة بائسة؟...

ولكن ما عسى أن تكون اليد التي تلمس بهم
على هذا الوجه المزرى؟ من الذي يحمل تيمة هذا
السخط الحزن.. الدنيا كما ظن هو، أم الانسان نفسه
كما يظن الشيخ ابراهيم؟... يجب تحفظ

من مصاحبته . ولما قامت
زوجتي في الأمر تهلل وجهها
وقالت :

— يا لها من فرصة سائحة
تجمع بيني وبين مستر هولز
وما أطيب الأيام تقضيها في كنفه
على شاطئ البحر . وفي الساعة
الثامنة من صباح السبت للتاسع

من شهر فبراير سنة ١٨٩٠ — قصدت إلى مكتب
شركة الأسفار في بوند ستريت ففناطينا التذاكر
وأجازات الرحيل لركبة للنوم والطعام . وبعد الظهر
بساعة واحدة تحرك بنا القطار من محطة تشانج
كروس . وعند الساعة الرابعة اتقلنا إلى باخرة
الفتال الانجليزية فتناولنا الشاي قبل أن نطأ أقدامنا
أرض فرنسا في ميناء بولوني، وكان القطار السريع
ينتظر الركاب على إفريز البناء فتبوأنا مقاعدنا في
عربة عريضة مديدة مكتوب عليها بالخط الكبير
بولوني سيرمير — نيس ومونت كارلو . فصرخت
زوجتي صرخة صغيرة تدل على الفرح وقالت : هلو
يا زوجي العزيز ! قد آأن الأوان أن تقضى أجازة
تموض علينا شهر العسل الذي لم تتمح لنا الأيام فرصته
فابقسم هولز وقال : ويل للشجي من الخلق !
ما أسهل ما تتمتع المرأة أسباب السعادة وقال :
الغاية الأولى الاستراحة والاستجمام وشهر العسل
يأتي مؤجلا . بيد أنني لا أرى لذة في شهر العسل
بعد مولد الطفل الأول ، إنما تكون لذة اللوسين
خابي الليل

فضحكت وقلت له :

— من يسمك تحكي هذا القول بمتند أنلك

غزوة الجزائر البريطانية

للكاتب الإنجليزي سيد آرثر كونان دويل
يعلم الأستاذ محمد الطنجي

روى الدكتور وطن قال :

كان لحادث الهندي أثر عميق في نفس هولز
فقد ساق رجلا وامرأة إلى المشتقة على أهون سبيل ،
ولم نمد نرى الوالد للتكول بعد تأدية شهادته في
محكمة أولد بيلي . وقد طلب هولز من القضاة أن
يقبلوا الرض لاسمه بحرق الكاف والماء أمام الجمهور
وأن يكتفوا بتقرير كتاب بدل الشهادة الشفوية
المسبوبة بالنقص التي يحتمها القانون ، ولكن تجبري
المصحف لم تفهم حقيقة الأمر ولم تخف عنهم خافية ،
فذكروا في جرائدكم أن بطل هذه المأساة هو مستر
شولوك هولز نفسه كالعادة ؛ وقد بز رجال الشرطة
الرسمية ولكنهم في النهاية بمحسودون نمرات جصوده ،
لأنه يجب الاستخفاف كثيره من الهواة . فقال لي
هولز : خير لنا أن تقضى بضعة أيام في ريميرا ،
وهو شاطئ الذهب ومشق الأعيان والسرعة في
جنوب فرنسا ، استجماما وفرارا من هجوم جيش
من طالبى القنبا وهواة الاستشارة . فأبدت له
مماذيري وتلكأت في إجابته متسللا زوجتي وطفلي
الذي ما زال في المهد رضيعا ، ولكنه لم يأت له نقولي
وقدم لي شيكا دسما قائلا : « هذا لتوظيف طبيب
ممتاز يحمل علمك في عيادتك » فقلت أن لا مناص

السبعين إلى وقتنا هذا ، فإن الحرب الحاضرة بين مولدايا وزيندانايا مقدمة لحروب أخرى سيرامها العالم ونحوض غمارها وهذه الحروب كلها ستكون أسلحتها الماضية وسائل التجسس

قلت : مصلحة الأخبار^(١)

فضحك هولز وأشار لزوجتي وخادمتي بالانصراف بعد أن شربتا الشاي وأكنا الكسك والخبز التمدد الموه بالزبدة والربي

وقال لي : سمها ما شئت ، ولكن اعمل أنني أنا الذي أسعدت هذا العمل الضخم ورسمت خطته ، فأخذوا في تنفيذه بمخافته دون أن يستشيروني في وسائل التنفيذ . ومن هنا

فبدت علي علامة المشقة ، لأنني لم ألحظ في أثناء احتكاكي به أنه تدخل في النشاط السياسي ، ولم يكن يعبر حرب مولدوفيا ضد زينداناويا أقل اهتمام فقال لي :

— أأدهشك ذلك يا وطنون ؟

قلت : لا ، ليس ثمة ما يدعو إلى العجب من ذلك ، فإن من له ذكاؤك وخبرتك يستطيع أن يفعل ما فاعل دون مئاة أو مئاة . ولكن أين الشخص الذي تتوافر له الفطنة والخبرة . فإن رجالاً مثل أكشيدن وكروسويل وجراسفام جديرون بأن يكونوا تلاميذك ، والأآن فقط أدركت سر عجبهم وانتفاخ أوداجهم ظههم يسرحون ويمرحون على شهرة خطه أنت مدبرها وسبيل عبثها لهم . فقال هولز :

— الواقع أن شيئاً لم يستص على في بلوغ غايته ... وأثناء دراستي سكنت أجمع المعلومات الخاصة بوسائل التجسس المولدوفي والمجروسوفاني

خير ينظم الزواج وطبائع النساء . وكنت قد اتخذنا مقاعدنا في مركبة المائدة ، بمدان كافنا حارس القطار بتصنيف أمتتنا في أما كتبها . وطلب هولز إلى النادل أن يحضر قناني المياه المعدنية التي يشربها ثم أمر لنا بالشاي ، وكان شديد العناية بسج جواز هامر مربية طفلي الصغير . وكانت المائدة غضة بضة حمراء الوجنتين كأنها تحمل على خديها وردتين من ورود الربيع فأطلق عليها هولز اسماً جديداً يداعبها به وهو :

« فراولان بروز » فسرت بهذا الاسم كثيراً وسألته إن كان يتكلم الألمانية ، وكانت خادى هذه من البساطة بمكان عظيم ، فقال هولز لها وهو يتسم :

« بضع كلات لقفنها من أفواه الناطقين بها » ثم سكت برهة وقال لي :

— أأذكرها يا وطنن ؟

وكان لا يذكر ضمير المؤنث الغائب إلا وهو يقصد إليها : إلى السيدة جوز بند أدلى ، بطله تلك الناعمة المرفقة وهي فضيحة في بوهيميا . وعند ما نطق باسمها لحت في عينيه برقاً عجيباً ، حتى لقد سألت نفسي : هل تركت تلك المرأة في نفسه أثراً . وهل كان يحبها لو أن الحب مما قسم له في هذه الدنيا ؟ هذا ما لم أستطع الجواب عليه . كان هولز يبدو لي ذا شخصية غامضة كل المفوض ولا يظهر منه إلا ذكاؤه الخارق كأنه مصباح نافذ الضوء في وسط الغباب . فقلت له : نعم ومن ينس تلك المرأة ، يحرم نفسه أجل ذكرى وأوقمها وأبقاها

فقال هولز : إن فضلها علي في هوايتي أعمق أثرًا من جمالها أو حنكها أو سمة حيلتها أو دقيق فكرها ، فلولا ما لم أكن لأتمتع بتلك الدوائر السياسية التي كان لها الشأن الأول منذ حرب

وكان القطار السريع يظوى سهول فرنسا وديانها ويمتدق الحقول والبطاح ويصمد في الجبال ويمر خلال الأنفاق وينساب تارة كالأنفوان وطوراً يندفع كالسيل التهر . ونحن من هذه المركبات الفسيحة في نعمة لا يقدرها إلا القليل من أهل الفطنة ، فهنا مجلسك ومطعمك ومنعمك ومشريك ومشاك على عجل يتحرك ويدور بسرعة ثمانين ميلاً في الساعة الواحدة

وكان القطار يقف في المحطات الكبرى دقائق ممدودة . وعند ما يبلغ محطة كبرى مثل ديجون أليون يترى هولمز فلا يبدو لأحد ، ثم أراه بصمد فجأة قبيل تحرك القطار بقليل ولا أسأله عن مكانه أو مسرعه أثناء وقفة القطار . ولما كانت الساعة التاسعة تناولنا طعام المشاء وعلينا أن القطار يبلغ ثمر مرسيليا عند الفجر ثم يمرج على ثمر طولون الحربي ، وكان هذا الحسن البحري متلفاً من الجانب الشبالي فلا تطاه قدم المدينين بسبب الأعمال الحربية القاعة على ساق وقدم .

ولم يكن ثمر طولون أو مرغا بونايرت أوحياض الإصلاح والتتويم الهولة التي بناها مهندسون بحريون من فرنسا وانجلترا هي التي تهمني في تلك اللحظة ، ولكن الذي كان يرمني زيارة مونتكارلو وكان أنيس في حجة امرأتى وبجائتنا نحن وطفلتنا الصنير من أهوال البرد الفارس في انجلترا أثناء هذا الفصل الشديد الرطوبة والضباب ...

وأيضاً ... وهذه مسألة أخجل من ذكرها ، فضلاً عن تدوينها ... تجريب حطلى على مائدة اللب في مونتكارلو ... فتحن الأطباء نلم أن المفامرة أظهر معالم الحظ في الحياة . وهي تتفق (٤)

ووجدت السبل إلى إحاطة إدارة الخبازات في لندن وباريس ببعض المعلومات المهمة في أوقات متعاقبة فقلت : أكبر الظن أن فرنسا وانجلترا والجمهورية الأمريكية أعادتا من وسائلك

قال هولمز : نعم ، ولكن ليس هذا الذي يكرهني ويكرهني في الوقت الحاضر ، وإنما الذي يكرهني انتقال ذلك الداهية للشديد الخطر ، الذي يمتد الحياة رقعة شطرنج يبادتها وقلاعها وفيلها ملوك الأرض وسواس الدول

قلت : أنتصم إلى البروفسور مورارتي ؟

قال : هو بنفسه فان هذا الرجل لا وطن له ولا دين ولا ملة ولا عقيدة ولا ضمير وقد باع نفسه لأعدائنا بنصف مليون جنيهه ذهباً تسلمها عدداً وتقداً وسمح له بأجزة حتى تمكن من إخفاؤها في مكان مجهول ، ثم عاد واقطع إلى عمارتنا بقله

قلت له هولمز : وعلام استقر رأيك ؟

قال : لقد استقر رأيي على إحباط مناووته مهما كلفني ذلك من جهد . غير أني أدركت أنه لكي أنتمه إلى بلاد الأعداء يجب على أن أخترق فرنسا من شمالها إلى جنوبها

قلت : إن هذه الطاردة هي الأولى من نوعها ، لأنك خبرتني من قبل أنك لن تمكن هذا الوغد من مقارنة مواهبه بجواهرك

فقال هولمز : صدقت يا وطني ولكن هذا للشيطنات ضرود بأوراق تكفل له مخادعة رجال الخبازات السرية الانجليزية والفرنسية وقد وفق في اختيار الاسم الذي انتحله لشخصيته الجديدة فضلاً عن أنه يبدو لغنائس متواضعا ، رضى الخلق ، مثقفاً لا تفارق الانسامة شفثيه المقيتين حتى في أخرج المواقف ...

التي يتلف عليها ، تلك الساعة التي يقضي فيها على الرجل الذي باع دينه وشرفه وعقله ليبيع وطنه للأعداء . لقد خيل إلى أن هذا كل ما يطلبه هولز من الحياة ، فانا تحقق هذا الطلب فليكن بهد ما هو كائن . لم يكن حب الوطن وحده ، أو مقاومة الشر أو رغبة الانتصار على خصم قوى عنيد هي التي تحركه ، بقدر ما كان هواه في تخليص الانسانية من ذلك الملل المجرى الذي يلبس الشر ثوباً عسكراً على أجزائه .

وفي صباح اليوم التالي قامت مستر هولز في رغبتي ، ولشد ما دهشت عندما علمت أنه هو أيضاً يرغب في مشاهدة مونتيكارلو وذلك «الكازينو» الفخم الذي يزورها . وكانت الشقة بين أتيب وعاصمة موناكو ضيقة . وكان هولز قد احتجز لنا بالتلفون مائدة في الـهيوالبري الذي نسقته يد الأناقة والذبح أجل تنسيق . وكان هولز ببعد الفراغ من العشاء يجوس خلال القاعات الارجوانية الفخمة التي مدت فيها موائد اللعب الخضر . وللمرة الأولى وجدته مستغنياً في زى كونه إيطالي بلحية كثرة مستطيلة وسرعان ما التفت نحوه فربق من نبى جلده المزعومة كان يتحدث إليهم بلهجة بفساحة نادرة . وكانت زوجتي قد أتت تلك الليلة في أوقات الفراغ .. وبقاء شق تلك الصغوف رجل قصير القامة حريص التكوين وأخذ يتكلم بالفرنسية النصحي للضيف من السيدات والفتيان الذين جاءوا ليقضوا إجازة آخر للعام وقد أصنبت إليه وتخلت عن الحلقة التي كان يقف حولها هولز فقال :

«إننا حدثك أنفك باستغلال شهرتك أو ثروتك والتوسل بها لأغراضك الشخصية وشهواتك البدنية

وصنعتنا انفاقاً تاماً . فان صمتنا حظ وحذر وكذلك المقامرة . ولكن مالي أراني قد اندفعت في تسجيل خواطري ؟

عند الفجر بلغنا مرسيليا وعند الظهر كنا في مرفأ أتيب وهو ركن من جنة ألفردوس في وسط الشتاء . واتخذنا موطناً مؤقتاً ، وموتلاً في فندق «جرانداتيل ديش» وفي الحق أنني شديد الدهر من أسماء هذه الفنادق التي تدور على العظمة والراء وتبهد عن البساطة التي تبليها في تسمية فنادقنا الطيبة الهادئة . وكانت شرفات ذلك الفندق الفخم التي تطل على البحر بطبيعة الحال ، كما أن له بستاناً نغم في جنوب البناء فيه لغائف الأشجار وبدائع الأزهار ولذائد الثمار .

وفي الليلة الثانية استأذنته في السفر إلى مونتيكارلو فاستعملني يوماً ولية .

وقد لقيناه في إحدى شرفات الفندق المطل على البحر وكان متكئاً بحرقبه على حاجز الشرفة وقد تجملت في عينيته نظرة لامة وإن كانت سامحة بما دلي على أنه مستغرق التفكير ، وظل ينقل بصره بين صفحة الماء ووجه الدماء الذي زينته العناية بأخواء ومصاييح كأنه يريد أن يستشف ما وراء الحجب .

وقد هالني وأنا أن يقضي هذا الرجل العجيب حياته بعيداً عن عواطف الحنان والرحمة التي يمكن أن تسبها على قلبه الكلام امرأة مخلصه ودود ، ولكن أنني لم أن أمير له عن إخلاصه وحيي إياه ورغبتي في إسماعه ؟ لقد خيل إلى أنه يشعر بالظوف ، لا من اللوث ولا من المرض أو اللقافة ، ولكن خشية أن يدمه القدر قبل أن تحين الساعة الرهيبة

ليس في القلب. ليس من أسفه. وآخر يقول: عليك أن تطيبي وتنظفي! ليس من شأنك أو شأن أن نجادل

ورأيت الكونت كاسياني يشق الصفوف وبهمس في أذني: خذ حذرك من الظلام. ولم يكدي ينطق بهذه الألفاظ حتى أطفئت الأنوار فجاء ولم يبق في الغرفة ضوء تقاب، وساد المهرج غطوت إلى الميمن خطوة وقبضت على يد زوجتي وسحبني متقهقراً وإذا بصوت يندى كالرعد:

— لقد خاطرت بحياتك يا موريارتي وخلطت بين الحياة في السياسة وبين سرقة قطاع الطريق. هل قبضت عليه يا جريفيين؟ لقد سهلت الأمر لك. واختلطت أصوات النساء بأصوات الرجال وسمنا طلاقات الرصاص في الظلام ونحطيم مرآة كبري، واستفاته وصقير، وقد أخذت حذري كأنهت منذ هنية وقادني النبرة وزوجتي إلى باب الخروج بعد أن اسطدنا مرتين أو ثلاثاً في عمود من الممر الوردى أو في مقعد مقلوب كدنا تتمر فيه، لولا أن الله سلم. وكانت ساحة الكازينو الكبير هي الأخرى مظلمة، ولكن نجمة المشاعل قد وصلت إلينا فخرجنا جميعاً صاخبين صارخين وقد سلبت النساء حلين والرجال قودوم وبعض أسلحتهم، وكان يودى أن أُنذى هولز بجياني لو أمكنني الاعتناء إليه وقد تبينت كل ذوى اللعي فلم أله بينهم ولم يكن يجفني شيء عليه بقدر التندر. فان موريارتي وأعوامه لا يترددون في أن يوردوه الردى بجنجر خائن أو وخزة دبوس مسموم، وقد حشدنا جميعاً في بهو الطعم الكبير ولم نستطع حركة وبقينا زهن محقق البوليس

المادية، فالويل للإنسانية منك والويل للحقيقة من شموذتك والويل لأبطال الرافة والرحمة والعدل والخلق الكريم من خيانتك ونكرانك وجعودك. ستكون أحسابك وأنسابك وأماؤك أكبر مساعد لك على خداع السذج ومضاعفة الأغلال في أعناقهم. لقد أدهشك أن تجدوا الناس والمجنمات تسير على نظم تخالف ما تفرضه الفضيلة فلا يأخذنك العجب لأن السلطان لا يزال بأيدي المشوذين والمجاهلين. وفي الوقت الذي يسيطر العلماء التخصصيون على القوى التي تدبر العالم ستحل مشاكل كثيرة.

ستجدون أناساً يصفون الأبيض بالسواد والأسود بالبياض وآخرين يجدون الجبروت والطنيان ويحتفرون من تملأ قلوبهم عواطف الرحمة والحنان وينتمونهم بأهل الخيال والسخف. ستجدون لصوماً ينحنى للناس أمامهم يخوف لا لاحترام، وقد يقدمون شرفهم وضائرم وكرامتهم للناس بالأقدام، ومثل هؤلاء كتل الجندي الذي يتسلم السلاح والناد للقطاع عن وطنه فإذا ما لقي كفة العدو هي الراجعة انضم إلى المتصرين وسدد نار سلاحه إلى قلب بني وطنه وأهل جنسه

وفي تلك اللحظة كان الكونت كاسياني أو كاسيني يقرب من حلقتنا شيئاً فشيئاً وهو يسعى إلى كلام الرجل.

ثم استدرت لحظة واتجهت نحو المائدة الوسطى المستطيلة وهي التي عليها لعبة الروليت الشهيرة وكان «الكروبييه» وهو الموظف اللو كول إليه حصاد المال وتوزيعه بين اللاعبين يقول: لا شيء ينزل إلى المائدة، لقد تمت الصفقة. ادفعوا قودكم ورسوها رساً قبل الختام. فسمت خلفي صوتاً ناعماً يقول:

زدهى في « ثوب النساء » الحكيم التطريز ، المحبوك الأطراف

ولم تكده عينه تقع على حتى قال :

لقد كانت غزوة موقفة ، فقد البتلك أثناءها مليوني فرنك ، وقد النساء نصف حلبين ، والرجال بمض أموالهم . ثم ضحك ضحكة عالية . أما نحن فقد خسرنا مورياتي ، ولم تتمكن من القبض عليه ، وإن كنا قد سمعنا صوته واعطاً .

فقلت : وماذا نكسب إذا خسرنا مورياتي ؟ أجاب وهو يتسلم ابتسامة هريضة حارة :

لقد كسبنا غزو بلاد أنجلترا واسكوتلاندا وإيرلاندا بلاد القتال . وأخرج من جيبه خريطة ملونة ونشرها على المائدة . وقال :

والذي يفرحني وأغتبط له أن هذه الخريطة مفردة وقد احتوت على مفتاح الشفرة ، فلا يحتاج أثناء حل رموزها ، لقد أعددها مورياتي فهي خلاصة دراسة عشرين عاماً وتجسس خمسة أعوام . خذها يا وطن وسافر فوراً إلى لندن . إن لورد كراوبروك أوف كانتورباچ ينتظرك في دوننج ستريت وأبق زوجتك معي وخادماتها كذلك ، وفي أثناء غيابك ... سيقبض عليّ أياً ما ممدودة ، ولم يكده ينتهي من حديثه وأفرغ من طي الخريطة ووضعها في أنفي مكان في ثيابي حتى تقدم إلينا أربعة من الشرطة وقال أحدهم بلنسة موشكاتيني : سنبردي أيكما سنبري سارلوك هولمز ؟ فأشار هولمز إلى وقال : أما أفصاحبه دكتور وطن ، غفلوا سبيل وألقوا القبض عليه

وبعد عشرين ساعة كانت خريطة الفزوة البريطانية في إحدى خزان وزارة الحربية وقد اجتمع الوزراء لدراستها ونقشها .

محمد لطفي صفة

وفي الصباح خرجنا من البهو مبليين ممزقين مهللين ، ومشتينا إلى فناء الكازينو بجعل متناقلة . وكان الفناء ينص بزاري الكازينو الذين أطفئت عليهم الأنوار وسلبت قودوم ورأيت ضباط البوليس السري وهم يستجوبونهم فرداً فرداً بينما كان مدير الكازينو وحصاد المال « كروبييه » عند الباب الكبير ينتظرون الأوامر

وكان من البت أن يرفض أحد اللاجئين الاجابة مما يلقى إليه من الأسئلة أو الامتناع عن تقديم « جيبوه » أو حقبة اليد للتفتيش والقنص الدقيق وإبراز الوثائق الخاصة بتحقيق شخصيته ومركزه الاجتماعي وماضيه وحمله في الحاضر وما يترجم للقيام به في المستقبل ، وكان أي تردد أو تلمس أو ارتباك كافياً لأن يبعد أحدنا إلى الطعم مقبوضاً عليه . لم أندم في حياتي على شيء ندى على موافقي على اقتراح هولز في مصاحبته إلى شاطئ ريشيرا . وكان القتي يهمني أكثر من كل شيء خوفاً على أعصاب زوجتي من الاختلال فقد تمزق نياط قلبي من الظلام والظن . وقلق لبالي على هولز الذي اختدته ... وقبيل الظاهر وصلنا إلى الفندق ونحن بحال من الالام لا مثيل لها . ولكن كان همي الأول أن أعلم ماذا حل بهولز الذي سمعت صوته بلا ريب وكان مترياً بزي الكونت كاسيان .

أما زوجتي فقد ثمت للفراش عليه بما أصابها من الازعاج وبللة خاطر .

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دق تليفون الغرفة التي تطلها زوجتي وأنا ، وإذا بهولز يستبطن حركتنا في مؤاكلته على مائدة المشاء . فليتنا دعوه مبتهجين . فألقينا حليقاً مطعراً منتظلاً

الإمام الشافعي

أَقْصُوصُ مَصْرِفِيَّة
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

مسحة من الشقاء والبؤس
لأنها تغشى في سبيل حياتها دون
أمل أو رجاء . ولكن صرحت له
أنها على استعداد للتنازل عن أعز
ما تملك مقابل أن تنجب طفلاً ..
ولكن الأبناء — وبالأُسف —
لا يشتركون بالمال ، وإلا لما استطاع

العامل الفقير أن يرى حوله عدداً كبيراً من الأبناء .
إنهم هبة الله ونمته يوليهما من يشاء من عباده
ثم رفع فتى وجهه إلى أعلى وتغم في حرارة
وإخلاص :

— اللهم هب لها من لئلك طفلاً
وظل ينظر إلى أعلى فترة طويلة كأنما أحس
الراحة في الاتجاه إلى الله في هذا المطلب الذي خرج
تحقيقه عن طوقه وقوته . ثم أخذ يخفض بصره
رويداً رويداً حتى وقع على زوجة ، فلح الدموع
تساقط من عينيها ، ففاض قلبه بين جنبيه وهتف
وهو يفادر مكانه إليها :

— سميرة !
وجثا تحت قدميها ثم رفع وجهها المخضل
بالدموع وقال :

— أتبيكين يا سميرة ... ؟ أنت مجنونة ؟
لحوت وجهها عنه كأنما أخبطها تساقط دموعها
ثم مسحت عينيها بمندبيلها الموشى الصغير وقالت :

— لا شيء ... دعني ... دعني بربك
— إنني أعرف لماذا تبكين ، ولكن ماذا تفعل
ولا حيلة لنا في الأمر ؟
فالتفتت إليه بسرعة وأنمت فيه النظر لحظة
قصيرة ، ثم ابتسمت في تهكم وقالت :

... ومضى فتى ينظر إلى زوجته نظرات
تفيض بالحنو والاشفاق وهي تجلس قبالة مطرقة
واجهة ... كأنها تخلق بروحها في أجواء عموم
وأشجان طوتها لجأة فأنسها زوجها الذي كان
يحادثها منذ لحظة ... وكانت في وضعها هذا برأسها
الستقر بين كفيها ، وعمرها الوحد المرسل ،
وجسدها اللدن الللي ؟ تبدو عند أهل الفن وجهاً
صادقاً للجمال الحزين

كانت سميرة — وهذا اسمها — هي التي كتبت
عن الحديث لجأة عند ما عرض اسم نبيل ابن
جيرانهم ، واسترسلت في أفكار تملكها فوراً ،
فنفصلت ملامح وجهها الساحر وارتسمت عليه علام
البأس الشديد

وقد احترم فتى صمت زوجته إذ كان يدري
الواقع القاسي الذي زجها فيه . كان يعلم أنه نكاح
الجرح الذي في صدرها بذكره اسم نبيل ابن
جيرانهم ، فقد لوح لها بشيء هي محرومة منه ،
ونحس للشقاء والبؤس في هذا الحرمان

لقد كانت أميتها الوحيدة عتب أن يني بها هي
أن تزق طفلاً ؟ أما وقد انصرفت ثماني سنوات
على زواجها منه ولم تنسل ، فقد ضاعت آمالها
وانهارت آمانيها ، لذلك كان ينشئ وجهها الجميل

منها ؛ غير أنها تحس تقصصاً هائلاً يتضاد إحساسها بالنعم الذي هي فيه بجانب إحساسها ببذاه وآلامه .
 لشد ما تمنى أن يهوى بها الله من حائق هذا النعم
 ازائل إلى حياة الفقر والموز على أن يهبها نعمة غداً ،
 ابنك تتركه في هذه الحياة الدنيا قطعة منها بخلدما
 على مر الأجيال والزمن ، ابنك يشع النور من بسمته
 ويفيض الحنان من نظره ... ماذا تفيد تلك الفرش
 الثينة والرياش الناعية وهذا البيت الجليل وتلك الحديقة
 الفينائية التي تكتنفه ؟ ماذا يفيد كل ما هي فيه من
 متاع مع هذا النقص الذي يحسه ؟ إنها تشمر
 كأنها تمش وسط صحراء قاحلة تضرب للظلمات
 في جنباتها ، وأنها بعيدة عن عالم الحياة والنور .
 إنها لا تدخل غرفة من غرف المنزل إلا تراها
 قابضة موحشة خالية من الحياة والروح ، فتراها
 تلتفت بمحة ويسرة كأنها تبحث عن شيء نفتقده
 بجوارها ... ولا تسير في الحديقة حتى يتولاهم
 السأم والفضجر ... ولا تقف أمام المرأة حتى ترى
 جمالها الذي طالما غرها ، مجرداً من الروح كأنه
 تتثال من الحجر الأسم . وأين روحها وهو حلق
 في شروء وراء أمنيته البعيدة ؟ بل إنها ترى أن
 جمالها إن هو إلا كأموال البخيل التي يسره أن ينظر
 إليها كل يوم دون أن يستمتعها وينمها ... هغن
 وحرمان يقضان مضجعا ويذهلان عقلها ويستلبانها
 سوء الأفكار السود المدلحة

كانت يحياها هذه تمش مسلوية العقل عازية
 اللب ، تمش بمجدها الآلى كاتمش البى والألاهب
 وما كانت يتقدها من عذاب هذا التفكير
 إلا للترضى سائرة إلى بيت صديقها (زاهية) تنبها
 شجتها ونفت إليها خبيثة نفسها ... وقد تسكب

— ماذا تفعل ... ؟ أجل ماذا تفعل
 كانت تعلم أنه فكر كما فكرت هي في أن يستد
 الأمر إلى طبيب ليرى أيهما المقيم ، بيد أنه لم يفعل
 غارقة المزمجة . لقد استشفت منه هذا الاحساس
 من حديث لها في هذا الأمر . ولا ريب أنه حتى في
 خوفه ، لأنها تحس إحساساً صادقاً بأنها كائنة
 امرأة أخرى فيها الاستعداد للانسال ... والفتت
 إليه فجأة وقالت :

— ومع ذلك فني وسنأ أن نصنع شيئاً
 — ماذا ؟

— لماذا لا أذهب إلى طبيب ليفحصني ، ومن
 ثم يالجى إذا كان المقيم منى ؟
 وكان في جلستها تريض بتمشى ، بيد أنه لم ينتبه
 إليه إذ قال :

أخشى أن تذهب هذه المحاولة سدى . فاني أهد
 أن الأطباء لا يملكون — على دهر تهويلهم —
 في ذلك الأمر شيئاً
 وتوقف قليلاً ثم استطرد :

— وما يدريك ؟ لعل أنا السبب
 فادت سميعة إلى إطفائها ولم يجب

كانت سميعة تحس في نفسها فراغاً كبيراً لا يملأه
 إلا وجود طفل لها يقضى حياتها المظلمة . أجل ،
 لقد أحست فجأة وعقب أن هدأت نشوة حبها
 وخذت شمة غرامها — بحياتها يتكاثف فيها الظلام
 ويتوالى حتى أمتت قاعة مدلحة تنخبط فيها يائسة
 القلب ، مفرحة الجفن . لقد أولاهما الله من نعمته
 كثيراً ، ولكنه حرما النسل والولد . ها هي ذى
 تغفل في كل أسباب المتع والفتايد لا يتقصها شيء

وبترت جلثها إذ لحث ملائح صديقها تنقلص
وتفشاه الحزن المعيق . فأدركت خطأها في الافضاء
لها بالخير على هذه الصوذة السارة للبهجة .. وأحست
سميرة بألم هائل يحز في نفسها ... بيد أنها تعالكت
نفسها بمجدد واسطعنت الایتمام . ثم سارت بجوار
زاهية إلى غرفة الاستقبال تتناسلها الهواجس
والأفكار .. لقد جادت لتنسى همومها قليلا فصدتها
عمر كاس آثار عواصف قلبها الهوجاء . . . وقالت
في نفسها : « لم يارب هذا المذاب ..؟ لم خصصتني
بهذا الحرمان القاسي الشديد ؟ كل من حولي من
النساء ينجين قرة أعين ... أما أنا ... آه ... »
وكانت ذفرة حارة انشق عنها صدرها الجياش لم تحف
على زاهية فأطرقت خجول من تصرفها إزاء صديقها
المحرومة

وأحست سميرة بالجلسة يسودها التكافؤ البشيع
حيناً والسمت الثقيل حيناً ، فاستأذنت ثم غادرت
دار صديقها ، وسارت تغرب في الطرقات ذائلة
على غير هدى ، وراحت تتفكر في خيائها المحرومة
وهي في سيرها البطيء التثدد

واذهبت من أفكارها الطاغية السبيدة على
صوت همس في أذنها كانت لم تتيبها فاستدارت
إلى التكلم فألفته شاباً غريباً فيها ، فحدثته بنظرة
قاسية وقالت له :

— ماذا تبني ؟

— ماذا أبني ؟ لا شيء ... غابة الأسماء أن
وأنتك تسيرين ذائلة عن الطريق فأترت أن أحادثك
قليلاً لأستريح انقباضك الشارد وأعيد عليك ذهنك
المالز

لم تجب سميرة . وإنما أنصت إليه النظر فوجدته

أمامها الدمع فيفرج عنها عقب هذا البكاء الهادي ،
وتنسى همومها قليلاً فتنتطلق هي والصديقة تتجاوزان
أطراف الحديث في غثفل الشئون

وكانت زاهية نضاة في ميمة الصبا وشرح
الشباب ، وقد تزوجت منذ بضعة شهور ، وكانت
في غمرة الحب الأول ، لذلك كانت تسرى عن نفس
سميرة ما هي فيه من عذاب وشجن وتقبج لها ما وراء
تربية الأطفال من تعب وإرهاق ، وتعرض على نفسها
صوراً عديدة من تفرغ الزوجين لإشباع عواطفهما
الجياشة للثائرة بيدين من جليلة الأبناء وهموم
تربيتهم ... وما كان مثل هذا الحديث ليلق أذناً من
سميرة ، بل كانت تستمع إليه في ذهول وشرود ...
ثم تنخرط فجأة في البكاء

وحابت سميرة على نفسها أن تحمل زاهية همومها
وأشجانها وهي من نصيبها وحدها .. ومن يدريها ؟
لعلها هي الأخرى لا تنجب بنين فيكون بها الحزن
والهم لإحباط لها بالإيصال في الحزن والهم . . . لذلك
راحت تقاتل من ذيارتها ، بل آلت على نفسها
ألا تزورها إلا إذا وثقت أنها تحررت من همومها
وأفكارها بمض للتحرر ، أو أن في وسعها أن تتلم
بقناع صفيق من البشاشة والرح

وخرجت سميرة إلى صديقها بعد أن غابت عنها
شعراً برمته فقلقتها زاهية بفرح عنيف تجلي في
حركاتها المعصية وسخاكتها المضطربة . ودهشت
سميرة لحال صاحبها فقالت تنكأ البشاشة والرح:
— ما كل هذا الفرح يآري ؟ خير إن شاء الله !
فأجابها زاهية بين الضحك والندني :

— آه يا سميرة آه ... إن في أحشائي جنيناً ،

وعما قريب سأغدو ...

وأبقطها من أفكارها يد للشاب وهي توضع في رفق على ركبتيها فأجملت إجمالاً ، وانقبضت في دكن العربة وهي تنزع يده عنها ، فالتصق بها وراح يفرغ في أذنها آياته التي يحفظها عن ظهر قلب .. ثم طوق خصرها بذراعه وهو ي على شفتيها لئلا يتقبلا

أوه ... ماذا تصنع ؟ ماذا تصنع ؟ أينكها أن تترض ؟ إذن فلماذا ركبت معه ؟ لا ... إنها لا تستطيع أن تترض ... ولكنها جريئة تلك التي تأتيها . يجب أن تبعد الشاب عنها وتطلب إليه النزول .. وتصرخ إن أبي .. ولكن من ذا الذي سيستجيب لي مراخضاً وما هي ذى العربة تطوى الأرض طياً ؟

وأحست بالضنف بين هذين السامعين اللذين يتجادلها فأنشأت تبيكي في بأس صبر ومعنى الشاب يسرى عنها قبلاؤه للهمة الجائنة ويهدسها بكلمات النملة للمسولة حتى وقفت السيارة فأمسك بيدها ودعاها إلى النزول ... ثم صعد بها . بعد أن تعد السائق أجرته إلى أحد طوابق المبنى الذي وقفت أمامه السيارة

بعد ساعتين من ذلك كانت سميرة تدخل منزلها وهي تتكاد لرزوحها تحت عبء الائم الذي اقترفت أن تلطم خدها وتجنب شمرا ... كانت في حالة بأس هائل فأتجهت قدماً إلى غرفةها وهي تتمتم : « أواه ... لقد عرفت ... »

لقد أدركت الآن فقط الدافع الذي دفنها في عتف إلى اقتراف ذلك الجرم الشنيع ... هو رغبتها في إعجاب وه

شأيا طويلا القائمة عريض النكبين جبيل الوجه ، كان في مكتبته أن يفخر برجولة زاخرة لو لم يصف عليها رداء من اللنخت والناثق . ولم يخف على سميرة صري الشاب من ذلك الطفل ، إذ أدركت أنه من أولئك الشبان التاليف الذين يتسكمون في الطرقات ابتغاء لإقناع الفتيات في حبائلهم ... قالت :

— أشكرك .. إني أفضل أن أسير وحدي فأبسم الفتى ابتسامة أقرت سميرة بينها وبين نفسها أنها فائنة خليفة بأن تجذب القلوب حقاً . وقال :

— ولكني أخشى على هذا الجبال الساحر أن يمرض للخطر وهو يعنى هكنا ذاهلاً عما حوله ولم يدر سميرة ما الذي منهما أن تصنع للشاب على هذه الواقعة ؛ كأن عمداً فأسخفياً يدفعها إلى الصبر . فوقفت عن السير ونظرت إليه نظرات لاهي بالناضبة ولا بالمشجعة . كانت نظرات حبري زائفة ، وأجن الشاب إزاء حيرتها أنها غدت في قبضة يده فاستدعى سيارة كانت مارة ودعاها إلى الركوب

وارتاحت سميرة لجراءة الشاب وتلفتت بمنة وبيرة ثم قفزت إلى السيارة مبهورة الأنفاس وارتعت على المقعد وهي ترتد ارتدادا

وأحست بهول ما أقبلت عليه . وراحت تقلب في رأسها الأفكار . لقد حدثها الشاب وسار إلى جوارها كأنه يعرفها . ثم توقفت عن السير فاستدعى السيارة . أكان في مكتبته بهدند أن تقضب وترفض الركوب ؟ أبداً ما كان لها أن تفعل ذلك إذ أحست أن كل الناس عيون تنظر إليها ، وأنهم أدركوا أنها على معرفة سابقة بالشاب . ومع كل هذا في ذلك ؟ ستطلب إليه النزول تنمضي إلى حال سبيلها ...

وزوجها — بل لأنه طفلها هي غصب ، فما كانت لتلقى إلا إلى شعور زوجها الذي كان سيئاً في حرمانها تلك النعمة طوال تلك السنوات الماضية ... لقد ارتكبت خطأ زوياً ... ولكنه أيضاً لم يمتثل . ألم يمنعها ما يحجز زوجها عن منحها إياه ... إنها مجرمة في نظر المجتمع وفي نظر الناس ، ولكن أيدري المجتمع عن أفعالها شيئاً ؟ ما من أحد يعلم ، حتى زوجها لا يدري من الأمر شيئاً ، وخير له ألا يعلم . ولكن أبلغ بها التندر والحلياة أن تحذمه هذه الخديعة ؟ لم لا تصارحه بالحقيقة وتفضي إليه السر ولكن بمدد ما يكون . وما الذي تراه سيكون ؟ سينكرها ؟ سيطردها ؟ أجل ، فما في وسعه أن يفعل غير هذا . حسن وماذا في ذلك ؟ حسبما إذا طردها أن يكون لها مادل . ذلك النور الذي أشرق في أفق حياتها المظلم . ذلك الأمل الذي أجرت لتحققه وأتمت لتبنيه . أجرت ؟ أتمت ؟ إنها لم تجرم ولم تأتم . إن المرأة لتزخر بماطفة أخرى غير عاطفة الحب ... عاطفة الأمومة ويجب أن تشبهها كما تشبع عاطفة الحب ... فهي لا تستطيع أن تعيش على الحب غصب .. وهما هو ذا زوجها قد قصر عن إشباع تلك العاطفة الكبوة فالتفت إشباعها عند رجل غيره ، فهل في هذا إجرام ؟ . . . خليك بترجل قبل أن يتزوج أن يمس في نفسه كل ما يحقق آماني المرأة ... وإلا فليتنع عن الطريق لغيره ... إذن قالدب ذنبه لا ذنبها .

وهكذا أخذت سميرة تلتصق لنفسها الماذير وتبرز الحجج حتى أتوى ضميرها وطنى عليه ذلك الحب الوليد الذي نشأ بين جوارحها نحو طفلها المميز وتصرفت بضمة أشهر كبر فيها الطفل واستطاع

وتفضى شهران شمردت سميرة بصدما بتشير تام في حالها . إذ أساءها تحول خفيف واستمع لونها قليلا وصدقت عن الطعام وأخذ الاغماء يباودها من حين إلى حين فارتاع زوجها من تلك الأعراض وظن أن بها داء فاستدعى الطبيب بنفس خائفة جزعة .

والنف الطبيب إلى فتحي باسم ثم سحبه من ذراعه إلى خارج الغرفة وحس في أذنه يقول :
— أبشر يا سيدي ... إن زوجك حامل عقلت الدهشة لسان فتحي فظل برهة ينظر إلى الطبيب في ذهول ، ثم اتقه أخيراً إلى نفسه وقال بصوت يتهدج من شدة الفرح :
— آه ... أشكرك يا سيدي ... أشكرك

ثم تركه وهروا مسرعاً إلى غصع زوجها ووقف بالباب لحظة قصيرة ينظر إليها وتنتظر إليه وكانت نظراتها مزيجا من الحدة والخجل ... والظوف غير أنه لم ينتبه إلى تلك النظرات الناطقة بل أسرع إليها وهو يهتف :

— سميرة ! ما علمت يا سميرة ؟ إنك حامل . هكذا قال الطبيب ... وافرحتي وافرحتي ... فأبليت سميرة حينها وقالت في نفسها : « نعم ... كنت أعرف . كنت أعرف . لك الله أيها الرجل » ومنذ تلك اللحظة أحست سميرة بأن هذا الرجل الجاني بجوارحها غريب عنها



اكتملت أشهر الحمل وأنجبت سميرة طفلا فرح به فتحي فرحاً شديداً وأطلق عليه اسم مادل ... وفرحت سميرة بالطفل ، لا لأنه طفلها — هي

وما كان يفيظ سميرة ويغسد عليها ساداتها إلا رؤيتها
زوجها متملقاً بابنها كل هذا التعلق

وكان يسيراً أن ترى الحياة على هذا النقص ،
لو لم يحدث ذلك الحادث الجلل الجسيم ، إذ سقط
طول مريضاً محموراً فألقى على البيت رداء حالكا
كثيلاً . . . وجزع فتى لمرض صغيره ودعا له
الأطباء فكانوا يخرجون بنتيجة واحدة ، هي أنه
مريض بحمى مموية ، إن ينج منها فسكناً ولد
من جديد

وكاد فتى يمين من هول الصدمة ... فأخفى
لا ينادر غرفة طحل ، بل راح يعض ليله ونهاره على
مقعد بجوار فراشه لا تقارق عيناه وجهه النعجل
المصفر ، وإذا أضواء السهر أو أنوار التلج تراه ينفو
قليلاً في جلسته ثم يثبته من غفوة فجأة على تحيب
زوجته ونشيحها

ومضى يومان أوغل فيهما المرض في بدن الصغير
فصيره كالخيل ، ودمع اللوت على وجهه علامة الفناء ،
وارتاع فتى لتقدم المرض السريع فراح يذرع
أرض الغرفة في عصبية واحتياج وهو بين الفينة
والفينة يحس السمع السخين ويصرق الزفرات الحار ،
ينتا جثت سميره بجوار الفراش تتطلع إليه بتنين
شمتا كل ماني الجزع والاهفة والبأس

لم تكن تبكي فقد استمضى عليها البكاء ، إنما
كان قلبها يتقطع ويتفت أسى وحزناً ...

وكان الطفل راقداً في فراشه كالخيل بلوصدوره
ويهبط في اضطراب وحشوجة وتجه عيناه الطفاً آن
إلى سقف الحجرة كأنما شيء فيه يسترعى النظر

أن ينشم لرأى فتى ، فكاد هذا يطير من الفرح ..
وراح يحملة بين ذراعيه ويهدده في حنان ويحاده
بلهجة مكسرة إعزازاً وتديلاً ويخرج من الأصوات
ما يجعل الطفل يحدق فيه وينشم في سداجة الطفولة
البرينة ...

وكانت سميرة إن ذلك تنظر إلى زوجها نظرات
جامدة لا ترسم على وجهها تلك البسمة التي تبدو
على وجه الأم حين يداعب الأب طفله ... بل كثيراً
ما كانت نظراتها تقسو حتى تنزع بالهكم والازدراء
وتسكاد أن تهم بأن تنزعه منه قائلة : « دعه ...
دعه أيها الرجل فإنه ليس ابنك »

وبلغ الطفل العامين من عمره فكان فتى
لا تسمه الدنيا حين يتاديه بلهجة « بابا » أو يحتلى
نخفيه ويداعب شارب بأناقه للصغيرة البيضاء في رداء
وطهر ... بل كان يشمر بالزهر والخيلاء حين يسير
في الطرقات الموبنا وبجانبه عادل يمشي في مشيته
وهو مسك يده

واستقرت سميرة وهدأت نفسها وظنت أنها
أوتيت خزان الدنيا في شخص صغيرها القدي ...
وكانت تنظر إلى وجهه الأبيض المشرق فتعجب الحنين
بطاني عليها وتشمر بقلها يخفق بالحلب الكبير ...
وكثيراً ما عاودتها ذكريات قديمة وهي تنظر إلى
وجه ابنها ، فقد كانت ترى في وجهه ملامح نجم
أشرق في أفق حياتها سامة ثم خبا ... كانت ترى
في وجهه وجه أبيه فترتمد وتهتز كأنما مسها تيار
من السكر ياء عيف

ملأ الطفل البيت حياة وبهجة ، فأخفى كدينة
مأهولة صاخبة بمد إذ كان كصحراء مجدبة قاحلة .

كوبا من الماء وأدقته من فم الصنوبر وما كاد الماء يلمس
شفتيه حتى لفظ النفس الأخير
صرخت سميرة في جنون وراحت تلطم خدها
وتقتلع شعرها فتناض قلب فتحي وجزع. وكأخاف
الحقيقة فوق ينظر إلى الطفل الميت نظرات ذاهلة برهة
قصيرة.. ثم أدركته الحقيقة القاسية فاندفع إلى الجنة
يحطرها وابلا من قبلاه وهو يراؤز ثم أسد جريح
وانتهت سميرة من حزنها على براخ زوجها
وعويله ونظرت إليه وهو منكب على الجنة يقبلها في
كل أجزاء الوجه المتنع ... نظرت إليه في ذهول
ودهشة ... ثم تولاهما الحلق والغنيط ... وتمت
وعلى وجهها ابتسامة ساخرة :

— يا لقر الأب! ماذا يفعل إذن لو كان يعلم!؟

محمد عبد الفتاح محمد

وانشق صدر سميرة عن صرخة هائلة دوت في
سكون النرفة الريب ، ثم وانما الممع فأنفجرت
تبكي بكاء مرأى فارتاع فتحي وأسرع إلى الطفل
فألفاه بنفس يبطء وصعوبة فواده الأمل ، وأدرك
أنها تكاد تجن من شدة الحزن وأن منظر الطفل
المشجى قد بثت في نفسها اليأس قتالا ميمتا
والواقع أن سميرة أنكرت على القدر أن ينتقم
منها هذا الانتقام الريب فيسلب منها طفلها ...
ماذا عليه لو تركه لها وليقبل فيها هي بمدند مايشاء ؟
إنه انتقام ... أجل إنه انتقام . فيالحموة المتقم !
والثفت الطفل برأس ألقته الحى للقائلة إلى أمه
وقال بصوت تمشى فيه الفناء :

— أشرب ... طوز أشرب

فاندفعت أمه تتمثر في دموعها الفزار وأحضرت

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في الثمن

رائعة في ألوانها

فيادروا باخذ طلباتكم

مَذْهَبُ طَائِفَةِ سَمَاءٍ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ طَهْ الْحَاجِرِيِّ

إلا عطر الأحاديث . إذ كان رجلا كامل الرجولة ، فاضلا على أئمته من الفضيلة ، لا يستهويه من رزق الشباب ونزوات الفتوة ومغريات البيئة ما نهافت عليه أهل المصراعمة إلا من عصم الله . فنعمت به خير ما ينعم حبيب بحبيبه ، وحدث الله على هذا

التوفيق الذي أنساني هموم الحياة وغمرني بالثمة الحقة ، وأوجد حولي جوامع الواقع يتسق مع ما كان يقوم في نفسي من أحلام للثل العلياء التي أنشأتها في نفسي تلك البيئة الدينية الخاصة في انقباضها وترتمها ، وزينتها في صدرى غضارة القلب للناسم .
السلام . . .

ولكني لا أكتفك أني كنت أحس في بعض الأحيان أنه قد احتجز لديه من أسراره سرا يطويه عني ، ويصطنع الحيلة والحذر في كتمان وإخفاء بوارده ، فكان يحبك لهذا في صدرى شيء من التيرة والألم ، ولكن ما كان أسرع ما يتلاشى في غمرة النسيم الروحي الذي يملأ قلبي ، فلا أرى أمامي إلا ذلك الرجل القاضل المهذب ، وتلك الروح الطليقة الصافية ، وذلك الضوء الساطع الذي يمتد فيها بيننا ويفر ما حولنا ، وهكذا مضينا أرواما خمسة لم ينل من هذه الصداقة شيء . ولا تغير في عيني شيء من معاني الكمال الخلقى الذي كانت تتألق به نفسه ، ولم أعد أعيا بذلك السر الذي كان في قرارة صدره وكان يحيل إلى أحيانا أنه سر امرأه ، إذ كنت أشم منه عبير الحب ، فمر أحاول مطلقا أن أسأله منه وما ندمت على شيء فيها بعد ندي على إغفالي هذا

حدثني صاحبي ، قال :

كان فيمن صحبت من الناس في أوائل الشباب شاب في عتقوان السن ، وكان من أهل اليسار والتمعة ، أنيق اللبسة ، متدفق الفتوة ، كثير المرح ، ولكنه مع هذا على خير ما يكون عليه الرجل الصمد ، فبا أهرف أنا من كلمة السعادة ، سلامة صدر ، وطهارة قلب ، ومثانة خلق ، وبدا عن سفاصف الحياة وصنائير الشباب .

وكان أول أمرى منه أني لم أكد أهرفه معرفة السمع والبصر ، حتى أحببته حب الرأى والمأطفة ، كأنما كان بين روحينا منذ البدء أسرة ، كما يقول علماء الروح ، وإن فرقت من بسبب بيننا شئ الفوارق الاجتماعية ، حتى ما كان لثلى أن يصحب مثله . ولكننا ما إن تراءينا حتى تمارفنا فثقتنا فحضر كل صاحبه وده وخلط به نفسه ، فكان عيبة سره ومستقر أمره وراحة صدره . وذهبتا لتساق ككؤوس الصداقة الصادقة ، لا يشوبها شائبة غرض ، ولا يسبها ما تمنع له علاقات الناس من أهواء النفوس المختلفة ، وعلاوات الحياة المادية العنيفة . ومعنيانا على ذلك عهدا طويلا لا أجد له في قلبي إلا كل محبة ، ولا أنسم عنه بين الناس

الروحى الذى قدته فقدت منه حظاً غير قليل من
الثمة الصادقة والروح النفسى

وسارعت إليه ، فمضى لى ، ونحى لى ، وأجل
نحيتى ، وبائع فى تكرمى . ولكنى كنت أشعر بذلك
كله فى دخيلة نفسى ألفاظاً لا معنى لها ، وصورة
للصدقة لا روح فيها ، وأنكرت من شخصه
ما أنكرت بالأس من رسائله ، وكأن لم يتغير شيء
فى رأى قلبى . وحسبت هذا صنع الزمن ، فرجوت
منه نجهيد ما أخلفه

ولكن صهيات ...!

فلقد ترامت إلى الأخبار من كل وجه أن ساحبى
قد حال أمره ، وتغير عهده ، وانقضت عهده ،
فأصبح من ذوى الجبانة والعمر والتبطل ، وجعل
حياته كلها فى أعقاب كل فاجرة ، وابتداء كل
مستهرة ، واقتناس كل ساذجة . وجعل يبذل لهذا
عن سمة من نفسه وماله لا يبالي ما أنفق منهما ،
ولا يابى لمصيبته فيهما ، ولا تراجع فى ذلك رأياً ،
ولا يعبأ بجمرة مطوية أو مكشوفة . وذهب عنه كل
ما عهده الناس فيه من رأى مترن وبصيرة نافذة ،
فطوى كل قواء للتفكير ومواهبه للنفسية فيما زين
له من شهوة عاتية ونزوة طائشة

قيل لى هذا ورويت لى النوادر المجدبة والصور
الطريفة من حياته هذه ، وأنا لا أكاد أصدق ما يرويه
الناس ويؤكدونه ويتواترون عليه . فقد صحبتته تلك
اللذة اللديدة ، وخالطته خالطة الأخ الأدنى ، كما سبق
لى القول ، فأأنكرت عليه شيئاً تحزى منه الفضيلة ،
ولا أخذت عليه ما يقدح فى خلقه أو سروده ،
ولقد أثبت أمره قائماً هو تقي الدخلة قد تشابه ظاهره
وطنه واستوى سره وعلمه ، فما باله اليوم ؟

الأمر ، وإغضائى عن هذا السر ، وعدم احتيالى
لمعرفته فربما كان فى ملكى أن أحمل شيئاً أخذه
قرباناً لى الحب والصدقة والفضيلة ، وما أجلها قرية ،
ولكن الله غاب على أمره

ثم ضرب بيننا الدهر فطرحتنى بعض شؤون
الحياة الماتية مطرحاً بعيداً ، فكنا تراسل بما يقوم
بحق الصدقة بمد أن حاول الزمن أن يتال منها ،
وكانت تأتبنى رسائله فيفتتح لها قلبى ، وتسلط ألفاظها
بمعانها سطوها روحياً باهراً ، فأجند لها نشوة
أى نشوة ، وأسشعر منها لذة لا تمدها لذة ثم ...

ثم أخذ عمودي بهذه اللذة بضمف ويتضائل ، ثم
إذا بى لا أرى ذلك النور الذى كان يتألق فى كلاله
وهدت من بدلا أنراً فى رسائله إلا أحرقاً مجتمعة
وعبارات مصطنعة ، لا أكاد أحرف لها معنى ،
وأخذت لى لها غاشية من الألم والحيرة ، وانهت
نفسى بالنسيان ، ودميت قلبى باللال ، وطلجته الملاج
الشديد أن يعود إلى عهده من إدراك معنى الصدقة .
ثم لم أدر بمد إن كان قد سدى فلم تمد تلك اللاماني
تتجلى فيه وتنمكس عنه ، أو أن فى الأمر شيئاً وراء
هذا يرجع إلى أن الصدقة قد فقدت قوتها الروحية
وخلت من معانيتها التى قامت عليها وشدت منها
وحاطتها أبلغ الحياطة . وما زالت الحيرة ترددى
بين شقى للفروض ولكن الرسائل كانت ما تزال
تروح وتشدو فى بيتنا تحمل ما يتراسل به حمة للناس
من كلام لا طعم له ولا روح فيه

ثم أتيت لى العودة إلى مسارح ودى القديم
بمد عام وبمضى العام ، قسدت وأنا أشد ما أكون
شوقاً إلى مطالعة ساحبى وتجديد العهد بذلك الجمال

روح المكان ، وفنتنا في جلال الذكرى وأحسست في قرارة قلبي بالضوء الجليل الذي كان يشرقنا حين كنا نجلس هذا المجلس من قبل . ثم بدأ صاحبي يتحدث أجمل حديث وأروحه على قلبي حتى كدت أنسى تمامًا انقلابه الأخير ، ولا أرى إلا عهداً من الود الصادق موصولاً .

وبينما نحن كذلك لاح لنا ضوء سيارة على الطريق الزرعي تتوجه شطرنا ، حتى إذا حاذتنا أو كادت وقفت لتمود . وكان بها شاب حسن البزة ، متألق للشباب ، وإلى جانبه فتاة بدية القوام مشرقة الوجه ، وقد ألقى القمر عليها أشمته فبدت في أبهى منظر وأروع مجلى . ورأيت صاحبي قد ألقى نحوها نظرة ثابتة مبهوة لم يرجعها حتى دارت السيارة ورجعت أدراجها ، فزفر زفرة حرة ولففت إلى يقول :

— أرايت هذه الفتاة ؟

— أجل ! وماذا تريد ؟ أطريدة جديدة تنصب لها شاباً كك ، وتعد لها أشراكاً ؟

— ماذا الله ! بل مبدع راسي ومحراب قلبي :

حيل بيني وبينه ، فاندفعت في الطرقات اندفاع الهم الجماعية

فسكت برهة أنأمل قوله ، فلم يكشف لي عن وجهه ، فاستوعبته مناه ، فأطرق لحظة حسبته بما لج فيها نفسه أعدل العلاج ، وبرادوها عن سر قامت دونها الحب والأعلاق ، ولبثت أنتظر وأناهب لسباع قصة ممتعة تكشف لي عن ناحية من حياته . ثم التفت إلى يقول :

— أعني أنها كانت حبيبتى التى سيطرت على قلبي ، ثم ...

أنى الممكن أن تنبئ الأخلاق وتحول الطباع وتتحول الشخصيات بهذه السهولة ، وفي عدة من الشهور قليلة ؟ أم كنت غدوفاً في أمره ، ممصوب العينين تجاهه ، وأنا أحنى بصيراً به ، مثبثاً من حقيقته ؟ أفى الممكن هذا ؟ ذلك سر من أسرار النفس ، ولنزمن أنوار الحياة الانسانية ، وما أكثرها وأخطرها !

لقد ذهبت النفس التفسير من كل مظان ، وأقبلت أعدت إلى هذا وذلك من أقره الأذنين في خاصة أمره ، وما عساه قد داخل حياته ولايس نفسه ، فأيمان أن أجده تفسيراً يطمئن إليه عقل ، ويطرد مع ما أمرفه عنه ، فأصرفت عن هذا وفي نفسى من الحيرة بتقدار ما أجده من الألم له ، والفتنة فيه ، واللوعة لصا به ، وترجت على عهد كانت صداقتنا فيه كالندير الصافي تنمكس عليه أشمة السماء

ولفينة أصيل يوم من الأيام في طريقى إلى صراشى بظاهر المدينة ، وكنا نمتاده ممام قبل . فاستصحبته فصحبني إليه ، حتى إذا عشناه كانت الشمس قد غربت بمغربها ، وطلع اليبدر من مشرقه . وصراشنا هذا هو روضة على جانب طريق زراعى ، تقوم بها أشجار متشابكة الأغصان ، وتحفها شجيرات ملونة الألوان ، وتنتثر على أرضها أزهار مختلفة الألوان ، وقد جرى إلى جانبها غدير صاف يتألق في ضوء القمر وقد سطع علينا من ضلائه ، فاجتمع لهذه الروضة جمال الأرض وجمال السماء ، وكانت نساها تتأرجح بكرات الود للقديم ، فاجتمعت لنا منها ممتعة الحس وممتعة الروح . فجلسنا على مقعد وضع هناك ، وقد تركنا أنفسنا لذكريات تتناجى وتتجاوب ، حتى غمرتنا

ولكني لم أدعه بكل حديثه قلت له :
— أيهن ؟ فمن كثر

فنفار إلى نظرة فيها معاني الألم والتوسل وقال لي :
« ناشدتك الله دعني من هذا التهمك والتأنيب
وحسبي ما أشعر به في قلبي من لدغ كلذع الجحر ،
فإن روح هذا السكان قد ليست ضميري فنفخت
فيه الحياة ، ولا والله ما أحببت إلا هذه الفتاة التي
رأيتها ، والتي أنا محدثك عن أمري بها :

لقد عرفتها في ميمة السن ، وأحببتها في مطالع
الشباب . ولست أذكر الأسباب التي وصلت بيني
وبينها ، وهيات لي سبيل حبها ، ولكني أذكر أنها
ما زالت تكبر في صيني وتعظم ، وما زالت تتخذ معانيها
وتتسع ملء الأذن ، حتى تألمت في رأي قلبي ،
وغرمتني بأشعتها الساحرة فأحسست كأن نفسي
مشتقة منها ، وكأن وجودي مندمج في وجودها .
وجعلت لا أراها بمد إلا معنى متسقاً من الجلال
والطهر والمظلمة ، يمت في نفسي معاني الحب
والفضيلة والمغشوع

وجعلت أدور في فلكها الساحر الجميل الثلاثي
وما شمرت قط بالسيق به والرغبة عنه والتفتت منه ،
إذ كان عالي الذي لا أحرف طالع سواء ، والذي
اجتمعت لي فيه كل أسباب التمة ومعاني اللفة
ومظاهر السكال

ولقد كنت فتى تعلاً الفتوة هروقي ونهز
أعصابي ، وكان جذيراً بها أن تفعل بي فعلها الطبيعي ،
فتوجعني تلك الوجهة التي يتجهها الشبان ، وتسوي
بي ذلك الهوى الأخير بشق اللذائذ الجسمية ،
وتقذفني إلى تلك السباحة التي يحف بها شياطين
الانس والجن بوحى مضهم إلى بعض زخرف القول

غروراً . ولكني كنت محفوقاً بروحها اللامائية ،
محسوراً في فلكها الدماوي ، ملوفاً بمعانيها الجميلة ،
ولذا أحبها البري .

لقد كانت ملاك روحي ومساك فضيلتي وشمس
حياتي ، سواء في ذلك شهودها وغيباتها وجلوها
وحجابها ، إذ كنت أحبها في شعوري بها وإحساسي
بحبها . ولكني لا أذكر يوماً من أيام حبنا ، ضي
دون أن أجلس إليها ، وأتمتع بطلعتها ، وأملأ قلبي
بجمالها ونضرتها ، فكنت أرى حالة من اللند تحيط
بوجوهها ، وطالاً من الفضل والشرف والجمال والسكال
يقوم حولها ، فكنت أنظر إليها نظرة حب وإجلال معاً
وكنت أقرأ معها أحياناً بعض كتب الأدب
فأشهد ما عرفت أستاذاً يشرح دقائق الفن كما كانت
تشرحها لي في نظرة أو لطفة تحيط بالمعاني النفسية
البعيدة ، فتجلوها أمام صيني كأنها صورها مصور
سنان ملهم . والله ! لقد كانت تحبني بالفاظها ،
حديثاً فيه تمة القلب والأذن ، وفيه جلال التهمة
والعنى ، وفيه الحبيبة بكل مظاهرها ومعانيها . أواه
أواه من ألم الله كرى وبقيمة المصاب فيها !

لند أياها على القدر فرماني بذلك الشاب الذي
رأيتني إلى جوارها : ساقه إلى خطبتها ، وزينه لأعين
أهلها . فاني لجالس ذات يوم وإذ بها مقبلة علي ،
وفي عينيها آثار البكاء .

فجزعت وأخذتني الوعة ، وأقبلت عليها أسألها
فقصت علي القصة ، وطلبت لي أن أقدم لطلب يدها
عساي بذلك أهد الخطر الهام وعرفت حين ذاك
أن ذلك الشاب موطف بوزارة الداخلية ، من أسرة
متوسطة الحال ، يتقاضى مرتباً لا يتجاوز خمسة
عشر جنياً . وقد رآها مرة في طريقه ، ثم ذكرت

الشهوة في مذهبها، بمد أن كانت محبوسة من حب فتاتي في مكان صحيح .

ويلاه ! لقد كنت وجدت في حبها سبباً يصلني بالسبب وما ترخر به من اللاتسكة ، فلما انبت السبب هويت إلى الأرض أنمرض لزغات الشياطين والأبالسة .

لقد كنت من حبها في فلك سحري جميل ، أدور به أينما درت في حدود جاذبيتها تمسكي أن أهوى أو أنحرف ، فلما ذهبت تلك الجاذبية عني جعلت أنطوح هنا وهناك لا بمصمى حاصم ولا بمنصى شئ .

كنت معها ملكاً فأصبحت بدونها شيطاناً
كان قلبي منها في محيط نوراني مشرق ،
فأصبح من يدها في ظلمات بعضها فوق بعض »
وهنا أخذته الذكرى وبلغ به التأثير ، فلم يملك نفسه من البكاء ، وجعل ينشج نشيجاً صراً ، وأنا أحاول تهدئته والتخفيف عنه ، حتى سكنت عنه البكاء فأخفت يده ، وأخذنا طريقنا إلى المدينة ، وسرنا في صمت ظاهر ، تنكسر من تحته الخواطر ، وتتقلب فيه الصور والماني ، وحدث قصة حبه تتردد في خاطري مختلطة بقصة صداقته وهو دود . فذكرت ذلك للسر الذي كان يحاول كتمانها ، وقد صدق فيه حدسي : إنه سر الحب الذي أترع له كؤوسه في عالم اللاتسكة المقربين ، ثم تركه يهوى بين المردة والشياطين « ونمت أشد الندم على إغفالي هذا الأمر ، وإغضائي عن هذا السر ، وعدم احتيالي لمرفته ، فربما كان في ملكي أن أحمل شيئاً أعزبه قرباناً للحب والصداقة والفضيلة ، وما أجعلها قرعة ، ولكن الله غالب على أمره » محمد طه الجاهري

له فتقدم إلى أبيها - وهو رجل ساذج غفل - وحوله حاشية كبيرة من هيئة الوظيفة ، وما يئته الروم من حولها ، وما يخلطه السابرة عليها ، من الأنواء الساطعة والألوان الزائفة .

وتقدمت إلى الخطبة وأنا لا أكاد أشك في الفلحة والظفر ، إذ كنت أحسني ممتمها بأقوى الأسباب في مثل هذه الأمور ، من مجد الأسرة واتساع الثروة وشرف الاسم . وأنا متافسي فإني لا أملك إلا الوظيفة وأهونها . ولكن خاب ظني ، فان الوظيفة التي طلعت على شق نواحي الخير في مصر ، وهزمت صفات الرجولة والشتم والإياء في نفوس الناس ، قد أخذت بالموازن المتبرجة في تقدير الرجال ، فشالت كفتي ، ورجعت كفة ساحبي ، فتسلل لي أهلوها بأن فلاناً سبقني إلى خطبتها ، وما هي والله إلا الوظيفة ومصيتها وسوء أثرها في أنظار الناس . فانصرف وأنا أراني قد أصبت في قلبي بما سطمه تحطياً وتركه هشياً .

... وانتقلت صاحبتى إلى بيت زوجها ، ولم يلبث أن سافر بها إلى مقر وظيفته ، فاقطع ما بيننا تماماً ، ووجدت هي في بيتها وأسرتها ما يستأثر بروحها ونشاطها النفسى ، وأما أنا فإذا لقيت ؟

لقيت شر ما يلقاه امرؤ مما يسمونه برد الفلفل
لقد طرحت بي تلك الصدمة النيفة إلى الجاهة والمقابلة لما كنت فيه مما أحسبه أسمي حالات الخير والفضيلة ، فارتكست فيها ترائي فيه ، وتنكره على ، من الخلعة والتبطل ، والجري وراء كل بنى طموح ، وكل طائفة صرية ، وانطلقت هريزنى الجنسية في كل طريق يفسح الهوى من جوانبه ، وتريد

هل أطلق سراحه أم أقوده إلى الأسر؟
وبالتالي هل أكون نمرًا أم خنزيرًا

وبينا كنت أفكر في ذلك ناد يوسف
الأرمي وأخبرني أن صحة زوجته تحسنت
بعد أن استراحت في ذلك المنزل ، ولكن
الضئف الناشئ من التزييف كان لا يزال
مانعا لها من الانتقال إلا إذا طاردها السردار
فاضطرت إلى الفرار من وجهه ، وأنها أخبرته بقصتها
منذ اختطفها الفارسان إلى أن وجدها يوسف

قالت : إن الذين اختطفوها ذهبوا بها في الحال
إلى بيت السردار فأمر بوضعها في منزل الحرم بين
جواريه وأجازها على اختطافها وإن السردار لما رأى
ضئف بنيتها وهزال جسمها أمرها فجعلت بين
الخدومات الماديات خدعت الله على ذلك . وكانت
تجنب الظهور بأى مظهر لكي تبقى همة . وقد نجحت
في ذلك أول الأمر ولكن سوء الحظ سلط عليها
مجنونا من جوارى القصر تظاهرت بودها وأفهمتها
أنها تريد مساعدتها على استرداد حريتها

فلما أصفت حرم إليها واعترفت لها برغبتها
في الفرار ظهر غدر المجنونة وتقلت الحديث إلى
السردار

قالت حريم : « فلما سمع ذلك اغتاظ غيظا
شديدا وأمر بأحضاري وأمنى ما أكره سماعه من
الوعيد والتأنيب وهددني بالوت إذا حاولت الفرار
وأمرني بأن أبرهن على إخلاصي بالاستعداد لمقابلته
في تلك الليلة فصممت على أن أهرب بمجرد عودتي
بالقاء نفسي من النافذة فلما أن أتمكن من النجاة
وأما أن أخلص من الحياة

حاجي بابا إصفيائي

للكاتب الإنجليزي "جيمز مور"
بقلم الأستاذ عبد الحفيظ النشار

الفصل الثامن والثلاثون

بين الرماح والضمير

أتم الشاب الأرمي قصته وتركني بين أشد
عوامل الدهشة من غرابة قصته والاحجاب بحسن
صفاته . ثم أذنت له بالذهاب مع بعض جنود لروبة
زوجته في المنزل الذي وضعتها فيه لكي تستريح ،
وقلت في نفسي يستحيل أن تكون هذه القصة
الطويلة التي قصها عليّ مخترعة كلها لأنني قد رأيت
بنفس المرأة التي يشكك فيها ووجودها أقوى دليل
على صحة الرواية التي رواها . ولكن إذا تركتهما وعلم
السردار ذلك فلا شك أنني سأفقد وظيفتي وربما
فقدت أذني أيضا . إن الرحمة لا تلائم مصلحة
مادمت أريد البقاء في هذه الوظيفة ، ولني أن أكون
حكما كما يقولون متى إذا لم أنبج حكمة لقان الذي
يقول فيها : « ما ينبغي للناس أن يظهر بمظهر الجار
كيلا يجمع بين الشراسة وبين الخلد . فمن كان
يشبه النمر فليظهر بين الناس شرسا كطبيعته لأن
ذلك أقرب إلى الفضيلة . وما ينبغي للجار أن يظهر
بمظهر النمر ، فان السالم يكون أشد قسوة عليه منه
على سائر الجبر . فمن يشبه الجار فليظهر بين الناس
سجارا ، فان ذلك أقرب أيضا إلى الفضيلة »
بقيت مترددا فنيا يجب على عملي نحو يوسف

ووافق على ما عرضته عليه ، فأذنته بأن يمود مرة أخرى إلى زوجته ليودعها وليخبرها بما قلته له فشكرني مرة أخرى وسار مع واحد من جنودي

الفصل التاسع والثلاثون

برسف المدعى ببره على أهل نقرة مايم بابا سرنا متجهين نحو الحدود القوزاقية ، وكان يوسف خير دليل عرفناه لمعرفته بهذه الجهات مرفقة دقيقة أدهشنا ولم يبد منه أى ميل لزيارة قريته وقال لى إنه لن يستطيع الذهاب إلى تلك القرية حتى ولو أمرته بذلك لأنه أنذر ألا يموده إليها إلا مصحوباً بزوجته

لقد اتضح أن الخبر الذى بلغ مسمع السردار من تقدم الجيش الروسى غير صحيح لأن الروس كانوا لا زالون صراطين على شاطئ نهر يماي وقد احتلوا قرية «جامبل» ونحسوا فى «قرقليسه» وكنا قريبين من هذين المسكنين وأردت أن أعرف عدد الجيش الروسى فيها وحالته الحربية فغطرتلى خاطر يتلنى بذلك ويوسف الأرمى ، وقلت فى نفسى : « إن بقاءه على الحالة التى هو عليها لا يشرفنا فاما أن نفقده وإما أن نحمله وعزمت على إرساله ليتجسس على الجيش الروسى فان أدى مهمته استحق العقوبة وإن ذهب ولم يبد عدنا إلى القرية التى تركنا فيها زوجته وأخذناها إلى السردار وثقلنا مكافأته

ولما طلبت الأرمى وفاتحته فى الأمر أدرك مقصدى وغابى بمثل سرعة البرق وقبل المهمة التى عرضتها عليه ، وما هو إلا أن أذنت له حتى وضع بندقيته على ظهره وسار نحو القرية

ولما فتحت النافذة كنت أريد إلقاء نفسى منها ولكننى رأيتك يا يوسف فحمدت الله

وكان بعض الجوارى قد جئن قبل ذلك بلحظة فأمرنى بالاستعداد لخول الحمام فصرهتن عنى بحيلة وأغلقت باب الغرفة قبل أن أفتح النافذة مصممة على اللحاق بك أو على الموت محاولة ذلك «

بعد أن أجمعى يوسف تلك القصة التى روتها له زوجته أظهر اهتماماً شديداً بمعرفة رأى فى أمره وتوسل إلى أن أعده ييذل مساعدتى له ومنحه صداقتى ، وكان جنودى قد حدوا فى ذلك الوقت من الأماكن التى كانوا متفرقين فيها وأعدوا جياهم وجوارى لاستئناف سيرنا ، وكان رأى قد استقر بعد تردد فى شأن الأرمى وزوجته فتأذنته وقلت له :

« بعد القصة التى سمعتها منك يا يوسف صار عمالاً على أن أطلق سراحك لأنك قد اعترفت بأخذ حيدة من قصر السردار ، وذلك ذنب قد تماقب عليه بالموت ، وقد كان واجباً على ألا أمهلك وتلك السعيدة إلى الآن بل أبست بكاً إلى أريشان ساعة اعترفت لى حسننا الاعتراف . ولكن إذا قبلت ما سأعرضه عليك فانى لن أنفل هذا «

ثم أخبرته عن وظيفتى وعن المهمة التى أرسلت لأدائها وحرصت عليه أن يوافقنا فى تلك المهمة فيكون دليلاً لنا فى البلاد التى يبرفها أكثر منا وقلت : « إذا رأيت منك إخلاصاً فى خدمتنا فانى أعذك بأن أداقم عنك عند السردار وأتوسط عند رئيسى وأحصل بإذن الله على أمر بإطلاق سراحك وفى هذا الحين تبقى زوجتك بالنزل الذى هم فيه الآن حتى تعود إليها سالماً «

لما سمع يوسف قولى دما منى فقبل يدى شاكرأ

قال إنه لما وصل إلى مدينة « حاملو » حرفة
بعض الجنود الروسين الذين كانوا في قريته الفارسية
فأحسنوا استقباله وأخذوه إلى قائم الذي سأل
عن النرض من بجته فلم يجد خيراً من الإجابة بأنه
جاء للبحث عن زوجته وقد كان له من التكتبات التي
حلت بقريته وشردت أهلها ما جعله قادراً على السكلام
دون أن يثير شبهة حول نفسه، ثم سمح له بالبقاء في
القلعة وتمكن بإبدائه ملاحظات يظهر فيها إخلاصه.
وبسؤاله مع للتظاهر بدمم الاهتمام — تمكن بذلك
من معرفة ما ذهب ليعرفه وليخبرني به من عدد
الجنود ومقدار السلاح وما يمكن معرفته عن خطتهم
في الحرب

أمرت بتقديم الطعام إلى يوسف وأذنته بأن
ينام ليسترخ وتأملت فيما سمعته فلم أجد فيه شبهة
الكذب. وفي الصباح أمرت جنودى بالاستعداد
للمودة نحو أريفان وجعلنا الطريق إليها من جهة
أشتارك، وهناك علمنا بنض الشيء من حركات
السردار وقائد جنوده، وأذنت ليوسف أن يزور
زوجته، فذهب وعاد فرحاً مسروراً وقال إنه وجدها
على أحسن حالة وقد شفيت من جراحها وشكرنى
تكرار إحسانى إليه

وكان السردار قد انتقل من أريفان إلى مقر
البطركية الأرمنية فتقدمت إليه ومى يوسف

الفصل الأربعون

ماجى بابا برافع عن يرسف

يدعو الأرمنيون هذه المدينة « إيشميازين »
ويدعوها الإربانيون والآراك « أوتش كليس »
أى الكنائس الثلاث ! وهى قرية كبيرة واقعة في

بمد ذهابه قال أحد جنودى : « لقد ذهب
ولنى يمد »

فقلت له : « إن الرجل أرمى وقد كان يفعل
ذلك لولا وجود زوجته فالأرمنيون لن يتركوا
نساءهم مهما كانت الأسباب »

فقال جندى آخر : « هذا صحيح ولكنه
مسيحي والروس مسيحيون كذلك ويعد أن يجتمع
بعضهم ببعض ثم يمدون إلى المسلمين وأنا أراهم
على جوادى هذا إن عدتم إلى رؤيته »

قال جندى ثالث أشيب الرأس قد جمدت
وجهه السنون : « ما هذه المهارة ! إنك لا تعلم
الجواد حتى تراهم عليه فالجواد جواد للشاه »

فقال ذلك الجندى مائداً : « ولكنى أراهم
عليه وما كان يملوك للشاه فهو يملوك لى »

أسكت الجنديين ورأيت عن كئيب مكاناً به
حشائش تصلح لأطعام الخيل فأمرت الجنود بالإنجاء
نحوه، وزلنا من الجياد وأقننا الخيل وأعلنت رغبتى
في الإقامة بهذا المكان حتى يمود يوسف ثم أرسلت
بعض جنودى ليحصلوا على كبش أو نمجة لنا كل
فذهبوا وحادوا بكبش سمين ذبحناه وأوقدنا النار
فشريناها وأكلنا بشهوة قوية وأبقينا للفد ما زاد لدينا
أظلم للساء ولم يأت يوسف ولكن لما استعدنا
لنوم تاركين رجلين منا لحراسة الجياد سمعنا صوتاً
من جهة بعيدة . وكان القمر إذ ذاك بدرًا وكانت
قد مضت ساعة بمد منتصف الليل ثم سمعنا الصوت
مرة أخرى، وكان في هذه المرة أدنى إلينا فاستيقظنا
وتكررت الأصوات فلم يبق لدينا شك في أن القبل
هو يوسف ثم جاء وكان في حالة شديدة من التعب
ولكنه مع ذلك كان قادراً على أن يسرد علينا قصته

المر وشكه قريباً من شكه
وجمل القول في وصفه أني لم أر قط شيئاً له
ولم أتصور قبل رؤيته أن إنساناً يكون بهذه الخلقه
وكانت نظراته تدل على أنه لا يحترم قانوناً من قوانين
الأرض ولا السماء . وكان يكظم غيظه إذا شاء
ولكن إذا مار غضبه فلا حد لقوته وعنفه

على أنه مع هذه الصفات القبيحة كان ذا صفات
جميلة محبوباً عند جميع مرؤوسيه ، فهو كثير
التبسط معهم بطلق لهم الحرية في كثير من الأمور،
وهو شديد الدكاء . وكان يتبع مع الشاه خطة
سياسية جعلته محبوباً لديه موثقاً به . ومن
أخص صفاته أنه يخلص في حياجه من برام غلصين
في خدمته . وربما لم يكن في البلاد الفارسية من
يتافسه في شرب الخمر إلا صديقه النازا كشي باشي .
وقد دخلت أمام هذين الرئيسين ومضى ثلاثة من
أكبر أتباعي

فقال لي النازا كشي باشي ساعة رأي :
« مرحباً بك يا حامي بابا ! أخبرنا كم روسياً قتل ؟ »
هل ملك بعض رؤسهم ؟ أنا :
قال لي السردار : « كم عدد الروسين الذين
على الحدود ومتى تبدأ المواجهات ؟ »

فأجبت بعد خطبة التحية المتأدبة التي يجب أن
يلقيها كل مرؤوس أمام رئيسه وقلت : « لقد قُلت
أيها السيدان كل ما كان في وسعي أن أفعله ، فقد
عرفت الجواب على كل سؤال أردتما أن تسألاه
وعندي الأداة الكافية على أن عطفنا في صمود »

قال السردار : « إن حسن المخط شيء لا بأس
به ولكننا لا نتمتع عليه بل كل اعتدائنا على سيوفنا »
ثم نظر إلى صديقه الذي قال : « نعم إن ضربة

وسط سهل خصيب ترويه جداول متعدة، وبالقرب
منها جبل « أجرى داج » الذي يقدمه المسيحيون
عموماً والأرمنيون خصوصاً السبب الذي أخبرني
به يوسف وهو أن سفينة نوح رست على هذا
الجبل عند ما انتهى الطوفان

وبطريك الأرمن في هذه المدينة مطلق النفوذ
على جميع الطائفة الأرمنية ، وهي تدعوه بلقب
« الخليفة » وهو لقب يطلقه المسلمون على أكبر
رئيس يجمع بين السلطين الدينية والدنيوية . ولكن
المسيحيين في آسيا لا يطلقونه إلا على البطريرك
الأرمني الذي تكاد تكون سلطنته على أتباعه تعدل
سلطة الخلفاء في بغداد في الأزمنة السالفة

وجدنا جيوش السردار بالقرب من الكنيسة
ومحمت أحد ضباطه يقول : « نحن سنحرق هؤلاء
الكفار ونشرب ما في كنائسهم من النبيذ »
فقلت له : « هل أنت مسلم وتشكلم من شرب
النبيذ ؟ لقد أصبحت كافراً مثلمهم »

قال لي الضابط : « إن السردار يشرب الخمر
كما يشربها الكفار ولا أعرف لماذا لا أحذو حذوه
في ذلك »

وقد ظهر لي بعد هذا الحديث أن جنود السردار
احتلت الكنيسة وأن القسس أظهروا رضام وبذلوا
مساعدتهم مكرهين . وكان الخوف متسلطاً عليهم
من غضب الإيرانيين

وقد عرف القراء قبل الآن وصف « النازا كشي
باشي » الذي صار قائداً لجنود السردار، أما السردار
نفسه فكان وجهه أشد تجمهاً منه حتى وصفه
شاعر الشاه بأن وجهه يشبه « أجرى داج » وهو
الجبل الذي كنا بالقرب منه . وكانت صفاته كصفات

ولا يسمح لجيشه بالتقهقر مهما كانت الظروف المحيطة بهذا الجيش وهم يقولون إن في جيبه مصحف السرदार .
 فقال السرदार : « إذن قلله هو القائد الذى حاربته فى العام السالف فان هذا الوصف ينطبق عليه .
 لقد أدهشنى كل الدهشة بتصرفاته الثرية وخططه وقد سرق منى مصفى فى العام السالف واست أعرف كيف وصل إليه . ولكن ذكرك هذه السألة يدل على أنك صادق يا حاجى بابا ، كم مدفاً تقول إنه لدى الجيش الروسى ؟ »

فقلت : « أربعة أو خمسة أو ستة »
 قال الكاتب صراجاً لى : « لقد قلت الآن كما هو ثابت عندى إن عدد المدافع عشرون أو ثلاثون فأى القولين هو الصحيح ؟ »

فصاح السرदार : « أنت كذب هنا ؟ »
 وظهرت علام القوة والقوة على عينيه وقال :
 « أقسم برأسى أنه إذا اتضح كذبك فى أية كلمة قلها فلن تفتنرك هذه الجرعة . إن ذقوتنا لم تخلق ليضحك الناس عليها »

قلت : « الحقيقة يا سيدى السرदार أنى لم أذهب بنفسى إلى مكان الجيش الروسى فأنا إنما أقول ما يملن بذهنى من كلام الرجل الذى أرسلته وهو موجود . إن عظمة مولاي السرदार قد حملت أحد الشبان الأرمنيين على المخاطرة بحياته ظاناً فى أن تمفوعه »
 قال السرदार : « أعفوه عنه ؟ هل فى الدنيا أرمى يستحق العفو ؟ » فسردت عليه قصة الأرمنى من أولها إلى آخرها و كنت أعتقد أن دقائى منه علناً بهذه الكيفية يحمل من المستحيل على السرदार أن يماقه بعد أن كُتلت له البفو على شرط قام بوفائه ولكن لما أنعمت القصة لم أسمع من الموجودين غير

السيف أصدق من اسطرلاب المتجم وإن جواداً وسيفاً ومسدساً لأفضل عندي من الحظ الحسن »
 قال السرदार : « وماذا تقول فى التنبؤ المتق ؟ إن حاجى بابا قد قام بجمته خير قيام وتريد مكافأته على ذلك بزجاجة من نبيذ الأرمن »

ثم قال لى : « من الذى يقود الجيوش الروسية ؟ وفى أى معسكراتهم الفرقة القوزاقية ؟ وهل لديهم مدافع كثيرة وأين مركز قيادتهم العليا ؟ »

ثم نادى كايه اسماعيل خان وأصره بأن يدون جوابي فقلت : « أقسم بنفس السرदार وقدأوها نفسى وأقسم بالخز والمال الذى أ كنهه مع النازا كئشى بائى أن الروس ليسوا شيئاً يستد به وهم إذا ماوزنوا بالجيش الفارسى لا يساوون الكلاب ، وأقسم لكم بعد الذى رأيت بهينى أن فارسياً واحداً معه رمح وسيف يستطيع أن يقتل بسهولة عشرة من الروس »
 أظهر رئيسى سروراً شديداً وقال لى : « لقد صدقت فراسيتك يا أصفهانى فقد حققت تقى بك »
 فقلت : « إن عدد الروس الذين على الحدود قليل لا يتجاوز السبعمائة أو الثمانمائة وقد يبلغ الألف أو الألفين ولكنه على كل حال لا يتجاوز ثلاثة آلاف ولديهم عشرة أو عشرون أو ثلاثون مدفاً ؛ أما القوزاق فهم أفراد قليلون ومن الممكن إخراجهم من الجيش الروسى بدفع رشوة إليهم وهذه حادثهم التى اشتهروا بها ويكنى أحدهم ثلاثون أو أربعون أو خمسون طوماناً »

قال نازا كئشى بائى : « ولماذا تذكر القوزاق ؟ إن أحدهم على جواده لا يفضل القرد على ظهر تيس »
 قلت : « هنا هو وصفهم ؛ أما أقدم فانهم يلبونهم باليجور المجنون » وذلك لأنه لا يفر مطلقاً

نفكر في ارتكاب التهم التي تنسبها إلينا . إننا من رعايا الشاه وأنت حاميها ونحن في أمن ودعة مستظللين بذلك فمن هو الرجل الذي تنسب إليه هذه التهمة ؟ »
قال السردار : « هذا هو » وأشار إلى يوسف ونظر إليه وقال : « قل لي هل اختطفت جارية أم لا ؟ »

قال يوسف : « إذا كنت قد أخذت غير زوجتي فاقبلوني ، إن التي تقول إنها جاريته هي سرهم زوجتي وقد ألفت بنفسها من نافذة دارك حين رأيته ، وكلانا من رعايا الشاه وأنت تعرف هل لك حق استرقاقتنا أم ليس لك هذا الحق ؟ نعم نحن أرمنيون ولكننا آرميون ونحن من رعايا الحكومة الإيرانية وما حدث قط أن الشاه أكره أو أمر بإكره امرأة متزوجة على أن تكون رفيقة لأنها مسيحية . والدي لا أشك فيه أنك حسبت لما أمرت بإدخالها إلى منزلك — أنها قوزاقية أسرت في الحرب . ولكن عليك متى علمت أنها من الرعايا ألا ترمي أنها من جواريك »

ازداد خوف الخليفة لما سمع الحجّة التي يشكّم بها للشاب الأرمني فأسكنه بإشارة دالة على الغضب والحدة . ولكن السردار الذي اعتاد سماع هذه الحجّة سر منها بدلا من أن يغضب ونظر إلى يوسف نظرة تدل على أنه نسي السبب الذي استدعاه من أجله . وكان يوسف لا يزال يشكّم فأسكنه السردار بقوله : يكني ! يكني ! اذهب وخذ زوجتك . وبما أنك قت لنا بخدمة فمستقبك في خدمتي وأجرك من حرس الخاص . اذهب الآن إلى رئيس الحرس ليملك واجباتك . وبليك الثوب الرسمي ثم عد إلينا . وإذا حسن مسلكتك في المستقبل فمأفوق عن غلظتك الماضية »

التفت بالشهادتين وصعد السردار في نظره وصوبه ولوى شفته السفلى على أشكال متمددة . وأخيرا قال : « لقد قام هذا الأرمني بأعمال مجيبة »

ثم نادى الخادم فأمره بأن يحضر غليونيه ، ولما صعد نفسين أو ثلاثة أنفاس أمر بإحضار الأرمني ورئيس الكنيسة « الخليفة » فجي « يوسف الأرمني » فالتفت إليه كل الميئون وبدا الإعجاب برؤيته بعد أن سمعوا قصته ورأوا منه شابا قويا تبدو عليه كل علام الرجولة . وحدد السردار فيه نظرة وأبدى النازا كشى بأى علامات متعارفا عليها عند جميع الإيرانيين تدل على شدة الإعجاب

وجي « الخليفة » وهو رجل طامع في السن ولكن لا تزال بادية عليه علام القوة .

وكان لا يسأ شيئا سوداء لأن هذا اللون هو الذي اختص به الأرمن . وكان معه ثلاثة من القسس

بعد أن وقف الخليفة دقيقتين أو ثلاثا أمام السردار دعى إلى الجالوس بفلس دون أن يحى بالبدن كما هي العادة التبعة في مثل هذه الحاة . ثم التفت إليه السردار وقال : « لقد أصبحنا نحن المسلمين أذل من الكلاب في إيران ، فالأرمن يمتدون على منازلنا ويحتشفون نساءنا وجوارينا . قل لنا يا خليفة ما هذا ؟ هل هذا من عمل الله أم من عملك ؟ »
أزج الخليفة من هذه المفاجأة التي لم يكن ينتظرها فبدا عليه الدهر . وتندي جبينه عرقا وقد علمته التجارب أن المفاجآت التي من هذا النوع تكون في العادة بداية لما هو أشد منها . وحزم على اتباع خطة المفاومة فقال : « ما هذه الحجّة التي تكلمني بها ؟ إننا لا نعلم من أفا كم فضلا عن أن

يرتدى ثوباً رسمياً ، ويمضي إلى جنبه سيفاً . وكان ثوبه أحر اللون ذهبي الأزهار والحواشي ، وعلى صدره حزام من الكشمير فيه خنجره ومسدسه ، وعلى رأسه اللقاروق الجبل الذي يلبسه جنود الحرس وقد رجل شعره الذي لم يكن يحسن تحت غطاء رأسه القديم المنسوع من الجلد ، فأصبح لجماله وروعه كأنه إنسان آخر ، وقد جعلته خصل الشعر النمدلة على جبينه أشبه بالنساء منه بالرجال . وساعد على تقوية هذا الشبه ظهور أجزاء جسمه في ثوبه الغنيق الجديد ، وكان وجهه يحمر خجلاً إذا أطال أي إنسان النظر إليه

شكرنى يوسف في زيارته على المساعدات التي قدمتها إليه ، وعلى الوفاء وعدى في الدفاع عنه . وقال لى إنه اعتقد بدأ السردار بالحديث للتقدم أنه فقد زوجته ، وإنه لذلك أجاب جواب من يريد أن يقتل حتى لا يعيش بعد أن تؤخذ زوجته منه وقال إن نجاة زوجته ونجاة ما الشيطان الساعيان لسرويه . أما تسيينه في هذه الوظيفة فليس بالشيء الذي يسره أو الذي يبطئه ، وإنه يريد العودة إلى العمل الذي اعتاده في الحقول أو الاشتغال بالتجارة أو بقاءه متبلاً في خدمة السردار دون أن يعمل عملاً ما ليس مما يتفق مع طباعه . وقال لى إنه لم يسجل بالاستقالة ولم يرفض هذا العمل خشية غضبه ، ولأنه يرى الاذن لكل شيء طالما كانت زوجته في مأمن . وقال إنه يفضل أن يعيش راعياً للخنازير في جبال جرجان ، وأن تكون زوجته معه على أن يعيش منها في القصور الفارسية وزوجته ممرضة للبي

لم يسعى عندما سمعت هذا من يوسف الأرمني

سجد يوسف عند قدميه وأعرب له عن الشكر على إحسانه وقبل طرف ثوبه ولكنه لم يعرف ماذا يقول ولم تتكون لديه فكرة بالقبول أو الرفض عن هذه الوظيفة التي عرضت عليه .

ودهمى كل الحاضرين من مسلك السردار مع يوسف لأنهم كانوا ينتظرون أن يأمر بقتله في الحال ، وهز التناز كشيء بائس كفتيه ، وأحس « الخليفة » بأن عبثاً ثقيلاً دفع عن طاقه واختفت نقاط العرق التي كانت عالقة بجبينه وبدت على وجهه ابتسامة وهنا السلك السردار على حلمه وكرم أخلاقه وشهوته بكسرى أنو شروان .

وسرحان ما انتقل الخبر إلى المسكر فلهج كل الجنود بملح رئيسهم الرحيم . ولست أعرف ما هو الشهور الحقيقي الذي كان يشير به السردار في هذه اللحظة ولكن كل الذين يعرفون أخلاقه يشقون بأن الرحمة لم تكن إحدى الصفات التي تدفعه إلى أي عمل .

الفصل الحادى والأربعون

حرب الإبرانيين مع الروس

كان « التناز كشيء بائس » ، والسردار ينصت إلى ما يقوله يوسف الأرمني عن مشاهداته في الجيش الروسى . فلما أتم قوله قررا القيام بالمعجم في الحال وصدرت الأوامر للجيش بالتقدم نحو حاملاوا ومشت للدفع إلى الجبال وتبهما الفرسان والمشاة . ولا يفوتنى أن أقول إن الأرمني زارنى قبل أن يتحرك الجيش للقتال

ولم يسد يوسف ذلك الفلاح الذي استصحبته في الطريق ، بل صار حارساً من حراس السردار

نارياً ، ورأيت على الشاطئ الآخر لنهر رجلين تدل
ثيابهما على أنهما من جنود الروس . فلما رأى أن
ليس موجوداً من الأعداء غير هذين عادت إلى
وجهه دمويته وصاح : « اقلوها اقلوها ! هاتوا
رأسهما ! تقدموا ! »

فالتى بعض جنودنا بأنفسهم في البحر شاهرين
سيوفهم وثبت الجنديان الروسيان في مكانهما ثباتاً
أدهشنا وقتلا اثنين من جنودنا التي كانت تعبر النهر
واضطر الباقون إلى التقهقر ولم يد من أحد أى ميل
إلى أن يحضو حذوم ، وحيناً حاذل القائد بالوعد
والوعد ويذل المال أن يحمل أحداً على التقدم أو أخيراً
تقدم بنفسه وهو يصيح : « أنا سأذهب وحدى
فلا يتبعنى أحد » ثم وقف وقال لى : « ألا تذهب
فتأتى برأسي هذين الرجلين ؟ إننى أعطيك فى مقابل
ذلك أى شئ تعليه »

ثم همس فى أذنى قائلاً : « إذهب فاني واثق
بأنك تستطيع قتلها »

وفى اللحظة التي كان يكلمنى فيها أصابه سهم
من أحد الروسيين فملا صخبه ونحيبه وبافت غاوفه
حد اليأس وأقسم أغلظ الإيمان أنه سيقتل كل من
يخالف أمره وقال إن الروس حقراء مبنون
لا يستحقون أن يجبن الفرس أمامهم هذا الجبن «
وعند هذا ظهرت فرقة من الجنود الروسية وظهرت
الفرقة التي يقودها السردار ، وكانت قد اصطلت
ناراً حامية من الأعداء وضعت ضمناً شديداً ، وبالرغم
من أن عمل نازا كشى بائى فى ذلك اليوم كان
جديراً بأن يمنه عن المفارقة طول عمره فإنه كان
لا يزال يتبعج بأدعائه

ثم وصلت رسالة من السردار يطلب فيها إرسال

غير أن أطريه ، وإن كنت أتمنى أن يقع اختياره
على رجل غيرى يجعله أميناً لسره لأن وقوع اختياره
على سيجملنى مستولاً عنه إذا فر

فى ذلك الوقت كان الجيش يتقدم إلى اشتارك ،
واستأذن وصف فى الذهاب لرؤية زوجته . ولما
وصلنا إلى الميدان ظهر فقدان الصبر بأجل ممانيه
على السردار . فأتى أن يبق مع المشاة لأن حركاتهم
أبطأ من فرقة الفرسان . وتولى قيادة الفرقة الأخيرة .
ومن عادات الفارسيين أن يحتفروا المشاة فى الجيش
ولست أقول شيئاً عن رئيسى النازا كشى بائى .
فقد ملأ الدنيا بأدعائه حتى خال كل من سمعه أنه
لم يبق إلا لحظات يصبح بهدا الجيش الروسى كله
فى أسرا أو يقضى عليه ، وكان يريد أن يكون فى
فرقة الفرسان مع السردار ، ولكنه اضطر إلى
الذهاب للمشاة كأمر رئيسه ، وكنت معه فى هذه
الفرقة

وكان السردار يريد الوصول إلى حاملو فى ساعة
الفجر لكي يفاجئ الروسيين عند أبوابها وسرنا
وراءه لكي ننجده إذا اضطروه إلى التقهقر
وكان وضولنا إلى النهر فى ساعة الشروق وكنا
على وشك العبور عند ما صاح صوت طال ثلاث
صيحات بلغة لا نفهمها فوقتنا ولتفتنا إلى الرئيس
الذى صار وجهه أشد اسفراً من أوجه اللوق
قال بصوت خافت : « ما هذا ؟ ما الذى نفقه ؟
أمر على يا حياى بابا ! »

فقلت : « لأظن هنا أحداً من الأعداء ولكن
ربما كان فى المكان غول مثل الفيلان الذى يقولون
إنها فى اشتارك »

وبعد لحظة سمعنا أصواتاً بربرية وسمعنا طلقاً

فأظهر غضبه وكانت كلأت بثابة الهواء الذي يهب على نار موقدة فيزدها انقصاداً . وخشيت بأس السردار إن علم بعد ذلك بأمرى فيطش في فرايت أن أختني من الميخان واستأذنت رئيسي أن يسمح لي بالعودة إلى طهران فسر النازا كشي يائي من منحه هذه الأجازة لي لأن ذلك يفهم السردار أنه وحده صاحب السيطرة على أتباعه . وأمرني ببلينغ رسائل إلى رئيس الوزراء تدل على أنه قام بعمل هام في المارك وأن غيره لم يتم بأى عمل وقال لي : « لقد حضرت المواقع بنفسك يا حاجى ييا وأنت قادر على وصفها ونحن لا نستطيع مع الأسف أن ندعى أننا اقتصرنا لأنه ليس لدينا من رؤوس الأعداء ما نستطيع إرساله ولكننا مع ذلك لم نهزم ، السردار قائد حار لأنه بدلاً من أن ينتظر وصول المشاة عرض فرقة الفرسان لخطر المزعجة لهجومه بها وخدها وهو لم يفعل غير أن نه الأعداء إلى وجودنا فأعلقوا في وجوهنا أبواب المدينة واضطروه إلى التفرق الزرى بكرامة الجيش الفارسى . ولو أننى كنت للفائد لأرى كى كيف يبنى أن تسير الأمور . ولا تنس أن تقول لرئيس الوزراء إننى أول من جرح في الجيش لأنى كنت أجراً الجنود على التقدم وبعد أن سلمنى خطاباً لرئيس الوزراء وهريرة للشاه أمرنى بالذهاب . وذهبت فوجدت الشاه لا يزال في السليمانية على الرغم من أن الخريف كان على الأبواب ، وبمجرد وصولى قدمت نفسى إلى رئيس الوزراء وأعطيتيه الرساتين فرحب بى وقال : « لقد كنت أنت أيضاً في حاملو وقد بلغتنا الأخبار من رسائل السردار ، أن الكفار لم يجرؤوا على رفع السيف في أوجه الفرسان الايرانيين ومن هم الدين (٧)

حاجى ييا إليه فذهبت مع الرسول وكانت أول جملة سمعتها من السردار قوله : « أين يوسف الأرمى ؟ أين هو . وأين زوجته ؟ » فغمر لي أنه قد هرب فأقسمت أننى لأعلم ولم تدلى معرفة بمركاته ، فأطال السردار من نظره إلى وحرك شفتيه بأشكال مختلفة وأقسم أن يصب فوق رأسه جام انتقامه وأن ينتقم أيضاً من أهل قريته ومن كل إنسان له علاقة به وأقسم أنه إذا انتصحت أننى ساعدته على الفرار بأى حال من الأحوال فإنه سيوجه كل نفوذه ضد ليخفى ظلى عن الأرض

وسمحت بعد ذلك أنه أرسل بعض رجاله إلى جافيشلو ليقبضوا على أبوى يوسف وأقاربه وكل من بينه وبين يوسف صلة من القرابة وأمرهم بأن يمحرقوا كل ما تقع عليه العين من أمتته ولكن الشاب الذكى كان يتوقع كل ذلك فاحتاط لوقومه وسار هو وزوجته وأهله في أرض روسية قبل أن يعلم السردار بأنه ترك جيشه وقد قابلهم الروس بمقابلة حسنة وعرضوا عليهم ما خسروه وأعطوهم أرضاً واسعة

الفصل الثانى والأربعون

ماجى بابا لدى الشاه

عدت إلى رئيسى نازا كشي يائي فأخبرته بالوعيد الذى توعدنى به السردار ولما كنت أعلم مقدار التعاسد بين جميع الرؤساء الايرانيين فأننى لم أتردد في إخباره بأنى مستاء من الصبة التى كلى بها لأنى مرؤوس لتيره وقد كان عليه أن يراى ذلك لأنى لا أنبل هذه الصبة إلا من رئيسى

تأثر نازا كشي يائي تأثراً عظيماً بهذا القول

فاحتشد الكاتب بيت شعر للسعدى يقول فيه :
« إن الأَكْذوبة التى منشؤها حسن التوبة لا تمتد
أَكْذوبة بتاتا »

ثم قام الوزير فذهب إلى الشاه وتيمنه في جملة
من تيمنه من الخدم والأتباع ثم نظر إلى الكاتب وقال :
« أنا الآن في غنى عنك فلك أن تذهب وتستريح »

الفصل الثالث والأربعون

ما جرى بابا برى قصة فتيمه به نكبة

بعد أيام قليلة عاد الشاه وحرصه إلى طهران وكان
موكبه في عودته من الهبة والجلال كما كان عند ذهابه
وعدت إلى عمل الأول مساعداً لرئيس الجلادين
وكنتم مشغولاً بتعليم الجنود الجدد الدين حلولاً عمل
الدين أرسلوا إلى الحرب . وبشت رسالة إلى طهران
أبلغهم فيها أوامر الشاه بأن يجلبوا الرافعات
والثغنيات على استعداد لمقاومة جلالاته . وكان القصر
الذى فيه الثغنيات والرافعات بمكان يبعد عن العاصمة
ثمانية أميال أو ثمة

ولما أبلغنى الشاه هذا الأمر لارسله عدت
فذكرت زينب التى كتبت أنساها وتجددت
مشاعرى التى كانت تحسد

كان قد اتفق على أول يوم تعرف فيه زينب
أكثر من سبعة أشهر . وعلى الرغم من أن
القوم الذين طشروهم في خلال هذه المدة كانوا من
التوحش بحيث ينسى كل من يعيش في وسطهم
كل ما في نفسه من شعور نبيل — على الرغم من
ذلك فقد كان تأثير شديداً عندما ذكرتها وذكر
الحالة للزوجة التى لا بد أن تكون قد وصلت إليها .
وقلت في نفسي : « لقد حرت في أثناء معرفتها عهود

يجرؤون على ذلك ؟ لقد علمت أن رئيسك جرح
في المركة وقد برهن على أنه من أحسن خديم الشاه
ولا بد أن تكون جنودنا الآن على الساطع الآخر
من النهر

لم أكن أجيب على هذه الأقوال إلا بقولى :
« نعم ، نعم » أو « لا ، لا » ثم نادى كاتبه وأمره
بأن يصدر بياناً ينشر على الأقاليم والقرى ويعلن
فيه انتصار الجنود الإيرانية في جهات متعددة
خصوصاً في منطقة خراسان على جانبي النهر فنظر
إلى الكاتب وسألنى : « كم عدد جنود الأعداء ؟ »
قلت : « كثير جداً » ثم ترددت في تقدير
العدد قليلاً وقلت : « اكتب خمسين ألفاً »

فقال : « وكَم عدد القتلى منهم ؟ »
فقال رئيس الوزراء : « اكتب عشرة آلاف
أو خمسة عشر ألفاً » لا بلىق يجيش الشاه أن يقتل
أقل من هذا العدد . هل تريد أن يجعل الشاه في نظر
الشعب والشعوب المجاورة أقل من رسم أو فرسياب ؟
هل كتبت ؟ »

قال الكاتب : « لقد كتبت ما أمرتم دولتك
به » ثم قرأ ما كتبه وهو : « إن الكفار من كلاب
موسكو طردوا الله من رحته ، لم يجردوا على التقدم
من جيشنا مع أن عددهم يربو على خمسين ألفاً وعددهم
لا يتجاوز بضعة آلاف وقد أمكننا الله منهم فقتلنا
في الواقع الأولى عدداً يتراوح بين عشرة آلاف
 وخمسة عشر ألفاً »

قال رئيس الوزارة : « بارك الله فيك ! هذه
كتابة حسنة وإذا كان الواقع بخلاف ذلك فإن حسن
حظ الشاه كغيبيل بأن يجعل عدد القتلى أكثر من
ذلك في أقرب وقت »

قال لي الطبيب : « وتجدي شديداً الخوف من استدعائي لمالجئها لأنني قلت إنها غير مريضة هلكت الفتاة وإن قلت إنها مريضة هلكت أنا وإني لأسف على إهدائها إليه وإني لألتمس الساعة التي شرف فيها الشاه منزلي »

ذهب الطبيب بعد أن قال لي ذلك إلى منزله وعلمت إلى خيمتي وأخذت أعزى نفسي بأن زينب مريضة وأن مرضها سيطول وستمنعها من مقابلة الشاه وأخذت أدعو الله أن يطيل مرضها ليطول أمد امتناعها عليه ، ثم أخذت أفكر في تنجيه في كل أنحاء حتى حاولت في النهاية إقناع نفسي بفضل الزهد وضرورة التصوف ، وما ذلك مني إلا حيلة الماجز وسلوة اللباس

وأخيراً أعلن سفر الشاه إلى طهران فاجتمع أهلها لتحيته واستقباله وكنت في ذلك الوقت شديداً الرغبة في مقابلة الطبيب مع التظاهر بأن هذه المقابلة جاءت مصادفة حتى لا يحوم حولي رية ولا يسوء بظن ، ولقد تقابلت معه عند وصولنا إلى طهران ولكن كان ذلك لسوء حظي في وقت غير مناسب . وتفصيل الخبر أنه أسسرت لي الأمر في ذلك اليوم بالذهاب إلى البندان لتبليغ رسالة إلى النازكشي باشي وفي الساعة التي تقيت فيها هذا الأمر رأيت رئيس الأطباء خارجاً من حجرة الملك ، وقد بدت على وجهه علامات الغم والحزن الشديدين ، وأنحني ظهره فراقبته قليلاً وسألته عما به . فقال : « لقد جعلتني هذه الوباء الكروية في أشد حالات البؤس والتكد . فإن الشاه غضب غضبة شديدة ، وأقسم أن يقتل كل رجل في داخل القصر أو خارجه ما دامت له علاقة به إن لم تظهر هذه الفتاة »

مختلفة تعاقب فيها الخوف والرجاء والأمل واليأس ولم يبق في عهد النزاع في حياها إلا أمد قصير ، ثم أجند نفسي أيام القضاء المقدس ، فاما أن يتحقق الأمل وإما أن ترجع كفة اليأس

ولما جاء يوم السفر سبقت الوكب إلى القصر لأرى كل الاستعدادات التي أمر بها الشاه هل تمت وفق رغبته أم لا يزال بها شيء من النقص مفتقر إلى الاسلح ؟

ولما وصلت إلى باب ذلك القصر نعمت من فيه من السيدات يتحدثن . وما كان أشد شوق في تلك الساعة إلى التحدث مع زينب أو إلى رؤيتها إن كان للتحدث مستحيلاً

لكنني وجدت أن سؤالاً عنها بنوع خاص سيثير الريبة وقد يكون فيه خطر على حياتها وعلى حياتي فأكتفيت باستدعاء رئيس القصر وسؤاله عما فعله بالأوامر وأطلت حديثي معه مراجعاً في الجواب مناقشاً في التفاصيل لعل أسمع في خلال هذه المدة صوت زينب ولكن شيئاً ذهبت هذه المحاولة فاني لم أسمع صوتها ولا اسمها

وفي أثناء هذه الوقفة جاء سيدي القديم ميرزا أحمد رئيس أطباء الشاه وفهمته أنه جاء بدعوة من أهل القصر لمعالجة بعض من فيه غشيت أن تكون زينب هي المريضة . وقلت إنها لو كانت كذلك فهي هالكة لا محالة

لكن الطبيب استدعاني إلى ركن من الترفة وهمس في أذني بأنه شديد الخوف من غضب الشاه لأن الفتاة الكروية التي أهداها إلى جلالته منذ سبعة أشهر لم تستمدد لمقابله عند عودته كما أمرها معتدرة بأنها مريضة

قلت : « لا ، فاني لم أقم شيئاً » فقال :
« سأضحك إذن في كل حين ، إنك لا تزال شاباً فإذا
قيل لك إنك أنت الذي أحب هذه الفتاة فإن هذا
لا يضيع من اعتبارك وليست هذه الحالة كذلك
فيما يتعلق بي »

قلت : « يضيع اعتباري ! إن المسألة تؤدي
إلى ضياع الروح لا إلى ضياع الاعتبار . هل أنت
مجنون ؟ لماذا تريد أن أموت وكيف تحتل دمي ؟
إن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني أعتقد أنك
غير مذنب لأنك شديد الخوف من زوجتك ولكنني
لن أقول إنني أنا المذنب »

وفي أثناء هذا الحديث أقبل نحوى خصي من
خصيان الشاه وقال لي : « لقد أمر الشاه باستدعائك
أنت وخمسة من لئازا كشية وبأن يكون معهم تابوت
ليقطعوا جثة بين يدي خيالاته »

قلت : « سأحضر في الحال » وكان مجيء
الخصي في هذه اللحظة من حسن حظي لأن الطبيب
تركى ثم تصيب من كل جسمي هرق بارد وأحسست
أن عيني تحترقان وأني على وشك الإغماء وقلت
في نفسي : ألا يكن أن أكون أنا السبب في موتها
حتى أطلب بأن أكون جلاوها أيضاً ؟ لماذا أدعى
إلي هذه المهمة الشنيعة ألا أستطيع أن أهرب من
هذا المنظر البشع ؟ لا أظن شيئاً من ذلك في الامكان
لأنه لا مفر مما قدر علي ولا مناص من أداء ما كلفت
به ، ما أقبحك أيها الدنيا ! ماذا يكون نصيبك في
قلوب الناس لو اطلع كل منهم على حقيقته ؟

في هذا الوقت كنت أشعر أن قلبي ينوء تحت
عبء ثقل ، وجمعت الرجال الذين سيتولون من تنفيذ
القوة الوحشية ولم يكن أحد منهم يبالي لأنهم

قلت متجاهلاً : « من هي ؟ »

فقال : « هي زينب التي أهديتها إليه . وقال
إنه سيقتل الوزراء أيضاً إذا لم يعرفوا كيف كان
اختناؤها من قصره »

قلت له : « يظهر يا ميرزا أحد إن الشاه يستعد
أن الفتاة تحبك » فاضطرب الرجل أيما اضطراب
وقال : « أستغفر الله ! أرجوك ألا تميد هذا القول
فتحوم حولي شبهة قد تصل إلى سمع الشاه فينقلني
إلى العالم الآخر . من الذي قال لك ذلك ؟ كيف
علمت أني أحب زينب ؟ »

قلت : « لقد سمعت كثيراً جداً من حبك
والأقا الذي دعاك وأنت جالينوس فارس ولقمان
عصرك إلى تربية فتاة زبديدة من عبدة الشيطان
في منزلك ؟ ألمت تعرف أن وجود فتاة مثلها يكفي
لخراب بلد أو مملكة فضلاً عن بيت مثل بيتك »

فقال لي رئيس الأطباء : « نعم لقد صدقت
يا حاجي بابا » ثم هز رأسه بمنة ويسرة وقال : « لقد
كنت شديد الحماسة لما اختلعت بسحر عينيها وإن
هينها لساخرتان »

قلت : « ما الذي يفعل الشاه إن وجدها ؟ »
فقال : « ليفعل بها ما يشاء ! ليرسلها إلى جهنم
إلى بيت الشيطان الذي تميد به . إنني لا أفكر فيها
ولكنني أفكر في نفسي » ثم نظر إلى نظرة حنو
وقال : « أنت تعرف يا حاجي بابا أنني كنت دائماً
أحبك وقد آويتك في منزلي عند ما كنت بغير مأوى
وارتفعت مكانتك بفضل مساعدتي وأريد منك أن
تدل على عرفانك الجليل وأمالك الآن فرصة سانحة »
ثم مسح لحيته بيديه وقال : « أنت تعرف
ما أردت أن أقول »

السماء . وكانت لا تزال تنفس وصمت ألفاظاً تقولها
ولكنني لم أفهم معناها ثم خفت صوتها وصاح أحد
الخدامين الذين جاء بها : « هل ماتت ؟ »
فقال أحد الأوغاد الذين معي : « نعم »
قال ذلك الخادم : « إذن فضعوها في التابوت
واذهبوا بها إلى الجحيم »

وقت فقصت متدبلي في دم زئبق وقلت إنه
أثر منها سبق في ما دمت خيلاً . ووضع الأوغاد
جثتها في التابوت وحملوها إلى الدفن ليدفنوها في
قبر كان قد أعد لذلك من قبل ، ومشيت معهم بحركة
آلية ورجلاي لا تقويان على حمل جسمي

وضما التابوت على الأرض وأخرجنا منه الجثة
وجلس على قبر قريب منه وأخذت ألا حظاً فيملون
وقد رأيتهم وهم يضمون الجثة في القبر ثم يبتون
الأحجار في مدخله

ولا انتهوا نظروا إلى وقالوا : « لقد فرغنا » .
فقلت : « إذهبوا الآن وسأنبئكم » . وظللت جالسا
على القبر

واشدت ظلام الليل ، وكنت في ذلك الوقت
أسمع الأصدااء تتجاول من ناحية الجبال ، وكانت
رغبتي في المودة تقل كلما طالت مدة جلوسى بهذا
المكان ، وذكرت حياتي الماضية عهداً بصد مهدي
وأحس قلبي بمخشوع وربة ، وذهبت الحياة التي
أحياها الآن مرارتها كأشد ما رأيت في أدوار الحياة
وأخيراً عجزت عزمياً صادقاً أكيداً على أن أكون
درويشاً بالمعنى الصحيح لا كما يعيش الدراويش

ظللت في هذا المكان حتى انبثق الفجر وأنا
أدبر خلة لحياي القليلة ، واستقر رأيي في النهاية
على أن أذهب سائراً على قدمي إلى أصفهان حيث

لا شأن لهم وليس في نفوسهم مثل ما في نفسي
من العطف

وكان الوقت إذ ذاك وقت الغروب وقد اختضبت
السماء بلون دموي وترايل نور النهار . وكانت ليلة
البدر ولكن السماء مليدة بالنيوم

ولما أذن المؤذن لصلاة الغشاء أحسنت أن
صوته يبعث الموت في نفسي لأن هذا الصوت كان
نذيراً بموت الفتاة . وذهبت مسرعة إلى المكان
المهود فوجدت أصحابي قد وصلوا إليه وهم جالسون
يشيرون ببالة على التابوت الذي سددفن فيه زئبق
وقلت لهم : « هل انتهيت ؟ »

فقالوا : إنهم لم ينتهوا

وبعد ذلك ساد صمت رهيب وقد كنت أتمنى
أن يكونوا تناولوا قبل مجيئي حتى لا أشهد هذا
النظر المأساوي . أما وهو لم ينته فلا بد لي من رؤيته .
وبعد قليل جاء رجلان من خدم القصر يقودان
بينهما فتاة تصرخ بصوت مرعب كأنه صوت عشرين
مجنوناً يضمحكون في وقت واحد ، وكان الرجلان
يجرأنها بمنف وهي تقاوم وتألي المسير

وكان صوتها يشتد كلما دفت منا فبدا التأثير
حتى على أوجه الخلد الذين التلاظ القلوب ، أما أنا
فذهلت ، ولو سئل في هذه اللحظة عن شعوري
لما استطعت وصفه أو تحديده وقد كنت بآلغم من
ذهولي وشروذ ذهني قادراً على رؤية ما يجري أمامي
من الأمور

وأخيراً سمعت مسرعة عالية تلاها صوت جسم
يقع على الأرض وإذا نسيت شيئاً فيستحيل أن
أنسى المראה التي شرعت بها عند سماع هذا الصوت
ثم رأيت جسم زئبق ملقى على الأرض في وسط

ولم تكن لدى رغبة في الكلام لما كنت أشعر
به من الهم ولكن مسك الرجل من جبلي أنكم
معه وأسنى إليه

سردت عليه قصتي منذ فارقه وقد أعجبني منه
ما كان يظهره من الاحترام الشديد لي حتى إذا وصلت
إلى القبول بأني عينت مساعداً لرئيس الجلادين كاد
الرجل يسجد أمامي لأن تجاربه دلته على وجوب
الاحترام لكل من يشغل مركزاً كبيراً . ولما
أخبرته أنني تركت هذا المنصب وتركت طهران ،
شعرت بأن مركزي يسقط من عينه وقال لي إنني
لا أساوي ثياب الشرف التي كنت ألبسها . وقال :
« أهكنا يضحي إنسان بماضيه ومستقبله من
أجل امرأة ؟ »

ثم أطرق مدة طويلة قال لي بعدها : « إن سير
الناس إلى السعادة غريب متفاوت ، فبعضهم يسير
إليها من أخصر طريق ، والبعض يسير إليها من الطريق
الذي لا يؤدي إلا إلى ضدها . والبعض يسير دون
أن يسأل إلى أية جهة يؤدي طريقه ، والبعض إذا
ما اقترب من غايته عاد من نفس الطريق الذي كان
يسلكه زاهداً في الناية مستخفاً بالتابع التي ظاهرها
في سبيل الوصول إليها » واستشهد بآيات الفردوسي
في هذا المعنى

ويبدأ نحن نتحدث إذ رأينا (خانا) فقال لي الفردوسي
« تمال وانس أحزانك . تمال من فائنا ستقضي ليلة
لدينة في هذا الخان وسأقص عليك أخباري أثناء
وجودي في الأستانة »

كنت راغباً في تسليّة نفسي لملي أنسي همومي
فقبلت اقتراحه ومشيت معه إلى ذلك البناء . وقد
وجدنا فيه ناساً من جهات متمددة في فارس . وبعد

أرأى أهلي وأعيش معهم عيشة الواحد المتصوف ،
وقلت إن أبي أصبح في أخريات أيامه ظلي أن أسعده
بمودتي إليه وهو في سن الشيخوخة ، وأحتمل
عنه ما لا يطيق احتمالاً من أعباء الحياة وتكاليفها
ورأيت أن بقائي في منصب أو في هذه المدينة أصبح
مستحيلاً لأنه فوق طاقتي . ولو بقي في نفس الشهور
التي كنت أحس به هذه الليلة لصرت من أتقى
أولياء الله وأكثرهم ورعاً

الفصل الرابع والأربعون

ماحي بابا يقابل صديقاً لرباعده بمنع عند الخطر
أخرجت من جببي للتدليل المصطبغ بدم زنب
وأخذت أفكر في مركزي الخفيف المربع ثم وقفت
أمام القبر وأتت الصلاة . وقد أراحت هذه الصلاة
صدرى وجددت قواي فزمت في الحال على مفادرة
طهران وسلكت الطريق المؤدى إلى أصفهان
وصلت إلى الطريق المؤدى إليها فلم أرهاقة مسافرة
فشيت إلى الصحراء وهناك وجدت رجلاً غريب
الشكل والحالة يخاطب شيئاً أمامه على الأرض ،
فدنوت منه ووجدته يكلم حمامته . ولما دنت اقترباً
منه وجدت أنني أعرفه وهو أحد الدراويش الثلاثة
الذين تعرفت بهم في مشهد وهو الذي كانت ستاعته
القصص وإفهامها في الجامع

ولما وقع نظره على حرفتي وأقبل نحو ليما تفتني
وسألني عما كنت أفعله في هذه السنوات . وقال
إنه مسرور برؤيتي . ولم يزل حديثنا يتقدم خطوة
بخطوة حتى تذكرنا ما كان من أمره وأمرى وقال
لي إنه ذاهب إلى الأستانة وإنه سيذهب منها إلى دلهي
بعد أن يقضى فصلاً في أصفهان

فإنه آت من الآسنة وقال إنه رأى رجلاً أخذ
يصفه بكل صفات ليوجه إليه اهتمام النازا كشيء .
وبعد أن أتم الوصف حتى لم يمد يده ينفذ إلا أن يذكر
اسمي ، قال له : إن ذلك الرجل ذهب من طريق
كذا ... وأخذ يضل النازا كشيء على أن يبحرني
فيا يمد من سلوك هذا الطريق

وقد كنت أطيق أي شيء سوى أن يظفر بي
هذا الجلاء لأنه إنعاجه ليقبض عليّ ، وعالم أن أجد
في نفسي أو في نفس غيره من الجلائين شيئاً من
الرحمة . وبعد أن ذهب ذلك الوفد وعاد البرويش
سأله عن المكان الذي يكره أن أذهب إليه
فلابدر كوني فقال لي : إذهب إلى مدينة « قم »
وستصل إليها في الصباح . ومتى وصلت إليها فاذهب
إلى قبر السيدة فاطمة الزهراء فهناك ملجأ لا يصل
إليك فيه أي إنسان ، وإذا ضبطت خارج سور المدفن
فلا أمل لك في النجاة »

قلت : « ولكن كيف آكل وأعيش في داخل
المدفن ؟ »

فقال : « أترك لي ذلك فأني سأعولك لأنني
أعرف المكان وأعرف كثيرين فيه . وقد اضطرت
مرة إلى الالتجاء إليه لأنني قدمت سماً لأحدى نساء
الشاه لكي تقتل به منافسة لها » وكان وصولي إلى
المدفن قبل خمس دقائق من وصول الجلاء الذي جاء
ليقبض عليّ ولم أعش قط معيشة أرغد من عهدي
في ذلك المدفن لأن كنت لا أعمل أي عمل ، وكان
زائرو المقبرة على كثرتهم يطوفوني كل شيء جميل
نقني إليه . والثيء الوحيد الذي تخشاه في هذه
الحالة هو أن يصدر الشاه أمراً يمنع الناس من إعطائك
طعاماً ، وبأن من يخالف ذلك يصبح مستحقاً

أن استرحنا من مشيتنا الطويل . أكلنا أكلة شهية
ثم طلبنا زرجيتين وبدأ يقص عليّ قصته التي وعد بها
وكنت أحاول الاستئناء إليه ولكنني وجدت
ذهني شاردًا بي بعض ما يسمع ويفوه البمض
ولاحظت أن سائر ساميه كانوا منصفين أشد الانصات
وقد أبدوا أعظم اهتمام ، ودلني على ذلك أنني كلما تنبئت
في لجة الذكريات بنهي نفعهم وعزمت عليّ أن أستعيد
هذه القصة في وقت آخر لكثرة ما فاتني منها . وكنت
أحسد أصدقائي المسرورين على سرورهم وقت
إلى حلول الوقت الذي أكون فيه مثلهم

انتهى النهار عند ما انتهت القصص التي كان
يروها وأشرق البدر وكانت السماء صافية لأشياء
فيها من النجوم التي كانت متلذذة في سماء الأمس .
وبينا نحن جالسون إذا أبجل نحو الخان فارس يبدو
على جواده

وكان من في الخانات يدخلون في التلايين
ويتناقشون بهدوء . وكان خدمهم يتولون تهئية
الأسرة للنوم ، وأما أنا فمزمت على أن أنام على الأرض
العارية وأضع تحت رأسي قطعة من الحجر ولكن
لما وقع نظري على الفارس للقبل تنير رأيي في ذلك
كان هذا الفارس أحد النازا كشية الدين
حضرُوا ممي مقتل زينب وقد فهمت الفرض من
جيبه عند ما سمعته يقول لبواب الخان : « هل جاءكم
أحد من طهران ؟ » وفهم البرويش حقيقة الأمر
بسرعة مذهلة لأنه كان على البوام حاضر البدنية
ولذلك أسرع إلى الباب ليتولى الإجابة على كل سؤال
يوجه إلى البواب أو إلى غيره

وقد قال له إن كل من بالغان أتوا من جهات
متعددة ولكنهم جميعاً ذاهبون إلى طهران إلا إياه

« إن هذا الجندي يهين المكان المقدس الذي لجأت إليه ويريد أن يأخذني بالقوة . فقولوا له هل تسمعون بذلك أم لا »

انضم الجميع إلى جاني وقالوا ما سمعنا قط بمثل هذا من قارس، فأنت لا تستطيع أخذه ولا استعرت صدك غضب الزهراء وعلما الدين جميعاً؛ ولن ينجاك من غضبهم انتأؤك إلي للشاء أو لجوءك إلى حماية الشيطان »

فلم يعرف التناز كشى بماذا يجب وبقي هادئاً مدة ثم ألان صوته وراد أن يفاوضني في المبلغ الذي أدفعه إليه إذا تركني وحاد وحده . فلم أنكر عليه حقه في أن ينال ما يوضع عليه مشقة التنب لأنى ما كنت أفضل غير ذلك لو كنت في مكانه ولكننى أفهمته أننى لا أستطيع أن أدفع غير القليل لأنه يعرف الظروف التي غادرت فيها طهران . لكنه أمر على أن أدله على المكان الذي تركت فيه مالى بطهران ليأخذه متى عاد فأبقت ذلك عليه وأمرته أن يذهب ويترك المحزوين في أحزانهم

لكن الحقيقة أن الرجل كان قد أخذ ما وصلت إليه يده من أمتنى وثيائى وفراشى وأثاث منزلى وهو الذى أبلغ للشاء عنى وتطوع لمطاردى لى أمكنه من الحصول على ما غننى أمكنه من مال غيوبه وكان قد لاحظ حالى ساعة نفذ الحكم فى الفتاة وتوقع أن يحل بى نكبة فيحل على فى منصبي

ولما رأى أن الأمر الذى معه ليس إلا قصاصة من الورق لأنه لا يستطيع اعتقال ما دمى فى ذلك اللجأ — لم يجد بداً من العودة إلى طهران ولكنه قبل أن يذهب أوصى حاكم المدينة بأن يشدد فى مراقبتي وبأن يتفقدنى متى خرجت من اللجأ ويرسلنى إلى طهران

« يتبع » غير اللطيف الشاء

للأعدام ، ولكن حالتك لا تدعو للشاء إلى إصدار مثل هذا الأمر الذى لا يلبأجون إليه إلا فى حالات خاصة شديدة الأهمية

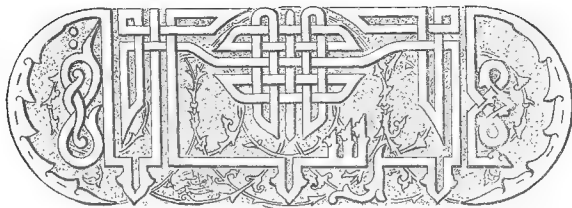
قلت له : « أنا لست أنسى جميلك ، وربما عاد نجى إلى الارتقاء فأريك أننى لست بمن يضع الجليل عندهم ، وأنت تعرف حاجى بابا من زمن قديم وهو ليس من الذين يضمنون حسناتهم على راحة اليد ويخفون سيئاتهم تحت الأبط وأنا لا أزال كما مرقتنى فى مشهد فبائع التبغ فى تلك المدينة هو نفسه مساعد التناز كشى باشى » فاعتنى الدرويش وقال : « اذهب حيث شئت فإن الله معك »

فسرت، ولما ظلع الفجر رأيت على ضوئه قبة القبر؛ ولما صرت على صرى البهم من مدينة قم رأيت ذلك القارصى يبدو نحوها فلم أنظر يمينا ولا يساراً حتى وصلت إلى القبر الشريف فقبلت عتيته وحمدت الله وشهدت أن لا نبي بعد رسوله وصليت على الامام على

وفى هذه اللحظة وصل التناز كشى خجائى نجية فاترة وقال إن للشاء أمره بإحضارى من أى مكان يجدرنى فيه . فقلت له إنى قد لجأت إلى هذا القبر ولن أغارقه باختياري . فاذن كان لديه أمر من الشاء بأن يقبل ما لا يتفق مع حرمة هذا المكان فليأخذنى بالقوة .

قال لى : « وما الذى أفعله إذن يا حاجى بابا ؟ إن الأمر الذى صدر لى لا يتضمن استثناء وإذاعدت دونك فربما قطع للشاء أذننى بدلا منك »

قلت : « سيفعل ذلك إن شاء الله » قال وقد استولى عليه الغضب : « تقول إن شاء الله ؟ إننى أكون حماراً إذا لم أعد بك » ثم ارتنع صوتى وصوته فأقبل الدرويش القيمون فى هذا المكان وسألونا عن السبب فقلت لهم :



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النِّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْوِي فِي النِّشَاءِ اسْكَالِبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصِّدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِّلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك في المجلدات سنون قرناً ، والحاجي مايسادى جنيهاً مصرياً ، وللبلاغات العربية بمجموع ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن البريد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشاوح البدولي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — ١٥ فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٥٠

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة

١١٤	صلاة الفجر	أقصوة عراقية	يقلم الأستاذ علي الطنطاوى
١١٩	بين الحفل والفرسة	أقصوة مصرية	يقلم الأستاذ درين خشبة
١٣١	شجاعة امرأة	للكاتب ل. فارمان	يقلم الأديب ناجي الطنطاوى
١٣٧	الابن	للكاتب الفرنسي بول بورجييه	يقلم الأديب كمال الحريرى
١٤٣	مجنون زاهد	أقصوة مصرية	يقلم الأديب جميلة الملايلى
١٤٩	يونس	أقصوة مصرية	يقلم الأديب عبد الحليم المشيرى
١٥٥	حاجى بابا أصفهانى	للكاتب الانجليزى « جيمز مور »	يقلم الأستاذ عبد العظيم النشار

صَلَاةُ الْجَنَّةِ

أَقْصُوصُ عِرَاقِيَّةٍ
يَقُصُّ الْأَمْتَاذُ عَلَى الطَّنْطَاوِيِّ

قد احتواه هذا الواقع القبيح ،
وذكر ما كان ينتهوين هذه البنى
التي قلمت إليه فراشها ، وأحاطته
بذراعها ، فأحس بالاشتزاز ،
وذل في عين نفسه وتضائل ..
ماذا قلمت بنفسى ؟ أهذه هى
مبادئ وأخلاق ؟ وبعد فافا
أصنع الآن ؟

وم يبقاظ لإعانه واللبوء إلى ربه ، ولكنه
لم يستطع فقد ألقت المصيبة حجبا على قلبه ، ورائت
الخطيئة عليه ، فأحس بالألم يقطع في فؤاده ، فقام
إلى ثيابه يرتديها على عجل ليخرج من هذه البار القذرة
التي أضاع فيها عفافه ، وخسر طمأنينة نفسه .
وفكر في الناس ، ألا يرونه ؟ ثم رأى أن لا بد له
من الخروج من هذه البار التي يحس أنه فيها كنى
أنفى في بركة قذرة لميموت فيها عرقا ...

وألقى على الرأفة نظرة أودعها كل ما في نفسه
من كراهية واحتقار وبسق مشمئزاً وخرج هاربا .
ولكن كيف له بالمغرب من نفسه ، والفرار
من ضميره الذي يذيقه من التعرير والازدراء ما ليس
لخلق يحمل مثله طاقة ؟ وكان شارع الرشيد غالبا
مقفرا لإل من أعقاب السابلة ، من كل بئس أوداع
لأنه لا يبق يبقاظ في مثل هذه الساعة إلا البؤس
والرذلة ، وكانت ليلة مجنونة ذات رياح تموى في هذا
الليل مثل عواء الدئاب الجائعة يخاطله أصوات آلان
من النوم تنب مكا ، فتعلا أسواتها للفؤاد السليم
ذهرا ، فكيف يمثل فؤاد رجب أفتدى الروح
الكليم ... وكانت الأمطار تسكن لحظة ثم تمود
فتنهطل ، تنصب انصبابا كأنها على ترديد فراغ السحاب

... أفاق في الساعة التي ألف ، فحسب يصبر
إلى الجدار حيث الساعة الكبيرة ، ليرى كم بى
من الليل ، فلم يجد على الجدار ساعة ، وإنما وجد
صورة لامرأة عارية ، تبدو له على ضوء الصباح
الكليل كابية مظلمة عليها من الوحشة والقبح ستار ،
فصاف النظر إليها ، وأجال عينيه في أرجاء الغرفة ،
فإذا هو منكسر لما ، لا يبرعها ولا عهد له بها ، وإذا
هو يري إلى جانبه على السرير امرأة عارية مفتوحة
الفم تفتط غطيكا منكرا ، وقد سالت الأسبلة
على وجهها واختلطت ، فتعوذ بالله من هذا الحلم
وألقى برأسه على الوسادة ، يفكر تفكيراً مبهما
مختلطاً ، فلما لبث أن عاد إلى المنام قرأى نفسه ملكا
من ملوك الأساطير ، مضطجعا على سرير الرمع
بالذهب ، المحلى بالياقوت والرجان ، والوصائف
فاغات على رأسه ، حاربات السوق ، باديات النحور
والصدور ، يثرن عليه الورد ، ويضمخن مفرقه
بالسك والندى ، وأمامه الفنون واللحنات ، وإلى
جانبه فتاة جمع الله فيها ما تفرق من سمات الجمال ،
فلم يتالك أن أهوى على فما بقبله ...

... فأحس بها تدفقه عنها ، فظفر فاذا هو
مستيقن أن ما يراه حقيقة ثابتة ، وأن حلمه الجليل

الذنوب والله كريم غفار ، لو جاهد العبد بقراب الأرض خطايا جاء معها بالتوبة الصادقة بشرطها الثلاثة لجاء الله بقرابها مغفرة ، والله غفور رحيم ...



وكان رجب افندى في الخامسة والعشرين ، في السن التي تركب الرء فيها شياطين للشهوة ، وتزين له السبل إليها ، فلا ينقمه إذا خطا الخطوة الأولى عقل ولا تفكير ، ولا يقف إلا في آخر الطريق كالصخرة على شفر الوادي ما بقيت مكانها فهي ثابتة مستقرة ، فإذا زحزحتها وقلبها قلبه واحدة هبطت إلى أعماق الوادي ... وكان رجب افندى قد نشأ متدينًا ، وكان شيخًا بمة رجيبة يطلب العلم على المشايخ لم يدخل مدرسة نظامية ولم يختلط بشباب المصر ، فكانت اللمة مصمة له بين البلاد ، وسدأ يحول بينه وبين (الأوتيلات) والراقص والحانات ، وكانت نفسه كهذه اللمة التي على رأسه صفاء وطهرًا وبياضًا ولكنه اضطر منذ أهوام إلى العمل في دوان من دواوين الحكومة فنزع اللمة مكرها ، وودعها آسفًا ودخل اللجة وهو جاهل بالسباحة ، ليس له بطبيعة الماء خبرة ، ولا بمسير الوجود علم ، فحمله موجة فألقته بحيث ترى ... ولو أنه عرف طرق النثر لما سلكها ، ولو كان متزوجًا لما هوى ، ولو أحسن اختيار أصحابه لما انساق هذا المساق ، ولكنه كان جاهلًا بما وراء البحار والمدرسة والسوق ، يستوى عنده في عالم الرذيلة جلوس في قهوة ، أو شهود رواية في سينما ، ومماقرة الخمر في الحانة ، وعجالة البنى في الماخور . وكان عزيبًا ، ونفس العزيب مهما اتقى وصلح كمتندوق الديناميت لا يؤمن انفجاره إذا دأله لخب أو مسته نار ، ونفس العزيب

في دقيقة واحدة . والريح تضرب جباهها فتصرفها ذات اليمين وذات الشمال ، والبروق تسطح خلال ذلك تختلف الأبصار ، والرعد يدوى فتعس أن قد تقلقت بنا كنيها الأرض .

وضرب رجب أفندى يده إلى جيبه فألفاه فارغًا وذكر أنه دفع صربته كله الذي قبضه أمس لهذه البنى ... فظم عليه الأمر ، وبلغ من سخطه على نفسه أن ود لوعض يده بأسنانه ، أو قطع شعره بيده ، واستفطع ما أتى وفكر في أهله الدين لم ينب عنهم من قبل ، ولم يبت ليلة إلا معهم ، فكر في أمه التي يعلم أنها لا يشمض لها جفن ما دام نائمًا عن الدار ، وأبيه الشيخ المسكين الذي لا يفكر إلا فيه ، ولا يبنى إلا بسعادته . ماذا يقول لهم ؟ ومن أين يموض عليهم صربته الشهري الذي ينتظرونه ساعة بعد ساعة ، ليشتروا به الخبز ... يقول لهم إنه وضه كله في يد موسى ثمنًا لليلة إثم وعار ؟

لا . الموت أهون من ذلك ! وفكر في الموت فلا : ماذا على إذا ألقبت بنفسى في دجلة فسترت فيها إثمى ... ولكن هذا الخطر اعلم من رأسه على مجل ، لأن رجب أفندى كان متدينًا يعلم أن السلم لا يبعد أبدًا إلى هذا الانهزام الشائن من غمرة الحياة وباب الفضيلة مفتوح أبدًا ، والتوبة تفسل النفوس مهما تراكت عليها أوزار الآثام ... وم بأن يستغفر الله ويدعوه ، ولكن الحياء من الله عقد لسانه ، أن يتوجه إليه ويسأله وهو غارق في حمأة الرذيلة إلى أذنيه ونسى أن الله يكون أدنى إلى القبول كلما كان العبد أقرب إلى الإضرار ، وأن الندم على ما مضى والزم على الانقلاع عن الذنب فيما يأتي ، مع تركه والانصراف عنه دواء يشفي أكبر المذنبين من أشد

المسكين قد قرأ دواوين الشعر للنزل ، وروايات
الحب المندرى كلها ، فظن أنه قد غدا قيساً جديداً ،
أو روميو آخر ...

وكان رجب أفتدى يعرض في نفسه هذه القصة
وهو يمشى متسللاً في ظلال الجدران ، في هذه الليلة
الماصة للمطرة ... ويذكر كيف عاد إليها بعد ذلك
فسمع حديث شقائها ... وبكى بكائها ، كما كان
يفعل المحبون الذين قرأ أخبارهم في الأشعار والروايات
وصب بين يديها ما كان في جيبه من مال .. وكيف
ندم وتنبه إيمانه في نفسه . فزمز على ألا يراها من
بعد ، فأبطل رفاقه عزيمته وأفهموه أن الشاب
المصري لا يليق به أن يفعل ذلك فمادحة ثالثة
ورابعة ، وهي دائماً في أبواب المذلة الماشقة للحريرة
تهيج نفسه وتطمعه ولكنها لا تطعمه ، وتعرض
عنه ولكنها لا تؤثيه ، فهو يبتغيها أبداً راغباً فيها ،
ولكنه لا يصل إلى شيء

واستيقظ إيمانه كرة أخرى ، فآزمع أن يتركها
أبداً ، وذهب إلى مكتبه بزعمة جديدة ، وراحة بال
وأدى عمله بنشاط ظاهر ، وصرت على ذلك أيام
حسب فيها أن كل شيء قد انتهى ، وأن هذه السحابة
قد انقشمت من سماء حياته ، ولكن البريد حمل إليه
كتاباً منها فقرأه وغضب وصرقه بانطراب عصبي
ظاهر . وخرج يمشى إلى داره ، فأحس أن نفسه
تنازعه الذهاب إليها ، فأعرض ومضى قدماً فاشتدت
رغبته في زيارتها فزمز لنفسه أنه ذاهب لتأنيبها
وإعلان القطيعة بينه وبينها ... ودخل عليها مقلباً
ورد على تحيتها بإعراض ، فسأته: مالك أيها الحبيب؟
فقال : لا شيء ! لست بحبيب أحد من فضلك

يلهبها كل ما في السوق من متبرجات سافرات ،
وما على الشاطئ من عارين وعاريات ، وما في السينا
والقصص من أخبار الباهرين والمداخرات ... فأبان
تأمين انفجار الديناميت ؟ ثم جاءت طامة الطامات
فألف حول رجب أفتدى نفر من زملائه تطوعوا
لأغوائه احتساباً لوجه إبليس ، فوجدوه شديداً
عنيفاً وأروه قد نأر الثورة الكبرى لما أرادوه على
دخول القهوة ، فملوا أنه قد صاف قوى نفسه كلها
في هذه المركبة الصنيرة ، ولم يبق لهما وراها شيئاً ،
وأيقنوا أنهم لو غلبوه هذه المرة غداً منقاد لهم طيماً .
فأزالوا به يراوغونه ومحتالون عليه ، ويسألون من
يشق بهم على مسمع منه : هل في دخول القهوة
ما بمس الدين أو المرض ، أفتونا يا مسليون ؟ .
فيقولون : لا ... وإنما هي مضيق للوقت ، مفيدة
للصحة ، وإنها عادة مؤذية ، ولكنها لا تنافي الدين ،
ولا تعد في المكفرات ... وما زالوا به حتى دخل
القهوة ، فجلس مستحيكاً يتصبب منه العرق ، ويظن
أن كل ما في الأرض ميون تنظر إليه ... ثم لم يطق
البقاء ففرج ، ولكن رجله علفت في الفخ ... واحتاد
القفوات ، وسار إلى السينات ، وما في ذلك كله
بأس ، ولكن رجب أفتدى اعتقد أنه هوى وزل
مذ دخل القهوة ، وأن للسد بينه وبين الرذائل كلها
قد أتهار ، فلم يقف في طريقه شيء ، وعرف ذلك
أصحابه من عباد إبليس المخلصين ، فأتوا ليهتهم على
ذقته ، ليستكملوا سرورهم بكال هذه الرواية ،
فأخذوه إلى دار من تلك الدور التي تسمى (أوتيلات)
أو (بانسيونات) ولكن جدرانها تنضم على ماخور
من شر المواخير ، ومبهد من مبادئ إبليس ، وأغروا
به الفتنة ، وأوهموه أنها تحبه وتموت عشقاً له ؛ وكان

وذكر كيف أذمع الاتصال بها مرة واحدة ،
أو الاحراض عنها مرة واحدة واطراحها ونسيانها
وأني لذلك وحى لاندع إلى إغرائه طريقاً إلى اسلكته ،
إنه يراها كالأنفى البرقشة ، ويتصورها أحياناً حشرة
قذرة ولكنه يود مع ذلك لو قبض عليها فحصرها إليه
وعصرها وأكلها أكلًا ...

وذكر كيف كان الندم يذمر نفسه ، فيأوي
إلى غرفته يشغل بالمطالعة ، ويقبل على كتب الرقائق
ويخرج إلى المقار والمستشفيات ، ينظر برؤية المرضى
والتفكير في الأموات ، حتى إذا أحس للبرد قليلاً
جاء رفاق السوء بالمرض الغضال ... وذكر كيف
كان يتفق في كأس من الويسكي أو الشمبانيا ما يلقى
أسرته أسبوعاً كاملاً ، كل ذلك من أجل هذه الفتاة
التي انصل بها أخيراً ، فتكشفت له عن حشرة
حقيقية ، يصق عند رؤيتها استنزازاً ...

وكان يفكر وهو يسير مسرعاً ، يريد أن يفر
من الناس حتى لا يراه أحد ، فلم يبع على نفسه
إلا وهو في ضاحية (الأعظمية) ...

قال لي وهو يتحدثني حديثه :

... فلما بلغتني سمعت المؤذن يمجّد الله ويذكره

ذكر السحر

ورأيت جارناً أبا صالح ، يمضي إلى المسجد وهو
يقول : لا إله إلا الله ، يقتلها من قرارة قلبه ،
فتواريت منه كيلاً يراني ، وجعلت أذكر ألام كنت
لا أعرف هذا السهر الذي جر على كل بلاد ، فكنت
أنام عقب الشاء ، ثم أفترق في السحر ، فأرافني
أبا صالح إلى المسجد ... فرأيت بيني وبينه أمداً بعيداً
وتعلت لي خطايأي وأثامى كلها ، لأن صوت المؤذن

وشمر بالارتياح ، وسره أنه استطاع أن يخاطبها
بمثل هذه اللجة ، وتوقع أن يجيبه بجفاء فينضب
ويصارحها بالظيمة . ولكنها ظلت صامتة ، وظل
هو مطرقاً ينظر جواب ما قال .. فقال عليه الأمر
فرفع بصره ليري ما تصنع ، فالتقت نظراتهما وخيل
إليه أنه رأى في عينها معنى الألم والتمنّى والاختلاص
يلوح له من خلال جفونها الناعسة ، وأهدابها الطويلة
تضمضض ولان وخفق قلبه بشدة وأحس بالرغبة الملحة
في الاقتراب منها وعناقها ، ونهض ليدنو منها ولكنه
لم يجزؤ على ذلك فلبث قائماً . قالت : مالك ؟ فلم يحب ، فهدت
إليه يدها لتجلسه ، فلما أحس بأصابعها بين أصابعه
اهتز جسمه كله ، وانتفض على نحو ما يصف الشعراء
والقصصيون ... وجلس إلى جانبها وألقى يده على
كتفها كأنما كان ذلك عفواً ، فشمّر بلذة وسره
ما كان من جرأته ففكر في أن يلف يده حول عنقها
ولكنه خشى أن تنضب .. وأن ترى في ذلك تمديداً
على عفافها ، وذكر أن ماجدولين غضبت لما قبلها
سيفين لأن هذه القبلة قد أفسدت الهوى المذرى ..
الذي كان بينهما ، ثم اشتدت رغبته في تطويقها
بذراعه ، فتردد حيناً ثم لف ذراعه حول عنقها ،
وأتم ما كان يفكر فيه فأسند رأسه إلى كتفها
كما شاهد المثليين في السينما يقبلون ، فلم يبد عليها
شيء من الغضب فأوغل في الجراءة فأجذ يدها بيده
الأخرى ورفقها إلى فيه فس أأملها بشغفه ...
ونظر ماذا تفعل ؟ فإذا هي قد ألتت رأسها فوق رأسه
حتى لامست خصلات شعرها وجهه ، فالتفت النار
في أعصابه وهم بها فوثبت كالقطة .. وجعلت تشكو
إليه ما عليها من الدين ، فدفع إليها كل ما في جيبه ..
فلما احتوت المال يدها تململت منه فلم يدر كيف
خرج إلى الشارع ...

سر الليل ، فأعاد الله إلى ما كان سلبنيه من الأنس
وسعادة الروح بالتوجه إليه . وصرايقته ...
وله الحمد على ذلك

الآن عرفت جمال الدنيا ، لا كما يقول أصحابك
الأدباء ، من أن الرد لا يعرف جمال الدنيا إلا بالحب
وأن الحب لا يرى الدنيا جميلة إلا إذا أضاعها حيناً من
يحب — فإذا غابت غاب جمالها — فأى كون هذا الذى
تحتويه حيناً امرأة قد تكون بشياً ؟

إننا نحتاج إلى مبشرين بالفضيلة ممن عرف الرذيلة
وخبرها ، أما من دعا إلى الفضيلة لأنه لم يقدر عليها
فهو شر من الشيطان ، لأنه إن قدر عليها انقلب
داخراً خبيثاً فأضل معه من كان اهتدى بهديه ،
والشيطان يدعو إلى الرذيلة على النور فلا يضل به
إلا من أراد الضلالة ، وليست فضيلة الماخر إلا انتقاماً
لنفسه من اللقادرين ، ولقد ترددت بين الحياتين :

حياة يلذها الشبان ويأنسون بها وهى حياة الانطلاق
من كل قيد ، والسعى وراء اللذة ، والاستجابة إلى
داعى الهوى ، وحياة لا تعجب أكثر الشباب لأن لها
غاية سامية ، ووزارها حياة آخرة ، وفوقها إله قادر
يسلم صاحبها أنه إن فاته حظه من لذة عاجلة فانية ،
فله من اللذة الآجلة الباقية ، فتأدت بأدب القرآن
فكنت أغض البصر ، وأزهر اللسان عن اللعش ،
وأبتعد عن اللزوات فقلت والحمد لله السعادة كلها :

قلت : أتأذن لى ينشر حديثك ؟

قال : نعم ، ولهذا حدثتك به ولكن دع الأسماء
لا تصرح بها . وكذلك فعلت !

على الخطاطرى

وجلال المعر قد نها فى قضى الاخيرة الدينية ،
فأدركت قيمة الاستقامة ، ولذة المغاف ، وعلمت
أن هذه السعادة التى يحس بها المؤمن لا تمتلأ لها نذ
الجسم ، ومتع الحب ولا توازيها ... وأدركت أن
الصلة بالمرأة سراب خادع تراه من بعيد ، وتسمع
وصف زلاله للساقى ، ومائه الخسير ، فيهجك
الشوق إليه ، ولكنك إذا جثته لم تجد شيئاً ...
جرب هذه الصلة مرة تحس بهوانها وسخفها ...
لا ... لا تجربها ، فإن من جرب المحرب حلت به
الندامة ولا تنقاس يدينك وشرفك لتعلم هذه الحقيقة
بل نرى بما أقول لك . ولا تتر هذه النار فى نفسك
فأنك لا تستطيع أن تطفئها . إنه لا يطفئها إلا أن
تستمتع بكل جميل فى الكون ، وهيهات . إنك إذا
استطعته لا تقوم صحتك به ، ولا تدوم لك وأنت
تتفق منها بلا وحي ولا حساب

لما أحسست بذلك أسرعت إلى الحمام فتطهرت ،
وخرجت أؤم المسجد قائماً ، وأحلف لك أنى لم
أجوز به حتى وجدت مثل ارتياح الطريق إذا خرج
إلى الهواء ، أو المختنق إذا فتح له مجرى النفس ،
وشعرت أنى أتم وأرتفع ، وأن هذه الأغلال التى
كانت تقيد روحى قد تحطمت وانكسرت ، وأن هب
الخطايا قد نزل عن كتفى ، ولما وقفت فى الصف
وقلت : الله أكبر خرجت من دنياى

وقرأ الامام : « يا عبادى الذين أسرفوا على
أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله بغفر
الذنوب جيماً » فجاء ذلك رداً على كبدى وسلاماً ،
فصحبت التوبة ، ورأيت أن أصل البلاء من رفاق
السوء فهجرتهم جميعاً ، وقطعت جبل ودم ، وترك

— ليس غروراً ،
لكنك رجل لا تدرى من
أمور الدنيا إلا التناث
والخراث والساقية... إنك
مثل البهائم التى لا تماشى
غيرها

— البهيمة التى تفيد

بَيْنَ الْحَقِّقِ الْمَدْرَسَةِ

اقْصُوصُ مِصْرِيَّةٌ
يَقْلُمُ الاسْمَ اذْ ذِي خَشَبَةٍ

— أحسن من الانسان الذى يضر !
— لملك تمنى توفيقاً بهذا الكلام ...
— هو ذاك ... أنا لا أرى أحداً سواه
— وفيهم شرك توفيق ؟ هل كسر ذراعيك
أم سطا على حقلك ؟
— لا هذا ولا ذاك .. لكنه أضاع من جهودنا
هذه السنوات الأربع ، وقد كلفتنا مائة جنيه على
الأقل بإرقية !

— فداؤه كل ما نملك ... إن دخوله علينا
كل أجازة يذنته وطربوشه — صانه الله وحرسه —
أحسن من ألف جنيه !
— طبعاً ... هذا هو الذى يشريك بذهابه
إلى المدرسة ... وقد كسر الزر منذ ثلاثة أشهر
وأنا لا أستطيع أن أشتري غيره إلى الآن ، وأولادنا
يمرضون من الجوع والبرد وتفضل ألا تشتري
لهم لحماً أو ثياباً ليذهب أخوهم توفيق إلى المدرسة ،
فلنت دخوله عليهم بالسرعة التى نفختك هذه النفخة
كان يشفيهم أو يسد رمقهم

— أى جوع وأى مرض يشيخ ؟ الصندوق
ولله الحمد يمتلئ بالعيش ، والقاعة ممتلئة بالحبوب ...
هل شكاك أحد منهم ؟ هل قال أحد إنه جوعان ؟
— لا ... لم يشك أحد ... لكنهم مع ذاك

— كلا ، بل لا بد من أن يذهب إلى المدرسة
— قلت لك إننا فقراء ، ولا قبل لنا بالنفقات
الطائلة التى يقتضها التعليم
— نجوع ... نمرى ... ولكن لا بد من ذهابه !
— ألا ترين بإرقية أن نفقات التعليم تذهب
بنصف غلتنا كل عام ومع ذاك فولدك من الخياب ... ؟
— ولدى أنا ؟ توفيق من الخياب ؟ صاه الله
وحرسه !

— بل هو أعيب الخياب بإرقية ، لقد رسب
هذا العام والعام الذى قبله ، وهو يعنى طامنين فى كل
فرقة ، ونفقات سنة واحدة كانت تشتري لنا جاموسة
أو بقرتين ... ولللاميذ ينالون للشهادة فى أربعة
أموام ، وما قد مضت ثمانية وتوفيق لا يزال فى السنة
الرابعة ، فالأربعة الأموام التى رسب فيها كانت توفر
لنا ثمانى بقرات لو أننا ملكناها ثلاث. لنا المار
لبنا وزيداً وجيتا ووقوداً ، وكنا نعيش فى سعة ...
وكنا أصلحنا هذا الجدار المائل ... وكنا اشترينا
حصة على أبي زيدان وأدخلناها فى دارنا فاقست ... و...

— حسبك يا شيخ ... كفى تحريفاً ... إن
سرقاً واحداً مما تملكه توفيق فى المدرسة خير من
هذه المزة ومن فيها ...
— هذا غرور بإرقية

حظه ، أما ابننا فهو أخيب الخياب يارقة ... أنا والله لا أريد له إلا الخير ... يساعدني ... إنى رجل مريض ، ولا أضمن أن أعيش له ... إننى إذا مت اليوم فتبتقطع عن المدرسة برغمه ، ولا يجدمن يعلمه حملا بنفمه ... التعليم لأولاد الأغنياء والموسرين يارقة ... بكفى الفقير أن يتعلم الكتابة والقراءة والحساب وما ينفعه فى صحته ودينه ...

— وهل كل الذين يذهبون إلى المدارس أغنياء ؟
— المجتهدون منهم يستحقون التعليم ... لكن الخياب أمثال السيد توفيق ، ينبغي أن يتعلموا فى جهات أخرى

— وأى الجهات تقصد ؟
— يتخرطون فى أعمال آبائهم
— ومن علمك هذا ؟
— الحياة يارقة .. الحياة الصارمة التى حيتها فى ظل أبى

— زمن والهلك قد مضى وانقضى ... نحن فى زمان جديد

— زمانك الجديد هذا ، زمان مريض حليل ممثلى بالفرود ... كله زخارف ... إنك لا تريد أن يذهب توفيق إلى المدرسة إلا ليدخل عليك بالبدلة والطربوش ، وحتى لا يمضى حافيا ولا بلبس البشت ... وكى يكون يوما من الأيام موظفا مثل ابن أبى عوف ... يقبض الرتب أول كل شهر ، ويجوع آخر كل شهر ، وهو بالرغم من ذلكته ووسامته يعيش عمره ذليلا فقيرا ، إذا طرد من عمله أصبح من التبتالين الفارغين ، فهو يتسكع هنا ويتسكع هناك ، يحسد الناس ويحقد على الناس ويتم أول ما يتم على من يحسن إليه .. هل نسيت عبد الحنان ابن الشيخ زناى ؟ ...
— هذا حظه ...

لا يذوقون اللحم إلا مرة فى كل شهر ... وتوفيق القدرة قد أوهنهم وأهلك قوام ، وكما رأيت الدم فى بولهم وبرازهم ذكرت العلة التى أودت بمحمود وقضت على كثيرين من أهل القرية

— أذكر الله يا شيخ ودع هذا التخريف
— لست أخرف يارقة ... لن يذهب توفيق إلى المدرسة بعد الآن ...

— وماذا يقول الناس ؟ تفزع أنفسنا بين أهل القرية ؟

— يقولون ما يشاءون ... ليس لأحد حساب عندنا !

— وماذا يصنع توفيق إن لم يذهب إلى المدرسة ؟

— ماذا يصنع ؟

— أجل ... ماذا يصنع ؟

— يساعدنى !

— يساعدك ؟ يكون فلاحا ؟

— ولماذا لا يكون فلاحا ؟

— هذا مستحيل !

— لن يكون إلا فلاحا ...

— نجوم السماء أقرب إليك مما تريد ... توفيق

لن يمضى حافيا ... توفيق لن يخلع البدلة ليلبس البشت ... توفيق لن يلبس البدلة مكان الطربوش ...

توفيق لن يمكس المهرات بعد أن كان يمكس الفم

— الطمئنى ... ظن يمضى توفيق حافيا ولن يلبس البشت ولن يخلع الطربوش ... سيكون عروسا

كما تشتهين ، لكنه سيكون فلاحا مع ذاك !

— لن يكون فلاحا ...

— بل سيكون فلاحا كما كان أبوه وكما كان جده

— بل سيكون موظفا نظيفا يقبض الرتب

أول كل شهر مثل ابن المعلم أبى عوف !

— ابن المعلم أبى عوف كان ولدا ذكيا وهذا

يمود إلى الوظيفة ، وأخيراً استطاع أن يتزلف إلى أحد أعضاء بلدية منوف فينبته كنكاساً
— كنكاس ؟

— إى والله كنكاس يارقية ! بمائة وعشرين قرشاً في الشهر

— مبلغ لا بأس به ... إنه ثروة !
— لقد كان يشرب دخاناً بأكثر منه
— ومع هذا لا أحسب أن الفلاح يكسب مائة وعشرين قرشاً مثلاً في الشهر

— الفلاح خلوق قنوع يارقية ، وهو إذا نجح في زراعته وبارك له الله ربح أضعاف هذا المبلغ ... إن جاموسة واحدة يبارك الله له فيها تربحه ضعف هذا المبلغ

— ومع ذاك فلن يكون توفيق فلاحاً

— بل سيكون توفيق فلاحاً

— إذن أترك لك المنزل

— وإلى أين ؟

— إلى أب

— وماذا تصنعين عند أبيك ؟

— ليس هذا شأنك

— إذا لم يكن شأنى فيكون شأن من إذن ؟

— إذن يذهب توفيق إلى المدرسة ولا يتقطع

عن التعليم

— لن يذهب إلى المدرسة ولن يتقطع عن التعليم

— وكيف لا يتقطع عن التعليم وهو لن يذهب

إلى المدرسة !

— سيتعلم الفلاحة سنة أبيه وسنة جده

— هذا لن يكون

اختلف الزوجان اختلافاً شديداً ، وذهبت رقية تشكو زوجها إلى أبيها وإلى أخواتها وإخوتها وجميع (٢)

— لا ... لم يكن هذا حظها ... بل التخلط

غلطة أبيه

— وكيف أخطأ أبوه ؟

— لقد كان الشيخ زكّاني أمهر حداد في القرية ..

لقد كان يبيع كل يوم جمعة عشرين شرشرة وعشرين فأساً غير السكاكين والمقصات ، وقد استطاع أن يجمع ثروة عظيمة ... سبعة أفدنة وثمانية فشر قيراطاً يارقية من أحسن أراضي قريننا ... خرطة الساحل كلها وأرض أبي طاقية .. أين ذهبت هذه الجنة ؟ .. لقد بدوها عبد الخالط ...

— وما غلطة أبيه إذن ؟

— غلطته أنه لم يعلم ابنه صفته

— لكنه علمه ما هو خير منها ؟

— وماذا علمه ؟

— لقد نال الشهادة والوظيفة

— وانسلخ من طهارة الريف وغرق في زيف

المدن .. ولما استغنى عنه وماد إلى القرية ، لم يستطع

أن ينزل إلى أرضها لأن أجنحة الثرور كانت تذهب

به بعيداً في سماء غير ضامها ، فباع الأرض فزاريق

وأنفق كما كان يتفق في حياة الوظيفة حتى لم يبق

في يده شيء ... ولقد حاول مرة أن أقمه بفتح

دكان أبيه فحضر منى وقال : إنه لا يدري من سنة

الحدادة كثيراً ولا قليلاً ... ولم أكن أقصد أن

يعمل بيديه ، بل كنت أتمنى أنه يستطيع استخدام

أحد الصناع الساكنين من أهل البندر فيصنع له

وهو يبيع ويدبر العمل ، لكنه اتخذ حديثاً مزواً

واستكثر أن يخلع سترته وينشمس في تراب الفصح

ودخان الكبر وأن ييمود صممه دقات الأراذب

والسندان بعد ما توددت أنعام المود والقانون

والسكان ... قلت له : لكن الصنعة على قدرتها

أشرف من البطالة ، فقبس وقال : إنه لم يأس أن

— أريد أن أعرف ، هل شكت لك رقية من
 ضيق في حياتها ؟
 — شكت أمر الشكوى ...
 — ومن أى شيء شكت ؟
 — من كل شيء
 — من كل شيء مثل ماذا ؟
 — من الهمار الخربة ومن الزير المكسور ومن
 بخلك ... ومن ...
 — بخلي ؟
 — أجل يا سيد عبد الإله ... إنك تضن بتمن
 شرية ملح على ابنك عبد الفتاح ...
 — هذا هو الذي شكوت أما منه ... إن كل
 قرش يقع في أيدينا ندره لمصروفات توفيق وبذل
 توفيق وطرايش توفيق ... إننا نجوع يام الشيخ
 زرق لنفرح بدخلة توفيق علينا بالبدلة والطرشوش
 والحذاء الأسفر الفاتح ... أولادي كلهم يتبولون
 دما لأنني أعجز عن إرسالم للطبيب وهذا لأن أخام
 يا كل أرزاقهم ... هم ينصبون ويكدون وكل نصيبهم
 وكدم ذاهب عليه ... وهو مع هذا أخيب الخياب
 — كلام فارغ ... تخريف ... هل دخلت
 في علم الله يا شيخ ؟
 — ليس ضروريا أن أدخل في علم الله لأعرف
 إن كان ولدي يتفع أولا يتفع ...
 — يا طاعى ؟
 — أستغفر الله أن أكون طاعيا ... لن يتفع
 توفيق في المدرسة ، ولو نجح فسوف يكون نجاحا
 يشبه الخيبة
 — ولماذا ؟
 — سيكون مثل ابن أبي عوف
 — وماله ابن أبي عوف ؟

من تعرفهم ومن لا تعرفهم ، وراحت تهمه بالجهل
 وضيق الفهم وانقباض الكف ... وليئت في منزل
 والدها ياما طويبة وهي ترفض العودة إلى منزل الطاعة ،
 كما يتقرر رجال الحاكم حين يسمون منزل الرجل
 الزوج ... وكلا تردد الرجل على منزل أبيها يطلب أوتها
 غلت في طلباتها فاشترطت أن تشتري ثلاث بذلات
 لتوفيق ، وطرشوشين لتوفيق ، وزوجين من الأحذية
 لتوفيق ، أحدهما أصفر فاتح ، والآخر أسود (بأستك)
 وجلس الفلاح المسكين الشيخ عبد الله يحاور
 صهره الغني فيما ينبغي وما لا ينبغي من هذه
 المشكلات ... وكان الصهر كالفرس الحرون ، كلا
 أدلى عبد الله بحجة ركب رأسه ، وأبي أن يعنى
 إليه ، وشرده بالحديث شرودا يركب الصدر ويذهب
 بأناة الحليم ... قال لزوج ابنته وهو يكلمه بكل
 جارية في وجهه ، فتارة ينفذ هينا ، وتارة يقلص
 هفة ، وطورا يفترقا ، وأطوارا ترسم الأسارير
 مستهزئة حول عينيه وملء جبينه ، وهو في ذلك
 كله يصنع اللباقة والفهم ، وإن لم يكن عنده شيء
 من لباقة ولا فهم
 — أنا طارف يا عبد الله ... أنا طارفك ...
 أنا طارف ...
 — أنا اليوم كما كنت بالأمس يا سيدي
 — أبدا ... أبدا
 — وماذا تغير من طبعي ؟
 — كل شيء ...
 — كل شيء مثل ماذا ؟
 — الوعود المحلوة التي كنت تمددتها في معاينة
 رقية ذهبت كلها أحراج الرياح
 — وأى هذه الوعود ذهب أحراج الرياح يا سيدي ؟
 — كثير ... كثير ...

من شأنها وشأن زوجها فقط .
 لقد كان الشيخ عبد الله رجلاً حصبياً ينفذ
 أكثر من غيره من أهل القرية ببر الزمان ، وهو
 إن أخطأ فملاقي إجابة للشيخ زوق بتعبيره بقناعة
 ما أكاد من الأزهر إلا أنه كان على شيء من الحق
 فيما أراد أن يقول وإن يكن قد التوى عليه القصد
 وقاله حسن التعبير ... وأهل الزوجة حتى
 حين يدسون أنوفهم فيما لا ينبغي أن يشار كوافيه
 أصهارهم مما ينهمج وحدهم ولا يسي أحد سوام ؛
 وم حين يشجعون بتهنئتهم على مماندة زوجها يتقنون
 بأيديهم الأتمية بنیان سادتها وسعادة الأسرة
 التي كان يجب أن تشيدها وتقيم عمادها ... وهذه
 أولى وظائف الزوجة الصالحة ... لكنها وظيفة
 لا تتم إلا للمرأة الكتوم التي لا يستغفها الزئق
 ولا يستهويها الطيش ، فتذبح من أسرار زوجها
 ما كان ينبغي أن يكون سر بينهما لأنه سياسة حياتهما
 لقد عير الشيخ زوق صهره عبد الله بأنه يجيع
 ابنته وهي تهمة مفترقة ما في ذلك ريب ، وإن لم
 تكن مفترقة فإن رقية هي التي قدفت بها في سمع
 أبيها ... وقد اقترتها في غير وهي ولثير حكمة الهم
 إلا لشهوة التشنيع على زوجها الذي ضاق ذرعاً
 بنفقات تلميم ولده ، أخيب الخياط ، كما يطلق هو
 دائماً عليه ، فهو يريد أن يقطعه عن المدرسة ليوفر
 لأولاده أكلة من اللحم كل أسبوع على الأقل بدل
 الأكلة الشهيرة ، وليوفر لهم كذلك شيئاً من دفين
 الفصح وشيئاً من القماش يقيم زهرير البرد ، ثم
 لكيلا يرضى على أحد منهم بشئ شربة من الملح
 أو زجاجة من القطرة ، ثم لكي يضمن لولده مستقبلًا
 عملياً فلا ترهقه الحياة ولا تنفجأ بمطالبتها بنته حين
 يرغب على حبيسة الزرعة إرغاماً لم يأخذ له أهبة
 ولا أعد له عدة . والزراعة فن وصران يصبحان

— أسوأ حال وألمن مآل !
 — ولماذا ؟
 — لأنه يشتغل كناساً في بلدة منوف
 — كذاب !
 — لست كذاباً
 — هل رأيته ؟
 — لم أره ، ولكني عرفت ؟
 — لقد رأيته ببني يجلس أمام مكتب غم .
 — هذا صحيح ؟
 — إذن كيف تدعى أنه يشتغل كناساً ؟
 — لقد رجوه فقط ، فهو معين كناساً ولأنه
 يحسن الكتابة أخذوه ليسانس الكتبة ...
 — وهل أنت مهندس الكون يا شيخ عبد الله ؟
 — لا ... لست أنا مهندس الكون ، ولكني
 مهندس أسرى فقط .
 — وأين تملت هذه للفلسفة وأنت رجل فاف
 ومحرث ؟
 — ليس ضرورياً أن أنملها في الأزهر الذي
 لم ينفعك بيعة !
 — أخسر بإقليل الأدب !
 — لست قليل الأدب ، ولكني أقول الحق ..
 — أخسر بإجاهل
 — لست جاهلاً فأنا أحسن الكتابة والقراءة
 والله الحد ، وقد استفدت من الفلاحة أضاف
 ما استفدت أنت من الأزهر الذي قضيت فيه شبابك
 فما أفدت مما حصلت فيه شيئاً ، ولولا ما ترك لك
 أبوك ...
 وهكذا انقلب الحوار قصار حواراً أفلاطونياً
 عجيماً ... وهكذا تنقلب محاورات القرويين .. وقد
 أخطأت رقية حين أكرت العاصفة في منزل زوجها
 وحين جملت أهلها قضائها فيما كان ينبغي أن يكون

لقد كانت أسرة فقيرة تعيش في إحدى حجرات الطابق الثاني من ذلك المنزل ... وكانت الأسرة مكونة من رجل عامل فقير ومن زوجة بائسة ، لها طفلان يافعان ، أما أحدهما فغلام في السنة الأولى الابتدائية وأما الثانية فتغاة في السابعة عشرة ، رسم الفقير حول عينها تهاويل عجيبية من السحر ، كانت تنشر ظلالاً من الفتنة فوق خديها ، وألواناً قرمزية فوق شفيتها وكانت ابتسامة واحدة من فمها البقيق الرقيق تصير بيّوضاً والديها أنها ، وتقسيم مالم فيه من عناء وضيق وكانت هذه الابتسامة نفسها يلصق بشفتي فؤاد توفيق ، وطلبا يشيع بالنشوة في كيان ، فهو لهذا لم يكن يمدل بفرقة القذرة المكظومة بالحشرات من كل صنف قصراً بأمره ، ولا مدينة من مصرر يشيدها ملك الجن فيزخرها ويقم عمادها من فضة وذهب ، ويجرى نحتها الأنهار من نهر ولبن وعسل معني ، ويثبت فيها من كل زوج بيج وأجل الحب وأخطره ما يكون في هذه السن المبكرة ... فهو حب يضر القلب ويشك النفس ويؤرق العين ، ويجعل صاحبه طيفاً قلماً تصدده حقيقة الدنيا ، وقلماً يترف بما فيها من نضال ، لأنه لا يفكر دائماً إلا في ملاك ، وهو يقف فيه بقلبه وعينه وسمعه وإدراكه ، وبهيه كل وقته لأنه يمد نفسه كلما قرباناً لحبيبه ، وهو ينتظر إليه كأنه شيء مقدس علوي ، فهو يحسد ملايسته لأنها تلتصق دائماً بحسده الجليل المتلئ بالذلة ، وهو يحسد الأرض التي يجتال فوقها لأنها تقبل قدميه دائماً دائماً ... وهو يحسد الهواء الذي يعلأ رثبه لأنه ينفذ إليهما من أنفه الأفي الجليل ، ثم يخرج من فمه الحلو الطبوع بالقبل ... وهو يحسد النرفة التي يعيش فيها لأنها في نظره أعين من كنوز سليمان لأنها تنضم نروة من الجمال تعدل ثروته أسماً مضاغفة

بعض الأيام غرزة في ساعدي الفلاح فهما تضريان بالنفس وتثيران الحمرث كما يفتي قلم الشاعر بأهازيج الهوى فوق القترطاس .

كانت هذه الهواجس تضطرب في نفس عبد الله وكان كافكرفي سلوك زوجته حزن وساوره الكد ، لأنها شجبت آلامه ، وخلقت له من المشكلة الواحدة مشكلات ومشكلات ... وقد نسي كل شيء إلا ما افترت عليه من أسرار تجويعها ، فكان يذكر ذلك ويبكي في أحماه دون أن يذرف دموعاً واحدة وهو أحر البكاء وأوجعه

كان يقطن الشاب المراهق توفيق أفندي عبد الله الطلاب بالثانوية الكبرى ، في منزل صغير قذر من منازل عطفة السلاح بحى المنشية

وكانت غرخته البسيطة الساذجة الرطبة مأوى لأسراب البموض وجيوش البرافيت والبق ... لكنها بالرغم من هذا البلاء كانت جنته التي يقضى فيها ليله وأكثر نهاره في أيام انقطاعه عن الدراسة وما كان أكثر هذه الأيام

وليس عجيباً أن تكون هذه المباءة المثلثة بأسراب البموض وجيوش البق جنة للتلميذ المراهق توفيق أفندي عبد الله ... فليحجرة على قنارتهما نافذة تشرف من بيد على حدائق النشية الناعمة تحت أسوار القلعة ، وذاك منظر يجب يثبت الرئش في خيال شاب مثل توفيق ، ويجعل له أجنحة فيغرف في عوالم الشعر ، ويجعل حياته ضرباً من الأحلام لا يفيق منها إلا على دعة بموضة أو عضة ذكر من ذكران البق أوباشق من بواشق البرافيت وليس هذا المنظر وحده الذي جعل النرفة جنة لهذا الشاب ، بل هناك شيء آخر ... شيء إذا وجد قلب كيان المرء وملاك زمانه ، وسلبه ليه وتفكيره

فيسمونه حبا ، ثم يوردون له الخلدود ويقعدون القدود ، ويكحلون عيون الآرام السحر ، ويمهدون له القلوب لينام فيها مطمئنا مستريحاً ناعم البال

وذهب توفيق إلى القاهرة ليصل حياته الدراسية وأنفأ إليه راحم ... ثم ليصل غرامه بالفتاة لثناهد المنزلاء الريانة

لقد كان توفيق يكره التلميز أشد الكره ... وكان ينظر إلي الكتب كأنها تنوم مبعأة في قوادر إذا ذاتها أذاخته المنايا أشكالا وألوانا ... وكان أكثر العلوم بشفاً إليه دروس الجبر ... لقد كان يسميها دروس الألفاظ والمصيات .. ولم يكن يدرى ما فائدة الاوغرتم مثلا ... وكيف يستعمله في حل مشكلة دودة القطن أو الندوة المسلية التي تصيب اللوز أو حمل الجبن أو استخراج الزيت من الزيتون ... أو ما فائدة الجندر التكميبي في علاج صدأ القمح ... وكان يرى جيوش الشبان التملين تنزول القهوات ودور اللو ، والسيد من حصل منهم على عمل يعضة جنيتها يستر بها حاله ولا تموض شقاه الطويل في دور التلميز ، ولا تنهض بالأمال للكبار التي كان يملقها بمستقبله والهاء

لقد كان يرى جيوش التملين المتعلمين يتسكعون هنا ويتسكعون هناك ... وكان يقرأ في الصحف غزواتهم للوزارات وأخبار اجتماعهم وهتافهم يزيد وصياحهم يعمرو وإملاء إراداتهم على أولياء الأمور حين يطالبونهم بمخاطبة الوظائف لهم وتدير الأعمال التي تناسبهم فكان يضيق ذرعاً بمستقبله ويراه أحلك من ظلام القبور

وكان له صديق أسعد حالاً بالتلميز وأقل كراهية للكتب ، وأكثر تفاؤلاً بالمستقبل فجلسا مرة يتجادلان أطراف الحديث في حديقته المنشية ، وكان

ثم يشذ في حسده وينلو غلواً عجيباً حين يحسد أم حبيبه وأباه وأهله الأديين لأنهم يكلمونه دائماً وهو يكلمهم فيملا آذانهم من سحره ، في حين أنه ناد ما يستطيع أن يكلمه إلا بقدر ، وإلا في كل فرصة منترعة من عفو الصادقات

هذا هو الحب الجليل الخطر المهلك ... فهو جميل لأنه ينمو في سن جميلة ... في زهرة الصبا وعمر الأحلام ... عمر الفراغ والخيال المشبوب . الخيال الذي لم تنسده حقيقة الحياة المرة الشوية بسكر المسئولية

وهو خطر بل مهلك لأنه يوقظ الحيوان الذي يشور ويتدفق في أصلاب الناس منذ آدم ... وهذا الحيوان هو أضرى الحيوانات كلها وأشرها لاسيما إذا استيقظ في هذه السن المبكرة ، وهو في الغالب يستيقظ فيها ، فلم يصرفه المؤدبون والآباء في كياسة ولطف بمختلف الوسائل التي رسمها العلماء لمحاربه أو للتسلي به ... فهم يحاربونه بالكبت بالدين والتخويف بجهنم أو التحويل بما يلحق الجسم من تهم من جراه ... وهذه طرائق سلبية قد تضر أحياناً وقد لا تجدي إلا قليلاً ... ثم هم يتسامون به فيصرفونه إلى الرياضة والفنون والدفاع عن الوطن والمخاطرات من كل لون ... وهذه طرائق إيجابية كثيرة الجدوى في تطليف حدته ، ولكنه مع ذلك قد يشور بالوسيلتين فيحطم كل شيء ، كما حطم هذه السنوات الثماني من حياة توفيق ، وكما حطم معها أمل الشيخ عبد الله ، وكما حطم صحة أبنائه بالتجويع والمرض ، وكما ذهب بأمله في شراء حصه أبي طاقية وضماها إلى الماد ، وكما غل يد الرجل فلم يشتر البقرات الثماني التي كان يرجو أن تملأ له منزله سمناً وعسلاً ...

هذا هو الحيوان الفئاك الذي ينازله الشجر

- وهل المستقبل يدرك أنت ؟
 — أنا لا أشك يا صديقي أن مستقبل كل إنسان بيده ويدي أيه !!
 — هذا كفر ...
 — ليس هذا كفرًا كما توحى إليك تربيتنا الفاسدة ... إن مستقبل الناس بأيديهم والمقادير بيد الله ... إسمع يا صديقي توفيق ... إن إقبال الآباء بأبنائهم على مدارس التعليم النظري بهذه الكثرة المائلة هو نوبة من جنون التقليد ... إنهم يتدفقون مع التيار دون أن يفكروا في هول اللجة التي تصنعهم حين يقذفون فيها بفولاذات أكبادهم . إنهم يرون ابن فلان من الناس قد حصل على وظيفة بعد شق النفس ، ثم ما هو إلا أن بدا بينهم غشًا لا في بذلته مياسًا تحت طربوشه حتى يجن جنونهم ، ويتمنون لأبنائهم مثل مركزه إن لم يكن أسوأ من وظيفته ... فيسلكون السبيل نفسها التي سلك ...
 فترى أبناء التجار والحداين والفلاحين والمتالين والبنقاشين ينهبون إلى المدارس أفواجًا ، ثم يخرجون فيها أفواجًا ، ثم يتكسبون بعد ذلك في القهاوي ودور اللو ، ولا يستحيون مع ذاك أن يرهبوا ذويهم بمصروفاتهم الباهظة حتى يحين الحين فيجد بعضهم عملاً قاصياً في ركن مصلحة من المصالح ويبقى الآخرون وهم الآخر شذاً في الطرق حبالاً على أهلهم .. ما هذا ؟ أليس هذا جنوناً يا صديقي ؟
 — ... ؟ ...
 — أليس كان الأليق بأكثر هؤلاء إن لم يكن بهم جميعاً أن يسلكوا سبيل آبائهم ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا تتكلم ؟
 — إنك هنا تريد أن تقصر التعليم على أبناء الأغنياء !
 التلاميذ قد أجموا على الاضراب ذلك اليوم فلم يذهب توفيق وصديقه إلى المدرسة
 — وزارة ظالمة ووزراء لاهمهم إلا أن يرفلوا في ثياب السعادة الفضة ... كلما كان لهم قريب أو محسوب خلقوا له الوظيفة خلقاً ، فإذا طالبناهم أن يحلوا أزمنا لو كانوا أعناقهم وقالوا شباب قنع مستهترون ...
 — وماذا ترى الوزارة صانعة يا توفيق ؟
 — ماذا أراها صانعة ؟ ولماذا تقبلنا بمدارسها إذن ؟
 — تقبلنا بمدارسها لأننا نطلب ذلك
 — لكنها ولية الأمر فيجب أن تدبر لنا مستقبلنا
 — وأى مستقبل تراها مدبرة لنا ؟
 — لا تلحق بالوظائف إلا الأكفاء المتخرجين في مدارسها
 — هيا فملت ذلك فهل تكني وظائفها جاهير المتخرجين ؟
 — لا غرو أنها تكني !
 — أنت تقول هذا وقد أثبت الواقع أن استيعاب وظائف الحكومة لجيوش المتخرجين عبث بل ضرب من المستحيل
 — إذن فلماذا تقبلنا في مدارسها ؟
 — تقبلنا لشدة إلحاحنا في ذلك .. لئلا يكآبنا على مدارسها . وإذا أردت الحقيقة فأبونا هم المخطئون
 — أبونا مخطئون ؟
 — أجل ، وهم الجناة المسئولون عن ضياع مستقبلنا ...
 — ماذا تقول يا حليم ؟
 — أقول إنهم يلحقوننا بالمدارس وهم لا يدرون ماذا يصنع حين تخرج فيها ... وإذا سألتهم أجاوبك هذا الجواب الضيف التهافت : دع الأمر لله فالتسليم بيديه وهو يعلم التيب وحده سبحانه !

— الحكومة عليها واجب عظيم في ذلك ... ينبغي أن تحمي البلاد من سيل المهاجرين الأجانب الذين يذهبون بثلاثة أرباع الأعمال العامة فتجنب الشبان منافستهم الشديدة ومزاحمتهم غير للشريعة ... إن سبعمين في المائة من خدم القهاوى الكبيرة والفنادق الراقية من الأجانب ... إن سبعمين في المائة إن لم يكن تسعين ، من وظائف الشركات الكبيرة الأجنبية مقصورة على الأجانب

— إن رأس المال أجنبي يا صديقي فهذا حقهم — كلا ... إنه إن يكن رأس المال أجنبياً فإن الثمرة مصرة بمجة ... ولا نفس أن رأس المال الأجنبي يبدأ صغيراً ثم لا يلبث أن يتضاعف في بلادنا ... فلك أن تمدد كالبذور الأجنبية نجيلها من الخارج وزرعها فتنبث محصولاً مصرياً

— وما واجب الأغنياء إذن؟ أنسى أنهم مكفون بالاتفاق على الفقراء؟

— ما عنيت هذا ، ولا يستطيع أحد أن يكلفهم به

— وماذا عنيت إذن؟

— عنيت أن عليهم واجباً مقدساً إن لم يقوموا به استحقوا الزرابة ... ذلك أنهم يكسبون أموالهم فيما لا يجلب ثروة واسعة في هذا العصر ... إنهم جميعاً لا هم لهم إلا شراء الضياع واقتناء البور والفصور ... فأموالهم بذلك معلقة وإن جلبت ثلاثة أو أربعة في المائة ربحاً لها كل سنة

— وماذا يصنعون بإرثك الله؟

— لو أن الفنى منهم فكروا إنشاء مصنع لصالح الحال ... على أنى أفضل أن تتحد كل جماعة منهم فتكون شركة تفتح ناحية من نواحي النشاط البكر المعلقة في مصر ... يجب أن تتحرك أموالهم لأن المال وحده هو دم الاقتصاد الذى لا ينفد ، وإن

— كلا ... فما إلى هذا قصدت

— وماذا قصدت إذن؟

— هنا عيب الحكومة ...

— ألم أقل لك إنها وزارة مقصرة؟

— ليست هذه الوزارة هي المقصرة بالذات ، إذ هي غلطة جميع الوزارات

— وما ذاك إذن؟

— لو اقتصد الآباء في إرسال أبنائهم إلى المدارس بعد المرحلة الضرورية منه — التعليم الابتدائي مثلاً ، أو الأولى إذا دعت الضرورة — كان واجب الحكومة أن تنتخب من أبناء الفقراء ، بصرف النظر عن مهن آبائهم ، العدد الأكبر من نابيهم فتعلمهم على نفقها ، فمن استمر منهم على نبوغه استمرت هي على الاتفاق عليه حتى يتم منهاجه ويصبح جندياً ممن يعملون في الصف الأول من صفوف الخدمة العامة ؛ ومن أهل منهم ، أو تكشف عن غير ما كان يرجى منه ، انحرفت به الحكومة عن الطريق ، أو انحطت في وظيفة صغيرة مما يناسبه من الأعمال الصغيرة العامة ... فيمثل هذه السياسة خصوصاً إذا تولتها أيد حازمة ، كنت لا ترى هذه الجبوش من التلمذ الماطلين ، ثم كنا وفرنا للهن الحرة فئة من الشباب الصالح يرتفع بها ، ولا يجعلها من الموان بحيث يحقرها الأبناء . ومنها يطمعهم الآباء ... إن احتقار الهن الصغيرة قد أخرج بحرقها عن دائرة الشرف ، وهذه هي علة الملل في أخلاقنا

— وهل تظن أن هذه الهن من الزواج بحيث تكفل الخير للكثيرين؟

— إنى أثنى أن يأمن هذه الهن تضمن للإنسان حياة هادئة سعيدة خصوصاً إذا تصافرت الحكومة والأغنياء في رفع شأنها

— كيف تصافرت الحكومة والأغنياء؟

ملابس الأسرة فوق السطح ، تسال كالس ثم اختبأ في ركن حتى تفرغ من عملها فيندفع نحوها في نادب ووكه ، ثم يقف صامتاً ومله وجهه للشاحب المربح عواطف مكيونة لا يستطيع أن يبر عنها إلا بدمعة أو دمتين ... فتفهم ليلي ... وتحجبه بإبسامة رقيقة ... ثم يهبط بسرعة كالنزال ... فيتدحرج تحت قدميها قلبه وأنفسه !

وصعدت صرّة تلم الملابس فصمم على أن يغير معها خطته ، وأن يكون هذه المرة أكثر إقداماً وجرأة

لقد انتظراها حتى نزلت بحملها فوقف يحول بينها وبين النزول إلى غرفتها .. ثم أخذا في حديث خافت هكذا :

— ماذا يا توفيق ؟

— أحبك !

— عيب !

— وكيف يكون الحب عيباً ؟

— هذا لا يليق !

— لا بد أن أهرق !

— تهرق ماذا ؟

— إن كنت تحبيني !

— أرجوك دعني !

— لا بد أن تتكلم !

— هذا مستحيل !

— ماذا هو هذا المستحيل ؟

— أي تحت ... دعني أرجوك !

— إذن نسجل حبنا بقبلة !

— مستحيل ، مستحيل !

وقبل أن تستطيع الإفلات ، انقض على فيها للشئ الجميل فسرق منه قبلة فأنجته ، ثم صرقت كالسهم على السلم ، ودخل هو إلى غرفته

تكن اليد العالة والدمع الفكر ما يورث يلزم هذا الدم ... أقسم لك لو تم هذا لما رأيت متعلماً ماطلا في مصر

— هذا صحيح يا حلیم ...

أفاد توفيق من حديث صديقه حلیم قائدة جليلة ... لقد رأى جانب الحب من حياة التلميم ... لقد قرأ في ذهنه أن أباه كان على حق حين أراد منعه من الذهاب إلى المدرسة ليتعلم الفلاحة ، وليندمج في روح الحقل ، وليرث أباه وراثته صحيحة ، وراثته الملك والبن والعنة .

غير أن شبح الفتاة للتاهد — ليلي — تمثل له تقدره وسرف عنه طائف الحقيقة ، وأغرته في بحر لحي من هواء البحر ، وخياله الشبوب .

لقد كان الحيوان الخبيث الذي استيقظ بين كتفيه يعذبه ، ويصور له الفتاة المتلثة الحسناء تتقلب بين ذراعيه ، وتلمس لحمها الرودي الساخن بلحمه المتأجج ، وفوقهما الخمرى الفتان فه المشتل يقطف القلب ، وفي حينها المهاجون عيناه الجائعتين تسبحان في دنيا من الفائن والسحر .

هذا هو حيوان اللذة اللدس ... هذا هو الحيوان الذي يقضى على بركة الخير في نفس الانسان ... هذا هو الشيطان المسلط على الروح الانسانية يشوه جمالها ويصرفها عن نهج الهداية ، وزخرف لها بالذرة الأنيمة فتضل وتخزي .

كان يجلس في نافذة غرفته ينازل ليلي ساعات وساعات حين لا تكون أمها في غرفتها .

وكان كلما لقيها على السلم أرسل تحية مخنوقة تردّها في حياء وفي خفر ، وهي تسلم ما تضرر جوانحه لما من حب ، وما ينطوي عليه قلبه من هيام وكان إذا واثته الفرصة فصعدت ليلي تفش

حاملة حملها... فأخذ قلبه يخفق بشدة وفي عتف...
وخيل له أنها بطيئة مع أنها في زحمة أرشق من
الطبي وأسرع من الظليم... ثم هبط يمدو واطنض
على حملها فالتقطه من فوق رأسها... فنظرت إليه
وتضاحكت... وصعد الاثنان

ودخل توفيق إلى غرفته بكل الملابس !!

— هللى ...

— مستحيل ... مستحيل !

— بل المستحيل أن تصمدى !

— يجب أن أسعد... إن أي حادثة الساعة،

فماذا أقول لها ؟

— لن يجلسي إلا دقائق

— ليكن بعد أن أفرغ من عملى !

— إذن أسعد فأساعدك !

— كثر الله خيرك... بل استرح أنت

حتى أزل !

— إذن أوسلك إلى السطح !

وتوالت على السلم... وتوالت من خلفه ليلى.

ثم وضع حملها، وأهوى على فمها فطبع عليه القبلة

الثانية... وكانت قبلة طويلة متبادلة...

وحادث ليلى بعد دقائق كانت أطول من دهر

فتلقاها توفيق في ذراعيه وأجلسها على مقعد متوسط

ثم راحا يتناجيان

وكان حديثاً طويلاً شهيماً مرصعاً بالقبل،

لم يوقفهما منه إلا لفتح باب الغرفة السفلى، فهبنت

ليلى مسرعة

ونسى توفيق كتيبه ؟ وفرغ لجه

وصرت الأيام

وبدا الشحوب على وجه توفيق، وكان قد

أفرط في استهلاك اللذة للمنوعة، لأن ليلى كانت

أحرص على عزمها أشد مما حرص إبليس على

والأرض تمد تحت قدميه، ونشوة القبلة تسرى

كالجيا في فؤاده، صرفة بأجنحة اللذة، متأرجة

كالورد، عليه كالنسيم، متددة كأنفاس الصباح !

ما أبدع القبلة الأولى من قبل الحب !!

إنها تفصل من حقيقة الحب بين حيايين...

إنها تظل تدوى في ذكرى الماشق كما يدوى الأمل

والظفر... إنها تلمع كالبرق في ظلمات يأسه...

إنها كالنارة في ظلام البحر العجى

تطرح توفيق فوق سريره يتقلب كالسكران

لقد نسى كل ما قاله حلم !

إنما الحياة هنا... في القاهرة... الحياة الحب

والحب الحياة كما يقول شوقي وكما يقنى عبد الوهاب

ليبقى توفيق في غرفته... لتكن المدرسة حبيبة

إلى فؤاده لأنها تبقى في جنب حبيبته... ما أسراب

البومس وجيوش البق والبراغيث في قبلة واحدة

يطعما على فم ليلى !

لقد نال القبلة الأولى بالنف، فإذا يحول بينه

وبين القبل التالية ؟ لا شيء ! أليس قد شرب

السكاس الأولى ؟

وجلس يرقب صمود ليلى بقلب مضطرب،

وأعصاب فائرة... وكان يرفسق تصمد، إذا أحس

بحركة النفس في قاعة حبيبته فيجلس يومه كله يرقب

الصاعدين والنازلين...

وأطل فرأى أمها تخرج وترك دنيا غرامه

بدون رقيب أو عزول... وفرح واستبشر، وتأكد أنه

سبغ على منية أعلى وأقى... لا قبله ترك في القلب

لوعة وأشجاناً

وفكر في أن يحاضر وينزل إلى ليلى ليمس

بنظرة منها مؤقنة تشفيه أو تكويه... وكلاما عنده

سواء...

لكنه ما كان يفعل حتى وآها تعز من غرفتها.

ومضت أيام وأيام .
 ثم تسلم يوماً ما خطابين عرف أولهما لأنه من
 أبيه فأمله قليلاً ؛ وفض الثاني فلم يجد في رفقته
 غير هذا السطر :
 «وداعاً يا صديقي فقد تزوجت وأصبحت رجلاً»
 واضطرب قليلاً ... وحاول أن يقرأ خاتم البريد
 فلم يفلح ...
 وفض الخطاب الأول فراه أن يقرأ من أبيه أنه
 مريض وأنه في خطر ، وأن لا بد من وجوده بجانبه
 في ساعاته الأخيرة
 وأفاق توفيق من حلمه اللذيذ
 وصدمته الحقيقة المرة
 فساد ليودع أبيه ... ولجعل على عاتقه العبء
 الثقيل الذي تمى لو كان حله قبل اليوم ، ليكون له
 أهلاً ...
 درى في نفسه

عصيان ربه حيناً أمره بالسجود لآدم . لقد رفضت
 أن تسقط إلى الحضيض الذي أغراها توفيق بالتردى
 فيه .. لكن الحيوان النعيم كان يعصف به ، وورغمه
 على إشباعه ، فكان المسكين يستسلم له بمد زول ليلي
 فيباشر المادة السرية مباشرة فتاة تستنزف ماء حياته
 فلا تكاد تبقى منه شيئاً

وعاد يوماً من المدرسة فوجد غرفة ليلي خاوية
 ماذا ؟ !

لقد ذهبت إلى حيث لا يدري !
 وبات ليلة طويلة مؤرقة ... ونزل نصف الليل
 محبوب للطرقات كالجنون . ثم عاد مع الفجر فصعد
 إلى غرفته ، وعاد إلى غرفة ليلي بمصباحه وجانب
 من فراشه ، وبث يتلوى كالحوم حتى تنفس الصباح .
 ولبس ملابسه ، وهرول في الشوارع يبحث
 ويشتم ، ولكن بلا جدوى .

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

— — — — —

عاماره ... وعاملوا شركائه شكروا ... التزم لبيدكم

شجرة المردة

للكاتبة ل. غارمات
بتكلم الأدب ناجي الطبطبائي

من بي جلدتها ، يدخل بسرعة
ويقلب الباب وراءه بدقة وحذر
فقدت «ي» في وجهه وسألته
بصوت رن صداد في جوانب
الغرفة :

— ماذا تريد؟ ألا تعلم أن
هذه غرفة الخاصة وليست ندبا
مشاعا ؟

كان الداخل في يافعا جميل الطلعة رغم المبوس
المشتم الذي شوه ملامحه ، وكان ينظر بمبينة المظلمتين
كالمثوه . ومارأته «ي» حتى ارتد فكرها إلى مناظر
القصص بواسطة الخيل ، وإلى الوعل المسكين في الغابات
ثم قالت تحدث نفسها :

— إنه مريض لفتح الشمس كما أظن
ولكن الرجل لم يدهما تتابع تفكيرها طويلا ،
بل فأجابها بقوله :
— إياك أن تبدي حراكا .
وسحب خنجره من تحت منطفه وشهره في
وجهها قائلا :

— إني يائس . لم يدهمى أدنى تردد في قتله
فاستولى على «ي» تبيح نفس مفاجئ اضطرب
له كل جسمها ، ولكنها جاهدت أن تكتمه وتجلد
ما أمكنها التجلد

كانت «ي» ذات جمال ساحر ، وذات ملامح
متناسقة ، ويظهر أن سنهالمتجاوز الخامسة والعشرين
ومهما بالتناق ذلك فلن نستطيع أن ندعي أنها تجاوزت
الثلاثين . كانت قامتها متوسطة الطول ولكن الشجاعة
لا تقاس في نظرها بالسنيمترات . وعادت فألقت
عليهسؤالها للمرة الثانية دون أن تهم عضن من عضلات

كانت الساعة تدق الثامنة ، في نافوس السكرتارية
التي تقع في الجبة المقابلة للحديقة . وكانت الليلة
شديدة الحرارة والروحة الكهربائية تدور بسرعة
هائلة في الغرفة التي كانت «ي» ترندى فيها ثيابها
استعدادا لتناول طعام العشاء

كانت مهمكة في زينتها المديقة ، ولكنها لا تزال
على اتصال بالحياة خارج الغرفة ، إذ أنها كانت تسمع
ضجيج الشارع ، وكانت دارها محاطة بمحديقة صغيرة
ملاى بالزهور المحفوظة من أشعة الشمس طيلة العام ،
وكانت هذه الزهور حمراء بلون الدم تغطي الأرض
كلها . وكان يصلها من النافذة شذى نفحات
النباتات والورود مع النسيم الأريج ، والبيوت في
الشرق تكون عادة مفتوحة النوافذ لجميع الجهات
كانت «ي» تشاهد خيالها في صفحة للآراء
وتتسم ، ولما أتمت زينتها ، سمعت صريرا ، فالتفتت
فأذا يباب غرقها بفتح

غضبت «ي» لهذه المفاجأة ، وارتدت للوراء
قليلا كي توضح القادم وتمنعه ، وقد حسبته خادما ،
والخادم لا يسمح له أن يدخل بلا استئذان إلا مرة
واحدة للضرورة ، ولكن نددت منها صيحة دهش
وذهل عند ما رأت رجلا أبيض البشرة لأسودها ،

وجها من الغم والكمد اللذين أصابا نفسها :
 — ماذا تريد ؟
 فأجاب الرجل بصوت منخفض مضطرب :
 — مالاً بالطبع
 فأعرضت عنه بازدراء واستخفاف ، وقالت
 في نفسها :
 — ليس لي من وسيلة أحسن من رفع صوتي
 أو ضغط هذا الزر الكهربائي فيسابق الخدم نحوى
 ويكونون طوعاً أمراً
 ولكن الخبيث أدرك ما يجوز بمناظرها فصاح
 بها في وحشية وفظاظة :
 — اجتمدى من هذا الجرس !
 فلم تتحرك « دى » بل أجابته بهدوء :
 — سيكون باستطاعتي أن أضغط على زر الجرس
 دون أن تلم بذلك ، ولكنى لن أفعل ، لأننى موقنة
 أنك لست مالكا لشموك الآن ، وستمود سريماً
 إلى حالك الطبيعية
 قالت ذلك ، وظهرت على وجهها ابتسامة صغيرة
 كلما تهكم وهزم وسخرية
 فتبدل لون وجه الرجل من التهبج والجنون
 وصاح بها :
 — أعطىنى المال حالا ، أسألك بالله
 وصرت على وجهه سحابة مظلمة ، فلم تجب
 « دى » سؤله رغم الاضطرابات الجنونية التى كانت
 تتورد في قلبها للتشنج ، بل اندفعت تقول له :
 — إننى أعمل بلا انقطاع ولا توقف لكى أعيش
 وأنا وحيدة فى هذه الليلة . إننى أكتب قصصاً
 وروايات لبعض المجلات الأوربية ، أنتخب بك البلاهة
 إلى الظن بأننى سأقدم هذا المال الذى أحرزته بمسقة

ونصب لأول شخص زرى الهيئة سائل يطلبه منى ؟
 إن كنت تتصور هذا فأنت مجنون ولا ريب .
 واسمح لى أن أصارحك للقول بأننى أحقر الخنوع
 لأوامر تملى ، وعلى الأخص إذا كانت تملى بمد
 السيف !
 فأجابها الرجل بصوت أكثر شراسة وقد
 أحفظه كلامها :
 — إننى أقول لك إن المال يلزمى مهما كان
 الثمن ... !
 وخطا نحوها خطوة ... ولكنها بقيت رابطة
 الجأش وقالت له :
 — أنا أحزأ بك وبطلبك ... ألا تصنع مثلى ؟
 إننى نظمت حياتى تماماً وأنا لست إلا امرأة ، والمرأة
 أدنى من الرجل كاي زعوم ، أجل ، تستطيع أن
 تضحك ، سأدعك تقترق جريئة دون أن أزل عند
 تهديداتك ...
 لقد قلت كل ما أريد أن أقوله ، والآن سأبقى
 إليك بالكلام الأخير :
 — إنهم هنا بسرعة أو أضغط زر الجرس !
 ففهم عليها بقفزة واحدة ، ودفعها بعيداً عن
 التفتدة ، وأمسك بها ملصقاً جسمها بالجدار ،
 وضحك ضحكا صامتاً ... فدخل للفرع قلب المرأة :
 — أنتقدين أنك قوية ؟ أنتشجى الرجال ؟
 إنك أنت المجنونة لتفتك بهؤلاء الخدم الذين هم من
 كافة الأجناس ! باستطاعتي الآن أن أضحك ، وأن
 أجزع عنقك أمام أعينهم ، وأؤكد لك أنهم لن يعرفوا
 إسبباً للدفاع عنك . سيتسللون صابحين وسينسحبون
 كالأرانب حتى اللحظة التى ينتهى فيها كل شيء ...
 فارتفعت « دى » لهذه الألفاظ التى نطق بها
 الرجل بوقاحة خفية ، وهاجت لتتخلص منه حتى

— وأنت ! إنك تتكلم كثيراً ، فاسمع هذه الحكمة التالية : « إن الكلب الذى يئوى دائماً لا يعض أبداً » قالت ذلك بلهجة هادئة رسيئة — لن أعتقد أبداً أنه من الصعب ذبح أى إنسان . فأجابته بتهكم :

لقد فهمت من كلامك المتتابع أن هذا هو مشروءك الأول فى الجريمة ! وبأسرع من لح الطرف ، ضربته بجميع يدها على خذاعه بكل ما لديها من قوة ، فاضطرت المدينة من أسابيه التشنج وتركته يشتم من جديد ، وأسهرت بخفة ورشاقة فوضعت قدمها على المدينة الملقاة على الأرض وقالت له بلهجة صارمة :

— إذهب واجلس هناك قرب النافذة !
لقد تبدل الموقف ، و ترى المرأة الآن بدورها تلقى الأوامر
أطاع الرجل الأرض بضمت ، راضياً بكل شيء فأتت وجلست بجانبه وقالت :

— أين تقطن ؟
فأجاب برغمه :
— أفضل حى « لوفيس ستريت »
— حقاً إن ذلك موافق جداً لرجل أبيض البشرة !

فقال الرجل بوحشية :
— لا تنهكى من فضلك ، إننى قانع جداً بوجود سفلى يظلى
فأتت « حى » فلامها دون أن تنبيه إلى غيظ الرجل وقالت :

— ما اسمك ؟
— ماذا تفيدك معرفة اسمى ؟ هل لديك رغبة فى كتابته قسنى النجدة ؟

أنفى بها الأمر إلى أن عضت يده بقسوة ، فراح الرجل يهدد ويتوعد دون أن يتراجع ورفع المديبة يده ليهوى بها على العنق النضج المرتجف ذى البشرة البيضاء الناعمة ، فلمت المديبة بنور مشؤوم ومست رأسها الحادة عنقه مساً خفيفاً شمعت بأن قواها خارت ، وأن قلبها يتلوى من الألم ، وأن أعصابها قد تشنجت ، ولكنها رغم ذلك كله استطاعت بما لديها من شجاعة أن تحتفظ بابتسامة على شفتيها الجافتين الراجفتين ، وراحت فى سرها تدعو الله وتطلب للموت منه وعاد الرجل ففاح بها مهدداً وأطبقت شفتاه على أسنانه البيضاء :

— أين تعيشين مالك ؟ إنها المرة الأخيرة التى أسألك فيها
فرفعت إليه مينيها الواسعتين الزرقاوين وسألته قائلة :

— لماذا تتردد فى إزال الضربة القاضية ؟
وجل أبيض البشرة يذبح امرأة من بنات جلده فى هذه البلدة الموحشة ؟ إننا نسمع بأمثال هذه الوحشية عن الزوج ، ولكننا لا نسمع بمثلا أبداً من مواطنينا يعض البشرة

ولمحت شعاعاً من الاضطراب يلوح فى عيني الرجل المظلمتين ، فصمتت وأطرقت . فقال بلهجة فيها شيء من التضرع والتوسل :

— لا تدعيني أصبح قاتلاً من أجل شيء حقير كافه . أعطيني ما يمكنك إعطاؤه . ماتنا روية تكفيني فضحك « حى » وقالت :

— ورغبتك فى أن لا تصبح قاتلاً جعلتك مضحكا فأغمض الرجل عينيه وقال :
— أرى الشئام سهلة عندك

— لا تخف وأجب على سؤال

فقال بلهجة شرسة :

— فرانسيز

فكرت الفتاة قليلاً ثم سأله برفق واطمئنة يدما على منكبيه :

— فرانسيز ، هل أنت محتاج حقاً للمال إلى هذه الدرجة ؟

فضحك بمرارة وقال جلياً :

— محتاج للمال ؟ يا له من تهكم مرير ! أنظنين

أننى نهيت لفتلك رغبة فى القيام بحركات رياضية

أمرن بها جسدى ؟ إننى لاحظتلى إذ أن شجاعتك

صدمنى . ولنى تكون لدى القوة السكافية لأجمل هذه اللدية الرهيبة تنوص فى عنقك الجليل الذى

تنتظر بهدوء

فضحكك لتلوه . وإنها تستطيع أن تضحك

ملء شديها دون وجل ولا خوف ، إذ علمت أنها قد رجحت المركة

— ألم تكن جاداً فى هذه المحطات القاسية

اللى أمضيتها بسكرات نفسية لا تحتمل ؟

— لا تضحكى ! لقد كنت مجنوناً ، وسأغلظ

عبنى فى اللحظة التى تنوص فيها للدية فى عنق .

— هذا فظيخ .

واضطربت «ى» لذكرى الاضطراب السابق

وقالت بعد صمت حزين :

— فرانسيز ، سأعطيك مالاً ، كم يلزمك ؟

فقفز فرانسيز ووقف أمامها ناظراً إليها

بيلامة وقال :

— لنى أستطيع أبداً أن أقبل الآن . وأصبح

شاحب اللون جداً .

تقهقهت ملء شديها ، وألقت بجسمها على كرسى قريب وصاحت قائلة :

إن فكرة البطولة تنود إلى بساطتها . منذ لحظة

كنت تريد أن تقتلى بلا رحمة ولا شفقة لتسرقنى ،

والآن لا تستطيع أن تقبل شيئاً هو بنظرك أشبه

بالصدقة ! حقاً إن الرجال ليسهم أدب مسل . وضحكك

وفى هذه الأثناء سمع طرق خفيف على الباب ،

فدلت «ى» الرجل على مكان يستطيع أن يجتئى .

فيه ، ثم فتحت الباب .

— ملنا حدث يا أنكا لاتشلام ؟

فأجاب الخادم :

— القديس أبونا أنى ليراك

— حسن ، قل له ينتظرنى فى البهو ، أنا

قادمة الآن .

ولما اختفى الخادم ، أخرجت فرانسيز من غيبته

وقالت له :

— تعال مى ، لقد دعوت الأب «دوران»

هنا المساء لتناول طعام المشاء وتستطيع أن تأكل معنا

فصاح الرجل وهو يشير إلى ثيابه الرثة ويديه

الوسخنتين :

— كيف يكون هذا ؟

— سأدلك على غرفة الاستحمام ، ومن السهل

عليك أن تستحم وتصبح نظيفاً بالمغالة ، ثم اجئت

والثقلت اللدية المطروحة على السجادة وقالت :

— سأحفظ بهذا الضيف الثقيل كذكرى

للحدث ، بعد أن أذكر أن امرأة وحيدة فى الحياة

ليست أبداً فى أمان على نفسها وملها

فتملكته الدهشة ولم يجر جواباً وتبعها ، فتركته

عند منضدة الزينة ، وكانت عالة أنها لم تنج من الخطر

تماماً ، ولكنها كانت تدرك أنه يجب من أجل إنقاذها

فنهض فرانسيز وقد احمر خدها من الخجل ،
وتناول المال من يدها وقبض عليه بيده اليمنى بحركة
عصية ، ولاحظ القس اضطرابه ، فقال له ليقطع
جبل للصمت الثقيل الذي أعقب ذلك :

— يظهر لي أن الكتب التي يمتلأ بها لآلئ « دى »
قيمة وثنية ، بل من الواجب أن تكون كذلك ،
إذ أنه من الصعب الرضى بقرأة كتب من نوعها
ثم أضاف قائلاً :

— أهبل زيارتي لك في أحد الأيام القليلة ؟

فتضايق فرانسيز واضطرب وأجاب قائلاً :

— أأأ... أخاف كثيراً ألا تستطيع أن
تروني حيث أحيى... إنه حتى سى مشغور الذكر
في راجون الحى الوضع... إننى أخجل

فقال له القس برقى ولين :

— لا تخجل أبداً الشاب ، لا يضيرنا المكان

الذى تقطنه ما دمنا نعيش بمحبة وفضيلة ، على أننى
أعترف أن رفقة السوء تفسد المرء ، فلماذا لا تترك
هذا الحى ؟

فأجاب الشاب متجنباً نظرة « دى » النافذة :

— إن تروني لا تساعدنى على ذلك

وكان القس واغراقه ، وفا إلام واسع بطابع
البشر ، وسريع الفهم ، ففكر في نفسه وهو ينظر
إلى الشاب نظرة ذات معنى ثم قال له :

— لقد أعجبني يا بى ، وبما أن الأئمة « دى »

تمرّفك فلا حاجة لى بتوسية أخرى لتكون مقبولا
لدى . عندى مشروع أود أن أعرضه عليك ...

إننى قد كبرت ، ولا أزال محتاجاً لرأس مفكر شاب
يدير لى أعمالى ويسلم حساباتى ، وفي دارى غرفة
فارغة ، وأظنك ستقبل الحياة قربى لى أن نجد معاً
أكثر كسباً ومفناً ، ما رأيك في ذلك ؟

أن تظهر له أنها ثابتة الجأش ، وبكل بساطة وسذاجة
ذهبت لتقابل ضيفها ومدعوها في البهو

كان الأب « دوران » ينتظر « دى » بهدوء
وسبر ، فأقبلت ترحب به وتكلمه في كل شيء دون
أن تشير في حديثها إلى الحادث الضحك المبكى

وسمعت الفتاة بمد قليل صوت خطوات الرجل
الترددة خارج الباب فهضت لاستقباله ، ولدى تبعد
عنه الضيق والخجل قدمته بلباقة إلى القس الكهل قائلة :

— السيد فرانسيز

وسار الثلاثة إلى غرفة الطعام حيث كان الخدم
البرمانيون والمنود حفاة الأقدام يسمرون بصمت ،
وتنزل أقدامهم على البلاط الرخاى كالأشباح

وقد أزعج القس وجود هذا للشخص الثالث
الغريب ، ولكنه لم يبد ذلك من نفسه ولم يشر إليه
في كلامه ، وقد بدأ الحديث بين الثلاثة في موضوعات
تافهة ثم تطور حتى أصبح ودياً وأخضر مادة حتى
أنه شمل الفن والعلم والأدب والموسيقى ، واستأنس
الرجل تماماً وراح يتكلم بحمى ، ويحاول أن يظهر
بمظهر الثقافة الربى تربية سامية ...

ولاحظت « دى » أن الرجل يبذل جهداً عظيماً
ليقم شهوة الجوع التى قوبت في نفسه ، فانفطر قلبها
رحمة له وشفقة عليه وبدأ الطعام

ويهد انتهائهم منه ، طودوا البهو كي يشربوا
القهوة ، فاعتذرت « دى » واستأذنتها في الخروج
برعة قصيرة ، وعادت إليها سريعاً حاملة يدها
غلاتاً قدمته إلى المتدى بمحذ قائلة :

— هاك ياسيدى المال الذى لك عندى ، وأرجو
أن تجد هذا المبلغ كاملاً غير ناقص ، وأنا موقنة
أن حكى سيكون سائياً على الكتب النفيسة
التي يشتتها !

— لسا؟ هل ذلك ضروري يا بني؟ أليس من الأوفق والأحسن أن تصمت وتحفظ شرك في صدرك لتقي احترامنا لك على الأقل فأحسن الشاب بالسومع تبتل أجفانه وقال : أقسم لك بأنك لن تجد الوقت الذي تأسف فيه وتندم على عمالك التبتيل هذا. إنني مدين للآنسة «ي» بأشياء كثيرة. إن من الواجب على أن أعترف إليها لأحتل بسفوها، إذ أنني أرغب في أن أزال هذا المغرور لو كان الثمن إهانات عظمى. إنك لن تستطيع أن تشك في وداعتها وصفاء قلبها فنظرت إليه «ي» وكانت ترى أمامها مستقبلا باهرا. فضحكت كي تشجيه وقالت :

— إن الأب «دوران» صالح وثق، وأرجو أن تحمل له بين غيات قلبك الاحترام والحب اللذين يستحقهما. ويجب عليك قبل كل شيء أن تضرب صفحا عن الماضي وأن تحاول نسيانه وتلقبه ورايك بعيدا.

— أعدك خلصا يا سيدتي أن أفضل كل ما أستطيع لأزال تقدير مواطني، ولن أنسى قط أنك خلصتي من نفسي وأنتقذتي منها

وبعد دقائق ممدودة، ودعت «ي» الرجلين وطدت إلى البهو وهي مطرقة تفكر. وورفت رأسها فرأت على منضدة صغيرة نحاسية، غلافا أبيض، ولا رفعت يديها وفتحته وجدت فيه المائتي الروبية التي قدمتها للشاب

فسارت إلى غرفتها وأدهشها أنها اكتشفت نفسا حساسة في هذا الرجل الذي كاد يصبح قاتلا وسقط جسمها فجأة على السرير وهي تلهث، وشمرت إذ ذاك أنها أضفت وأوهن من طفل صغير «دمشق»
ناجي الطنطاوي

كانت «ي» تنظر إلى النفس بفرح، وقد داخل نفسها فجأة خوف عليه، أنصتت وترتك هذا الفصل من الفضيلة وتبذل النفس يجرى إلى النهاية؟ ... وقبل أن تفتح فيها تكلم الرجل، فأصفت إليه وهي دهشة مأخوذة :

— لقد غمرت نفسي بلطفك وحسانك يا أبي، ولكن ليس لدى مال أدفعه للفرقة، ليس عندي إلا نحن النداء !

— لا تفكر في هذا يا بني، فستعمل لي وسأبقى مدينا لك، إنه لبعض التفكير في أنك مريض لحياة سيئة فاسدة. أليس لديك كلام آخر؟

شمر الشاب أنه مشرف على ساحل من المعروف لاحد له، لقد صادف في يومه هذا كثيرا من أمثلة تبتل النفس وصلاحتها، وبقيت آثارها تقرر نفسه، وتراعى له أن العالم كله يريد أن يجعله ما لا يطبق من الفضائل يحو بها السيئات التي ارتكبها ... وهم جسمه اضطراب شديد، وسعد في صدره شهيق بلغ عنقه، وبدافع نفسي قوي صاح بالنفس المرم قاتلا :

— إنني لست جديرا بهذا الكرم العظيم ... إصغ إلى يا أبت. إن شرف نفسك ونبلا قد أورتاني عذابا، وأرى أن أحسن طريقة هي إطلاعك على حال وحقيقي. إن الآنسة «ي» لم تقل لك شيئا كما يبدو لي، وأنت لم تعرف الحادث، فن واجبي أن أسرد على مسامحك كل تاريخي الرهيب فأقبلت عليه «ي» بوجهها وكانت راضية كل الرضى عن هذا القتل الذي صدر من الشاب، وأيقنت أنه جدير بلال الذي وهبته إياه وقالت :

— إنه عن في ذلك يا أبت

فقال النفس :

الأب

للكاتب الفرنسي بول بورجيه
بقلم الأديب كمال المحمري

قطعت كل صلة تربطني بأهنة
أخرى في هذه الحياة ، وأنت
كأهنة في ريق شبابها واكتال
أثوثها ، لك الحق بل يجب
عليك أن تستأنف حياة الزوجية
السعيدة من جديد . وإذن فهل
أستطيع أن أأمل يا سيدني أن
تمتدني الزوج الخالص الذي

سيكون من أشهى أحلامه أن يضحي راحته وحياة
لأجلك ... إلى أحبك ... يا سيدني ، ولعلها المرة
الأولى التي أسمع فيها لنفسى بنطق هذه الكلمة .
الجرئة على مسمع منك ... أما أنت يا سيدني فليس
عندك إلا كلمة واحدة تقوليني في هذه اللحظة
ستكون هي الأولى والأخيرة . ولكن بمحك
لا تلفظها إلا بعد تأمل في قاطبتها ، فان ما أجن
لك من هوى دفن لأسر من الأهمة والخطورة
بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استعجال
واقضاب . قالت مدام « ليبيج » وسوتها راجف
وطرفها خاشع :

— أطلب مني استئنافاً لحياتي الزوجية معك ؟
ثم جد لسانها عند هذه الكلمة فلم تات « بلا »
أو « بنعم » ؟ وأخيراً جسدت بقالت :

ولكن حياتي لا يمكن ترميمها ولا استئنافها .
إنك تتكلم من الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقاً
واحداً : هو السهر على أولادي ، ولأنهم إلا واحداً
فرداً : هو واجبي نحو أبنائي الثلاثة .. قال الصديق
المخاطب :

— أو لا تسمعون أني أحبهم م أيضاً وأعزهم
وأحنو عليهم كأنيهم صديقي الراحل ... ؟! ومن
()

استيقظت مدام « ليبيج » في صبيحة هذا
اليوم فلقه بأدية الموم والتفكير . فقد كان عليها أن
تضع حداً لحياتها كأرملة في مقبل العمر ، ولحياتها
كام ذات بين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها
وعى إذ ذاك في الثالثة والثلاثين طمان كاملان .
وكانت وفاته بيلة ذات الجنب التي غاثه وشيكا من
دائرة عمله كحمار له شهرة مستفيضة وعمل من قلوب
الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هذا الصباح
الذي تستيقظ فيه مدام « ليبيج » حائرة مفكرة ،
اجترأ « جورج فوكولت » صديق بلها للرحوم
وعمام مثله أمضى معه سنى الجامعة ثم ثم زوجها
في دائرته زوم للشريك وفي بيته زوم للصاحب ،
اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ
سنة أسابيع :

— إلى لأجل لك أيتها السيدة منذ طويل
عاطفة لم أستطع استكناها ولا فهم طبيعتها إلا منذ
اليوم الذي نادنا فيه صديقي المميز زوجها ، فأصبحت
برفاته حرة التصرف مالكة لتمام أسرك . وأظنك
كنت تستشمرين في هذا الصمت اللانطق وتحسين
احتراي الراحل الفقيده وتقديرين رعايتك لك . فبيديك
يا سيدني « ومعدرة من اعترافي بهذه الحقيقة » .

— إنه إحسان منك على أى حال أن تحمدى لقلبي الشهيد موعداً للجواب كي أعادرك وأنا أقول لنفسى من يوم لأخبر ستوافيني نعمة جوابها فى يوم كذا.. «كأثرين»، أيتها الزهرة، اختارى بنفسك اليوم الموعود وعينى تاريخه، وليكن القرب والبعد على ما يوافق رغبتك وهواك... أما أنا فأسألهذا الآن عهداً لا أتحنت فيه ولا أعرف ألا أخوض فى ذكر هذا الموضوع الذى سيكون رغم هذا هو شغل الشاغل وهى المناسب... غدوى بميثاق موعد جوابك. وهنا تحممت مدام «ليجيه» بصوت عجب وسلمة ضارعة: سيكون ذلك حين ينتهى أجل حدادى على زوجى الراحل، وبما أنك تدعى حبي فأرجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أتمسك بوعدى أنا. والآن أرجو ألا تلح على فى هذا الشأن فقد كفانى ما كفانى...

ثم يقول لها، وهو يود أن يوضح بالوقت المعين كل شك وغموض يمكن أن يتصور موعده الرسمى: وإذن فسيكون جوابك بعد أسابيع فى الرابع عشر من نيسان! فأجابت على هذا بإعادة من رأسها ثم انقعد بينهما جو من الصمت...

لقد غالت يد الموت زوجها الحبيب فى الرابع عشر من إبريل أى منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت قبل هذا اليوم الذى تجالس فيه مدام «ليجيه» خطيبها السيو جورج. كل ذلك جال بذهن «مدام ليجيه» وذهن الخاطب الضديق الذى شعر بثقل كلماته على نفس الزوجة بعد أن عين لها الموعد المصروب...

أن يستأنف الزم حياته دون أن ينوح بذكرى أحبته الراحلين عن الدنيا فى ذلك والاحسرة إساءة

لمرى سيجعل على الأب الراحل إن لم يحله صديق أيهم وسفيه؟ وهل غيرى يعرف ميول صديقه وذوقه ومشربه فى التربية والسلك؟ وإذن فهل تسمحين يا سيدتى أن أشغل مكان الأب الراحل؟ أرضين أن تكونى امرأتى أمام الله والناس قالت الأرملة فى حسرة وتلدد:

— خلى الآن لشأى... هلاجنيتى الكلام فى هذا الموضوع...! إنه ليؤلمنى البحث فيه ويسبب لى كثيراً من الشجن والشجو لا أعرف شيئاً. لا أفهم شيئاً. لست بمستطيعه أن ألح فى قرارة نفسى المظلمة عاطفة أستطيع منها إجابتك على سؤالك لأنى أجهل نفسى... ولكنى أعذك أن جوابى سيكون بعد قليل من الزمن... أما الآن فلا أستطيع، أجل لا أستطيع... فأجاب جورج فوكولت:

— سأنتظر كلتك كما تتأنين وأنى تتأنين. إنك إلا تقول «لا» هذه اللحظة فبحسبى، لأن ذلك مناه أنك قد تبصرين خلال سحوف المستقبل الكلمة الحبيبة إلى قلى وهى «نعم». إن التردد والتعير مؤلمان للقلب مريضان للروح إذا لم يكن القلب المنتظر فى شرح شبابيه. قال ذلك وأبان لها عن طرف لثته وقد طرزنها سنوه الأربون بأسلاك الشيب البيضاء. فأحست المرأة الأرملة وهى تتأمل وخطات الشيب فى رأسه، وتنتظر إلى أثر التأنيب الصامت من عينيه السوداوين: أن موسيو جورج إنما يقبس سعادته فى هذه الدنيا بمقياس ما يقب له من سنين فيها، وكأن نظره كانت تقول لها: إن ما يطوبه الشباب اللاهى من منع ومباهج لن ينشرها كفن الشيب مهما يتجد ويصف ثوبه. ثم يستأنف حديثه ويقول:

ما الذى طرأ عليها ياترى فبدل عزمها ١٢ ... وأقبلت الخادم فى هذه اللحظة فقصرت أستاذ الثرفة عن التوافذ وللشبابيك فطفت على جوها موجة من نور لآلأ. ضاحك غمر المكان كله، وكان فى شارع «فانو» تشرف نوافذه وشرافه على بستان القنصلية المنسوبة للظليل اليا ناع . ولمت زرقعة السماء من خلال النوافذ ونفذ تفريد المصافير إلى السامع شجياً موسيقياً شمرت معه مدام «ليجييه» أن ثوب الجدة الذى تضفيه للطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذى تقفه هى من حياتها الجديدة هذا اليوم ... حتى أن الثوب الزر كئش الذى حملته الخادم منذ لحظة كان يفرها بأخيلة وخطرات جد حافلة بالذقة والسعادة ... ومع ذلك فلم ينقطب حينها ويرد وجهها كلا نظرت إلى عرق الساعة ينتقل من مكانه ؟ ! ما لها تقف حالة ساهرة بدل أن تنشط وتفرح ... ؟ أترأها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟ ؟ ...



حين تكلمت مدام ليجييه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شئ للصديق الخاطب ، لم تعترف له أن ولدها البكر «شارل» ما فنى منذ شهر مدمة غموفها . أبداً لم يتبادل الابن مع أمه كلمة عن «جورج فوكولت» خاطبها الرغيب ، وكان هذا الأخير لا يميز هذا الغلام اليا ناع فى الخاطبة والحوار عن أخيه الصغير «رنيه» وأخته الصغيرة «هيلين» اللذين كان يكلمهما بصيغة الأفراد دون كلفة . ولكن إذا شفت سنو الطفل «رنيه» الجنس وأعوام الطفلة «هيلين» الشرف لهذه الصيغة الافرادية يبدى فيها صديق أبيهما حبه وتدليله لها ،

إلى ذكرهم النابرة ومهودم الماشية ، وإذن فن ينب عن الوجود تحت معه ذكراه وتنضم ثم تبتمله هوة الدم إلى غير رجعة ، والمفتاه .



وصرت على هذا اليوم ستة الأسابيع المضروبة دون أن يلم خلالها طيف الزوج الراحل ودون أن تردد ذكراه على رأس الخاطب و مدام «ليجييه» فتفسد عليهما خلوتهما اللذينة وجلساتهما اليومية المتعاقبة ...

ومجد المسبو جورج من اللطف والأدب ألا يمرض لذكر الموعد المرتقب خلال هذا الأسابيع الستة . ثم يرى من اللطف والكياسة أن ينادر (يارس) حين اقتراب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام «ليجييه» فقد أخذت تنبأ لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحييت هذه الذكرى فى ذلك اليوم فى شئ من البرود وعدم المبالاة لم تخرجهما أثاره من حنان ولا بقية من غجمة وحسرة . وفى اليوم الثالث عشر من نيسان تسلمت من جورج خاطبها خطاباً بنفها فيه زيارة من اللند عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها مرة ومرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها هى نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى فها وقبلت سطورها وفى ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسعادة واللذة خلال هذه السطور .. وأخذت تردد: نعم ... نعم ... سيكون جوابى .. نعم . وإذن فقيم استيقاظها سببجة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أسلفنا ؟ .. ما الذى حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نضوى وبين الساعة التى ترفق فيها وسادة سر بها الوثيرة يبدو عليها سهوم وتشكير ؟

ويا للأسف كان يزيد ألماً وبضائع شجوها ...
أجل إن جورج عني في قوله . فواجب على
مماودة حياتي الزوجية ، وأنا بهذا لأنا شيتاً من
زوجي الليت ولا أسوء في كرامته . كذلك لأنا
على أولادى الأحبة الذين تركي لهم ، لأن جورج
سيحبهم وسيحتو عليهم . والصفيران يحسان بهذا
ويقدرانه في سذاجة وطهارة . أما شارل وهدي
الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر .
آه لشدة ما يجب أه هذا الصغير ! إنه لينمو
ويتفتح الحياة يوماً بعد يوم كأنما تنمده غمامة معجزة
من السماء

هو الأول في صفه في مدرسة «سانت لويس»
وإنه يترق بين رفاقه وزملائه بصورة غريبة سريعة
كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذي تركه
أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام في نفسه أكثر
من هذا : أن يكون خليفة أبيه في البيت ورب
الأسرة التي كان يحلم أن يكون صاحبها وراعيها .
فيا للقسوة والنعكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلم
أمور البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟

ومضى الوقت وكانت الساعة تباع الماشرة
وأفكار المرأة ما زالت تضطرب في ساحة ذهنها
جيشة وذهوباً . وفيها بمنصرفه إلى زينتها وترجيل
شعرها وتخليق حلها وأقراطها ، إذا طرقت على
باب الغرفة تنفذ إلى أذنبا فيجب لها قلبها وترتمش
نفسها لأن هذه خطوات ابنها الذي كانت تعتبر
نفسها أمامه كحجر أمام قاضيه . وفي الحظ لقد كان
الهاخل « شارل » الذي توقف على الباب لحظة
كالماخوذ بدل أن يدخل عليها لنوه . قالت له الأم
مضطربة قلقة وقد شاهدت تأراً غنياً بطبع وجهه

فان الستة عشر عاماً التي يجناها للثلام المراهق
« شارل » كانت تقبم بينه وبين « جورج » الخاطب
جواً مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل اللفة والمطف
وعدم الكلفة الانقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان
الخاطب الوافل ينفي من هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ
في الآونة الأخيرة بضائع عطفه على الثلام وبيتني
الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه العابس الضامت
وتلاحظ مدام « ليجيه » ذلك السلوك المحب
الجناب الذي يمايل به الخاطب ولها البكر فتضبط به
وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تقرب من ابنها
رفضاً ونورة أخنت تحسب حسابها وتنبأ لها
منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها في هذه الصبيحة
الباسمة من نيسان التي كان عليها فيها أن تقول كلمها
الأخيرة في رفض يد « جورج » أو قبولها . ولهذا
وحده هي تدير في ذهنها الصورة المستحبة لللائمة
التي يمكنها بها أن تقبلاً ولها دون أن تؤذي
أو تسود في عزة نفسه ، فكانت تردد :

— كان على أن أنبئه بذلك وأسير فوز رضا
أو رفضه منذ ستة أسابيع ... غير أنني لم أستطع
ذلك لأنني أجدني أمامه مرتبكة مشلولة الإرادة كاني
بمحيرة أبيه الراحل . فبالله كم يشبهه حتى كأنه سورة
الثانية ؟ ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن في
تعبه إليه وترضيه ... وذكرك اسم جورج هكذا
مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوي له على حب
وميل ...

نم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من المواقف
والبول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك

أخذت تحتل مكانها يوماً بعد يوم من قلبها
وفي صباح هذا اليوم في وثيرة طافرة من وثبات
الارادة للفرزية أصرت مدام ليحيه الخادم فقالت :
— لويس ، لانضى في هذا الفناء مقعد المرحوم
زوجي على المائدة ، بل عليك أن تضى مكانه مقعداً
لجورج فوكولت ...

وحان وقت الفداء واتخذت المائدة أمكنتها
حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كاد يرى
المائدة والكرسي الجديد بدل كرسي أبيه التوفي
حتى حلق في وجه أمه وقد امتنع وجهه وانشف
لونه أولاً ثم احمر واشتمل بالدم المذهب . ونظرت إليه
الأم برعب وهية ، ثم صبغ وجهها الاحمرار هي
أيضاً . ولكن في تلك اللحظة اوهية المرحلة
جري أسزاد في اضطراب مدام ليحيه وارتبا كما
ثم حيرها ، ولكنه في الوقت نفسه أجرى السألة
في جري حسن لم تكن تتوقه مدام « ليحيه » .

فبينما كانت تتناول يدها مستند مقعد كي تجلس إلى
المائدة إذا « بشارل » ولها باقى عليها نظرة تفيض
بالحنان والشكر ثم تخضل عيناه بالدمع الذي لم يكن
منه الحلق عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان
منها والشكر لها ... ولكن عن أى شيء صدر هذا
الامتنان ؟ ! نجم مما صوره له وهم دون أن يتفان
بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة
والدهشة التي بدت على وجه أمه ، ولا نظرات
الارتباك المتبادلة بينها وبين الخادم ، قرر في ذهنه أن
أمه إنما تبرعت له بمكان أبيه مراعاة له وتبديداً
لظنونه السابقة في قائلها لأبيه ، لهذا احتل مقعد
أبيه أو الكرسي الذي وُضع للخاطب « جورج
فوكولت » محل كرسي أبيه ، وقلبه يخفق من الفرح

بطابع الألم : ما لك يا بني ؟ فأجابه التلام : لا شيء
لا شيء ، إني مشدوه متمجب فقط ... لقد
أفنت أن أراك دائماً في ثياب الحداد . ولكن
ولكن ... صحيح أن حدادنا على أبي قد انتهى ؟
فألت « مدام ليحيه » على المرأة الكبيرة أمامها نظرة
غير طمده قاذبا بها تبصر ملامح وجهها الرائق
تنسجم أبداً انسجام مع خصلات شعرها الذهبي ،
ولكن يناقض ذلك كل المناقضة زى ولها المدرسى
الأسود النازق كله في حلة من حداد ، ويرتجف
صوت الأم حين تهم بأجابه ولها ثم تنجدها لباقتها
فتشير بجري الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لي ... ملك مسرور من
أستاذك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك
في الانشاء ، أظنها أجميت ؟ ! ثم ناجت نفسها :
— سأبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة
خصوصاً وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت
منسج للفداء وللانفناء إليه بالأحر ...

على رغم أن الحلى التوفي موسيو « ليحيه » قد
خلف لاملته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير
ثروة لا بأس بها ، فإن مدام « ليحيه » لم تخالف
شيئاً مما ألفته سابقاً من تديير واقتصاد في الانفاق
على المنزل . ولما كانت مدام ليحيه لا تستقبل في
مفتتح عهدها بالترمل إلا الأقرباء يمتحن إلى الزوج
بصلات القرين والوودة ، فإن الاحداد له كرى الليت
لم يكن ليحملهم جداً أو مشقة . ولكن ألقى لها
بملء كرسي زوجها بشخص خاطبها جورج في
حفلة النداء أى غير مستنذر به ولها ؟ كيف نخل
بهذه البادة التي يقدسها ابنها ويعبدها ، والتي باتت
تهبط روحها وتنقل على قلبها لأن صورة الخاطب

طاغين : تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية حسناء ، وآخر هادئ عميق من عطف أم رؤوم ، إذا برنين الجرس ينزعها من ذراعي ابنها الذي كانت محتضنه وتضمه إلى صدرها بمجرأة وشوق .. لم تكن غدوة فقد جاءها الخادم بسد ثوان يطلب الأذن لموسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدى ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه الحركة فقالت في كبرياء مبروجة بآلم :

— إبقى مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى الخادم وهي تقول :

— قل لموسيو « جورج فوكولت » إنه من المستحيل عليّ مواجهته هذه الساعة وسأكتب له جوابي كتابة ...

وحين انضوت بابنها راحت تماثقه في لفحة واحتياج ثم قالت : أبدأ أن أزوج يا شارل المرز . أبدأ أن أنقل عليك باب يؤلم نفسك ويبحر قلبك . لن أرضى أن تتألم أنت كي أسعد أنا . إنك حسي من دنياي يا بني وأظن أنني حسبك أيضاً كال الحرير

والشكر وحلقه غاص من القكري والحنين ... وانتهى النداء وخلا المكان « بشارل » وبأمله فظم « شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح يقول لها وقد أرخى لمبراته اللتان حتى بلات وجه الأم السكينة الحائرة :

— آه ، شكرًا لك ألف مرة يا أماء . فقالت أمه في حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بني ؟ فقاطعتها دون أن يترك لها الفرصة لتابعة حديثها :

— أشكرك لأنك أحللتني عمل أبي على مائدة الطعام في اليوم الذي تخلمني عنك فيه ثوب الحداد . إنك لا تدبرين أي جميل أسديته إليّ وملأت به قلبي الحزين ... آه .. ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة .

لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من تصرفاتك فأغفرت لي الآن هذه الشكوك والظنون . نعم كنت أخشى أن تسع لك في يوم ما فكرة الزواج لأنك ما تزالين صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات من أمهات رفقائي في المدرسة يتزوجن ويسلمن أبناءهن لأب ثمان خريب عنهم . ولكنك أجلسني تجاهك منذ لحظة على مقعد أبي المرحوم فأدركت أنك تريد أن تقول لي : املا عمل أباك يا بني فقد آن لك أن تغضه وتواجه أخذك وأخاك المرزبن وأماك التي تحبك ، ولكن إن أشغل مكان أبي ذلك الأب الذي الطيب ، فذلك ما ليس في وسعي ولكن أمامك أنت أبذل له جهدي . وهنا تمتم لمدام « ليجيه » أنها كانت ستعظم قلب ابنها النبيل لو أنها اتحدت لهاواها الذي بدأت تشمر به نحو « شارل »

وفي هذه اللحظة وبينما كانت « لمدام ليجيه » تضطرب بين الماضي والحاضر ، وتترجح بين تيارين

الأم فرتر

للساهر الفيلسوف جوتفريد هارتمان

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً

أختها وهي تتجمل للقائه صديقاتها
وصوب محباتها ألى ذكرى مريرة
يصلها ذاك اليوم الحزين ؟

— يا أختاه ! لا بد أن
أجل رأسك بساج من الفل
الطبيبي أوسيت بمعه ، سأخرج
لأحضره وأعود به توأ ...

هكذا قالت لأختها وهي صادقة كل الصدق ..
خرجت على أمل أن تعود ...

واليوم الأحد وعمل الورود مفلن . لقد نسيت
ذلك ولم تذكره إلا عند ما بلغت مكانه ...
وداعمتها خواطره الحزنة وصعب عليها أن تعود
إلى أختها بغير الفل ...

ودون عمد كابت الخطي حائرة لا تدري ماذا
هي فاعلة ... وسارت في الطريق لا تولى على شيء
حتى أحست بنسيم مطر يجتاز جنبات نفسها
فيجيوها بالطمأنينة ، وتنهت فاذا بها في طريق خال
من السكان والمارة على جانبيه زرع الشتاء الأخضر
في غير زى الربيع الناضر

وطاب لها السير فلم ترتد ، وظلت تمشي حتى
استرعى نظرها شجرة كثيفة يتدلى من أغصانها ثمر
الحناء ، فأسرعت الخطو لتجمع منه ما تتمنيش به
عن الفل ...

وما كادت تقترب من الشجرة حتى لحت رجلاً
لم تشك في أنه غار طريق ؛ اقترب من الأرض وأخذ
جذع الشجرة خدنًا اعتمد عليه برأسه في شبه
استسلام الوسنان ؛ تصور ثيابه الرثة ما يمانيه من
بؤس وشقاء ، ويحس وجهه للشاحب أقصوبة

مجنون زاهد

يَقْلَمُ الْآنَسَةَ حَمِيلَةَ الْعَلَايَةِ إِلَى
« مَهْدَاهُ إِلَى صَاحِبِ الْقَلْبِ الْحَسَّاسِ »

ليس أحب إلى النفس من الخلوة عند ما يفيض
بالإنسان حزنه أو أساه ...

لنا لم يكن في وسع « هلا » أن تشارك أختها
فرحة عيد ميلادها لتجهم نفسها وتلبد غيوم ذهنها ..
إنها تحب أختها وتميل إلى الطرب أيضاً وتفرح
لسرة القريب والقريب ، ولكن ذاك اليوم يذكرها
بأساة طفلية رحمت حروفها للنارية في سويداء قلبها
البكر ...

ميلاد أختها ، وموت قلبها ، يجتمعان في يوم
واحد . فاذا عساه أن تفعل ؟ ...

أنتكف البشر وليس في مقدورها أن تهيب
دموعها في ذاك اليوم على الأخضر ...

حاولت جهداً أن تبدد الكآبة بشكف البشر
فلم تستطع ، وضاعت بهواجسها حتى خيل إليها

أن مجرد النظر إليها يدر المصموم من العينين ...
إذن لماذا تكون أفة ميلاد أختها السعيد وهي

تريد أن تكون بهجته وباعت مسرته ؟ ..
كل شيء يحولها يحمل طابع الأسى في ذلك اليوم ،

حتى الموسيقى تبلغ مسميها كترتيلة الجنائز
أوه ... لشد ما يزعجها صراى ظواهر الرح
والانسراح والطرب في البيت ، ولشد ما تنزعها رؤى

وظلت هي في موقفها تتأمل وهو يجرى كالجنون
يتلفت خلفه كالذئور ، حائرة بين ما تريد أن تفعله
من أجله ، وبين ما تخافه منه :
— أى شيطان يعنى يا ترى ؟ ... أراها فتاة
حياته ... ؟

ثم هزولت خلفه تناديه : يا سيدى ، يا سيدى
لم تكن هيئته تحمل على ذاك النداء المحترم ،
ولكن هيئة الرجل ووقاره أ كسباه سمه أجل من
جمال الزى وروعة المندام

ووقف فظنته هداً ، ولما بلغت اقتراب منها باسمها
بسمه عريضة ، ثم رفع يده على غير ارتقاب
ولطمها على خدها ، وبأيد الأخرى جذبها من شمرها
في قسوة جنونية وطوح بها بيسداً قارعت على
الأرض كالطائر الذبوح ثخن بصوت متهدج ثم
انقطعت أنفاسها . إنما يطل بها الاغماء حيث مال
عليها ينهبها ، أولم له شاه أن يتأكد إن كانت حية
أو ميتة ...

ولما انتهت نظرت إليه بينين دامنين وغمنمت :
— ماذا جنيت ... ؟
وكان صوتها سهم صوب إلى صدره فقبض
عليها بكلتا يديه في قسوة وهو يتمم : أما زلت حية ؟
وأزعجها الشرر المتظار من عينيها الغاضبتين
فقالت بصوت رقيق :

— ولماذا تريد موتى ؟ ما ذنبى ؟
— فقال بصوت مرتمش تأثر يفيض بلهب
قلبه : شيطانة ...
فتكلفت بسمه وهى تقول : هدى روعك
وساعك الله ...

كانت لهجتها لطيفة مليئة بالحنان ونظراتها كافية
لبست اللامنية في نفسه ، لكنه أطرقت برأسه في صمت
الباهل

الآلام والحرمان ويشيع من عينيه بريق الدهول ..
أى منظر مروع ! منظر الرجل الثوى الذى
يمعز عن التمتع بالحياة كما يتمتع بها كل رجل ،
لا عن مرض أو عاهة ، بل عن يأس وقنوط
مرض الجسم يداوى ... أما مرض النفس
فلا دواء له ، يظل بصاحبه حتى يميته ...
ولا شك أن هذا الرجل مصاب بمرض نفسه
إذ لا يبدو عليه ظواهر ملل اليدن
تقدمت منه الفتاة حتى واجهته بدافع الشفقة ...

مدت إليه يدها بيضمة دربهمت ظناً منها أن من يقنع
بالجلوس في هذا الخلاء المقفر لا شك أنه يصاب
التوسل إلى الناس ويستنكر الاستجداء
ولم يكدها بلح حركة يدها واللقود حتى تمك
بصوت جنونى هازأ رأسه في إياه ناظراً إليها في قبض
كان بينهما وحداً قديماً أو كأنها تمكنت كرامته
وجرحت رجوله

وكانت نظره كافية لرد الفتاة إلى الصمت
والخجل على أنها وقفت قبائنه حائرة مذهولة لا تدري
ماذا تقول وماذا تفعل ، وقد تنبه شموها الرحيم
فاجترأت وتقدمت منه قائلة : سيدى ، ما شرك
لو سمحت لى بمساعدتك ؟ أراك في حاجة إلى المساعدة
فرفع الرجل رأسه في كبرياء ونظر إليها محملاً
ثم قال بلهجة جافة : حتى هنا الشيطان يتبمى ... ؟
ويضى ... ثم أن كالوجيع وعشده شمر رأسه للمشت
يبد مرتمشة عجمية ، ويده الأخرى أشار إليها قائلاً :

— إذهى أيتها الشيطانة !
فريمت الفتاة ، ولكنها غابت الخوف قائلة :
— هون عليك يا سيدى

ولكنه لم يكده يستمع إليها حتى انتصب وراح
يمدو كالمثوه مردداً : ظننت هذا الخلاء لا بأوبه
شياطين الانس !

في هذه اللحظة أحست الفتاة أنها خلقت من أجل ذلك الرجل فنسبت الوجود وولدت تقول في شبه حمس :

قلبي يحدني أنك بليت بفدر امرأة أو هل الموت اختطفها منك

فالتفت إليها في هدوء واستمع إليها لهفة، ولما سمعت قال : أما لا أنتم على المرأة غدوها ... لأن الرجل هو الذي يث في صدرها بذور الشك بسوء تصرفاته أحياناً ...

إنما أنتم على الحياة لأنها تقضي على الحب بالوت في قلب بيتنا بحبه في القلب الآخر ... كأنه يخرج من هنا ليدخل هناك ...

ثم ضحك بنير صوت مردوداً : أنتدني نفسك وعجلي بالذهاب ... قال أنتم رائعة أنفاسها منك،

ولو طال مكثك بجاني فلا بد من قتلك ... دون حمد ... أما الآن هادي يأنفأة وأعتذر إليك بما بدر مني ، فسامعيني واركني

كان يقول ذلك وهو يجاهد في نفسه مصابين : مصاب الماضي الأليم ومصاب الحاضر الذي يبره على التعلق به وليس في مقدوره أن يجاوبه بالمرء

وكان كلامه خلاصة ما تشبه المرأة من حب سبها بممارقة قلبها فأكسبته حرارة ولهفة، فقالت : لن أحدث إليك بلساني يا سيدي ، إنما أرجوك أن تنظر إلى عيني ... أنظر طويلاً وافرأ دخيلة صدرى ولا شك أنك ستفهم نأعنيه

فأمر وجهه وارتشت شفاته وحول وجهه بعيداً ثم عاد ونظر إلى وجهها متممداً ألا ينظر في عينها وهو يقول : آه من العيتين ... بهما سمعت ومنهما شقيت ...

فقاطعته : ولم لا تكون شقيت بهما ومنهما تسمد ؟ فمز رأسه مرتاباً وتهجد ثم أشرق ، فقهمت أن (٥)

تقدمت إليه في عناء لأن الصدمة آلتها وصح عزها على أن تساربه وتلاطفه حتى يطمئن إليها ويقص عليها حكايته ... قالت :

— يا سيدي ، إن كنت في حاجة إلى ابنة فها أنا ذى ، وإن كنت في حاجة إلى أخت فلك منى هذه الأخت ... خدمنى ما ينقصك من حنان ورواية وحسبك .

قالت ذلك بلهجة موزونة حارة انسكبت من معين صاف ... كل كلمة فيها من قوة الصدق ما يزيى بكل حيار عتيد

ونظرت إليه وشماخ نظراتها بصورة أجمل ما يمتناه الرجل من حب وحنين !

ولكنه غص الطرف ملياً وهو يعض شفثيه كأنه يمانى ألماً ممضاً في نفسه، ثم وقف وانقض عليها كما يفعل الأسد المصور بفريسته وعدش شعرها وهو يلفه على يده ناظر آ إليها في ثورة وجنون، ثم جذبها في عنف وسدم رأسها بمجذع للشجرة فسال الدم منه .

ولم يكدهم يلعج الدم يسيل حتى ضحك مقهقها في جنون، ثم أقبل على الدم بفمه سب منه كأنه أنشئ غناء يرتجيه وهي من هول الصدمة ساكنة سكنة الأموات وقد ارتسم على شفثيه اصفرار الموت وأسبلت جفونها في استسلام الفتاة

ثم تركها وارتدى على الأرض يبيكي كالأطفال، فأنشبت ومالت عليه حانية متناسبة ألماً وما ألم بها قاتلة بصوت خفيض متقطع : إن كان قتل يريحك ويسيد إليك سقاء نفسك وهدوء بلاك فأقدم عليه غير هباب ، فليست جياتي ذات قيمة في ناظرى

وسجبت يده في لطف وساعدته حتى اعتدل في جلسته ...

وتشقيتنا به؟ ثم أشاح بوجهه مدممداً : لا، لا يمكن أبداً ... أنا حالم لا محالة ... ثم عاوده الضحك الجنوني ووضع رأسه بين ركبتيه ليخفي مدامه ويخرس تنهداته

فرقت رأسه يديها محاولة أن تجنب نظره بيمينها قائلة : ليتني أعرف أين فتاتك لأسى إليها. فصرخ في وجهها : كفى من الهذيان، لقد ماتت .. فشبهت قائلة : رحما الله .. ولماذا تقتل نفسك مادامت ذهبت عنك على الرغم منها، إذن أنا أشد منك قوة وأكثر إرادة ... في اليوم الذي قيدت نفسي بالرجل الذي ظننت أنه مثل الأمل تبين لي أنه يلهو بشي، ولقد نبذته ببذ النواة واستطعت أن أنثاسه. ثم تكلفت ضحكة وأعقبت : خل عنك الحياة بين يأس ورجاء... فاجعل ضوء الرجاء قبلة فأظريك دائماً. فصمت مفكراً فيما قاله يحلل صرماه ومزواه ولقد استطاعت الفتاة بمجاهدتها ولياقها أن تحوله من الركود المطلق إلى الأمل الحلو المرتقب ، وأيقن أن الله أراد به خيراً فأرسل إليه ملاك الرحمة في كيان هذه الفتاة ...

ومال برأسه على كتفها في شبه إعفاء ، وغاب بخياله عن الوجود ...

وهذه الفتاة راجية أن يساوده البشر والأمل ، وراحت تتأمل وجهه الشاحب الحزين . ثم انتقلت يصرها إلى صدره ، وهويسلو وينخفض كأنه ضاق بأنفاسه

ولحت طرف ورقة تبدو من وراء ثيابه فملكها الشيطان ، ومدت يدها في حذر تسحب الورقة ... أوراق صفراء تثبت عند السنين الخوالي . قد تبلغ أربع سنوات ، ولقد اكتسح الزمن

فتاته ذات تأثير ساحر بيمينها، فترقت به وقالت .. يجيل إلى أنك لجأت إلى هذا المكان الثاني تحت تأثير أمر جليل. ألا تفتح لي صدرك عل ذلك بره عنك؟ فقال : وما الفائدة .. انتهى كل شيء . انتهى كل شيء ...

فقاطعت : ولكنك رجل

قال : وهل تحارب المرأة إلا الرجولة ؟

قالت : تصعب بالضميف وتسلم للقوي

قال : وهي جاهلة لا تفرق بين الضعف والقوة

قالت : لأن الرياء والكذب يشوهان حقائق

الوجود ...

وهنا لازمه الوجود ولم يتكلم ولحت جسمه بهتر كأن قشعريرة الحى ملكته فغطت عليه وحمت في لطف : أظنك تشمر ببرد شديد ... وخلعت مغطها ثم ألقته على كتفيه فلم يمانع ، ونظر إليها في هدوء وتمم : من أنت يا فتاة ؟ قالت وهي تمر على شعره الشمت ييدها للناعمة في حنان : بئني الله إليك لأسندك . فلم يتكلم ، وتساقطت مدامه كالندى الصافي فأكبست خده الشاحب حمرة الشفق المتوهج فابشمت قائلة : ألا تشمر بالحياة تسرى في شرايبك؟ ألا تنص بخفة القلب المعنى بمحرك كيانك ؟

فد يده في يده كأنه يهيب لسها، لكنه ويد أن يتحقق من أنه يخاطب إنساناً ثم قال منمنماً : أيمكن أن تكون امرأة حقاً ؟

أيمكن أن يكون بين شياطين النساء امرأة واحدة تحمل قلب ملاك ؟

أيمكن أن يكون ذاك الصوت الموسيقي لحن قلب صادق ؟

ثم صرخ متلجأ : رياء ... لم تصمدنا بالحب

أن روى انسرحت من الكثافة الحاجبة في عالم الحسن واستشقت الحقيقة في عالم التيب الجھول غير للدرك أو اللوس. ألا ترى مى أن الحياة أقرب إلى الخلود منها إلى الفناء إذا لازم الحب عمرها الحافل بالأمانى الحسان .

ألا يحتفل أن يكون الخلود هو هذه الساعات الحبيبة المليئة بنشوة الحب الطهور ؟

لقد كوفت الطبيعة الانسان نعمة للحب، فهو إذن بالمادة والروح من عناصر الحب... خلق به ومنه وله . فالروح الذى يلهب وحده بكمراه الحب يدرك بالفرزة عناصر وجوده ثم مستازمات الوجود وفهم الحب، والشعور بالحاجة إليه كنتم للحياة هو الباعث على تنبيه الماطفة إلى حد الاحتراق . إذن بلنت الآن إدراك الحقيقة وبدأت أفهم نظرية صحيحة لها أساسها العلمى .

الحب من عناصر الحياة إذا لم نجزم قطعاً بأنه ذات الحياة .

ولسكل حياة مظهر للدلالة على وجودها ، كذلك الحب يدل على وجوده بتنبيه الماطفة وفورتها، يعلأ الفؤاد كما غلأ الكهراء الجو... يكون بشير حصر حتى يحصر ، وبدون نتيجة عملية إيجابية حتى يركز فيتوجه للعمل الإيجابي والانتاج .

فأما قبلا كان حى موزما لأننى لم أصادف تقلة الارتكاز... فلما وجدتها عدت لا أملك هبة قلبى ولم أقدمه طوعاً .. بل انترع مى انتراعاً .

وهأنذى أشعر أن الماطفة تنابر عقلى جنباً إلى جنب من ذلك ترف أن العقل لا يخالف القلب إلا إذا كان الحب وليد الهوس والجنون والكذب والتناق؛ أما إذا كان الحب وليد الايمان الأكيد والميل الصحيح والشعور الصادق فلا سبيل للعقل غير مشاركة القلب فى وجدانه بتفكيره .

الراحل لون الجد الزامى ، ولم يبق من الحروف غير ظلها . ولما تأكدت من غفوة : راحت تحاول قراءة الرسالة فاذا بها :
يا طائر

بودى لو أكتب بشير مداد
أستعين بيد الأزل المجهولة على تسجيل عواطفى
للتورانية ... ولكن أين العين التى تبين هذه
الحروف الخفية ، وتدرك ما وراء نفسى النامضة
حتى أنت ؟ أيمكن أن تفهم مرماى ؟
إنى أشك . رغم ما بيننا من تضام وطيد ...
صوت من الأحماق يصرخ فى أحماقى مجلجلا
كازعد : أريدك تفهمنى كما أنا
وحسبى ...

قد تقول : كيف لا أفهمك وأنا أحبك ؟
وأنا أقول : قد تكون فهمتى كما يفهم كل
رجل امرأة .

وأنا أريد أن تفهم روحك روى ، ويدرك
قلبك معنى قلبى .

فاذا نظرت إليك دون كلام فهمت حكاية نفسى
ونشيد روى وأغاني قلبى فتفهم حقيقة حى ، ذلك
الحب الذى يشبه البخار الذى رفسته الحرارة من
البحر الأجاج فأنهمراء حلوا على قمم الجبال ، وجرى
أنهارا فى الرودان ثم عاد إلى البحر حيث كان ...

ثم أستودع الله ما انفصل مى لتبر عودة —
أستودع قلبى الطيق لأستقبل قلبى اللعيد ، وأستودع
أحلام المنراء لأستقبل مسئولية المرأة ، وأستودع
كل القلوب الهائمة حوالى لأستقبل قلباً واحداً
أعز من الحياة على .

تسألنى : هل أحبك ؟
وجوابى : أنا أعرف إنى عبة لله ، وأن ذاك
الحب الجليل يتجسم فىك وحدك ، حتى أحسبت

هي التي حركت الناهيتين للعمل وللإنجاء المتأهل ،
كما تحرك الكهرباء قطارات الترام على شتى الخطوط.
إذن ليس في مقدوري مطلقاً أن أحاول مقاومة
الطبيعة لأنني لا أملك القوة على مخالفة التاموس ،
وأرى العاطفة تسيّرهما وحدة الوجود في السبيل
الرسوم لها من الأول بقوة المحرك العام مصدر
الحركة والسكون

لطالما حاولت أن أخفي هواي

وها هي ذي الطبيعة تغلبني أخيراً وتقهمني . كنت
أحصن دائماً بكبريائي ، واثقني أن الطبيعة أقوى من
الكبرياء ، إذ للكبرياء تقديسها للمادة وتهديها
أما العاطفة فتفقد فيها التفرقة أو تاموس للكون
ثم تطلقها في غير هدى

وأنا عند ما أسأرك بهواي أكون صادقة ،
إذ ليست عاطفتي وثبة عن طيش ولا فقرة عن روعة
ولا وسيلة لتحقيق أمل

إنما هي يسميها للفكر المحدود مصادفة ، ويقرر
العلم أنها لازمة الاستقرار فلها قيمتها المنوية في
حياتي وحياتك « هلا »

لا تدرى الفتاة كيف قرأت الرسالة حتى النهاية .
فقدت حواسها ولم تنبه إلا على صوت سرختها
المدوية عند ما قرأت اسم « هلا »

يا لله ... خطها وأسلوبها واسمها ... وذاك
البائس حبيبها النادر . صرخت ..

فتنبه التأم ونظر إليها مشدوهاً فاذا بها ترتمش
وبين أصابعها الأوراق الدابة ...

قال الرجل في اضطراب : ماذا بك ؟ فنفثمت :
هو أنت ؟ ثم غابت عن الوجود

(المتصورة)

مجيد العمري

فنحن نحب الله بقلوبنا ، ونفكر فيه بقولنا ،
وكذلك الحال إذا حدث التفاهم بين شخصين
والآن ليس في مقدوري بعد الآن مخالفة قانون
الجاذبية .

وجميع قوانين الطبيعة صحيحة خالصة مهما اختلفت
الظواهر وتنوع الظروف والأجواء
إذن لا تتمجّل الظروف فكل شيء حينه ،
فالجنين يضع عندها كماله ، والثمرة تسقط عن الشجرة
بعد تمام النضج

وحسبي لن وجاهك إلا بعد أن تثبت أركانك .
الآن أمنت . الحب كالقدر أعمي

وطلب للتل الأمل في الحب أمنية من الأمانى
والقدر يلعب دوره حتى في المواطن ، فقد يتركز
الحب في غير ما يمتناه الإنسان برغبته وبمقله ومصالحته
فيخضع لسلطانه الشديد

أنا لا أرجو ولا أؤمل ، وليس لي هدف حسي ؛
إنما أعيش بالروح في عالم الروح ، فشدتي روحية
ومسراني وآلامي باطنية منفصلة عن الحواس جميعها
والتخيل هو ارتقاء الفكر عن العالم المحسوس

وعالم الخيال ، هو عالم الحقيقة لن يرتقى عقله عن طباق
العقل المحسوس ، فاذا تخيلت فلتفسي ، وإذا فاجيت
فكأنني أنبئى روعي لأن طيف ألبني صورة ماثلة
لي ... أراها في وأرائي فيها ولا يمنع التخيل مانع

مادي ، وليس لعالم الخيال حد ... كذلك لا يتجول
دون الروحانية الحوائث الوصفية . ولعل من أعجب
المعجب أن تتحاب قبل أن تتعارف كما يحدث دائماً
بين الناس ، ولماذا ؟ لأن الكهرباء التي تضيء

مصباحك الروحي هي التي تضيء مصباحي !

ولأن القوة المجهولة التي تحرك الخيال للتخيل

ماضي أبني ، الماضي الذي أورشها
السهاد والآلام والمهانة ، وتفتيق
جفأة لتسال ربها :

— لم يا رب جعلت ابني
كذلك ؟

وتهز رأسها في أمي وحسرة
وتجيش الدموع في عينيها . ثم
تمود للمرة الثالثة لترقب الطريق

في أمل وشوق وخوف منتظرة عودة أبني ...

كان أبني (يونس) هذا في سن الشباب جبل
على الشر منذ نومة أظافره ، فهو لا يكف عن
السلو على منازل من يعرفهم ومن لا يعرفهم ليسرق
أثمن ما فيها . وهو لا يصادق غير الصوص
والأشرار . وهو يسامل أمه دائماً بغلظة الجرم الذي
لا قلب له . وأمه لا يسما إلا أن تنهبل إلى الله في
صلواتها أن يقوم أخلاقه ويهديه سواء السبيل ...
ولكن هيهات ...

ومنذ ستة أشهر سطا على دار أحد أعيان القرية
التي يمش فيها يريد سرقة ما بها قبض عليه وسبق
إلى الممدة ، ومن الممدة إلى المحكمة ، ومن المحكمة
إلى السجن ليقتضى فيه ستة أشهر جزاء له على
ما اقترف !

وهامى ذي الستة الأشهر قدمته ويسعود اليلة
من السجن . وهامى ذي أمه تنتظر عودته في أمل
وشوق وخوف ...

واتصف الليل ، والأم لما نزل واقفة تطل من
النافذة على الطريق . وكان الصمت سائداً فلا حركة
ولا نامة . وجفأة دوى في سكون الليل اللطم صوت
أقدام آتية نحو الممار ، أقدام ثقيلة كأقدام يونس

يونس

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعَشِيرِيِّ

فرغت الأم المعجوز من صلاة المشاء وطوت
« السجادة » في لأي ، ثم سارت صوب نافذة
صغيرة بالزفة ففتحتها ووقفت ترقب منها في أمل
وشوق وخوف ، الطريق الطويل التشعب بالسواد الذي
بدا أمام عينيها ، وهب على وجهها هواء الليل البارد
فسرت في جسدها الضاوي قشعريرة شديدة ؛ ورغم
استمرار ذلك الهواء البارد في المبوب على وجهها
فأنها لم تتحول عن النافذة ، بل ظلت واقفة كما هي
ترقب الطريق في أمل وشوق وخوف ، وكلما تنأى
إلى أذنيها صوت أقدام تقترب من الممار التي تسكنها
تزايدت دقات قلبها وجتفت في صوت خافت ملؤه
الفرح والأمل والتساؤل :

— ترى هل قدم ابني يونس ؟ ...

وترى وجه صاحب الأقدام التي سمعتها فلا تجد
أبنيها فيمثل قلبها كآبة ويؤسأ وترفع رأسها إلى السماء
تسال مجومها في شراعة :

— هل يمود ابني اليلة ؟ ؟

ولكن النجوم لا تجيب . ضود ثانية لترقب
الطريق في أمل وشوق وخوف ...
ويشرد بصرها قليلا وهي تستعيد في ذهنها
وجه أبني يونس . ويدو الوجه ومن ورائه يدو

— إني جئت هنا لأكل يا امرأة ، لا لأسمع
هذا الكلام الذي هو كالم . فإنا لم نصق قاني
سأذهب من هنا . وأدع لك طعامك ...

ووضعت الأم خدما على يدها وصمت . وراح
يونس يلثم ما بقى من طعامه بنهم . فلما أتى على
ما أمامه من الطعام شرب كوبا كبيرا من الماء ثم
تجشأ ومسح فمه في كفه . ونهض فبارح للذرفة ...
وهزت الأم رأسها في حزن ، وضربت كففاً
بكف ، وقالت بعد أن تهبت :

— يا لسوء حظي مع هذا الابن ...

وقامت فجملت بقايا طعام ابنها وألقتها لقطة خبيثة
كانت ناعمة في ركن الذرفة . ثم ذهبت في أثر ابنها ...
ووجدته مضطجعا على فراش نومه وقد غطى
وجهه يديه فوفقت تنظر إليه وهي تبهل إلى الله في
سرهما أن يرشده إلى طريق اللصواب . ثم ذهبت
بعد هنية إلى فراش آخر كان بالقرب من فراش
ابنها فألقت بجسدها عليه في إعياء ، وحاولت أن تنام



وفي اليوم التالي طرد يونس إلى أصدقائه اللصوص ،
فتلقوه في رحاب واشتياق . وراح من جديد يدبر
جرائم السطو على المنازل لسرقة ما بها ...
كانت هذه طبيعة فيه ، وما تقطعت دعوات أمه

ولا تفع السجن في تخليصه من طبيعته هذه ...
وفي ذلك اليوم أيضاً حدث أمه إلى الابتهاال
إلى الله في صلاتها أن يذهب بابنها عن الطريق الذي
يسير فيه إلى الطريق السوي . ولكن هيات ...

وفي اليوم الذي أعقب ذلك اليوم ، دخل يونس
على أمه وهو يشي بمض (الواويل) الرقيقة والسرور
يشيع في وجهه . وعلى غير طوته راح يجادها بلطف

ابنها . وخفق قلبها وحلقت في الطريق يصير كله
انتباه وإهتمام . وبدأ أمامها جسد رجل ، وأفلتت من
فيها صرخة كلها فرح وطرب ، فقد كان ابنها
صاحب ذلك الجسد

وتركت التافذة وذهبت بسرعة لتفتح لابنها
باب الدار . ودخل يونس من الباب فصاحت
في سعادة وهي تفتح له ذراعها :

— يونس . ابني . حبيبي !

ولكنه سار في طريقه دون أن يلتفت إليها
فلعلقت به وهي تصيح حاتمة :

— ما هكذا يقابل الابن أمه بعد غيبة سنة
أشهر أيها الابن لنا كره للجليل ..
فالتفت إليها قائلاً في خشونة :

— ما هذا وقت عتاب . إني متعب وجائع .
وأشفقت عليه فلم تستمر في عتابها له مع قوة
رغبته في ذلك . وأخذت بيده بعد أن قبلت خده
نحو غرفة صغيره مضادة بالدار وهي تقول :

— هنا دجاجة « محمرة » (وملوخية) أعدتهما
لك . أدخل وسوف أذهب لأحضرك الحبز ..

ودخل للذرفة . وذهبت لتعضر له الحبز ،
وسرطن ما حدث به إليه . وجلس يلثم طعامه
وجلس بالقرب منه تسأله :

— وكيف وجدت الحياة في السجن ؟

فرد عليها في خشوته التي لا تقارقه :

— جعيم . ولكنه أفضل من الحياة هنا
على كل حال .

— وهل الحياة هنا لا تمنجيك أيها الابن الذئب
أنتكر نعمة ربك ؟

فصرخ في غضب وفه يتعم بالطعام ...

ورقة ، فنجبت لذلك وسأته :

— لم أرك على هذا السرور قبل الآن ،
فما السبب يا ترى ؟

فقال بفمه على أذنها يهيم فيها :

— لقد سرقت ليلة أمس مالا كثيرا ...
ولم يدرك بما فعلت أحد ...

فصاحت فيه غاضبة :

— سرقت .. سرقت أبها الابن اللذنب الخطيء ..

فقال لها وهو يهذي من غضبها :

— لا ترفى صوتك هكذا . يقولون إن الجعديان
أذا ما مثلنا ...

فلم تسمع كلامه واستمرت في سياحها :

— إنى لا أطيق أعمالك هذه ... فنى تفكر
فى .. فى أمك المجوز يا يونس .. يجب أن تعرف

أنى فى حاجة إلى الراحة ... أجل إلى الراحة يا ...
فلم يقد يسمع من كلام أمه أكثر مما سمع ،

إذ تسال من أمامها مسرعا وهو يقول :

— إنى ذاهب . فما أحب أن يتسم الجوا الجليل

الذى أعيش الساعة فيه ...

وسمعت الأم بعد قليل صوت باب البار وهو
يفتح ثم وهو يفتق فرصت أن ابنها قد بارح المنزل ..

وارتمت على أحد المقاعد وهى تحبس دموعها
التي أوشكت أن تتعدى ...

وتصمرت خمسة أشهر لم تتغير فيها حياة يونس
وأمه ، فهو لا يكف عن السطو على المنازل وعن

مصاحبة العصوص والأشرار ، وهى لا تكف عن
وعظه وإرشاده إلى طريق الخير وعن التضرع إلى

الله فى صلواتها أن يساعدها على ذلك . ثم أتى اليوم

الذى عرف فيه يونس الحب ، فأبتدأت حياته تتغير
وتقبل ، وبحكم صلة حياة أمه ببحانه فقد تنيرت هى
أيضا وتبدلت

كان عجبيا أن يدرك يونس الحب . وهو الرجل
الشرير الذى لا قلب له . ولكن من الذى استطاع

أن ينظر فى عيني « عالية » دون أن يصاب بداء
الحب ! أو من استطاع أن يرى بناتها دون أن

يحبس بروحه قد استرجت بروحها ؟

وعالية هذه فتاة قروية ، فى جسدها استقامة
فاتنة ، وفى عينيها دمج منور ، وفى بسمتها سحر

فتاك ، وفى شخصتها اللطافة وكلامها الرقيق حلاوة
الشهد . وأما يونس ذات يوم فى السوق الصغيرة

التي تقام بالقرية كل أسبوع ، فلم يدرك وقف كالشده
يحمل فى وجهها وهو الذى ما كان يستوقفه جمال

فتاة من قبل مهما كان هذا الجمال ؟

وفطنت عالية إليه فرمته بنظرة أحس وهو
بتلقاها بماطفة جديدة تنشأ فى قلبه ، وأفاق ليجد

نفسه قد أحب ، قد أحب عالية

وبرغم ضخامة جسده وعظم قوته ، فإنه عند
ما رجع إلى منزله فى ذلك اليوم كان يشمر بضنف

كبير أمام تلك الماطفة الجديدة التي طرقت قلبه

وتلقته أمه المجوز على الباب ، فأدهقها أن
تجده سالما مطرق الرأس

فقات له فى حثان : ما خطبك ؟

فهتف بلا وحى وبغير ترتيب : الحب ... الحب
يا أمى ...

وكانت هذه هى المرة الأولى منذ زمان طويل
التي يدعوها فيها بـ « يا أمى » . فقد تمودت أن

تسمه دائما بدعوها بـ « يا امرأة » . وسرت فى

ولم يتم كلامه . فصاحت به تحضه على إتمام ما يريد أن يقوله

— لأنك تحب . أليس كذلك ؟

فلم يجيب . ولكنه نهض بسرعة وعاد إلى غرفة نومه ثم أتى يجسده على فراشه وغطى وجهه بذراعيه وفي أثره طالت الأم المسكينة ، وجلست بجوار فراشه ثم وضعت يدها على رأسه وعمت مخاضيه : — لم تخيء عني ما في قلبك يا حبيبتي ؟ ألسنت أمك ... !؟

فلم تقف برد ...

وفي صباح اليوم التالي اجتمع يونس بأصحابه الصوص ، وعلى غير عهدهم به وجدوه راغباً عن التفكير في جرائم السرقة ، كثير الاطراق ، خفيض الصوت عندما يتكلم . غصبوه صريخاً ولكنهم ما دروا أنه قد أحب ...

وقبل أن ينفذ اجتماعهم راح يونس يصف لهم فتاته طالية ويسأل هل يعرفها أحدهم . وكان وصفه لها دقيقاً جديداً حتى أن ثلاثة من أصحابه هؤلاء أجابوه سريعاً بأنهم يعرفون الفتاة التي يصفها ، واقترب منه أحد الثلاثة فأخبره بإسمها وأسم والدها والمكان الذي به منزلها . ثم رفع إليه بصره يسأله في ابتسام :

— هل وقعت ؟ ...

ولكن النظرة الغاسية التي صوبها يونس إليه جعلته يصمت ويطرق برأسه إلى الأرض . ثم انفرط عقد اجتماعهم

وبعد هنيهة كان يونس في طريقه إلى المنزل الذي تقيم فيه طالية . ولجأ وجد نفسه أمام طالية .

أعماق نفسها لذلك . وودت لو تطلب منه أن يبيد على مسميها مرة أخرى كلمة « يا أمي » هذه . ولكن كان هناك شيء أهم من ذلك تريد أن تستوضح أمره من ابنها ، ألا وهو ذلك « الحب » الذي تطلق به . فقالت له : ماذا تقصد ؟

وكأنما هيا له عقله أنه قد باح بشيء لم يكن من الواجب أن يوح به ، فقد سار في طريقه وهو يذمهم : لا شيء ... لا شيء ...

ولكن أمه لم تكن من الجبل بحيث تصدقه . فذهبت تحاول اقتناص سره من صدره بمختلف الجليل والأساليب . ولكنه صمت وزاد تصادياً في صمته فترك الكثير من أسئلة ألقتها عليه ، محاولة أن تستدرجه إلى الذي تريد ، بلا جواب ..

وعندما آوى إلى فراشه كانت حينها طالية تملآن غرفته . وحينما حاول أن يمسحها عنه ...

وانتصف الليل والكرى لم يطرُق له جفناً . فترك فراشه وإراح غرفة نومه إلى غرفة أخرى راح يشغل نفسه فيها يمسح الأعمال حتى لا يفكر في طالية ... ولكن بلا طائل ... ولحقت به أمه وقد أحسّت بأنه ليس في فراش نومه ، فوجدته على حالته هذه

سألته : ألم تنم ؟

قال : لا ..

فجلست بجواره وربت يديها على ظهره قائلة :

— لم ؟

— اتابني الأرق .

فسألته وهي ترفع إليه بصرها .

— ولم اتابك الأرق ؟

— لأنني ... لأنني ...

ورفع رأسه في يأس وحيرة وقال لأمه التي
كانت تنظر إليه في إغفاق:
— غداً بعد أن أرى ما سيتم في ذلك الموضوع
أجيب على سؤالك ...

وذهب يونس في اللند ليطلب يد فتاته من
والدها ... وتحت له أمه من أحماق قلبها التوفيق
فيها هو ذاهب إليه . فقد كانت متأكدة أنه
لو تزوج فستتبد به الحياة الزوجية عن حياة
الاجرام ، ويصبح يونس كما أرادته وكما يستغل تربيته
ابناً صالحاً لا يزعمها بشيء ... ولكن . ولكن وقع
ما هجس بصدر الأم وابنها فلم يقبل والده عليه
أن يزوجه من ابنته ، وزاد على ذلك أن أخبره أنها
مخطوبة إلى أحد أقرانها ...

وخرج يونس من دار والده حيثته وقد أظلمت
الحياة في عينيه . ماذا يفعل الآن ؟

وفي طريقه أبصر بصالية ، ووقف يفكر ...
يجب أن يقابلها ... يجب أن يودعها . يجب أن
يقول لها إنه لن يمسي بلويلاً وقد فقدتها ...

وذهب إليها ، ولكن عالية رآته قبل أن يقترب
منها ، فابتعدت عنه . كانت قد عرفت بالأمس أن
ذلك الشاب الطويل القامة ، الواسع الصدر ، النغم
قوة وقوة ، الذي عرفته في الأيام الأخيرة ليس
إلا يونس اللص !

وصرخ يونس وهو يراها يتباعد عنه :

— عالية ...

فالتفتت إليه خائفة ، وحدهته بنظرة هائلة
كلها ازدراء واحتقار ، ثم استمرت في سيرها
مرفوعة الرأس لا تلفت إليه !

ووقف في هذه المرة أيضاً يحمق في وجهها . وابتسمت
وقد عرفته ؟ وحجبت فيها بطرف خادها في
استحياء واللبسة لا تزال عليه . ثم سارت في
طريقها ...

وود لو يقفها ليروح لها بحبه ولكنه لم يستطع
وما استطاع إلا تشييمها يصره إلى حيث اختفت
ثم عاد إلى منزله في خطى وثيدة ...
وحدث في ذلك اليوم ما حدث بالأمس ...

وقعت الأم المجوز أن ابنها قد أحب . ولكن
من هي الفتاة التي أحبها ... ذلك ما راحت تحاول
بطريقها الخاصة ، ويث الميون وراء ابنها أن تعرفه
وقد عرفته ...

وفي أحد الأيام أطلت الأم ابنها على ما عرفته
وسألته :

— هل تنكر شيئاً مما ذكرت ... ؟

فأجاب : لا ...

قالت : وعلام نويت ؟

قال : سأطلب يد عالية من والدها غداً ...

وغمرت الأم سعادة . عظيمة وكيف لا تسر
وابنها يرمز على الزواج . وطدت تساه في خوف :

— ولكن هل تظن أن والدها يقبل طلبك ؟

قال : سوف أبذل كل ما في وسعي حتى

يقبله ...

قالت : وإذا لم يقبله ... ؟

فأطرق برأسه ، وقد أدرك أمراً عجباً . أجل

إذا لم يوافق والده عليه على أن يزوجه ابنته فإذا
يفعل ؟ ... إن والدها يعرف أنه لص فربما
لا يقبل طلبه ... ؟

ليخبرها أنه عائد لتوه من عند عمدة القرية وأن ابنها مقبوض عليه هناك بتهمة قتل رجل من القرية ... وتلفت الأم ذلك البناء ذاهلة . ثم صرخت في صوت عال :

— ابني يونس قبض عليه بتهمة قتل رجل ..؟

ابني يونس ... حبيبي يونس ...
وذهبت إلى دار العمدة لتتحقق الأمر .
فماذت والجنون أقرب إليها من حبل الوريد . إن
ابنها قد قتل حقاً أحد رجال القرية والعمدة يقول
لها إنه قد يحكم عليه بالإعدام شقاً ...
وعر الأيام والشيطان بضحك على الترحيبين
الرخيصتين : الأم وابنها .

... في صباح يوم دخلت إحدى نساء القرية
على تلك الأم المسكينة لتخبرها أن ابنها قد حكم
عليه بالإعدام شقاً ، وأن ذلك الحكم سينفذ فيه
في اللند . فوجدتها نائمة على غير عادتها في الأيام
الأخيرة . وكانت تحلم ، إذ سمعتها تقول :

— هل برئت يا ابني ؟ هل أطلقوا سراحك
يا حبيبي وغدت إلى أمك المعجوز ؟ حسن ، تعال
إلى صدري أيها الابن اللقي .. تعال إلى صدر أمك
التي أوشكت أن تنجب عندما علمت بأنك لا تقود
إليها . تعال يا حبيبي . تعال ...

وضطت الأم للثامنة بذراعها على صدرها
وكأشها تضم إليه ابنها حقاً . وعادت المرأة التي أتت
لتخبرها أن ابنها حكم عليه بالإعدام شقاً من حيث
أنت . وعلى خديها بضع قطرات من الدموع
حاولت أن تحبسها في عينيها فلم تستطع !
فهر الخليم محمود العشري

وأحس كأن سلاحاً حاداً أشبه ما يكون
بالسكين قد أغمد في صمم قلبه ... ! وفرت دمة
من عينه وسقطت على خده ، فسحها بأصبعه الخشن
وعاد ليتابع سيره وفي أعماقه شيء يئن ...

وبعد أيام أربعة سرت في مجالس رجال القرية
الذين لهم أهداء يريدون التخلص منهم إشاعة
مضمونها أن « يونس » مستعد لتخليص من له
مدون من عدوه مقابل عشرة جنيهات . أجل عشرة
جنيب ... ولو كانت قيمته هذه حياته ...

وانصل أحد هؤلاء الرجال الذين لهم أهداء
يريدون التخلص منهم بيونس ، وبه أن تأكد من
صدق الاشاعة التي وصلته اتفق معه على أن يخلصه
من عدوه وأعطاه العشرة الجنيهات التي يريد
كل هذا حدث وأم يونس لا تدري . ولو كانت
تدري إباءت حياتها لتتخذ ابنها قبل أن يبيع روحه
بتلك الجنيهات المشرة !

وذهب يونس بعد أن ملأ بطنه غمراً ليقوم
بمهمته غير خائف ولا وجل ، فما حدث حياته بذات قيمة
لهيه بعد أن فشل في حبه . ولم يفكر في أمه المسكينة
وهو مندفع في طريقه المظلم الذي لا يعرف إلى أين
يوصله ، وإن كان يعرف أنه لن يوصله إلى نهاية
حسنة ، اللهم إلا أنه أودع عند أحد أصدقائه بضعة
جنيهات من الجنيهات المشرة وأوصاه أن يعطيها
لأمه إذا قبض عليه لتميش منها ...

وفي صباح اليوم التالي كانت الأم واقفة أمام
منزلها تسأل المارة عن يونس ابنها إذ أنه لم يمد
إلى المنزل ليلة أمس ، عندما تقدم أحد أقرانها

يقضى أيامه ولياليه عاملاً لآخرته. وأكثر
من فيها من الناس مصابون بالهزال من قيام
الليل والزهدي في الطعام؛ وقلما وجدت فيها
رجلاً ضاحك السن أو مبتسم العين أو مورد
الخدن. ومن أجل ذلك يجب عليك أن
تظهر الحزن والاكتئاب لتبدو عليك هيئة

الصالح الودع

قلت: «أية فائدة لصاحي البرويش من كل
هذا؟ إنني مسلم ويجب على أداء الفروض ولكن
إنما في هذا السكان لا تستلزم كل ما تقول لأنه
قلما رأي أحد فيه أو أهم بوجودي إنسان»

تقال: «إذا أنت لم تتبع ما قلته لك فلتستمد
الرجم بالطوب أو اللوث جوعاً، فالبرويش الذين
حولك لا يعرفون الوسط من الأمور ولا يتساعون
في أقل شيء، فإذا اتابوا في مسلكك أقل دية
فإنهم لا يتأخرون طرفة عين عن حملك عبءاً لثرك؛
وإذا بدا لهم أن عميانك ناشئ عن ضعف في الاعتقاد
فلا تنتظر منهم شيئاً غير أن يمزقوا جلدك كل ممزق.
ولملاك لا تعرف يا حامي بابا أن هذه مدينة ميرزا
أبي القاسم أكبر الأحياء من زعماء الدين، ولملك
لا تعرف أن هذا الرجل إن ثارت معه مباحات
الألوف من أتباعه الذين لا يسألونه برهاناً على ما يقول
فهو أقوى من الشاه وأكثر نفوذاً

هذا هو الرجل ولكنه طيب القلب كريم
الأخلاق ولا أحرف فيه عيباً سوى أنه يقتل رجلاً
كل من يعتقد أنه ضيف الإيمان»

لما سمعت ذلك من البرويش وعدته أن أؤدي
فروض الدين. وكنت أعد للثأر على هذه الفروض

حاجي بابا إصفيهاني

لكتابنا الانجليزية جيهن مور
بمقام الأستاذ عزيز الطيف الشار

الفصل الخامس والأربعون

قصة غيبية

ما كنت أنجو من طمة التنازا كشي حتى سمعت
صوت صاحبي البرويش الذي أقبل في هذه الساعة
إلى المدينة ممكناً قدومه بأداء الشهادة على صوته
وبعد قليل رأيته يدخل الدفن باحفاً عني. ولما رأي
ابتهج وحمد الله على وصولي إلى هذا السكان سالماً قبل
أن يصل إليه التنازا كشي ووعدني بأن يقيم معي مدة
قصيرة. ووقع اختياري وإياه على خلوة من الغرف
الكثيرة المبنية حول القبر وكان معي عشرون طوماناً
من الذهب وبعض النقود الفضية، وأرسلته ليشترى
لي بعض الحاجات الضرورية كصبر لأرض هذه
الثرثرة وزير يحفظ فيه الماء.

وقد فاجأني هذا البرويش مفاجأة لم أكن
أنتظرها إذ سألتني: «أخبرني أولاً قبل أن أقم
ملك هل تقيم الصلاة وهل تسوم، أم أنت لا تزال
كما كنت في مشهد؟»

قلت: «لماذا تسألني هذا السؤال وماذا ينيك
إن كنت أصلي أو لا أصلي؟»

قال: «إن ذلك لا يهمني كثيراً ولكنه يهملك
أنت لأن هذه المدينة «مدينة قم» من أكثر المدن
تمسكاً بالدين فلا تجد فيها إلا تقياً من أبناء النبي

مصنفاً إليه وهو يروىها في الخان . ولقد سررت من هذه القصة كثيراً وأحسب القاري سيسر منها كذلك، وسواء صدق ظني أو لم يصدق فلا شك أن القاري يود أن يعرف بماذا كان ينسلي الدراويش في سجونهم الخناترة

انقصة

السلطان التركي الحاضر ملقب بين الارانيين بقلب « خون خور » أي شارب الدماء، والارانيون في المادة يطلقون هذا اللقب على كل حاكم تركي . ولما تولى هذا السلطان أسر على إلغاء كثير من العادات والتقاليد التي نشرها الكفار الذين تطرقوا إلى الوظائف في عهد سلفه، ورأى أن من واجبه إعادة الأمور إلى حالة البساطة التي كانت عليها قبل ذلك السلف، فسنن للحكومة نظاماً تركياً جديداً وكان في جملة التقاليد القديمة التي أحيها سنة التنكر والتجسس على الرعايا . وكان شديد الحرص على أن يكون تنكره متقناً وعلى أن يخفى سره عن أخص أتباعه، وكانت الثورة تكاد أن تنشب في ذلك الوقت لكثرة ما كانت تبديها الجماهير من التذمر، فأراد السلطان أن يشرف بنفسه حالة الجماهير وأمر بصنع ثياب له يستحيل أن يعرف وهو مرتديها .

وكان من طعانه أن يكلف بصنمها خياطين غنلقين في بلاد مختلفة وفي أوقات مختلفة . وفي الوقت نفسه أرسل خصيه الأمين واسمه النصورى ليعيث له عن خياط غير مشهور

فذهب النصورى إلى السوق ورأى خياطاً في حانوت ضيق يضع على غيبيه منظاراً وليس في حانوته ثياب كثيرة، فقال النصورى : « هذا هو بشيق لأنه بشير شك ليس من المشهورين »

من أكبر المشقات . ولكن لما مضت أيام قليلة اعتدتها فلم أعد أرى فيها شيئاً من العسوبة فلم أحمل أدامها في أوقاتها . وكنت أرفع صوتي حتى يسمعه كل مقل من بعيد لزيارة المقبرة . وما كان أكثر الزائرين لها من مختلف الطبقات !

ولقد حذقت صناعة التكليج فصرت أجعل وجهي كأوجه الأتقياء والزهادين عبوساً وتقطياً . وقد شهد لي أصحابي الدراويش بالحدق في ذلك على أنه هو ممدوم الظنير في ذلك

ولقد أذيع سرياً أن في المدفن ولياً من أولياء الله . ولولا أنه هارب من مظلة ولاجئ إلى هذا القبر لكان إماماً للناس . وأذيع على أنني مظالم مضطهد وأن مقامي في هذا الملجأ لا يدل إلا على ظلم الحكام الذين يحضنون الأتقياء الزهادين بضهادهم . وتعرفت في أقرب وقت على أكثر أهل المدينة وقد انفتحت كلهم على أنه ليس في المدينة أكثر تبعداً مني . ولما طال العهد صار بعضهم يستشيرني في أموره فأشير عليه . ودلهم التجارب على أنني حكيم أصيل الرأي

ولم تكن مبيتشي وصاحبني لشكف أحدنا شيئاً من المال لأن الزائرين وخصوصاً النساء منهم كانوا يقدمون إلينا ما نحن في حاجة إليه من خبز وقاكهة وعسل، وكنت أجزى على ذلك بالشكر وبأحجية أكتبها بيدي في بعض الأحيان، وعلى الرغم من قلة التكاليف التي تكبدنا إياها هذه الحياة فأنها حياة مظلمة لا اضطراباً في أكثر الأحيان إلى قضاء الساعات الطوال دون أن تتحرك شفتا أحدنا بحرف، ومن أجل ذلك كنت أشجبه على أن يقص على أخباره ويروي لي قصصه . ومن بينها القصة التي لم أكن

ولما ذهب الخصى عاد الخياط إلى عمله وأخذ يفكر في هذه الصفقة ثم قام فجأة فأغلق حانوته وذهب إلى منزله ليخبر زوجته وكانت هذه الزوجة واسمها «دلفريب» عمودية الظاهر مثله ، وقد دهشت عند ما رآته يعود إلى المنزل قبل موعده العادي ومعه طبق من الشواء الساخن يتصاعد منه الدخان وآخر من السكاج وقرطاس من النعنب

أكلا وشربا التهمة وأخبرها بالحدث وتركها ما أخذته من المال . ولما كاد الليل ينتصف ذهب إلى حانوته ليقابل النصورى وضح له بأن بمصعب عينيه ويقوده حتى وصلا إلى باب الحرم في قصر السلطان فدخلوا . ولم يزل الخصى يقود الخياط حتى وصل به إلى حجرة السلطان ولم يكن بها من النور غير مصباح شئيل على الرف ، ولكن أأنها الفاخر كان يتم عليها

أخر الخياط بالجلوس على كرسي ذهبي فوق سجادة لم ير ولم يتعيل مثلها ، ثم جاء له بثوب من ثياب الدراويش وطلب إليه أن يتأمل فيه ويقول في كم من الزمن يستطيع أن يخطئ ثوبا مثله . وتركه الخصى أسرا إياه بأن يطوى الثوب كما كان يمد أن ينتهي من فحصه ويضفه في التنديل الذي كان فيه وبعد أن قام الخياط بذلك الفحص ناظرا في كل جزء من الثوب طواه ووضع في التنديل . ولم يكد يفعل ذلك حتى دخل الترفة رجل مهيب الطلة فأخذ التنديل وخرج دون أن ينطق بحرف تاركا الخياط وحده وقد ساوره الأفكار من هذه الناظر التي يراها . ثم فتح باب آخر من هذه الحجرة فدخل رجل في ثياب ثميثة ومعه ثوب مطوي

حياء النصورى فرفع بصره إليه ، ولما رآه في ثياب جميلة عاد إلى عمله في صمت دون أن يرد التحية لأنه اعتقد أنها غير موجهة إليه ، ولكن لما أعاد الخصى التحية أبين الرجل أنه هو الملقى بها فطرح أعماله جانبا وهم بأن يقف على قدميه ولكن النصورى أمره بالجلوس وسأله عن اسمه فقال : « اسمي خادمك عبد الله وشهرتي بابا دول »

قال النصورى : « وهل أنت خياط ؟ » فقال : « نعم صناعتى خياط ومؤذن في المسجد الصغير بسوق السمك »

قال : « اسمع بابا دول — إن لدى صفقة كبيرة الأهمية فهل تقبلها ؟ »

فقال الخياط : « وهل أنا مجنون حتى أرفضها ؟ قل لي ما هي »

— « تكلم بهدوء وفكر فيما أقوله لك . هل تقبل أن أربط عصابة على عينيك وأخذك إلى مكان لا تعرفه لتؤدي عملا تأخذ عليه أجرا كبيرا ؟ » — هذا شيء آخر غير الذي عرضته على أولا .

إن الأوقات شديدة الحرج والرؤوس تتطارب الآن عن أجسادها بشير حساب ولا يمد أن يقطع رأس خياط مثل ما تقطع رؤوس الوزراء والباشوات في هذا الزمن . ولكن ادفع لي مقدما ثمنا طاليا وأنا أخطط لك ثوبا يصلح لابليل فلا يعرفه فيه أحد إن تنكر »

قال النصورى : « هذه هي بفتى ، وهذا هو المال » ووضع في يده كيسا من النقود الذهبية فأخذه وقال : « لقد قبلت فقل لي ماذا تريد واعتمد على » ثم تم الاتفاق بينهما على أن يأتي الخصى في منتصف الليل فيأخذه بمد أن يربط عينيه حيث يشاء

مارآه وأن يجبرها عما في السنة
فقال دعينا الآن من ذكر ذلك ولنذهب لكي ننام
قالت : « كلا بل أخبرني أولاً ماذا رأيت

وإلا فاني لن أستطيع النوم »
وأخذت السنة فتفتحها وهي تأمل أن تجد فيها
هدية ثمينة من بيت العظيم الذي تماقد معه على هذه
الصفقة ولكن ما كان أشد انزعاجها وهلعها هي
والزوج المسكين عند ما وجدوا في السنة رأساً مقطوعاً
قالت الزوجة : « ما هذه الباهية التي حلت
فوق رؤوسنا؟ هل أتيت برأس قنبل لتصنع منه ثوباً؟ »
فصاح المسكين : « لمنة الله على أمه وعلى أبيه .
لقد خدعني هذا الخصى العليل ! ليتني ظاوت قلمي
فقد حدثني بالشر لما كلفني الخصى عن ربط عيني
وعن المكان المجهول . ولست أعرف الطريق إلى
الزلزل الذي قادني إليه . وإلا لذهبت إليه في الحال
وأهدت رأس القنبل . إنني استأخرت ماذا أفعل
أو ماذا أقول وأخشى أن يكون عندنا بعد لحظة مائة
من الشرطة فنكسف بدفع الدية أو تملق لنا
المشقة أو نرى في البحر . أشيرى على يا دلفريب .
أشيرى على يا عزيزي ! »

قالت الزوجة : « طينا أن نتخلص من هذا
الرأس قبل كل شيء ولستأحق بهذه اللهمة من غيرنا
فلنبحث عن أي إنسان يحملها عنا »

فقال الزوج : « ولكن الفجر قد اقترب وإن
تأخرنا قليلاً يفوت الوقت الذي نستطيع أن نعمل
فيه أي عمل فلننظر في أمرنا الآن »

قالت الزوجة : « لقد خطر لي خاطر في هذه
اللحظة، إن جازنا حسن الخباياز يوقدفره الآن وبعد
ساعة يتبدى في إضناج الخبز وإضناج ما لديه من

في (شال) من الكشمير وحياءنا الرجل الخياط محبة
الصيد الخاشع للسيد المهيّب ثم قبل الأرض بين يديه
وترك الثوب وذهب

فقال الخياط في نفسه : « لا شك في أن صاحب
الزلزل من أكبر الباشوات ولله صدر أعظم ،
ولو كنت أقدر الرهبة التي أشعر بها الآن لما قبلت
هذه الصفقة مهما كان ديجي منها . ومن الذي يدري
نتيجة وجودي في هذا المكان بين المطاء الدين
يظهر أنهم خرس لأنهم يذهبون ويأتون ولا يتناق
أحدهم بحرف . لقد كنت أرجو أن يقل انحنائهم
أماي ويكثر كلامهم لي . لقد سمعت أن امرأة ألقبت
في البحر منذ أيام . ومن الذي يدري لمالها كانت خياطة
بمثل هذا المنزل ولعل نصبي سيكون مثل نصيبها
لما وصل الخياط في متاجاته نفسه إلى هذا الحد
دخل الحجرة للنصوري فأخذ الثوب الثاني الذي
كان الخياط قد انتهى من خصه وعصب عينيه ، وعادا
من نفس الطريق الذي جاء به منه بعد أن أعطاه سنة
منقلة . وكان الخياط رجلاً حكتته التجارب فلم يسأل
سؤالاً ولم يستفسر عن شيء . ولما طلب إليه الخصى
أن يحمده موعداً يفرغ فيه من خياطة الثوبين وعده
بإنجازهما بعد ثلاثة أيام ، فقبل الخصى وأعطاه عشرة
جنهات

ولما وضع الرباط من عينيه أمام حانوته وقارق
النصوري حمد الله وذهب مسرعاً إلى منزله ليشر
زوجته التي كانت منتظرة بصبر فأفد بأن الصفقة
تستحق أن تسمى صفقة رابحة . وكان وصوله إلى
منزله بعد ساعتين من منتصف الليل فهنأته لمدته
سائلاً وقالت إنها استطالت مدة غيابه وتلفت بشراء
بلا يتسام ويتكرر الحمد لله . وطلبت إليه أن يصف

سيثون . لقد أرسل إلينا بعض الكفار رأس إنسان لنشويه ولكن بحمد الله لم تقع في هذه الخطيئة ولا تزال نستطيع العمل في هذا القرن ونحن سرمانحو للضمير . ولكن إذا عرف أنه كان عندما رأس لنشويه فمن الذي يرسل إلينا خبزه بعد ذلك ؟ إنني أخشى إن يشتهر هذا الخبر فنموت جوعاً لأن الناس سيقولون إننا نمودنا طبخ الرؤوس الآدمية ؛ وإذا اتفق أن وجد في رغيف شمرة فاهم سيقولون إنها من لحية إنسان »

وكان محمود شاباً يافع العشرين من العمر وقد أخذ من أبيه الهدوء وسلامة الأعصاب وزاد عنه أنه كان ذكياً ميالاً للفكاهة ؛ وبدلاً من أن يزعج من هذا الحادث عدة فكاهة عظيمة ونحك ضحكة عالية من الأسنان البارزة والعينين المملقتين في الرأس للوضوع في « الحلة » وقال : « تعال نخبأ هذا الرأس في حانوت « خير علي » الحلاق الذي أماننا عند ما يفتح الآن . إنني أستطيع أن أفعل ذلك دون أن يراني أي إنسان فأذن لي بذلك قبل أن ينتشر النور »

واقفه الأب فسار بخفة الطائر ووضع الرأس على كرسي الحلاقة كأه رأس أحد « الزبائن » وعاد ابن الخباز إلى خبزه لينظر ماذا يفعل الحلاق الضعيف البصر بهذا الرأس عند ما يراه وكان « خير علي » في ذلك الوقت يكتسب الطريق فلما عاد إلى حانوته الضيق المنظر أخذ يدور فيه لمسح المرأة والكراسي فوق ظهره فجاء على هذا الرأس وطن أن أحد زبائنه جاء ليحلق فقال : « السلام عليكم يا أخي . لا تؤاخذني لأنني لم أرك ساعة حضرت وقد جئت مبكراً جداً ومع ذلك فأرى رأسك

الأطعمة الكثيرة الموضوعة في الأواني التشابه . وإذا وضعنا هذا الرأس في « حلة » وأرسلناها إليه فانه سيشويه في الآنية كالمادة ويتركها بين مثيلاتها من الأواني حتى يأتي من يسأل عنها وليس يعرف أحد لمن كل آنية من هذه الأواني لأن صاحب كل آنية يأتي كالمادة فيستدل عليها »

فأعجب الزوج برأى زوجته ونفذ ما أشارت به وبعد دقائق كان الرأس في « حلة » منطاة بين سائر « الحلال » الموضوعة أمام باب الموقد وأغلقت الزوجان عليهما باب المنزل وناما

وكانت الزوجة مسرورة بامتلاكها للشال المكشمر الذي كان رأس القنبل ملفوفاً به في داخل الحلة

وكان حسن الخباز وابنه محمود يشعلان النار في الموقد بسرعة ، وبالرغم من أنهما كانا في هذا العمل فان محموداً وقضفاً وبنه أباه إلى عواء غريب لكعب بالقرب من الموقد وقال له إن هذا المواء يدل على حدوث أمر غير عادي »

فقال الخباز : « لا شيء من ذلك يا محمود فعدنا نستمر على عملنا »

لكن النباح لم ينقطع ودخل الكلب فأخذ يشم الاناء الذي جاء به الخباز ثم يثب على الخباز ويعود إلى شم الاناء ، فارتأب الخباز ورفع النطاء عن هذا الاناء برفق . ولست في حاجة إلى أن أسف مقدار الرعب الذي اعتراه عند ما رأى فيه رأس إنسان يمحلق إليه ببنيته ولكن الرجل كان قوي الأعصاب فلم يتركه يسقط من يده كأكثر الناس في مثل هذه الحالة بل وضعه كما كان ونادى ابنه وقال : « إن الدنيا سيئة يا محمود وفيها كثير من

لزيارة حانوته إذا ما رآه أحد ولمه خشى ألا يكون هذا السبب كافياً فناداه وأصره بأن يرسل إليه طبقاً من الشواء ليفطر به

وبعد أن أوقد بنى النار وجد وهو يكس الحانوت ذلك الرأس وكان بنى يونانياً أصيلاً كثير الكرقوى الحذر علياً بفروب الخداع والخيانة يتملق من هم أعلى منه ويظلم من هم دونه. وكان بكراهة المتأينين كراهية المقت ولكن مع ذلك يتملق أسمرهم قدراً وأضالهم منزلة

ولما أمسك بذلك الرأس بين يديه عرف أنه رأس رجل مسلم فقال : « ليتنى أجد كل رؤوس المسلمين مثل هذه الرأس فأستمتع منها أحسن شواء في الوجود . ليتني لا يبقى في الأسمانة رجل على قيد الحياة . وليت القنصور تقتنى بأجسامهم وليت كل يونان يصادفه من حسن الحظ مثل الذى صادفنى اليوم »

ثم أتى بالرأس وركله برجله ولكنه عاقد ذكر ورقمه في الحال وقال : « لو وجد هذا الرأس هنا لوقمت التكبى على رأسى لأن كل الناس لن يمتقدوا إلا أننى قتلت تركياً » ووقف مدة طويلة طالع فيها أشد ضرب من الحيرة وقال في نفسه : « لقد تذكرت ! إن الحى اليهودى خير مكان لهذا الرأس فإن اليهود هم الذين يرفعون وخدم ما الذى يبنى عمله بهذه الرؤوس »

ثم وضع الرأس تحت ثوبه ومشى إلى الحى اليهودى فوجد على يابه جسم رجل يهودى مقطوعاً رأسه وموضوعاً بين رجليه وقد جرت المادة في تركياً عند ما يقطع رأس رجل مسلم أن يضع الرأس تحت ذراعه تكريماً له . أما اليهود والنصارى فتوضع

علوفاً وأراك قد نزلت حمامتك قبل أن آتى ، ألا تخاف أن تصاب بالبرد ؟ »

ثم سكت لحظة وعاد فقال : « يظهر أن صاحبنا أصم فانه لم يبين بحرف ومع أننى نصف أعمى فأنى ساحلق له »

ثم أخذ طسته النحاسى وأعد الصابون والوسى ومشى نحو الرأس ولطست في يد والوسى في اليد الأخرى ، ولم يكذب يضع يده على ذلك الرأس للبارد حتى عاد بحركة عصبية كأنما است يداه النار وقال : « ما شأنك يا أحمى ؟ إن جسمك بارد كأنه قطعة من الثلج »

ولكنه لما مره للمرة الثانية سقط الرأس على الأرض فوثب الحلاق السكين سائحاً : « أمان ! أمان ! إذا كنت أنت الشيطان فخذ حانوتى وما فيه ودع لى حبانى وأعطينى من الحلاقة لك »

ولكن مضت لحظات لم يحدث فيها حادث فاعتقد أن الشيطان لا يد له في هذا الأمر . ودنا من الرأس فرفعه من شعره وقال : « ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟ هل تريد أن تقضحنى ؟ إني نصف أعمى ، ولكننى أعرف ما يبنى على أن أنفله إبنى سأذهب بك إلى حيث لا تضرين أحداً لجارى اليونانى « بنى الكبايى » يفرح بك ليصنع منك « كبايا » لزيانته الكفار »

ثم أخذ الرأس مغلى بمندبل في يد والثلثيون في اليد الأخرى ومشى إلى مطعم جاره اليونانى ووضه في ركن منه دون أن يراه أحد لأن الصباح كان لا يزال في أوائله وأصحاب الحوانيت لا يزالون يمتدحون ولا يبدأوا أعمالهم

ثم أشعل غليونه من موقد بنى وجعل ذلك علة

مات . وشاعت بينهم إشاعات مختلفة من سبب ذلك ولكن كلهم جميعاً كانت متفقة على أن هذه الامانة التي لحقت بهم لا يحبوها غير الدم ، وقبل إن الوزير هو الذي قتله وأتى برأسه في هذا المكان لتقع الشبهة على الجنود . وقيل إن أحد السفراء الأجانب هو الذي فعل ذلك . وأقسم الجنود برأس عثمان وبسيف عمر أن ينتقموا لأنفسهم من القاتل أياً كان وقبل أن نصف النتائج توجه نظر القارئ إلى الحالة التي كان عليها اليهود في ذلك الوقت وإلى محاولتهم الاختفاء والفرار من غضب الأتراك ونوجه كذلك إلى منظر الجنود التركية وهي تسير مسلحة في الطرقات مقسمة أغلظ الايمان أن تنتقم باحثة ممن تصب فوق رأسه جام الانتقام . ولكي تتصور هذا النظر يجب أن نعرف أن المدينة كانت على ازدهارها الشديد ضيقة الطرقات وكان أهلها جميعاً لا يشكمون في حديث غير هذا ولا يهتمون بشيء سواه وكانهم يتوقع حدوث نكبة لا تخطر لأحد يبال

في نفس الليلة التي دهم فيها الخياط إلى قصر السلطان صدر أمر سرى بقتل قائد الفرسان وقد كان ينسب إليه أنه رأس حركة التمرد التي قامت أخيراً بين الجنود

ولما كان السلطان شديد التيزم من هذا القائد فقد أمر بأن يمرض عليه الرأس ساعة قطعه لجاء به الجلاء إلى الترفة في الساعة التي كان فيها الخياط جالساً على الكرسي الذهبي ينتظر الثوب الذي سيخط مثله ولأن الترفة لم تكن مضادة بالنور الكافي ولأن الجلاء وغيره من الحاشية كانوا ينجشون من النظر إلى وجه السلطان — فقد وضع الرأس ملفوفاً

رؤوسهم بعد قطعها بين أرجلهم تحقيراً لهم ولما كان الطريق خالياً فقد أسرع بنى فوضع رأس المسلم تحت ذراع اليهودي وعاد مسرعاً إلى حانوته أما قصة اليهودي المقتول فانه اتهم باختطاف ولد مسلم وهذه تهمة توجه كثيراً إلى اليهود في تركيا وفي إيران ، وقد عوقب اليهودي بالقتل وبأن تترك جثته في الطريق ثلاثة أيام . ولم يمرؤ أحد من اليهود أو اليونان اللطيمين بالقرب من هذا الحى على الدنو منها ، فظنوا منتظرين أن يأمر الحاكم المسلم بدفنها أو بإحراقها أو بأن يقبل بها ما يشاء . ومن أجل ذلك تمكن بنى من أداء مهمته التي تقدم ذكرها دون أن يراه أحد

ولكن لما اعتلى ضوء النهار شاع أن اليهود قتلوا رجلاً مسلماً ووضوا رأسه مع رأس اليهودي انتقاماً ، وشاعت إشاعات أخرى متناقضة ، وازدحم الناس حول الجثة . وقيل إن الله أظهر معجزة إذ ظهر لليهودي رأسان ، وقيل إنه كان مسلماً في السر ويهودياً في العلانية وإنه كان بريئاً من التهمة التي وجهت إليه ولذلك ظهرت هذه المعجزة

ولكن اليهود كانوا في أشد الحيرة والارتباك لوقوع هذا الحادث ، وكان رؤساؤهم الدينيون يروحون ويشدون أمام هذه الجثة ويمقدون جلسات البحث فيها يدفع عنهم شر هذه النكبة

وبينما كان الناس يشاهدون هذا النظر المنكر وورد كل منهم ما يحسه من الاشاعات إذ صاح أحد الجنود : « هذا الرأس هو رأس قائدنا فلان رحمه الله . فتمرق عليه سائر الجنود وهمزوه ، وهاج غضبهم ، وسرعان ما انصل الخبر بكل جنود التفرقة لأنهم لم يكونوا يعلمون أن قائم الذي يمجونه قد

أنضحك على ذقن بيضاء مثل ذقني وتفهمني أنني
أت لأخيط ثوباً ثم تطيق رأس رجل مقتول ؟
إن البيت الذي قدتني إليه بيت جماعة من اللصوص
السفاهة الدماء »

فوضع الخصى يده على فم الخياط وقال : « اسكت
فانك لا تعرف عمن تتكلم »

قال الخياط : « أيا كان هذا الذي تتكلم عنه
فانه كلب كافر يستحق السنة »

فقال الخصى : « أهكذا تتكلم عن ظل الله
على الأرض يا أحمق ؟ قل لي ماذا فعلت برأس القتيل !
هاته وإلا قطعت رأسك بدلا منه »

لما علم الخياط حقيقة الأمر فتح قاه كالأبله
وقال : « أمان ، أمان ! لم أكن أعرف هذه الحقيقة
تمال مي إلى التزل فأنت تسمدني بقرينه وترفع
رأسي إلى السماء »

فقال المنصوري : « لا أستطيع التأخر فالأمر
يدعو إلى شدة الاستعجال فقل لي أين رأس قائد
الفرسان »

وكان الخياط يسمع هذا القبح ويذكر ما فعلته
زوجته فاصطكت أسنانه واضطربت ركبته وقال :
« ما أوقسى في ذلك غير القسمة وليس للانسان
أى مهرب منها »

ثم سكت . وانتظر الخصى كي ينطق بشيء فلما
لم يفعل قال الخصى :

— « هل أحرقتة ؟ »

— « كلا »

— « هل رميته في البحر ؟ »

— « كلا »

— « إذن فأستحلفك باسم النبي أن تخبرني

تحت قدي الخياط على اعتبار أنه السلطان . ثم
أخطأ الخصى فوضه في السلة بدلا من الهدية التي
كان يجب تقديمها وقدمت تلك الهدية إلى السلطان
بدلا من رأس القائد

لما عرف السلطان أن الهدية هي التي قدمت إليه
بدلا من الرأس كان الخصى والخياط في طريقهما
إلى الحانوت

غضب السلطان وانتظر عودة المنصوري فلما عاد
أمره بالذهاب في الحال ليأتي بالرأس الذي أخذه
الخياط وتوعدته بالوت إذا لم يده به ، فذهب وهو
يكاد يجن لأنه يعرف حانوت الخياط ولكنه لا يعرف
منزله . وأخذ يدور في الطرقات لعله يرى رجلا
يسأله عنه ومضت ساعة قبل أن يتذكر قول الخياط
إنه مؤذن في المسجد الصغير في سوق السمك

فلما تذكر هذه الكلمة جري مسرعا إلى ذلك
المسجد وكان قد اقترب وقت الأذان فانتظر وهو
مفقود الصبر تحت باب المسجد . ولم يمض وقت
طويل حتى رأى رجلا يقبل نحو المسجد فظن أنه
الخياط ، وبعد دقائق تبين أنه لم يكن غلطاً في ظنه
ولما وقع نظر الخياط على المنصوري ترك الواجب

الديني الذي جاء ليؤديه في المسجد وهو الأذان
وجرى كالجنون رغباً في الفرار . ولكن المنصوري
أدركه واستوقفه برفق أطعم الخياط فقال : « هل
أنت إنسان ؟ كيف تعامل مسكيناً مثل هذه الممالة
مالذي أسألك به حتى تطيق رأس رجل مقتول ؟ »

قال المنصوري : « تمهل أيها الصديق فاني
لم أرد بك سوءاً وإنما وقت غلطة يراد الآن
إصلاحها »

فقال الخياط وهو يرتعش : غلطة ؟ تقول غلطة ؟

ماذا فعلت به ؟ هل أكلته ؟

— « كلا »

— « هل هو موجود الآن في منزلك ؟ »

— « كلا »

— « هل هو مخبوء في بيت آخر ؟ »

— « كلا »

فاشتد غضب الخصى وأمسك بلعبة الخياط وصاح : « إذن فأخبرني ما الذي فعلت به ؟ »

فقال الخياط وهو يكاد يخنق لاحتباس الدموع في صدره : « إنه في القرن — إن القرن يشويه الآن »

دهش الخصى وقال : يشويه ! لماذا ؟ هل تريد أن تأكله ؟

فقال الخياط : « كلا ولقد أخبرتك بالحقيقة فإذا تريد ؟ إنه الآن في القرن والقرن يشويه » ثم أخبره بالأمر على حقيقته

فقال المنصوري : « أرى حانوت الخباز . من الذي يظن أن رأس قائد الفرسان يرسل إلى القرن ليشوي ؟ لا إله إلا الله »

ومشى الرجلان إلى حانوت الخباز وكان إذذاك يخرج الخبز نانخباً من الموقد، ولما علم غرضهما لم يتردد في إخبارهما بالحقيقة . وذهب الثلاثة (المنصوري والخياط والخباز) إلى حانوت الحلاق فسألوه عما فعل برأس القتييل فتردد مدة ثم أقسم أنه كان يظن الأمر حيلة من إبليس وأن ذلك برر ما فعله من تركها في مطعم اليوناني للكافر الذي لا بد أن يكون قدسها لأخوانه الكفار في جملة ما قدمه إليهم من الشواء فاستماد الثلاثة بالله من غضبه وضمو إليهم الحلاق ومشوا إلى مطعم بني اليوناني

انزعج المسكين عند ما رأى أربعة من المسلمين يدخلون حانوته في وقت واحد وشعر بأن حاجتهم ليست إلى الطعام بل إلى أمر آخر . ولما سأله عن رأس القتييل أنكر أنه رآه أو علم شيئاً عنه فأراه الحلاق الركن الذي تركه فيه

وأقسم بالقرآن أنه صادق وتولى المنصوري مهمة المحقق في القضية

وفي هذا الحين تنبع الخصى ما كان الناس يتحدثون به من وجود رأس ثلث لجنة اليهودي القتييل . وسمع من جهة أخرى أن الفرسان هاجموا في المدينة وأن لهذا الهياج علاقة بوجود الرأس الثاني فذهب مع الخياط والخباز والحلاق إلى المكان الذي فيه جثة اليهودي وهناك وجدوا الجثة التي كانوا يبحثون عنها

وكان بني اليوناني مشغولاً بما سيصليه فلم يضيع الوقت سدى بل جمع أمواله وهرب من المدينة ولما رأى الخصى الرأس قال : « أين اليوناني ؟ يجب أن يكون معنا ولنذهب جميعاً إلى السلطان » فقال الحلاق : « لا بد أنه هرب لأنه هو الذي منع اليهودي رأسه الثاني »

وكان المنصوري يحمل الرأس ولكنه لما رأى كثرة الجنود حوله ووجدهم يقسمون أن ينقموا من السئول أياً كان أحجم عن ذلك وأخذ شهوده معه وذهب إلى السلطان. ولما أخبر المنصوري السلطان عما حدث اضطرب السلطان لأن الحركة التي بدت من الجنود قد يتسع نطاقها فيصبح من المستحيل إخادها وقد يؤدي ذلك إلى خلعها أو قتلها فظل مدة طويلة في حالة من الشك وأخذ يقتل شاربيه ويكرر بصوت خافت لفظة : « الله ! » ثم

الفصل السادس والأربعون

مامي بابا بصير رلياً من أربلاء الله
أخيراً سمع ميرزا أبو القاسم ما تناقله الناس
عن صلاح وتقوى فزم على مقابلتي عند ما يزور
القبر الذي أنا لاجئ إليه .

ولقد كنت خائفاً من هذه الزيارة خوفاً شديداً
لأنه سيتضح منها جهلي الشديد . وقلت في نفسي
إن زعيماً دينياً مثل أبي القاسم لا بد أن يكون على
جانب كبير من العلم ولا بد أن يتمتع فيه رجلاً
مثل ذاعت شهرته ولم تتضح بعد حقيقته

ولم أكن أعرف من أمر ديني سوى أن كل
من لا يؤمن بالني محمد وابن عمه على فهو من حطب
جهنم ، وأنه لن يدخل الجنة غير المسلمين ، وأن
فريقاً كبيراً من المسلمين سيدخلون جهنم أيضاً
لأنهم فضلوا أبا بكر وعمر وعثمان على الإمام علي ،
وأن الأتراك جميعاً لن يدخلوا الجنة ولكنهم ليسوا
بنجسين مثل اليهود والنصارى

وكنت أعلم أيضاً أنه لا يجوز شرب الخمر ولا
أكل الخنزير وأنه يجب أن يصل المرء خمس مرات
في اليوم ويجب أن يتوضأ قبل كل صلاة

ومنذ اللحظة التي سمعت فيها بأن ميرزا أبو القاسم
سينزوني ، أخذت أستخدم في ذهني ما تعلمته من
أموال الدين شأن الطالب الذي قرب وقت امتحانه
وبيئنا أنا كذلك إذ أقبل على صاحبي الدرويش
وأخبرته عن سبب اشتغالي فنظر إلى وقال : « هل
عشت في الدنيا هذا العمر ولم تعرف إلى الآن أنه
لا يمكن أداء أي عمل إلا بالراحة ؟ هل نسيت
القصص التي كنت أرويها لك مع صاحبي الدرويش
صفر في مشهد ؟ »

أمر باستدعاء الصدر الأعظم وشيخ الإسلام وقد
أجمع الرجال عند ما دعيا في هذه الساعة المبكرة
لجاءوا ويرتجفان ولكن لما أخبرهما السلطان عن
سبب استدعائهما عاد إليهما الهدوء والاطمئنان
وبعد أن تداولوا مدة قرراً أن يحال الخياط
والخياط والحلاق إلى المحاكمة بتهمة التآمر على حياة
القائد وأخذ رأسه ليشوى ويحلق ويصنم منه شواء
وأن يطلب الحكم عليهم بدفع الدية . وأصدر شيخ
الإسلام أمراً باهداء رمي اليوناني لأنه رابع للتآمرين
وقد هرب وهو مسيحي لا تقبل منه الدية عن مسلم
وبعد أن تداول السلطان والصدر الأعظم تقرر
أن يبين خلف القاتل من الدين برضى منهم الجنود
وأن يقام ماتم عظيم للقائد المقتول

وقد دفع السلطان للثلاثة التهمين الدية سراً
ندفوها وعوضهم تمويصاً حسناً مما تجب لهم
من التائب . وتمت الجائزة وتمين خلف القائد وحاد
الهدوء إلى المدينة والجنود . وبذلك نفذ كل ماتم
الاتفاق عليه إلا قتل اليوناني فأنهم لم يمتروا له
على أثره

هذه هي القصة التي قصها على الدرويش ولكني
اختصرتها خصوصاً في الجزء الذي أخذ فيه الحمى
يروي على السلطان ما عرفه من أمر الجثة . ولو سردت
هذه القصة كما سمعتها من الدرويش لجاءت طويلة
جداً يحتاج تدوينها إلى سفر كامل . وفي القصص
يقضى بأن تكون القصة مختصرة بقدر الامكان وإلا
تفقد إمتاع القاري بسبب الإيجاز

ومن أجل ذلك قال لي الدرويش إنه يستطيع
أن يقص هذه القصة في شهر دون أن ينتهي منها
لأن مادتها تسع ذلك

وقلب رجته فأطال نظره إلى وسادت فترة صمت عميق ثم قال : أصبح أنك جئت إلى هذا المكان لا جئاً خشية أن يحمل بك المقاب ؟ إنني وأصحابي قد ودعنا الدنيا وودعنا ثأناك من ذلك فضولاً، ولكنني أردت أن أعرض عليك خدمتي إن كنت في حاجة إليها لأن رسول الله قال حديثاً شريفاً أوصى فيه البصر بأن يعد مساعدته إلى الأسمى وأوصى النبي بأن يساعد الفقير »

فتشجعت وقلت تصق بمد أن حورت فيها حتى حسبي السامعون شهيذاً من الشهداء وقال أبو القاسم : « متى كان الأمر كذلك فاني بأذن الله سأكون الوسيلة التي ترتفع بها مظلتك وسيزور الشاه هذا القبر قبل نهاية هذا الشهر وهو لا يرد لي كلمة فسأطلب إليه أن ينفو عنك ويرد المدل منك إلى نصابه »

قلت : « إن تراب قدميك كن لسبي وإني غطى لا أستحق هذه الرعاية من مقامك المقدس . ولكن الذي تفضله من أجلى يتفق مع رفعتك لا مع اتضاعي ومع طهارتك لا مع خطيئتي »
ويظهر أن أبا القاسم طرب من هذا الدبح الذي كانه جزافاً فقال : « كلناك وتستنك ندلان على أنك واحد منا يا حبيبي . والأفتياء يعرف بعضهم بعضاً كما يتعارف طائفة من الكفار يطلقون على أنفسهم اسم « اللاسونية »

هنا صاح الطلبة إعجاباً بلم الزعيم : « الله أكبر لا إله إلا الله » واستمر الزعيم يخاطبني فقال : « من هذا الدرويش الذي منك ؟ لقد سمعت أنه يقول عنك وعن نفسه إنكما جسيان لما زوج واحدة » فلم أعرف بماذا أجيب وترددت بين

قلت له : « إنني لم أنس حرفاً مما قلتموه لأنني جلدت في ذلك العهد وليس في الدنيا شيء يقوى العدا كره ويشحذ الدهن مثل عصا الجلاذ . ولكنني الآن لست ممرضاً لما بل للرجم بالأحجار فقل لي يا درويش ما الذي أفعل ؟ »

فقال : « إذا كنت لا تستطيع أن تتبعج بالعلم وترتكب إليه الواقعة في الجدل فاعليك إلا أن تازم الصمت فلا تجيب . ومن الذي يستطيع أن يعرف مع صمتك أنك حمار ؟ إنني أأخذ فيك أيضاً إذا أنت لم تتكلم »

قلت : « فليكن ما تشي به يا درويش ... الله كريم »

ثم أطرفت وتذكرت قصة من قصص السمدي ضمنها ذكر ما ينبغي على الدرويش أن يعرفه فتشجعت وعزمت على اتباع ما أوصى به السمدي في هذه القصة .

ولم تمض إلا مدة وجيزة ثم جاء أبو القاسم ومعه تلاميذه فأقاموا الصلاة في محن الدفن ولما أحسست بمجيئهم وقفت أصلي في خلوتي ولما انتهت الصلاة خرجت فرائته جالسا بين تلاميذه فجلست معهم ورأيتهم ينظرون إليه نظرة تقديس فأزمت نفسي أن أنظر إليه تلك النظرة . وبدأ يلقى درسه ونحن جميعاً كمنصتون إليه . وفي وسط الدرس دعاني إلى الاقتراب من مجلسه والجلوس على طرف سجادة كالخامسة من القريين إليه ففضلت بمد أن قبلت طرف ثوبه في خضوع ورحمة فقال لي : « مرحباً بك ؟ لقد سمعنا كثيراً عنك وإن شاء الله بارك في خطوانك . زد دنواً مني »

فأجبت على ثنائه على باستغفار الله من ذنوبي

علامة للاشتزاز أو الهشاشة ولا للسرور أيضاً لأنه لو بدأ ذلك لعل على أنني كنت أجهل ما سمعته. وأخذ الشيخ يلمن للصوفية متحمساً حتى قلت أنه لا يتردد في قتل أحدهم لو كان حاضراً في هذا المجلس

ولما انتهت خطبة الشيخ استأذنته وتركت مجلسه عائداً إلى خلوتي. ولما قابلت صاحبي الدرويش بعد ذلك أهدت عليه ما سمعته خصوصاً عن الدراويش وقلت له إن الشيخ لا يريد أن يرجعه

فقال: « إنه وتلاميذه أولى بالرجوع لأنهم صفاكو دماء وليس يهمني شيء من الخلاف بين السنية والصوفية وأهل الشيعة مادمت أقيم الصلوات وأجلس؛ ومع ذلك فاني سأترك لهم مدينتهم المعاصرة بالرياء المجردة من كل شيء سواء ولني أعود إليها طول الحياة »

وإنى لأعترف بأنني لم أسفلاً أخبرني به الدرويش من عزمه على ترك المدينة ووددت أن أقدم فاضح عصاه في يده وجرا به فوق ظهره وأشيته إلى الباب مودعاً ولم يطل عهد هذه الأمنية فانه فعل ذلك من تلقاء نفسه في اليوم التالي فأراك في الخلوة. وقلت في نفسي ساعة ذهب: « اذهب لا أرجعك الله من وقد طروب، أنت في نوسك أو فرحاً من الأغنياء مادمت قائماً بالسيرة إلى حيث تحمك قدماك كالدين أرام أرقاء لألف مطلب يطمون أتباعهم حرصاً على الجاه »

الفصل السابع والأربعون

الدرويش يسرر حاجي بابا

لم يكن يشغل ذهني في ذلك الوقت غير الوعد الذي وعدني به أبو القاسم بأن يستصدر أمر العفو عني من الشاه. وقلت في نفسي ما دمت أرجو أن يداخ عني فلا بد من إرسال هدية إليه حتى يذكرني

الاعتراف بصداقته وبين إنكارها لأنني لم أتبين شعورهم نحوه. ثم قلت بعد تفكير قليل: « إنه رجل فقير وقد سمحت له بالإقامة معي وهو أدى لي خدمة يسيرة فلم أنساها له »

قال أحد الطلبة الجالسين بجني: « لا تنس نفسك فإن هؤلاء الدراويش فيهم الاصل والوعد ومرتكب كل جريمة »

فقال أبو القاسم وقد وضع يده على خصرته، وتلك علامة بمرضاها تلاميذه فيه إذا أراد أن يتكلم: « نعم إن هؤلاء الدراويش سواء كانوا من أتباع نور على الشاه أو من البعيدين أو من اللعشنة الذين قاتلهم جميعاً من المناقبين الذين لا يستحقون غير اللوث، وأكثرهم يصل بغير وضوء ويأكل الناس ويتظاهر بالصيام في رمضان وهو مفطر. وفيهم من يجاهر بأنه ما دامت العبرة بالقلوب فلا داعي للأموال الصاعدة ويكنى المرء إيمانه، وفيهم من يؤمن بأفكار ولكن يكتفر بالأحاديث ولا يتبع ما أمر به النبي. وفيهم من يصبح بلفظة الجلالة حتى يخرج الأزد من شذيقه أو يصبح بصوت منكر ويد ذلك من الدين. ومنهم من ينزع عنه الثياب ويمشي عارياً حافياً ويؤمن أن ذلك تعبد لله مع أن النبي والصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك. وأصبح جماعة فيهم للصوفية قاتلهم أبعد الناس عن رسول الله وإنما يشبه الله إنساناً ليقننني به الناس فلعنة الله عليهم » فقال تلاميذه: « آمين »

واستمر يقول: لعنة الله على الشيخ الطاهر وعلى جلال الدين الرومي. فقال تلاميذه: آمين ونظر إلى تلاميذه ليروا تأثير هذا القول في نفسي وقد كنت أكثر حذراً منهم فلم يروا على وجهي

نفسك لم تزل باقية فاحمد الله لأن الحياة بعد كل شيء
ليست بالنعمة الرخيصة »

قلت في نفسي : ما هذه التمزجة للباردة ؟
إنني أعلم أن الحياة ليست بالنعمة الرخيصة ولكن
هل ترد هذه المعرفة مالى الذي سلبه الهرويش ؟
وطلبت إلى هذا الصاحب أن يبلغ أمرى إلى
أبي القاسم ويمتد إليه عن تأخرى في إرسال هدية
إليه ، لأن ذلك لم يكن في وسعي ففارقني واعداً
إلى بأن ينقل إليه ما معه منى

وفي نفس ذلك اليوم علمت أن الشاه وصل إلى
مدينة « قم » وفرش للدفن بأغفر السجاجيد بعد
أن كنس وغسلت أرضه بلاء ، وكنت في ذلك اليوم
على أشد حالات القلق لأن الساعة التي يتقرر فيها
مستقبلي قد دنت ، ولأن أميد غيبي عن طهران قد
طال وأصبحت حياتي في هذا المكان محولة ، وكنت
أجهل مقدار ما يشعر به الشاه نحوى من البغض ؟
وكنت في ساعة أظن أن الشاه لن يكتفى بشيء أقل
من قطع رأسي . وكنت في حين آخر أندفع في
سبيل الغرور فأرى أن الشاه لا يستطيع أن يأمر
بقتلي لأن لي سنداً قوياً من ميرزا أبي القاسم

ولما دخل الشاه هذا المدفن أظهرت نفسي
لحاشيته وسالت « لهم فرددوا سلامي فأطمان قلبي
فذلك كل الاطمئنان . وأخبرني أصحابي بكل ما حدث
بالقصر بعد غيابي عنه . وعلى الرغم من أني كنت
أكبت على نفسي أن أتزهد والأعيا بشيء في الحياة
فقد كنت أجهد دوافع الرغبة قوية في نفسي لسماع
هذه الأخبار

وأخبروني أن رئيس الجلادين عاد بعد اللوائح
التي دارت مع الروس وأحضر معه رأس رجل

لأن الابن لا يكاد يذكر أباه في هذه البلاد حتى يرسل
إليه هدية

وكنت حريصاً على المال القليل الذي جئت به
إلى هذا المكان فدفعته بركن قريب من الباب حتى
أصير في حاجة إليه فلما ذكرت الهدية ذكرت المال
فقلت إلى ذلك الركن لأتفقده . ولا يسأل القاري
عن مقدار دهشتي وجزمي وغضبي لما وجدت المال
مفقوداً كله . وكانت الثمنات على رأس الهرويش
الذي كان منى في هذه الخطوة لأنه لا يمكن أن تصل
إلى هذا المال يد غير يده . ودعوت الله بأن تصير
حجابه مرة صهارة حزني لأنني ما كنت أطمح في شيء
أحب إلى من فك أسرى . ولكن ذلك أصبح عديم
الجدوى بغير المال . وماذا يمكنني أن أفعل إن ردت
إلى حريق وليس منى قوت بوى سوى أن أصير
شعاعاً ؟ واشتد جزمي من الموت جوعاً فذلك من
شر ضروب الموت

ولما كان اليأس بطبيعته خير علاج للعزف فقد
أنساني يأمني من ضياع حزني على موت زينب ، ثم
أنساني حزني من الاضطراب إلى لزوم هذا السجن
الاختياري ونسيت في النهاية حزني على خسارة
الحال . وبلغت في شدة اليأس في النهاية حداً
احتقرت معه الحياة حتى أنه لو وصل إلى يدي سم
في هذا الحين لما تأخرت من تناوله

وفي ذلك الوقت زارني الطالب الذي كان قد
حضرني من الهرويش فشكوت إليه أسرى ووجدت
لنفي فرجاً من بث هذه الشكوى إليه فقال لي :
« لا تحزن يا أخى فانت تعرف أن الله يتلى الصالحين
من عباده ليتبين الصابر من الجزوع فلماذا تترك
الجزع يتمكن منك ؟ إن مالك قد ذهب ولكن

ملك الملوك سيد العالم . أنا أطلب الرحمة باسم
فاطمة الزهراء .

فنظر الشاه إلى أبي القاسم وقال : « من هذا ؟
فقال أبو القاسم : « هو لاجئ ، إلى قبر فاطمة
وهو ينتظر أن يفي عنه وفقاً للعادة التي جرت عليها
هذه البلاد مع اللاجئين إلى القبور المقدسة . وهو
ومن جميعاً فذاك بإجلالة الشاه ومهما أسررت
فأسرك نافذ »

قال لي الشاه : « من أنت وماذا فعلت حتى
لجأت إلى هذا المكان ؟ »

فقلت : « جعلني الله فداك . أنا كنت مساعداً
لرئيس الجلادين واسمى حاجي بابا وقد جعلني أعدائى
مجرماً في نظر مولاى الشاه . ولكنني في الحقيقة
بريء » ...

فنظر إلى الشاه نظرة طويلة ثم أطرق لحظاً وقال :
« إذن فأنت حاجي بابا ! سواء كنت أنت المسئول
أو رئيس أطباء فان النتيجة واحدة وهي أن كرامة
الشاه قد استهين بها »

ثم نظر إلى أبي القاسم وقال : « بماذا تشير في
أمر هذا ؟ إن الشاه قد جارية من جواريه ولها دية
يجب أن تؤدى عندها حتى للروس واليهود فكيف
نضيق دية جاريتي بين الطبيب وبين مساعدا الجلاد »
قال أبو القاسم : « حكر الشرع في ذلك أن تدفع
الدية إلا إذا نزل عنها ولي المم وأنت يا مولاى ولي
المم فلك أن تغفر . وأجدر بك وأنت في مقام الملك
أن تقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم تغفرو
والغفو أفضل »

فقال الشاه : « فليكن كما أشرت » ثم التفت
إلى وقال : « لقد عفوت عنك ولكن لا ترن وجهك
بشد الآن . اذهب من هنا »

« يتبع » عبد اللطيف الشام

ورأس امرأة فقبل الشاه منه هذه الهدية ورضى
عنه واستأبجه عن شرب الخمر

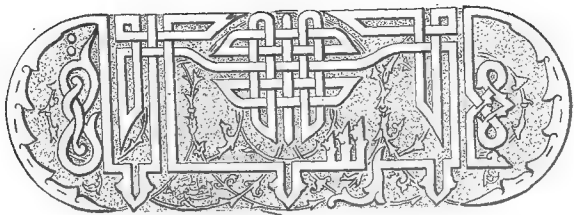
وأخبروني أن أسراً حبي قريباً قد اشتهر وصار
حديثاً للناس ، وأن سيدى القديم ميرزا أحد وجد
جفوة من الشاه فاستمر يرسل إليه الهدايا لعله يبعد
لديه عطفاً ، وأن غضب الشاه لفقدان الجارية الكردية
قد قل كثيراً لأن رئيس الجلادين أهدى إليه جارية
أخرى وأنه افتتن بها . ووصفها بأنها أجمل جارية
رأها من عهد « طاووس » التي كانت تضرب
بها لها الأمثال .

وكان الشاه مقبلاً في خيامه خارج المدينة . ولست
أريد وصف استقباله لأنه لم يراع فيه الأبهة التي
ترامى في غير هذا المقام . أما والقرض من هذا
السفر هو زيارة قبر فاطمة الزهراء فقد ظهر الشاه
بمظهر التي الروح الزاهد في مظاهر الحياة . وكانت
سياسته تقتضى على الدوام بمسألة رجال الدين لأنه
لم يكن يجهل قوة نفوذهم على أذهان الشعب ، ولم يكن
من الغرور بحيث يتصور أن قوة جنوده تستطيع
التغلب على الشعب إن ناز

وكان أول شيء فعله عند ما وصل إلى (قم) أن
ذهب على قدميه إلى منزل ميرزا أبي القاسم فزاره
فيه ومشى كذلك في طرقات المدينة وأرسل نذوراً
كثيرة إلى قبر فاطمة الزهراء

وكان الشاه يوم وصوله إلى المدفن مرتدياً ثياباً
صوداء وحوله رجال الدين في مثل هذه الثياب .
وكان مجرداً من كل حلية اعتاد أن يتحلل بها من
قبل حتى خنجره

وكان ميرزا أبو القاسم يمشى ورائه بخطوة
أو خطوتين . وكان يتكلم والشاه يصني إليه .
ولما صر من أمضى سجدت وقلت : « أنا في حماية



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْمِيُّ فِي النَّشْءِ اسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصُّدُ ظَوَاهِرِ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلُوعَةُ أَعْدَادٍ هَادِيُونَ الْعَرَبَ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجَلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتران الرافضى ستون قرشاً ، والخارجى ما يصادى هنيهة مصرى ، وللبدور العربية بمجموع ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هي سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

إدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والنقد

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٠ المحرم سنة ١٣٥٧ - أول مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥١

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة

١٧٠	الكرة	أفصوحة مصرية	يقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
١٧٩	كاتب شانون	للكاتب الإنجليزي آرثر كونان دويل	يقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١٨٧	انتظار	للكاتب الفرنسي جورج مورفير	يقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
١٩٠	الرجل الحفي	للكاتب القصصى جابر كيت تشستر	يقلم الأستاذ عبد الحميد حدى ...
٢٠٣	ذكرى امرأة	أفصوحة مصرية	يقلم الأديب عبد الحليم المشيرى
٢٠٩	حاجى بابا أصفهانى	للكاتب الإنجليزي « جيمز مور »	يقلم الأستاذ عبد القظيف النشار

السكر

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسَازِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفُوظٍ

انفراده بوالده في اليوم الثاني
وسأله بلهجة تم على الحق
والانكار :

« لماذا أجبرتني على العودة
ولما أتم تلميذ ؟ »

فتشهد الرجل حزينا أسيفا
لأنه لم يسمع هذه اللجة الوخلة
منذ أربع سنين ، ولكنه لم

ينضب لأنه كان أعلم الناس بمن يخاطبه ، ولم يد أن
يستحث الصدام ، فتشغل بالنظر إلى بعض الأوراق
الموضوعة على مكتبه ، وضاعف عدم إكترائه من حق
الشاب فاستطرد يسأله بجد :

— لماذا أجبرتني على العودة ؟ .. ولماذا هددتني
إذا لم أصدق بأمرك بمنع النقود عنى ؟

ولم يجد الرجل بدا من القول ، فقال بهدوء :

— لأنى لا أريد أن تضيع أموالى فى حانات

باريس !

فتظاهر الشاب بالهشة وتعامل :

— ومن قال لك إن أموالك تضيع فى حانات

باريس ؟

لجده الرجل بنظرة قاحصة وقال :

— جميع الذين سافروا لزيارة ممرض باريس

هذا العام تشرفوا بمشاهدتك وأنت تراقص الفاجرات
وتترنح تملا !

فقال حمدي بنضب :

— يؤسفنى أن أقول إن معلوماتك كاذبة !

ولم ينضب الأب لأن الحوادث علمته أن يتعامل

فى مثل ذلك اليوم بمنى للفرح . كيف لا وكان
يوم عودة النجل المحروس من أوريا بعد غياب
أربع سنين ذهبت فى طلب العلم ؟ ... واحتفت
أسرة الحلبي بالمواد الحيد احتفالا جمع أشتاتها البميرة
فى أحياء القاهرة ، فسام فيه الأعمام والمهات
والأخوال والخالات ، وتبدلت فيه الهانى ودارت
أحاديث الأشواق والمضى ... ولكن — علم الله —
لم يكن حمدي الحلبي مسرورا ألبنة ، بل لا تفلو إذا
قلنا إنه كان غاضبا محمقا مضطكا ، لا يرغب فى أن يرى
وجها من الوجوه التى تحببه بالابتسام والكلام ،
ورؤيته غاية الايذاء أن يضطر إلى مجاملتهم بالحديث
تارة وبالضحك تارة أخرى . ولعل النجبة الوحيدة
التي صدرت عن فؤاده كانت تلك التي حباها أمه ،
أما أبوه فكان يتمتع بأكبر قسط من سخطه أو كان
على الأصح العلة الحقيقية لحقنه وتبرمه ، ولذلك كان
يربقه بنظرات تنطوى على الحقد لم يخف سرها
على الرجل الزين وإن خفيت عن أعين الحاضرين
ولذلك لم يدم بينهما الواد — وهو ما يوجب
اللقاء بعد البعاد — طويلا ، وانتهز حمدي فرصة

— أنت تسمى في الظن هذه المرة بشيروجه حق .

— كلا يسيدى ، أنا أعلم كل شيء على حقيقته

وسأبين ذلك بالهليل للقاطع إنك سافرت

لنتحقق بكلية الحقوق والتحقق بها فعلا في بادئ

الأمر ثم تحولت فجأة إلى كلية الآداب فلسافا

فلت هذا ؟ . . . أرجو ألا تسارع إلى تكذيبى

فالذى أخبرنا بذلك صديق أخيك هام الدكتور

فهم وهو كما تعلم كان زميك في كلية الحقوق

وقد عاد هذا العام بعد أن نال الدكتوراه اقل

لماذا قلت هذا ؟

وعلى الشاب على أسره ، وبدت على وجهه

الحيرة ، ودل مظهره حينا على أنه يقاب الضحك ،

وقال : « رب إنسان لا يعرف حقيقة ميوله إلا بعد

التجربة ، وهذا ما حدث لي بالضبط ، فقد نظمت

قصيدة أول صدي يباريس في وصف السين نالت

إعجاب أصدقائى جميعا ، فحملنى إعجابهم على التحول

إلى كلية الآداب . . . فما الذى يفضيك في هذا ؟ »

فهم الرجل رأسه هائلا وقال :

— أنت لا يمكن أن تعرف نفسك ميلا ، لأنك

متعدد الميول ، متقلب الأهواء ، هذه هي الحقيقة

التي تملأها من حياتك الفرية . ألا تذكر — وأنت

طالب ثانوى — أنك كنت صادق النية على الالتحاق

بالقسم العلمى ؟ وكانت أمرك أن تصير

طبيباً فيما بعد . . . ولكن حدث أن ضمت حامياً يلقى

خطاباً في مجتمع عام فتغيرت آمالك دفعة واحدة

والتحققت بالقسم الأدبى وأبيت إلا أن تصير حامياً . . .

ابنه بماملة الأطفال أو المجانين وقنع بأن هر كتفيه

استهانة وقال :

— انتهى الأمر وفشلت التجربة

فصاح الشاب به غائبا متجاسا :

— لا تقل فشلت . . . إنك تهتم مستقبل يديك .

فلم يمسأ الرجل بنفسه وقال بصوت أسيف :

أنت يا حدى مثال الطيش والثرق ، والحق أنى

في أحيان كثيرة أخالك مجنوناً أو ممتوها . . . أذكر

حياة تلمذتك الأولى التبية ؟ . . . كنت أتعذ طفلا

حدا ، ولكن ما كنت ترى لبل إلا في الحانات ،

والواخير ، وكنت بين أصحابك جواداً كريماً تجود

عليهم بما تملك يدك ، أما أهلك الأثريون فكنت لهم

سوط عذاب فلم يسل من أذاك منهم أحدا لا إخوانك

ولا أمك ولا أبوك ، ومهما يكن فقد نجحت

في البكالوريا بعد مر المحاولات وكانت معجزة

لا أدري كيف حدثت ، ولكنك منيت بفشل قاهر

بعد ذلك في كلية الحقوق حتى تخرج منها أقرانك

وأنت ما تزال في السنة الأولى ، وأكتشفت على حين

فجأة أن مستقبلك في فرنسا لاق مصر . . . وألححت

على في السفر لنيسل أجازة الحقوق ، وسلم الله أنى

ما وثقت برعوك قط ولكنى إزاء محاولتك الاعتذار

وتضرع والندتك وافقت مثلوباً على أمرى على السفر

وقلت لنفسى : فلا أجرب هذه المرة أيضاً لمل حسن

الحظ يحجب تقديرى ولكن وأسفاه صدق تقديرى

وخاب حظى . . .

فزاغ بصر الشاب وقال محتجاً :

وحدى هذا إنسان غريب ، وربما أدى تعريفه
خير أداء أن نقول إنه جهاز عصبي حساس تتحرك
فيه خرائط وعواطف طليقة من أى عقل أو إرادة .
أو أن نقول — إذا أردنا أن نرضى علماء النفس —
إن عاطفته تسخر عقله وإرادته ، ولكأنه عربة
ينطلق بها جواد جامع ومقعد السائق منها خال ،
فهو دائماً منفصل ومتأثر إما لحزن أو لفرح كبير
تهب الريح ، ولني تنظر في حياته بنظام مما يوصى به
العقل ، أو بميل أو إنتاج مما تحمسه الإرادة ، وإنما
تزدحم المواطن والأحاسيس في وجدانه كما تزدحم
الأخيلة الشاردة في رأس الحالم دون أن تترك أدنى
أثر ، ومن هنا جاء تناقضه وتقلبه اللذان جعلانه
مخلوقاً مضحكاً يستدر الزمان في كل حين ، فكان
يتوهج ابتهاجه أحياناً من ذكاء وقاد نخاله نبوغاً
وموهبة ، ثم لا يلبث أن ينطفئ شغفه ويظلم نوره
فتظنه عنها وبلاهة ، وكان يندفع في أوقات كثيرة
إلى العمل بهمة تبشر بالنجاح وسرمان ما يتقلب
قريب موعد الامتحان منزعج الثقة مفرق المزجة
يفر من صرامة الواقع إلى لغة الأحلام في الخانات
ومواطن الريب ، وربما بلغت به الحاسة حد الثورة
والنرد ، فيقوم المظاهرات ، ويرى رجال البوليس
بالجسارة ، ويحطم الصاييح وعربات الترام فيعد
بحق من زعماء الطلبة ، ولكن إذا حدثت عن توتره
بعد يوم أو يومين هزي بك وبف نفسه وبمبادئ
الوطنية والأخلاق جميعاً ، ومن هنا أيضاً تعددت
مشروعاته وتوهمت مقترحاته وتوزعت الأحلام ، فتارة

ومع ذلك فهذا لا يمنني كثيراً بقدر ما يعني أن
تنجح في أى فرع من فروع الحياة ... فلم لم تتأثر
على دراسة الآداب ما دمت اكتشفت في باطنك
شاعرية جيدة ... ؟

فقال الشاب بحماس مصطنع :

— إنى أنا يا أبى ... ولولا أنك قطعت على
طريق ...

ولكنه قاطعه قائلاً :

— كلا ... كلا ... لقد ثبت لى أنك انقطعت
انقطاعاً كلياً عن الجامعة منذ عام أو أكثر ...

فقال بحدة :

— هذا كذب ...

— بل هذا ما قاله لى جميع من أوصيته
بالاستسلام هناك من زائري مرض باريس ، وهو
ما يؤكده الدكتور فهم وإن شئت واجهتك به ...
لقد فشلت التجربة الأخيرة ...

وكانت المسألة بالنسبة إلى الأب لا تسمى سوى
فشل تجربة نهائية ، أما بالنسبة إلى حمدى فكانت
مسألة حياة أو موت ، أو هكذا صورها له خياله
المجنون . ولم يكن الذى يترج بنفسه إلى باريس أنه
ودع بها آمالاً مخوفة بالخطر ، أو مستقبلاً يرجو
أن يتهد به الجسد والمثارة . ولكن الحق أنه ترك بها
قلبه الفنون ، وجهه المضطرب ، وجته المفقودة ،
ودنيا أحلامه ، وصرع جنونه ، حتى لكأنه ترك
بها عالماً طليقاً لا يخضع لقانون طبيى أو تقليد
إنسانى ...

أيا طرب وسأل نفسه في حيرة ألا يجوز أن يكون شاعراً بالنظرة؟ ثم أجاب نفسه قائلاً: بل إنه لشاعر وإن مستقبله الحق لنى الأدب والفن لا في القانون. ونحول بلا أدنى تردد إلى كلية الآداب بالسربون وانتقل من دريجون إلى باريس وأقبل على دراسته الجديدة بمثل ما أقبل على دراسته الأولى من الحاسة وللمزم واستمع إلى المحاضرات بشغف عجيب، وما زال مثابراً مجتهداً حتى اليوم السعيد الذي التقى فيه بمرجريت، الفتاة الراقية الحسنة، التي جاءت باريس لزيارة أختها. فكان حب، لأن عاهة السببية أن يحب كل امرأة يلقاها في طريقه ولكنه كان على أية حال أول غرام له في باريس فكان له في قلبه لحن جميل جديد، واستبقى الفتاة في باريس، وطاشرها على شريعة المحوى وسنة الطبيعة ونسى بها الدنيا والدين والشمر والأمال وأخذت حياة باريس تنمكس على روحه — خلال عيني مرجريت الساحبتين — جنوناً وقتونا وهياماً وإحابة. ولما كانت الفتاة فقيرة بأئسة فقد آمن بالشيوعية ولم يحاول قط فهمها أودراسيتها ولكنها استقرت في قلبه ثورة على الأغنياء — ناضياً أو متناشياً أنه واحد منهم — وكفرا بالله وبرسله وازدراء للأخلاق والفضائل. واستسلم للفرام بين أحضان حبيبته وناش حالاً كافراً مجنوناً حتى بنته أبوه رسالة حازمة خيرة فيها بين المودة حالا إلى مصر أو اللوت جوعاً في باريس، وجن جنونه وثار وغضب ولعن وهدد وتوعد، ولكن شيئاً من هذا لم يجده نفماً. واضطر في النهاية إلى

يعد المدة لإنشاء ناد رياضي كبير، وثارة بعمل فكره لاختراع مجلة أسبوعية، وثالثة يدعو إلى تكوين جمعية تهذيب الأخلاق أو تشجيع التجارة الوطنية، وربما خطأ الخطوات الأولى لتأليف كتاب أو كتابة مقالة، ولكنه لا يثابر على شيء ولا يثبت على حال

على أنه كان شخصاً محبوباً، يتمناه عارفوه ويشفقون محضه غلظة روحه وحضور نكته وغرابه أطواره ولكنه كان مع أصدقائه كما هو في حياته مثال التقلب والجنون، فقد يلازمهم أياماً وأسابيع ثم يهجرهم هجراً طويلاً بلا أسف كأنه يدمم بعض لسانه أو أهوائه أو مشروحاته، ولكن ندر أن يجد عليه صديق لأنه في رأيهم جميعاً الطفل الطائش الذي لا تريب عليه مهما قال أو فعل، ولأنه الإنسان الطيب الذي لا يلقى بقلبه مكر أو خبت أو سوء نية، ومع هذه الطيبة البالغة والظرف النادر فقد حاول الانتعاز مرة وضرب أباه بالكركسي في مرة أخرى وبهذه النفس الترية سافر إلى باريس طلباً للعلم الذي يئس منه في القاهرة! وكان جاداً فنيا اعترم لأنه كان يود لو يختم حياته الدراسية ختاماً مشرفاً، والتحق بكلية الحقوق بديجون وهو يتوقد حماسة ونشاطاً، وزار باريس يوماً وشاهد السين فهاجت قريحته ونظم أبياتاً شمرية في وصفه كانت أول ما نظم في حياته من شعر، وما كانت صادقة الوزن ولا ذات جمال أو رواء ولكن أثنى عليها — لمة — جميع من سمعها من أقرانه، وأطربه الثناء

ولكن الرجل كان ثابتاً كالجليل ، قاسياً كالصخرة ،
وقال له بحزم :

— لا نصد إلى هذا الحديث مرة أخرى !
وانفجر حمدي غضباً وتلبسته حالة جنون غير
غريبة عنه وصاح بأبيه :

— لماذا تترض سبيل نجلى بقسوتك ؟ ...
لماذا تريد أن تستدلى لارادتك الممياء ؟ .. أنا أعلم
بالسبب الذي يجعلك تستهين بأمانى ومستقبل ...
هو حرصك المقيت على مالك الذى لا يمد ولا يحمى ..
أنت رجل صحيح بخيل يقتل فيك حب المال الأبوة ..
ووجع الوالد وأخذ ، واتفق قلبه غضباً ولكن
لم يمد على وجهه أثر مما يتقد في نفسه ، وقنع بأن
قال بهدوء ساخراً :

— يا لها من فراسة !
— أفسخر منى ؟ ... يلد لك أن تهزأ بي في
بأسائى ... حسن ، سأعرف كيف أقتم منك ...
سأنتهر ... نعم سأنتهر وسترى ...

فقال الرجل بهدوء غريب :
— افضل ما بدا لك
فتنظر إليه بعين محقق منيظ وقال :
— أيهون عليك موتى من أجل بضعة جنينيات ؟
فقال الرجل :
— نعم ...

هل ينسى الرجل ما يقول ؟ ... هل أشقى منه
على اليأس حقاً ؟ .. أما هو فلم يهدد بالاتجار هذه
المرّة وهو يعنى ما يقول لأن للحياة عنده قيمة جديدة
لم تكن لها من قبل ... كيف لا وفيها مرجريت

هجر عشه السعيد وهو يعنى نفسه وحييته بسود
قريب ... ووجد نفسه أخيراً في القاهرة وفي البيت
القديم الذى رأى فيه الدنيا أول ما رأى . وعاد إلى
جو التقاليد والدين والهدوء واستقر في الملكة
الصغيرة التى يتولاها أبوه ويحكم ... وأحس بضيق
وسقم .. كيف يرضى بالقاهرة بعد باريس .. كيف
يطعن إلى الظلام بعد النور ؟ ... كيف يخلو إلى
برودة الوحشة بعد حرارة الحب ؟ .. كيف يروض
نفسه على الظلم والدين والتقاليد بعد أن ذاق جنون
الحرية والاحاد والاباحية ... ؟

وها هو ذا والده يبرف الحقيقة من أفواه المليون
التي تبها حوله في باريس وبصر على أن التجربة
فشلت ، ويقسم ألا عودة إلى فرنسا بعد اليوم ...
فا العمل ؟ ... هل يتنامى مرجريت ؟ ... هذا
مستحيل ، بل هذا جور لن يسكت عليه أبداً

ولاح له أن يدعوها إلى مصر ، وفضلا كتب
إليها يقترح عليها الحضور ، وواقت الفتاة ولكن
برز لها عائق من ناحية السلطات التى أبت
عليها دخول مصر ولبا في يأسه إلى آخر وسيلة
فأراد أن يستقد عليها ولكن ذلك لم ينفعه شيئاً
ونصح له رئيس (فلم الباسا بورتات) بالمغول عن نيته
وسوأها له ...

وسقط في شرك القنوط وتلفت بمنة ويسرة فلم
يجد سوى والده ، لماذا لا يسيد عليه الكره ؟ عسى أن
يلين له بعد شدة ورضخ بعد عناء ، وقآحه في مسأاته
مرة أخرى وتضرع إليه وتوسل ووعدته ومناه ،

ذلك الورق الساحر الذي يسيطر على المصائر
ويتحكم في الأقدار ، وتعلق به آمال الانسانية ،
ما أحراه أن يطير به إلى القلب الذي يخفق له على
سيف البحر الأقمى ويلج به أبواب جنته المفقودة
ومنية أحلامه : باريس ... يا عجباً ... أيعجمه ومفتاح
سعادته بيت واحد ... ؟ أتكون سعادته قريبة منه
إلى هذا الحد ولا يستطيع لها طلياً ؟ ... ولكن
كيف السبيل إليها ؟ ...

وكانت خواطره من قبيل الهنئين ولكنه ألقى
سؤاله الأخير بشموه من يمين ما يقول ، ومن يجد
في الأمر جدلاً : نعم كيف السبيل إلى الأوراق
الساحرة ... ؟

هل يعاود الرجاء والتوسل ؟ ... أم يستعين
بوالده ؟ ... وهنا له البأس خلف هذين الرأيين
فدلل منهما وهو يتهد حسرة وألماً ...

لماذا لا يستولى على المال بنفسه ؟ ... ينتظر في
حجرته حتى يصمد أبوه إلى عذده ، ويهبط في حذر
إلى حجرة الكتب ويصالح بابها ويفتح أدرجها ،
ولكن ما العمل إذا وضع الرجل ماله في حافظته ؟
تتعد ولا شك السائلة وتتوافر الصموغات ولكن
لا يستحيل ابتناء الوسيلة إلى غايته ، إن والده يملن
ثيابه على مشجب قريب من الباب ، فإذا فتح الباب
في سكون استطاع أن يبلغ يديه جيوب البذلة
والمنطف وأن يبحث فيها عن ضائته ...

وتحفر لتنفيذ أفكاره فوضع الطربوش على رأسه
وأطفا المصباح ، ولبت ينتظر في الظلام سمود أبيه

الجنينة ؟ ... ولكن ما بال أبيه ينف حجر عثرة
في سبيل سعادته ؟ ... ياله من رجل كره ! ...
أيجوز أن يحيا شيخ كبير ليشق بجمانه شاب
يافع مثله ؟ ... ولم لا يذهب ويخل السبيل لنيره ؟ ...
إنه أب يكره ابنه فينبني أن يكرهه ابنه كذلك ...
هذا هو اللدل ...

ولم ينتهر ولم يشرع في الانتحار ، وقنع
بالتسكع في عماد الدين وبمراسلة صر جريت ، وبانتظار
ما يأتي به الفند غير مستسلم كل الاستسلام إلى البأس .
وفي مرة - وكان انقضى على عوده شهر
وأيام - قابل أخاه هام في عماد الدين وعلم منه أنه
ذاهب لمصرف سك لوالده بمبلغ خضباة جنيته ...

وابتمس حمدي ساخرآ وتهد من قلب مكوم ...
لو عهد إليه الرجل بصرف هذا المبلغ لكشف عنه
الكرب في دقائق معدودات ، ولكنه لا يثق به
ولن يثق به أبداً ... خضباة جنيته ! ... ياله من
مبلغ ... ترى لماذا سحبه الرجل البخيل ؟ ... إن
عادته أن يضغ في المصرف لأن يصحب منه ، فلماذا
غير عادته على كبر ... ؟ هل خرف ... ؟ !

وعند المساء عاد إلى البيت ، وكان أبوه في حجرة
مكتبه بالطابق الأول ، غارقاً في بذلته ومسطقة ،
ومكباً على الأوراق البسوطه أمامه ، فألقى عليه
نظرة سريعة وصمد إلى حجرته ... وخلع طربوشه
وجلس على حافة فراشه يستريح

لا ريب أن والده تسلخ الخضباة الجنينة ، وأنها
الآن تسكن مكاناً في حافظته أوفى درج مكتبه ...

عن صمادة ... سيقول له : أنا أريد مالا ولا بد من الحصول على المال فأنا أن تترض سبيلي ! وإذا تقلب في الرجل حب المال على حب الحياة فسيكون قاسيا مجرما ، لقد ضربه مرة بالكرمي في حالة غضب ولن يحجم عن ضربه مرة أخرى ولو احتاج الأمر إلى صرعه ... وطال الصمت والسكون ، وجثم سلطان النوم على البيت ، فأدار الأكرة وفتح للباب بهدوء وانسل خارجا يسير على أطراف أصابعه ويألف في الحذر وهو يجتاز بحجرة والده ، وهبط السلم في تهييب ، فلما أن انتهى إلى الطابق الأول تنفس الصمادة وسار بأطمئنان لأن هذا الطابق يخلو في الليل ، ولما اقترب من باب حجرة المكتب رأى لمهشته اللوز يشع من أعلى بابها ، فاستولى عليه الارتعاج وهم بالعودة ... والمظاهر أنه أحدث حركة لأنه سمع صوتا يعرفه حق المعرفة يسأل من داخل الحجرة قائلا بقوة :

— من في الخارج ؟

فتوقف عن الحركة وخاتته حيلته فرد بسرعة : « أنا حمدي ... » فقال الرجل « تمال .. أدخل .. » وعرض شفته من القهر وتقدم إلى الباب يالسا وفتحته ودخل ، ورأى والده جالسا خلف مكتبه متدبرا ببياته المصنوعة من وبر الجمل وغفيا رأسه إلى أذنيه في (الطاقة) فلم أن والده قد صمد إلى غدعه ليغير ثيابه وأنه عاد ثانية ليستأنف عمله إلى هذه الساعة التأخرة ... ثم ذا يتب المال ذويه ! .. ونظر إليه الرجل بينيه العابطين وسأله وهو يتنأب :

وشاع في أطرافه الاضطراب والقلق وأنهك رأسه هوس الجزع ، ولكن لم يداخله أدنى تردد لأنه من طبعه إذا اندفع أن يندفع بلا تردد ولا تدبر ، ومضى يردد نيته لنفسه فيقول ما من بأس في أن يستولى على بعض مال أبيه ما دام له حق ثابت في هذا المال ، وما له لا يلجأ إلى الحيلة أو القوة إذا كان أبوه يترض سبيل صمادة بالقسوة والمدون ؟ ! وطال انتظاره في الظلام ، وجعل يقترب كل دقيقة من الباب ويلصق أذنيه بقفيه يسمع وينصت ، ثم يذرع الحجرة ذهابا وإيابا ...

ثم سمع وقع أقدام آتية من نهاية الزودة الخارجية فأرغف أذنيه وكتم أنفاسه ، هي أقدام والده بلا ريب ، وها هو ذا باب غدعه يفتح ثم يثقل ، ما بقي إلا الانتظار حينما يثامم ينام الرجل ، وكانت ضربات قلبه تشتد وتضطرب ، كلما تقدم به الوقت ودنا من تحقيق حزمته الآتمة

وسمع الباب يفتح مرة ثانية ويثقل ، ووصل إلى أذنيه المرهفتين وقع أقدام خفيفة لم يستطع تبيين وجهتها ، فقلب جبينه متعيرا ... ترى هل غادر أبوه الحجرة لحاجة ؟ أم هي أقدام غيره ؟ ... يبنى أن ينتظر وقتا آخر وإن كان الانتظار قاسيا صريبا ... ولكنه لن يتردد عن غايته ، سيهبط إلى المكتبة ويقتنصها وإذا لم يفز منها بطائل فسيقتحم غدع أبيه ... ولكن ما عسى أن يفعل إذا تنبه الثائم على حركته وهب يدافع عن أعز شيء في حياته ؟ يبنى أن يكون صارما هو الآخر في الدفاع

— لملك راجع الآن من السهرة ؟
فقال حمدي بانتصاب :

« نعم ... »

فسأله بلهجة نرم على السخرية :

« سكران كالعادة ... ؟ »

فقال :

« كلا ... »

واعتمد الرجل في جلسته وقال بهدوء ورزاة :

« جئت في وقتك يا حمدي ، لأن حمدي أخيار

تهمك ، وما يهيك يهني بطيبة الحال وإن كان

ظنك غير هذا ، اقرب مني واصغ إلى ... أنظن

يا حمدي أنني أبضك وأسى إلى هدم مستقبلك ... ؟

أو أنني أوتر مالي حقاً على حياتك ؟ ... بلس

الظن ... أنت طائش يا حمدي ولا تدري ما يفكر

ولما يضرك ، وكنت دائماً مثال الطيش والزهوة ..

فأجبرني شذوذك على اللباس منك ، وما أنت فاتري

أن أخويك اللذين يصفرانك سيران في طريقهما

بنجاح فأحدهما مندس وسيكون الآخر غداً طبيباً ،

وأما أنت ... ماذا أنت ؟ ... لا تدري لنفسك

مستقراً ولا مستقبلاً ، ومع هذا هل تظن أنني نفضت

يدي منك ؟ ... قل أن يستطيع ذلك أب مثلي ...

والآن فاسمع ... قابلي أمس السنيور دافنس وكيل

شركة الجير لبعض الأعمال فانهزت الفرصة وحدته

عك وأكدت له إلمائك التمام بالآلة الفرنسية

ودرجوت منه أن يلحظك بوظيفة محررة في الشركة ،

ولم يحجب الرجل رجائي ووعدي بتعيينك في وظيفة

براتب قدره عشرة جنيهات في البدء ولكنه اشترط على

أن أودع تأميناً للشركة يبلغ خمسمائة جنيه كضمان

فوافقت وسحبت من رصيدي المبلغ المطلوب وهو في

حافظي الآن ينتظر موافقتك .. فأرايك يا بطل ؟ ..
رأيه !

كيف يفكر في رأيه الآن ؟ إنه يفكر طويلاً

ويديم التفكير في الثنون السوداء التي ظنها بالرجل

البائس الجالس إلى جانبه ، ويذكر صنوف الأذى

التي يبتها له في الظلام منذ حين قصير .. ثم يذكر

ما كان يفضله الرجل — في أثناء ذلك — من أجله

وغمرته نوبة عاطفية من التلويث التي يتعرض

لها وجدانه كل يوم عشرين مرة ، ووخزه ضميره

وخزاً أليماً ، وغلبه التأثر فأجهش وبكى كالأطفال

واتحبب انتحاباً شديداً وهو يخفي وجهه يديه من

عيني أبيه أو يخفي سورة والده من عيني

وابتسم الوالد في حنان ، وربت يده على كتفه

وقال له :

« بس يا رجل ... بس ... أنت طفل بمدك كل

شيء ... لم تكن يا حمدي شريراً قط ... أنا أعلم

ذلك ... بس ... بس ... كفكف دمك واصمد

إلى حجرتك واشبع نوماً لتستمد الكفاح الجديد

في ميدان العمل ... هيا يا رجل ... هيا ... »

ولم يستطع أن يقول شيئاً ، ولكنه أمسك بيد

أبيه ولحمها بشفتيه اللبنتين وغادر المكان ... وارتعى

في حجرته على الكتبة في إعياء ، ولم يجد من نفسه

رغبة في النوم ، فجعد في جلسته كالنمل وأتمت

نظرة عينية في أفق بعيد ثم أخذت عواطفه تسكن

وتأثره تهاداً وجدانه يهود إلى حالته الطبيعية ...

حتى صار انفضاله ذكرى ...

لقد فتح له أبوه باب الأمل والعمل ، وحاول

أن يجد له حياة ومستقبله ، وسيكون من النسيب

وتحول بصره دون أن يدري ناحية حجرة
أيه ... وتساءل : « ... ما المانع ... ؟ »
واندفع وجدانه في هذا الجرى الجديد بمنف
كأنه نهر فائض فتح الخزان لتياره الفاسر ... فناد
قلبه يذق بمنف ... وارتجفت أوساله ... وتجنز
مرة أخرى ...
الساعة تدور في الواحدة بعد منتصف الليل ...
وأبوه ملازم لمكتبه كما غادره ... فما المانع ... ؟

الروءة ... والضمير ... والبر ... لا تساوى
شيئاً إلى جانب السعادة المنتظرة ...
وانتفض واثقاً وأطفاً المصباح ، وفتح الباب ،
وانسل خارجاً ، وسار إلى خندق والده وفتح الباب
بمخدر بالغ ودخل ، وقشقت يده بسرعة في جيوب
البذلة حتى عثرت على الحافظة المتفتحة ، وسلب
الأوراق الناعرة ثم ردها إلى موضعها وخرج
وأغلق الباب ، وقطع الزدعة في خفة ، وانتظر لحظة
ينصت السمع عند مبتدأ السلم ، ثم خلع حذاءه
ونزل واجتاز الزدعة ماراً بمجرة الكتب وهو يكم
أنفاسه ويكاد يتفرق اشتاكاً من الخوف ، ثم وجد
نفسه أخيراً في الطريق الخالي ، فوضم قدميه في
الحذاء على الجمل ، وتنفس تنفساً عميقاً يملأ صدره
للمضطرم بالهواء الرطب البارد ...
وسار في طريقه بخطى مضطربة لا يولى على
شيء
جيب مخموظ

موظفاً في الشركة الإيطالية ... فباله من تغير عجيب
لم يجر له على بال !
وذكر في حزن أضعاف على نفسه فرصة
ذهبية في فرنسا ، فلأنه استمر في دراسة الحقوق
لكان يرجى منه الآن عام مقترن أو وكيل نيابة
« قد الدنيا » ولأمكن أن يقف مع أخوه على قدم
السواة ... وبها يكن من أمره فالواجب أن
يشكر الله كثيراً ...

وسرجيت ! ! ! نعم وسرجيت !
أيها القاريء ، وددت لو أستطيع أن أختم
القصة عند هذه النهاية لأرضى مواطني الخير
في قلبك ولكن أرجو أن تذكر دائماً أن المؤلف
الحقيقي للقصة هي أعصاب حمدي نفسه ...
لقد ارتجفت قلبه لذكر سرجيت ، إنه بمحبها
لم يحبه امرأة من قبل ... وهي تبادل حباً بحب
وعطفاً بمطف ، ولولا تشدد الحكومة لكانت الآن
بين يده ناعمة البال هاشة القواد فوا أسفاه !
كيف ربما يجبر توظيفه وإقامته بمصر ؟ ...
وما عسى أن تفعل الحامية البائسة ؟ ..

وتخيل إليه وهو يفكر في أمرها أنه يراها رؤبة
العين بقماتها الخفيفة وقدها الشيق وشعرها الذهبي
وعينيها الزرقاوين . وتوهم أنه يسمع صوتها ذا الفنة
الطرية ... وذكر جلستها المزينة حيث كانت تقدم
على (الديوان) ويستلقي هو على ظهره واضعاً رأسه
على حجرها ويروحان في مناجاة رقيقة ويدها تبيت
بشعره ... كم هي لطيفة جنابة ... فكيف يزهد
في هذه السعادة ؟ !

وتهد من الأحماق حزينا واستسلم لخواطره
الفائضة ... وكان كلما أوغل في التفكير كبرت عليه
حرقة الفراق وهاله البعاد ...

انتظروا عدد الرسائل الممتاز

في صباح ١٣ مارس

بخطاب شكر ونساء وأشادت
بوطنيته وعمرته عليه وساماً
فاعتذر في ورقة وظرف وهو مخاطب
شخصاً من أكبر ذوي النفوذ
في البلاد

وإن الذي يعرف طيبة هولز
وفرط حيائه وركونه إلى الخجل
والأزواء لا يدعش من زوجه من

حقه في الشهرة وبعد الصيت وكان يقول لي دائماً :
« إياك والوقوف بملق الأسمه التي تظهرك للناس ،
فإنهم لا يلبثون أن يكشفوك ويعرّوك فتبدو كما بدا
آدم في فردوس النعم ... »

إنه لرجل عجيب حقاً . كانت الزاخرة من محض
ابتكار عدونا الأهم وعدو الوطن بروفيسور موريارتي
هل كان إنجليزياً ؟ هل كان إيرلندياً ؟ هل كان روسياً
ثأراً أم محض فوضوي متمسكاً بمذاهبه البنيضة عندما
إلى ذلك الفائز الثنائي باكونيت ، أو صديقه
كوريوتكين ؟ لقد كانت مذاهب هذين الرجلين
لا تزال شائمة في إنجلترا والناس عليها جد مقبلين
لمجرد حسنيتها وطرافتها ولا سيما الفقراء منهم والمهاجرين
والموزين . لقد كانت حياتهم لا تطاق ولا سيما في
الشتاء . غير أن الدين كانوا يفكرون في غزو إنجلترا
كانوا أقوياء وأغنياء وكانوا على أتم نظام وأحكمه
وأدقه ، حتى بدأوا بتسجيل قوائم بأسماء الدين
يميلون إليهم ويتحفزون لتصفيدهم ثم بدأوا يسمون
خطة نادرة المثال ثم وقع اختيارهم على موريارتي .
فكان هولز يقول لي وهو يمتحن بارة اللوردين .
وهو متكر لم أكن أملك أن أدفه بيدي فاكنتيت
بالإشارة دون التصريح :

كايث شينكافون
والعصابة ذات الرؤوس الحمراء
للكاتب الإنجليزي سير آرثر كونايل
بثلم الأستاذ محمد لطيف جعنة

كتب دكتور وطن مسجل حوادث شزلوك
هولز وأخباره قال :

كان شزلوك هولز متمسكاً منهوك القوى بعد
أن عدنا من سياحتنا في جنوب فرنسا . إن البعض
يطلقون على هذا القسم من فرنسا اسم شاطي الذهب
أو ريشيرا تدليلاً وتجميلاً ولكنني لا أحب التبرج
في أسماء البلاد . فإن البلد التبرج يهود كالرأه للدلة
كاحدي تلك الرافعات الأندلسيات اللواتي يدقن
بأيديهن فوارخ الحمار ليعذن سحبا يصم الأذن .
وكان مستر هولز يسميه أيداً جنوب فرنسا ويلمته
في قلبه وبلسانه . أي نعم ، لأن هذا القسم من العالم
لم يحو سوى الثاني واللامهي والمفاسد كلاعب القمار
ومعاهد اليسر ، وبجالي الترف ومظاهر الاستمتاع
قلت : ناد مستر هولز متمسكاً منهوك القوى .

وكذلك مسز وطن (زوجتي) فقد كاد يحف
لبنها فيحرم طفل العزيز رضاع لبنان أمه وهو
خير ما يعطى الأطفال في عاهم الأول ، ولكن
هولز قد استعاد نشاطه بسرعة فائقة كعادته . وكان
النصر الذي أحرزه على أعداء الوطن بالاستيلاء على
خراطم القدر ومائتي الحياة قد أنشده وجدده هته
وقواها . وقد بثت إليه وزارة الشؤون الخارجية .

مستقر هذا الجرم الخطير .

ولكن نفسى حدثتني بأن الشخص الذى لقيه
اشندن لا بد أن يكون متكرراً وأن الصورة بلا أدنى
ريب مفتعلة ومصطنعة . وإلا فكيف يحدث أنها بعد
طبها ونشرها بالملايين لا يستندى إلى صاحبها رجل
واحد من الخاصة أو العامة أو رجال البوليس ...
يبدأنى فى أحد الأيام كنت على ظهر مركبة
تجبرها الجلياد فصعد إلى الطابق الأعلى الذى كنت
أحتل أحد مقاعده رجل قصير حريص الأكثاف
يمتنع الوجه كبير الدماغ كأن رأسه لضخامته
واستدارته القبة الشماء على قبر ضئيل . فرسقى
بنظرة حادة كادت بتخترقنى ، ولكننى صمدت لنظره
ولم أشمره باهتائى بمقدمه ، فأطأنا إلى اطمئنان
الذئاب والشمالب وجلس بجانبى لأنه لم يكن له مقعد
خال غير الذى يجوارى . فأحسست بتيار قوى كالذى
ينبث من أهل الشر والجرمين وهو يحدث شعور
بفضاء وفور لا يعرف مداها إلا الذى أحسها ،
وكانت السحنة المجاورة فى تشبه الصورة شهاً شديداً
فى عرض الجبين وحدة العينين وضخامة الرأس ،
ولكن الرجل كان ملتجئاً والصورة تمثلة حليفاً وهل
من الصعب استطلاع اللحن والشوارب فى وقت
أصبحت الشهور الستارة أبسط ما يتال ويستعمل
للتخفى واتتحال الشخصيات . إنما شئى باطن
وصوت قوى وجنادى كان ينادىنى بأنه هو الرجل
الذى تبحث عنه الشرطة وتتقن أثره سكوتلاندر يارد
بل بريطانيا بأسرها ، ولقد طالبا ندمت على أنى
لم أقبض عليه

إن القتل الوحيد الذى لم أستطع أن أهزمه
أو أتنبأ عليه هو عقل ذلك الرجل للتدبير . لو كان
ينفق بعض قوته فى الخير ، إذن لأفاد العالم . ولكنه
جد خبيث ، غلوغ للشر يتلقاه ويلوكة ويسجنه
ويتنفذى عليه ويميش به . قتلته له : لقد أملت يوماً
إلى لقاء تم بينكما فكيف كان ذلك . فقال : إنها قصة
قديمة . كان موريارتى فى أول مدارج حياته الاجرامية
وكنتم أنا كذلك لا أزال طالباً بالعب فقرأت يوماً
فى الصحف أنباء إلقاء القنابل على المباني . والاعتداء
المتكرر على قصر المدلى فى دبلين واغتيال لورد كونيغريف
فى بستان المتقاء (فينيكس بارك) فهالنى الأمر
ولكنه لم يسترح اتلباهى كثيراً لأننى كنت أرى
أنهم على حق فى طلب حريتهم ... ولكننى ما أقررت
قط الطرق غير المشروعة ولا الوسائل المباشرة . وقد
أبغضت الروس الذين لم يجدوا عملاً أجدى عليهم
من تقتيل ملوكهم وأمرائهم واغتيال الأعيان والنبلاء
بدلاً من تثقيف رجالهم ... لا عليك يا وطنى من
نظرياً فأننى لأحسب أن أكثر عليك . شاهد الحديث
أننى لحت يوماً فى الصحف اسم كاتين شانون فقرأت
وصفه ورأيت فعلاً صورته . ولا أدري كيف حصل
عليها رجال للشرطة فى سكوتلانديارد ... لقد كان
فى خدمتهم رجل شديد الكفاية نافذ الإرادة اسمه
اشندن . كان عماد قسم المخابرات السرية فى الشدائد
والخاطر . وكان نائب السقر فى الخارج لأنه قابض
على خيوط الأسرار المنيمة . فله هو الذى نجح فى
الحصول على صورته وإن كان تشل فى اقتفاء آثاره
لتمدد أسفاره ونذرة ما يبعث فى لندن ، وحى على الأغلب

قلت هولز : ولو كان مسلحاً ؟

قال : ولو كان مسلحاً ، فأنى أنا أيضاً مسلح
بحسب من الوزن الثقيل وكنت كذلك دائماً
لأننى أشمر بأحراس يزيدون على البشرة كلها
أحسست مسدسي يميني ، لا عليك

غير أننى خشيت أن أكون غطكاً . فأصبح
سخرية للعالم ، ويفر الطير المقصود من نفسه في
الوقت المناسب لفراره ، وبينما كانت هذه الأفكار
تجول في خاطري ورأى ينزل كالرجل والمواطن
والانفعالات تتنازعني وتشدني يميناً وشمالاً اجتدرني
الوعد بصوت أجش وهو أيضاً مصطع وقال :

— هل أنت أيها الشاب خال من العمل . إن
كنت كذلك ، فإن لدى عملايليك بك ، وظيفة مريحة
كتابة على الآلة من الرابعة إلى الساعة وتشرّب
النشأ وتأكل الكعك وتقبض ستين شلناً في نهاية
الأسبوع ، ولكن عفواً ، لعلك تمل فيذهب
سؤال هدرأ

فتصنعت البضاطة ما أمكنني وقلت :

— محسوبك يا سيدى طالب طب

فابتسم من أستان صفراء كالماج وأنياب عمدة
كأنياب الضواري وفم ضخم يسع حدود فرس وقال :

— إلى السعد ! إلى السعد ! طالب طب ماشاء الله
كان . شاب عالم ينتظر مستقبل عظيم . ولكن
يمكنك أن تربح هذه الشللات الستين في سهولة
إذا لم يترض وقت دراستك فرصة تدريك فيها
فكر ، وإليك عنوان واسم . وأخرج من جيبه عطفة
بها بطاقات ، وتولاني واحدة باسمه

مستر هامبشير در فالوالينس

تاجر متنقل ووسيط أعمال

هادلورث جاردز ٨٣ بلاكبوري ستريت
ثم أتى على نظرة منكرة تنطوى على التهديد
والبنضاء والأمل في القبض على عتي لخلق

وقد شمعت بحاسة شديدة لانتفاء أثره وتنبع
خطواته بدلاً من أن أوافيه إلى بيته الذي قد ينصب
لى فيه غفأ . ولم يكن لدى سوى وسيلة واحدة وهي
أن أسبق هذا الوعد إلى العنوان الذى حددته في
هادلورث جاردز ٨٣ بلاكبوري ستريت ، ولم أكن
بمد قد تمكنت من امتلاك وسائل الترخف والترقي .
غير أن الظروف كانت مواتية فقد وجدت نفسى
في اكسفورد ستريت . أذكره يا وطن ؟

قلت لمستر هولز : كيف لا أهرغه ؟

قال : لو لم يكن يشفع في تذكرنا إياه إلا وصفه
في كتاب دى كوينسى الخال لكفنا مذكراً
فقلت : ونذراً .

فتجهم وجه هولز ودمدم وقثم واكفهر
جبينه وانبطقت من عينيه أشمة قوية كالشر الذي
يقدم من عيني الفهود والنمر التي تدافع عن أشبالها
وقال : ألم أنبهك إلى أن تقديم النصع في مثل هذه
السن غير جائز . ولعلها عادة تورت الاحتاد عند
غيرى ...

وقد أدرك أننى ألح إلى تماطى المورفين الذى
صار له عادة وكنت أخشى منه على صحته البدنية
والعقلية ..

وبعد أن اعتذرت وغسرت لمستر هولز أن

أقدم رجلاً وأوآخر أخرى ...

لم يم هولز حديثه حتى استأذنت علينا مديرة المنزل وقالت إن سيداً يريد لقاء مستر هولز . .
وإنه لشخص محبب حقاً فيينا شمرة أشقر كأشعة الشمس المحرقة إذا عبناه سوداوان كنعنم نيو كاسيل
فقال هولز : وهل هو ملتح أم حليق ؟

فصرت مسر تبرز صدرها بيدها وقالت :
أذكرني يا مستر هولز ، إن له لحية كشجرة جاي
فلوكس !

ثم خرجت وعادت وقد أشخصت رجلاً أشقر
تقشعر الأبدان لدى رؤية حرته ، وترتعد الفرائص
من أثر نظره . فاجلسه مستر هولز حياه وتشاغل
منه قليلا . وأتم حديثه مى قائلا :

— كنت أقدم رجلاً وأوآخر أخرى خشية
أن يكون مشروعى خيالاً ولا أصل إلى غايته التي
تحرمت بلوغها وتمتعت للنجاح قريباً لها . على الرغم
من أنني أتقنت هذا التلغى الذي لم يتقنه أيضاً حضرة
الفنش جيمستون الذي شرفنا بزيارته فون أن يحمل
إلينا بطاقة بتوصية من رئيسه فرانكفيل

فأتفصض شيفنا ورفع عن رأسه تلك (الطاقة)
الشعرية المصطنعة ، وابتم ابتسامة هريضة وقال :

— لقد أحسنت يا مستر هولز . أنا جيمستون
من سكوتلانديارد . وقد جئت لأستشيرك فقد ثبت
لنا أن التآمرين الذين يلتقون بالقنابل ويدسون
الآلات المجهمة^(١) في الباني يؤلفون جمية من
ذوى الرؤوس الحجر . فاضطرت أن أتخذ هذه

قصدي ينصب على دى كوينسى مؤلف كتاب
ذكريات « مزدرد الأفيون » الذي طالما نأح وأعول
في صفحات كتابه على ماري تلك الفتاة الحبيبة
التي ظهرت كالسراب في سمراء الحياة ، ثم اختفت
بسرعة الأشباح لدى اختفائها .

« آه ما أفسى قلبك يا كسفورد سترت هل
قلبك قد من صخر ؟ »

وبعد هنية عاد إلى هولز هذوؤه فقال :

— في كسفورد سترت وجدت نفسي حيال
« صالون حلاقة » لدرنيكوتر وشيرلان وهما من أشهر
مخترقي صناعة الماكياج في بريطانيا العظمى وكان
لهما صيت ذائع منذ أتقنا إخراج رؤوس الثورة
الفرنسية في رواية الزهرة الفرمزية . . وهنا ضحك
هولز وقال :

صحيح أن هذه الرؤوس جميعها سقطت قبل
أن يسدل الستار على الفصل الأخير من تلك الرواية
ولكن ليس الذنب ذنب درنيكوتر وشيرلان . . لقد
كانت هذه الرؤوس حصاد الجيولتين . فدفنت باب
« الصالون » ورجوت عامل الشعور المصطنعة أن
يعطيني شمراً أحمر ولحية شقرَاء غليستهما وتهدت
العامل عن ما أخذت وأسرت إلى محطة ميتروبوليتان
الژودية إلى محطة كاركتويل جاردنز ومنها يأخذ
السافر سيمته إلى هادلورث جاردنز .

وكان في نبي أن أسبق الرجل الذي استحل
اسم هامبشير درفالوايس إلى المكان الذي عبته
قبل أن يتمكن من نصب فخ .

وكنت بمد أن أتخذت هذه الصورة الجديدة

(١) في الأصل Infernal machines

— الحق يدك يا مستر هولز ولكنى لأملك.
أن أغبر هذا الزى الآن لأنى مقيد فى الديوان بهذا
الوصف إلى آخر الأسبوع ولم يبق بيننا وبين نهايته
سوى يوم ونصف يوم .

ثم نهض ليستأذن فى الانصراف فقال له هولز
وهو يودعه : قد يكون حشف الفقى فى ساعات
معدودة ...

ولكن جيمستون الذى عاد وجهه كالبرقالة
الاسبانية ورأسه كشال مجوز الجنوب ، لشدة
صفرتهن الضاربة إلى الحمرة ، لم يفهم هذه الإشارة
وسارع إلى الخروج

وبعد بركة قصيرة نهض مستر هولز وأشار على
بمرافقته إلى الطريق فلما بلغنا آخر بيكر ستريت من
ناحية الجنوب انحدرنا إلى الفقى الأرضى الذى يؤدى
إلى محطة بيكرلو ستريت ولما بلغنا آخر الفقى ركبنا
القطار الذى يصل بنا إلى محطة ترافلجار سكوير .
وكان القطار يصل إلى تلك المحطة فى فترة من الزمن
لا تزيد على عشرين دقيقة . فلما وصلنا إلى المحطة

وجدنا زحاما شديدا من رجال الشرطة والمستطلعين
وخليط المسافرين . وسرطان ما وصل هولز إلى وسط
المهمة ثم عاد متمتع الوجه منمعا وأخذ يبدى
ليخرجنى من المحطة فلم أجبر على سؤاله عما رأى .
وسرنا صامتين مسافة ليست بالقصيرة ثم عدنا أدراجنا
بإشارة من هولز إلى السكان الذى كنا فيه فكانت
الشرطة تمكنت من تفريق التجمهرين حول الجثة ...
نم كانت جثة . ولم تكن سوى جثة الفقى جيمستون
نفسه . نم جيمستون الذى أنذره هولز بالوت بأدى

الصورة لأتمكن من متابعتهم والاختلاط بهم .
ولكننى علمت أنهم غيروا هذا الزى وأن زعيمهم
كاين شانون قد أقسم أن يقضى علينا نحن رجال
سكوتلانديارد فردا فردا

فنظر هولز إلى هذا الفقى جيمستون نظرة
دهش وقال له : ومن أين لك أن زعيمهم هذا
السكاين شانون الذى أنذركم بالفناء ؟ أعلم أن كاين
شانون هذا ليس إلا ... ولكن قبل أن أقول لك ،
أعنيك أن تدلى على عنوان ذلك الرجل أو ما ظننه
مقرا ؟

فاعتدل الفقى جيمس فى مجلسه وقد بدأ رجلا
عاديا بمد أن خلع غشاء الشعر المصطنع وأخرج
من جيبه كنانة صغيرة وقلب فى صفحاتها ثم قال :
— إنه يسكن بيتا فى هادلورث جاردنز فى
بلا كبورى ستريت

فضحك هولز ونظر إلي وقال :
— يظهر أن كاين شانون جار عزيز لمستر

هامبشير دفالواليس

ولكن كلام هولز كان بمثابة الفلز يلقى على
مسمع من هذا الضابط السلم النية فلم يفتن إلى
مقصد هولز وهو يريد أن يقول إن شانون وهامبشير
ليسا سوى اسمين لشخص واحد

وأخيرا نظر إلى الفقى جيمس وقال له : من
الخير أن نمود إلى حالتك الطبيعية مادامت تلك الطئمة
قد بدلت من استخفافها وغيرت ، فبقاؤك على هذه
الصورة يشكوكهم إذا لقيك واحدهم ، خصوصا
بعد أن أنذروكم بالقضاء عليكم . فقال جيمس :

هذه المصيبة الخطيرة ذات الرؤوس الحراء .

هولز كان الرجل الوحيد الثابت الجأش .

فلما دنا مستر هولز من الجثة رأى أن نصف
الجمجمة الشقراء مزروع عن وجه الرجل وقد دُفنت
وجنته بمجرئين G. I. الجسم والآي . وكان القاتل
مطبقاً يده على ورقة بيضاء فتناولها هولز . وقد أذن
له الأحراس ، وهم يعرفون قدره ويعلمون مكانته
القيمة في الفئ الذي احترقوه حين لا يزال
فيه هاويًا .

وقد أخذ يدي بدمان استولى على الورقة التي
كان القاتل مطبقاً يده عليها . وقادني إلى سرداب
يؤدي إلى مصنع صغير ملحق بذاك المحطة وهناك
وجدنا المال في هراج ومرج فقد وصل
إليهم أثر الانفجار حتى أن أقذاح الشاي التي كانوا
ملاؤها وأعدوها للشراب حتى اهتزت ثم انقلبت
وأفرقت ما فيها . فلم يشعروا هولز بشيء من الدهر
الذي انشتر على سطح الأرض طبقة أعلى من الطبقة
التي يعيشون فيها تحت مجرى نهر التيمز بأربعين
متراً . غير أنه رجاء أن يدلوها على أقرب طريق
للمصود فقادنا رئيسهم إلى المصد الكهربائي وكان
الأول من نوعه فقد ارتقى بنا في خمس دقائق إلى
ترافلجار سكوير وكان الناس يتجمعون ويتفرقون
ويتهايمسون تارة وتارة يتبادلون الكلام بأسوات
حرفنة .

ثم انحنى مستر هولز على وجه مفتش الشرطة
القاتل وهو ينظر في الحرفين النقوشين على
وجنته وعند ما حضرت زوجة القاتل وابنته وولده
الصغير وأخذ هذا الأخير يمول : دادي^(١) ، كنت
ألح دمة تجول مرتدة في جفون مستر هولز ولكنها
لم تفلت من مآق هذا الرجل العجيب ، وكان أول
عمله بعد أن نهض محاولته تمزيق تلك الشابة الترملة
ومداية التيم الصغير ، ثم أخذني جانباً وقال لي :
هل حذرت مدلول هذين الحرفين G. I. فقلت :
أبدأ ولله اسم القاتل أو الجمجمة التي تضمه بين
أعضائها . فهز هولز رأسه أسفاً . وإنا كذلك
وإذا بصوت انفجار عظيم لم يسمع مثله من قبل
وقد تلت أصوات صغير واستغاثات ودوى وصراخ
وأجراس وقد كان هذا الانفجار قريباً منا بحيث
خيل إلينا أن عجلة الليترو بوليتان التي نحن بها
سوف تنك دكا وتزول من الوجود ونحن معها .
وقد أصاب المال والجفود والمسافرين الناهبين
والواصلين من الدهر ما لا يمكن وصفه . غير أن

قلت لهولز : ما بال القوم هكذا

فقال : اشتر لنا صحيفة . فسلمت رأيه وعدت
بصد من جريدة « ويلي لاير » . فقال لي هولز :
ألم تعلم تفسير حرفي G. I. إنهما رمز لجورن إيرن
أي إيرلاندا الخضراء فالقاتل تابع لجمجمة القوضيين
الإيرلنديين . وهذا المنشور الذي كان القاتل مطبقاً
يده عليه فيه بيان للناس . ولكن افتح لنا الجريدة .
فأذاقها :

سلسلة من الاعتداءات

الفاجعة في عاصمة

الأمبراطورية البريطانية

(١) تدليل للفظ والله عند الأنجليز

الارلنديون يسبقون الباني

ويعرضون سلامة البلاد للخطر

دخلت البلاد الانجليزية في الشهرين الأخيرين في أزمة سياسية لم تقع في مثلها منذ سنين بل منذ قرون ، فأفضنا كما أفاضت جرائد العالم المتحضر بأخبار المنازعة الهائلة التي يخشى أن تنتهي بحروب داخلية تسمى مشكلة إيرلاندا ورغبنا في الاستقلال التام في تلك اللحظة مر بنا رجل أشقر يسير مسرعاً

ويترك وراءه أوراقاء مطبوعة كالو أنها وقست منه عفواً دون أن يقصد إلى توزيعها بين الناس فقلت حيناً هولز وجري بسرعة النزول والناس من حوله يتفرقون كأنهم يفسحون له الطريق دون أن يملوا غايته . فتمتته بنظري أولاً ثم بساقي وقدي حتى

كدت أدركه فإذا مركبة حامية على باب شارع كروس ستينش أقرب محطات السكة الحديدية إلى ميدان طرف الفار ولم تكن تلك المركبة سوى زبال عتيق بين هولز والرجل الأشقر الذي كان قد أشهر مسدساً . ولكن هولز أتى بحركة صراع يائسة من

نوع الجيو جيتسو التي كان يتقنها . ونزع سلاح الرجل ثم سلمه يداً بيد إلى نفر من رجال البوليس الذين هرعوا إلى مكان الحادث ، وناولوا أحد الشرطيين بطاقته وانقلت إلى وقادني بضع خطوات ثم قفزنا في عربة من طراز هانسوم كاب ميممين شطر هايد بارك فترجلنا عند ماربل آرش وقال لي هولز :

يجب علينا أن نبتعد عن منزلنا بضع ساعات فان هذه المصيبة قد عرفتنا ، وتوجهنا نواً إلى كوين آتر ما نشتر ، قد ضلنا في جهو الشاي الذي ينتسب إلى

شركة ليونز ثم قدم هولز إلى ورقة القليل فاذا بها منشور إيرلندي جاء فيه :

جبرين ادين

السواد الأعظم من الشعب الارلندي ساقى الأسل يرجع نسبه إلى أوائل من توطنوا القارة الأوروبية . ونحن وسكان مقاطعة بريتانيا الفرنسية (التي ينتمي إليها إديستيد بريان يرمير ^(١)) جمهورية فرنسا (المثلون الباقون لذلك الجيش ، ونحن أصحاب خيال وعممية وعصبية وجاهلية . وفيما قبل طبيعى للبشر والحرب .

يذكر أنها القاري الانجليزية على ذلك أن أعظم القواد في جيوشكم إيرلنديون ومنهم ولتجتون ونلسون وكنتشر وروبرتس وفرنش ، وليس أسهل لدينا من أن نقفأ هينى خصمنا لأقل سبب وقد قلنا شهرة من هذا القبيل لاسيا في الولايات المتحدة حيث نهاجر كل علم زراعات فراراً من الجوع والفقر ، والجوع والفقر هما البليتان اللتان جلبتهما علينا أبحارة اللغنية للتنمة التي بأكل أهلها خمس مرات في اليوم الواحد في حين أننا لا نجد قوت وجبة واحدة . لئنا في حالة برنى لها من الفقر نحن سكان مونستر وليستر وكونوت ونحن في غاية البؤس ، وما تاريخ بلادنا منذ فتحها قبل سبعمائة عام سوى ثورات ومذابح متوالية . لقد كان أجدادكم يذبحون أجدادنا ويطردونهم إلى الجبال والقفار ويتملكون أراضيهم ويحولون محلمهم أناساً من بني جنسهم ودينهم . فحقن لا نلشي معركة

(١) رئيس وزارة

وبعد أن شربنا الشاي نهضنا وقصدنا إلى شارع
كنجزواى الذى يتفرع على ويمجت ستريت وسرنا
كبعض الناس لانلفت نظر أحد إلينا غير أننا لم نكد
نخطو بضع خطوات حتى سمعنا بأعة الصحف يتادون
بأرفع الأصوات :

« فرار المجرم فى حادث القنابل المفرقة بعد
القبض عليه . ذهول رجال البوليس . توزيع
منشورات مثيرة للغواطر . اقرأ آخر أبناء المصابة
الجراء »

فظهرت إلى هولمز مستفسراً ، فقال لى :

— لقد انتصرتنا وأنهم سكونلانديارد ا

محمد الطغى محمد

بون التى فاز فيها الملك المنتصب الظالم ويليام أوف
أورانج علينا . إن يوم الستر الذى يمتش ذكرى
هذه المركة يمتشنا بحزن أيضاً ويدقنا إلى
الانتقام . لقد عانينا من نفاقكم ما عانينا ولم يبق
لدينا إلا الانفجار الذى يقبض الضفط فاستمدوا الحرب
شمواء فى عقر داركم ، أو اعترفوا بحرية إيرلاندا .
إن النزاع المائل القائم اليوم فى لندن لن ينتهى
بدون أن ننال ثمرة جهادنا الطويل »

الامضاء

G. I

فدهشت من زكاة هولز وذكائه وتواضعه ،
فانه لم يتسك ولم يتكلم ولم يفخر بوصوله إلى هذه
الحقيقة قبل أن يصل إليها أى رجل آخر فى حاصمة
بريطانيا العظمى

هدايا الرسالة

من دفع اشتراك الرسالة على حسب الشروط التى نشرناها لابد له الحق فيما يأتى :

الكتب المخفضة :

يشترى من ادارة الرسالة الكتب الآتية بالثمن المنخفض

قرش صاغ قرش صاغ
مجموعة السنة الواحدة من الرسالة
مجلة فى جزأين ... ٦٠ بدلا من ٧٠
مجموعة السنة الواحدة من الرواية
مجلة فى جزأين ... ٢٠ بدلا من ٣٥

الكتب المجانية :

كتاب سياسة التدبير لك بطرس غالى
رسالة المنبر لفلنكس فارس
هكذا أعنى لمحمد حسن اسماعيل
قصة الأميرة لجميلة الملايلى

قرش صاغ	قرش صاغ	كتاب الفصول والفائتات
٢٠ بدلا من ٣٠		
٤٠ د	٣٠ د	التصوف الاسلامى
٢٠ د	١٣ د	تاريخ الأدب العربى
١٥ د	٥ د	التقد التحليلى
١٥ د	٥ د	فى أصول الأدب
١٢ د	٦ د	رفائيل
١٥ د	٦ د	آلام فرتر
٢٠ د	١٠ د	حياة الراىنى

أجرة البريد فى الداخل أو فى الخارج على المشترك

الانتحار

للكاتب الفرسى جورج مورفير
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

ما أملك . وأقمت من نوى ذات
صباح كيلا أجهد من سوى
اننى عشر فرنكا مع أنى مدين
لصاحب المنزل الذى أقمت فيه
بخمسة عشر فرنكا ؛ ذلك
اختبرت مسلمى فالفنته زخر
بسترسايات قوائم كانت فى ظنى
كافية لتزقق رأس فارغ كرامى

وفتحت نافذتى . كان « صباحى الأخير »
رائعا جيلا فالسواء زرقاء صافية والأمواج خضراء
هادئة والنسيم يسبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج
وغادوت المنزل إلى الشاطئ لأملأ صدرى
التفعل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أنى كررت
فاندا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوها
شديدا ، وفى أثناء هودتى أبتت صحيفة سان رومانو
الحلية ، وهى صحيفة مثيرة ، مجلدة بالسواد كأنها
رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها إبان الطمام فاسترعى
نظرى عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بمناطرى
دون أدنى انفعال : « هنا سيملىن خبر موتى
أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر
سلفا محرر هذا الباب الذى سيملىن نمى فى هذه
المصحفة .

وعلقت عيناى بخبر انفراد بلاملة الصليب فى
صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو
جا كوينس — أمرىكى الجنس — معلقة فى إحدى
التنخيل الذى ينبو على الشرفة — وقد وجد فى
جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك — طبعا »
جوسو جا كوينس ؟ إلى أعرهه . بل لقد

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه
يدرك الانسان المعنى الذى تنطوى عليه كلمات فلوير :
هنالك بقاع فى العالم يود المرء لجائها وروعتها لو يضمها
إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن
سان رومانو وأأسفاه تشبه أيضا ثمة لغة فواحة
لا يجسر امرؤ على تذوقها غزاة الموت الذى يقطر
من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة
الغلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس
فى جنبات المدينة تقابلك الوجوه الدامعة والملاحم
البائسة والعيون الحيرة الأسفة ... وفى كل مكان
منها تظالمك كانت السخط والتبرم : ألا ليتنى وضعت
على رقم ١٧ ... آه ! هذا الأجر اللعن ، لقد كسب
عشر صرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على
الأسود .

ولم يكن فى البلاد كله من يلقى أدنى التفاتة
إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تثبت فيه . كانت
الأرض عذرم « روليت » ضخمة ، والماء صفحة
كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠
وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛
إذ خسرت مبلغا لم يكن جد كبير غير أنه كان كل

— بروية وإيمان — خطة السير في انتحار يمود
على برح وفير

وفي مساء هذا اليوم ببنته ذهبت إلى الكازينو
مرتبداً أجل أنواب وقد أبنت للأنثى جثأجازف
بآخر ماني لي .. وأنى ساموت ها وغما إن لم أرح
وطارت الالة فرنك ... فبدأ على الانزعاج في
بدي الأمر ... ثم انقلبت أتلعل فاضبا حنوقاً ...
وأخيراً بدوت كالسائل المأخوذ

ودرنى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ،
وسألنى ما انظر فأبأنه بنيرات حزينة يائسة أنى
أقلت ، فأخذ يواسينى ويخفف منى ثم قال :

— لا تياس لما زلت تملك نفقات السفر إلى
وطنك . إن الكازينو — في هذه الحال —
يطوع بـ ... فقاطعت يياس قائلاً :

— إن السفر الذى أزمه لا يحتاج إلى « تذكرة »
فقطر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جاداً في هذا القول ... أمل
ألا تكون قد جنفت

فطلعت صامتاً ، ثم أدبرت له ظهرى ورحلت
أجبل بصرى فاهلاً في أرجاء المكان بضع دقائق ..
وقد لحت أصحاب « الكازينو » راقبونى من طرف
خفى . وانفرط عقد اللاعبين في الساعة الحادية
عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علامة
الدهول والياس والتفكير

وكانت البيلة رائحة جميلة والتمر بدرأ باقى بأشمته
الفضية الناعمة على الأرض الشجر والبحر الأزرق
السكن . وبلغ سمى أسوات كان حنون بنوح
عاشقة يائسة . وجلت وجهى — وقد أجمت أمرى —
حشاك قريباً من الكازينو ، بقمة هادئة تمد بمن

خسرتا كل تقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمنى القريب
حينما خسرت آخر فلس ممة رأيتة يتهدد في عنف
وحسرة ، ثم أمسك ييدى وهزها بحمارة ونظر
إلى بمن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد
دمرت ... دمرت تماماً ... واهأ يا صديقى ... »
ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يموتوا في جيبه على
ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تمنى بحق الشيطان
هذه الكلمة « طيباً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق ..
بالي من غي اكيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ...
لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا
المال في جيبه لتضليل الناس وعلمهم على الاعتقاد أن
انتحاره لا يرجع أبنته إلى خسارته بل إلى أسباب
شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائى رحلت
أفكر ! كم باترى يدمون في جيبى إذا حزمت أمرى
وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت
بقدر ما خسرت جا كوين ... وسريت إلى رأسى
فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة
ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد
يكون ثابتاً ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق
وأكدت له أنى سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :
— هذا إذا بقيت حياً ...

— إننا نثق فيك كل الثقة يا سيدى
— إذن فأفرضنى مائة فرنك حتى المساء ...
إنى أنتظر وصول مال من باريس
— بكل سرور يا سيدى
وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت

— شكبرى الأمن ؟ قول ظريف سينديو
ولا صراء حديث المومس

قلت ذلك ثم أدليت الجميع ظهري وانخفضت سبيلي
ضاحكاً من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا يدافع الفضول
وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسدت ديونى من الآلاف
الثلاثة التي أخذتها مقابل قياى بدور الانتحار . وقد
بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛
ولكنى لم أكن قد فكرت قط في إطاعته ، إذا اعتبرت
أن هذا المال من حقى ، وأبقت فضلاً عن ذلك أن
ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لاحتجاري
وقد حملت إلى إخطارهم يبقاى في سان رومانو
بضمة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت
بدها إلى باريس ... وقد سمعت أن البالغ الذى دُس
في جيبى قد رُد إلى الكازينو أسعافاً مضاعفة .

محمد عبد الفتاح محمد

رفائيل لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم
أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الرقم ١٢ قرشاً

أصبح مكان لتمثيل الدور الذى أزمته ؛ وكان نعمة تمثال
من الرغام لثانية من غوانى البحر بدا كأنه يتسم
وأنا أوشك أن أقوم بدوري

ودوت فجأة طلقثان ناريتان ، وسقطت على أحد
المقاعد ووضعت مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات
وسقطت على عيني السبطين ظلال القبلين

— يا إلهى ! إنه هو ...

— بالسكين ! لقد قفى على نفسه برصاصتين مما
وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يأتنا أحد . تبأله
من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشرت كأنها الدس شى في جيبى
هناك ارتدعت قليلاً ... وتأوت صريرين ،
ثم فحكت ميني بيطة شديد ، ونهضت من مضجعى
بنتاية وحرص ناظرأفى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد
حولى . وفى عدم أكثرات عمتنى أخذت قبضتى
والمسدس الذى كان مازال يلغظ الدخان من فوهته
وانتصبت واقفاً

وكان الحشد ينظرون إلى كأنى حيوان غريب
الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالمعجب والاستفهام ...
وقلت في غضب :

— هجماً لكم يا قوم ! ألا يستطيع الرء قتل نفسه
بيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله
واقترت منى أحد أصحاب الكازينو بقتض من
شدة الغضب وقال في تلمس واضطراب :

— سيدى للفاضل ... أرجو ... هل ...
إذا ... ماذا قصد بهذه الهزلة ؟ سأفودك إلى البوليس
لتمكيرك الأمن

الرجل الحففي

للكاتب القصص جابر كيت تشستر
بقلم الأستاذ عبد الحميد حيدى

جذابة لأنظار الشباب من تجاوزوا
هذه السن الصغيرة ، فقد وقف
أمام الحانوت فنى لا تقل سنه
عن الرابعة والعشرين ، يحدق
بنظره فيها وراء الزجاج ، وقد
بدا الحانوت ، فى نظره هو أيضاً ،
قطعة من الجبال النارية تخطف
الأبصار ، وقد لا تكون الشكولاتة

وحدها هى التى استرعت أنظار الفتى وإن لم يكن
هو على أى حال ممن يفضون هذا النوع من الحلوى .
كان الفتى طويل القامة جسيماً ، أحمر الشعر ،
يبدو على وجهه دلائل الحزم ، وديع الخلق وكان
يتأبط حافظة رمادية كبيرة تضم بين دفتها عدداً
من الصور الفصحية ، التى كان يبيعها للفناشرين
بأغان لا يهيمه أن تكون غالية أو رخيصة ، وذلك
متدأًن حرمه همه (وكان من أصهار البحر) ميراثه
لخلاف بين رأييهما فى النظرية الاشتراكية ، وكان
الفتى ، واسمه جون تيربل أنجوس ، قد أتى محاضرة
فى هذا الموضوع

انتهت وقفة الفتى أمام الحانوت بدخوله واجتيازه
القسم الخارجى المروضة فيه الحلوى ، إلى الرفقة
الخلفية التى جعلت معلماً تقدم فيه أنواع الفطائر ،
رافساً قبسته بحجة الفتاة الشنتل بتلبية مطالب رواد
الحانوت ، وكانت فتاة سمراء رشيدة متيقظة ترتدى
ثوباً أسود مزرقق البياقة ، سريعة الحركة سوداء
المينتين ، وبعد الفترة التى تقبب دخول الزائر عادة
لحقت الفتاة بالفتى لتتلقى أوامره

وكان طلبه من الطلبات العادية إذ قال :

— أرجو أن نجيبى بكمكة صغيرة وفتجان

من التهمه السوداء

فى ساعة الفسق ، وقد رطب الجو ومال لون
الوجود إلى الزرقة القاتمة ، بدا حانوت الحلوانى ،
القائم على ملقى شارعين متقاطعين فى بلدة « كاندن
تون » كأنه شملة سيجارة وهاجة ، أو بعبارة أدق
فى الوصف ، كأنه رأس عود من أعواد الألباب
النارية ، فقد كانت مصابيحها مختلفة الألوان مشبك
بعضها فى بعض ، تنكسر أشعتها على كثير من
المرائى ، وتواجه على كثير من الكمك والحلوى
اللوثة بألوان الذهب وغيره من الألوان البهيجة ،
وفى هذه الواجحة الزجاجية الواجبة تلتصق أنوف
كثيرين ممن تهرم الألوان الزاهية ، فقد كانت
قطع الشكولاتة ملفوفة فى ورق ملون بالأحمر والذهبي
والأخضر إلى آخره من الألوان المدنية التى تفضل ،
فى نظر الصغار ، قطع الشكولاتة نفسها . أما كمكة
الزفاف الكبيرة البيضاء فكانت منظرها كافياً
لأن يرسم للمعين صورة من القطب الشمالى وقد استحال
إلى مادة مما يأكل للناس . وكانت هذه المجموعة
من التزيات التى انتظمت ألوان قوس قزح كافية
لأن تجذب إلى واجهة الحانوت كل أطفال
الحى المجاور من سن العاشرة إلى الثانية عشرة .
على أن هذه التظلمة من ملقى الشارع كانت كذلك

الترتيب الدقيق وضع الكمكة الكبيرة البيضاء التي كانت زينة الواجة

فقال الفتاة مضطربة :

— أي شيء هذا الذي تفعل ؟

فأجاب :

— أحمل الواجب يا عزيزتي لودا

فصاحت الفتاة به :

— يا لله قف لحظة ولا تخاطبني بمثل هذه العبارة

إنني أود أن أعرف معنى هذا كله ؟

— هي وليمة احتفاء يا مس هوب

فأشارت الفتاة إلى الكمكة الكبرى وقالت وقد

نفدت صبرها :

— وما هذه ؟

فأجاب الفتى :

— هي كمكة الزفاف يا مسز أنجوس

فأخذت الفتاة للكمكة وأعادتها إلى مكانها في شيء

من الانفعال ثم عادت فأستندت صرة عنها الجميل إلى

المائدة ونظرت إلى الفتى نظرة إن تجردت من معاني

البغض فقد جمعت بعض معاني النفي وقالت :

— إنك لم تترك لي وقتاً للتفكير

فأجاب :

— أنا لست ذلك النفي الذي يترك لك الوقت

للتفكير ، وهذه هي عقيدتي المسيحية

وكانت الفتاة لا تزال معلقة في وجهه وعلى فيها

ابتهامة انحطت وراها معاني الجسد ، فقالت في

صراحة :

— قبل أن تمضي لحظة أخرى في مثل هذا

السخط يجب أن أخبرك في اختصار عن شيء

يتصل بشخصي

ولم تكد الفتاة تلتفت لتأخذ طريقها إلى حيث تحضر له ما يطلب حتى أضاف إلى جملته السابقة قوله :

— كذلك أريد أن تقبليني زوجاً

فجمدت الفتاة فجأة في مكانها وقالت :

— هذا مزاح لا أسسته

فرفع الفتى الأحمر الشمر حينه الرماديتين وقد

بدا فيهما من معاني الجسد والفرح ما لم يكن منتظراً

وقال :

— إنني أقصد ما أقول صدقاً وحققاً ، وأنا جاد

في قولي مثل جدتي في طلب الكمكة وما أطلبه خال

غلاء الكمكة ، فاني أدفع له ثمناً ، ثم هو عسير المضم

مثل الكمكة أيضاً وهو إلى جانب ذلك موجه . . .

لم تحول الفتاة السمراد حينها لحظة عن الفتى

في أثناء حديثه ولكن لاح عليها كأنها تفحصه فحصاً

دقيقاً تتجلى فيه معاني الأمل ، وما أنهت من هذا

الفحص حتى جلست على كرسي بالقرب منه

فقال أنجوس وهو شارد للتفكير :

— ألا تزين أن من القسوة أكل هذه الكمكات

الصغيرة ؟ أليس من المحتمل أن تنمو فتصبح بعد

حين كمكات كبيرة ؟ لقد اعتزمت الامتناع من هذا

النوع من الرياضة حتى تنزوج

وقفت الفتاة وانجبت إلى الواجة الموضوعه

فيها الحلوى وقد بدا عليها أنها منهكة في تفكير

عميق ولكنه غير كره . فلما عادت إلى حيث الفتى

وقد ظهر عليها أنها اعتزمت أمراً ، راعها أن وجدته

ينظم فوق المائدة ، في كثير من العناية ، مواد عديدة

أخرجها من واجهة الخانوت ، بينها هرم كبير من

الحلوى اللينة ، وكثير من أطباق السندوتش ،

وأعلى الفطائر المصنوعة بالفاكهة . وفي وسط ذلك

وحق هؤلاء لم يكونوا كثيرى للتردد على فندقنا ولكن كان بينهم اثنتان عاقلين فى كل ناحية من نواحي الحياة .

كانا يعيشان على ما لهما من مال وكانا كسولين كسلا يضابق الذى يماشرهما ، وقد تمردا أن يرتديا من الملابس أكثر مما يدعو إليه الحاجة . على أنى كنت أرى لحال ذينك الرجلين ، إذ كنت أميل إلى الاعتقاد بأنهما لا يأويان إلى مشربنا الصغير الخالى إلا لأن كلا منهما مصاب بنوع من التشنج يضحك منه الأجيال من الناس . على أن استعمال كلمة « تشنج » فى وصفهما قد يكون فيه شيء من التجاوز وقد تكون كلمة « تشنج » أقرب إلى وصف حالهما ،

فقد كان أحدهما صغير الجسم صفراً مدهشاً بكاد يكون قزماً أو غلى الأقل « ركبياً » من أصغر « ركبى » الخليل أجساماً . ولو أن منظره لا يتفق فى قليل أو كثير مع منظر « الركبى » ، كان مستدير الرأس أسود الشعر معنياً بقص لحيته الكثة السوداء ، فاعينين تشبهان فى بريهما عيون الطيور يحمل فى جيبه كثيراً من النقود ويطبق ببسدره سلسلة ساعة كبيرة من الذهب ، ولم يحضر مرة إلا صردياً أنغراما يستطيع أن يرتدى من ملابس ،

على أنه لم يكن بالرجل الآبله وإن يكن كسولاً إلى أقصى حدود الكسل ، ولكنه كان من ناحية أخرى بارعاً فى كثير من الأمور التى لا فائدة منها ، أكثرها ألعاب بهلوانية ، كأن يحمل خمسة عشر هوداً من الكبريت يشتمل أحدهما من الآخر على التوالى على غرار الألعاب النارية ، أو يقطع ثمرة الموز أو ما يشبهها على مثال اللروس الراقصة التى يلعب بها الأطفال ، وكان اسم هذا الفتى إيزيدورانت ، وإنى لا أزال

بأجيب آميوس فى لهجة الجد :

— يسرنى أن أسمع ما تقولين ، فقد تقولين كذلك فى الوقت المناسب شيئاً عن شخصى أنا ... فأجابت الفتاة :

— بالله احفظ لسانك وأسع إلى فليس فيما أقول ما يجعلنى ، بل وإنه ليس بالأمر الذى آسف له بل وجه أخفى ولكن ما قولك فى أمر ليس هو من عملى ولكنه السكابوس الذى يلزمنى ؟ فقال الفتى جاداً :

— فى هذه الحال أقترح أن تبيدي الكلمة إلى هذه المائدة

فأقلت الفتاة فى إلحاح :

— يجب أول كل شيء أن نصنى إلى قصقى . وليكن أول ما أرويه لك أن أبى كان معك الفندق المسمى « بالسمة الحمراء » فى لودبرى وقد تموت أن أبى طلبات العملاء فى المشرب فقال الفتى :

— لقد كنت دائماً أعجب لماذا أشعر بروح مسيحي برفر على هذا الحانوت وحده ففتت الفتاة فى حديثها تقول :

— ولودبرى قرية صغيرة هادئة خاملة فى المقاطعات الشرقية ، وكان الصلاء الوحيدون الذين يقدون على فندق « السمة الحمراء » هم التجار المتجولون ، أمان عداهم فابئع من يمكن أن ترى من الناس ، وفى اعتقادى أنك لم ترقط أحداً من هذا الصنف من المخلوقات ، فهم رجال مثالى الأجسام مريدون لهم من الداخل ما يمكنهم من أن يعيشوا بين احتساء الخمر والراحة على الخليل مرتدين أحقر الملابس التى تمد فى الواقع أحسن ما يليق بهم .

من النير كاللادى يعيشان منه . وبعد يومين من هذا الحديث بدأت الشاب تتوالى ، فقد كان أول ما سمعته أن الفتيتين قد غادرا القرية ليشقا طريقهما في الحياة كما لو كان الأمر قصة خرافية ومن ذلك التاريخ حتى هذه الساعة لم أر أحدهما . ولكنني تلقيت خطابين من الرجل الصغير الجسم المسمى اسمت ، والحقي أنهما كانا خطابين شائقين إلى مدى بعيد فسالها انجوس :

— ألم تسمى قط شيئا عن الرجل الآخر ؟
فترددت الفتاة لحظة ثم قالت :

— كلا، فانه لم يكتب إلى قط ... وكان الخطاب الأول من اسمت قاصرا على قوله انه خرج من القرية مع « ولكن » ماشيين على الأقدام في طريقهما إلى لندن ، ولكن « ولكن » كان سريع الخطى صبوراً على المشى فلم يستطع هو أن يجاريه وسقط متعباً جالس في جانب الطريق يستريح حيث التقطته فرقة من المهرجين الذين يفرضون المأهول على أنظار الجمهور ، فكان شعر جسمه الذى يجعله أقرب إلى الألفاظ ومهارته في الألعاب البولوانية الخفيفة سبباً في حلوله بين الفرقة محل العناية حتى لقد أرسل بعد قليل إلى الأكواريوم لمرض بعض الألعاب التى نسيها . وهذا هو كل ما احتوى عليه خطابها الأول . أما الخطاب الثانى فكان أشد تشويقاً وإثارة من الأول ، وقد تلقيته في الأسبوع الماضى فقط جبرع الفتى المسمى انجوس ما بقى في فتجان القهوة ونظر إلى الفتاة بسنين تجلجل فيها معنى الوداعة والعصر ، وما استأنفت حديثها حتى اقترع ثمرها عن ابتسامه خفيفة وقد قالت :

أتمثل صورته وهو مقبل على الخزانة تحركاً في يده خمس سجارات على مثال ابن آوى في قفزانة « أما الشخص الآخر فكان أكثر هدوءاً كما كان أقرب إلى الرجل العادى من صاحبه ، ولكنه قد أزعجني بطريقة ما أكثر مما أزعجني اسمت الضئيل المسكين . كان مفرطاً في طول قامته نحيف الجسم ، خفيف الشعر ، أنفى الأنف لحد يستريح النظر ، وكان من المحتمل أن يبدو حسن المنظر في عين من يراه لولا ما في عينيه من حول لم أر أو أسمع بثقله في إنسان سواء ، فهو إذا نظر إليك مباشرة لم تعرف أن أنت واقف ولا عبثة بالنقطة التى يكون محققاً فيها . وأظن أن هذا السبب كان يؤلم ذلك الفتى إلى حد ما . ولما كان اسمت يمرض علينا أمابه المختلفة لم يكن هذا الفتى ، واسمه جيمس ولكن ، يقدر على شيء غير أن يزرع خرفة المشرب جيئة وذهاباً أو يخرج إلى الخلاء فيقبل المشى لغير قصد معين . وفي اعتقادي أن اسمت أيضاً كان يشعر بما في ضلالة جسمه من عيب ولكنه كان دائماً يخفى ذلك السبب بحفنة ورشاقة ، لهذا كان من أكبر بواش اضطرابى وحيرتى أن تقدم لى الاثنان في وقت واحد طالبين يدى للزواج

والحقي أننى قد أحبتهما ولا أزال منذ ذلك الحين أعد ذلك نوعاً من الحماقة ، ولكن كان هذان الرجلان على أى حال صديقين لى ، ولقد أزعجني أن يسرب إلى ظنهما أننى أرفض الزواج منهما لشدة قبيحهما . لذلك أردت التخلص منهما بطريق لا تؤذى شعورهما فقلت إننى قد اعترمت ألا أتزوج إلا من رجل يكون قد شق طريقه في الحياة بمجهوده فى اللبادة التى أدين بها ألا أعيش من مال موروث

نفسه فقد قضى عليه الآن نهائياً بعد أن تحدثت بأمره إلى شخص ثالث ، فان الانسان ليكاد يمين إذا هو عاش منزلاً عن الناس ، ولكن أئذ كربين الوقت الذي خيل إليك فيه أنك شمعت بوجود صاحبتنا الأحوال وسمعت صوته ؟

فقال الفتاة في غير تردد :

— لقد سمعت ضحك جيمس ولكن وانحما كما أسمع حديثك الآن ؛ ولم يكن هناك من أحد - وای فقد كنت واقفة خارج الحانوت على الناصية أستطيع أن أرى الشارعين في وقت واحد ، ولقد نسيت كيف ضحك ولو أن ضحكته كانت غريبة مثل حوله ولم يخطر ذكركه على بالي حوالى عام كامل ، ولكن ما لا شك فيه أنني شمعت بوجوده بمد ثوان من تسلي الخطاب الأول الذي جاني من ضافه فسألها أنجوس وقد بدا اهتمامه بمحدثها :

— هل جئت خياله مرة على الكلام أو الصراخ أو أى شيء من هذا القبيل ؟

فارتجفت لورا فجأة ثم قالت بصوت غير مضطرب :

— نعم إنني لم أكده أنتهي من قراءة الخطاب الذي جاني من إيزيدور اسميت والذي أعلن فيه نجاحه حتى سمعت ولكن يقول « وعلى الرغم من ذلك لن يتناك » وكان كلامه واضحاً كما لو كان جالساً مرفى في الثرفة ... وهذا أمر صرّوح وإنه ليخيل إلى أنني قد جئت

فقال الفتى :

لو أنك كنت حقيقة مجنونة لفكرت في أنك لا بد أن تكوني عاقلة . ولكن بلوح لي من غير شك أن هناك شيئاً عجيباً حول هذا السيد الخفي عن الأعين ، ورأسان خير من رأس واحد فلم سمحت لي أن أتبي

— أظنك قد قرأت في كل مكان أعد للصن الاعلانات هذه الجملة « خدمة اسمت الصامتة » والإفانث الانسان الوحيد الذي لم يقرأها . على أنني لا أحرف نوع هذه الخدمة ، وكل ما أستطيع أن أفهمه هو أنها اختراع أشبه باختراع الساعة يؤدي جميع الخدمات البيتية بطريق آلية مثلاً « اضبط الزر يأتك الساق الذي لا يثرب أبداً » و « ألبس تحضر إليك مشر خدمات لا ينازلني أبداً » هذا بعض ما نشر في الاعلانات فلا بد من أن تكون قد قرأته . على أنه مهما يكن من أمر هذه الآلات فلها قد جمعت ثروة طائلة لذلك التزم اسمت الذي عرفته في لودزس وما أستطيع إلا أن أشعر بالسرور لنجاح هذا الفتى السكين ولكن الذي يزعمى الانزعاج كله هو أن يهود اسمت إلى هنا ليقول لي إنه قد شق طريقه في الحياة وإنه قد فعل

فكرر أنجوس سؤاله وقد بدا عليه نوع من الهدوء المريب :

— والرجل الآخر ؟

فهمت لورا هوب فجأة واقمة على قدميها وقالت :

— إنني لأظنك ساحراً يا سيدي . الحق أنك لعل صواب ، فاني لم أرفي حياتي سطرأ واحداً من خطا الرجل الآخر وليست عندي أية فكرة ولو غامضة عن كنهه ومكان وجوده ، ولكن هو وحده الذي أخافه ، فهو الذي يمترض طريقى دائماً ، هو الذي يكاد يذهب بمقتلي ، بل في الحق إنني لأظنه قد ذهب بمقتلي فعلاً ، لأنني أشعر به حيث لا يمكن أن يكون ولقد سمعت صوته حيث لا يمكن أن يكون قد تكلم

فقال الفتى وقد بدا عليه أثر الانشراح :

— حسن يا عزيزتي ، إنه لو كان هو للشيطان

طويل من الورق ملصق على ذلك زجاج ، فدهن
انجوس ذلك فامن شك في أن هذه الورقة لم تكن
من لحظة موجودة حيث هي الآن ، وخرج إلى الشارع
وراء الليونير النشط وخص شريط الورق فوجد
طوله يبلغ حوالي ياردة ونصف الباردة وقد دهن
بالصنع وألصق الزجاج بمنابة نامة ، وقد كتب عليه
بخط مشوه : « إذا تزوجت من اسمت فسيموت » .
فدأ انجوس رأسه الأحمر الكبير داخل الحانوت
وصاح :

— لورا . . . إنك لست مجنونة

فقال اسمت في شيء من الحشونة :

— هذا خط ذلك الرجل « ولكن » ، إنى
لم أره منذ سنوات ولكنه مازال يضايقنى ، فى الحمة
عشر يوماً للاشية وجدت فى مسكنى خمسة خطابات
تهديد منه وصلت إلى البيت بطريق خفية . ولقد
أقسم البواب أنه لم ير إنساناً ممن يمكن أن توجه
إليه أية شبهة قد دخل البيت . ثم هذا هو بلصق
على زجاج الحانوت هذا النوع من التهديد الملقى
بين القوم الذين فى الداخل . . .

فقال انجوس فى تواضع :

— صدقت ! بينا القوم الذين فى الداخل كانوا
يشربون الشاي . الحق ياسيدى أننى مسح بأسلوبك
فى معالجة الأمور بمثل هذه الصراحة . وعيكتنا أن
تتكلم فى المسائل الأخرى فيما بعد . أما الآن فإن
الرجل الذى ألصق هذه الورقة لا يمكن أن يكون
قد أبتعد كثيراً عن هذه النقطة فاني أؤكد لك أن
هذه الورقة لم تكن حيث هي الآن عند ما جئت
إلى الواجحة منذ عشر أو خمس عشرة دقيقة
على الأكثر . غير أننى أرى من ناحية أخرى أنه

بكملة الزفاف مرة أخرى من الواجحة . . .

وبينا الفتى يتكلم سمع فى الخارج صوت معدنى
رفيع ثم صوت محرك سيارة تجرى بسرعة شيطانية
حتى إذا وصلت إلى باب الحانوت وقفت وأندفع منها
كالسهم فتى ضئيل الجسم على رأسه قبعة عالية لامة
فوقفت فى وسط القسم الخارجى

فقطع انجوس حديثه وخرج إلى حيث وقف
القادم ووقف منه وجهاً لوجه . فكانت نظرة واحدة
كافية لأن تشمره بأن هذا القادم الجديد رجل ملك
للغرام عتاه ، وقد عرف فى انجوس ذلك الشاب
أيزيدور اسمت الذى وصفته له لورا من قبل . هذا هو
اسمت الذى جمع من صناعة السائق الذى لا يشرب
والجارية التى لا تنازل ملايين الجنيهات . هذا هو
أيزيدور اسمت الذى يصنع المراسى من قشر الموز
وأعواد الكبريت . وقف الرجلان لحظة ينظر أحدهما
إلى الآخر نظرة الكرم الباردة النارية التى نمت عن
روح المنافسة

على أن مستر اسمت لم يشر قط إلى موضع المنافسة
بينه وبين الرجل الواقف أمامه ولكنه قال فى شيء
من البساطة المزوجة بالحدة :

— هل رأيت من هوب ذلك الذى الملصق
على الزجاج ؟

فكرر انجوس قول الرجل فى لهجة الاستفهام
— على الزجاج ؟

فقال الليونير الصغير الجسم
— الوقت لا يتسع لشرح أمور آخر فنهنا سخرية
حقاء تستدعى التحقيق

وأشار الرجل ببصاه إلى زجاج الواجحة التى
أخرج انجوس من لحظة أكثر محتوياتها فانا بشرط

والحق أن هؤلاء الخدم الصامتين يقضون حاجاتنا بأسرع مما يقضها الخدم الأحياء لو أنك عرفت أى زر تفضط . على أنى لا أنكر أنه كالمهذه الأدوات يميزاتها فإن لها أخطأها أيضاً
فسأله أنجوس :

— حقاً ؟ أهناك ما لا تستطيع أن تفعله ؟

فأجاب سميت فى هدوء :

— نعم فإنها لا تستطيع أن تخبرنى من الذى ترك لى هذه الخطأيات الهمدية فى بيتى

كانت سيارة الرجل صغيرة وسرعة مثله وهى كأدوات الخمسة من صناعته ، فقطعت بهما فى دقائق قليلة مسافات بعيدة فى ذلك الركن من إنجلترا الذى يشبه فى مجال مناظره الطبيعية ناحية ايدنبرج .

وأخيراً وصلا إلى هملاي مانسوتز ولا تزال فى الوجود بقية من نور النهار ، وما اجتازت السيارة للنهجي حتى رأى الرجلان فى إحدى ناحيتى الطريق رجلاً يبيع البندق وفى الناحية الأخرى جندياً من جنود البوليس ، وكان هذان كل من وجد فى هذه الساعة على مقربة من بيت سميت ، وكان شخصاًهما ساعة التفتش أشبه فى نظر أنجوس بشبهين من أشباح التنارخ ...

وقفت السيارة فجأة أمام البيت ، واندفع منها صاحبها يسأل ساعياً طويل القامة يرتدى ملابس رسمية براقة ، وبوياً بلبس قصير الأكمام عما إذا كان قد رأى أحداً يدخل إلى المار أو أن شيئاً غير عادى قد حدث فى أثناء غيابه . فأكد له الرجلان أن لا أحد دخل البيت وأن لا شيئاً حدث منذ رأيا آخر مرة . فدخل هو وأنجوس إلى البيت واستقلا اللصم الذى اندفع بهما ساعداً فى سرعة البرق إلى الطابق الرابع

أبعد من أن نستطيع اللحاق به لأننا لا نعرف الاتجاه الذى سار فيه . وإذا قبلت نصيحتى يامستر اخبث فانى أنصح لك بأن تمهد بهذا الأمر إلى رجل إخصائى فى قصص الأخبار وإنى أفضل أن يكون رجلاً خاصاً على أن يكون من رجال الرسميين ، وإنى أعرف رجلاً ماهراً جداً فى هذه المهنة لا يمسد مسكنه عن هنا أكثر من مسافة خمس دقائق فى سيارتك واسمه « فلامبو » وعلى أرغم من أنه كان فى شبابه عموماً بكثير من الشكوك فانه الآن رجل شريف جداً أمين وآراؤه تساوى المال الكثير ، ومقره فى لاكنو مانسوتز هامبستد .

فقال لرجل الصفيير الجسم وقد تقوس حاجبه الأسود :

— هذا غريب فانى أنا نفسى ساكن فى هملالا مانسوتز بعد النعنى . ولعلك تتكرم بمراقبتى ، فسأذهب إلى بيتى لأعداد هذه المستندات المجدية التى جاءتنى منه ولكن يئبنا تذهب أنت لأحضار صاحبك البوليس السرى الخاص .

فقال أنجوس فى كثير من الأدب :

— أحسنت ، فسكلاً أسرع كان ذلك خيراً وحيا الرجلان الفتاة ثم استقلا السيارة ، فما كادت تجتاز منعنى الشارع حتى رأى أنجوس إعلاناً كبيراً عن « خدمة سميت الصامتة » وفيه صورة عروس كبيرة من الحديد من غير رأس تحمل فى يديها وعاء كبيراً وقد كتب عليها « الطامية التى لا تنضب أبداً » .

فقال الرجل اللتى ضاحكا :

— إنى أستعمل هذه الخفريات فى بيتى للإعلان من ناحية وللخدمة الحقيقية من الناحية الأخرى .

وقال اسميت لصاحبه :

— أرجو أن تفضل بال دخول والانتظار لحظة حتى أحضر لك خطابات وليكن ، وبمذلك نذهب إلى الناحية الأخرى من الطريق فتدعو صاحبك وضغط اسميت زراً غشيقاً في الجدار فافتتح باب مسكنه من تلقاء نفسه ، وافتتح الباب على ردهة صغيرة كل ما فيها من الأثاث صفان من الأشخاص الميكانيكية واقفين على الجانبين أشبه بنماذج الخاططين ، وهي مثلها بلا رؤوس وإن كانت بارزة الصدور مملوءة الاكتاف ، ولكل منها خطافان يملآن عمل الأيدي والسواعد في حل الصواني ، وما كاد الباب يفتح حتى رأى اسميت في يد أحد هذه الأشخاص ورقة بيضاء مكتومة بالحبر الأحمر لم يكن مدادها قد جف بعد . فاختطفها الرجل وتناولها ليجوس وكان هذا هو نص ما كتب فيها : « إذا أنت رأيتها اليوم فساتنك » وسكت الرجلان لحظة ثم قال إزبدور اسميت : — ألترب قليلاً من الوسكى فاني أشعر أن في حاجة إلى القليل منه .

فأجاب ليجوس في شيء من الكآبة :

— شكراً ، ولكنني أفضل أن أرى فلامبو فهذه المسألة تزداد جساماً فلا أذهب لأحضره في الحال فقال الآخر وعليه من مظاهر الانسراح ما يدعو إلى الإعجاب :

— أحسنت فلتحضره إلى هنا بأسرع ما تستطيع ولكن لم يكده ليجوس يقفل الباب الخارجي وراه حتى رأى اسميت قد ضغط أحد الأزرار فتحركت إحدى الجوارى الميكانيكية وتقدمت حاملة سبينة فوقها معداة الشراب ، فشمز ليجوس بشيء

من الخوف على الرجل الصغير أن يترك وحيداً بين هذه المهي الميكانيكية التي دبت فيها الحياة على أثر إغلاق الباب

ولم يهبط ليجوس ست درجات من درجات السلم حتى وجد البواب منهكاً في بعض العمل فأوصاه وهو يناوله قطعة من النقود بأن يبق في مكانه إلى أن يعود وأن يرقب أي أجنبي يصعد السلم ، حتى إذا خرج من باب المبرة أوصى الساعي الواقف أمام الباب بمثل هذه الوصية ، ومنه علم أن ليس للبناء باب خافي ، ولم يكن في ذلك بل دعا رجل البوليس الذي يمر في الشارع وطلب منه أن يرقب مدخل البيت إلى أن يعود ، وترك رجل البوليس إلى بائع البندق فسأله كم من الوقت يترجم البقاء حيث هو ، وكان الرجل قد رفع يافته مستعدياً للذهاب لأنه يتوقع أن يتساقط الثلج . ولكن ليجوس رجاء أن يبقى في مكانه وأن يأكل كل مامه من البندق وقال إنه سيطلبه جنبها متى عاد على أن يرقب المدخل ويخبره إن كان قد دخل للبناء أي رجل أو امرأة أو طفل . فلما انتهى من إعداد هذه التحفظات سار معجياً بعمله فأنظر نظرة أخيرة إلى الحصن الذي أحاطه بهذا الجدار الحكم وقال يتحدث نفسه :

— لقد أحطت البناء بمقمة قوية ولا يمكن أن يكون هؤلاء الأربعة جميعاً من شركاء مستر وليكن

كان مسكن مستر فلامبو في الطابق الأول من بناء لا كنو مانسوتز ، وكان بسيط الزين ، فلاموس إلى ليجوس تلقاء صاحب النار في غرفة فيها بضعة مقاعد وكل زينتها أنواع من السيوف والقطع الأثرية الشرقية ، وكان يجالس فيها في هذه الساعة

تيس كاثوليكي كان وجوده في هذا المكان في نظر
أنجوس في غير موضعه
فقال فلابو :

— هذا صديق الأب برون ولكن وددت أن
تقابل . الجو جميل الليلة ولكنه بارد قليلا بالنسبة
لرجل مثلي من أهل الجنوب
فجلس أنجوس على أحد الكرسي الشرقية
وهو يقول :

— نعم الجو جميل وأظن أنه سيستمر مموا
ولكن التيس أجاب في هدوء :

— لا ، فقد بدأ الثلج يتساقط
وفما كان قطع الثلج الذي تلبأ بائع البندق
بسقوطها قد بدأت تصدم زجاج النباك وتلتصق به
فقال أنجوس :

— الحق أني أتيت في مهمة خطيرة تدعو إلى
الامراع . والأمر ، يا فلابو ، أنه على مسافة صرى
الحجر من بيتك رجل أشد ما يكون حاجة إلى
مساعدنك ، فهو ملاحق ومهدد بدو غير ظاهر
وشق لم يستطع أحد أن يراه

ولما بدأ يروى قصة اسيت وويلكن وعلاقة
لورا بهما والضحة للزجة ، وفي الجملة تفصيل
ما سمعه ، بدأ الاهتمام الشديد على فلابو في حين
جلس النفس كمنطقة من الأثاث لعلاقة لها بالحديث .
فلما وصل أنجوس إلى التحدث عن قطعة الورق التي
وجدت ملصقة على واجهة الحانوت فلابو واقفا
وكأنه قد ماز الترفة بكتفيه المريضين وقال :

إننا كان لا يضايك أن تروى لي بقية القصة
في أقصر طريق يوصل إلى بيت هذا الرجل كان
ذلك خيرا ، فانه يحيل إلى أن ليس لدينا منسع من

الوقت نضيف في الحديث هنا
نوقف أنجوس وهو يقول :

— يسرنى ذلك وإن كنت الآن مطمئنا على
صاحبي فقد أوقفت أربعة رجال لمراقبة المدخل
الوحيد المؤدي إلى مسكنه
تفرج الرجلان إلى الطريق يتبعها للتيس
الضئيل الجسم كالكلب الأمين يتبع صاحبه ، وكان
كل ما قاله أثناء الطريق وقاله في أسلوب مرح هو :

— ما أسرع ما يتراكم الثلج على الأرض !
وقبل أن يصل الرجل الثلاثة إلى الشارع
الواقعة فيه البناية كان أنجوس قد انتهى من سرد
قصته ، فلما وصل إلى قريب من البيت تطلع يبحث
عن الرجال الأربعة الذين عهد إليهم بالمراقبة ، حتى
إذا وجدهم حيث تركهم بدأ بسؤال بائع البندق الذي
أقسم مؤكدا قبل أن يسلم الجنيه وبعد أن تسلمه
أنه لم ير أي زائر قد دخل البيت ، وكان رجس
اليوليس أشد من البائع تو كيدا ، وقد قال إنه تمود
معرفة اللصوص من كل نوع لا يخدعه تخفيهم
وراء الملابس الناعية والقبعات المائلة ، فهو لا يقتصر
في تعرف الشبهين بما يبدو من أفعالهم التي توجه
الشبهة إليهم ، وهكذا وكذا أنه لم يدخل البيت أي
إنسان ... أما السامح ذو الملابس الباردة فقد كان
لا يزال واقفا عند مدخل الباب يتسم انتباهه
للريضة ، وكان تو كيده أشد من صاحبه فقد قال :

— إن لي الحق في أن أسأل أي إنسان دوقا
كان أو كتابسا ، ماذا يريد من دخوله هذه البناية ،
وإني لأقسم أنه لم يحضر منذ خروج هذا السيد
أي إنسان يستدعي الأمر سؤاله
وكان الأب برون واقفا لا يكترث أبدا لوجوده

وهناك وسط الدمي حيث وجدت قطعة الورقة رأيي
أبحس على الأرض بقعة حمراء كأنها بقعة مداد
انسكبت من دواة ولكنها لم تكن من المداد
فصاح فلامبو في لهجة جمت بين الغضب وبين
الألفاظ الفرنسية قائلاً :

— جناية قتل !

ثم انطرح على الأرض فاحسباً وبعد فترة كان
الرجلان يفتشان كل نقطة في البيت ليثرا على إزبدور
اسميت حياً أو ميتاً فلم يجداه أترأ ، ثم تقابلا وجهاً
لوجه بعد البحث الدقيق ، فقال فلامبو متكلاً بالفرنسية
من شدة تأثره :

— يا صاحبي ... إن القتال لم يخفف وحده
ولكنه أخفى التنبيل أيضاً

فنظر أنجوس حوله في الغرفة المظلمة وأحس
برعشة خفيفة داخل نفسه ، فقد كانت إحدى الدمي
واقفة بحيث يسقط ظلها على نقطة الدم وكانت
ساعدها مرفوعة قليلاً ، فخطر له أن تكون هذه
الساعده هي التي أصابت اسميت فقتلته وهكذا تكون
المادة قد ماتت وقد قتلت هذه الحلوقات الآلية خالقها
ولكن حتى في هذه الحالة يطرئنا هذا السؤال
الطبيعي : « ماذا فعلت هذه الدمي بقتيلها ؟ »
فألقى الوم الخفيف في أذنه هذه الجملة في لهجة
الاستفهام :

— أكانه ؟

فساخت نفسه لمجرد التفكير في أن جسماً بشرياً
يتلاشى ويهضم في جوف هذه الآلات الميكانيكية
واسترد أنجوس ثباته بشيء من المجهود النفسي
وقال مخاطب فلامبو :

— نحن الآن أمام أمر واقع ، لقد تبخر الرجل

فلما سمع هذه الكلمات تدخل في الموضوع ، فقال
في لهجة فيها شيء من التهكم :

— إذن لم يصمد أحد المدرج ولم يهبط منه
بدأ الثلج في السقوط ؟ ولقد بدأ على ما أذكر ونحن
في بيت فلامبو

فقال الرجل الرسمي وهو يضحك نضحاً ذى النفوذ :
— لا يا سيدي ، لم يأت أحد قط إلى هنا ،
وكن واثقاً من قولي هذا
فقال القسيس وقد نظر إلى الأرض بينين
تسهبان حيون السمك :

— إذن إنى لأعجب ، ما هذا ؟

فنظر الجميع إلى حيث ينظر القسيس فلفظ
فلامبو بلفظة شديدة مشيراً إشارة فرنسية ، فقد
كان هناك بالنمل على الأرض وسط المدخل وبين
ساقى هذا السامع الكبير الجسم آثار أقدام غبراء
فوق الثلج الأبيض
فصاح أنجوس من غير قصد :

— إلهي ... الرجل الخفي !

ودون أن ينطق بكلمة أخرى اندفع ساعداً
المدرج يتبعه فلامبو ، أما الأب برون فقد بقي واقفاً
حيث هو ينظر إلى الشارع المنطلي بالثلج وكأنه قد
أحمل شأن الطريقة

وكاد فلامبو يكسر الباب بكتفه القوي ولكن
اللقى الاسكتلندي تحمس ييده إطار الباب حتى
عثر على الزر الخفي فضغطه فبدأ الباب يفتح على مهل
وكان للمدخل والردهة على حالهما لولا أن الاثنين
من الدمي الحديديدة قد تحركتا من مكانهما لقضاء
بعض الأعمال على ما يظهر ، وكانت التهمة قد بدأت
تتهم داخل الممار لولا بقية من شعاع الشمس النارية ،

سرق اسميث كما لو تكون المفاريت قد اختطفته ،
فاذا لم يكن هذا أمراً خارقاً للطبيعة فاني ...

وقطع الحديث وصول رجل البوليس في ملبسه
الزرقاء جازياً يلهث حتى وقف أمام الأب برون وقال:

— صدقت يا سيدي فأنهم وجدوا جثة المسكين
مستر اسميث ملقاة هناك في القناة

فلطم انجوس رأسه بيده لكمة شديدة وسأل:
— هل جرى إلى القناة واتحضر غرقاً ؟

قال رجل البوليس:
— إني أقسم أنه لم يزل من البيت ثم هولم يفرق

نفسه أيضاً ولكنه مات مقتولاً بطمئة بالغة فوق القلب
قال فلامبو في صوت خشن:

— ومع ذلك لم تر إنساناً يدخل البيت ؟
قال الراهب:

— فلنمش قليلاً في الطريق .
فلما وصلوا إلى الجانب الآخر من الطريق قال

القس:
— ما أشد غباوتي، لقد نسيت أن أسأل رجل

البوليس إذا كانوا قد وجدوا كيساً رمادي اللون
فسأل انجوس متبهشاً:

— ولماذا يجدون الكيس الرمادي اللون ؟
قال الأب بروك:

لأنه إذا كان الكيس من لون آخر فيجب أن
تبدأ القضية من جديد . أما إذا كان الكيس رمادياً

فقد انتهت القضية
قال انجوس وفي لهجته تهكم صادر عن اعتقاد

— يسرني أن أسمع هذا الكلام ، فان القضية
فيا يتصل بملى لم تبدأ بمد

قال فلامبو في سذاجة متناهية كسذاجة الطفل:

المسكين كما يتخير السحب ولم يترك وراءه غير بقعة
حمراء على الأرض . وهذا أمر لا يتصل بمانسا
الديتوي .

فقال فلامبو:
— هناك شيء واحد يجب عمله فسواء أكان

الأمر متعلقاً بهذه الدنيا أم بالآخرة، لا بد لي من أن
أزّل فأنكم مع صديقي .

ووزل الرجلان فرا بالبواب التي كان لا يزال
منه كما في عمله وقد أكد لهما مرة أخرى أنه لم يدع

أي متطفل يدخل إلى الممار ، ثم وصلا إلى الساعي
في الملابس اللامعة فوجداه حيث تركاه وقد كرر

توكيده أن إنساناً لم يدخل البيت ، وكذلك وجدنا
بائع البندق الذي كرر هو أيضاً مثل هذا التوكيد

ولكن عندما بحثنا عن الحارس الرابع رجل البوليس
لم نجداه فصاح انجوس في حال عصبية:

— أين رجل البوليس ؟
قال الأب برون:

— عفوا فقد أرسلته للبحث في أمر وجديته
يمنعني البحث والاستقصاء .

فقال انجوس في لهجة قاطمة:
— حسن ولكننا أشد ما نكون حاجة

إلى عودته فان صاحبنا المسكين لم يقتل فقط ولكنه
قد اختفى وزال كل أثره .

فسأل القس:
— وكيف كان ذلك ؟

فقال فلامبو بمد قليل من التردد:
— إني لأعتقد بأنني أن الأمر أدخل في باب

اختصاصك منه في باب اختصاصي . فان البيت لم
يدخله صديقي ولا عدو وعلى الرغم من ذلك قد

أن يشتبهوا في أنه « الإنسان » الذي تبحثان عنه
 فما من شك في أن إنساناً قد دخل البناية وقد
 خرج منها ولكنهم لم يلاحظوه
 فسأل أنجوس رافاً حاجبيه الجراوين :
 — رجل خفي ؟
 فأجاب الأب برون :
 — خفي ممنوباً

وبعد دقيقة أو دقيقتين استأنف القس كلامه
 في نفس اللمحة المتواضعة فقال :

— إن الإنسان بحكم الطبيعة لا يستطيع أن
 يفكر في مثل هذا الرجل إلا إذا فكر فيه فعلاً .
 وهذا هو مبني مهارته . ولكنني استطعت أن أفكر
 فيه من خلال أسرين أو ثلاثة أمور صغيرة في القصة
 التي رواها لنا مستر أنجوس : الأول ما قاله من أن
 ذلك الرجل ولكن تمود أن يسير مسافات طويلة ،
 والثاني الورقة التي ألصقت على واجهة الخانات ،
 ويأتى بعد ذلك السائلان اللتان ذكرتهما السيدة
 الصغيرة واقتنا لا يمكن أن تكونا حقيقتين
 وهنا بدت من مستر أنجوس حركة لجائية فقال
 للقسيس وهو مستمر في حديثه :

— أرجو ألا يضايقك كلامي ، فقد اعتقدت
 هي أنهما حقيقتان ولكنهما لا يمكن أن تكونا
 حقيقتين ، فمن المستحيل أن يكون الإنسان وحيداً
 في الطريق قبل أن يصله خطاب ما يضع ثوان ،
 ولا يمكن أن تكون وحيدة في الشارع في اللحظة
 التي بدأت تقرأ فيها الخطاب ، فلا بد أن يكون على
 مقربة منها إنسان ما ، وهذا الإنسان لابد أن يكون
 خفياً ممنوباً

فسأله أنجوس :

— يجب أن نخبرنا بكل شيء

كان الرجال الثلاثة يسرون بخطى تزداد سرعتها
 عن غير قصد حتى قطعوا مسافة غير قليلة على الجانب
 الآخر من الطريق . وكان الأب برون يتقدمهم
 صامتاً وقد بدا عليه شيء من الوجوم . وأخيراً قال
 في غموض يسترعى النظر :

— الحق أني أخشى أن تظنوا الأمر جد عسير
 فنحن دائماً نبدأ من الطرف النامض في الموضوع ،
 وإن كنا لن نستطيعا بدء هذه القصة من ناحية أخرى
 « ألم تلاحظا قط هذا الأمر — إن الناس
 لا يجهلون أبداً عما يسألهم الإنسان عنه ؟ إنهم دائماً
 يجهلون بما تقصد أنت أو بما يتوهمون أنك تقصده .
 ولنفرض أن سيدة سألت سيدة أخرى تسكن بيتاً
 من بيوت الريف : « هل يقيم أحد مذك ؟ » كان
 للسيدة لن تجيب : « نعم ، إن من في البيت السابق
 وثلاثة من الرجال وخدام من النساء » إلى غير ذلك
 على أرغم من أن الخادمة قد تكون في هذه اللحظة
 واقفة في الغرفة والسائق قد يكون واقفاً وراء
 كرسيها . ولكنها تقول : « لا يوجد مني أحد في
 البيت » وقصدها « أحد » فن تمى أيها السائل .
 ولكن افرض أنت طبيباً موكلاً بالتخاذ بعض
 الاجراءات الصحية سألهما : « من يقيم في هذا البيت ؟ »
 عندئذ تذكر السيدة السابق والخدم جميعاً لا تنسى
 منهم أحداً . واللغة كلها تسير على هذا النمط ، فمالك
 لن تحظى على سؤال توجهه لأي إنسان بمجواب يتفق
 مع حرفة هذا السؤال حتى وإن كان الجواب صادقاً ،
 فهؤلاء الرجال الأربعة الأبناء عند ما قالوا إنه
 لم يدخل البناية إنسان ما لم يقصدوا في الواقع مطلق
 إنسان ، ولكنهم قصدوا « الإنسان » الذي يمكن

واستمر الراهب يقول وهو منهمك في التفكير
— إن الانسان لا يتنبه عادة إلى سماء البريد ،
على الرغم من أن لهم عواطف كثير من الناس
ومن أن في مقدورهم أن يحملوا أكياسا كبيرة
لا يصعب أن يحتقن داخلها جسم إنسان صغير الحجم
وبدل أن تلتفت ساعى البريد تلتفتا طبيعيا مال
ووقع على الأرض مرتطبا بسور الحديقة . وكان
رجلا نحيل خفيف شعر اللحية عادى النظر ، ولكنه
حين أدار وجهه غمره الجزع أخذ الرجل الثلاثة
بما في عينيه من حول شيطانى صرّوح



عاد فلامبو إلى مسكنه حيث بنهمك بين سيفوفه
وأبسطته القرمزية وقطه المعجمى منجزاً ما لديه من
أعمال ، وعاد جون ترينول أنجوس إلى ثناء الحانوت
التي بذل أقصى جهده في التلطف لها . أما الأب
برون فقد مشى عدة ساعات صاعدا تلك التلال
المنظاة بالثلج تحت نجوم الليل في صحبة قاتل ، ولن
يعرف أحد ما جرى بينهما من حديث ...
عبر الجبل صدى

— ولماذا لا بد أن يكون هناك إنسان على
مقربة منها ؟
فقال الأب برون :
— لأنه فيما عدا الحمام الزاجل لا بد أن يكون
إنسان قد أحضر لها الخطاب
فسأل فلامبو وقد بدا عليه النشاط :
— أتريد حقاً أن تقول إن ويلكن هو الذي
حمل خطاب منافسه إلى خطيبته ؟
فأجاب الراهب :
— نعم لقد حمل ويلكن خطاب منافسه إلى
خطيبته وكأ ترى لا بد أن يكون قد فعل
فصاح فلامبو :

— إننى لا أستطيع أن أحصل أكثر من
هذا ، فمن هو هذا الانسان ؟ وما هو منظره ؟
وكيف يكون تكوين الرجل الخفى منوياً ؟
فأجاب القسيس على الفور وفي لهجة التوكيد :
— إنه يرتدى ملابس أنيقة تجمع ألوانها بين
الأحمر والأزرق والذهبي ، وفي هذا اللباس الجذاب
بل والخادع دخل الرجل هيللا مانسوز أمام ثمانية
أعين ترقبه ، وقتل اسميت وهو ثابت مطمئن ثم عاد
إلى الشارع يحمل القتيل بين ساعديه ...

فوقف أنجوس جامداً وقال :

— أيها السيد المحترم ، هل جئنت أم أألاذنى جن ؟
فقال الأب برون :

— إنك لست بمجنون ، ولكنك لست شديد
الملاحظة ، لأنك مثلاً لم تر إنساناً مثل هذا ...
وخطا القسيس ثلاث خطوات واسعة للإمام
فوضع يده على كتف رجل من سماء البريد الماديين
صرالى جانبهم تحت ظلال الأشجار دون أن ينتبهوا إليه

أطلب من الناس
الاستعداد للشأ شبيهاً
الاستعداد للصحة
وصحة النفس والبدن
وصحة القلب والضمير

وشرت وهذه ذكريات

تترى على خيالي بشور مبهم
مختلط . . شعور من يعود لجأه
وبلا إنذار إلي ماضيه ، ليحيا في
بعض أيامه مرة ثانية ، ويزيل
تراب النسيان عما سلف من
حوادثه .

كانت تلك المرأة يوم عرفتها

في الأربعين من عمرها ، وإن كانت تبدو في الخمسين ،
ذات جسد متهدم ، ووجه ذابل تظهر في أضاعفه
آثار جمال تولى ، وكان أعجب ما فيها بسمة وهبتها
لها الطيبة ، بسمة ذاهلة حائرة لم تكن تختفي عن
شفتيها إلا قليلاً ، وعيون ضيقة زاوية تفصح أعماقها
عن الهاء الزهيب الذي ورثته هذه المرأة من أسرتها ،
وداء الجنون والمنة .

ولم يكن لها زوج ، كلاً بل كان لها هذا الزوج
ونوفي بعد أعوام قليلة من مباشرته لها ، ولكن
كانت لها ابنة ، ابنة في سن العشرين أو تزيد حلت
ضيقة على المارستان منذ بلغت سن الثانية عشرة .

وكان أكبر ما أدهشني مما عرفته عن هذه
المرأة ، أنها تشرب الخمر ، وتضع منزلها كل مدة ما
تحت تصرف رجل يجتذب إليها بجمالها ليماشرها فيه
مباشرة الزوج لزوجته دون أن تربطهما رابطة زواج
شرعي . حتى إذا شبع من معاشرته نبذته ليأني
دور رجل غيره ...

وكأنما خلق الله هذه المرأة مجموعة من التناقضات
والمجانب ، وكأنما وضع فيها أشنع صفات غلوقة ،
وأقذر غرائز المرأة وأخلاقها ، وأخذ طابعاً .
وكننت في تلك الأثناء التي عرفتها فيها أسمع

ذكريات امرأة

أقصوصة مصيرة
بقلم الأديب عبد الحكيم العشري

ما أحسبني كنت أذكرها بمد ذلك النسيان
الطويل ، لو لم أسمع في تلك القرية النائية من قري
مصر ، وفي تلك الأسمة الساحية من أمسيات
الريف اللتارق أبداً في الهدوء ، هذا الرجل الريني
وهو ينف في صوت حزين (الوال) للشهور المنتشر
بين جل أهل الريف الذي مطلعته :

« يا عمي بالي بلا خال تمال احملك خالي »

« واحط قلبي اللان على قلبك الخالي »

لقد كان ذلك (الوال) وهذا الرجل يفتنيه
بميد إلى ذهني ضرورياً من الذكريات متباينة مختلطة ،
إذ كان يرتبط بشيء نميته منذ زمن بعيد ، بقصة
امراة عجيبه ماتت كنت أممها تنبه حينها كانت
تميش ...

لم يكن الصوت القديم ، صوت تلك المرأة
وهي تنفي ذلك (الوال) ، قد بقي منه في أذني
سوى أثره العافي ، ورغم ذلك فقد جده صوت
الرجل الريني وهو يردد ويرجع (مواله) . فندت
أسمه من جديد بكل ما كان فيه ، بتبراته الباكية
الكتيبة ، وأنشائه المضطربة الناعمة ، وكان كلما تجدد
في أذني جدد معه ذكريات تلك الحقة من حياني
التي عشتها وهذه المرأة تميش وأراها وأسمع عنها .

عن طيشها وتصرفاتها وأعمالها قصصاً غريبة .
وأرى من هذا الطيش وهذه التصرفات والأعمال
أيضاً الشيء الكثير الغريب ...

قيل لي ذات يوم إنها شربت زجاجة خمر من
زجاجات الخمر الرخيصة التي يبيدها « ديمتري »
في دكانه الصغير بالقرب التي كنت أعيش بها وتمش
بها ، فلما ذهبت الخمر بوعها انطلقت في دروب
القرية وطرقاتها سكرى تفوح من فيها رائحة الخمر ،
وراحت تصيح بصوت غل وهي تضحك ضحكات
فارغة طالية مدوية :

— هكذا يجب أن تكون الحياة : خمر وطرب ..
ثم ذهبت تسب من كانوا في طريقها من الناس ،
فاجتمع حولها الصبية وطفقوا يقدفونها بالطوب ،
ويشربونها بالتراب ، حتى لم تصد تحتمل عيهم
فستقلت على الأرض تصيح بكلام غير مفهوم ،
ولم يرحمها الصبية عند هذا الحد بل ازداد تنكيلهم
بها ، حتى أخذت حركتها واستكانت في رقبتها
على الأرض تنظر إليهم بعين ابتدأت تم وتنفهم
وتتألم ...

ولم تستطع المود إلى بينها في ذلك اليوم
إلا بمساعدة بعض الناس ...

ورأيت أنا بعيني مناظر كثيرة لهذه المرأة وهي
تهان على هذه الصورة عقب شربها للخمر وتسلط
شيطان الخمر على عقلها .

وكأنما لم يكفها ما أصابها من جنون ورائي ،
فأصابت أيضاً بجنون الخمر وهو شر جنون .
ولأحرف لم تم تنقل هذه السكنية إلى اللارستان
ولل سبب في ذلك هو بيدها عن عيون من في
استطاعتهم نقلها إليه ، وعدم وصول أخبارها إلى

أولى الشأن في هذا الشأن .
وقابلت هذه المرأة يوماً ، فرحت أنصحها بترك
الخمر وهجر الطيش ، فنظرت إلي بعينين فغذت
نظرتها إلى أعماق وقالت ساخرة :

— عشنا لنرى أولاداً ينصحوننا ، يا صغيري
المرز احتفظ لنفسك بهذه النصائح المذالية . وظلت
على طيشها وجنونها بل تبادت فيهما .
وفي ذات مساء شهدتها وهي تتخلص من رجل
كان يباشرها وتماشره فقلته ، كانت تقول له وهو
جالس القرفصاء في ركن من أركان إحدى غرف
منزلها الصغير ، وعلى وجهه دلائل الخوف ، وفي
عينيه وميض الشقاء القليل الذي سيمود إليه بعد
أن استمتع بمحاولة الحياة ونعيمها وراحها بمجوار
هذه المرأة .

— في صباح اللند يجب أن تجمع ثيابك باطنلي
الشر ، وتذهب إلى حيائك التي أنترت منك منها مدة ما
فلن أستطيع أن أؤيك أكثر من ذلك ...

فتلقى كلماتها ساكناً وهو ينظر إليها نظرة
المحروم ، أو الطرود من دارحولة ليس له حق الممارسة
في طرده منها

وعادت المرأة تقول وقد شاعت في وجهها فرحة :
— وسوف آتي في القريب برجل آخر من
نوع آخر أبوه مكانك ...

وظهر على الرجل أنه يكاد يبيكي ، ولكنه تماسك
واستطاع أن يبدد ما ظهر عليه ..

وهكذا تخلصت من رجل بمن تتخذه أزواجاً
أو بالمعنى الصحيح أشباه أزواج ..

وبعد أيام قيل لي إنها اتخذت زوجاً جديداً ،
وقد رأيته ... وكان فتى ما يزال أخضر للشارب ،

قلت : أو أائق أنها تحبك ؟

قال : هذا ما يبدو لي ...

قلت : وماذا ترى في ذلك ؟

قال : لا شيء . لقد قلت لك إنها امرأة مجنونة .

ثم سمعت لحظة وأدب ضاحكا :

— دعني أحدثك عن حادث عجيب ، أو قل

مضحك جرى لي منها منذ أيام ...

قلت على الفور : هات ما عندك . أسرع

فراح يحدثنى :

— كنت مضطجعا على أريكة في إحدى غرف

منزل لأستريح بعد أن قضيت يوما كله عمل وكد

ونجاة انفتح باب الغرفة ، ودخلت على تلك المرأة

تترنح غلّة ورائحة الخمر تلبث من فها ، وحينما رأيته

اندفعت تجرى لي ، ومالت على ندي من فى جبينها

للضئ الكرهى وهى تنغمز فى صوت لاهت عمل مثلها :

« هيا قبلى أيها الحبيب ، على جبينى هنا ، فانى

أخاف أن تألف من تقبيل فى الذى لوئته الخمر

هيا فقد تشاجرت بسبب هذه القبلة مع الشرطى

الذى يقوم على خدمتك ، حينما أراد منى من التقدم

إليك ، واضطرت فى آخر الأمر إلى حبسه فى

« المطبخ » وإغلاق باب عليه بالفتح ، هيا ولا تدعى

أنتظر فان قواى تتلاشى من التسبب الذى سببه لي هذا

الشرطى المتبدد »

وكانت رائحة الخمر اللبنة من فها تنضيق أنفاسى

وكان جبينها بضوء وفنارة شكله يثير فى نفسى

الاستمزاز ؛ فاستجمعت قواى ودفعته بيدي بيدا

عنى ، دفعتها دفعة قوية أسقطتها على الأرض كما

تسقط القطعة الكبيرة من الخشب ، وارتطم رأسها

بالبلاط فغيل إلى أنه تحطم ، وسمعت صرخة خفيفة

مديد القامة فى امتلاء ، على كثير من الوسامة وإن

كانت تقاطع وجهه نفي بنفس شريرة أئيمة

وتلبثت أخبار حياتها مع هذا الفتى مدة ما ،

ثم شغلنى شواغل الحياة عن ذلك بضعة أشهر قبل لي

بعدها إنها تركته وإنها تبعت لها من رجل آخر

جديد ، ويشاء الله أن وقعها فى الحب فتسنى البحث

عن هذا الرجل ...

ولم أصدق فى أول الأمر أنها وقعت فى شرك

الحب ، ولكن الدلائل على ذلك كانت كثيرة

فصدقت . ولقد يكون غريبا أن تحب امرأة كذلك ،

والواقع أنى لا أزال أعجب من هذا إلى الآن ...

ومن أحبته ؟.. أحبته ضابط (نقطة) للقرية

الذى ظلنا ألقى بها فى سجن « المركز » والذى طالما

أمر عسكره بجلاها لانتلافها فى الطرقات سكرى .

لكننا لم تدع هذه المرأة شيئا غريبا شاذا دون

أن تأخذ منه بقسط

وبدأت أهم بالراة وبأخبار حيا ، وكثيرا

ما كان يرسم فى خيالى قلب امرأة فى الأربعين من

عمرها وقد حدثت تجرى فيه دماء الحياة والشباب

والحب بعد أن شاخ وهمم ، فأقول لنفسى إن الله

قادر على كل شيء يحى المظالم وهى رميم

وانقضت على هذا الحب تسمة أسابيع ، وزرت

ضابط « نقطة » القرية ، وكانت لي به معرفة ازدادت

أخيرا ، ورأيت أن أحدث معه فى أمر تلك المرأة

المجيبة التى نحب ، فقلت له :

— هل أنك نأ تلك المرأة التى تحبك ؟

ففهم على الفور أى امرأة أعنى ، وتبسم وهو يقول :

— طبعا . ولكنى أعجب كيف أحبته هذه

المرأة المجنونة ...

— ابنتي ماتت .. أوه! لقد كدت أنسى هذه
البنت السكينة ...

وسقطت قطرة من دموعها بين شفتيها فمسحتها
بأصبعها في سهوم وشروء ، ثم تكلفت الأبتسام
وهي تقول :

— ولكن لا داعي للحزن ... فلنكنا سنموت .
وكننت مع بضعة نفر من أهل القرية التفوا
حولها قد عمنا الوجوم والاصمت ، فنظرت إلينا
وهي تضحك في اضطراب وأردفت قائلة :

— لماذا صمتكم ووجومكم هذا ؟! هيا عودوا
إلى حالتكم التي كنتم عليها قبل الآن « فرغشو » .
ابتسموا ، أيؤلكم منظر أم ماتت ابنتها ؟!

وظفقت تضحك ضحكات كأنها المويل والنواح
فلما وجدتنا لم ننير من حالنا انقطعت عن الضحك
بجأة ونظرت إلينا في دهش ، ثم في ابتئاس ، ثم
في ... ثم نظرت إلينا نظرة لم أنهم لها معنى ،
وتركتنا في خطوة متمرة دافئة وجهها بين راحتها
تنتحب ... !

محال أن تزيل يد النسيان من ذهني هذه اللحظات
ومحال أن تسلبني منظر تلك المرأة فيها^(١) محال
ومن ذلك اليوم ابتدأت أسمع تلك المرأة وهي
تنهى ذلك الموال الذي يقول مطلعها :

« يا حم يا لي بلا خال تمال احملك خالي »

« واحط قلبى الملان على قلبك الخالي »

وكانت تشرب الخمر حتى تتأبل سكرآ ، وتنطلق
في طرقات القرية تننيه بصوت مضطرب ينص
بالحزن والبكاء ، وكان الصبية ينطلقون خلفها في
كثير من الأحيان يرمونها بالطوب ، ويحتمنون

(١) أعني منظرها في تلك اللحظات

انسابت من بين شفتيها كأنها غويل غنوق ، ثم ...
ثم نهضت وتركزت الأريكة والفتضب يأخذ مني كل
ماأخذ ، فأرأيتها تنظر إلى في عتاب رحيم وتقول :
« في سييلك أيها الحبيب » ولم تافظ بشير هذه
الكلمات ، وخرجت فأطلقت الشرطى المسجون
في « اللطبخ » وطلبت منه أن يذهب فيحملها ويأني
بها خارج المنزل . وقد كان
وصمت الضابط وهو يخرج من عتبة دكانته
دخينة وضما بين شفتيه وتغم :

— لقد قلت لك إن هذه المرأة مجنونة ...
وأشمل الدخينة وراح يدخلها في صمت ،
واستأذنته في مبارحته ، ثم انطلقت إلى الطريق
وأنا أشمر بقلبي قد امتلأ شعجا

ولم تفارق غيظي في ذلك اليوم وليله ، سورة
امرأة في الأربعين سكرى ملقاة على أرض إحدى
غرف منزل تنظر في عتاب رحيم للرجل الذي أهانها
بالقاء لها هكذا على أرض الغرفة ... الرجل الذي
نحبه ولا يحبها ، وتهتف قائلة « في سييل جيك
أيها الحبيب ! »

وكانت الأيام تضي وأنا أقرب عن كسب تلك
المرأة العجيبة واهتأي بأمرها يتضاعف ويتضاعف
في كل يوم وفي كل ساعة ، وكننت معها ذات يوم
عندما أأماها نبأ موت ابنتها تزيلا البيارستان ، أبدأ
لن أنسى ما يدا على وجهها وما لاح في عينيها وقتذاك ،
لقد لاحت في عينيها نظرة حائرة تأهة ، وبدت على
وجهها حجمة واقباضة وتفكير ، وظلت على ذلك
بضع دقائق ، ثم تندت عيناها بالدموع وهتفت
في خفوت :

— لقد خيل إلي في نومي أنه آله ليوموني ...
ألا ما أقسام من حبيب ...

وتلاؤلات في عينها صمة ...

وبعد لحظة التفتت إلى تسألني :

— هل قابلت ضابط « النقطة » منذ قريب ؟
قلت : أجل ...

فسألني في إسراع وهي تكاد تذوب شوقاً ولهفة :
— وكيف حاله ؟

قلت : كما هو ...

فاخضعت هيبتها وظهر عليها أنها تستعيد شيئاً
حلواً ، ثم حدثت ففتحتهما والتفتت إلى قائلة :

— هل رأيت في هذه الدنيا امرأة أشق مني ؟
فمنظرت إليها طويلاً ... ولكني لم أجبها ...
وتصرمت أيام . وفوجئت بحجر يقول إن ضابط
« نقطة » قريباً سينقل بعد يوم إلى « نقطة » أخرى

في بلد بعيد ، وكانت صمة مرضية قد ساءت وتدهورت
فحاولت بكل ما وسعني أن أمنع هذا الخبر من الوصول
إلى أذنّها حتى لا يصيبها بشر جديد ، ولكن رجلاً
من عادوها تدفعهم للشفقة أوجب الاستطلاع أوصله
إليها دون أن أعلم ، فلما اختلت بي بعد ذلك وكنا
في الصباح قالت لي وضوتها برتمش :

— سوف أذهب في المساء لأودع ضابط
« النقطة » فقد علمت أنه سينقل إلى بلد آخر غير
هذا البلد . فهل تستطيع مرافقتي إلى منزله ...

قلت وأنا أعجب لها في نفسي وأخني عجيبي

— إنك الآن في أسوأ حالات المرض ، فلا
يبنى أن تكني نفسك مشقة ...

— وهل تحسبني أستطيع تركه يذهب دون
أن أودعه !؟

للتراب يلتقونه عليها ، وكثيراً ما أنقذها الناس ولهموم
يكاد يقضي عليها ...

مستكنة ... لقد كانت تميش بقلب جريح ،
وعقل مجنون ... كانت فريسة لحب يائس وجنون
أليم ، وحزن تملكها بعد موت ابنتها . وعينها حاولت
أن تجد ذلك الرجل الذي لا « خال » له لتضع على
قلبه « الخالي » قلبها المملوء بالآلام والأشجان !

واتابت البائسة في يوم من الأيام حتى شديدة
نفرت على فراشها تنامي آلام هذه الحلى فوق
ما تمنّاه من آلام قلبها وعقلها ، والتفتت حولها
تبحث عن يقوم على خدمتها في عمتها الأخيرة هذه
فلم تجد أحداً سواي ، كان كل الناس قد هربوا منها
إلا إياي ، فلقد كنت أعطف عليها وأرقي لها قلم أشأ
أن أتركها تقاسي ألم المرض وحدها . ونظرت إلى
وهي تقول :

— ولكني أسأت إليك من قبل يا سيدي
فقلت : ما فات مات ...

وكانت لي صلة بطبيب قيم في « المركز » الذي
تبعه قريبنا فاستقدمته ليشرف على علاجها ، وأثر
في المرأة هذا العطف والاهتمام ، فراحت تدعو لي
بالسمادة وراحة اللبال وطول الممر

وقد خف جنونها في أيام هذا المرض ، ولكنها
في أحيان كثيرة كانت تخن إلى الخمر فلا أستطيع
منعها من شربها ، وفي ذات مرة أخذتها سنة من
النوم وأنا بجوارها ، فسمعتها تهتف بلسم ضابط
« نقطة » القربة ، وأثر في ذلك فاستعبرت وأنا أرنو
إلى وجهها الشاحب وأمر رأسي في أسى وإشفاق
ولما استيقظت نظرت حولها في دهشة وتبسمت
في كآبة وهي تهمم :

طلبها منه ، وأمسكت المرأة يده تضغط على أنفها
في عصبية وهي تصيح

— أنت ... أنت ...

وبعد حديث ووداع دام بضعة دقائق غادرها
الضابط ، وقد بدت على شفتيها وهي تشبه إلى الباب
يصصرها السكابل بسمة فيها حزن ووداع وبكاء
والتفتت إلى تقول بعد أن ذهب :

— إنني لأصدق. يحيل إلى أنني كنت في حلم ...

وفي اليوم التالي سافر ضابط «النقطة» إلى البلد
البعيد الذي قتل إليه ، وبعد أيام من سفره ماتت
للرأة المريضة للسكيرة المجنونة التي أحبته فلم تسد
بجها إلا مرة واحدة ، فودعت بموتها امرأة عجيبه ،
صرت بجياتي كما يمر بخيال التأمم حلم عجيب !
عبد المليم محمود العشري

— سوف آتي به إلى هنا فتودعيته وأنت على

فراشك ...

فتم وجهها الفرح وصاحت وهي لا تصدق
ما أقوله :

— أو يقبل المجرم إلى هنا ؟

فطلما أنها ... وأكدت لها أنني سأحمله على الحضور
إليها ، وذهبت فرجوت الضابط أن يأتي من إليها ،
وقد رق لها قلبه بعد أن وصفت له حالها ، فأجاب
رجائي وراقني إليها

وحينما دخل عليها كانت المسكينه تموت من
الفرح ، واخر وقت عيناها بالهموم وهي تنظر إليه
غير مصدقة أنه هو حقاً ...

ورق لها قلب الضابط أكثر ، فأنحى عليها بضع
على جبينها قبله ... القبله التي أهاها من قبل حينما

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عاملوه ... وعاملوا شركائهم ... لتكثروا ... التصير لمبوركم

حاجي بابا اصفهاني

لکاتب الانجيل نزي جهن مؤبر
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشاز

وأنت صلاة الشكر، وقلت في نفسي : إن
أبي سيراني بعد قليل وسيعرف أن ابنه
لا يزال على قيد الحياة ، ونذرت لسيدنا
على نذراً بأنني إن وصلت ، فوجدت أهل
بجبر فسادهم ذبيحة وأدعو إليها الفقراء

وكان خفوق قلبي لا يزال يملو ويزداد
كلما اقتربت من حانوت أبي . وسرت في الطريق
التي كانت لا تزال كمهدما وكانت مرفقة بها لا تزال
حاضرة في الذهن حتى وجدت نفسي بين حانوت
أبي وبين الخان

وكان باب الحانوت مغلقاً، وجعلني الخوف من
سماع جواب سيء أحجم عن السؤال من أبي، ولكن
لما ملكت روعي تذكرت أن اليوم يوم جمعة وأنه
لا يبعد أن يكون أبي قد جعل الصلاح دينه في
أخريات أيامه فتذكر العمل في أيام الجمعة . وبعد
قليل فتحت باب الخان ورأيت صاحبي البواب يسير
عازياً للحائط وقد احذوب ظهره وصار يياض
لحيته ورأسه ناصعاً، ولكنني عرفته من أنفه الأثني
الذي أستطيع تمييزه بسهولة من بين ألف من
الأثون فحيته التحية المعتادة، فرد على دون أن ينظر
إلي وجهي

فنادته باسمه وقلت : « ألا تعرفني يا حلي ؟ »
فنظر إلى وقال : « إن الخان أيها الصديق معرض
للدنيا ، ففي كل يوم أرى عشرات من الوجوه
ولا تستطيع ذاكرتي أن تميزها كلها »

قلت : « لا بد أن تكون متذكراً حاجي بابا
الذي كان يحمل لك في الزمان القديم »، فقال البواب
« لا إله إلا الله ! أنت حاجي بابا ؟ لقد خلا مكانك
منك مدة طويلة فهل رجعت في النهاية ؟ الحمد لله
(٦)

الفصل الثامن والأربعون

ما هي بابا يعود الى بيت أبي في أصفهان

لم أنتظر سماع كلمة أخرى وخرجت في الحال
من مدينة قم ، وكان في جبتي دراهمات قليلة تكفي
لشراء القوت في أثناء الطريق . ولقد كان يودى
أن أبقى في مدينة قم حياً وأن أنضم إلى تلاميذ
ميرزا أبي القاسم ؟ ولكن دفتي إلى المودة نحو
وطى طول شوق إلى أبي واعتقادي أن ما رأيت به
من الكروب والمصائب إنما يرجع إلى عقوقه وقلت
في نفسي : « أنا لو كنت أبناً باراً لما أهملت أبي
في أصفهان وتركته في ضعف الشيخوخة مضطراً
إلى مضادة حرفة الخلافة لكي يكسب القوت »

ولم أزل أسير حتى بدت لي أصفهان عن بعد،
تفتق قلبي وانتشلت فكري بتصور الحالة التي سأجد
عليها أسرتي ، وتساءلت : هل أجد مملئ لا يزال
على قيد الحياة ؟ وهل جازنا البذل الذي كنت أشتري
منه الحلوى لا يزال مقبلاً في حانوته ؟ وهل صاحبي
بواب الخان لا يزال جالساً أمام الباب الذي اعتاد
الجلوس عنده طول ليله وطول نهاره ؟ وهل إذا
رأيت سيدك زيارتي مع التركانيين لهذا الخان
وسرقتنا منه ما وصلت إليه أيدينا ؟

ولما صرت قريباً من باب أصفهان وقفت خاشعاً

على وجه البمض ولكن الدمشة كانت بادية على
أوجه الجميع

وقتح أبي عينيه اللتين كانتا مغمضتين وقد ومض
فيهما برق السرور وظهرت عليه الرغبة الشديدة
في رؤيته وأمسك يدي والتفت إلى وقال : « الحمد
لله ! » ثم قال : هل كان حسنًا منك أن تتركى كل
هذا الأمد ؟ أما كان يحسن أن تأتي قبل الآن ؟
وكان يود أن يستمر في عتابه ، ولكن الاتصال
الذي أحدثته هذه المفاجأة كان أكبر من أن يحمته
محبتة الضيفة غارت قواه وارتجى رأسه على الوسادة
وقال لي معلني : « اسكت يا حامي يا ! لا تقل شيئًا
حتى يفتق لأنه يريد أن يكتب الوصية »

وقال شاب كانت عيناه تنظران إلى نظرة شديدة
العداوة : « نعم . علينا أن نتحقق هل هذا هو
حامي يا أم لا »

وقد تبينت أن هذا الشاب هو أخو زوجة أبي
وكان يلطم أن يوصي أبي له بمجزء كبير من تركته
كما كان ملقى بطعم في مثل ذلك وقد تحققت أيضًا
فيما بعد أن أكثر الوجودين كانوا بطعمون في أن
يوصي لهم أبي بأجزاء من تركته ، وأن عجبي كان
نكبة عليهم لأنهم حرموا جميعًا عما كانوا يلطمون
فيه . ولولا أن المللم شهد بأنني حامي يا لاجتمعت
كلمة الباقيين على طردي من هذا المجلس ولقد زال كل
شك في حقيقتي عند ما فتح الباب بعد قليل ودخلت
منه أي لأنها لما سمعت خير عجبي لم تستطع البقاء
في حجابها وراء الستور ودخلت للفرقة مبسوطة
البراعم لثماقتي وقد نسيت أن تضع على وجهي
نقابًا وصاحت : « أين ابني ؟ أين أنت يا حامي يا ؟ »
فلما أظهرت نفسها لها أرغت على وبكت بصوت

لقد أذن لكربلائي حسن بأن يرى ابنه قبل أن يموت
قلت : « ماذا تقول ؟ أين أبي الآن ؟ لماذا تذكر
الموت ؟ »

فقال : « لقد شاخ أبوك وهو الآن على فراش
الموت فلا تضيع وقتك سدى واذهب في الحال
لملك تدركه قبل أن تفارقه الحياة ... »
واستمر البواب يشكلم ولكنني لم أفق حتى
أسمع بقية كلامه بل ذهبت نوا إلى المنزل فوجدت
بالقرب من باب شيخين يتسكمان فلم أسترح لرؤيتهما
لأنني عرفت أنهما من رسل الشؤم

ودخلت المنزل فوجدت فيه رجالا كثيرين
قد أحاطوا برجل نائم فنظرت إليه وقد عرفت أنه أبي
ولم يبرق أحد من الوجودين ولكن أحدهم
لم يمتزني لأن المادة جرت في هذه البلاد على أن
يدخل غرفة المحتضر من يشاء من موارفه دون
استئذان ، ووجدت في طرفي للفرقة رجلين أحدهما
الطبيب والآخر معلني السابق ، وكان المللم يري أبي
بهذه الكلمات : « لا تياس فقد وعد الله في أجلك
حتى ترى ابنك حامي يا ولكن الحزم يقضى بأن
تكتب وصيتك وتعين اسم وارثك »

فتهدأ أبي وقال بصوت خافت : « لقد عفتني
ابني ولم يفكر في أمرى فهو غير جدير بأن أحمله
وارثي »

فكان أثر هذه الكلمة شديداً على ولم أستطع
مع سماعها إلا أن أعلن وجودي فقلت : « إن حامي يا
هنا وقد جئت يا أبي لتدعوني فلا ترفض » ثم ركمت
بجانب الفراش وأخذت يده فقبلتها وبكيت ، وكان
لما بدا مني تأثير قوي على جميع الوجودين وبدأ التعلق

صرت بي في الحياة ، وكنت جالساً منفرداً في ركن من لفرفة أبكي بكاء صامتاً لا كالبكاء التكتف الذي يكيه الباكون . وجاءني أحد الجيران فقال إن التقاليد تقضى بأن أمزق ثيابي لأدل بذلك على أني ابن بار فقلت له : « ألا يمكن أن أؤدي واجب البر وأحتفظ بالثوب الذي لا أمك غيره ؟ »

وقال لي أيضاً إنه يجب علي أن أترك رأسي عارياً وقدى حافيتين حتى يتم الدفن فوافقت على ذلك . وعلت فيما بعد أن هذه الواقعة أكسبتني سيرة حسنة في موطني ، وكان حزن أمي عتيقاً فقد قطعت شعرها ومزقت ثيابها وكانت صرخاتها عالية تنشق عنان السماء

وأخذ معلي يبدى وقال لي ليمزني : « لقد مات أبوك ولكن أليس اللوت غاية كل شيء ؟ لقد مات ولكن هل خلد إنسان قبله حتى كنت تطمع في أن يخلد ؟ إنك قد حطت في الدنيا عليه . فأد ما كان يؤديه من الأعمال الصالحة . وأيقن أنه الآن بين حوريتين من حور الجنة يشرب اللبن والعسل الالهيين فهل هذا هو ييكيك ؟ أنظر إلى النجم الذي من الله عليه بها واحده فقد كان من المحتمل أن يموت كافراً ولكنه بحمد الله مات مؤمناً . وقد كان من المحتمل أن يولد تركياً ولكن الله من عليه بأن جده إيراياً . وقد كان من المحتمل أن ينشأ سنياً ولكن رحمة الله قضت أن يعيش شيعياً . »

واستمر يمزني على هذا للنوال حتى سئمت فتركتي ليحدث غبري ، وجمي رجال لم أر في الحياة أقدر منهم ليسلوا بي قبل دفته . واستشاروني هل يستأجرون عدداً من حملة الأعلام وللشارات ليسيروا أمام الجنائز كمادة الوجهاء أم يحملونها ببسطة

عال ونظفت بكل كلمة رفيقة أمثلها عليها المذاكرة في الحين . ونظرت إلى من الفرع إلى القدم نظرة محب مشتاق — لا ، بل نظرة أم ، لأن المواطف التي أبدتها لا تظهر إلا من الأمهات

وفي هذا الحين كان الطبيب يحاول أن ينيه أبي من الإغماء وأبدى أبي علامة سيئة لم يجسر الطبيب معها على إعطائه الدواء قبل أن تمر ساعتان وبعد ساعتين أعطى الدواء وبدلاً من أن يقوم فيملئ وصية كما كان الشكل ينتظر ، فإنه قد النطق والحركة . ولما غصوه وجدوه قد مات ، فقال الملم : « أوسل إليك باسم الله أن تفيق فانتا تريد أن تكتب الوصية »

وكان سوته وهو يقول ذلك أشبه الأصوات بالبكاء . وقام فمز رأسه ولكن يثير جدوى لأن الحياة قد فارقت . ولما قطعة من اللقطن قمصروها في فمه وأداروه نحو القبلة . ثم أخذ معلي يرتل آيات من القرآن ، ووضع منديلاً تحت رأس أبي وربط فوق رأسه ، ثم ربط إبهام يده معاً ونطق جميع الموجودين بالشهادتين . وبعد ذلك اجتمع النساء حول الجثة وأخذن في البكاء والنحيب ، وفي الوقت نفسه أخذ اثنتان من حفظة القرآن يرتلان سورة من القرآن

ولما سمع البكاء في المنازل المجاورة هرع كل نساها إلى منزلنا لأن أبي كان محبوباً من أهل جيرته وقد حضر المآتم والجنائز من الرجال ومن النساء أكثر من العدد الذي يحضر عادة في مآتم أي خان أو ميرزا

وعلى الرغم من كثرة المزين فقد كنت أنا الحزين الوحيد لأن موته ذكرني بكل الحوادث المؤلة التي

وكانت قراءتهم في وقت واحد وبذلك تمت قراءة
المصحف كله في وقت قصير

وعلى أثر ذلك ذهبت أمي وكثيرون من النساء
إلى القبر وأخذن مهن مقادير من الفاكهة وأنواعاً
الطعام وفرنق ذلك على الفقراء ثم عدن إلى المنزل
فأطاحت بأعلى أصواتهن

وبعد أيام أخرى خلعت أمي حزنها وارتدت
ثياباً بيضاء وصبغت شعرها ولبسها بالحذاء وبذلك
انتهت كل إجراءات الموت وتركزت وشأني لأدبر
تركة أبي ولأفكر في مستقبل

الفصل التاسع والاربعون

ماحي بابا يصبح وارثاً لتركته غير مرجوة

مات أبي ولم يترك وصية فكنيت وارثه بغير منازع
وكان من الطبيعي أن يسرف في ذى الدين كانوا
يطعمون في أن تنقل إليهم التركة بالوصية وأن يتهموني
بالاسراف وبأنني طاق وبأنني غير متدين وبأنني
جواب آفاق

ولما كان في عزى ألا أقبر في أسفهان فقد
نظرت إليهم نظرة احتقار ولم أهتم بأى قول يقولونه
ولما قابلت أمي على انفراد دار هذا الحديث :

قلت : « أخبريني يا أمي — قاله لا ينبغي أن
يكون بيننا سر — عما تركه أبي فقد كان يحبك
ولا يمكن أن يكون أخفى شيئاً منك »

فقلت بانضطراب واشتزاز : « وماذا تريد من
تركته ؟ » فاستأنفت قولي متظاهراً بأنني لم أسمع
جوابها وقلت : « تعرفين أن الوارث ملزم في الشرع
والقانون بأن يسدد ديون مورثه وتعرفين أن نفقات
الجنائز لم تدفع بعد . وأما الآن مجرد من المال كالיום

كالفقراء ؟ فأحلهم إلى مملى ليحجب بالثيابة عني . وكان
جوابه أن أبى كان من المروفين في المدينة الدين
استمت شهرتهم ، وأنه لذلك يجب أن يدفن كما يدفن
سائر الوجاه . فجئى بمدد كثير من هؤلاء وساروا
بأحلامهم أمام الشمس الذى تطوع كثيرون لحمله على
أعتاقهم فدلوا بذلك على أن أبى كان محبوباً . وكانت
الجنائز كلها تقدمت مسافة في الطريق انضم إليها
فريق من الناس حتى إذا ما وصلنا إلى المدفن كان
عدد الشيعين لا يستهان به

وبعد أن أقيمت للصلاة جرت عملية الدفن
وجلس حول القبر اثنا عشر قارئاً للقرآن قتلوا
آيات ميمنة ثم قرئت الفاتحة ثم ودعوا المشيعون
على أن يقابلوني فيما بعد بالمنزل

ولما صرت وحدي سألت نفسي : « هل التذمر
الذى نذرت عند باب المدينة أصبح واجب الأداء
أم صرت في حل منه ؟ »

ولما لم أعتد إلى جواب عزمت على أن أستشير
ولما عدت إلى المنزل وجدت كثيرين في انتظارى .
وكان وقت المشاء قد حان ورأيت أن واجب البتوة
في نظر أهل المدينة يقضى بأن أفق من سخاء ، فلم
أجد بداً من الوفاء بالتذمر فأصهت بأن تدفع ذبيحة
وبأن يقدم الطعام إلى كل من في المنزل من المزين
واستأجرت ثلاثة من حفظة القرآن ليقرأوا واحد
منهم ما تيسر منه في الغرفة التى مات أبى فيها وليقرأ
الآخران عند القبر

وبعد أيام لا أعرف عددها جاء أناس كثيرون
فجلسوا في أكبر غرفة بالمنزل على شكل دائرة وكان
في يد كل منهم جزء من القرآن وأخذ كل منهم
يقرأ بصوت عال سورة غير التى يقرؤها الآخر

السجد بين حلقة من تلاميذه. ولأرأى طرود تلاميذه.
وقال : إن خطواتي إليه خطوات سبيلة وإنه يسر
بأن يقدم لي كل خدمة أريدها
قلت : « لا تتضحك على بهذه الكلمات . لقد
كنت أنتظر من القدر الذي حرمنى من أب أن
يمنحنى ما أستحقه من ميراثه »

فرض السلم عينيه إلى السماء وقال : « الله كريم
هكذا يا بنى حال الدنيا وعلى العاقل الحكيم أن يسد
عينيه عن كل الطامع النبوية فلا يتطلع إلى شيء
من ترأثها الغاني »

قلت : « من أى عهد أصبحت صوفيا حتى
تتكلم بهذه النجبة ؟ إننى أستطيع أيضا أن أقول
مثل هذا القول ، ولكن أمانا أموراً جدية »

وطلبت إليه أن يخبرني عما تركه أبى
فتتحنج وتظاهر بالجد والوقار وأمسأ أغلظ
الآيمان أنه لا يعرف إلا ما سمع من أبى ، وأن أبى
قالت له إن أبى مات ولم يترك شيئا من المال

وجئت مدة طويلة ثم أبدت دهشى مما سمعته
لأن أبى كان رجلا متدينا وكان يملك بنير شك
مقداراً وافراً من المال . ويبدو أن يكون قد أقرضه
بالربا . وتذكرت قصة تدل على استحالة ذلك ، وهذه
القصة هي أن عبداً أفا أراد أن يقترض منه بالربا
فذهب أبى إلى أحد العلماء وسأله هل يبيع الدين
ذلك ، فتلا عليه اللام آية من القرآن تحرم التبادل
بالربا قطعا وقال لي أبى بعد ذلك إنه لن يقرضونى
بقترض ما دام حيا ، وأوصاني بأن أكون مثله
في ذلك

تركت المسجد بإسماً من الحصول على المعلومات
لكنى كنت أريدها وذهبت إلى خانوت أبى فجلست

الذى ولدتني فيه ولا بد لي من الحصول على المال.
والأفاني أنضج ويهان اسم أبى ويمكن من أعدائى
وقد اشتهر أبى بأنه غنى ويجب عاقلة على سمته
ألا يظهر عكس ذلك على أثر وفاته فأخبرني يا أبى
كم ترك من المال وكم عليه من الديون ومن هم دائنوه
وهل له مدينون »

قالت أبى : « الله ! الله ! ما هذا الكلام الذى
تقوله يا حاسى بابا ؟ لقد مات أبوك فقيراً ولم يترك
مالاً ولا عقاراً وقد كنا لا نأكل غير الخبز الجاف
إلا في الأيام التى يكثر فيها زائرو هذه المدينة من
التجار فانه كان يأت بطبق من الأرز وآخر من
الكتاب . أما فيما عدا ذلك فان ميسشتنا لم تختلف
شيئاً عن ميسشة للشعائين فاهو المال الذى تسألني
عنه ؟ هذا هو المنزل أمامك فأبحث فيه ما شئت وهذا
هو خانوت أهلك فانظر ما الذى فيه ! لقد كان
وصولك في وقت مناسب فافتح خانوت أهلك واستمر
في صناعته وإن شاء الله جمع لك من الثروة ما ترجوه »
قلت : « هذا الذى أسمعه يا أبى شديد الفرية
فان أبى ظل يكتسب أكثر من خمسين طماً ويستحيل
ألا يكون قد وفر شيئاً في خلال هذه المدة . وأريد
الآن أن تقسم ذلك الربح »

قالت في شيء من الاحتياج : « تقسم ؟ هل
تهم أمك يا حاسى بابا بأنها سرقت منك أو من أهلك
شيئاً . إذهب وسل أصدقاء أهلك . إسأل مملك
فهو يعرف إن كان أبوك ترك شيئاً أم لا »

قلت : « إن السلم لو كان يعرف لما ألح قبل
موت أبى في كتابة الوصية . ومع ذلك فاني سأأفله
وأسأله »

وذهبت فوجدته جالساً في ركن من أركان

رأيت كثيرين من التجار استدلوا على أموالهم المفقودة بهذه الطريقة ولست أعرف حادثة لم يستطع النجمون الوصول فيها إلى مال مفقود إلا حادثة اعتداء للتركان على الخان ، ولقد جلبت على هذه الحادثة ويلات عظيمة لأن بعض الناس اتهموني بأنى كنت شريكاً لهم لأنى أنا الذى فتحت الباب للمصوص وقلت إن فيهم صديقاً لى اسمه مثل اسمك يا حاجى بابا »

ولقد كان من حسن حظي أن هذا البواب ضيف البصر فحلت شبهة في نفسه عمل اليقين في أمر هذه الحادثة ووعدنى بأن يرسل إلى أعظم منجم في أصفهان وقال لى في وصفه إنه يخرج قطعة الذهب من تحت أطباق الأرض

الفصل الخمسون

حاجى بابا والمهم

في صباح اليوم التالى جاء رجل إلى غرفتي فسير القامة هزيل الجسم أحسب الظهر كبير الرأس لم أر عينين أشد سطوعاً من عينيه ففرت أنه النجم . وكان عليه ثوب من ثياب الدرايش . وقد بدأ يسؤالى عن كل شيء حدث لى خصوصاً بعد هود . إلى أصفهان وكان يذوق في البيت عن التفاصيل ويسأل عن كل رجل له معرفة بأبى .

ولما كانت أبى في ذلك الوقت متفية في الحمام فلم أخبرها بمد ذلك عن مجئ النجم ولكن رجوتها أن تدعو في اليوم التالى كل أهل ليتشدوا عندنا ...

ولما اجتمعوا في المنزل سلمت عليهم وقلت لهم إننى أريد الاستعداد بهم على ما تركه أبى فنظر بعضهم إلى بعض وبدلاً من أن يشتركوا مع أبى

به وفكرت في الوسيلة التى أحصل بها على رزقى في المستقبل وعزمت قبل كل شيء على ألا أقيم في أصفهان وفكرت في الذهاب إلى طهران لأنها خير بلد يمش فيه رجل مثل . وقام بنفسى اعتقاد أنه من المستحيل أن تكون أبى ومعلمى صادقين فيا زعماء من موت أبى مفلساً . فبدأ لى أن أحتكم معهما إلى القاضى

وبينا أنا أفكر في هذه الأمور إذ رأيت صاحبي بواب الخان ، ولما وقع نظره على أنبل نحوي وعزائى ولما رأى شدة اتقائى وشهود ذهنى قال لى : « لماذا تحمّل كل هذا ألم ؟ إن أباك قد مات ولكنه تركك في سن تستطيع معها العمل وأنت وريشه ولم يكن رحمه الله فقيراً »

قلت : « نعم إننى وريشه ولكنى لم أجد شيئاً أأرثه فيه إلا هذه الطسوت النحاسية واللواشى وإلا البيت البلى بالطوب النقي »

فقال : « ولكن أين ماله يا حاجى بابا ؟ لقد اشتهر أبوك بأن لديه مالا كثيراً . وكل إنسان في المدينة يعلم أنه ما كان يمر يوم واحد على أريك دون أن يزيد على المدخر عنده من المال مقداراً آخر »

قلت : « هذا صحيح . لكن أية قاعدة لى من هذا القول ما دامت أبى تنكره ومعلمى يشهد لها ؟ إنه لم يعد أمامى غير أن أذهب للقاضى »

فقال البواب : « تذهب للقاضى ؟ لماذا الله أن تذهب للقاضى ؟ لا تذهب إليه فانه لن تستفيد منه شيئاً وهو لا يهب البدل ولكنه يبيمه بالقتال »

قلت : « وما الذى أفعل ؟ » فقال : « اذهب إلى النجمين فانهم يرشدون عن كل مال ضائع وقد

قال النجم : « لا تمجل بمركته ولا تثب هذه الوثبة فان الله سيظهر الحقيقة على يدي » ثم دار بنظره فينا مرة أخرى وقال : « هل تريدون أن أنتمروا الحقيقة ؟ » قلنا : « نعم »

وعند ذلك نادي تلميذه وأخذ منه كيساً كان منه فأخرج منه ملء اليد من الأرز وقال : « سأعطى كلامك بعض هذا الأرز فامضوه . أما السارق فلن يستطيع مضه »

ودار على كل واحد فوضع في فمه مقداراً منه فمضوه ولم يمتنعون لأن أكثرهم كان يبد الأمر فكافة . ولم يبطي بطبيعة الحال مثل ما أعطى غيره لأنه لم تقع على شبهة وأنا الذي أشكو

وحاولت أي أن تخرج من هذه التجربة بانضمامها إلى جاني وتظاهرها بالسرور لظهور حق ولكن النجم أبى عليها ذلك ووضع في فمها مقداراً من الأرز وفي لحظة كانت الأنواء مختلفة بالضغ وكان النجم يقرأ في هذه الأثناء . وبعد لحظة أخرى كان لكل قد فرغوا من الضغ إلا المعلم وأبى فأنهما لم يستطيعاه وقال المعلم : « لماذا تمطى هذا الحصى وأنا رجل حرم ضعيف الأسنان ؟ إنه يستحيل على أن أعجب في هذه التجربة »

وقالت أي مثل هذا القول وزادت عليه : « ما هذه الألاعيب الصيبانية ؟ هل رأيتم قبل الآن ولداً يعامل أمه ومعلمه مثل هذه الماملة ؟ إنه يهتما بالسرقة ولعله هو المص »

فقال النجم : « لم يقل أحد عنك إنك لسان ولكنك تقولان ذلك وليس الفرض فضيحة أحد وإن كان في وصى أن أقيم كل برهان على السارق . وفي وصى أن أجعل لسانه يترن على يركة خادم

في التكلم أظهروا اعتمادهم لمساعدتي في الوصول إلى الحقيقة . وفي هذا الوقت جاء النجم بناء على اتفاق سابق معه وجاء معه أحد تلاميذه .

أطال النجم نظره في وجه كل واحد من الموجودين ثم أجلس تلميذه أمامه وأمل عليه آيات من القرآن وهذه الآيات تتضمن الوعيد لمن يأكل أموال اليتامى بالباطل ثم جاء بفنجان فيه قليل من الزيت ووضع في كف التلميذ وظل يتلو آيات ويقول كلاماً بمضمون مفهوم والبعض غير مفهوم . ونظر إلى سائر الموجودين وقال : « ستظهر في هذا الفنجان سورة المكان الذي فيه أموال كربلاء حسن وسورة الشخص الذي لا يريد إظهار هذه الأموال » .

فنظر بعضهم إلى بعض ، وبعد قليل نظر إلى الفنجان وقال : « ما شاء الله ! ما شاء الله ! لقد ظهرت الحقيقة فانبوني »

ثم مشى فقبضناه فدخل غرفة أخرى وحاولت سيدة أن نعلمه فزجرها ونظرت إلى هذه السيدة فاذا هي أي .

قال : « من ذا الذي يستطيع أن يمنع خادم الآلة ؟ إنني لا أسير بقوة ولكن بقوة هذا الخادم »

ومشى على الزعم منها ونحن وراءه حتى وصل إلى ركن من الغرف فأزاح عنه الحصر . وظهر لنا جميعاً أن الأرض تحته قد جفرت حديثاً فرفع التراب عنها وأخرج منها قدرًا مملوءاً بالذهب وقال :

« هذا بعض ما تركه كربلاءي حسن من النال . أما باقيه فقد سرق » وتفرس في وجوهنا جميعاً فقال أحدها : « لقد وجدت السروق فأين هو السارق ؟ »

لم يكن إلا جزءاً يسيراً من تركه أبي وأن التركة لم تزل مسروقة وقلت ذلك لصاحب البواب وأخبرته بأنني لا أزال عازماً على رفع أمرى إلى القاضى . فقال لى البواب : « اسمع أيها الصديق نصيحة رجل حكته الأيام والتجارب . اقنع بالمال الذى وصلت إليه يدك واحمد الله على ذلك واعتقد أنك إذا رفعت أمرك إلى القضاء فانك ستخسر الأربعمائة والخمسين ريالاً وسيخسر خصومك مثل هذا القدر ثم لا يحل الخلاف بينكم . ألم تسمع المثل السائر : « إن كل إنسان قد خلقت أسنانه من الملح إلا القاضى فان أسنانه مخلوقة من السكر »

وبعد مناقشة مع البواب عزمت على أن أتبع نصيحته لأن رفع قضية ضد أى ومولى سيزيد من شتمة أعدائى ويقلل من المظف على وربما آكل الأمر إلى أن يرجى الناس بالأجبار وليس من المنتظر بعد ذلك أن أكسب القضية وعزمت على أن أغادر أسفهان فلا أعود إلا إذا عدت إليها ذا سلطة ونفوذ فوافقنى البواب على فكرة الرجل وشجعنى على تنفيذه . ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن الرجل كان ذا غرض من نصيحته لأن ابنه حلاقاً اشتغل بعد سفرى من المدينة مساعداً لأبى فى مكاني . وكان هذا البواب يريد أن أخرج ليشتغل بدلاً منى فى حاوت أبى . واقترح على أن أبيعهم الحانوت بكل ما فيه فوافقته على ذلك وبعت الحانوت . أما منزل أبى فلم أرد بيعه . وبالرغم من شدة تأثرى من المسك الذى سلكته أى مى فقد عزمت على تركه لها بكل ما فيه من الأثاث

وكان الثمن الذى قبضته من البواب هو خمسمائة قرش فارسى فبلغت جملة ما مى مائة طومان وعشرة طومان

الآية وسافراً الآن نقباً وأذهب، وفى الصباح سافرتى وتأتون جميعاً فان وجدنا فى هذا الركن فى مكان المال الذى وجدناه اليوم بقية الأموال التى تركها كربلائى حسن فان ورثته سيقسمونها بالعدل كما أمر الله فى كتابه وإلا فان خادم الآية سيساعدنى على إظهار السارق وعلى إقامة الأدلة للقاطمة شدة » وفى هذا الحين ذهب النجم وتفرق المدعوون ليعودوا فى الصباح

الفصل الحادى والخمسون

نتائج أعمال الدرويش

كان من نتائج الأعمال التى قام بها الدرويش أن حامت فى نفسى شبهة مؤلمة ضد أى وضد مولى ولكنى كنت أشك فى القول الذى أبداه النجم . وفى الصباح التالى جاء النجم ومعه تلميذه وعدد من الذين حضروا حفلة الأسس . ولم يأت مولى وخرجت أى من المنزل مدعية أنها مضطرة إلى ذلك لتزور بعض المرضى .

وقال النجم : « سئرى إن كانت الجن قد جاءت بالمال أم لا ؟ » وأخذ يحفر فى الأرض فأخرج منها كيساً مملوءاً بالذهب فسلمه إلى وقال : « احمد الله على وجود مالك ولا تنس إعطائى ما أستحقه »

واجتمع الناس حولى ليروا ما بداخل الكيس الذى وجدته مختموماً بالجمج الأحمر بخاتم أبى وعدنا ما فيه فلما هو خمسمائة ريال فدفعت إلى النجم منها خمسين وأقسمت أننى لو كنت غنياً لأعطيته أكثر من هذا

شكرنى النجم وأبدى رضى واقتناعاً ولكنى لم أكن مسروراً باعتقادى أن الذى حصلت عليه

رأيت أن أشتري له هدية تدل على أنني شاكر لفضله،
وفكرت في نوع الهدية فوجدت أليق ما يهدي إليه
سجادة صغيرة فارسية يقيم عليها الصلاة حين يأتي
به الصائون ويجلس عليها في وسط تلايمذه
واشترت هذه السجادة واستعدت للسفر،
ولكنني ذكرت أن نفقات الجنازة لم تدفع، وحدثني
نفسى بأن أهراب من المدينة دون أن أدفنها لئلا
منلى وأى هذا التعريف، ولكن شمورى الجليل
تنلب على هذه الفكرة فدفعت هذه النفقات قبل
أن أسافر وقلت إن هذا أليق بي ولكيلا أهرض
اسم أبي بعد الموت للجنة اللاهتة

الفصل الثاني والخمسون

ماحي بابا يصير لأبى لرمل من رمال القانويه
ودعت أئى وأنا غير آسف على السفر ولم تظهر
مى نحوى أى شيء يدل على الشعور بالأسف فقد
كانت تدبر خطة لاستقبلها كما دبرت خطة مستقبل
وكان كلاً يرى أن اليمد خير وسيلة
ركبت بنلقى عند ابتلاج الصباح وكنت أسير
مببطاً وأألم في القرى التي أهرابها، وفي اليوم التاسع
رأيت قبة للشهد الفاطمي وبعد أن تركت بنلقى
بمربط الخليل في خان المدينة وذهبت إلى بيت أبي القاسم
وكان باب مفتوحاً لكل طائر فخلت نلى وتركته
عند باب الثرفة الأولى، وتركزت بجانبه السجادة التي
اشتريتها ودخلت تلك الثرفة فوجدت في صدرها
أبا القاسم خفيته وجلست قرب الباب
وقد عرفني ساعة رأاني ورحب بي وأدنى مجلسي
وسألني عن قصتي بعد ذهابي من مدينة قم وقال لي
إنه مهم بأمرى فشكرته وسردت عليه القصة
(٧)

خبأت بعضها في ثيابي والبعض في سرج بنلة
جديدة اشتريتها
وعزمت على أن أطلع عن حياة «صاحب الكمشير»
(صاحب سيف) التي كنت أعيشها قبل أن أنكب
وأسافر إلى «قم» واخترت أن أقضى بقية حياتي
(صاحب قم)

و كنت إلى هذا العهد أعلق إلى جاني سيفاً وأضع
في حزامي مسدساً وخنجرأ وأليس على رأسي غطاء
شيقاً وأترك شمري منسدلاً حول رأسي إلى ما تحت
الأذنين فزمت على تغيير ذلك كله، وعلى أن أضع
في حزامي ملفاً من الأوراق وقلماً ودواة بدلاً من
الخنجر والمسدس، وعلى أن ألبس رأسي بغطاء من
الكشمير، وعلى أن أمشي مطرق الرأس بخطوات
غير قوية ولا سريعة. وعزمت على أن أنكبهم على
مهل وأن أظهر بمظهر الوثار والحكمة وقلت في نفسي
إنني على قلة معرفتي أحسن الصمت في موضعه فإذا
ما لقيت رجلاً من العلماء سكنت واستعدت من
حديثه، وإذا لقيت جاهلاً كنت المتكلم النطيق.
وقلت في نفسي إنني أهراب القراءة والكتابة وخطي
جميل فإذا كتبت نسخة من المصحف الشريف كان
ذلك شهادة لي بالعلم والمعرفة لا يمكن أن يدحضها
أى اتهام

وفكرت في الطريق التي أسلكه عند خروجي
من المدينة فلم أجد خيراً من مدينة «قم» لأن
بها ميرزا أبا القاسم وهو أحسن من أعتمد على
مساعده في هذا العهد الجديد، وكان مقصدي أن
يوصي على أحد أصحابه من الكبراء فيتخذني كاتباً
أو تلميذاً له

ولما وصل في التفكير إلى ذكر أبي القاسم

ولما رأيت أن تنكرى قام وأن أهل المدينة لن يعرفوني مشيت في أسواقها مطمئناً فلم أجد أحداً يعرفني وسألت عن بيت الملا فسهل علي الاستدلال عليه لأنه رجل مشهور . وما كنت أن أصل إلى هذا المنزل حتى عدت فتذكرت أننا في آخر النهار وأن الأليق أن أمام هذه البقعة في خان وأذهب إليه في الصباح . وقد كنت حريصاً على اتباع ما تقضى به البقعة في ماملة هذا الرجل لأمال عنده المخطوطة في حياته المقبلة

وذهبت إلى الخان فاسترحت من وعناء السفر . وفي الصباح دخلت الحمام ومسحت ثيابي وصبغت لحيتي وبدي وقدمي جرباً على موائد الفارسيين ، وذهبت إلى الملا وأنا أقول إن من كان مظهره كظهوري في هذا اليوم فهو جدير بأن تقضى حوائجه . وكان بيت الملا واقعاً بين المسجد وبين سوق الجمال في طريق قريب من القصر الملكي . وكان شكل المنزل من الخارج دالاً على الحفارة ولكن حديقته الصغيرة كانت منسقة تنسيقاً حسناً . ولما دخلت المنزل وجدته نظيفاً ورأيت غرفة الانتظار مفروشة بأثاث لا يدل على الثروة ولكنه لا يدل على الفقر وفيه رجل حسبه الملا ولكنني عرفت بعد قليل أنه واحد من أتباعه

حيثه وجلست ولم أكن قد عرفته ولكنني عرفت على أن أشترك معه في الحديث ليمر أني أكبر من خادم وحاول هذا التابع أن يرفي أمرى فأتني على أسئلة كثيرة غريبة ، قال :

— « يظهر أنك وصلت قريباً إلى طهران »

— « نعم »

— « يظهر أنك تريد الإقامة هنا »

وشرحت له ما أجد في نفسي من الميل إلى الدين ورجاله وأنا أتمنى أن أكون في المستقبل واحداً منهم ففكر لحظة ثم قال : « لقد تسلمت في صباح اليوم خطاباً من « ملا » (عالم) في طهران يطلب إلى فيه أن أبحث له عن كاتب يكون لديه استعداد ليصير خالفاً « ملا » في المستقبل وأخبرني أن هذا الرجل هو « الملا نادان » خفي قلبي عند ما سمعت ذلك وقلت له إنني أحب أن يرسل ممي خطاباً إليه ورجوته في ذلك فكتب خطاباً وطواه وسله إلى ، وقال : « اذهب بنثر توان وسلم هذا الخطاب إلى الملا نادان وستجد عنده ما تريده »

خفي قلبي وقلت يد اليرزا وطلبت إليه أن يفضل عليّ بقبول هديتي وهي سجادة للصلاة وقلت إن سبب إهدائها إليه هو رغبتني في أن يذكركني بدعوة صالحة بعد الصلاة ، فدعاني وشكرني وقال : إنه لولا هذا السبب لتأثر من قبول الهدية لأنه لا ينتظر هدايا للناس . وأوصاني بأن أعسك بالدين ظاهره وباطنه وأن أكره الصوفيين ، وقدمت له الهدية فأخذها مبهماً بالشكر والثناء وبلغ من تعجب أمر السفر أنني لم أعتقد حتى آنسكن من زيارة أصدقائي في « قم » أو من زيارة القبرة التي كنت لاجئاً إليها في أيام محنتي

ولما ذهبت إلى طهران تجنبت الباب الذي يستلزم دخولي منه المرور على قبر زينب . وصعدت من باب آخر . وحمدت الله إذ لم يعرفني الحرس الذين كانوا تحت رياستي عند ما كنت مساعداً لرئيس الجلازين وقلت في نفسي إنهم مذكورون إذ لم يعرفوني لأن الهيئة العسكرية التي كنت عليها وأنا في ذلك المنصب غير الهيئة للتواضعة التي أظهر بها الآن

شرب الخمر وإن التدخين ليس من السكرات ولكنه قد يحدو في بعض الأحيان فهو عنده في حكم الخمر الحمرية . ثم أخذ يتحدث عن نفسه ويعدد فضائله حتى حسب أن حياته في هذا المنزل ستكون قاصرة على استماع البهاة والفاخرة وأنى لن أنعم ما كنت أريد تملؤه من الدين .

الفصل الثالث والخمسون

المعلم تاراه ببرير غبطة للمصروف على الدوام

وليساعد الناس

لما انصرف للشيخ الذي كان جالساً معنا في هذه الغرفة أخرج الملا كتاب أبي القاسم من جيبه وأعاد قراءته وقال : إنه يحترم هذه التوصية وسألني عن مؤهلاتي فأجبته بما أقره وأرضاه وقال لي : « لقد كنت أبحث عن رجل تتوافر فيه صفاتك فلم أتمكن من العثور عليه إلا الآن . وقد كان هذا الرجل الذي انصرف منذ لحظة يؤدي لي بعض الخدمات ولكنني أبحث عن برى مصالحها كأنها مضاعفة وأريد من يأكل من الخبز صامتاً ولا يطمع أن يتناول أكثر مما يستحق »

فقلت : للملا إنني بلوت الحياة ورأيت كثير من الحوادث وإنه لم تمر ببى حادثة لم أستخدم منها وإنه سيجد مني خادماً مطيعاً وإنني أريد أن أكون مسلماً كما ينبغي أن يكون المسلم

قال الملا : « مادام الأمر كذلك فساكون نصيرك لأنه لا صفة أحب عندي من صفة الاسلام . وليس في الناس من يصلح أكثر مني مواظباً على صلاته وليس في ثيابي شيء من الحرير أو الذهب ولست أألم إلا وأنا متوضئ ولست

— « لم يستقر رأيي إلي الآن »

فأطرق لحظة ثم قال : « إن إقامة المراء وحده متعبة حتى ولو كانت إلى أجل قصير فانا كانت لك حاجة فاني أودها »

فقلت : « زاد الله فضلك فان حاجتي عند الملا » قال : « أخبرني بها فلا فرق بيننا وإذا شئت فاني أسهل عليك أمرها عنده . وعندنا كل ما تريد بكل ثمن »

فقلت : « إنني لست تاجرآ »

قال : « أنا لم أعن أنك تاجر ولكنك تخرىب عن هذه المدينة وقد تمكث فيها عاماً أو شهراً أو أسبوعاً فليدنا كل ما تريد في هذه اللدة »

فزادت دهشني من اللغة التي يتكلم بها هذا الرجل ولم أفهم ما يمتنيه . وفي هذه اللحظة دخل « الملا نادان » . وكان هذا الملا في سن الأربعين وهو متدلل القامة وسبح العظمة حسن اللبس وعلى الرغم من أن قامته كانت أشبه بقامة رجال السيف منها بقامة رجال القلم فقد كان يوزعها الملائم الفدالة على الشجاعة . وكانت أجلى صفة تظهر على وجهه هي المكر

دونوت منه وحيثته وقد تمت إليه خطاب أبي القاسم فأخذه وقرأه . ولكنه لم يقل حرفاً عما فيه ثم أخذ يسألني عن صحة مرسل الخطاب وعن أحواله فصرت أجبته متظاهراً بأنني كنت وإياه على اتصال وثيق ثم أمرني بأن أجلس ورحب بي وقال : إنه يأسف لأنه لم يكرمني على العادة الارابانية بتقديم غليونه لي وقال إنه لا يدخن وإنه يستنكر عادة التدخين ويرى لرجال الدين أن يتغنوا عن هذا النوع من الترف . وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن

ولم يقاسم مع أنى صاحب رأى فى ذلك، ومن أجل ذلك رأيت أن أفضل مثله وأنا أحق منه بالانفراد لأنى صاحب الاقتراح ولكنى أرى أيضاً أن يكون ما أفضل سرّاً وإلا استعان على بنفوذى لدى الشاه وغنائى من المدينة»

كنت أصنى إلى ما يقوله الملا وأصد فيه نظرى وأصوبه وأنا متعجب من فكرته . وقام بنفسى للشك فى أن يكون عمله هذا منطبقاً على الشرع الذى يزعم أنه يحميه . وتعجبت أيضاً من قول أبى القاسم عن هذا الرجل إنه طيب . وبدا لى أن الوصف الصادق الوحيد الذى يستحق أن يوصف به هو الخبث الشديد . على أنى ظلت أطرى أفكاره .

واستمع يقول : « وعندى الآن ثلاث من النساء بمنزل صغير مجاور لهذا المنزل وأريد استخدامك فى البحث عن أزواج لهن ، فاذهب إلى كل خان بالمدينة ولا حظ للتجار والتدباء وتلف فى محادثتهم عن الزواج وقل لهم إن شروطنا أخف من شروط الملا بائى ، وسأعطيك أجراً على ذلك بنسبة المبلغ الذى تحصل عليه . وسيأتى يوم تكون فيه ملا مثلى وتنفرد أنت بهذا العمل وبكل ما فى منزلى من مال وأثاث لأنه لا وارت لى ، ومتى كان عندى ضيوف فأدى فى منزلى واجب الخدم وإذا ما انصرف الضيوف فاجلس معى كما يجلس الصديق إلى صديقه وسأعبد إليك ببعض أعمال كتابية »

لما فرغ الملا من كلامه ثم الصمت ليعرف بماذا أجيب ولما رأى واهماً أدرك مبلغ ترددى تترك لى مهلة دقائق للتفكير . ولقد كنت أنتظر أن أكون فى حياض الجديدة زاهداً فى حطام الدنيا ما كفاها

أدخنى ولا أشرب التبذ ولا ألبس الورق ولا لبسة الشطرنج وأنا أكثر من الصيام ولم أقطع قط عن صلاة الجمعة »

وقد امتدحت كل هذه الصفات وتخلت بها أمامه فى الأيام التالية فسر منى حتى كاد سروره فى يمدل سروره بنفسه وقال لى إنه لم يتزوج وإن ذلك لا يدم مكرمة لأن النبى عليه السلام قد تزوج وإنه إنما امتنع عن الزواج ليتوافر لديه الوقت للعبادة واستأنس من سعة الزواج بمساعدة الآخرين على أن يتزوجوا

قلت له : « أرجو ألا تترك أسراراً من أمور الدين إلا علمتبه لأنى فى جهل بالدين كالكفار والأتراك » فقال : « سأملك كل شئ تريد أن تعلمه .

وأسر إليك أن الشاه وهو أبقى الأتقياء شكاً إلى رئيس العلماء « ملا بائى » من فساد الأخلاق وسريان روح الفسوق والفسانين وكأنه أن يستأصل هذه الصفات ولكن (الملا بائى) رجل حمار لا يعرف شيئاً فطلب إلى أن أجيب الشاه عن أسباب الفساد السارى فى هذا الزمن وعن وسائل علاجه . وقد دلى النظر إلى أمور الناس على أن من العيوب السائدة فى هذا العصر كثرة الطلاق فابكاد الرجل يقيم مع زوجته حلاً أو مدين حتى يطلقها ورأيت من جهة أخرى كثرة الزنا والفسق فرأيت خير وسيلة هى أن أحصى المطلقات وأزوجهن للزنا والفساق وبذلك يستقيم الناس »

ولما أخبرت الملا بائى بهذا رأى سر كل السرور وأسر باستئجار منازل صغيرة يسكن بها عدد عظيم من المطلقات، وسار بمقد زواجهن على كل خاطب ويأخذ على ذلك أجراً ، فكثرت أمواله

ولما رأيته وضمن على أوجهه البراقع، فسكنت عليه
وأخبرته من همتي وطلبت إليه أن يرفن البراقع
حتى أراهم لأن همتي تستلزم ذلك. فحينئذ أحسن
نحية وقلن إنهن يأملن الخير على قدوى وأسمرت
اثنتان منهن إلى رفع النقاب فرأيت خدوداً قدودت
البياض والحمرة من عهد قديم ورأيت عظام الوجنت
بارزة ورأيت عدداً من الفنون والتجديد. أما الثالثة
فأنها لم ترفع نقابها. قلت للسيدتين: « ما شاء الله !
هذا الجمال جدير بأن يحملكما من زوجات « فرمده
نفسه . لا تعطلا النظر إلى حق لا أفتقن . ما أجل
هذه السيون ! ما أجل هذه الشفاء ! لكن اذا لم ترفع
هذه السيدة نقابها ؟ — وأشرت إلى السيدة الثالثة —
لعلها تراني غير جدير بأن أتمتع بشمس هذا الحسن »
فقال صاحبتهما لها : « ما هذا الحياء ؟ افلي
كما فعلنا وإلا أصبحنا مضفة في أفواه الناس »
فرفست المرأة نقابها . وما كان أحد أزعاجي
ودهشني عند ما رأيت أنها زوجة ميرزا أحمد رئيس
الأطباء »

صحت قائلاً : « لا إله إلا الله ! ما هذا ؟ هل
أنت بك الجن إلى هذا المكان ؟ »

فقال لي بلهجة المتحضر الجالس : « نعم
يا حامي بابا ، إن القدر عجيب ولكنك أنت يا قاتل
زوجي كيف أصبحت طاماً من العلماء ؟ »
قلت : « هل قتل زوجك إذن ؟ ولكن لماذا
تكلميني بهذه المهجة ولماذا ترمين أنني قتلت ؟
لقد كان زوجك سيدي في وقت من الأوقات وأنا
شديد الحزن على فقده »

خبرني ماذا حدث له فاني أدور في عالم من
الجهالة »

الصلاة والصوم عاملاً جداً للدار الآخرة فوجدت
الأمر على عكس ما كنت أعتقد فان كل طريقة
خيرتها للارتقاء أصف عندي وأشرف من التي
يدعوني إلى ضلالتها واحترقت نفسي لاضطراري
إلى قبول ما يرضه علي . لكنني مع ذلك قبلت العمل
معه وفقاً لشروطه وقال لي إنه سيود إلى الكلام
معي عن هذا الأمر في فرصة أخرى وإنه سيذهب
الآن ليقابل شيخ العلماء ثم عاد إلى أسلوبه اللازم
في الماخرة فقال إنه يحترق بمظاهر الدنيا وإنه لذلك
لا يستبقى بمنزله من الخدم إلا ما تقضى به الضرورة
وليس عنده بالتزل من الخدم غير طباط وسانس
ووصيف وبنواب . وليس عنده من الركائب غير حمار
أبيض وقال لي إنه سيشتري بنلاً في المستقبل للقرى
لأن ركوب البنال أدل على الوجاهة من ركوب
الخير . وقد انهرت هذه الفرصة فأخبرته أن عندي
بنلاً لطيفاً ويعد أن تفاوضنا في ثمنه بته إليه وقال
إنه سيبقى الحمار لركوبه فكان ذلك أول زيج
ربحته من الالا

الفصل الرابع والخمسون

ماحي بابا وسيط في الزواج

أصرني الملا بأن أقدم نفسي إلى الطائعات الواثية
ينفق عليهن وأوساني بدراسة صفاتهن حتى أستطيع
التكلم منهن مع الرجال وأن أعمرى منهن عن
أعمارهن والبلدان التي ولدن فيها وعن مؤهلاتهن
ويعد أن فعلت ذلك ذهبت إلى السوق فاشتريت ثوباً
من ثياب العلماء « ملا »

وكان هؤلاء النساء جالسات على حصير عميق
وهن في ثياب رثة ولكنهن كن مولمات بالتدخين .

ثم أخذت تبكي وأخذت أعزبها عن سوء حظها وأؤكد لها الوعد بأنى سأبحث لها عن زوج ملائم ...

فقلت : أنت ترى أنى لا أنزال جملة وأن عهد شبابى لم ينقض . أنظر إلى عيني هل انطفاً وبيض الحسن فيهما ؟ أنظر إلى جبينى الناصع وإلى خصرى النحيل . فأخذت أحلق فيها كما أرادت ولكن بدلا من أن أرى شباباً وجمالاً رأيت قبيحاً وتشوهاً وعددت موقفى هذا منها بمثابة انتقام إلهى لسوء معاملتها فزينب

ثم حدثنى السيدتان الأخريان عن تاريخ حياتهما فقلت إحداهما إنها زوجة صانع مات . وقالت الثانية إن زوجها كان جندياً فهرب خوفاً من غضب الشاه وانضم إلى الروسين وإن للقاضى ظلمها منه لهذا السبب . وقد حاولتا أيضاً إقناعى بأنهما صفيهان جميلتان فتظاهرت أنى مقتنع بذلك وقالت لى إحداهما : « تذكر أنى لم أجتاوز الثامنة عشرة وتذكر حاجى القرويين الذين يظهران كأنهما حاجب واحد »

فوعدهتا بأن أذكر . ثم خرجت من عندهن . فلما اقتعدت عزيت نفسى عن رؤية أوجههن القبيحة بأن تحكت تحكاً عالياً .

الفصل الخامس والخمسون

عاجى بابا بنارول عمده الجديد

بعد أن أدويت هذا الجزء من واجباتى ذهبت إلى خان من أكثر خانات المدينة ازدحاماً لعلى أرى فيه رجلاً من الذين أبحث عنهم وفى أثناء الطريق وجدت زحاماً عظيماً مقبلاً من جهة باب من أبواب المدينة . وسألت فملت

فقلت : « لماذا تدعى الجهل يا حاجى بابا ؟ ألا تعلم أنك السبب فى فرار زينب وأن فرارها كان سيئاً فى غضب الشاه عليه وتنف لحيته وأن ذلك كان سيئاً فى إلحاق الخزي به وأن خزيه أدى إلى موته حسرة » قلت : « ما هذه الهممة التى تهمنى بها ؟ لو كان زوجك مات بتخمة فهل كنت تهمين الفلاح الذى زرع الأرض بأنه قتل ؟ »

ثم طالت بيننا المناقشة وعادت المرأة فذكرت أن طول مناقشتها لى ليست فى مصلحتها وأنها فى حاجة إلى مرضاتى . وقد تبين لى بالرغم مما تبديه الآن من الحب لزوجها الأول وحزنها عليه أنها كانت تكرمه أشد من الكراهية العادية وأنها حدث الله على موته

ولكى أنعم الهزلة التى جئت من أجلها بدأت بأرملة الطبيب فسألها عن مؤهلاتها الزوجية حتى إذا وجدت لها زوجاً استطعت أن أحدث معه عنها فقلت لى : « تعلم أنى كنت فى وقت من الأوقات من جوارى للشاه ، وكان جلالته يفضانى على زوجته وعلى سائر الجوارى اللواتى كن يخفن منى وترتجف قلوبهن لدى ذكر اسمى . ولكن من الذى يأمن سولة الأقدار ؟ لقد كنت معززة مكرمة فى القصر حتى شاء جلالته إكرام رئيس أطبائه فأهدانى إليه . ولا تسلم عما قاسيته من الآلام عند ما انتقلت إلى منزله وتغيرت أحوال الميشة أمانى تنيراً ما كنت أقدره . ولست أريد أن أعيد عليك قصة زينب فأنت تعرفها . ولكننى حاولت أن أسترد عطف الشاه بعد ما مات زوجى فوجدت أذنيه مسدودتين واضطرتت بسد المز والرافية واطمئنان الليل إلى البحث عن زوج آخر »

على هذه الحال فوطن النفس على أن يقضى بقية العمر كأنه جل من الجبال التي رماها . ثم ظهر سني من التركانيين آمن به كل هؤلاء السذج لاهدائه أموراً حميمة بهرت عقولهم البسيطة فسلط عليهم وقوى نفوذه . وكان هذا الشموذ كثير الصلاح أو متظاهراً بكثرة الصلاح فمرض عليه عثان أنا نفسه وأقنمه بأنه سني وأنه من نسل الأشراف فأمر بإطلاق سراحه

وذهب عثان إلى بخارى ، ولمعرفته السابقة بالتجارة استطاع أن يجمع ثروة في مدة غير طويلة ، واشترى بضائع من بخارى وجاء بها إلى إيران فباعها وهو الآن في طريقه إلى الآستانة ليبيع بها بضائع من بخارى وسمرقند وقاز ، وفي عزمه أن يذهب إلى الآستانة فيبذلها وهي بلدته الأصلية

وأخبرني أن مدة إقامته في طهران قد تمتد إلى الربيع لكي يسافر منها مع القافلة ولكي يرفه عن نفسه في هذه العاصمة بعد أن عالج حياة الخشونة في أسر التركان ، ولما وجدت ميله إلى الترفيه من نفسه كما يقول وكنت أعلم من معاشرته السابقة شدة ميله إلى النساء اقترحت عليه أن يتزوج إحدى المطلقات اللواتي أبحت لمن من الزواج . ولقد كان موثقاً بديباً وأما أمسي في أن أزواج أرملة سيدي المتوفى من سيدي الذي لا يزال على قيد الحياة ، وإنما اخترت تلك الزوجة لئلا أنا لأنها أضخم المطلقات الثلاث جسداً ولقد وصفتها فأعجبه الوصف وقبل الصديقة اعتماداً على قولي

ذهبت بعد ذلك لأبشر الملا نادان بنجاحي وقصصت عليه قصتي مع هذا الصديق في الأسر فأسنى إليها باهتمام . وقال لي إنني سأكون وكيل

أن قافلة جاءت اليوم من مدينة مشهد حيث كان يقام مولد الامام علي الرضا ، فأخذت أنظر إلى وجه كل رجل من القادمين وأتفرس فيه لعله يكون من ينبيئ أو لعل أجد بعض الأصدقاء الذين عرفتهم في تلك المدينة ، ولئن كان عهدي بها طويلاً فإن ذاكرتي القوية ترى كل وجه رأيته فيها . ولما كدت أياس من رؤية صديق رأيت رجلاً ذا أنف خشن خلقته خاصة وظهر متعني يشبه الحديبة فتملقت نظراتي به وقلت في نفسي هذا رجل أعرفه . وكان يشبه عثان أنا الذي أخذ مني في أسر التركان ، ولكن عثان يجب أن يكون قد مات فن عسى أن يكون هذا ؟ أما أن يكون غير ذي علاقة بعثان فذلك غير محتمل فإن لم يكن هو فأخوه أو شيطانه .

ودنوت منه فראيت على وجهه انقباضاً وزاد ذلك من شكى لأن الانقباض أظهر خلقه في صاحبي عثان . ثم تكلم فسمعت ذلك الصوت الذي ألفتته أذني ، وقد كانت الجملة التي نطق بها هي التي سمعتها ألف مرة وهي : « أرجو أن تخبرني عن سمر الجلود في الآستانة »

وكان هذا السؤال موجهاً إلى تاجر معه ، فلم أنتظر جوابه بل قلت : « سيدي أأنت عثان أنا ؟ » ثم هزقته بنفسه فلم يكذب يصدق أنني حاجي بالي الذي كان معه في الأسر

وبعد أن تذكرنا حوادث الماضي مدة ما أخذ كلانا ينهني الآخر ، ثم روي لي ما حدث له بعد أن تركته وقال لي إنه لم يكن له عمل في أسر التركان غير رعي الجبال ، وإنه تلبه هناك فلم يعد يتألم من الأسر ولا يفكر في النجاة ، وإنه لم يكن يتألم إلا من أسر واحد هو عديم حصوله على التبغ وضمت عليه سنوات

فلم أجده جواباً على سؤاله ألبق من القول بأن
زوجته كانت في وقت من الأوقات نورة للنصر
الملكي وأن الزواج قسمة ورزق

قال : « نعم قسمة ورزق ولكن هذا القول
يا حامي بلا يصلح جواباً على كل نكبة . ولست
ألومك على أنني تزوجت فهذه قسمة كما تقول وإنما
ألومك على أنك وصفتها بأنها صبية وهي عجوز .
ولقد خشيت بعد أن سمعت هذا القول أن
يطلقها ويطلقنا بما دفعه ولكن يظهر أن عقله غلب
عليه فتذكر أن مثله - في مثل سنه - لا يستطيع أن
يتزوج من صغيرة جميلة .

وقتل زوجته معه إلى الخان وظهر لي من قرائن
متعددة أنه لم يكن مسروراً منها ومن يان هذه
القرائن أنه دخل قبلها غرفته في ذلك الخان وقال
لها إنها تستطيع أن تبقي إذا شئت .

« يتبع » عبر اللطيف النشار

آلام فرتر

للساخر الفيلسوف جون المان

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشاً

الزوجة، وعلى الزوج أن يستحضر ويكلمه عنه في عقد
الزواج . وأمل على شروط الزواج . وطلب مبتلاً
كبيراً من المال في مقابل وساطتنا هذه

ثم ذهبت إلى السيدة لأسمع منها كلمة القبول
بتوكلي ولأبشرها بمبادرة هذا الزوج النقي . وقد
كان مسروراً شديداً عند ما أخبرتها وبدأ الحسد
على وجه صاحبها . كما تبين على وجهها كل علامة
الزهر لأنها عدت هذا النجاح السريع راجعاً
إلى جمالها

وذهبت إلى ميثان أفا ولشد ما كانت دهشى
عند ما وجدته يطيب بالسك وقد اغتسل وصبغ
لحيته بلون أسود وبديه بالحناء الذهبية . وظلت
إليه أن يراققني إلى بيت اللامان فشى وهو يتكلم
مشية جديدة . ولا شك في أن منظره في ذلك اليوم
كان كمنظره قبل عشرة أعوام

وكان الخاطر الذي يحول بفكرى ساعة انقعد
مجلس الزواج هو ما سألقاه من الويل إذا لم تسجبه
الزوجة . وتذكرت الخمين « ووكات » التي كنت
أخذنها من ماله في مدة الأمر
وتذكرت كذلك سابق إحسانه إلى فاستكرت
أن يعتقد أنني أسأت إليه

وأخيراً تزوجا . وذهبت فتهتة فقال لي : « لقد
أفهمتي يا حامي بلا أن المروس صبية، فقل لي كيف
وجدت في جسمها مع حداثة سنّها هذه النضون
والتجاعيد التي قلنا وجد أكثر منها في جسم أي
جمل من الجمال ؟ »



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشلول
احمد حسن الزيات

برل اوستراليا هم بمئة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرسلات

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٥٢ المحرم سنة ١٣٥٧ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ السنة الثالثة

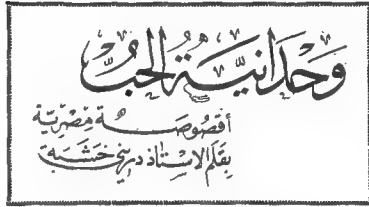


فهرس العدد



صفحة	
٢٢٦	وحداية الحب ... أنصوبة مصرية ... يعلم الأستاذ دروى خشبة ...
٢٣٩	صدافة الحب ... الكاتب الفرنسي هنري بورديو ... يعلم الأستاذ تايى الططاوي ...
٢٤٩	أ كان يجب أن أخبرها ... عن الانجليزية ... يعلم الأستاذ عبدالمجيد حدى ...
٢٦٦	حاجى بابا أمصهانى ... الكاتب الانجليزى « جيمز مور » يعلم الأستاذ عبداللطيف النشار ...

— أنت تتألى في تقدير هذا
الساكن يا فؤاد
— لست أغالى... ألا تعترف
بى بأنه حاكك بأمره ؟
— هو ذاك ... لكنه فى
الوقت نفسه يحمل الانسان ...
أو يحمل القلب ... كالغراش ،
فهو يطير به على كل زهرة ، ويرف



به فى كل بستان
— إن الغراش يفعل ذلك من أجل صالحه ،
ولسنا ماديين فى الحب يا صديق !
— هذا هو غرور الانسان ...
— ليس غروراً ... فقد كرمتنا الله نخلق حبنا
من نور ... من كهرياء !
— وهذه فلسفة أيضاً !
— ليست فلسفة ، بل هذا هو الواقع !
— كل هذا تقولها طافتك المشوبة ، ولو حكمت
فيه عقلك لتبخر كله وحزفت حقيقة الحب وما بهته !
— يجب ألا تكون علاقة بين الحب والعقل ...
— إن العقل شيء يبيع جداً ... إنه يتلف كل شيء !
— إنه يشوه الجمال ويمسحه ...
— يجب أن نفهم أولاً هذه المسئلة : هل نحن
فى الحب نشبه الغراش أولاً فنشبهه !
— قلت لك إن الغراش يتنقل من زهرة
إلى زهرة ليمتص الرحيق الحلو .
— والقلب ! ألا يتنقل من حبيب إلى حبيب
إلى حبيب ليرشف الثنور الحلوة ، ويقطف القلب
من ورد الخلود ؟
— هذا هو الفسق ، ليس هذا حباً ؟

— والله يا صديق أنا لا أدري كيف يفهم الحياة
هذا الشاب إنه أكثر ما يكون سامعاً غائر السنين ،
له نظرات عميقة ممثلة نافذة لست أعرف كيف
أفسرها ولا أدري كمها
— هذه حال الحبين يا عزيزى ... ألا يجب
صبرى ؟
— لا أظن أنه يجب كما نفهم نحن الحب
— ماذا نعى ؟
— أحنى أنه لم يهب قلبه فتاة بمينها .
— هذا لا يهم
— وكيف ؟
— قد يجب الانسان فتاتين وقد يجب ثلاثاً
وقد يجب أكثر من ذلك
— وماذا يكون هذا النوع من الحب ؟
— يكون مثل كل أنواع الحب !
— أكبر على أنه يكون حباً حيوانياً
— ولماذا يكون الحب التمدد حيوانياً ؟
— لأن الحب كائن أرسقراطى مستقيد ، لا يرى
أن يشركه شيء فى صولته ، ولا أن يحكمه أحد
فى دولته ... إنه حاكم بأمره يا عزيزى ... إنه
دكتاتور ! إنه يقصر مسلط على جميع التراثىامزى !

وأنتن جميعاً قد غزبون فؤادك ... هذا بشرط أن تكون أنت في فينان الشباب ذاق الفم نوار العاطفة وأن تكون فتيتك غيداً آماليد ذوات سحر وخفة — إذن أنت تخلق طروفاً خاصة تبرر جوفرها التمدد في الحب ...

— يا صديقي ، الحب استجابات للظروف التي تحيط بالقلب في فترة ما من الزمن .
— أراك قد أطلت في تحليل فلسفتك الجديدة ، ولست أدري ما علاقة ذلك كله بصبري وما يبروه من وجوم وشروذ ذهني !

— علاقة ذلك بصبري أنني أؤكد لك أنه يجب !
— وكيف وهو متزوج !؟
— أؤكد لك أنه يجب ولو أنه متزوج !
— إنه متزوج من الفتاة نفسها التي كان يهواها بل يبديها !

— ليس يمنع هذا من أنه صبا إلى غير زوجته !
— وكيف يصبو إلى غيرها وقد وهبا حياتيه وتفكيره وجهاده !

— في سؤالك عود إلى حديثنا السالف ...
وصديقك صبري يؤدي وظيفة الفراش في رشف الزحيق من الأزهار ، وهو قد انتقل من روضة إلى روضة ، وأؤكد لك أنه سيتنقل إلى أخرى ، وسيظل هنا حاله حتى يتجدد جسمه ، وتنطق "جنوة" شبابه ، ويفيق إلى الحقيقة ...

— وأية حقيقة يا غالب !
— حقيقة الحياة !
— وما حقيقة الحياة بعد هذه الجولات التي يصورها لك خيالك في عوالم الحب ؟
— لا أستطيع أن أذكر لك ... ستعرف كل

— وما الحب إذن !
— الحب أن يقضي الحب في الحبيب ، أن يؤثر بكل شيء ... ألا يشرك منه أحداً في قلبه !
— بل الحب الأثرة !
— وكيف يكون الحب أثرة ؟
— الأثرة : الأنافة !

— ما سألتك عن معنى الأثرة لتقول إنها الأنافة ... كيف يكون الحب أثرة !؟

— يكون الحب أثرة لأنه يجعلنا أنانيين ... فهو يجعلنا نتوهم أن الحبيب هولنا فقط وليس لأحد سوانا ، فإذا رأيناه ينظر إلى شيء أو يحس مع شخص آخر ولو كان هذا الشخص من محارمه ، نرنا وتولانا الغضب ، فإذا حدث أنه غاب عنا بعد ذلك نسلطنا للشكوك وافترسنا الفرية وترادفت في رؤوسنا حينذاك كلمات كثيرة حفظناها من أنايتنا المريضة ... فن ذاك كلمات الرقيب والمذول والمهجر والمخسأم ... وقد نذكر البكاء غنبي ، والدموع فنسفع المنع الفزير ، وقد لا تقوى على البكاء فننق ساهمين مفكرين مشردى الحب حميق النظرات كما رأيت صديقك صبري ...

— وكيف يجب من تكون هذه حاله غير حبيبه ؟
— يجب غيره لأنه لا اختيار لأحد في توجيه قلبه ... ميثان تتمان على منظر حسن فيتأثر القلب ويرقص ويضطرب ويشقى إذا كان هذا المنظر فتاة حلوة رافة ... هذا كل شيء !

— عجبا !
— أي يجب !؟ أنت أول من يكفر بالوحدانية في الحب إذا واثقت الفرصة للخلوة بأكثر من فتاة جميلة في يوم واحد فتراك قد ملت إليهن جميعاً ،

الأحلام ، أو روضة من جنت رضوان
أما من ناحية الجنوب فكان المنزل مشرقا على
الحقول الممتلئة بالحياة النشطة تحت رحمة الله ،
تؤتي أكلامها في لين ويسر ، فتملأ الأهرام كما تملأ
الجيوب ، وتفيض على الناس خيرات وبركات
أما من ناحية الشمال ، فكانت تتدفق مياه
الترمة للتدبئة الخالدة تحت أشجار الجوز واللبن ،
وفي ظلال النخيل الباسق ، وكانت تحدث خروبا
ما كان أحلاه وما كان أشجاءه ، لأنه غناء الطبيعة
ونشيد الخلود

هنا كان يقم صبرى ... بنى وينظم ويقرأ ،
ويتحد بالكون الرائع الهادئ ، ويسرى في القبايل
المقمرة نفحة جملة ذات جرس في أجواز الفضاء ،
ويستقط مع الشمس ملا كما قبا ، يف فوق عروش
الشفق ، ويتطرح في ظلال الدوح فيتأمل في قدرة
الله الخلق ، وعلا قلبه من جمال ما صنعت بده ثم يقضى
أصائله مع مغرب الشمس منعجاً فوق عوده يستوده
أسراره ويوح له بمكنون قلبه ...

ما أجل الرف المصري وما أحسن انسجامه !
هنا كل شيء فطري ، فلا مجازفات ولا مخاطرات ...
قناعة ونفس مرسل على سجيته ... فلماذا أتر صبرى
السافج القانع أن يذهب إلى القاهرة ؟! ما ذا في
القاهرة أجل مما هو هنا في تلك الضاحية المقترية
الرائدة ؟! إن القاهرة كالقول الذي لا يفتأ يكسر
عن أنيابه يفتقر السجيا ويطن الجبال ... إنها
ماوى الأبالسة ومرتع الشياطين وملب الجنة ، وإن
تكن أكثر بلدان الله مساجد وكنائس وبيعا ...
كل ما في القاهرة مصنوع .. ليس فيها شيء لم تنفق
على تطريته الألوف والألوف .. إنها سحر من أحياء

شيء ، ولكن من سجل الحوادث ، فهل بنا تنجس
أخبار البطل ...

— أى بطل ؟

— البطل الذي تمارى فيه .

— صبرى ؟

— أجل ... صبرى ... صبرى

كان غالب أفندي عبد الرؤوف صادق الفراسة
فما ذهب إليه من تحليل وجوه هذا الشاب المجيب ،
صبرى أفندي مجيب . فلقد أحب صبرى زوجته
حبا جما قبل أن يصل أسبابها بأسبابه . ولقد كان
يهواها ويسدها كما زعم فؤاد في حديثه الطويل
الجميل مع الأستاذ غالب . وكانت قصة غرامهما
درامة رائعة فياضة بالموح جارية المبررات ، فيها ألم
وفيهما عذاب ، وفيها من تباريح الحب ما غير قلبيهما
وصهرهما وطهرهما ، وفيها أقسام غليظة ومهود وثيقة
أن يكون أحدهما للآخر وألا يترك أحد منهما
بصاحبه مادامت الأرض والسماء

وكان صبرى فتى جميل الحيا وافر الثروة أنيق
الهندام يحب الفناء ، مشغوقا بالموسيقى ... وكانت
له ضيعة في ضواحي الزقازيق تأوى له بقعة عظيمة ،
وكان يحب منزله الرفي المشرف من ناحية الشرق
على حديقة متوسطة أقام فيها كرما وارث الظلال
يقسمها أربعة أقسام تلتقي عند عريش جميل كان
صبرى ممجبا به ، فكان يجلس تحته ينى أو يداعب
عوده ، أو ينظم أغاريد المصرية الصافية ثم يلحنها ،
أو يقرأ في ديوان ، أو يلو قصة ، وشذا الورد
وعبق الأزهار ، والحديقة كلها ، بل الدنيا جميعا
تتأرجح من حوله ، فتكون بين يديه لحنا من أمذب

تلك القلوب الرطبة بما حباها الله من رشاقة وخفة وجمال

لم تكن سنية من هؤلاء الراقصات اللاتي يتجرن بأجسامهن فيجعلن أثماناً للنظرة والانبسامة والسكامة والجلسة والريثة بأطراف الأصابع ثم السهرة بما يكون فيها من نصيب أوفى للشيطان ، فتكون القبلة بشمن قدره كذا ، والضممة بسرور به كيت ، والرقصة المارة المجردة بكذا من القروش المدودات ...

لا ... لم تخارس سنية هذه التجارة القذرة وإن تكن بحكم الصنعة تعرفها ، وكانت على استعداد لما يستها لو لم يدخل سبرى افتدى نجيب في حياتها فجأة ، فكان دخوله فيها كالنور الذي يفسح الظلام ويبدد ، ويحل البشر والابتاس على التجمهر الذي هو مصدر جميع الشرور

لقد كانت سنية تسبح في حفلة الزقاقين الساحرة في فيض من ضوء البرتقال في خفة ورشاقة وثقل ، وكان جسمها الناضج الخصب المتلئ بالشهوات يروح فوق السرح ويحيى في حركات مضبوطة مترنة ، وكانت تغذها المارية للنساء الناعمة تنقبض وتسترسل وتلف كالوالب فوق قدم صغيرة حافية لها أصابع دقيقة أنيقة وعقب جبل مستدير ، كان حامل للنور الخليليت يسلط عليها ذوقاً من الضوء الأبيض الناصع فيجعلها كزهرة الزينق النضفة اللنضوحة بمخمرة الطلل

وكان ذراعا سنية تستدقان عند الكفين ، وتلفان عند الساعدين ، وتبرزان قليلا عند الكوعين ، ثم تمتثلان عند الضد ، فكانتا بذلك أجل ذراعين تقع عليهما عين شاعر وموسيق مثل سبرى ...

وكانت الفتاة تحمل إحداهما في رفق وهودة فوق صدرها الناهد ، فتعطي ندياً وتكشف آخر

جهم انتقل من سواء الجميع ليكون فتنة هذه الدنيا والناس يتهاقون عليه لكثرة ما فيه من الثريات .. الملاعب ... المراقص ... الساهر ... الحانات ... دور اللهو ... تغاغ الشباب ... مصائد الفئات ... المواخير ... أوه لهذه المواخير !

أحس سبرى ظمأ شديداً إلى القاهرة ! لقد انتشرت الأبالة تبعث عنه حتى وجدته يصل بريناً ساذجاً في صومعة الريف ، فنفتت في قلبه الرغبة .. ووسوست إليه بضرورة التفتير ... لقد صمكت عليه وصرخت في صدره بأن الحياة التي يحياها حياة خاملة متشابهة تبيت النفس وترهق العواطف ، وتكبث الروح ... والشباب الذي له مثل شباب سبرى وقرينته ومزاجه لا يخلو به أن يحيا سجيناً هكذا لا بد أن يؤدي رسالته في محيط شاسع واسع غتخلط بتفتير كل سامة ولا يبقى على سنة واحدة أكثر من يوم ...

ما هذا الريف الساكن الساكت الهادي الصامت الذي لا تحس له ركزاً ولا تكاد تسمع له همساً ؟ ما أبشع أسوات البقر والجاموس والحجر والأوز والبط والكلاب الزبينة وقطاط القرية !

ما أبشع أسراب البلب تحط على كل شيء وتمر كل شيء ، وما أقسى لدحات البعوض !

هكذا ألحت الأبالة على قلب سبرى ، وهكذا بنفتت إليه هذا الريف البار الذي لا يؤدي أحداً ولا يلحق الضرر بأحد ، ثم حسنت إليه القاهرة الساحرة المريدة التي لا تكاد تنام ...

وهكذا اتوى سبرى أن يبيع الفتاة القاهرية الزائمة التي رآها في الزقاقين ترقص في لية ساحرة مع إحدى الفرق الجواله ، والتي استطاعت أن تسحر

لقد كانت سنية تقف في مفرق الطريق عند
ما ساق إليها للقضاء صبرى ، وكانت موشكة أن
تتردى في الهاوية التي ابتلت الألوف من أشباهها ،
لولا أن أشرق في ليها هذا الكوكب الدرى فجذبها
إليه ليصنع منها قديمة ١١

— بل الحياة في الريف أجمل وأكثربهجة ...
إنك واحة يا أختاه ... إن حديثي ستسحرك
بأزهار البرتقال والتارنج والوخ والشمش ...
وستطيرين إلى دوى النحل ... لا تخافى ، فنعلنا
هادى ودبع لا يؤذى أحبابه ، لقد تقف للنحلة على
يدى فتقبلها كأنها تعرف من أنا ١١

— كل هذا جميل وساحر ، وأنا أحب الريف
كما لا يحبه أهله

— كما لا يحبه أهله ؟

— أجل ...

— وكيف يا سنية ؟

— إنهم من طول ما استرجوا به يودون لو
تخلصوا منه

— وإلى أين يذهبون ؟

— إلى المدن الساحرة ... المدن الكنازية !

— إلى هذا الحد لا يحين المدن !

— أنا لا أحب المدن لأنها ترمقني --

— وكيف ترمقك وكل من فيها سرعى هوالكا !

— هذا هو الذى يشجرنى ... إن للناس

يهاجونى بشهواتهم وكل منهم يريدنى لنفسه وإلى
الآن لا أدري إن أكون

— لأحسبهم طبعا !

— ليس فيهم أحسن وأردأ ... كلهم أبناء

وهنا كان موضع فتحتها وسحرها ... وليس يدري
الخيال أى التدين أوفرقتة وأكبر نصيباً من المجاذبة:
ألكشوفة ، أم المحتبثة تحت الكف اللثيرة للنداء ؟
أما ابتسامات سنية ونظرات سنية فكانت خير
رأس مالها في دولة الجمال . فلقد كانت تقتر عن فم
حلو خلاب لم تماجله إلا بقليل جداً من أحمر الورد
فاذا تبسم بدت ثنائياها العذاب الرطاب ، وتضاحك
خدها ففاضلا الأنواء النطاشة بالقبيل

أما عيناها فكانتا نفاذتين أخاذتين ، لها شك
جيب في سويداءات القلوب ... فاذا لم يسلم الرأى
بنفسه ، فخرق منهما في لجتين من السحر ، فلم يدري
لنفسه قراراً ولم يغز بنجاة

هذه سنية ... هذه هي الفتاة التي شقت فؤاد
صبرى شقاً عنيقاً فاستقرت فيه غير راحة ... هذه
هي الفتاة التي غيرت مجرى حياة الشاعر الهادى
الساكن بجليلها حريمية صاحبة مضطرة كالثورة .
تطلب كل شيء ، وتشتغى كل شيء ، ولا تقنع بشيء ،
ولا تسكن إلى شيء

لقد كان صبرى ينكر الجمال المصرى حتى رأى
سنية فأمن به ، وعرف أن الخير موجود بوفرة في
كنانة الله ، وأن الجمال المصنوع في شركات الصينا
هو زيف ويهزج لا يبدل الجمال الطبوع في هذا
الوادى للقديم المقدس

ولقد كانت سنية تحفة من آيات النيل طبعت
على غرارها تحف كثيرة فادرة ، لكنها وأسفاه تحنى
في مباءات الفقر وتهمل في الأزقة والطرقات ،
ويتدر أن يكشفتها قلب عاشق أو خيال فنان إلا
في مرصع أو ملهى أو مأخور ، بعد أن تشوهها
يد السبت ، أو تمزق عفافها يد الهندس ، أو تجنلها
الأغراض والشهوات ...

- أدم ، وانطبعة تجري في أصلاهم بالوراة
— إنك تظنين بالناس الظنون يا سنية !
— ليس هذا مجرد ظن يا عزيزي ... لقد
درستهم وخبرت مكنوناتهم ... أبداً لن أنسى
ما تعرض الشاب تحت قدي لأنيهم إحدى نمراني ،
فلما كنت أستدرجهم وأقترح عليهم سبيل الرحمن ،
كانوا يمزقون ويفرون مني كأن طاعون !
— وي ! !
— هذا حق ... لقد كانوا يفرون حتى
لا يصيبهم طاعوني ... لقد كانت شهوتهم تنطق
فجأة عند ما أذكر لهم الزواج ...
— ولماذا كانوا يرفضون ؟
— كانوا يرفضون لأنني راقصة ... ومن حق
الناس على الراقصة أن يتالوها بأيسر ممن ... ليس
لراقصة أن ترتفع إلى الأفق الملوى الذي يحيا فيه
جميع الناس ... إنها مخلوق وضيع ، فكيف تحسب
نفسها من معشهم !
— هذه مبالغة يا سنية !
— ليست مبالغة .. إن الناس يزدروننا ويزعمون
أننا مجردة من فضائلنا حين اضطررنا اللوز إلى هذه
الحرفة ... ولبت شمري ماذا كنا نصنع ؟
— لهذا قلت لك إن الريف جميل !
— ماذا تمى ؟
— أنت تفهمين كل ما أعني !
— أتمنى أن أنزل عليك ضيفة ؟
— حاشا لله يا سنية !
— إذن لماذا تمى ؟
— ألا تحسبن يا سنية أن كلامنا كان يقتقد
الآخر من عهد سيد ؟
- أخشى أن تكون جيباً جديداً !
— ليكن ما تظنين !
— لكنى لا أحب لك أن تكون في قائمة
الآخرين !
— لن أكون في قائمتهم إن شاء الله !
— هذه إذن تكون تضعية مجيبة !
— ولماذا تكون تضعية ؟
— قبل أن أفسر لك ما أريد أود أن تصارحنى !
— وبماذا أصارحك ؟
— لماذا تريدني عندك في الريف !
— لتكوني أجمل زهرة في بستانى !
— خيال شاعر لا يستطيع أن يفهمنى !
— ليس ما أقول من خيال للشعراء يا سنية ،
ماذا تريدن أن أقول لك ؟
— أنت تعرف لماذا ينبغي أن أقول ، ولكن ...
لا تكن شاعراً أرجوك !
— أنكرهين الشعر ؟
— أكره الشعر الذي يكذب به قائلوه على سامعيه !
— وأي شعر تحبين إذن ؟
— وأي شعر ترى أن يجب المنادى ؟
— الشعر الذي تتسله الدموع !
— قد يكون هذا كذب الشعر !
— الشعر الذي يحس الإنسان حرارته !
— قد تكون الحرارة طبيعية في قلب الإنسان
فتتأثر بأى أنواع الشعر ويحسبه حاراً !
— الشعر الصادق الحى إذن !
— قد يكون الشعر صادقاً حياً في حين يكون
صاحبه لا صادقاً ولا حياً
— وكيف ؟ أليس الشعر هو الشاعر ؟

- ليس في كل الأحيان ، فقد يكون الشمر
صناعة ومع ذلك تكون فيه حرارة وصدق وحياة
— فإذا كان شمرى حقاً ؟
— أى ؟
— أى أنه ليس صناعة يزجها الناس
ويزخرفها القلم ؟
— إذن فلماذا تريدني أن أكون عندك
في الريف ؟
— لتكوني لي وحدي فقد أصبحت لا غناء
لي عنك ولا حياة بدونك ؟
— أهذا هو الشمر غير المصنوع ؟
— إى وحقك يا سنية ؟
— لشد ما أنتم أنانيون يا عشاق ؟
— لست أنايكاً ... ولكن ...
— ولكن ماذا ؟
— لا أريد أن تقع عين عليك فتسقط بيهالك
بعد اليوم ؟
— إغراق في الشمر مرة أخرى ؟
— لست مفرقاً في شمر كما تظنين ؟
— أنت تراوغني ، وأوشك أن أشيق بك كما
صنعت بالآخرين ؟
— ماذا الله أن أراوغك يا سنية ، أرفض
أن تكوني لي ؟
— لست أرفض ولكن بأي سبيل ؟
— بأي سبيل كيف ؟
— هل تسألني ؟
— لا أنهم ؟
— لأنك تراوغني كما كان يفعل الآخرون ؟
— وماذا كانوا يفعلون ؟
- لقد ذكرت لك كل شيء
— آه ... فهمت ؟
— فهمت ماذا ؟
— لقد كانوا يريدون بعض غمرك بأيسر مني ؟
— هو ذاك ؟
— وتحسبن أنني أصنع كما كانوا يصنعون ؟
— وماذا تصنع غير ذاك ؟
— كلا يا عزيز ... يا حبيب ... كلا يا سنية ؟
— لماذا ترتبك هكذا ؟
— أرتبك لأنك ترفضين أن يكون كل
ما أملك لك ؟
— إذن فاسمها مني ... أنا أرفض أن يكون
كل ما أملك لي .
— ولماذا ؟ أليس العيش مع شخص واحد
خيراً منه مع كثيرين ؟
— إذن أنت لم تفهمي ، ومن الخطر أن
تركني إلى ...
— من الخطر أن أركن إليك ؟ ولماذا ؟
— لأنني راقصة .
— وما في ذاك من الخطر علي ؟
— سأحطم حياتك ... سأجمل سماتك
أفاناً ... لن تنظم بيتاً واحداً من الشمر بعد أن
أدخل منزلك الرقي ... لن تنفي ... لن تشكو
إلى عودك ... هل سمعت ؟
— أنت واهمة يا سنية ؟
— لست واهمة ، ولكنك الآن في قبض من
مواطنك فلا تمتطع أن تفهم ... ثم أنك سوف
تكون أشقى الأشقياء إذا أويتني في عشك الرقي
الجميل ... فأنا أنصحك ...

- تنصحيني بماذا ؟
— بأن تتمدد على ما استطعت ، فأنا خطر عليك
— أرانا قد اجتمعنا كثيراً يا سنية ... لقد
أسأت فهمي
— كلا ، لقد فهمتك جيداً ... ألسنت تريدني
لك وحدك ؟
— بلى ، أريدك لي وحدي ، لما في ذلك بما
آلمك ؟
— لم يقل شيء ، بل إنه قد سرني أن أضعك
كما فهمت الباقيين ، فلقد كان كل منهم يريدني له
وحده ... مثلك تماماً !
— لكنك ذكرت أنهم كانوا يهربون منك !
— كانوا يهربون مني كما يحاول أن تهرب أنت
الآن !
— وكيف أهرب منك وأنا أحاول أن أدنو
منك أكثر من كل لحظة دنوت فيها منك ؟
— إذن أجب عما سألك دون أن تتلوى هكذا:
كيف تريدني أن يضمني منزلك الزين إذا رحلت
منك إليه ؟ ألا تكون فيه حبيبة ؟
— تكونين فيه أعين من حبيبة ؟
— أأكون ماذا إذن ؟
— تكونين مالكة متصرفة !
— أي أنك تنزل لي من بيتك ؟
— ولم لا أفضل ؟
— بمقد مسجل ؟
— بأية طريقة تحبين !
— وماذا أملكه لأتفق على هذا البيت ؟
— ضيعة واصمة !
— تكون لي ؟
— تكون لك تتصرفين فيها كما تشائين !
— ثم يكون بيتنا بعد ذاك ما أمر الله أن يكون
بين كل امرأة يتصل بها رجل ؟
— ... ؟ ...
— لماذا لا نجيب إذن ؟
— ... ؟ ...
— ألم أقل لك إنك لا تفضل أحداً من أبناء
آدم !!
— إنك تربكيني يا سنية !
— ولماذا أربكك ؟ ألا أني طلبت منك ما يطلب
الله من الرجال للنساء ؟
— أنا لا أمانع فيها تطلين ...
— إذن لقد اتفقنا
— ولكن لي شرط
— وما ذاك إذن ؟
— أن تكفني بمضطاب أكتبه إليك !
— وشاهدين !
— لك هذا ...
— وما يخيفك من الطريق الذي يسلكه جميع
الناس !
— ليس يخيفني شيء !
— عجيب أسرك والله ! إذن تسلكه نحن أيضاً
ما دام لاضير عليك فيه !
— لكن ...
— لكن ماذا ؟
— لا شيء !
— بل أنت تخشى أشياء كثيرة ؟
— أشياء كثيرة مثل ماذا ؟
— حتى ما تخشى منه تريدني أن أقوله لك !
(٢)

أرأيت إلى هذا الحوار الطويل؟! أرأيت كيف كان اللقي صبرى مثل كل الناس فى مفاصلة هذه الراقصة البريئة؟ لقد أرادها كما أرادها غيره ، فلما استمعت عليه بهذه الوسيلة عرض وسيلة أخرى...
لقد أراد أن يقتنصها بلال ، لكنها أبى وصارحته أنها ترفضه ، فلم يجد بداً من أن يتقاع لها كما تريد؟ وهو بذلك قد مسخ جبهه ومزق جماله وشوه الماظفة الكريمة التى سرت بين قلبه وقلب سنية ، ولو أنه كان قد أجلب صبيحة حييته ولهى نداءها دون هذه المراقيل التى أقامها بينهما لكان أسعد حالاً مما انتهى إليه أمره
على كل حال لقد تزوجها وذهب بها إلى منزله الريفى الجليل ، ولقد سعد بها سمادة كانت متتعي أحلامه ...
وكانت سنية تنشد هذه الحياة الزوجية المادية البعيدة من المراقص والملاعب والحانات ودور اللهو؛ ولم تكن مثل كل الراقصات تطرب لكلمات اللثناء الكاذب التى يغمرها العشاق حول أذنها كي يخدموها ... لقد كانت تعرف البباح على هذه الكلمات ، فكانت ترددها فى صميمها ، وتحتقر أصحابها ، وإن لم تبد لهم مكون نفسها ، فكانت تجزيهم بإسماة قاترة لا تنال فيها ، ثم تغضى فى سبيلها تاركه فى كل قلب لوعة وفى كل نفس حسرات؛ وكانت لذلك تصلى لله أن يرزقها هذه الحياة الطيبة الوادعة ، وأن يتقدها من البيوت المظلمة ، والنفوس المائتة ، والتهنؤات الرضية التى تنطق بالمرام فى البؤر والمواخير.. فلما فازت بها هدأت وأطمانت ونسيت لصبرى هذا اللواء الذى كان يضمه بينه وبينها أول الأمر ، ثم عاهدت نفسها لتجعلن بيته جنة ، ولتملاؤه غناء وألحاناً

— لا وحكك ، ولكن قولى لي ...
— هذا أمر يسير جداً ... أنت تخشى أن يعرف الناس أنك قد تزوجت راقصة؟ أليس كذلك؟
— ما هذا الذى تقولين يا سنية؟
— بل هذا هو الذى يخيفك ... وأنا لذلك أرفضك!
— هذه قسوة شديدة لا أحتملها!
— قلبك ليس شجاعاً ، فهو لا يحتمل كثيراً
— سأرهن لك أنك فهمتى خطأ
— وكيف تبرهن على ذلك؟
— سأطلب منك إلى أيك!
— أبى!
— أجل!
— وهل تعرف أبى؟
— أسأل عنه!
— تسأل منى؟
— أسألك أنت
— خير لك أن تسأل غيرى فقد أ كذبك!
— لا تستطيعين!
— ولماذا لا أستطيع!
— لأن من كان له مثل لسانك لا يكتب!
— إذن ...
— إذن ماذا؟
— لقد مات أبى!
— فأنت يتيمة إذن؟
— أجل ، ولذلك نشأت راقصة
— إذن على ...
— إلى أين؟
— إلى القافى ...

ومن زوجته ، وقد علم الناس أنها كانت راقصة ، وقد تحدثوا بذلك طويلا ، وتحدث به أصدقاء صبرى وفي مقدمتهم غالب أفندي عبد الرؤوف صديقه الآخر ، ولا شك في أن صديقه الآخر هو الذى أذاع هذا الخبر. وإن يكن قد أذاعه مثنيا مادحا لا قائما ولا فادحا .. لكن النية معروفة على كل حال .. لقد أراد غالب أفندي أن يقول للناس إن صبرى أفندي نجيب صاحب هذا القزل الجليل المنزل متزوج راقصة ، وسيفهم الناس أن كلمة متزوج هذه كلمة (تجوزة) فهم يقولونها ويريدون أن يقولوا إنه يؤوى في بيته راقصة ... والناس في الريف وفي المدن الصغيرة لا م لهم إلا التحدث في شئون غيرهم الخاصة ، يساعد على ذلك فراغهم الكثير وعدم اتصال أشغالهم ... والانسان متكلم شغشاق بطبعه ، لا يستطيع أن يحزن لسانه إلا على قلق ، وهو إذا تلقى إنسانا آخر جمل يفكر في ألف حديث يقوم بينه وبينه ، فإذا ضاقت به الأحاديث أرسل أى حديث والسلام ... فما يزال أن يكون هذا الحديث غيبة وهو عادة لا يقصد الغيبة ، إنما هو يقع فيها وهو لا يدري ؛ ومن الناس من يقع في الغيبة وهو متمدد لأن كثرة وقوعه فيها غير حاد قد مهد لوقوعه فيها عادلا ، فهو يلقى الحادث الصغير فما يلبث أن يحوكم له الأطراف ، ويمزج له بالعين والأنف وسائر أجزاء الوجه حتى تستقر في روح السامع منه أشياء ليست من الحق ، وليس فيها من الحق شيء ...

هكذا يعيش الناس في الريف وفي كثير من المدن الصغيرة ... وقد نصح صبرى حديث الشائين فأحسن لساعته أن سحابة تنمقد في سماء سمادته ،

ومضت شهود والاف مظنن إلى الله ، صمد به سعادة لا تشوبها شائبة ، ولا يكدرها مكدر ثم جلس صبرى مرة في ظل شجرة عارضة فوق دواره فسمع شابين يتناجيان خلف الجدار فيقول أحدهما والآخر بحماسة :

— كلا يا صيدى ... لقد جاء بها من مصر ..

وكل الناس يقولون إنها راقصة !

— يا شيخ اننى الله صبرى بك يتزوج راقصة ؟

— والله لقد سمعت هذا من فم لا يكذب

— وعمن سمعته يا صادق ؟

— من أمز أصدقاء صبرى بك ... من

غالب أفندي عبد الرؤوف

— وما دخل غالب أفندي عبد الرؤوف في أن

يتزوج صبرى بك راقصة أو غير راقصة ... الرجل

حر ، وهو الذى اختار لنفسه ، ورب راقصة خير

من نساء قرينتنا جميعا !

— ربما يكن الأمر فغالب أفندي يقول إن

صبرى بك صمد جدا بزوجه وهى خير له من أى

زوجة أخرى .

— ولماذا ؟ لما يقول غالب أفندي هذا الكلام !

— قلت لك إن غالب أفندي لم يخطيء في حق

صديقه ...

— مجرد ذكر الزوجة التى لا شأن لأحد بها

خطا يا صديقى ، هكذا غلبنا هذا الريف الذى نعيش فيه !

— هذه مثالة يراغب .. الحمد لله غالب أفندي

رجل يحب صبرى بك ويخلص له ، وقد مدح زوجته

مدحا طيبا وأثنى عليها ثناء صادقا .

إذن قد كان الناس يتحدثون عن صبرى أفندي

- وأن كاسامرة اللذاق ترتفع إلى شفتيه ، وينسكب منها شيء في فمه
- وانقلب صبرى إلى منزله مفكراً مقطب الجبين ساهماً ، فلما لقيته سنية لم تبال بعبوسه وتقطيعه ، بل راحت تلف ذراعها حول عنقه ، وتسلط عينيها الرائتين في عينيهِ السادرين ، ثم تتمرّقه بالترجف بالقبل ...
- يبدأ أن قبلها لم تسهره هذه المرة ، وظل صبرى تارة كاذبي سرى في كياهه م ، أو تاجأه نازلة ... فقالت له وقال لها :
- ماذا ؟ هل ضاع كيس تقودك ؟
- لا ... أبداً ...
- هل خطف طفل طربوشك ؟
- ها هو ذا طربوشى
- هل حذفك فلاحه بقشاة ؟
- ... ؟ ...
- مالك مقطباً هكذا ؟ ماذا حدث إذن ؟
- لا شيء ...
- أصرى أنت ؟ أمحس تنبأ في رأسك ؟
- قليلاً
- إذن خذ هذا القرص المسكن
- ثم أذابت له القرص في قليل من الماء ومدت إليه الكوب بيدها اللطيفة الرائحة فتناولوه وشرب ، ثم تطرح على السرير أمام سنية
- أين كنت يا صبرى ؟
- كنت في الحوار
- هل لقيت أحداً ثمة ؟
- ما لقيت أحداً اليوم
- هل سمعت كلاماً ؟
- ما دمت لم ألق أحداً فكيف أسمع كلاماً ؟
- أوه ! صحيح ... أنا فبية
- عفواً ...
- هل أغنى لك ؟
- أكون سيداً لو فلت
- وعليك أن تأخذ للمود يا عزيزى
- لا أقدر
- إذن أقوم بالنساء والموسيقى مما ... هل تقترح شعراً فأغنيه ؟
- ليس في رأسى كلمة واحدة فأقولها
- وأختار أنا مقطوعة من كلامك
- ثم تناولت سنية عود زوجها فرجعت بعصونها عليه ، فلما راعها إلا أن ترى دمة تنال عين صبرى ثم تنطلق على خده حارة ساخنة ، فألقت بالمود ناحية وقالت له :
- ماذا ؟ أنت تبكى ؟
- لا ... أبداً
- وما هذه المموج إذن ؟
- إنها نتيجة ما برأسى من ألم الصداق
- لا ... لقد سمعتها تقول شيئاً !
- المموج تتكلم ؟ هذا هو الشعر الذى كنت تصيغى به
- وهذا هو الشعر الصادق الذى لم تستطع أن تضرب لى عليه مثلاً !
- غنى غنى
- لن أغنى حتى تذكر لى ما يبكيك
- عجيب والله ! أغنى أنا !
- ثم تناول المود فأسر أنامله على أوتاره فذهبت تملأ للفرقة رنيناً وأبيناً ... وغنى غناء موجعاً باكياً فقالت له سنية :

— لقد ضحكت عليه بنت من بنات مصر ورعيا
ذهب ليتزوجها !

— ومن قال لك هذا ؟

— البلد كلها تقول ذلك !

— كل البلد ؟

— كل البلد ... بلدا لا تخفى عليها خافية ولا
يتام فيها بيت قبل أن يمل أخبار جميع البيوت !

— هذا عجيب ... لكن صبرى لم يخبرني بشيء

من ذلك !

— وهل قال لأحد إنه سيتزوجك قبل أن

يفعل ؟

— وماذا يقول الناس عني يا ترى ؟

— كل خير ... كل خير يا أختاه

وجاءت القهوه فرشفت سنية رشفة ونهضت
مودعة شاكرة ، ثم انطلقت إلى منزلها وبها من

المهم والقلق أضماط ما كان يقيم صبرى ويقدمه منها
ترى أين ذهب صبرى ؟! أحقية ذهب ليتزوج ؟

ولم لا يكون هذا وقد لبث هذا الشهر واجما ساهما
حتى لحظ الكل ذلك ، وحتى لحظه غالب نفسه

ودليل هذا ذلك الحديث الطويل عن الحب والمحبين
بينه وبين فؤاد !

لقد راهن غالب صديقه فؤاد على هذا ... لقد
راهنه على أن يخيه لهذه الزوجة اراقصة لن يطول

أمد ، لأنه حب طاريء دخل قلبه من فوق المسرح
وتحت فيض من الأنواء ، وبين تنقي الأذرع وتلوي

الأنفاذ ، وهز الريف وتكرور الأبناء ... ثم إرسال
الابتناسات المصنوعة التي تزيد في جاذبية الرقص

وإغلاء البضاعة ...

هكذا زهم غالب ، وهكذا حكم على وحدانية

— هذا الفتاة ترحان دمومك ... ألا تذكر

لي يا صبرى لماذا كنت تبكي ؟

— لم أكن أبكي ، وما كذبك يا سنية !

وقطرت بهجة المنزل بعد ذاك ، ثم مضى شهر
وصبرى لا ييوح لزوجته بشيء مما يؤله ... ثم

أصبحت فلم يجده معها ... فبحثت عنه فلم تستر عليه
بالقربة ...

هنا ... قام طائف من الشك في قلب الفتاة ...

فقد غربت الشمس وصبرى لما يد إلى منزله ...

أين ذهب يا ترى ؟

وخطر لها أن تقصد إلى منزل غالب أفندي
عبد الرؤوف لتسأل عن بلها ... لكنها لم تجد الرجل

ثمة ، ولقيتها زوجة غالب أفندي فأكرمت لقاءها ،
وكان الأستاذ غالب يتحدث إلى زوجته بدافع

الفضول الرقيق عن صبرى أفندي وعن زوجة
صبرى أفندي ، فلما عرفت ربة المار فم أقبلت سنية

وكان الوجد والقلق بإدبين على وجهها حزرت أنها
ثالة على صبرى وعلى الزمان الذي ربط جبالها بجباله

فقال :

— لا أدري يا أختاه لماذا سرك من أمر هذا

الرجل حتى رشيته زوجا لك ؟

وهنا عرفت سنية كيف تستغل سذاجة هذه
الرفيقة فتت لما في الحديث قاتلة :

— هذا نصبي يا سيدتي !

— مسكينة ، إن صبرى رجل غني وهو لهذا

لا عمل له لا عرب المود والثناء والمفر بين مصر
والقازيق ... ألم تملئي الخبز الجديد ؟

— أي خبر ؟

عظمة كاسفة ، فلما رأت الفتاة الجميلة الرائحة إلى جانبه ، ذهلت ، وسكنت برهة ثم قالت له : « أهذه هي ؟ » فقال صبرى : « هذه من ؟ » فسالت دمعاً ساخنة على خد زوجته وقالت : « زوجتك الجديدة » فأسرع صبرى إلى زوجته فأخذها في ذراعيه مداعباً وقال : « أجل ياسنية ! هذه ابنة أخى يا أعمز الناس على هلى هلى .. أعدى الحقائق فلن نميش هنا بعد ! » وكأنها أفاقت سنية من حلم ، فظفرت إلى زوجها وقالت له :

— لن نميش هنا ؟
— أجل ... ولا يوماً واحداً
— هذا حال !
— بل هذا واجب ... لقد استأجرت منزلاً جديلاً فى الزمالة ...
— ولماذا يا ...
— لأننى لا أريد أن أحرم من الجنة التى ما دخلها إلا ملك !
— ما ذا تقول يا صبرى ؟
— ألا تفهمين ؟ إنك كنز عظيم ياسنية ولن يضيع كنزى من يدي .

— ولماذا تهجر الريف ... إلى أحبه ...
— أما أنا فلقد ضقت به

وطاشا فى الزمالة الساحرة طامعين كاملين ...
لكن سنية علمت زوجها كيف لا يكثر الناس ...
وما زالت تلح عليه فى المود إلى الريف حتى رضى كارهاً ...

ووقف ابنيهما كامل الجليل فى حديقة العنب مأخوذاً بسحر الريف وهو يهتف بوالده ويقول :
« بابا .. بابا ... حلو يا بابا !! »

دسنى مشبى

الحب بالفساد ، فياترى ! أين ذهب صبرى !
لقد ظل شهراً بتمامه مابسا متجهماً لا يتبسّط ولا يفرج عن نفسه وعن أهل منزله ... وكان يصنى إلى غناء سنية فى فنور وتكلف ، ولم يكن يادها هذا الانشراح الذى كان طبيعة فيه ...
فأين مضى ياترى ؟
ومكثت سنية أياماً ثلاثة وحى لا تدرى أين مضى ولا أين يجرى ، ولا أين لقاء فتنهض من فورها لتضى إليه .

وكانت كالذى ينتظر الحكم عليه من قاضيه ، فلم تكن تذوق الكرى طوال هذه الأيام الثلاثة ... بل كانت تفكر أفكاراً سوداً كقطع الليل ... ومحت بالانتعاش مرهات ، لكنها لم تؤثر أن تموت قبل أن تعرف

إنها لم تحظى قط فى هذا المنزل ... بل بالعكس لقد صيرته جنة وادعة الظلال ، وحاطته بالطهر ، لأنها عاشت حياتها نقية طاهرة ... لقد ملأه غناء وموسيقى وبهجة ... لقد مثلت دور الأنثى كما تمثله حور الجنان ... ماذا كان يطلب منها صبرى غير هذا ؟

ووقف قطار الصباح فى محطة القرية ونزل منه صبرى ومعه فتاة ناهد هيفاء ممشوقة اللد ، يفيض بردها شباباً ويهتز جسمها الزيان خمباً ... ولقبه غالب خياف ثم سلم عليه مصافحاً ، وهتف به بالفرنسية قائلاً : « عسى أن تكون قد وقفت هذه المرة يا صبرى ! » فقبس صبرى ابتسامة صبرية وقال لصاحبه : « إن شاء الله ... لقد وقفت يا صاحبي ! » وكانت هذه آخر كلمة وجهها صبرى إلى غالب مدى الحياة !

وذهب الفتى إلى منزله فلقبته سنية موهونة

صباح الفجر الحبيب

للكاتب هزري نوردو عضو المجمع العلمي الفرنسي
يقيم الأساتذة ناجح الططاروي

وخلاصة ما ذكرته أن رجلا يدعى

بيير فالري، وكان مستخدماً لدى
شركة البنزول، نزل من القطار
الذي يخرج من محطة سان لازار
في الساعة ٢٠ وال دقيقة ٢ قاصداً
بوا كولومب التي يصلها في الساعة
٢٠ وال دقيقة ١١، وقصد في الحال

مدير المحطة وأخبره أن في عربة القطار التي كان
فيها، رجلا قتل نفسه أمامه برصاصة وجهها إلى قلبه،
وكان الرجلان وحيدان لأنثى لهما، ولم يسمع من
في العربات المجاورة شيئاً.

وبدا مدير المحطة أن إيضاحات هذا الشاهد
الوحيد غتلفة، وواقفه في اجتياحه هذا الشرطي
الذي داه في الحال، قرر إبقائه وحجزه، بعد
أخذ اسمه وعنوانه.

كانت صمة بيير فالري حسنة في بوا كولومب،
وكان محترماً بين مواعينه، وعلى الأخص في هذا
الطريق، إذ كان يركب القطار كل صباح من باريس،
ويعود إليها مساء به، ولكن الانهزامات القوية وجهت
إليه منذ يوم القبض عليه، واكتشفت مأساة حقيقية
كاملة أفضت مضجعه: هجرته أسرته في العام السابق
لتعيش — في شارع مجاور لشارده — مع فيرناند
بورري هذا الذي مات تلك الموة الحزرة المفاجئة،
والذي كان صديقاً حميلاً للمائلة. وبقى بيير فالري قاطناً

في مسكنه مع ابنة له صغيرة لم تبلغ ثمانية أعوام من
عمرها، وكانت أمها تأتي كل صباح لتراها وتعود
ثانية بانتظام ودقة، فارتبطت البنت بأبها وعشيق
أبها برابط منوي وثيق. ولا ريب أن الأب مل هذه
الحياة غير الطبيعية، ووجد نفسه في القطار وجهاً

خاطب مسيو هير، قاضي تحقيق الجنايات
كاتبه مسيو موتون قائلاً:

— ماذا تقول؟ أجمعة طافية أخرى؟
ألا فليملوا أن زمن الصفح والصفح قد انقضى.
وها إن القضاء — وخاصة في برتانية الكبرى —
بدأوا يحكمون على المجرمين القاتلين بالوت شفاً،
لن يبق لدينا شيء اسمه جرم طافية. هل أنت
مستمد؟ إنني سأمر بأدخال التهم، ولكن قل لي
هل وكل عامياً؟

— نعم ياسيدي القاضي.
— لا خير، إننا نستطيع استجوابه بجهود،
لأن هؤلاء السادة الذين يحامون ويدافعون يفتقدون
الاستجابات بصورة ذهنية.
— إن التهم ياسيدي، يدعي أنه ليس جانيك.
— شيء طبيعي، وماذا تنتظر منه غير ذلك؟
— ويؤكد أيضاً أن القضية هي انتحار
وليست بجرمة.

— انتحار؟ فكر قليلاً، إن العمل الطبيعى
والشاهد دائماً هو أن الزوج يقتل الماشق، فكيف
نصدق أن الماشق هو الذى قتل نفسه وبحضور
الزوج أيضاً؟ لقد شغل هذا الخبر للترتيب الصحافة،
وأنت على وصفه وتسجيله تحت عناوين ضخمة،

— آه يا سيدى القاضى ، ما جدوى ذلك ؟
إنك لن تصدقنى ، وأنا لا يسوئنى أن أدان
— إن كنت ربيكاً كما تدعى ، فإن إدانتك تسوؤك
كثيراً ، وإن كنت جانباً أتمكن أن يكون فى جنابك
ظروف مخففة

ولا صمت ولم يجب أروى القاضى قائلاً :
— وإن لك مع ذلك ابنة ، فإن كنت ربيكاً
لا ترضى أبداً أن تترك لها اسماً ملوئاً مطلقاً
فتمن اللهم قائلاً :
— آه لم أفكر فى هذا

وكان هذا الجواب وحده حافظاً للقاضى لأن
يلاحظ أمارات الوجه البائس الخنول ، واعتقد أنه
ليس بمحضرة مجرم . وأبدى القاضى الذى قضى حياته
فى هذا العمل حتى أصبح محكاً فى تحقيق الجرائم
مهارة فى ملاحظة اللامع ، وقراءة الدلائل الوجهية
والجسمية ، وعاود الكرة بلفظ ورقة :

— نكلم بلا خوف ولا غضب ، وهما نحن ذان
مصفيان لك

— سأتكلم يا سيدى إذا كنت تصدق أن ...
وبدت من القاضى حركة اعتراض . إنه لا يستطيع
أن يتكلم بشئ ولا أن يرتبط بوعده مع منهم
— ... ألا تدبج شيئاً مما أحدثك به ،
وألأكتب منه شيئاً ، وإن لم تقبل ذلك فلي أنكلم
— إنك تعلم جيداً أن حادثك يجب أن تسجل
وأن من واجبي أن أعرف تفاصيلها إن كان فى الأمر
جريمة ، أما إذا كانت القضية انتحاراً كما تدعى
فسيكون اعترافك مقبولاً ولن يصدر أى حكم عليك
وكل ما فى الأمر أننا يجب أن نطمئن وجداننا
المعتناتاً مطلقاً

لوجه أمام طاشق امرأته بطريق الصدفة ، عائداً فى
ذلك المساء إلى باريز ولم يركب القطار الذى كان من
عادته أن يركبه . لقد كان مصمماً على الانتقام حتى
اللحظة الأخيرة . ولقد ثبت أن المدس الذى وجد
عند قدمى الضحية كان ملكاً له ، وسلم نفسه دون
أن يبدى مقاومة

ورجاء أن تؤخذ ابنته إلى أمها أثناء غيابه بقلة
اكثرات ظاهرة ، وكان يردد فى هذه الأثناء بصوت
هادئ : إن هذه القضية انتحار وليست بجرمة ،
ولكن لم يد عليه أنه مقتنع بهذا الادعاء الخيالي ...
ودعى للشول أمام قاضى تحقيق الجنايات

رأى القاضى أمامه رجلاً صغيراً متواضعاً ،
قابل التضارة ، لا يتجاوز الأربعين من سنى حياته
ذاتة وهيئة تدعوان إلى الانهام ، ولم يك فى وجهه
غضون مميزة ، بل كانت تبدو عليه أمارات الكآبة
والحزن ، وكانت ميناة غائرتين داخبتين ، تشبهان عيني
الجدى الذى ينتظر طلقة البندقية مودبة بحياته

قد يكون من الممكن أن يقال إن أمارات الحزن
هذه قد ولها فزع من القضاء وأله النفسى الذى
كان يكاديه ، لو لم تكن متلاعبة مع طبيعة وجهه ،
ولكن ظهر للقاضى أن هذه الأمارات طبيعية فى
وجهه لا يمكن أن تزول منه ، وأيد اعتقاده هذا أن
التهم كان يجب على الأسئلة الأولى بكلمتى نعم أو لا
بانفعال وتيسج ، ولقد أقر القاضى بكل الأمور التى
سأله عنها : الحياة وهجر امرأته ، واقتسام الطفلة ،
وامتلاك المدس ... ولكنه بد هذا كله أنكر
الجريمة !

فلم يتالك القاضى نفسه أن صاح به :
— إذن هل لك أن تهمى علينا كيف كان الأمر

القاضي والكتاب اللذين كانا يتبادلان من حين لآخر نظرات مقرونة بالدهاء، وكان الاصفاء إليه بشجهه. كان يتكلم كأنه جالس وحده يناجي نفسه أو كأنه يرفع ستور الماضي أمام نظريه، وكان يقاطعه أحياناً قاضي التحقيق عند ما يمن كثيراً في التفاصيل

— أجل ياسيدي القاضي، لقد كنا مسرورين نحن الثلاثة جداً

— أنتم الثلاثة ؟

— نعم إسرائي وأنا وهذا المدعو فرناند بوبري . كانت إسرائي بائمة ورود ، وكنت أسراً أمام دكانها كل يوم في طريقى إلى المحطة . وفي كل سبت كنت أشتري لها وردة أو قرنفلة أو باقة صغيرة من البنفسج أو غيره حسب الفصول ، ولكنى لن أطيل في هذا تركت دكانها وقيمت في المار تقوم بالأعمال المنزلية ، وكنت أعمل دائماً لأستطيع أن أقوم بأودها وأود ابنتنا الصغيرة . وكان فرناند رفيق وصديق يعمل في شركة الكهرباء بينما كنت أعمل أنا في شركة البترول . كان أكثر ثقافة منى وقد جاب بعض البلاد وزارها ، وكان ذا منطق حذب ، وكثيراً ما كان يتناول طعام الغداء عندى ، وكان بلاطف ويداعب جنيفيف الصغيرة . لم تكن إسرائي في بدى الأمر تنظر إليه بارتياح ، وكانت ترى أن صداقتى أوثق مما يجب أن تكون ، ثم أصبحت بعد حين تمتدل في حكمها عليه وتلين ، وكنا متفاهمين تماماً . وفي بعض أيام الأحاد كان يخرج بنا إلى الريف للزومة . وفي بعضها الآخر كنا نبقى في المار نقسلي بسبب الورق شتاء والكرة صيفاً ولم نكن نذهب إلى القرية

لم يكن بداخلنى الشك في أحز زوجتى إذ كنت

وإذا كانت القضية خلاف ما تدعى ، وتضافرت الأدلة على ذلك ، تصبح حادثتك مراهقات وترسل إلى محكمة الجنايات الفاصلة ، وهناك ستمأل بمحضور السادة المحلفين من قبل رئيس المحكمة ، وحتى آخر لحظة يسمح لك بإيضاحاتك ، والابضاحات التى تفوه بها يوم الجلسة الكبرى هى وحدها التى تتمدها المحكمة . هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك وأنت تدرك ولا شك الفائدة الكبرى التى تسديها لنا بتخليصنا من إتمام العمل بدقة ونعاب

كان التهم بمنى بصوبة وارتيك إلى هذه الماضرة التى ألقيت عليه بصوت حذب تبدو فيه الرأفة والشفقة . وكان الشيء الوحيد الذى كدر صفو نفسه ومس شفاف قلبه هو التفكير في مستقبل ابنته ، وقاض هذا التفكير على لسانه إذ قال في نفسه :

— من أجلها ، نعم من أجلها !

— من أجلها ؟ من هى ؟

— من أجل جنيفيف

— جنيفيف ؟

— ابنتى . إنها ضيفة لا نأتمنل للضرب ولا تستحقه . أما أنا فقد ربيت على الجلد . وهذه الأشياء التى يسمونها الحياة والموت لا تهمنى كثيراً . بينى أن أكر فى مستقبل ابنتى ، وأرى من الواجب أن تتمكن من الزواج برجل شريف لا يظلم شرف أبيها ولا سيرته .

وقال بعد فترة صمت قصيرة : ولا سيرة أمها أيضاً

— هل إذن وتكلم من أجلها

وبدا التهم يسرد قصته مضطرباً متلعناً ، ثم ما لبث أن تشجع وأصبح إلقاءه سهلاً هادئاً . كان يبدو عليه أنه لا يمر أدنى التفات إلى مستمعيه :

ليه دائماً كلام يقوله أكثر منى . كان يضع رباطات
عنق جميلة زاهية ، وكان في وجهه عينان تشكلمان ،
أما أما طبعاً فلم أكن إلا إيلي . إن الذي كنت
أفضله به كان معنى لا يرى ، كنت أفضله بالشعور
والاحساس ، وليس لدى أتهام أوجهه إليه

— ليس لديك أتهام ؟ لقد فضحتنا أننا الاثنان
— بالرغم منا يا سيدي ودون أن يزيد . لم أعرف
صديقاً ورفيقاً أخلص من فرناند ، إنه كان على
استمداد لالقاء نفسه بالنار في سبيل ، وكلاً وقت
في ضيق كان يتقذى ويخلصني منه . ولما كنت مصاباً
بالخناق ، قبل زواجي ، مصاباً لدرجة الموت ، كان
يسهر على ولا يخاف من البدوى . أوه ! لقد كنت
واثقاً أنه لم يكن يريد أن يتبنى ويؤلى ، والدليل
على ذلك أنه مات .

وسكت للمرة الثانية ... ثم تابع حديثه دون
أن يبنه لوجوب متابته :

— ولكن ، لقد لحقني منه قليل من التعب .
لقد بدأت أشك في بعض الأشياء . لم تكن أصرأنى
المسكينة متادة على الكذب ، ولما كانت تبيع
ورودها ، كان الناس يروون لها قصصاً واقعية مسلية
فكانت تضحك دون أن تبدي لها اهتماماً . لقد
عرفت سرياً أنني لست كسائر الرجال ، فلم تكن
تضحك لي أبداً ، كانت تبدو عثمة عندما كنت
أقف أمام دكانها . لقد كانت فتاة عاقلة ومفكرة ،
وبعد زواجنا كانت مؤنسة لي ، تضحك معي وتنسى
أثناء قياسها بالأعمال الزرية ، وكنت أسمع غناءها
عندما أعود من حمل ، فكانت تؤثر في قلبي نار
الحب ، ولكنها بعد حين لم تعد تنسى قط ، فبأنها
عن سبب ذلك فأجابني قائلة : « لا أدري » .

واثقاً من حسن سلوكها ، وهي نفسها لم تكن تشك
في ذلك . إنني لا أنهما يا سيدي اللغاضى ولا أنهما
أيضاً . كانت هنالك أشياء تحدث بالرغم منا لم تكن
نرضاها ولا نريدها ، كانت هذه الأشياء تمر وتلو
بعضها بعضاً ، وكان صرورها يحدث في حياتنا تديلاً
أشبه ما يكون بالاهتزاز الأرضي البطيء .

— ولكن ما هي هذه الأشياء التي حدثت ؟
— لم يكن بيني وبين أصرأنى خلاف ولا عجار .
كانت تناقش مودة كل صباح عندما أم بالهناج ،
وكل مساء عندما أعود إلى الدار ، أسفة صباحاً ،
مبهجة مساء ، ولم يكن ذلك هزلة مقصودة . لم
نكن نضمر بجاحة لأن تبادل كلمات المودة ، إذ
كانت المودة متأسفة في أحماق نفسيها ، وكنا نضمر
بها دون أن نظهرها ، ثم كانت هنالك اللبت الصغيرة
التي تربطنا وتجمع بيننا .

لم يكن اللبت إلا الألب والأم ، وكان يجب أن
نفكر فيها دائماً ، ولكنا كنا نطوى نفسيها على
أفكار وآمال أخرى ، والنساء على ما يبدو لي يضمن
آمالاً وأحلاماً أكثر من الرجال .. أنا خاصة لم أكن
أحلم أبداً ، ولم أكن أعنى شيئاً ، ولم أكن أفكر
في شيء ، إذ كان تفكيرى منصرفاً إلى زوجتي وابنتي
وهو تفكيرى في نفسي ، إذ كانا جزءاً منى . وأنا
تذكر أن ذلك بالطبع

ثم سكت كأن جلته الأخيرة أفرقتة في خضم
الذكرات

فسأله القاضي قائلاً :

— ثم ماذا ؟

— قلت لك إنه كان ذا منطق حلو عذب ،
وكان يقني التعبير عن مشاعره أكثر منى ، وكان

فأبدي الكاتب حركة اعتراض وشك في صحة القصة ، ولكن التهم لم يبر اعتراضه أدناً صافية وأنتم حديثه :

— لقد حاول أن يختلياً ، ولم يكن هذا بالصعب كثيراً ، إذ أننى كنت أذهب إلى عمل كل يوم ، ولم يكن فرناند مقيداً بالعمل مثل فلقد كان يصلح هنا وهناك بعض الآلات الكهربائية ، كان يذهب إلى باريس ويبيع نواحها ويمود منها . إنه لمن الخفيف أن يصبح المرء غيورا . طالما حاولت أن أعلم شيئا من أمرها ولكنى لم أستطع ذلك ولأأسف واكتفيت بالتصور والتخيل . كنت أستيقظ في جوف الليل أحيانا ، وأصنى زفير اسرأنى . ويلاه أ كانت تسمع ما أفكر فيه وهي في نومها ! لقد كانت تستيقظ فجأة وتأخذ يدي وتأسلى قائلة : « ماذا بك يا صاحبي ؟ » فكنت أجيبها كما كانت يجيبني من قبل قائلة : « أنا ؟ لا شيء » أو أقول مثلها : « لا أدري » وعدت للدار في إحدى الأيام ، فوجدت زوجتي حزينة ، ولما اقتربت منها رأيتها غارقة في التفكير لدرجة أنها لم تسمع بوجودي فوضعت يدي على منكبها وقلت لها : « فيم تفكرين ؟ » فأجابت : « أنا ؟ لا شيء » وعاجلتها بقولي : « إنك تفكرين فيه أليس كذلك ؟ » فما كان منها إلا أن صعدت زفرة حارة ولم تجب ، وقلت لها وأنا أم أن أحتويها بين ذراعي : « إنى صاحبك يا عزيزتى ، إنه لن يمود قط ، وسيمرف كل شيء » فقالت ببساطة : « لقد تأخرت كثيرا » ولم أك أسمع هذا الجواب حتى عرفت كل شيء ، وترك ذراعى تهبطان بترخ ولم أضربها ولم أطردها . فما راعى إلا أن رأيتها ترتدى ثيابها وتهم بفتح الباب فسانها : « إلى أين

وظننت إذ ذاك أن ما أسكنها هو عدم ولادة طفل آخر لنا ، ولكنى كنت غفلا في هذا الظن إذ ظهر لى أنها كانت تحتشم عندها كان يزورنا فرناند ، وكانت تبدو عليها أمامه كل أمارات القنطة والسرور فذكرت حالها وهيئتها عند ابتداء معرفتى لها ، وأفرغنى الشبه بين الحالين ، وبدأت أتعجب وأنا لم هل كانت تحب سواي ؟ أ كانت تحب صديق الذى يوشك أن يكون أختى ؟ لقد سمعت على طرده هذه الفكرة من رأسى ، إذ وجدتها غفلة وفظيمة . إن انتهى لها مئة شتمها وإهانتهما . كلاهما كان عزيزاً على أثير أسمى ، أما هي فمن أجل وأجل طفلتنا وفارنا وحياتنا خارج النار ، من أجل التساوى وتبادل الثقة ... ولكن لا ، لم يكن هذا فظيما كما تصورت ، وما أرى هل نحن دائما مصادر آمهالنا وأصحابها الحقيقيون ؟

— أما فى الأفكار فاستطيع أن أجيئك بالنفى إذ لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأن بعض الناس يخدعون حتى القضاة أنفسهم ، أما فى الأفعال فليس الأمر كذلك ، إذ نحن دائما أصحاب أفعالنا والمستولون عنها

— دائما ؟ هل نحن نراقب أنفسنا فى كل حين يا سيدي القاضي ؟ إننا لا نرى غيرنا إلا عند ما نريد أن نراه ، إذن نحن ننسى أحيانا . إننا لا نرى إلا ما نحب ، ويحتج ما وراء ذلك عن أبصارنا ، يحتجى عنها كل ما يضائقنا ويؤلنا ، ولما فقد خفيت عن أعينهما كأفنى لم أكن موجودا . إنهما لم يفكرا فى وجودى ولم ينتهيا له إلا بعد لآى ، ولقد أخطأ فى فقههما إذ جبلا لنفسيهما الضيق والألم ، لأن عذاب الذى ولما لى كان فى الحقيقة عذابا لها

بعد . كنت لا أزال أركب القطار في الذهاب والاياب ، ولكن لم تمد لي عذرة و رغبة في العمل . كنت أعمل كآلة السماء . وفي المساء كنت أرى جنيفيف الصغيرة وكنت أستطيع أن أدلها وأفرحها بفضل أجريتي التي كنت أألفها من عمل . لقد كانت لبقة في أحاديثها من وتضايق أحياناً لحديثي . أظن أن الأطفال عقلاء أكثر مما نعتقد يا سيدي القاضي . إنها لم تكن تجرؤ على أن تتحدثي عما فعلته في يومها سوى دروسها وواجباتها . لقد كانت تمنتقد أنها لا يجدر بها أن تذكر أمها ولا الرجل الآخر أبداً . ولكننا مع ذلك سألتي قائلة : أمن الممكن أن يكون للمرأة والدتان ؟ ثم أجابت من تلقاء نفسها : أما أنا ، فأظن ذلك غير ممكن

لقد كان لها أيضاً أب هنا وأب هناك ، أب في النهار وأب في الليل ، ولكن لم يكن لها ، ولن يمكن أن يكون ، إلا أم واحدة . ومنذ تلك اللحظة أصبحت لا أفكر إلا في الانتحار لأترك المكان فارغاً للرجل الآخر . لم أستطع إرجاع البنت لأبها ، أما كان يجب علي أن أردّها إليها ؟

— كان باستطاعتك أن تطلب ابتلاك البنت وإبقائها عندك ، مع بضعة زيارات تقوم بها الأم في أيام محددة معينة

— صدقت يا سيدي القاضي . هذا هو العمل الذي لم أكن أستطيع القيام به . لم أكن أريد ذلك ثروتي ولا لصديقي ، لقد كنت المجرم الأول . لا ينبغي أن نسي إلى أحد ، وخاصة إلى المرأة الفاضلة . لم أكن أعلم يومئذ أن كلا منهما يلوم الآخر ويخطئه . إن الرجال يتقدمون دائماً أن نسامح بأجمعهم لهم . أما النساء — وبما إخالكم تفرعن جيداً — فانهن

تذهمين ؟ فأجبتني : « إلى أين تريد أن أذهب ؟ » قلت : « إليه » فهزت رأسها وقالت : « نعم إليه » قلت : « حسن ، إذهبي »

ولما بلغت قبة الباب التفتت وقالت يهدوء : « وجنيفيف ؟ » قلت : « كان يجب أن تفكري فيها من قبل » قالت : « هل تريد أن تحتفظ بها ؟ » قلت : « إنها لي » قالت : « ولكنها لا تزال صغيرة » قلت : « ستعتمد الحياة بجانبي » قالت : « هل تدعى أراها ؟ » قلت : « كلا » فرفقت يديها كالبنائسة ، ثم خرجت باكية ولم أرها بعد ذلك الحين

— وابنتك ؟ هل كانت تراها ؟

— كانت جنيفيف تذكرها ، فكنت أقول لها إن أمها سافرت في رحلة طويلة ، وكنت مضطراً لأن أقول لها إنها ستعود . ولما كنت أذهب إلى الصنع طول النهار ، عهدت بها إلى امرأة كانت تدير مدرسة داخلية في بوا كوكلوب ، ولكن الصغيرة كانت تماند وترفض أن تبقى هناك ، وعلقت بمدبذبة أن أمها كانت تأخذها كل صباح بعد ذهابي وتسيدها كل مساء قبل عودتي . لقد عرفت ذلك ولكنني لم أقل شيئاً . ماذا تريدني أن أفعل يا سيدي القاضي ؟ ماذا تريد ؟

فصدورت من القاضي وكاتبه حركة ظاهرها الاستحسان والتعصب ، وللهما كانا يقصدان بها موافقة التهم مؤقتاً ليستطيع أن يتم حديثه ويتكلم عن الجريمة التي هي بيت القصيد . وسمت مير فالري كأنه تمب . فسأله القاضي :

— منذ كم هجرتك إسرائيل ؟

— منذ عام على ما أذكر ، ولكن هذه المدة كانت تبدو لي كأنها عشرة أعوام . لم يقبل شيء

في الحرب كسائر الناس. إن المرء يكون أكثر شجاعة عند ما يرى نفسه عاهلاً بأصدقائه ، وأنا وحدي في داري لم أكن أستطيع العزم على الانتحار ، ولقد كنت مثلاً جيداً لعدم إرادتي الحياة . لقد كان كل شيء يسير في نظري على ما يرام ، جرمين ...
— جرمين ؟

— أجل ، جرمين إسرائيل تزوجت فرناند ، واستطاع أن يعيش في وضع النهار مع جنيفيف ، وعندئذ أصبح للصغيرة أب وأم ، أما الأب الآخر فقد اختفى ، وأعطاه نسبته ولم تعد تفكر فيه . لقد كان أباً حزيناً لا يصلح لشيء . كنت أحدث نفسي بهذا كله ومع ذلك فلم أعزم على شيء .
— إذن ما دمت لم تستطع أن توجه سلاحك نحو جسمك ، فقد وجهته نحو خصمك .

— مهلاً ياسيدي القاضى . نعم كان يجب على أن أقتل نفسي ، وهكذا تخلفت من العذاب الأليم .
— قد بلغنا إذن اليوم الفاصل .

— أجل بلقاء ياسيدي القاضى . كان يعرف فرناند طدنى وواجبات عملى وقطارى الصباح والنساء الذين كنت أركبهم . ولقد نظم حياته على خلاف هذا الشكل فكان يتجنب مقابلى ما وسعته التجنب ، ولم أصادفه فى الطريق أبداً ، لا فى بوا كولومب ولا فى باريز . لقد كنت دائماً من أنه لم يكن بالناقل أبداً عن الأسر الذى حرمت عليه . وفى مساء اليوم الذى وقع فيه الحادث ، أجبرت على البقاء فى المصنع بعد انتهاء وقت عملى لثياب أحيد رفاقى ووجوب بقائى فى المصنع عوضاً عنه ، وهكذا امتد عملى ساعتين أخريين ، واضطرت لركوب قطار الساعة ٨ والدقيقة ٢ الذى

يلكن من المطف والحنان ما لا مزيد عليه ويظهرن ذلك لك كل يوم ، ولكنهن يسميته عند ما يتزوجن . لقد تأملت لها كثيراً وتأملت له أيضاً . لقد كنت أعجب به طويلاً . لقد كان فى نظرى غلوفاً سامياً سلبى أعز ما أمك وسحقى بذلك العمل قلبى
— لقد كنت تحفته ، هذا واضح

— آه ، كلا ياسيدي القاضى
— ألم تكن تبغضه ؟ ألم تكن تريد أن تنقم لنفسك ؟

— آه ، كلا . أنتقم ؟ هل كان يجب الانتقام ؟ لم يرد هو ، ولم تردى ، أن يحصل ما حصل . لقد تحببنا ، هذا كل ما فى الأمر . وكنت أنا وثقاً من أنهما بريئان لي وبثلاثين من أجل . فلم يبق لي إذذاك إلا دواء واحد ممكن ، ألا وهو الموت

— ولذلك صممت على اقتراف الجريمة
— الجريمة ؟ أية جريمة ؟ الموت ؟ لقد كنت مجزماً ولا ريب بتفضيل الموت ، ولهذا الفرض اشتريت السدس

فتبادل القاضى كاتبه النظرات ، وقال له الكاتب بصوت خافت : ألا يجب التسجيل الآن ؟ فأجابه القاضى قائلاً : دعه يتم كلامه . إننا رأنا نضطرب ، توقف ولم يتكلم . وسأستجوبه عند ما ينتهى من سرد قصته . ثم قال بصوت مرتفع :

— إذن اشتريت السدس الذى يفيدك فى اقتراف الجريمة

— اشتريته ياسيدي القاضى . لم يكن من السهل على تصور الموت . إن توجيه المرامى الرصاص نحو صدره يتطلب كثيراً من الشجاعة ، ولم أكن مع الأسف وافر الشجاعة إلى هذا الحد ، رغم أنى اشتريت

إذ ذاك كالطفل . آه ، لو كنت أوفر شجاعة ، أنا الذي كان يجب أن يموت لاهو ، كان يجب أن يمجا ويسعد في حياته ، دون أن آخذ منه أو أعطيه شيئاً فتبادل القاضي كاتبه النظرات . لقد طمان الحادث نفسيهما . لم يكونا يستطيعان أن يشعرا بأقل ريب في صحة الرواية . إن ظروف انتحار فرناند وأسبابه كانت واضحة لا تدع مكاناً لافتراض وقوع جريمة ، ولقد نجما مير غاري بلا ريب وأصبح حراً قال له القاضي بصوت مرن واضح :

— لقد عدل صديقك ، كان يجب عليه أن يحترم صداقتك . والآن لم يبق على إلا أن أطلقك . ثم قال مرودفا :

— انظر ، لن يطول الأمد . لدينا بعض الاجراءات القانونية التي لا بد من القيام بها وأمر بأن يقاد التهم الذي أصبح شاهداً بسيطاً ولا يبق القاضي وحده مع كاتبه ، طلب منه قائمة أسماء للشاهدين الأخر الذين دعوا : رئيس القطار ، مستخدمو القطار ، محافظ بوا كولومب ، وقد أني بهذا الأخير ليصف سيرة التهم الشخصية ، ثم مدام مير غاري . فأمر بأن يسرح كل هؤلاء إذ ظهر له أنه لا يمكن معرفة شيء منهم ، وبأن يؤتى بمدام غاري . فأجاب الكاتب :

— إنها لا تمل شيئاً عن الحادث

فقال له القاضي :

— أرغب في رؤيتها .

فذهبت المرأة ، إنها لا تستطيع في غالب الأحيان أن تفهم حب غيرنا على حقيقته ، إن أية امرأة محبوبة حتى الجنون أو حتى الجريمة ، تبدو لنا خالية من الجمال أو من اللطف . هذه هي حال أكثر

لم يكن من عادتي ركوبه . وفي اللحظة الأخيرة التي سبقت سير القطار ، دخل رجل المربة التي كنت فيها وحدي . لقد كان هو بيته . وقف واجماً مبهوئاً لما وقع بصره على ، ولم يجرؤ على الجلوس ولا على الحركة .

سار القطار ووجدت للفرسة ساحة للتخلص من حيائي ، فنهضت من مكاني متجهاً نحو النافذة واقترحت منه وأخرجت السدس من جيبى ورأى مقبلًا نحوه فالزم الباب ولم يبد حراكاً ، ولم يخفه سلاحي . ترى هل كان يعلم أنني لم أرد قتله ؟ قلت له غاطباً :

— لقد جلبت لي كثيراً من الألم والشقاء ، أنوسل إليك أن ترجى . إن الكلاب التي تموى كثيراً تراح من حياتها

ومددت إليه يدي بالسدس ، فأخذته وتأمله هنية ، ثم ... فجأة ... وجه الفوهة نحو قلبه وأطلق النار ...

يا إلهي ، ماذا فعل ؟ لقد أدان نفسه وحكم عليها بإسدي القاضي . ولكن أنا ، أقسم لك ، لم أفكر في أن أحكم عليه . لم أكن أشعر بفضله كاذكرت لقد كنت بأنا شقياً ، إنني لم أنهما بإسدي القاضي ، ولم تكن تلك غلطتهما بل غلطة مشاعرهما التي قادتهما برغمهما

كنت جاثياً أمامه ، وتناولت بنادقي جسمه الحار ، وكان الدم يسيل منه ببطء ، ومع ذلك كان عروقه لم تكن تنبض قط . لقد مات . كانت عيناه مفتوحتين وكان ينظر إلي بهما بالأم وجزن . لقد كنا متحايين كثيراً . كنا صديقين وزميلين وآخرين لم أكن أذكر نفسي إلا من خلال حبنا . لقد بكيت

- زائرات الحاكم اللواتي يمتن القهقهة في النفوس .
والجاهل المتهتة في الحاكم لا تستطيع أن تقف
على سرفتنهن وسحرهن ، ربما استطاع هؤلاء أن
يقفوا على هذا السر إذا تأملوهن جيداً ، ولكن
ليس بينهم من يجد الوقت الكافي لذلك . لم تكن
جرمين جميلة ، كانت صغيرة ، دقيقة الأعضاء ، ذابلة
الوجه ، يلوح أنها لم تتجاوز الثلاثين من عمرها .
كانت منطوية للامام ، ذات شعر أشقر كمد ، يبدو
عليه شيء من الجمال ، ووجنتين ناهمتين ، وقم صغير
لطيف ، وعينين زرقاوين ساحرتين ، مبتكرتين
قليلاً لأنهما مفروقتان بجاء شفاف ، ولقد كانت
تحاول حيناً كتم الفزع الذي أصابها وإخفائه .
ماذا يراد منها ؟ أية أسئلة ستلقى عليها ؟ إن هذا الرجل
الجالس وراء المنضدة ، تبدو عليه المبوسة والصرامة
والحزم
- قال القاضي موضحاً بعد فترة صمت استطاع أن
يسمع فيها ضربات قلب المرأة السكينة المرتعشة :
سيدتي : هل تعلمين أن زوجك منهم يقتل
حبيبك ؟
- فاعترضت المرأة مستميدة شجاعاً وقالت :
— ليس هذا صحيحاً ؟
— ماذا تقولين إذن ؟
— لو أراد قتلنا لنقل ذلك حينها بخرجت
من داره . إنه لا يفكر في الإساءة إلينا ، إنه طيب
القلب جداً
- ولكن طيبة القلب لها حدود توقف عندها
— هذا في غيره ، أما هو فلا . إنه لم يضربني
لما رأى سلوكي . لقد تألم مثلنا ، وتركني أعاود رؤية
المستيرة
- لماذا خدمته ؟
قامت بحركة غامضة منها : هل أعلم ؟
— كيف أخراك هذا للدعو فرناند ؟
— آه سيدى ، إنه لم يضربني
— أأنت التي قدمت نفسك إليه ؟
— ولكننى ياسيدى لست امرأة فاسدة ، لقد
كنت داعماً حسنة السيرة ، ولم أنهم قبل زواجى
بشيء
- هل كنت تحبين زوجك ؟
— بلا وب ، كنت أحبه
ثم أردف القاضي قائلاً بصوت خافت :
— والرجل الآخر ، هل كنت تحبينه أيضاً ؟
فتنهبت إذ ذاك وقالت :
— كنت أحبه حتى العبادة
— فأنت ترين جيداً أنه أخراك
— كلا ياسيدى القاضي ، كنا نعيش معاً .
أقسم لك أنه لم يكن لدى فكرة سيئة . لقد نظر كل
منا إلى الآخر في أحد الأيام . آه لا أدري كيف
أقول . لقد نظر كل منا للآخر ، كأننا لم نر أحداً
الآخر قبل ذلك اليوم . وتم منذ ذلك اليوم كل شيء .
لقد عرفنا جيداً أننا لن نستطيع المقاومة ، إنه عمل
سيء ، نحن نعرف ذلك ولكن الحب كان أقوى منا
— وما قد رأيت إلام قادكا ذلك
— لقد قادنا إلى الموت . إننى واثقة من أنه
يتألم من أجل ... من أجل زوجي ، كان يتألم أكثر
منى ، وكنت أأمل أن يزول ألمه على مر الزمن ،
والآن قد انتهى كل شيء
- كلا ياسيدتي ، لم ينته كل شيء ، باستطاعتك

- الآن تدارك خطئك والتكفير من ذنبك
فرغت رأسها المنخفض منتظرة ما يحدث
- نعم ، إنك أم
— جنيف
- يجدر بك أن تفكرى في ابنتك وزوجك
أيضاً ، لماذا لا تسلكين الطريق المؤدية إلى دارك ؟
- وتأمل للكاتب في هذه اللحظة ، وجه القاضي
بدهشة منتظراً خاتمة هذه الرواية . وكانت المرأة
صامته ذاهلة تنظر بينيها إلى الأفق البعيد ، وتفكر
في هذا الاقتراح الجديد الذى سمته ثم تمتمت قائلة :
- سيطردنى زوجى
— هل أنت واثقة من ذلك ؟ لقد قلت منذ
لحظة إنه طيب القلب جداً
- آه يا سيدى القاضي ، يفصل بيننا الميت
— إن زوجك لم يقف متفرجاً ، لقد ذرف
عليه الدمع منذ دقيقة لا أكثر
- كان يبكي عليه ؟
— هل تودين معرفة ذلك والتحقق منه ؟
- آه يا سيدى ، إننى لم أراه منذ اليوم ...
— منذ هجرك إياه ... إننى سأدعوه الآن
- كلا ، كلا ، لا أريد ، يفصل بيننا الميت
— إن الميت يقرب بينك وبين زوجك ، أوكد
لك . لقد نزل نفسه من أجله ، ومن أجل الألم الذى
سببه له
- ودعا القاضي التهم أو بالأحرى الشاهد . فوجد
بيير قارى نفسه فجأة وجهاً لوجه أمام زوجته ، ولم
يجرؤ أحد الزوجين على الكلام إذ كانا يتبادلان
- النظرات بخوف وخجل .
فاثبرى القاضي قائلاً :
- بيير قارى ، إن امرأتك قد ندمت . وإذا
طلبت منك المودة للحياة الزوجية السالفة ، بعد هذا
الحادث المفجع ، فهل تقبل ؟ وهل ترضى بأن
تسامحها وتمفو عنها ؟
- فأجاب المسكين :
- أسامحها ؟ إننى دائماً مسامح لها
— هل تأخذها معك ؟
— نعم ، إذا أرادت
- وأردف قائلاً مثلها :
- ولكن يفرق بيننا الميت
فقال القاضي موهماً :
- أجل ، إنه مات ليصلح بينكما ، ولم يمت
دون مقابل . لقد قلت لها قبل لحظة : فكرى فى الطفلة
التي ليس لها إلا الأب والأم
- فتقدم بيير قارى خطوة للأمام واقترب من
امرأته وقال لها :
- هلى مى
ثم التفت نحو القاضي قائلاً :
- أأست متهما ؟
— كلا يا صاحبي ، أنت حر
- ولما خرج الرجل والمرأة ، يحسك كل منهما
يد الآخر ، التفت مسيو هير نحو كاتبه قائلاً :
- لقد اشتغلنا جيداً فى هذا الصباح ، هات
العمل التالى ...
- « دمشق »
تأليف الطنطاوى

مستقبل في الصورة التي تلاعن
ولقد تمودت أن أقضى أيام
عطلة الصيف في ضربة خالي وهي
ضربة وضع فوق بابها الخارجى
رض بذلك على أنها ليست من
الزراع العادية ولكنها منحلة
كيلي التي تنتج ألطف أنواع
المسل في العالم

وفي هذه المزرعة كان يرى الإنسان في أية ساعة
من ساعات اليوم خالي « بات » منهمكا في العمل
وسط صفوف عديدة من خلايا النحل وعلى حياء معالم
الحاسة والذقة التي ترى مادة على وجوه هؤلاء الذين
يجوبون أعمالهم . فهو يعيش بين عمله ويدرس طيابه
وحركاته ويرس أشد الزهور جاذبية له . فكان من
الطبيعي أن يسر خالي ويفرح كلما رأى مني اهتماما
بمسله ورغبة فيه ، ولقد كان يقول لي حينئذ :
— ليس هناك أولدى من حمل ألطف ولا أسح
من المسل في مملكة النحل ، فأذا أردت أن تتقني
خطواتي فاني أخصك في وصيتي بهذه الزرعة فانه
ليسمدني أن أعلم أن نحلي سيصبح من يمدى ودية
بين يدي من يقدره ومحبه كأبيه أما
ولقد كان خالي يقبب هذا الحديث بتلميح كل
ما يصره من أسر هذه الخلوقات العنيرة كثيرة
الحركة شديدة العنتين ، وكان يصرنى بالوسائل التي
أصرف بها العمل في الأسواق بأكر ربح مستطاع ،
ولقد قدم لي من المؤلفات كل ما كتب في موضوع
النحل ، وكان أنفس ما أمداني في أحد أعياد الميلاد
كتاب « حياة النحل » مؤلفه « مارتريك »
أما « بارني » فكان شديد الاستغفاف بمطامير
(٤)

اكان عجبا خبيرا

(قصة تحت جائزة ماني جنيه) عن الانجليزية
بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد أحبها حب اليأس ، وكان
في مقدوره أن يفوز بها لو أنه قال
الحقيقة : حقيقة أسر الرجل الذي اختارته
زوجا لها »

كنت و « سالي » و « بارني » رفاق طفولة
وسبا ، نمش في بلدة صغيرة من بلدان التمدين في شمال
انجلترا ، يحتوي بيوتنا شارع واحد ، ونسب جماعة
في الغلاء المغرب وراء بيت « بارني » ونذهب معا
إلى المدرسة . فلما بلغنا سن المراهقة لم يكن أحدا
يفترق من صاحبيه

وكان « بارني » المخاطر بطبيته ينتظر اليوم
الذي يستطيع فيه أن يقتني خطوات أبيه فيعمل مثله
في المناجم ، وكأنما بين طبيعته وبين عناصر الخطر
جاذبية لا تنقطع . أما أنا فكان أسرى على خلاف
ذلك ، أشعر دائما بجمل شديد إلى ضوء الشمس
فإلى الفضاء الفسيح ، يكفي مجرد التفكير في المال
دأخل للكهوف المظلمة النائرة في جوف الأرض
لأن يمت الرحبة إلى أعماق نفسي

فكان من المقطوع به أن حياة العمل في مناجم
النفط ليست هي الحياة التي أصلاح لها ، وكان على
خالي « بارني » أنى أذى الأعزب أن يشكل

الهم ساخناً ، فلا عجب إذا نشأت أنا وإبرني على حب رفيقة طفولتنا الصغيرة متنافسين ، في مودة ، على مصاحبتها المسارة

ولم يكن في نيتي قط أن أقضى أى وقت طال أم قصر ، في تجربة العمل بالناجم ، فلما مات والدى على أثر بلوغى سن الرشد طلب إلى خالى « بات » أن أحبه إلى مزدرجه ، ولكنى اعتذرت من عدم إجابة طلبه بأنى أود أن أقضى فترة قصيرة في تجربة العمل في الناجم قبل أن أغادر موطنى ، فلمحت في عين خالى التفادة نظيرة الذى فهم ما وراء هذا الاعتذار ، وقد قال :

— إنك لا تريد تجربة العمل في الناجم يا بى ولكنك تريد تجربة الوسيلة التى بها تفوز بقلب « سالى »

ثم استأنف حديثه في بشاشة ولطف فقال :

— حسن يا بى ، إنها فتاة جميلة تستحق التعب ولكن لك فيها منافساً وإبرني فتى لطيف وله طريق ناجحة في كسب قلوب الفتيات

وعلى أثر ذلك اتفقت مع والدة « سالى » على السكن في بيتها وذهبت للعمل في الناجم المظلمة ، ولكن الأحلام البراقة التى تفرق قلبى أنستى ظلمة تلك المناور فلم أبال بها . فلما رآنى « بارنى » هناك لأول مرة نظر إلى نظرة غريبة وقال :

— لقد ظننت أنك قد عدت عزمك على أن تركز مستقبلك حول خلايا النحل ؟

فرددت عليه :

— وهل يخالف القانون أن يثير الإنسان رأيه ؟

فقال وعلى فيه ابتسامة خائبة :

وكان يقول لى في كثير من الازدراء والتحقير :

— ويك يا « ويل » ليس هذا من عمل الرجال ، فعلا احتذيت حذوى لتصبح رجلاً قوى البنية متين العضل ، فقد اعترمت أن أشتغل متى كبرت في الناجم فلا تلبث عضلاتى أن تصبح مثل عضلات دينيس شلتون ، على أنى أستطيع الآن أن أصرع أى ولد في هذا الشارع ! فتعال أرك قوة ضرباتى وكان بارنى يقبض هذه الكلمات بالتقدم نحوى قابضاً يده مهدداً ، فأترجع إلى الوراء لأننى أكره القتال والشغب ، وكانت « سالى » هى حاميته الحصص ، فعلى الرغم من إعجابها كالطفلة الصغيرة بتعشر « بارنى » كانت تقف بينى وبينه يجمعهما الصغير وشعرها الأسود التموج وعينها الزرقاوين فتحول دون اعتدائه وتصبح به وهي تضرب الأرض بقدمها :

— دج . « ويل » لا تتعرض له ، واعلم أنى لا أريد أن تكون مثل « دينيس شلتون » فكل إنسان يعرف أنه ليس إلا عريداً مشابهاً

فكان « بارنى » ينجل من كلماتها ويستند برأه لم يقصد إلى أكثر من المازحة على صورة ما

على هذا نشأنا منذ عهد الطفولة حتى إذا بلغ بنا الزمن نهاية الحلقة الثانية أصبح « بارنى » فتى طويل القامة عريض الأكثاف أسود الشعر أسمر الجلد خيبت النظرات مستهتراً بالفتيات . أما أنا فكنت ترابى الشعر يحيف الجسم خجولاً متحفظاً شديد الميل إلى حياة الريف الهادئة مبصفاً حياة المدن الساحبة

ونعت « سالى » شابة ناهداً وكانت أجمل فتاة يبيض بجها قلب الرجل ويمتد دوحها في رأسه

في النجم أحداً إلى جانب الآخر ، فإذا انهبنا من عمل اليوم الشاق عدنا إلى دارنا مترافقين ، ولكننا لم نكن نشير قط بكلمة إلى الفتاة التي أحببناها كالنا حياً مبرحاً . ولقد كنت أعلم من أمر « بارني » أنه لن يتردد في مقابلة أي إنسان يسمى بأهون كلمات الاساءة ، وأنا من ناحيتي كنت أضع « بارني » من نفسي موضع الأخ الشقيق ، ولكننا في طبيعتنا كنا غنطين اختلاف النهار والليل

كان « بارني » مغرمًا بالحياة المرحية ولم يكن ليمتنع أن يشرب خمرًا من حين إلى حين ، وكانت كثيرة تلك الليالي التي قضاه في حانة « الأسد الأحمر » أبهج حانات المقاطعة

تمود « بارني » الاكثار من زيارة حانة « الأسد الأحمر » ولم تكن هذه الزيارات لجرد إطفاء شهوة من الخمر ولكنه كان يمتع نفسه بقضاء بعض الوقت في محبة « تس » فتاة الحانة ذهبية الشعر ، ولكنه بعد أن بدأ يتودد إلى « سالي » هجر « تس » وحانة الأسد الأحمر ، وقد أكبرت منه هذا التصرف الحكيم . فلقد عرفت أن جميع الرجال على التتريب قد سلكوا الطريق اللوح وتكاسا ، ولكن كان جيلًا منه أنه الآن سار في الطريق المستقيمة الضيقة

على أنني لم أثبت أن تلفيت الصدمة التي بددت كل أحلامي وضمتت جميع آمالي . ففي صباح أحد أيام الأحد لم أكد أعود مع « سالي » إلى دارها بعد أداء الصلاة الأولى وأفت معها برهة على منبة الباب نستنشق النسيم اللطيف حتى مر بنا « بارني » في طريقه إلى الكنيسة لأداء الصلاة الثانية ، فلوح لنا بكفه في الهواء واستمر في سيره ، فلما تلفت إلى

— إنك لم تنبر رأيك يا « ويل » بالحقيقة أنك وجدت قليلًا من السسل هنا فسانته متعديًا :

— وإذا كنت قد وجدت فإنا في هذا ؟

— لقدق بارني في عيني وابتسم ثم قال :

— اسمع يا « ويل » لقد كنا أنت وأنا دائماً صديقين غلصين ، وأنا أود أن تستمر هذه الصداقة بيننا ، ولكن يجب أن تنفام قال أعرف أنك تحب « سالي » ، فليكن ، ولكنني أنا أيضاً أحبها ، وسأبذل كل مايسمه جهدي وقوتي في سبيل الفوز بها ، ولن أنتهي عنها إشاراً لك أو لأي رجل آخر على نفسي

فقلت وقد مدت يدي فتناولها بارني مصاحفاً :

— وهذا هو شأني أنا أيضاً

فقال بارني :

— أرجو أن يفوز بها خير الرجلين كما أرجو ألا يقسو شعور أحداً على صاحبه

كانت حياتنا بعد ذلك معركة بين « بارني » وبين إن تكن قاسية في مظهرها فقد كانت سليمة الطوية في جوهرها . على أن موقف السكينة « سالي » بيننا قد أصبح موقفاً غاية في الدقة ، فقد كان ما في نفسها من الود لسكينا متعادلا ، وكانت تبفض أن ترد لأحداً طلباً إذا هو دماها للخروج معه

ووقف رافقنا في النجم على طبيعة ما بيننا من تنافس ، وسمعت أن بعضهم قد ترامن على أينا يفوز بالفتاة

وعلى الرغم مما كان بين « بارني » وبينني من تنافس في الترامن بقيت روابط الصداقة بيننا قوية لا يؤثر فيها مؤثر من حقد أو ضئنة . كنا نعمل

وأخرى يسلك حلقه ليقول شيئاً ولكنه كان يمد التفكير بفضل السموت فلا يخرج الكلمات من بين شفتيه . ولقد كنت أنا أول من فض هذا السموت فقلت متصمماً الانسراح :

— أظني يا « بارني » سأغادر هذا المنجم بعد قليل فلم يبق لي هنا ما أحرص عليه
فقال صاحبي في صوت أجش :
— إني لأسف لذلك يا « ويل » والذي أرجوه ألا بقسو شمورك نحوى
فضحكت ضحكة مقتضبة وقلت :

— لك أن تتق أن شموذي نحوك لن ينجو ،
فان « سالي » يحبك وهذا هو كل ما في الأمر ،
غير الزجلين هو الذي فاز يا « بارني » ولأن
أنا أول من بهتك

— أشكر لك من أعماق قلبي هذا الشموذ
الكرم فأت خير صديق عرفته وإنه ليؤلمني أن ينتهي
الأمر إلى هذه النتيجة

— لتنسى ذلك فقل الخير فيها حدث
اتفق الخطيبان على أن يقدما الزواج في الشهر
الليل ، ووعدت بعد شيء من التردد أن أتني
بالهبة إلى أن تنتهي حفلة الزفاف . على أنني بعد
أن ضاعت جميع آمالي قد أصبحت رافياً في أن أترك
المنجم في أسرع ما أستطيع من الوقت . وكان خالي
« بات » قد كتب إلى يقول إن محنته تميز في طريق
الانحدار وإنه أشد ما يكون حاجة إلى المساعدة
المساعدة . ولكن « سالي » ألحت عليّ في أن أتني
إلى يوم زواجها ، فلم يسمني إلا بقول رجاؤها . ولكن
اعتبطت في السنوات التي أعقبت تلك الأيام بقبولي
ذلك الرجاء

سألي رأيت عينيها تلبسان قوامه الطويل وهما تشمان
ببريق لطيف وعلى فيها إقبامة ودبة . فأخسست
كان نفسي قد احتبس في حلقى وكان قلبي قد تحول
صخرأً ينقل صدرى
وقلت في كثير من التلطف :

— إذن هذه هي الحقيقة يا « سالي » ؟
فنظرت إلى جافة وقد ارتسمت الشفقة في أعماق
عينيها الزرقاوين وهي تهز رأسها وتقول :
— يؤلمني يا « ويل » أن أقول أن ليس في العالم
إنسان آخر أوده وأحترمه كما أودك وأحترمك ،
ولكن ...

فأتممت عبارتها بقولي :
— ولكنك تسمين بارني
فهزت رأسها مرة أخرى وقالت في صوت
لا يكاد يسمع :

— أظن أنني كنت دائماً أحب « بارني »
فتناوت يدها وضغطها بين يدي وقلت :
— لقد فهمت يا « سالي » فهو رجل لطيف
وسيكون لك زوجاً صالحاً ، وإنني لأنمي لكاً جيداً
كل ما في الدنيا من سعادة
فقلت :

— شكرآ لك يا « ويل » وإنني ...
ولكنها لم تستطع أن تم جلها فضضعت يدي
وجرت داخلة إلى البيت ؛ ولم ألبث أنبت أسرعت
أنا الآخر في المدخول ولكني شعرت بأن ساق قد
أصابها من الثقل ما أصاب قلبي
وفي اليوم التالي بدأ التوتر بين (بارني) وبينى
في أثناء العمل ، ولم يكن لدى أحدنا الكثير مما يقضى
به إلى صاحبه ، ولو أن « بارني » كان ما بين فترة

وألقنها متدهورة على الأرض، وبدون أن أفوه بكلمة أخرى التفت إلى « بارني » الذي كان ينظر إلينا نظرة بلاء، فتأملت ساعده في شدة

وتخيرات الطرقات المظلمة وقدمه مسرعاً إلى البيت، وهناك أرقده في فراشه فهمم بضع كلمات جمعت بين الشكر والتبرم، ولم يلبث أن استغرق في النوم قبل أن أدخل عليه ووقفت لحظة أنظر إليه وقد اضطرب رأسي بالاضغالات المخططة

إذن هذا هو الرجل الذي سيترج من الفتاة التي أحبتها! أيمكن بمد كل هذا أن يسمدها؟ وماذا تكون الحال إذا تكررت مثل هذا الحادث بعد زواجهما؟ ومن الجائز جداً أن يتكرر، أوجب أن تقف « سالي » على ما حدث؟ وإذا هرفت، ألا تنسخ الخطبة لشعورها بما في عمل خطبتها من إهانة لها وتخدير؟

دار رأسي بهذه الأسئلة وبكثير غيرها، فأغمضت عيني وتختل « سالي » فيما تنتهي إليه حالها في السنوات المقبلة، وهي تمشي « بارني » وترقبه إذ يعود كل ليلة إلى البيت سكران، تتألم لعلها أن هناك نساء غيرها يشغلن مكاناً من قلبه؛ ومن المحتمل أن تكون حياتهما إذ ذاك حياة قبر مدقع

لم تكن الصورة التي تخيلها صورة مبهجة ففتحت عيني ونظرت إلى الرجل النائم، وساءلت نفسي: أوجب أن أخبر « سالي » بما رأيت؟ ألا يكون في ذلك منجتها من آلام المستقبل؟

وسمعت « بارني » يهمهم في نومه: « يا لك من صديق طيب القلب يا ويل . . . خلعت هذه الكلمات عقدة لساني وقضت على موقف التردد . . . فقلت وأنا أشعر بالتخاذل مكرراً عبارة:

تركت حملي في النجم قبل يوم الزفاف بأسبوع واحد . . . وذميت « سالي » إلى أرشبة أو كلاً لتزود حملي ولتبتاع جهاز العرس، ومضى يومان لم أر فيهما « بارني »

وبعد يوم قضيت في إعداد متاعى للسفر اعترمت أن أريض بأشياء فقادني قدماى من غير قصد إلى الطريق التي تمر مباشرة وراء حانة الأسد الأحمر . وحمل الجو إلى أذني ضجة نزلاء الحانة ومخماهم، ثم فتح الباب الخلفي وخرجت منه امرأة تسند رجلاً يسير إلى جانبها مترنماً غلغ . فوقفت فجأة وقد تولاني الدهول والغضب لأن الرجل لم يكن غير « بارني » وكانت رفيقته « تس » فتاة الحانة الطروب . ووقع نظري عليهما تجذب وجهه إلى وجهها ثم التفت شفاعهما في قبة طويلة ملتبية

كارت نفسي لهذا المشهد فطوت نحوهما وأنا لا أكاد أدرك ما أفضل ودفعت المرأة جانباً في كثير من المشوشة

فقبض « بارني » كفه كما لو كان ممزماً أن يضربني وقال في لفظ متناقل:

— ماذا تمنى بمملك هذا؟

فأجبتني في لهجة الأسر:

— سه وهيا إلى البيت قبل أن يراك أحد ويخبر « سالي »

فلوت « تس » أصابها في شكل وقع وهزنت يدها في وجهي وهي تقول:

— هذا « لسالي » أما أنت أيها الشاب فاهم بشؤونك الخاصة . وأما « بارني » فسيبقى مي

وهاجتنى حركة الفتاة فقسيت قانون اللياقة في معاملة النساء ولكنها لكنا أصابت فيها للدهون

النجم أوشك ما فيه من النجم أن يستنفد ، فكان من جراء ذلك أن دفن بعض عمال ذلك القسم أحياء ، وأن حيل بين البض الآخر وبين طريق الخلاص .

وكانت النسوة يكنين متوسلات إلى الرجال أن يتخذوا أقرارهن ، وكان الرجال قد شرعوا بالفعل : وفأفون من أنفسهم جماعات إلتقاء بإرشاد « بيل هاننج » أحد رؤساء العمال ، وكان الرجل يرفى أنا ويأرنى منذ كنا طفلين ، ومنه علمت أن صديقي بين التكوين وقال الرجل أن ليس هناك من يعرف ما أساب العمال فقد يكونون أحياء وقد لا يكونون ، وعلى كل حال يفرض أنهم أحياء هناك خطراً اختناقهم بالغاز فيجب أن نعمل مسرعين لانقاذهم .

ودون أن أنيس بنت شقة انضمت إلى إحدى الجماعات المتطوعة للاتقاذ وعملت معهم بأقصى ما في مقدورى من جهد ، وكنا جميعاً متجهين نعمل صامتين نسال الله ألا يذهب مجهودنا عبثاً .

قضينا في العمل ثلاثة أيام وثلاث ليال لم يكن يتقطع فيها العمل إلا لحظات تنامها غمراً ، وكنا كلما توغلنا في النجم ألقنا حمداً ومساند خشية حدوث انهيار جديد وكنا نعمل صامتين ، فلم يكن لأحد منا ما يقوله وقد حرف كل همته . وما أنسى هذه الساعات الأخيرة التي قضيتها في النجم مع هؤلاء الأبطال الصامتين الذين أفلتت أفواههم ونظمت جياهم بما ارتسم عليها من أمارات العزم والمجد الجبار .

وكان الانسان يشع ما بين فترة وأخرى أحد الرجال يصيح « هيلو » « هيلو » عسى أن تصل أصواتنا إلى هؤلاء الساكنين الذين انطبق عليهم

« نعم ، يالك من صديق طيب القلب يا ويل ... إنك لرفيق الشموذ يا ويل » فقد كنت أعلم أن ما بينى وبين يارنى من ولاء وصداقة سيقى سره بأمان في صدرى . وانصرفت بعد أن أحكمت عليه النقطاء .

وجدت « سالى » في البيت عند عودتى فلم أفد معها إلا ردياً رددت تحيتها وأخبرتها أن يارنى يغير إلا من تب للعمل الذى أزمه الرقاد مبكراً ، ثم صعدت إلى مسكنى حيث قضيت ليلة مشردة النوم لم أخاطب يارنى بعد تلك الليلة ، ففى اليوم التالى بينما كانت « سالى » ترفى ما اشترت من أرشية أوكلاندا استمداداً للرسم اخترقت سكون العاصح ولولة جدد لها قلوب كل أم وكل زوجة وكل حبيبة فى البلدة ، فقد كانت رتتها مبنية من وقوع كارثة فى النجم ، فقبضت « سالى » على ساعدى وقد هرب كل أثر للدم من وجهها فأصبح يشبه وجوه الأموات . وقالت فى جزع : « يارنى ... إني لأشعر بأن فاجحة قد أسابت يارنى » . وكأنما قد سمعت قدسائى فى الأرض فوقفت عثماً فيها بينى حتى شمعت يديها تدفان صدرى وقد أسابتها نوبة مصيبة فصرخت بى :

— لا تقف هكذا ناظراً إلى يا ويل ... إني لأشعر بأن مكروهاً قد نزل بي يارنى ... فضلاً تفضلت فعملت شيئاً ...

فاندفعت من البيت واندجبت فى الجموع التى كانت مسرعة فى طريق النجم .

وكان كل انسان يتساءل : ماذا حدث ؟ ولكن لم يكن أحد يدرى شيئاً ، حتى إذا وصلنا إلى النجم علمت أن انفجاراً حدث فسد الدخول إلى قسم من

حتى إذا انتهينا من توديعهم الوداع الأخير، شرعت
أعد عدتي لمناودة البلد قاصداً إلى مزرعة عمى .
فقد أصبحت بعد ذلك الحادث أشد رغبة في الاقتراب
من النجم، وقد يبدو غريباً أننى لم أشعر بشيء من
الآمل في الحصول على « سالى » بعد أن نزل القضاة
بخطيبها « بارنى » ولكن لا غرابة في ذلك فقد
عرفت من أخلاق « سالى » ما أقننى بأنها من
النوع الذى لا يجب غير مرة واحدة، فالوقت وحده
هو الذى يخفف من آلام قلبها، فما كان ليخطر لى
على بال أن تصير الأمور إلى ما سارت إليه عندما
ذهبت إليها لأودعها .

وجدتها جالسة بجوار النافذة تنظر إلى الفضاء
الذى كانت هى وبارنى وأنا تقضى فيه ساعات لهُو
ومرح نحدونا السعادة وذهب الأمانى، فلما رأيت
نظرت عند دخولى وقد ارتسمت على شفتيها
انقباضة قاترة .

فلما أدنيت أحد الكرسي إلى جانبها وجلست
عليه قالت متنبهة :

— أظنك جئت لتلقى إلى بكلمة الوداع ؟

أجبت :

— نعم قالى لأشعر أن ليس هناك من شيء

أستطيع أن أعمله الآن

فقلت في كثير من الرقة :

— إننى لأحسدك، وما أشد رغبتي في أن
أبتعد أما أيضاً عن هذا المكان . نعم أود لو أستطيع
الذهاب فلا أعود أبداً . إنك ذاهب لتميش حيث
النور والهواء وحرارة الشمس . أما أنا فسأبقى هنا
حيث لا يوجد غير الله كريات السوداء

وهنا غص صوتها فلم تستطع الضنى في عديتها

النجم فيقوى ذلك في نفوسهم الآمل في الحياة .
ولكن أسوأنا كانت تذهب هباء في جوف هذه
القبرة الخيفة .

وكان أشق شيء على نفسى أن أرى وجه
« سالى » الحزين وهى تسألنى كلما خرجت من
النجم عن نتيجة بحثنا، فكانت كلمات التشجيع
واللغزاء التى أرددها عليها لا تصادف منها غير أذنين
صاويين، وهى جالسة تشخص في الفضاء كالأخوذ
تتحرك شفتاها في صمت مبتهل إلى الله .

وأشرق صباح اليوم الرابع صافياً وضاه .
وكان اليوم الذى حصدنا قد زواج بارنى وسالى، ولكنى
كنت أعلم أن هذا الزواج لن يكون، فقد اقتربنا
من البقعة التى كان يشغل فيها هؤلاء للتساء حين
انفجار النجم، ولم يكن هناك أى أثر للحياة في تلك
البقعة المشتومة، فما شككتنا، وإن لم يصرح أحدنا
بما شعرنا به، في أن الموت قد حصدنا جميعاً .

وصلنا آخر الأمر إلى الرجال وكانوا سبعة عشر
وجدهم قد سحقوا سحقاً فقد أصابهم الضربة
القاضية قاسية عتيفة . فبالها من ساعات حول تلك
التى أخذنا ننقلهم فيها الواحد بعد الآخر إلى خارج
النجم، فكانت قلوبنا وأقدامنا تتناقل كلما اقتربنا
من مدخله . وبالقول اللحظة التى وقع نظرى فيها
على بارنى فتأملته في رقدته التى تركته عليها في آخر
ليلة رأيته فيها، وكأني أسمع كانه الأخيرة : « ياك
من صديق طيب القلب ياويل » . ما أفسى القدر
وما أفسى هذين الحبيبين اللذين أصابهما بهذه الضربة
القاتلة ! لقد كدت أختنق حزناً في ذلك الموقف
الرهيب ...

دفنا موتانا وأثنا عليهم صلاة جامعة في الكنيسة

كله متحصراً في الشفقة للشديدة والرغبة في المساعدة. وإذا كانت سالي من الطراز الذي لا يجب إلا مرة واحدة فأنا أيضاً من ذلك الطراز ، وعلى الرغم من كل ما حدث كنت أعبدُها . وهذا هو السبب في أنني عند ما كنت أزرع أرض الثرفة ذهباً وجبنة في صمت كانت فكرة واحدة مستولية على رأسي . لقد أبدت « سالي » رغبتها في أن تترك البلدة ، وإنه ليسرني أن أخذها معي بأي ثمن كان . إذن لقد وضع كل شيء وضوح ضوء النهار ، فركت إلى جانبها وأفضت بكل ما خطر لي ، قائلاً في لهجة الجدد والتحمس :

— اصنع لي يا « سالي » إنك لن تستطعي البقاء هنا لمواجهة مخزسات الناس فلتقبل مساعدتي — وكيف ؟

— تروني مني

فتسقت « سالي » وابتمدت عني وقد بدت عليها اللذة ولكنني اندفعت أقول في غير ترو :

— إنني لأعلم ما لا بد أن تشرعي به حيال هذا المرض . ولكن ألا ترين يا عزيزتي أن هذه هي الوسيلة الوحيدة ، فأنت زوجة لي تستطيعين أن تصحبيني إلى المزرعة دون أن يكون هنا ما يدعو إلى علم أحد بأمر الطفل . ألا ترين أن هذا هو الشيء الوحيد المقول الذي يمكن عمله ؟ وما أشك في أنه لو تيسر أن يطمئني بداري بهذا الأمر لاستطاع أن يدرك مناه

— أتقدم على هذه التضحية من أجل ، حالاً بانتي لن أستطيع أن أقدم لك شيئاً مقابلاً لها ، حالاً كذلك أن لا أمل في شيء على الإطلاق ؟ ثم أنت ترغب فوق ذلك في أن تطلق اسمك على ابن رجل غيرك ؟

وانهمرت الدموع مطلقاً من عينيها ، فطوقت كتفها بإصبعي مواسياً وقالت :

— تشجعي يا « سالي » وإنني لأعلم مبلغ ألمك من خسارتك الفادحة ولكن اجتهدي في أن تتمزي فنتظرت إلى بيمينين مثمورتين بالدموع وقالت في نان :

— أأطلبك يا « ويل » على سر لا تمله ؟ إنني لأعلم أنك سدين وفي غلص وأن حركك على لن يكون قاسياً . وإنني لشديدة الحيرة والاضطراب فنتظرت إليها في دهشة ، أسائل نفسي : ترى إلى أية غاية ترى ؟

ومضت في حديثها تقول :

— إن حزني على « بارني » ليس إلا نصف السبب فيما أشعر به من حيرة واضطراب ، فيمد سبعة أشهر سأصبح أما . وهذا هو السبب الذي جعلني وأنا وبارني على أن نستعمل يوم زفافنا فتحده . بعد أيام قلائل من إعلان خطبتنا . أما الآن ... فاني لا أجد حتى الاسم الذي أسمي به طفلي . أواه يا « ويل » ... ماذا عماني أقفل ؟

إذا قلت إنني شمرت عند سماع كلمات « سالي » كأنني قد صممت ، كنت متلففاً في التفسير . فما كنت لأعلم بأن أسمع ذلك الذي سمعت ، ولم يكن في مقدوري أن أسدقه لأول وهلة :

على أنني أجهدت نفسي في امتلاك حواطقي ، فقد كانت الفكرة التي طقت على غيرها في رأسي هي أن « سالي » واقعة في حرج شديد وأنها أشد ما تكون حاجة إلى أن أعينها في شدتها . ومن القريب أنني في تلك اللحظة لم أشعر في قلبي بشيء من المشينة أو الحقد على « بارني » ، فقد كان شعوري

فأجبت :

— ليس فيها أفضل تضعية على الإطلاق ، فانتا سنشترك في إنشاء بيت بأوى كلامنا ، وما أطلب شيئاً غير ذلك ، فإذا شمرت يوماً ما بأن في قلبك شيئاً من اللطف على نساشر عندئذ بأنني قد كوفت بمائة ضعف لما فعلت

فلم تستطع « سالي » أن تتكلم وأدارت وجهها عني ولكنني أدركت أنني قد نجحت فيما رميت إليه وشمرت أنني في هذه اللحظة المرحجة كنت أسعد مني في أى وقت مضى من حياتي

وبعد أسابيع قليلة وصلت و « سالي » إلى مزرعة خالي بات الذي امتلأ قلبه فرحاً باستطعائي محروسى موى ، وقد بذل منذ اللحظة الأولى كل ما في جهده ليشرعها بأنني في بيتها ، وأخيراً عندما أصبحت حالة الحمل أكثر وضوحاً عني في أسلوب رقيق بأن يخفف عنها عبء العمل في البيت . وكان إذا لاحظ مرة أن العلاقات بيني وبين زوجي غير طبيعية تنجب في حكمة أن يقول شيئاً بهم مما لاحظته وإني لوائق أن « سالي » لم تندم قط على قبولها الزواج مني ، فقد أحبت الزرعة ، وكان يبدو عليها بعض الأحيان أنها تشمر بكثير من المصادقة ، ولو أنها أصبحت نادرة الانبسام . ولقد كان شائعاً على نفسي أن أكون قريباً منها محباً لها ومع ذلك لا أجرؤ أبداً على أن أسهرها . ولكنني صبرت مؤملاً ألا يمد جداً اليوم الذي تقبل على فيه عن رغبة ورضا

وقلت في نفسي : إن الحال لا بد أن تتغير بعد أن تضع جنينها ، وستعود حياتها سيرتها الطبيعية يوم يصبح لها ولد يحبه وتسهر على العناية به ، فستعود عندئذ تدريجاً أن تقبل على « أنا أيضاً ولما شعرنا أنا وخالي بأن حمل البيت قد أصبح

كثيراً على « سالي » ، بعد أن تقدمت حالها ، استأجرنا فتاة من أهل القرية لتساعد في الطبخ وفي الأعمال البيتية الأخرى ، وقد برهنت هذه الفتاة واسمها مارجري جليسون أنها تساوى ثقلاًها ذهباً ، وكانت فتاة وضاعة الجبين جذابة ، محبة للعمل أنيسة بيت وجودها في البيت روح البهجة والانتشراح وقد توطدت روابط الصداقة بينها وبين سالي

وفي ذات صباح وجدت مارجري في الطبخ يبدو عليها أثر الحيرة والاضطراب ، فلما سألتها عن سبب ما بها أجبت :

إن الذي يشغلني هو أمر امرأتك ، فانه يبدو عليها أنها في حال غير طبيعية . إنها لا تتكلم أبداً عن الطفل المنتظر . فهي تجلس شاخصة إلى الفضاء كأنها تحلم ، وقد قالت لي أمس : « مارجري ، أتيقن هنا بعد ذهاني لتسنى بأمر ويل ؟ إنني لأرجو منك أن تفعل ذلك »

فقلت في خشوة :

— كلام فارغ ، إنها غير مألوفة نفسها ، فهذا أول طفل لها ، وكل ما هناك أنها خائفة وعلى الرغم من كلامي هذا شمرت بشيء من الفلق والاضطراب

ولم الطفل في ليلة قارسة البرد من ليالي الشتاء وإذا أحست « سالي » بالألام الأولى ساعدتها مارجري في الإيواء إلى فراشها ومضيت أدهو الطبيب وكانت ليلة هول وجزع . فبذ اللحظة التي وصل فيها الطبيب أحسست بتوتر غير طبيعي يملأ جو البيت ، فقد كانت مارجري تروح ويحى صفراء مقلقة الشفتين ، بينما كان الطبيب يؤدي مهمته وقد ارتسم الفلق على جبينه وانحأ

وبعد فترة كأنها الأبد نزل الطبيب إلى غرفة

واسم « بارنى » على شفثيا

وقفت كالحالم متحنى الرأس عند ما غيوا نمش
« سالى » فى القبر غير مستطيع أن أسدق أنها
قد ذهبت حقاً . على أن الحقيقة لم تلبث أن صدمتني
بقوتها المربة عندما وصلت البيت عادداً من جنازتها ،
فقد كنت جالساً وحدى فى الترفة الأمامية فارغاً
فى الأفكار الحزينة إذ أيقظنى من غيوبةى بكاء
ضيف ... الطفل ... وكان الحزن قد أنشأ وجوده
فى هذا العالم ، فشيت متشداً ونظرت إلى ذلك المخلوق
الأحمر الوجه الذى تركته أمه فى رعايتى . إنه ابن
بارنى كيف أستطيع أن أشرح أو أفسد الانفعال
الذى تمكك نفسى حين نظرت إلى الوليد الذى يبكى ؟
لقد تجملت البغضاء كلها والحزن المكين فى نفسى
تجسمت كرهاً مطلقاً للعتان نحو ذلك الطفل . لقد
حطى أبوه بالقناة التى أحببتها وخانها ، ثم هى قد
دفنت حياتها نمداً لاخراج ابنه إلى عالم الوجود

وبكى الطفل مرة أخرى ، فأعجبت عليه وقلت
فى خشوة : « أنت ، إنها من أجلك ماتت ، وما ينتظر
منى مقابل ذلك إلا أن أقتلك ! ها ! ها ! ها ! يا لها من
مهزلة ! حقاً إلى أبشرك ، أياها الطفل الباكى
الحقير ! » ولم تلبث ثورة الغضب والحزن التى أقصدتني
كل حامل من عوامل العقل أن أألتنى رجلاً مجنوناً
تملاً قلبه شهوة الجرمية . سأنتقم من القدر بقتل
المخلوق البرى الذى كان السبب فى كل هذا المصائب
وأتمجت يداى فى بطء إلى رأس الطفل وأطبقت
أصابعى على عنقه ، وبدأت أضغط ذلك العنق الصغير
متأنياً وأنا أضحك ضحكا وحشياً كلما ازدادت عينا
الضحية إجحاطاً .. ابن بارنى ! أظن أنه يستطيع أن
يتفكرنى ؟ سأريه ! أن « ويل للصديق الطيب القلب »
لن يكون الأضحوكة مرة أخرى

للطعام حيث كنت جالساً أنا وخالى بات منتظرين
فلما رأته سأله فى حال عصبية :

— أهنأك شىء غير سارى دكتور ؟

فمز رأسه كثيراً وقال :

— أخشى أن يكون ذلك يا « ويل » إننا
نعمل كل شىء ممكن ، ولكن أصرأ أنك تسلك سلوكاً
غربياً ، فلاهى مكترثة بأن تمشى أو تموت ولاهى
تساعدنا فى أداء مهمتنا بأية صورة من صور المساعدة
وهى أحياناً تهذى وتكرر الحفان باسم بارنى

ثم جاءت مارجرى فدعت الطبيب الذى خرج
وتركنى وخالى ينظر أحدنا إلى الآخر فى صمت
مشبع بروح الجزع . ولم تلبث أن سمعنا بكاء رقيقاً
ينبى من قنوم مخلوق جديد إلى عالم الكفاح الذى
تميش فيه

وفى مطلع النهار كنت ناعساً فوق كرسي
إذ أيقظتنى نقرة خفيفة على كتفى فرأيت مارجرى
واقفة أمامى تقول هامسة :

— يريد الطبيب أن تسرع فى الذهاب إليه

فاندفت سامداً السلم فى سكوت وهناك لقيت

الطبيب على باب غرفة سالى ، وقال بمحذونى :

— اجتهد فى أن تكون هادئاً متجهداً

فحبست أول الأمر أن سالى ناعمة ، ولكننى
رأيت جنبها بهتان ثم يفتحان ، ثم التفتت
— وحلى لها ابتسامة رقيقة — إلى المخلوق الصغير
الذى ضمته فى ساعدها ملفوقاً ، وبدأت تتكلم
فأعجبت لأسمع صوتها الخافت فقالت :

— ويل ... عزيزى ويل ... إننى تارة طفلى

فى رعايتك ، وسيجبى اليوم الذى يكبر فيه ويسمى

ليرد إليك جزاء شفثتك العظيمة ، فليبارك الله

عليكاً وليحفظكاً جميعاً

وانطبق جفناها فى بطء ، وبسد ذاتى قلبية ماتت

قائه لم يكن سهلاً. فقد كانت مارجري تبغده، وقسم خالي وقته بين فقير النحل وبين الطفل الذي سمي باسمه. وإذا لاحظنا أن سلوكي حيلال « ابني » كان غريباً قائمهما لم يكونا يحدنا فيهما بما لاحظناه. وبعضى الوقت بدأت ألفت وجود الطفل في البيت كما ألفت وجود عصفور حزين من عصافير الكنازرا، مخلوق بطنه الانسان ويأويه ويضئ به، ولكني لم أشعر في قلبي نحوه بأي أثر لماظفة الحب

ولما أتم الطفل « بات » السنة الأولى من عمره أصيب خالي بصدمة أثمرتته الغفراش ستة أشهر، كنت خلالها شديد الإعجاب بما جرى لما أبدت من صبر وعطف في أداء واجباتها، إذ كانت تعرض الرجل المريض وتعي بالطفل الذي كثرت حركته حريصة كل الحرص على نظافة كل شيء في البيت، مؤدية في الوقت نفسه عمل الطاهي والخائض أيضاً. وكنت من جانبي أحمل كل ما أستطيع لمساعدتها، وقد علمتني أن أزداد كل يوم احتراماً لها وإعجاباً بها. لقد كانت الأم والطاهية ومديرة البيت والمرضة، فلو شاءت لتفادلت أضعاف الأجر الضئيل الذي كنا نقلمه لها، ومع ذلك لم تكن لتشكو من شيء وطراً على في الوقت نفسه شيء من التثبير، فإذا كنت أمضي في أداء عملي في هدوء متناير لما كنت عليه من قبل، فلم يكن السبب في ذلك الحزن الذي كن في نفسي، ولكن انحصار تفكيرى كله في عملي. فقد شفى الزمن جرح نفسي، ولم تمد « سالي » غير ذكري محبوبة تسكن أحماق قلبي. على أنني كنت أشعر دائماً أن شبح « بارنى » يلزمني دائماً في شخص ابنه الذي صار كلما تقدمت به الأيام يقترب شبهه من شبه أبيه، فكانت له تقاسيمه وعيناه السوداوان الرقستان وشعره الجمد ولم أحرف قط إذا كان خالي قد أدرك الحقيقة

أيقظني من هذه الثورة الجنونية وقع خطوة على عتبة الباب وخلعت أصابعي من عنق الطفل محملاً إجمال المجرمين عندما دخلت مارجري الحجر، وإذا لم تلاحظ شيئاً غير مادي ذهبت إلى فراش الطفل وحملته على ساعدها. وقالت:

— إنه جائع... مسكين هذا الطفل اليتيم من أمه، أخشى أن نكون قد أهملناه!

فلم أجب على قولها بشيء، وقد أخذت أسترده قواى العقلية، وبدأت أشعر بالمرق البارد يتدفق من جميع مسام جسمى. واستولى على إذ ذاك الشعور بالشكر وعرفان الجليل لما جرى فقد أنقذتني من أن أصبح قاتلاً مخلوق ضئيف برى. يجب أن أستجمع قواى! فترنحت خارجاً من الحجره أشعر بالهواء البارد يصدم جبتي

فلما خلوت إلى نفسي في حجرتى ذلك المساء لعنت ما بدأ من جماعتي، فإذا كان الطفل بالموم على موت « سالى » ولكنني أنا الموم

لقد قال الطبيب إنها ماتت لأنها لم تكن راغبة في الحياة، وأنا وحيدى الذي أعرف السبب في ذلك. كنت أعلم أن قلبها قد دفن مع بارنى. لقد كانت تعتقد أنه معها المصادق الأمين، ولم يكن هناك من يعلم غير ذلك سوى. وكان في مقدورى أن أقضى على حبهاء له يوضع كلات. فلماذا كنت ما علمته من أسر بارنى والفتاة « تيس »؟ لم يكن لهذا للتكتم من سبب غير خوف من أن أجرحها وأن أسود نفسي في عينها إنساناً دينياً. لقد أطبقت شفتى وتركت الفتاة لتلى أحببتها تصعب عباً خائفاً إلى العالم الآخر. كانت هذه هى الأفكار التى مررت حياى بضمة أشهر بعد موت « سالى »

وراجية لطلب خالى بات سمينا الطفل « باتريك » وعلى الرغم من أنني لم أتمم بأمر ذلك المخلوق الضئير

حدث بنا كرتى إلى الثمانية عشر شهراً الماضية التي
عنيت فيها مارجرى بترية الطفل وبمرض خالى .
فساءت نفسى : ترأها كانت تفعل كل ذلك مقابل
الأجر الضئيل الذى كانت تتقاضاه منا ؟ أم كانت
تشمى أيضاً بأنها قد أصبحت أحد العناصر
الأسيلة فى ذلك البيت ؟

أيمكن أن تكون قد شممت بشيء من العطف
على رب البيت الفاتر الشعور للصامت الذى كان يروح
ويجيب مشغولاً عن كل شيء غير مكتوث لأحد ؟
تذكرت بعض حركات صغيرة يمكن أن تدل على هذا
الذى افترضت ، وهنا شممت كأن شرارة ملتهبة قد
سرت فى مجموع كيانى ، فكان من الأمور السارة
أن أشرم بأننى موضع اهتمام لإنسان ما وما جرى على
وجهه أخضر ، فقد تموت أن أنظر إليها نظرة
الصدافة الحارة . ولم يكن هناك من يستطيع أن يعلل
الفراغ الذى تملأه فى يتي . إذن يجب ألا نتأدده
وقفت إلى جانب مارجرى وهى ترقد الطفل
مساء فى سريره ونظرت إليه وهو يرضع . وعلى
سحن فجأة طوقت مارجرى بساعدي وضممتها
إلى صدرى وقلت :

— إنك يا مارجرى لن تتركى غلوفين عاجزين
تحت رحمة الأقدار ؟ ألا ترين أننا أشد ما نكون
حاجة إليك ؟

فكانت وقد دهشت لحركة التودد التى بدت منى
على غير انتظار :

— ولكن ماذا عسانى أفعل ؟

قلت :

— اصغى إلى يا مارجرى ! إننى لا أنظر إلى امرأة
أخرى فى العالم نظرى إليك . وإنى لأعلم أن هذا
الامر مفاجئ ، ولكن أنتظنين أنك تمنين بأمرى

أم لم يدركها فيما يتصل بنسبة هذا التلام ، فقد كان
رجلاً ما كراً لا يتكلم كثيراً ولا يوح بما يعلم .
وقد مات بعد ستة أشهر من مرضه . وعدت يوماً
إلى البيت بعد موته بأسبوعين فوجدت مارجرى
تبكى . فسألها فى لهفة :

— ما الذى يبكيك يا مارجرى وأى سوء حدث ؟
فكانت متأللة :

— إن هناك دائماً أناساً متطفلين ينتهزون
الفرض للخص فى أمراض فيرم ، ولما كان خالك
على قيد الحياة يعيش ممناً لم يكن هناك ما يثير تغفل
أمنال هؤلاء للناس . أما اليوم وقد مات ، فقد
شرعوا يتحدثون فى أسرارنا ويقولون إنه من غير
لائق أن أميش مملك وأنا فتاة شابة تحت سقف واحد
وليس ممناً ثالث ، لهذا أرى من الحكمة أن أغادر
هذا البيت حتى أقطع السبيل على المتطفلين
فقلت سرانما :

— ولكن الطفل ! إن به حاجة لن يبنى
بأمره ، وأنت الأم الوحيدة التى تفتحت عيناه على
وجهها . إنك لا تستطيعين أن تتركينا يا مارجرى
وما نحن بقادرين على أن نميش بسيدن منك
فزفرت الفتاة وقالت وهى تسرع بالمدخول إلى
غرفتها :

— إنه ليكسر قلبى أن أفعل ذلك ، فقد كنت
عطوفاً على ، وأنا أحب « بات » الصغير كالأحبيب
ابنى الذى من لحنى ودى

شممت عند سماع هذه الكلمات بشيء من
الاحياء يستولى على نفسى ، فلم يخطر لى من قبل قط
أن مارجرى يمكن أن تتركنا ، فقد كنت أنظر
إليها منذ الساعة التى دخلت فيها بيتنا ، على
أنها تنصر من العناصر الأسيلة فيه ، وكأن ذلك
كان أسراً مسلماً به ، فلما سمعت كلماتها الأخيرة

نفسى به قد حملنى على أن أقسم فى الحال وأنا أهل
ابنى على ساعدى أننى مهما بلغ حبنى لهذا الطفل ما بلغ
فلن أميزه بمجمل أحرم منه « بات »
ولقد وفيت بهذا القسم فى أدق حدود الوفاء ،
وخصصت قسما من دخلى لتربيتها وتعليمها ، وكان
على كل منهما أن يؤدى واجباته المدرسية ، وإذا
لاحظت أن « فرانك » كان ميالا إلى الكسل ،
أمرت « بات » فى شدة الأيساعده فى أداء واجباته
عنه ، وكان الطفل ميالا بطبيعته الخيرة إلى إسداء
هذه المساعدة لأخيه ...

ولما شب الطفلان أحزننى أني ألا حظ الفارق
الكبير بين أخلاق أحدهما وبين أخلاق الآخر . فقد
كانت « بات » دائما يابسا سميذا ، وكان كريما
طموحا غير أنه كان على استعداد للمراك لأقل سبب ،
وكان يسلك حيال فرانك ، مسلك الهوى الذى
يدافع عنه غير ساهج لئلا ين أن يحسه بسوء .

وكان ابنى على العكس من ذلك نحولا ميالا
إلى الأنانية ، فكان يستغل طيبة « بات » لمصلحته
كلما أراد ذلك . وإذا كانت الأمور تسير سيرها
الطبيعى كانت شخصيته تتميز بمجازية شديدة ، وكان
فوق ذلك متميزا بذكاء عظم وقوة إدراكه وهما
أمران كانا يشيران بمستقبل عظيم .

وكان مما شائقى بعض الشيء أن فرانك
لم يكن يكثر قط بفقير النحل ، وكان « بات » هو
الذى يسي بها ويحفظ كل ما كنت أمليه من شئونها
و كنت كذلك أنصاف حين أذكر أن « فرانك »
قد يرتفع شأنه فى الوجود ، وأن « بات » قد ينقح
بالحياة فى الزرعة على مثال ما قلت . على أن هذا
هو ما كنت أرجوه على كل حال ، فإن السنين وإن
كانت قد خففت ما كنت أشعر به من البعض نحو

لحد أن تقبلينى زوجا لك ؟ أما أنا فسأبذل جهدى
فى سبيل إسعادك

فلم تنطق الفتاة بكلمة ولكنها هزت رأسها هزة
الرضا وقد ضاقت ميناها بالدموع ، فاحميت وطبت
على شفتيها القليلة التى لم أطبعها على شفتى امرأة
غير أبى

لقد مررت الزواج على مارجرى فى ساعة انفعال
ولكننى لم أنعم على ذلك قط ، فقد كانت صديقة
مخلصه ، ورفيقا فرحا ونسا ، وقد تمودت على الزمن
أن أحبا حبا قويا

وكان « بات » كلما كبر أصبح من المستحيل
أن أنجاهه ، لقد كان طفلا نشيطا يحتاج إلى الملاحظة
المستمرة ، إذ كان ميالا للعبث بكل ما يصادفه ، فلم
ألبث أن لاحظت أنه لا بد من مراقبته خشية أن
يؤذى نفسه ، ولم يكن من طبي أن أحمل حامدا أداء
واجبى ، وما دامت الأقدار قد ألقت إلى أمر العناية
بهذا المخلوق فقد وجب على أن أحبه من كل خطر
يتمرض له

وبدا على الطفل أنه يحبنى حبا شديدا ، فكان
يقبضى أين تنقلت فى البيت وكان يتعلق بى ويقبلى ،
وكان حسنه ولطفه جذابين لا يملك الإنسان نفسه
من التأثير بهما ، وكان يدعونى بلطفة « أبى » وما كان
ليستطيع أن يدعونى بشير ذلك

وما بلغ « بات » السنة الثالثة من عمره حتى
رزقت مارجرى بطفل هو ابنى من لحن ومن دى ،
وما أستطيع أن أسف الشهور الذى استولى على نفسى
حين حملت المخلوق الصغير الجديد على ساعدى ، فقد
تجمع الحب والطف الذان حرمتهما « بات » وقاضا
دفعة واحدة على التادم الجديد

على أن روح المدلل الذى كنت أتشدد فى أخذ

الأسم، وزادني الرخ طمعا فاستخدمت فيها جميع أموال وكان ذلك سببا في أن تعرفت بمستر بالدوين مدير البنك المحلي، وكان الرجل ممن يهتمون بقرية النحل فكان يزورني ويرقب ما يجري في الفقير. فتوطدت بيني وبينه روابط الصداقة، حتى إذا ترك «فرانك» المدرسة عهد إليه وظيفة كاتب في البنك فشاء ابني بذلك حبيبا. وكان يقول لي عن عقيدة: إن بعض كبار رجالنا كانوا في أول نشأتهم كتابا في المصارف

وكان بات إذا ذاك يعمل خبيرا في الجريدة المحلية وكان الأجر الذي يتقاضاه ضئيلا، ولكنه كان قنوما به، وكان يكنى لميشته، وكان بعض أوقات فراغه في كتابة قصص لم يوفق قط في بيعها، فكان كل ما يرسله منها يرد إليه ثانية، وكنت أنا و«فرانك» نهزأ منه لاساخرته وقته في ذلك اللعب. وقال له فرانك في سخرية:

— ألا تهبط أيها القروي الكبير الجسم إلى الأرض؟ ألا تنرف الوقت الذي أصابك فيه الهزيمة؟ وكان «بات» يتسم من هذا الكلام غير مكترث ويقول إن روما لم تبني في يوم واحد، ثم بعض في الكتابة

ولم بعض إلا قليل حتى ذهبت أنا وفرانك أكبر دهشة في حياتنا، قال إحدى قصص «بات» لم ترد إليه بل جاءه بدلها «شيك». بمبلغ من المال مصحوبا بكلمة تشجيع من محرر إحدى المجلات الواسعة الانتشار. ولقد كانت هذه هي الفرصة التي يستطيع أن يقول فيها: «لقد قلت لكم ذلك» ولكن لم يقل شيئا وأظن أن سكرة الفرح أنسته أن يشكره، ففنى وعلى فاه ابتسامة عريضة راضيا بمظه في الحياة، وتوالت الشيكات بعد ذلك

الطفل للترب الذي جعلني مسؤولا أن أغير مرحب بها، فانها لم تقض على هذا البض القضاء التام، فكنت أعني أن يتم كل شيء طيب لابي.

وكان «بات» أدق إدراكا من أن يفوت عليه ما في مسلكي من تميز ولكن لم يكن ذلك ليزك في قلبه الصغير أي أثر غير طيب. ومن التريب أن تكون مارجرى هي التي لم يبد من ناحيتها أي نوع من أنواع التفريق بين الثالامين، فقد كانت محب الولد الكبير الجليل الطبيب القلب الذي تمتد أنه ابني حبا إليها على حد سواء.

وكانت «بات» متعلما على «فرانك» في المدرسة عندما ماتت مارجرى، وقد شعرنا جميعا بالحسرة إلى أصابتنا بفقدان طفلها وعنايتها وكان «بات» أشدنا حزنا وتأثرا. فكانت هي الشخص الوحيد الذي كان يقض إليه بما في نفسه ويركن إلى عطفه. وكان «بات» يدرس الصحافة ويقول إنه سيؤلف يوما كتابا يحملنا جميعا على أن نقهر به، وكانت مارجرى هي وحدها التي تشجعه، أما أنا فكنت أهرأ بفكرته فما كنت لأنصو أن ذلك الطفل الرقيق الكبير الجسم يصلح لأن يجلس يوما فيضمن أفكاره وآراءه كتابا يقرأه الناس، ولما ماتت مارجرى انقطع حديث «بات» بآماله ومظامه.

أما فرانك فكان طمع في التفرغ في الثروة. كان مشروما بالمسائل المالية، فكان كل مساء يدرس الصحيفة الاقتصادية التي تنشرها الجريدة، غير ملتفت إلى شيء إلا أن هذا النوع من الأسم قد ارتفع وذلك النوع قد تدهور، وكان يدرس الأسباب التي تؤثر في السوق مفاخرأ بأنه يستطيع أن يتنبأ بما سيقع من ارتفاع أو هبوط، وكان كلامه مغريا جعلني على أن أستخدم بعض أموال في سوق

خطابتي عن مكان وجودي، ولكن أرجو أن تجد في قلبك مكاناً للعفو عني . وما أخشى على صحتك وحياتك لأنني واثق من أن « بات » المرز سيهر عليك ويمني بآرك . وقد أستطيع أن أعود يوماً ما، وإلى أن أعلم من ذلك سابق ... ولكم الحب (فريك)

سعني هذا الخطاب فجلست أنظر إلى اللغضاء . إن هذا لا يمكن أن يكون صدقاً؛ ابني فرانك أص لن يمضي زمن طويل حتى يقبض عليه كالوحش الضاري؛ لا بد أن يكون هناك خطأ ما . ولكن لا . هذا كتابه وهذا خطه . أصبح لصاً؟ ابني الذي أملت منه الكثير وهو الآن هارب يبحث عن مكان يأوي إليه حتى لا تقع عليه بين القانون

فكرت في الأيام التي كان فيها طفلاً وسادت نفسي : أتصرت في تربيته؟ ألم أمله تلميذاً حسناً؟ ألم ألقنه مبادئ الأمانة؟ سألت نفسي هذه الأسئلة ورددت عليها إيجاباً

إذن أين موضع الخطأ؟ إنه في أعماق نفسي ، لقد أخطأت حين اعتمدت على نصائحه وعملت برأيه .

لقد رأيت أروع الكثير بأيداع القليل ، فنقل الشر إلى نفسه ، وأراد أن يكون إنساناً ذا شأن . والمال يزود الإنسان بالقوة . لقد رأى كني قبض على مبالغ كبيرة من المال فأراد أن يحذو حذوي ويجمع المال لنفسه .

وإذا وصلت إلى هذا التمليل أخبرت رأسي حزناً وطاراً واعتملت رأسي يدي وبكيت في صوت مرتفع ..

ولم أشعر بأن « بات » قد دخل الغرفة حتى أحسست بساعده يطوق كفتي ، ونظرت فرأيت به رمقي في عطف وحنان . وقد قال في كثير من التلطف :

وأصبح بات تغوراً بمكاته وبروته التي تنمو على الاستمرار .

وبدا الناس يتحدثون بأسر الفتى المؤلف ، وبهشونتي بابني للناطقة ، وأخيراً أدركت أن ليس هناك من يعرف حقيقة نسبه ، فلم أر ما يحول بيني وبين الاشتراك معهم في الحديث .

ولم يمض عامان على اشتغال فرانك حتى حلت بالبنك كارثة مفاجئة شاعت فيها أموال أربابها وأسلأ كما شاعت أموال غيري ، على أن هذه الكارثة على شدتها كانت أخف هولاً من الكارثة التي لحقتها بعد ثلاثة أسابيع والتي فاجأتني في خطاب مكتوب على مجل بخط فرانك وفيه يقول :

والدي المرز

عند ما تقرأ هذا الخطاب أكون قد بدت أميلاً عديدة من الوطن . ولقد لاحظت أنت عند ما كنت في البيت في نهاية الأسبوع أنني كنت كثيرًا ، وقد فقت ما أبدت لي من ملاحظة إذ لم تكن أعصابي لتتحمل مواجعتك بالحقيقة ، فأخبرك بأن ابنك مريض وليس

وانك لتعلم أنني كنت أشتغل بدفاتر البنك فترة من الزمن ، فلما وقعت الكارثة استولى على اليأس فكنت أرى أحلامي تتلاشى وما اقتصدت من المال يضيع هباءً ، فلم أر أمامي غير سبيل واحد للخروج من ذلك المأزق ، فأخذت من أموال البنك مبلغاً أربهاثة جنبه مئزرًا بطبيعة الحال أن أردّها . ولكن هذا المبلغ ضاع هو أيضاً ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يطلع فيه مدبرو البنك على ما حدث ، لذلك أنا أغادر البلاد قبل أن يكشف أمرى . وسأبدأ حياتي من جديد في أي مكان أستطيع العمل فيه ، وآمل أن أعلم يوماً من رد المبلغ الذي سرتّه . ولا أكتب إليك بعد الآن خوفاً من أن تب ثم

— إنه لأمر قاس يا أبي، ولكن هون عليك ولا تبتس

فسأته في صوت عال :

— أهرقت ما حدث ؟

— نعم فقد بمت إلى فرنك بخطاب

فسأته وقد شعرت بشيء من الارتياح لوجود من يشاطرنى الأمرى :

— وماذا عسانا نعمل ؟

فأجاب :

— لقد حملت كل ما يمكن أن يعمل فاقترأت خطاب فرنك حتى أسرعرت إلى البنك وحدثت مع مستر بالدوين، وحوالت حصاني إلى البنك. ولما كان مالى يزيد كثيراً على القدر المطلوب، وافق مستر بالدوين رطية لك أن يترك الأمر يمر في هدوء ويترك سرّاً مكتوماً

فقلت :

— أنت دفت مالك الذى جنيته بمملك لتتخذ

اسم فرنك ؟

فأجاب الفتى :

— إنه اسمنا جميعاً

فقلت نظري عنه صامتاً ، فقد ازدحت الكلمات فى فمي ، وغص بها حلقى فلم يخرج من بين شفتى . لقد أدوت أن أقول له إن الاسم الذى دس ليس اسمه ثم إذا بي كأني أسمع صوتاً من الماضي يهمس فى أذنى ، وكان صوت « سالى » تكرر الكلمات التى قالتها من قبل ، عند ما نظرت بينتين تقيضان بالجمع إلى طفلها الوليد وقالت : « سيأتى اليوم الذى يكبر فيه ويمشى ليرد إليك جزاء شفتك العظيمة »

لقد استولى على شعور لا أستطيع وصفه ، فغريب أن تصح نبوءتها بعد هذه السنوات الطويلة ،

وأن يدب دنهباً فى أذنى ، وأغرب من ذلك أنه خيل إلى أن الواقف إلى جانبي هم سالى نفسها ، تعمل لا يهاذ اسمي كما أقذت اسمها فيها مضى ، فكان عرضاً منها لا أستطيع رفضه . ولكن « بات » لن يعرف ماذا قصدت حين قلت : « شكراً لك يا سالى »

مضت ست سنوات على هرب فرانك ، وعلى الرغم من أننى لم يصلي كلمة منه فأنى أشعر أنه بخير وإنى لأرجو أن يعود يوماً ، ولكننى لست وحيداً فان حياتى أمتع وأكثر اهتماماً مما كانت فى أى وقت مضى من جراء النظام والمودة اللذين توطدا بين « بات » وبينى

تزوج « بات » بعد ذهاب فرانك بوقت قليل محضراً زوجه الجميلة إلى الزهرة كما أحضرت أنا أمه من قبل ، ولا يزال دائماً على الكتابة مقسماً وقته بين الآلة الكاتبة وبين فقير النحل

وقد رأيته منذ أيام — وأنا جالس فى الشرفة — وهو يجمع الزهر الأزرق الذى يحبه النحل . وكانت ابنته الصغيرة مارجرى سالى جالسة على ركبتي . وقد غمرنى شعور بالرضا والقناعة عند ما ضممتها إلى صدرى فنظرت إلى ورائتي أنبسم وقد سأتنى : — لماذا تبسم يا جدى ؟

فأجبته بكلام فارغ ، إذ كيف أستطيع أن أقول للطفلة إننى عند ما رأيت « بات » تصورت أن الأيام قد حارت إلى الوراء وإننى أرى سالى وبارنى يتسلمان لى

أكان الأمر كله خرافة شيخ مضطرب ، أم ترانى قد سمعت حقاً « بارنى » وهو يقول :

« يالك من صديق طيب القلب ياويل فليجزك الله خيراً »
فهد الحبيب صدى

حَاجِي نَابَا أَصْفَهَا نِي

لِكَائِنَا لِأَنْجِلِيْشِي "جِيْمَن مُوَر"
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَمِيْدَا الطَّيْفِ الْبَشَّارِ

الفصل السادس والخمسون

طعام مو نادانه

عرفت لما زادت صلي بلا نادان أنه شديد الجشع كبير الطعام وأن غرضه الأول هو أن يصبح شيخ العلماء في العاصمة الفارسية وأنه لم يترك وسيلة لتحقيق هذه الغاية إلا اتبناها . وكان من وظائفه المتعددة التدريس في المدرسة الملكية . وكان يكرّمه الناس والإقبال بين خاصة الشاه سراً ويقول في الجهر حل ما بينهم من الخلاف ليشتهر بالكياسة والحزم . وكان في الأعياد والمواسم التي يجتمع فيها العلماء عند الشاه يقدم نفسه على سائر إخوانه بالظهور في الصف الأول ويرفع صوته لل شكر في الدعاء لجلالته ويتكلم بالنبأ عنهم انتهى فصل الشتاء وبدأت باكورة الربيع وجاءت الأخبار بأن الأمطار كانت قليلة في جنوب إيران وأنها مهددة بالجافة ، فأمر الشاه بأقامة الصلاة العامة وتولى شيخ العلماء تنفيذ هذا الأمر فلم تفت الملا نادان هذه الفرصة لينتفع منها . وكان لا يجمل النفوذ الذي استفاد به الشعب فأرسل دعوة إلى العامة من أهل المدينة ليتبعوه إلى مكان خالٍ في الضواحي حيث يقيم صلاة عامة . ووصل خبر هذه الدعوة إلى الشاه فأمر كل أهل المدينة باتباعه فكان ذلك نصراً مبيناً له . وفي اليوم الذي تمجد لهذه الصلاة خرج كل من

في طهران سواء منهم السلطان والنصارى واليهود وأقيمت الصلاة ولم ينزل المطر . ولكن الملا نادان لم يأس بل وقف بين الناس خطيباً فقال : « أليس أمامنا شيء نفعله يا أهل إيران لكشف البلاد عن الأرض المصابة بالجذب ؟ لقد ظهر مثل ظهور الشمس أن الله غائب علينا لأن فينا من استنزلت خطاياه نعمة الله علينا ، وهؤلاء هم الكفرة الذين يستبيحون شرب الخمر جرة ويرتكبون المنكرات في كل مكان ، فلنذهب إلى حالهم ولنحلم كؤوسهم وقتانهم لعلنا نعال بذلك رضى الله »

عند ذلك ثارت في الناس حجة الدين ووضع الملا نادان نفسه على رأس الجوع ومشوا إلى الحى الأرمن في المدينة . فلما رأى أهل هذه الجوع الفاضية لم يعرفوا ماذا يفعلون فبعضهم أوصد الباب بونه والبعض هرب والبعض تجمد في مكانه . ولكن الجميع أدر كروا نية المقبلين . وبعد قليل تحول النظر إلى مذبحة عامة

ودخل الملا نادان بقميصه الأشداء من رجاله بيوت الرعماء من الأرمن فأخذ يبعث بجداً من الخمر ولما كان الأرمن كالمسلمين يحجبون نساءهم فأنهى ترك خليل القاري تصور الحالة التي نشأت من دخول هذه الجوع الهائجة للنازل وتكسیرها أبواب النساء وتفتيشهن خوفاً من أن تكون بعض زجاجات الخمر مخبوءة في ثيابهن

ووجدت هذه الجوع ما لم تكن تتنظره ، وما هو عندهم شر من الخمر ، وهو الكتب المقدسة والمصلبان وصور المسيح والمفراد معلقة (٩)

أخذت على عاتقك أن تقتل رعيتي ؟ من الذى
منحك هذه السلطة ؟ هل صرت نبياً ؟ هل تريد
أن تكون ملكاً ؟ قل لى ما الذى فعلته ؟ »

وجم هذا الثرثار الذى لم تكن تنوزه الألفاظ
كلما أراد أن يتكلم ، ثم تتم بكلمات نافعة عن الكفار
وعن شرب الخمر وعن نزول الأمطار . وكان فى
خلال هذه اللدة مفقود الحركة كأنه يتثال

فقال للشاه اللاباشى : « أهملت شيئاً مما
يقول ؟ خبرنى ما الذى يبنى إن كنت قد فهمت ؟ »
فقال اللاباشى : « جعلنى الله فداك يا جلالة
الشاه ، إنه يقول إنه أراد الخمر ليعيثك الله منع منها
الله للطرب بسبب الخمر التى يشرها الكفار فى طهران »
فقال الشاه : « إذن فأنت تقتل جزءاً من
الرعية لتصلح جزءاً منها يا ملا نادان . وهل أنت
قد حلت محل فى هذه العاصمة التى تريد إصلاحها ؟
أى حل هذا الذى كنت تعجب به ؟ »

ثم رفع رأسه متأدياً جنوده : « تمالوا هنا
فزقوا عمامة هذا الملا وجيبته وانتفوا لحيته واربطوا
يديه خلف ظهره وأركبوه حماراً جامعين ظهره إلى
رأس الحمار ، وصروا به فى أسواق المدينة ثم اطردوه
منها . وليكن منه تليذه هذا » وأشار إلى خفصت
الله لأن الشاه لم يعرف أننى صاحب زينب ، وكان
حظى أحسن من حظ أستاذى لأن لحيتى بقيت لى
وبقى لى احتراى

أما لحية الملا فأتها فتفت كما يفتف الطباخ رأس
المساجبة ثم مضوه وأركبوه أقدر حمار رأوه فى
الطريق ومشوا به الموبى ، وكنت أمتى وراهم ،
ولما وصلنا إلى باب من أبواب المدينة أنزلوا الملا الكبير
المطامع عن ظهر حماره وطردوه وطردوني معه وكأن

على الحوائط فأخذوا يحطمون ما نصل أيديهم إليه ،
وقويت فى نفوسهم شهوة التحطيم فلم يتركوا شيئاً
من الأثاث والريش . ولو استمروا على ذلك مدة
لحطموا المنازل كلها أو أحرقوها ولما تركوا أرضياً
على قيد الحياة

ولكن رسولاً من قبل الشاه حضر فى هذه
الأناء مع رئيس من رؤساء الأرمن فأبلغ الجمهور
أن جلالته غاضب وأنه يأمر الجوع بأن تمود إلى
رشدتها فتراجعت الجوع ولا تسلم عن شعور
اللا نادان فى هذه الساعة فقد نظر إلى الجمهور ثم
إلى نظرات لاه لم ينظر مثلاً رجل ذو لحية فى العالم
كأنها كانت دالة على الطفولة والبلابة ، ثم أمره
رسول الملك بأن يذهب معه إلى جلالته . وصاح
بصوت يشبه البكاء : « وما الذى فعلته بحق
رسول الله ؟ أليس أعداء الدين جديرين بأن تطهر
منهم المدينة ؟ »

ذهبنا إلى قصر الشاه فوجدنا رئيس الوزراء
والملا باشى ينتظراننا فى غرفة رئيس الجلادين
وقال رئيس الوزراء للملا نادان : « ماذا فعلت
يا ملا ؟ هل جنت ؟ هل نسيت أن فى طهران ملكاً
له ولاية الأمر ؟ »

ثم أشار إلى رئيس الجلادين وقال : « خذما
إلى الشاه فانه ينتظرهما » . فقادنا ونحن إلى اللوت
أقرب منا إلى الحياة فتلنا بين يدي جلالته وكان
يقتل شاربيه كما دته عند ما يشتد غضبه

وطامناً رئيس الجلادين حتى كادت رأسه تصل
إلى الأرض وقال مشيراً إلى الملا ثم إلى : « هذا
هو الملا نادان وهذا خادمه »

فنظر الشاه إلى الملا وقال : « من أى عهد

دون أن يراني أحد لأن المكان كان مظلمًا ورأيت
أن الحظ قد ودعني في هذه المرة الدواع الأخير ،
واستمتعت في ذاكرتي حياتي الماضية قتلت : إنني
ما كدت أدقق لذة الحب حتى سار الملك منافسًا لي ،
وما كدت أسأل الحب حتى قتل الملك حبيبي وطردني
من وظيفتي . وما كدت أرث حتى انتزع أن مودني
لم يترك ثروة . وما كدت ألجأ إلى رجل كبير من
العلماء لأحتسب عنده حتى طردت وإياه من المدينة
وكنيت أعتقد أن الحمام خال في هذا الوقت ،
ولكن لسوء حظي وجدت رجلا يسير فيه على
مقربة مني وكان لا يزال في الحمام بصبص من النور
يتخلل الزجاج الملون ، فسمعت أن هذا الرجل هو
اللا باشي نفسه

مر ولم يلتفت إلى خدمت الله ودخل أمامي
المنطس الساخن ، وبعد دقائق سمعت وقوع جسم في
الماء ، فشيت على أطراف الأملح حتى دخلت إلى
المنطس فوجدت اللا باشي غريقًا فيه . وأبقت
بالهلاك لأنني سأتهم ولإعالة بأني قتله فالتاس كلمهم
يعرفون أنني تلميذ اللا نادان ويعرفون أنه أشد
خصوصه خصوصاً بعد نكبتة

وكنيت في هذه اللحظة طارياً لأنني لما رأيت
اللا باشي يدخل المنطس خلعت ثيابي ودخلت منطسًا
آخر ، وقبل أن أعود لأتم الاستحمام أو لألبس
ثيابي جاء تابع من أتباع اللا باشي وحسبني سيده
فأخذ يدلك جسمي ، ولما كانت قائمتي كقائمة اللا باشي
وكان يابه ضيف البصر فانه لم يميزني . ولما انتهى
الاستحمام لبست ثياب شيخ العلماء وتصنعت مشيته
ومشيت مع التابع إلى منزله . وكان من أصعب
الأشياء أن أستمتر في التمثيل إلى نهايته لأنه من

المعظم يكن ممنوعاً إلا ريثما يحل هذا القاب بوغدين
من شر أوغاد المدينة فما كدت أخرج من بابها حتى
هطل وسقى البردة من أهلها كما سقى الأرمنيين

الفصل السابع والخمسون

ماحي يا يا نهر بأهميرة

قلت لصاحبي لما لم يبق معنا أحد غيرنا : « إنني
مدين لك بهذه السعادة يا ملا نادان ، ولو كنت أعلم
أن هذه هي نتيجة التوصية التي أخذتها من ميرزا
أبي القاسم لما كنت أسى إلى التشرف برؤية وجهك
ما الذي كان يضرك لو لم تنزل الأمطار ، وما الذي
كان يمتنعك أن تشرب الأرمنيون الخمر أولم يشربوها »
ثم رأيت حالة الملا محزنة لا تسمح بأن أزيد في
تعتيقه فسكت . ومشينا وكلاهما صامت إلى أقرب
قرية خرجنا عليها فاسترحنا في خان هناك . ولما
تحدثنا عرف كلانا أننا لن نستريح حتى نعرف ماذا
كان من أمر ممتلكاتنا في المدينة فقد كان له عقار
ومتقول ونساء ، وكانت لي ثياب وبذلة ومال .
واتفق رأينا على أن أعود إلى طهران . فدخلتها في
الساء وذهبت تová إلى بيت الملا فدلتي أول نظرة
إليه على أنه لم تمد به بقية تصلح أن تفتني

وكان أول إنسان رأيته في المنزل هو رسول
الشاه الذي استدعانا إلى القصر . وكان هذا الرسول
في هذا الوقت يخرج من المنزل ويركب بغلتي ويسير
بها وعليها ثيابي ومالي

ملأ هذا النظر قلبي حزناً وكنيت شديد الحنوف
من أن يستكشف أمرى إنسان فأسرعت بالدهاب
وأنا لا أعرف إلى أين تقودني رجلاي ولم أزل أسير
على غير هدى حتى وجدت نفسى أمام حمام فدخلت

على من يطل من زجاج اللنافذة الملون أن يدرك أنى
لست بالإلابشى

ولما انتهيت من ذلك خطرتلى أنه قد يمكن الوصول
إلى أمور أخرى غير ما كنت أظن أولاً وعزمت على
أن أبحث فى جيوب الرجل وأخضع الأوراق التى
فى حزامه فربما وجدت ما أستفيد به فى حياتى المقبلة.
وقد وجدت فى الجيب الأيمن خطاين ومسبحة
وأختاماً ، وفى الجيب الأيسر دواة وصرآة صغيرة
ومشطاً . وأما ساعته فكانت محفوظة مع كيس نقود
فى جيب صغير تحت الإبط الأيمن وبدأت أبحث فى
كيس النقود فوجدت به خمس قطع ذهبية وقطعتين
فضيتين ، وكانت الساعة من الذهب ، وأما الدواة فكانت
منقوشة نقشاً بديعاً ووجدت بها مبرة وأقلاماً
ومقعداً

نظرت إلى هذه الأشياء وغيرها نظرة المالك
لأننى عزمت على أن أسير فى طريقى إلى النهاية وبذلك
وضعت كل شئ منها فى مكانه ثم بدأت أخضع الخطاين
فوجدت أحدهما من غير توقيع وفيه ما يلى :

أخى العزيز

(وهنا قلت لنفسى هذا الخطاب من أحد
الأصدقاء) ، ثم قرأت « إنك تعلمون شدة احتراي
للكوكب اللئالى فى جيبى الدهر وظل نبينا الكريم ،
وكل الذى أرى إليه أن يزاد حبي ويقوى على ض
الأيام . لقد أرسلت إليكم ست بطيخات انتقيتها
من بطيخ أسفهان مما لا يوجد نظيره كل يوم . وأرجوكم
أن تأذنوا لى بشرب التبيذ لأن الأطباء أكدوا لى
أننى إن لم أشربه فلن أقوى على مقاتلة أعداء الدين
واستئصال شائهم »

قلت فى نفسى : « هذا ولا ريب من رئيس

الحق أن يعرف السيدات أننى لست إليه ، وكنت
قد عرفت أنه قليل الكلام وأن بينه وبين زوجته
شجاراً مستمراً لأنه شديد التبعة

وكنت قد أثرت نفسى الصمت منذ وجدت
نفسى مضطراً إلى الظهور بظهوره . ودخلت المنزل
مجازفاً مستعداً للقاء أسوأ النتائج ، وكان أول شئ
حدث عند دخولى الباب أن تقدمى البواب فصاح
بالأرقاء فى داخل المنزل أن يحضروا للتود فأحضره
عبدان ومشيت فسمعت أصوات النساء ، ثم أضيت
غرفة استطعت أن أرى من نافذتها سيدتين وخشيت
أن يقودنى العبدان إليها . ولكن حسن حظى
واعتياد الخدم معرفة الحالة التى كان عليها شيخ
المساء عند ما يخاضم زوجته قد حمل العبدان
عند ما رأياى منصرفاً من دخول هذه الغرفة — إلى
الدول عنها إلى الخلو حدث الله وانتظرت أن
يقودنى حسن الحظ إلى التخلص من العبدان دون
أن أعرف . وكانا إلى هذه اللحظة يسيران أمامى ،
فأخذت الشمعة من أحدهما وأشرت إلى الآخر
بيدى أن يذهب ، فذهب بشمعته وبقى الآخر فى الظلام
وذهب العبدان مزجيجين

وكنت إذ ذاك كالملق بين السماء والأرض
أفكر فى حظى الذى ساعدنى على ارتكاب أوقع
حالة من حالات التنكر فأسر كل السرور وأفكر
لحظة أخرى فى مصيرى بعد أن خلوت هذه
الخطوة فأحزن كل الحزن

الفصل الثامن والخمسون

تيرة الحادثة السافنة

ولما انفردت فى الخلو أسرعرت إلى بابها فأوصده
ووضعت المصباح فى ركن بعيد فأصبح من المستحيل

خدمات وهي أن تمرني جواداً لأمر يدعوا إلى السجدة
وسأرده كما أخذته حين تنتهي حاجتي إليه »
« وقت هذا الخطاب بخاتم «الرحوم» وعزمت
على أن أذهب به بنفسى في الصباح التالى . ورددت
على الخطاب الأول بما يلى :

عزيزى عبد الكريم

تسلنا خطابك واطلنا على ما تضمنته، وبمثل
إليك ردنا هذا من تلقى به وهو حاجى بلا فاعله
ما عندك من قود . أما الأمور الأخرى فستكتب
إليك فيها قريباً . وفي أثناء ذلك استمر على ما أنت
فيه من أعمال البسوط في ظهور الطنأة أمانك الله »
وبعد أن انتهت من كتابة ما تقدم انتظرت
إلى وقت مناسب لأهرب من المكان الذى كنت
في شدة الخوف من أن يبرهن أحد فيه فينتهى
أمرى إلى نهاية مزعجة . وبعد منتصف الليل كنت
أستمد للخروج من الخلوّة في سكون تام فشررت
بأن يداً تهز الباب ؛ ولست أستطيع وصف ما فانى
من رعب قل ذلك فوق مقدورى .

توقفت أن أرى على الأقل « الداروجا » كبير
الشرطة مع ضباطه يدخلون ويستقلونى وانتظرت
النتيجة في وجل غير أنى صمت صوتاً نائياً بهمس
بألفاظ حال أوتبا كى دون فهمها .

ومهما يكن الغرض من تلك الزيارة فما كان
عندى غير جواب واحد وهو زارة شديدة تدل
على أن القيم في الخلوّة لا يقبل بحال من الأحوال
أن تطلق راحته ؛ ولبثت زمناً حتى كان الصمت
والسكون قد تملأ الدار فسلقت في هدأة إلى الباب
الخارجى وفتحته بسهولة وجريت في الخلاء ونجيت
الفرص المناسبة للسير في الطريق متجنباً رؤية الشرطة

الجلادين إذ من غيره في إيران يستطيع أن يبر في
هذه الكليات القليلة عن تلقه وعن عشقه للخمير
وعن خياله ؟ سأستفيد من هذا الخطاب فلا أنظر
في الكتاب الآخر »

ثم قمت الخطاب الثانى وقرأت فيه ما يلى : —
سيدى وأستاذى

إن العبد الخاضع الذى يعمل لنصرة الحق
يتشرف بأن يخبركم أنه بعد جهاد طويل استطاع
أن يجمع من فلاحى الضيعة مائة طومان غير المحميين
حاملين التلال، وأن الرجل المسمى حسين لم يستطع
أولم يرض أن يدفع شيئاً رغم جلدته مرتين . وعلى
ذلك أخذت بقرتيه حتى يجهد نفسه ما استطاع
فلو أرسلتم أحد الأتباع إلى خادمكم سلمت إليه مائة
الطومان »

ثم انتهى الخطاب بالألفاظ المتادة من وضع
إلى سيد رفيع ، وكان موقفاً بخاتم صغير منقوش
عليه « عبد الكريم » وهو اسم كاتب الخطاب
قلت لنفسى : « هل يسمدنى الحظ فأجد
عبد الكريم وأعرف مكان الضيعة التى كتب منها
هذا الخطاب ؟ »

تركزت هذا الأمر قليلاً لأفكر فيها يمكن أن أسنع
بخطاب النازكا كنى باشى . وبعد تفكير قليل كتبت
هذا الخطاب :

« أخى :

تلقينا كتابك وفهمنا ما به ولا يشك أحد فيها
يجب عمله منا بصحتك وأنت حلى الاسلام وسيف
الله فاشرب ما أردت من النبيذ وقاتل أعداء الدين
نصرك الله عليهم وليجزل الله لك الثواب
واسمح بتقديم خدمة أخرى غير ما قدمت من

الذى طرأ علىّ حتى لقد شمرت بما يشعر به اللط من حافة الهاوية يدفعه دافع مبهم إلى إلقاء نفسه فيها . وبصموة شديدة استطعت أن أمنع نفسي من الرجوع وتقديم نفسي إلى القضاء وقلت في نفسي : « لست إلا لصاً لا أكثر ولا أقل ، ولو قبض علىّ لزق جسمي على آلة التمهذيب ولكن من الذى سبب هذا ؟ »

الحق أننى لست للموم إذا كان القدر أراد بي هذه الحالة . لأننى لم أسع إلى قتل الملا باشى ولكنه إذا كان قد قدر عليه أن يتلفظ بنفس الأخير أمامى وإذا كنت أنا — أردت أم لم أرد — سأحصل عاقبة موته فإن من الواضح الجلى أن القدر أراد أن أمثله وأقوم مقامه . وما دمت محققاً في كل ما أعمل في دورى هذا فإن ملابس الملا باشى تمتد ملابسى ودرامه درامى . وكل ما كتبت باسمه حق وعدل » وقد أنشئت هذه النتائج فركبت جوادى وتقدمت إلى أقرب قرية لأستمل عن ضيعة شيخ العلماء ومما إذا كان يقطن في تلك الأنحاء رجل اسمه عبد الكريم

وكأنما كانت العناية تلحظني والحظ يلازمى ، فأننى وجدت أن القرية التالية ، والتى لا تبعد إلا مسافة قصيرة هى مقصدى ، وأن عبد الكريم هو شيخ فيها يقوم لسيدته التفتيل بجمابة اللال وجمع الحصول .

قلت في نفسي : « إنه شيخ ، إذن يجب أن أغير أسلوب الخطاب وأن أخاطبه بما يستحق من الألقاب »

وسرعان ما جلست على الأرض وأخرجت الدواة من جيبى وأخذت قطعة من الورق الذى فى

وأخذ نور الفجر يظهر وبدأت الحوانيت تفتح أبوابها ، فاجتهدت وأنا أسير بملابس الملا باشى ألا تبدو منى بادرة تنم عن حقيقى أو تدعو إلى الشك في أمرى . وتم لى ما أردت بتفقة قليلة في حانوت ملابس قديمة . وقد حاذرت أن أخرج بشيء من الأشياء الثمينة التى وقتت في يدى

وقصدت بعد ذلك إلى دار النازا كشى باشى وقدمت خطاى إلى خادم أجهله قائلاً له : إن الملا باشى يطلب جواداً سريعاً لأنه يريد مفاددة المدينة في عمل هام . ومن حسن حظي أخبرت أن صاحب النار في مسكن الحرم وأنه سيرسل رده كتابه . ولكنه أسرف في نفس الوقت بإحضار جواد من جياده إلى ولقد سررت من رؤية الجواد الطمهم وم يخرجونه من مرابطه وعليه مرج موشى بالذهب وفي عنقه بسلسلة ذهبية . وكانت تمرورى رعشة من الفرح كلما تصورت أن كل ما أراه سيصير ملكالى . ولكن كان يربى أن سعادة كهذه يستحيل أن تستمر طويلاً

وتعلمنى الخوف من استكشاف أمرى إذا تأخرت فأسهرت إلى خارج المدينة على ظهر الجواد . وفي زمن يسير تجاوزت أبوابها وابتعدت في الخلات ولم أزل أسير إلى الأمام دون أن أقف أو أنظر إلى الخلف حتى وجدت نفسي بين الوهاد التى خلفها مجرى نهر الكرج . وهناك ترجلت لأستريح

تذكرت أنى سمعت أن ضيعة الملا باشى تقع على طريق همدان فوليت وجهى إلى تلك الناحية . ولكن الحق أقول إننى حين وقتت لأستريح شمرت بالرجبة تدب في نفسي من ذلك الانقلاب المريب

فأجبتة وقد كنت أن أشتق من سؤاله :
 « كلا فاني لست من أتباعه ولكنني تابع لرئيس
 الجلادين . ويظهر على ما أعتقد أن بينه وبين اللاباني
 بعض الأعمال المالية » وبذلك أخذت كل شبهة
 في ضمير مضني ، وقضيت على كل ظن جال عني .
 وكان لكل من الجواد والسرحد والذهب واللجام
 النقوش اللامع أثره في توكيد قولي . وبعد أن تلمست
 مائة الطومان ووضعتها في صدري امتلعت الجواد
 وتظاهرت بالرجوع إلى المدينة وأنا أكاد أظير
 سروراً غير أني بعد أن غبت عن النظر أدبرت رأس
 الجواد إلى الخلاء وجعلت أنحس جنبه راكناً دون
 أن أفق حتى تصبب الزبد الأبيض على جسم الجواد
 وتساقط المرق عن جبينه

سمعت على السحاب إلى كرامشاه وهناك أيسم
 الجواد والسرحد واللجام وأواصل سيري إلى بغداد
 فأكون هادئاً مطمئناً .

وبعد أن سرت نحو خمسة فراسخ من طريقي
 رأيت شخصاً غريباً يسير أمامي بخطى سريعة رافعاً
 صوته بالثناء . وكان يلبس ثوباً خفيفاً وعلى رأسه
 عمامة وقد لف ذقنه بتدليل ، وفي قدميه خف ،
 ولم يكن يبدو عليه أنه من قطاع الطريق . ولما اقتربت
 منه ظننت أنني رأيته من قبل . وكان الرجل طويلاً
 مستدلاً للقامة عريض الكتفين نحيفاً . ولقد حسبت
 لولا غناؤه اللامع ، إذ لم يحظر بيالي قط أن رجلاً
 ما للمال من الوفاء يمكن أن يحط من قدر نفسه
 بذلك للثناء . ودنوت منه رويداً رويداً حتى رأيته
 عن كثب ولم يكن قد رأى . بعد فصرقت أنه هو بغير
 شك . ووقفت جوادى لأتدبر فيها إذا كان حسناً
 أن أريه نفسي . وكان من التسوء أن أعطاه ولكنني

حزاي وكتبت الخطاب كما أريد من جديد . ثم
 تقدمت في مهمتي مصماً على اختيار أقرب الطرق
 إلى الاستيلاء على مائة الطومان

الفصل التاسع والخمسون

فيأية مايجي بابا ، مائة المرد تاراه وأعماله
 أخذت أظهر يظهر يليق بشكل الجواد الذي
 امتلأته حين وصلت إلى « سيراباد » وهذا هو اسم
 القرية التي ذكرتها . ودخلتها وعلى مظاهر السلطة
 والجاه حتى كان الفلاحون يحنون رؤوسهم في خشية
 وخضوع إذا رأوني
 وحين ترجلت أعطيت زمام الجواد لأحد
 الوقوف وقلت : « ابن عبد الكريم ؟ »

وفي لحظة أخذ كل واحد من الموجودين يجري
 للبحث عنه إلى أن جاء ، فقلت بعد السلام للثاد :
 « لقد حضرت من قبل للملا باشي لأمر لا ينبغي
 عن فهمك »

ثم سلمته الخطاب . وكان لبيد الكريم حين
 شروا لم يسجني شكلها خصوصاً وقد ظل طوال
 الوقت يرمقني بلحظ منها
 وتنفست الضمضاء حين قرأ الخطاب وقال لي :
 « إن المال موجود ولكن يجب أن تأخذ راجتك .
 تفضل بالدخول »

تظاهرت بشدة الاستعجال ولم أرد أن أبقى
 مريضاً لبنيته التاريتين ، غير أنني قبلت أن أتناول
 بعض الفاكة والابن خاف أن أمير شبهة
 قال لي وكتبت قد صنعت في لأتناول قطعة من
 البطيخ : « إنني لأذكر أنني رأيته في دار الأستاذ
 مع أنني أعرف كل فرد من أتباعه معرفة كامة »

وهنا لاحظت أنني إن لم أقل له ما يهدي من روعه
قد يهني بالاستيلاء على ممتلكاته ويتبددها حتى
ظهرت بهذا المظهر الأنيق الذي أثار دهشته فوعده
بأن أقص عليه كل شيء ، ولكنني رجوته ألا يدع
في نفسه سبيلا إلى الشك لأن ما سأفوه له قد يبلغ
من الغرابة ما يجعله يظن أنني اختلقته لأرويه فقط .
ووصلنا إلى القرية وأخذنا مضاجعتنا في الخان ولما
كان كل من له مثل مال من المظهر الوجيه لا يلبث
أن يستلفت شكه الأنظار فقد وقف في خدمتي
صاحب الخان ، وأعد لنا عشاء طيبا . وفي هذه الأثناء
قصصت حوادثي على رفيق ولم أخف عنه شيئا من
دقائقها ، وقد كاد يذهب السرور والانشرح بمقله
حين علم أنني ابتعت أهبتي ووجاهتي على نفقة عدوه
للقديم الملا باشي

جلسنا تتعاقب أطراف الحديث على الثقة
والانشرح ، والباثسون يصرم ويخفف عنهم تبادل
الأحداث ، وقد لاحظت لأول مرة أنني لم أكن قد
عرفت من كنه صاحبي ما كنت أخال أنني أعرفه .
وقلت : « لاشك أنه كان في مظهره ما خدعني مدة
وجودي منك ، إذ كيف يمكن لرزين متكبر أن يكون
لطيفا أنيسا كما أنت اليوم ؟ » فأجابني : إيه يا حامي
يا ! المهر قلب والأيم لا تدوم وإن حياتي ليست
على وتيرة واحدة بل هي في انخفاضها وارتفاعها
تشبه تلك الأكرالتي يلبس بها المشوذن في أسواقنا
في عيد النبروز والتي تظل ساعدا هاجلة بين السماء
وبين الأرض . وإنني لسوء حظي لست واحدا من
أولئك الذين يسبرون على قاعدة : « لا تفرش بساطك
على أرض مبتلة »

قلت له : « قص علي إذن حوادث حياتك ،

من جهة أخرى رأيت أنني إذا أذرت نفسي اضطرت
إلى مرافقة من لأدعية لي في مرافقته . ولو عرفني
ورآني أعجبني فمن المحتمل أن يتهمي بسرقة أمواله
في طهران . ولئن نجوت منه الآن فاني سأظل أخافه
كالو كان بيننا عداوة .

وكنا نقترب من قرية يجب أن نبيت فيها فلم
أجد بدا من التسلم لأن جوادى كان في حاجة
إلى العناية والراحة إذ لا يزال أمامه مسافات طويلة
يقطعها ، فلم يكن في الاستطاعة أن أحله فوق طاقتي
واخترت أسراوسغا فقلت إن عرفني الملا نادان
كفته وإن لم يعرفني تجاهلته . وأسرت فلما قاربته
التفت ونظر إلى من الفرع إلى القدم فلم يظهر عليه
أنه عرفني ، بل لمه خاف أن أكون قاطع طريق
فتوسل إلى أن أرحمه ولم أستطع أن أقوم بشورى
إزاء هذا الاسترحام فانطلت فترة لمه يقول كلمة
أخرى ولكنه ظل صامتا ، واشتدت علام خوفه
فاخذت أنضح ضحكا حاليا لم يكن له مبرر إذ لا يصلح
الضحك جوابا على اللثناء

دهش الملا نادان وتغير في أخرى غير أنه حين
بدأت أنحك زال كل شك عنده وأسرع إلى فرحا
مسرورا وقال : « أهذا أنت يا حامي يا ! من
أى مماء هبطت ؟ ما هذا الزى البديع وما هذا الجواد
الكريم وما هذا الذهب وهذه الخلي ؟ هل صاحبت
الجن أو هام بك الحظ أم اختارك السم ؟ »

طلت أنضح مسرورا بهذه التمتوت وظل يقول :
« كيف استطعت بهذه السرعة أن تستبدل بينك
هذا الجواد ؟ ألا تعرف ماذا فعلوا بممتلكاتي ؟
ألم تستبق لي حماري على الأقل ؟ لقد أنهكن السير
على الأقدام . حدثني ! قل كل شيء بحق النبي »

الناقضين من يهود ونصارى ووثنيين يبدون النار
والأستام — كل هؤلاء شلمهم كرهنا وأصبحت
تلك الماطفة التي كانت يدعيها في سبيل شهرته
وأطاعه شعوراً قوياً ثابتاً لا يقوى عليه أى شعور
أو إحساس . وقد شئت طائله وأنا بينها على عقيدته
وتشرعت مبدأً حتى تغفلت في نفسها وسرى في
عروقها .

وقد تقائنا في هذا المبدأ حتى صرنا حرباً كل
الساكنين وأصبحتنا من دعائم الشيعة ورافى لواشيها .
وإذا علمت ذلك لم يدهشك الدور الذي لعبته في
تحليم ذلك للتييد الأرمنية في طهران . وليست
هذه الورطة هي الوحيدة فيما جرنى إليه دفاعي عن
الشيعة وغيرتي عليها . فقد أذكر أنني كنت طالباً
صغيراً في حضان من مدة طويلة وأحدثت هياجاً
شديداً ، وذلك لأن مبعوثاً من قبل والي بنداد
وكان يسير مع أتباعه في طرقات مدينتنا بعد أن قام
بها نحو ثلاثة أيام وكان يقصد مجلس الشاه . وكنت
متمصياً لمبادئ والدي وتعاليمه توافاً إلى تطبيقها
عملياً ، فجعلت عصبية من الشباب التحمس وجعلت
أخطبهم حتى أوقعت كامن شعورهم وحركت
حماسهم . وسمعنا على إقامة احتفال يليق بمبادئنا
وعزمتنا على مهاجمة ضيقات الأتراك وعلى مصارعهم
بجهدنا على عمر ولستنا له ، ثم ندعوم إلى مشاركتنا
في عقيدتنا الملوية

ولم تكن ترى ذلك البعث سلبان افندي
إلا عدواً للشيعة وشخصاً سيئاً دون أن تفكر فيما
يجب للمبعوثين من احترام

ففي يوم من الأيام كان سلبان افندي خارجاً
(٧)

فليس أحسن من القصص في إضفاء الوقت وأرجو
أن تكون قد عرفت حقيقتي الآن فلا تبخل علي
بثقتك »

فأجابني : « لن نسمع من تاريخ حياتي إلا ما هو
هادي مألوف في حياة كثير من الأماجم الذين يسبحون
وهم أسراء ويعسون وهم صمالك ، ولكن ما دمت رافياً
في معرفة ذلك التاريخ فسأقصه عليك »
ثم بدأ يروي ما يأتي :

« أنا من أمالي حضان وقد كان والدي شيخاً
عظيماً ذا سمعة وفضل حتى لقد أمّل أن يكون مجتهد
إيران ، ولكن منافسيه وغالبيه في بعض المعتقدات
ضيقوا لسوء الحظ أطاعه وفوتوا عليه غرضه فألفوا
حزباً ضده سلبه ما كان يسعى إليه من رقة وري .
وكان أظهر مافي طباع أبي كرهه للمبائين والسنين
على وجه العموم . ولقد قيل إن أحد أجدادي أوجد
الكراهية والحقد على السنين بشكل لم يكن معروفاً
قبله ببدعة بسيطة أحدثها في تلقين أطفال الشيعة ،
فشب هؤلاء الصبية وأول ما يشمرون به كره
الصمرين »

وهنا قال لي الملا نادان مفسراً تلك البدعة :
« أنت تذكر بلا شك أن الطفل في حال تعلمه إذا
أراد من أستاذه قضاء أمر شفع رجاءه بلغة عمر .
وتذكر أنك لم تنس طول أيامك كما لم أنس أن تقرر
اسم عمر بكل خبيت من الأشياء وأنت قد كررت
هذه اللغة التي تلقينها أيام مشرك صرته على الأقل
في كل يوم »

وقد صادقت على قوله فأخذ يقول :
« وقد امتد كره أبي لأتباع عمر حتى عم جميع

على كرهنا بكرم وسخاء ولم يدعوا الفرصة تزدون أن يظهرنا لنا هذه الماطقة . لكن ذلك لم يمنع أنى جللت وأصحابى حتى ومرت قدامى ، وكان عزائونا الوحيد أن عاطفة الكره كانت تزداد وتتقد في صدورنا وبذلك رضى الرجل التركي وأطلق سراحنا . وقد أخذت هذه الحادثة حيتى بضمة أعوام بالرغم من أن تالم أبى كانت لا تزال تنمو بنفسى

فلما بلغت الخامسة والعشرين وظهرت لى لىة جميلة ذهبت إلى أصفهان راغباً فى تهذيب نفسى ورياضتها بمصاحبة العلماء ، ولكن أزيد على بالمجادة والمناظرة . وقد تحقق معظم رغائى فى أصفهان وثلت شهرة وصيتا لا بأس بهما ولم يكن ينقصى غير فرصة واحدة توجبهى وجهة خاصة . ولم تلبث الفرصة أن حانت كما يظهر مما يلى :

« أقام الفرنجة فى أصفهان من زمن غير بعيد دوراً للتجارة ، وقد كان الشاه يحميمهم ويقدم لهم المساعدات فأباح لهم العبادة ، وإقامة الكنائس وإحضار القسوس لها . وأشد من ذلك وأدهى لعدم الدين أنه سمح لهم بطق الأجراس دعوة للصلاة . وكان لهؤلاء الفرنجة رئيس عظيم كان خليفة عندنا يقبونه بالبابا . ومن وظيفة هذا البابا نشر الدعوة الدينية فى أنحاء السكونة . ولذلك أقام بعض « دراويشه » وقسمه فى أصفهان نفسها وق « جولنا » بين الأرمنين ، وبى أديرة . وقد هجرت معظم الأديرة وأحلت بفضل ما أديناه من الكراهية لها ، غير أن واحداً منها وظيفته بث التلاميذ المسيحية ظل قائماً . فأجنت على عاتقى مع بعض المشايخ

من حارة لؤارة حاكم همدان نجفنا أنفسنا وحيثنا بهضيحائنا المالية : « لعنة الله على عمر » فأغضبت هذه النداءات أتباعه وتابلوها بالضرب فأنهال قفف الأحجار من أنبأى وانقلب الأمر إلى معركة هائلة . وقد أقيمت حمامة ميموث الباشا عن رأسه وبسقى على لحيتته وضربت ملابس من الخلف . وإن هياجاً كهذا لا يمكن أن يمر بسلام ، فقد كان الميموث يتحرق من الغضب وأخذ يهد بإرسال الرسل إلى الشاه . وكان على وشك الرجوع إلى سيده لولأن حاكم البلدة خاف عاقبة غضبه وأراد تسكين فائزته فوعده بالترضية التامة وبأن يقدم مثيرى ذلك الهياج إليه فى أقرب وقت »

ولقد هزأت فى أول الأمر من وعيد الأتراك وتهديدهم مستمداً على ما لوالدى من السكاة فى المدينة وجملت أشيخ باقى كبراً ، ولكن لما لم كان يتوقع الطرد من وظيفته إذا بلغ الخبر إلى طهران . ولم يكن بهمه أن يكون على عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكون الخليفة أبى بكر أو عمر أو عثمان فأمر بالقبض على وعلى اثنين من رفاقى وحى بنا أمام الأتراك الحاقين

وإن نسيت فلن أنسى ما كان يجوز بنفسى من الخواطر والمؤثرات حيناً أصبحت وجهاً لوجه أمام هؤلاء الذين يفل سدرى بالحقد والوجدة عليهم ، ولم يذنى على كل حال وقع الشياطين أخذوا يذبونى بها ولكننى تأوت وتالت وكاد سدرى يتفجر من النفيظ والاحتقار .

كان هؤلاء المنيانيون على أتم الاستعداد لاجابتنا

وبلغ ما أستحقه من الرتبة وعلم الشأن
وقد قبل الدعوة ذلك الدرويش حال وصولها إليه
وكنا قد اعترنا فيها بين أنفسنا أنه يجب اقتلاع
الشوك من جانب الاسلام ولا ندع هذا البلاء في
إيران وأن ديننا يجب أن يظل سائداً ومعتقداتنا
صحيحة وألا نترك للألفاظ الجوفاء والأصوات المنكرة
سبيلاً للحط من إيماننا . ولا يكون ذلك إلا بالتكاتف
والتضامن

وعلى الأثر أرسلنا دعوة مرسلة إلى كل معلم وكل
ملتج للحضور في اليوم المين فكان اجتماعهم لا نظير
له يشعر بالقوة التي لا تقاوم والعزم الذي لا يتأصل
وامتلات المدرسة بالحضور من المشايخ وغيرهم
ممن حضر من الإهالي رؤية المنتصر من الفريقين
فقصت رحلتها بهم، فكنت تري حمامة تتلوها حمامة
في صفوف متكافئة ورؤوساً تلو رؤوس في جموع
متراصة . وقد جاء الدرويش الفرنسي بمفرده لمساعدة
له ولا رفيق فنه وأخذ ينظر إلى هذه الجموع بوجل
وظهر عليه التأثر منها

وقد انتخب شيخان أو ثلاثة للمناظرة التي
ستحدث وكنت أنا على رأسهم وأجاسنا في صدر
المكان وكنا قد أعددت أسئلة ليوجب عليها الدرويش .
وعلى مقتضى إجابته يكون تصرفنا

أما هو فقد ظهر أنه لم يتسلح بشير لسانه وجلس
أمامنا وعليه مظاهر الخوف الشديد مبرأه على وجوه
الحاضرين من علام المداوة والكره الشديدتين .
وقبل أن تترك له سبيلاً إلى التأمل بدأنا في أسئلتنا

التحسين أنت قوم بتخريبه غير مبالين بآراء
الحكومة التي كانت ترحب بالمسيحيين لمعلمهم
على زيادة ثروة البلاد بتجارهم . وقد خدم ذلك
الدير درويشان كان أحدهما ذا خبرة واسعة بالعلم
داهية لا يقاس به إبليس في مكره وخبثه .

وكان طويل القامة نحيفاً قوى البنية حسن
الهندام له عينان ترقان برقاً عجيباً وصوت يشبه
صوت الرعد لا تنفوه فرصة في مناقشة أعظم علمائنا
وأغزروهم معرفة في مسائل الدين . وكان لا يبين عن
التصریح بأن نبينا العظيم محمد المصطفى صلى الله عليه
وسلم كان رئيساً لطائفة من البشر غصب . بل كان
يقول بقلب لا يهاب الموت إنه كان ساحراً
وبالاختصار كان ذلك الدرويش الخليلي يسبح في
بحر من الضلالات ولم يكف بالكلام بل أنت
كتاباً جعل يقيم فيه الحجج على دعواه الباطلة
وآرائه الجنونية ، وعهد لسوء الحظ بالرد على ما جاء
بذلك الكتاب إلى عالم من علمائنا لم يكن لديه مقدرة
كافية على ذلك فأخرج كتاباً لا يقنع ولا يطفى غلة
ولا يروي ظمأ . بل أساء إلى الاسلام بدل أن يعمل
على إظهار فضله وعلى تبيان حكمته وعظمته

وكانت أسفهان تنوج بهذه الأخبار حين
وصلت إليها فرضت على القوم أن يرسلوا دعوة
إلى الدرويش الفرنسي لمقابلة مشايخ البلدة وجهاً
لوجه في يوم معين في المدرسة الجديدة للمناقشة
في الدين فأما أن يعلم هو بالحجة والبرهان ، وإما أن
يقنصر المشايخ إذا انتصر هو عليهم — عرضت ذلك
الأمر لأنني كنت أتميز شوقاً إلى إظهار مواهب

فسرنا في جمتنا إلى منزل الحاكم بلبينا عدد لا يحصى
من الأهالي . وقد أجدنا هياجاً عظيماً

وكان الحاكم رجلاً مسلماً متديناً فأملنا أن
ينضم إلينا من غير تردد . وقد آتاهما الدرويش
بابتداع عقيدة قاسدة ونشرها ومحاولة إفساد عقائدهما
وقلتا للحاكم : « إن الرجل يسب نبينا ويرميه
بالكذب والكنب فتطلب تسليمه إلينا »

وقد ارتبك الحاكم فيما يجب عمله لأنه يعلم الخطر
الذي ينتج من تدخله في شئون الأوربيين ، ومن
جهة أخرى فإنه لم يكن يقدر أن يرد عنا أو يثبينا
عن غرضنا بالقوة فقال لنا : « لماذا دعوتما الدرويش
إلى محادثتك إن كنتم لا تودون الاستماع إلى أقواله ؟
إن لم يكن عندكم ما يجادلونه به فإن القوة لا تنفعكم ،
بل الأمر على التفتيش إذ أنها تضر الدين ، ولكن إذا
كان لديهم من الحجج والأدلة فوق ما لديهم ولم يستطع
الاجابة على أسئلتكم فإنه يكون كافراً زنديقاً ويجب
قتله في شرعنا »

فلما وجدنا أننا فشلنا ثانية رجعنا والرغبة في
الانتقام تغل في صدورنا . وإنني أعتقد اعتقاداً
لا ريب فيه أنه لو صادفنا الدرويش في تلك اللحظة
لمزقنا جسمه إرباً وتقطعتنا بدنه تقطيعاً . ولكنه كان
يحذرنا . وسمعتنا يمدد أنه ترك المدينة سراً . وبذلك
تم لنا ما حاولنا إذ مضى زمن طويل قبل أن نرى
وجهه في المدينة ، ولقد نبهتني في هذه المسألة وظهرت
حميتي وحماسي في الدين في ظروف أخرى حتى لقد
صرت ممن يشار إليهم بالبنان . ولكنني لم أربح من
كل ذلك شيئاً فشعرت أن خير ما أفعل هو أن أبحث

قال واحد منا : « هل تعتقد أن الله جل شأنه
تشكل بشكل آدمي ؟ »

وقال آخر : « وهل تعتقد أن الله ثلاثة في فرد ؟ »
وقال ثالث : « هل أنت مقتنع بأن ما سمعتموه
بالروح القدس نزل على الأرض في صورة عبادة ؟ »
وقد ألقيت عليه هذه الأسئلة متوالية وبسرعة
فلم يعرف على أيها يرد حتى استجمع كل قواه ورياسة
جاشه وأجاب :

إذا كان غرضكم قتل فافعلوا ما تشاءون ولكن
لن يفيدكم قتل شيئاً . وأما إذا كان غرضكم
المنظرة فإن مهاجتي بهذه الجوع للتأثير في نفسي
ليدل على وضعكم الماطفة في موضع الدليل والبرهان ،
وسيعلم العالم أني قهرتكم جميعاً »

ولما رأيت أن قوله ذو أثر على سامعيه وأنا
قد نفشل في غرضنا صرخت في الحاضرين قائلاً :
« أيها السلون ! أيها السلون ! إن ديننا أهين !
إن الكافر يريد تشيير عقائدها ! الانتقام ! الانتقام »
وكان لكلماتي أثرها السريع ، فارتفع ألف
صوت . قال بعضها : « اقبضوا عليه ! » وصرخ
الآخرون : « اقتلوه » وتلاطمت الجوع كالبحر
الزاهر فحاول الدرويش أن يجده مهرباً حين رأى
الخطر عديداً به . وقد ساعده شيخ أخذته به رافة
إذ خلع عباءته وألقاها على كتفي الدرويش »

وفي الوقت الذي كادت تصل فيه أيدي الثوار
إليه تسرب من وسط الجماهير وتمكن من الخروج
والوصول إلى منزل أحد الأرمنيين في أمان
وقد نفيظنا نحن المشايخ من إفلات القرية

شأنى وخاصة فى عين الشعب . وعلقت رضاء الشعب
أول ما يطلبه الرجل الطموح . ولكنك عرفت ما ملى
مساعدة الشعب إذا تعارضت مع إرادة ملك مستبد
فانى أضعت نفسى لأنى اعتمدت على نفوذى فى ذلك
الشعب وأنا اليوم كما تراتى بالنس أريد العودة إلى بلد
الأولى كما خرجت منها لا أملك شروى تغير .

الفصل الستون

ترابير حاجى بابا والمرد تارانه

عندما فرغ الملا فان من سرد قصته اجتهدت
فى إقناعه بأن الإرادة التى خدمته فى الجزء الأول
من حياته والتى قضت بحياته وفشل بهد ذلك
ستخدمه بلا شك قصته حتى يسترجع مكاته
وقلت له : « لقد رأينا كلاً الأمر فى إيران كثيرة
الاضطراب لا تظل على حالة واحدة ، وما دامت
المواث تترقب على إرادة رجل واحد فقد بأسر
باحضارك كما أسر بإبادك ، وإن للصائب رد فعل
يندلمسرة ونجاحاً . ألم تر الحداد كيف يخمد لهيب
تنوره التوقد ويحل المدخان على اللب إذا هو ألقى
عليه شيئاً من الماء فيظهر كأنه خبا . ولكن أقل
حركة فى المنفاخ تسيب النار إلى الظهور أعظم حرارة
مما كانت وأكثر اتقاداً »

فأجاب رفيقى : « هذا ما كنت أفكر فيه وأعزى
نفسى به حين صادفتى فى الطريق أغنى ، فإن الشاه
قد يكون - مرشاة للتجار المسيحيين واسمالة لهم - قد
تظاهر بإقامة العدل وأداء الواجب فمابقى ولكنه
فى سريرة نفسه يقدرنى ويسترم إنسانى وإنصاف
رافى لواء الدين وعندئذ تنجبه فكرته إلى عجة الشعب

عن مكان آخر فيه على مركز يسد أطامى . وفلا
غيرت وجهى إلى هذا السيل فذهبت إلى « قسم »
وفى نيتى أن أستقبل المجاهد ميرزا أبى القاسم وهو رجل
تقيدى شهرته فوق ما تقيدى صلاة عشرة أعوام
وصومها ، وقد نجحت كل التجاع فإن الشهرة التى
كسبتها من كراهة المناقذين والنس فى أخام جبلت
المجاهد يستقبلنى بالشر والابناس ويحملنى من أحب
تلاينه إليه ، وقد أخذت عنه مبادئه ضد الصوفية
وحملت بها بحمية لم يكن يقدرها فلم يمض زمن طويل
حتى التفتت منه أن يوصى بى لدى مجلس العلماء فى
طهران ولدى رجال الدولة الرسمىين ، فأظهر أسفه لفرار
ولكنه قبل طلبى وبعد ذلك بقليل عينت عضواً
فى مجلس العلماء . وأعرف أنى لم أكن سعيديا لحظ
فى المجلس كما كنت أظن على الرغم من أنى لست
أقل من الباقيين قيمة .

وكان منافسى فى التقدم كثيرين وقد تدرجوا
فى شئون الحياة أكثر مما تدرجت . وحاً كينهم
فى تعظيم رجال الحكومة وتوقيرهم . وأبيع لى الجلوس
فى مجلس الحكم العالى وبذلك صرت ممن يحظون
برعاية رئيس الوزراء وكبير الأئمة ورئيس الجلادين
وغيرهم فكنت أظهر فى مجالسهم ومجتمعاتهم ، ولكننى
لم أكن مع ذلك إلا شيخاً فقيراً . وقد انتظرت فرصة
سائحة أدخل بها إلى بيت المال وشملى رئيس الوزراء
بنظره فى يدي الأيسر لأنى كنت أبكيته فى حفلة
لذكرى مقتل الحسين رضى الله عنه وكان قد أقام تلك
الحفلة فى قصره وجملت أنشد فيها وأذكر بحالة أثرت
فيه وفى جميع الموجودين ، ومن تلك اللحظة بدأ يرتفع

يا عزيزي لست أرغب في البقاء ولن أشعر بالأمن إلا إذ وصلت إلى الحدود التركية . وأرجو أن أصل إليها بعد بضعة أيام »

وعرضت عليه بعد ذلك جزءاً مما سلبته لأنعم من نفسى غائلة لسانه وليكن سرى وقد قبل منى عشرة طومانات وترك لي خمسة وتسعين ، وقال : إن ما أخذه يكفي . ووعد برده عند الميسرة

ولكنه بعد أن أخذ عشرة الطومانات رجائياً أن أحصيه إلى همدان وأخذ يبين لي الخطر الذي ينجم عن القبض على قبل أن أغارق بلاد الشام .

وقال : « في اللحظة التي يشيع فيها قتل الملاييشي والتي يعلم فيها الحاكم بضياح جواده سيرسل الخبر خلفك للبحث عنك والقبض عليك ولك من شخصيتك ما يسهل عليهم هذه المهمة ، فالأفضل أن تختبئ عندى ربنا ينقضى أمر هذه الحادثة وبعد ذلك تستطيع أن تواصل سيرك في أمان وستجهد في تضليل من يسأل عنك . وإن لوالدى ضيمة ستقيم بها بلا خوف ونجمل جوادك ومتاعك في مكان لا يثير الشبهة . وهمدان ليست بعيدة فإنا لن بدأنا السير في منتصف الليل وصلنا إليها في الصباح ، وفي استطاعتنا أن نفعل ذلك بأن نركب جوادك سوياً . وتذكر يا صديقي أن الحدود التركية بعيدة ولو عجز جوادك عن إصااك كان هذا أدى إلى القبض عليك »

وقد أثرت كلماته هذه في أفكاري إذ كان ينطق عن سواب . وكنت أجهل تمام الجهل هذه الناحية من إيران وأدركت أنه لا يمكن أن ألتزم بالطرق الجبلية بل يجب أن أحرف طرقاً غير مطروقة وقد أدركت

وتقديره إلي . ثم إن لدى فكرة أخرى وهي أنني أرغب في خلع ردة الشاخ واللماء وأن أكون تاجراً ولكنني سأتابع خطى السابغة وأعتمد على الحظ

ولدى فرصة للظهور بمظهر الشهيد وذلك أجدى على من كل ما أملك حتى جوادى ومنقولاتي وحمارى الأبيض وكل شيء حتى الممتلكات

فقلت له : « إذن ماذا اعترمت سنمه ؟ هل في نيتك أن تصاحبني إلى بنداد أو تبقى في إيران قريباً للحوادث وانتظاراً للفرص ؟ »

فقال : « من رأي أن أوصل سيري إلى همدان بلدى الأصلية حيث أجد والدى الذى لا يزال حياً محترماً موقراً فأحاول بوساطته دخول العاصمة ثانية واسترجاع مركزى الذى سلب منى . وأما أنت فأرى طريق تسلك ؟ إننى سأحتاج إن شاء الله حين أسترجع ماقدت إلى خبرتك وذاتك لكن نستأنف مشروح الممتلكات . فالأولى لك أن تبقى في همدان منى وأن تبينى فيما أرسعه من سبل العيش »

فأجبته : « إننى يا صاحبي بكل ما يبدو على من مظاهر الثراء والفضة أشد منك تنافساً وأكثر شقاء ، فان الحوادث نولت على غير ما أحب وأنت ترانى اليوم قد صرت لصاً . ويعلم الله أن ذلك على غير رغبتى وسأتم السير في الطريق الذى رسمه لى القدر الذى ألبسى لباس شيخ العلماء وأغتنى بماله وأركبني جوادالحاكم ، هنا القدر يا صاحبي يدعونى إلى مناصرة الوطن إذ لا أستطيع البقاء به فإكون عرضة لمعرفة أسرى وقتلى والتنكيل بى على أبواب المدينة . كلا

مناسب وأدفع الثمن إليك »

أزجني هذا الاقتراح الذي أبداه اللا لاني
أيقنت أن وراء ما يطلبه من الثقة به لأودع عنده
حاجاتي غرضاً آخر غير ما عبرت عنه ألفاظه ،
ولكنني أحسست في نفس الوقت صدق ما قال
إذ من المستحيل أن أظل في القرية عشرة أيام
أو أسبوعين بجلاصي الفاخرة وجوادي الكريم
دون أن أثير غلظون القوم فأدركت أنني أصبحت
حقاً في قبضة الملا غير أن في السير على ما رسمه
الملا اشتراكاً له في الجريمة إذ يصبح من المستحيل
عليه أن يخونني دون أن يوقع نفسه في . ولكن
تصور أن نازاً كشياً استدلل على الجواد فأى مصير
يكون مصيرنا ؟ إنهم يقبضون علينا سوياً

فأجابني الملا : « دع أمورك لله فهو قادر ،
وفوق ذلك فالتنا سرنا بسرعة عظيمة ، وقبل أن
يصل أى ضابط إلى هذان سأكون قد وصلت إلى
دار أبي وأحدثت ما أردت من تأثير . وسيكون من
السهل على إذن أن أخفي الجواد بما عليه وأنا السئول
عما يحدث »

لم أجده ما أقوله بذلك فغلطت ما لبست وأتبادلتها
فأخذ هو قفطان الملا بلشى وجيته وحزامه الكشمير
وهبائه الصنوعة من الجوخ الأزرق وأخذت
أنا ملابسه القديعة التي عرقت على يده يوم طرده
من طهران . وكذلك أعطيته حمامتي وقد لففت
عليها غزال الملا بلشى الذي لا أزال محفظاً به ،
وأخذت منه حمامته ولم أستبق من غير كيس النقود

أن رجلاً عاجلاً إلى الحدود ليس من السهولة بالدرجة
التي كنت أتصورها . ولئن كان في عزم الملا خيائتي
فإن ذلك ميسور له هربت أم بقيت فأنتمت مشورة ؛
وقد ظهر لي أن أسلم الرأيين هو أن أنى بالملا ولا أسى
به الظن فقبلت أن أذهب معه . وفي منتصف الليل
رحلنا وقد استرجع الفداء والراحة ما ضاع من قوائنا
فصرنا على مقربة من هذان قبل بزوغ الشمس ، ثم
علونا ربوة تشرف على المدينة لتندبر موقفنا ونفكر فيما
يجب عمله فأشار نادان بأسيبه إلى قرية على مسافة فرسخ
وقال : « هذه هي القرية التي يجب أن نقيم فيها حتى
ينسى الناس مقتل شيخ العلماء . ولكنك لا تستطيع
دخول القرية بهذه الجبة الأنيقة وعلى مثل هذا الجواد
الكريم من غير أن تثير الشبهة وتوقع الظنون .
والرأى عندي أن نبادل ملابسنا وأن تعطيك جوادك
وبهذه الوسيلة تظهر في القرية كأنك من أتباع والدي
وأحفظ أنا شخصيتي إذ أرجع إلى دار أبي في
زي أنيق وثياب فاخرة . وبهذا الترتيب نضمن
غرضنا ونخدم مصالحنا المشتركة فننتجو أنت من شر
إثارة الشبهات وأنجو أنا من شر زلي الزرى . وفوق
ذلك فإن قضيتي المخبلة لا تثبت أن يسمح بها أفراد
عائلي فتكون مدعاة إلى خجلهم والخط من قدمي ؛
غير أنني أهرق من هذه البلاد أنها لا تابه إلا للظاهر
الخارجية ، فتني رأني أهلها أرجع إليهم راكباً
جواداً كريماً وفي يدي لجام مذهب وتحتي مرج
موثى وفي حزامي غزال من كشمير فإن منزلة عائلي
ومنزلة تقيان كما هما . وسيد أن أستعمل هذه
الأشياء بضعة أيام فلن أعدم الوسيلة لبيها بشمن

من السماء إذ كيف يستقبل زجل حسن الطلعة من
غير حزام ولا عباءة تستر ظهره وفي قدمه خف
وعلى رأسه عمامة ممزقة ؟

وبعد تردد طويل عنيت على أن أدعى أنى تاجر
وأن أزعج أن جماعة الكركر هجموا على ونهبوا
ما كان مئى ثم أنظاهم بمرض يدعو إلى إقامتى بالقرية
حتى يمت الملا إلى بخبر يجملى قادراً على تجديد
مدة الإقامة فى بخى . ولقد نجحت فى كل ذلك نجاحاً
تاماً فان الله كان قد وهب أهل القرية — لحسن
حظى — نصيباً وافراً من الثناء وسقم الفهم، فصدقوا
روايى وقبلوني بينهم، ولم أجد من نصاً غير اضطرارى
إلى تجرير ما كانت تصفه لى من البواء امرأة مجوز
أحضرها القوم لمالجتى وهى طيبة القرية
(ينبع) عبد اللطيف الأنصار

الذى وجدته فى ثياب الملا يئس وساعته وخاعه
وما بق من المال . وصحت للملا نادان باحتمال البواء
والمرأة والشط ، ووضع الملا نادان بد ذلك لفائف
الورق فى حزامه واعتدل وامتنع صهوة الجواد
فظهر فى شكل الملا يئس نفسه حتى لقد دهشت من
شدة الشبه بينهما

وافترقا على أحسن حال من الود ووعدتى بأن
يوافينى بأخباره فى القريب وأعلمنى بكل ما ينطق
بقرية والبه تاركا لفظتى وذكاى أن اخترع قصة
تناسبنى والوساوس تساورنى من وحدتى فى هذا
العالم وعدم وثوق بما بأن به الفد وشكوكى فى حالى
الحاضرة

سرت إلى القرية مرتباً أنسأله كيف أقدم
نفسى إلى سكانها وقد كنت فى الحقيقة كن هبط

شركة مصر

لصناعة وتجارة الزيوت

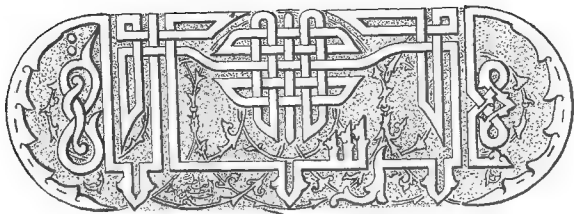
إمري مؤسست بنك مصر

تنتج أجود زيوت الطعام

الملك — الممتاز — المصرى

أطلبوها من :

مكتب بيع الزيت شارع الأزهر، تليفون ٥٤٠٢٠ ومن جميع البقالين



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجْدِيدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ اسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الدُّسْتَرَانِ الرَّأْسِيِّ سِتْرَيْنِ قَرْنَيْنِ ، وَالْمُخَاجِي مَابَسَادَى جَنِينِهَا مِصْرِيَّ ، وَلِلْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ بِمُخَصَّمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

إدارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١١ صفر سنة ١٣٥٧ - أول إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٣

من إحصائيات القصص



فهرس العدد



٢٨٢	قطة المومياة	...	أفصوة مصرية	...	بلم الأستاذ نجيب محفوظ
٢٩١	لماذا أبغضت زوجي	...	عن الانجليزية	...	بلم الأستاذ عبد الحيد حمدي
٣٠٩	المال	...	لقصص التشيكي كارل كايك	...	بلم الأستاذ ابراهيم حسين الشفاد
٣٢٠	يوم الوداع	...	أفصوة مصرية	...	بلم الأديب جسد الحليم الشيرى
٣٢٦	حاجى، بابا أصفهانى	...	لكاتب الانجليزية « جينز مور »	...	بلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

يَقْظَنُ الْمَوْمِئَاءُ

أَقْصَوْصَةُ مُضَرِّيَّة
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ نَجِيبِ مُحَمَّدٍ فُحُوف

الذى خُفِقَ فيه قلب مصر خفقة
الحزن والألم ذهبت إلى زيارة النفور
له محمود بإشأ الأرنؤوملى فى قصره
العظيم بصعيد مصر ، وأذكر أنى
وجدت عنده جماعة من الأصدقاء
الذين كانوا يترددون عليه كلما
أسعدتهم الظروف، منهم السيوسارو

ناظر مدرسة الفنون الجيلة العليا، والله كتور بيرطبيب
الأمراض العقلية، واحتوانا جميعاً (صالونه) الأنيق
البديع الحافل بآيات الفن الجليل من لوحات ونماثيل
كانها احتشدت في تلك البقعة المتيقة لؤوى نحية
المبقرة الحديثة إلى ذكرى عبقرية الفراعين الخالدة
الشأوية تحت أطلال الوادى ، يتوهج نورها خلال
ظلمات السنين مثل سنا النجوم المتألقة فى السماء
الساوى فى تضاعيف الليل البهيم ...

وكانت النفور له من أغنى أغنياء المصريين
وأوسهم ثقافة وأسمم خلقا ، وقد قال عنه صرة
صديقنا الأستاذ لاميير إنه ثلاث شخصيات تجمعت
زجلا، فهو تركى الجنس مصرى الوطن فرنى القلب
والنقل ، فأدى تريفه أتم أداء . والحق أنه كان
أكبر صديق لفرنسا فى الشرق ، وكان يدها وطنه
الثانى ، وكانت أسعد أيامه تلك التى يعيشها تحت
شماها ، واتخذ أصدقاءه جميعاً من أبنائها سواء منهم
من يعيش على ضفاف النيل أو فى جنات السين .
وكننت أخال نفسى وأنا فى (صالونه) أنى انتقلت فجأة
إلى قلب باريس ، فالأثاث فرنى والجالدون فرنسيون
ولغة الكلام فرنسية والطعام فرنى ، وإن كثيراً
من الفرنشين الثقفين لا يعرفونه إلا كهوا فذ من

أجد حرجاً كبيراً فى رواية هذه القصة ، لأن
بعض حوادثها يخرق قوانين العقل والطبيعة جميعاً ؛
ولو كان مردها إلى الخيال ما تخرجت ولكنها وقعت
فى عالم الحقيقة ، وكانت نحييتها رجل من رجال
مصر الأنفاذ المروفين فى الأوساط السياسية
والارستقراطية ، وروايتها التى أنقل عنه أستاذ
كبير بالجامعة ، لا يجوز أن يرتقى للشك إلى عقله
أو خلقه ، ولم يعرف عنه قط ميل إلى الأوهام
والخرافات ، ولكنى — والحق يقال — لا أدرى
كيف أسدتها فاضلا من أن أحل الآخرين على تصديقها ؛
وليس ذلك لندرة المعجزات فى مصرنا ، فما لاجدال
فيه أن مصرنا عصر المعجزات والخوارق ، ولكن
للقلاء فى أيامنا هذه لا يقبلون أمراً بغير تحليل ،
كما أنه لا يستغنى شئ على إيمانهم مع التليل
المقول . وإنى حبال قصة محببة لما من دواى
التصديق رواية حكيم وشواهد ملموسة ، ولكن
التليل الملقى ما يزال يتأبى عليها ، فهلا أعذر على
شمورى بالحرج فى تقديمها ؟

ومهما يكن من أمر فإليك ما رواه جناب
البروفسير دريان « أستاذ الآثار المصرية القديمة »
بجامعة فؤاد الأول ، قال : فى ذلك اليوم الأسيف

فنظرنا إليه جميعاً نظرة استفهام ودهشة وكأننا لا نصدق آفاتنا ، فالواقع أن مجموعة الباشا الفنية كانت تقدر بمئات الألوف من الجنيهات وقد تسربت جميعها إلى جيوب الفرنسيين ، فكان غريباً أن يفكر في إعادتها إلى فرنسا ؟ وكان يحق لنا أن نفرح ونبهج ولكن لم أتألك من أن أسأله متسجماً :

— أحق ما تقول يا أكلنس ؟

فقال الباشا يهود :

— نعم يا صديق دريان ... ولم لا ... ؟

فقال السيوسارو :

— يا له من حظ سعيد حقيق بافتباطنا هو الفرنسيين ، ولكني أقول لسعادتك خلصنا إلى أخشى أن يصب لك متاعب كثيرة ...

وقلت لالباشا مؤمناً على رأي السيوسارو :

— نعم يا باشا هذا ما أعتقده أنا أيضاً

فردد الرجل عينه الزرقاوين بينما وقد لاحت فيهما نظرة ساخرة وسألنا متجاهلين :

— وله ... ؟

فقلت بلا تردد :

— ستجد الصحافة في ذلك موضوعاً أي

موضوع !

وقال الدكتور بير :

— وما من شك في أن الصحافة الوطنية عدو

لك قديم ... وهل نسيت يا صاحب المال حلالها

المنزلة عليك واتهاماتها إليك بأنك تبتر أموال

للفلاح في فرنسا بلا حساب ؟

فصاح الباشا بانكار :

— أموال الفلاح !

فبادر الدكتور يقول متندراً :

هواة الفنون الجميلة أو كساحر يقرض الشعر الوجداني الجليل بالفرنسية ، أما أنا فقد حررتي — إلى هذا — عجباً لفرنسا متمسكة بتقافتها وداعية لسياستها ... أخذت مجلسي في ذلك اليوم إلى جانب الباشا وكان السيوسارو يقول وهو يتأمل بيمينه الواسعتين الجاحظتين تخالاً نصفياً برزخياً لا نشتين :

— إن قصرك هذا يا صاحب السعادة يحتاج إلى تسيير ظنيف لكي يصير متحفاً كاملاً

وقال الدكتور بير مؤمناً على كلامه وهو يتخلل لحينه بأنامله :

— صدقت فهو معرض دائم لجميع البعريات والمدارس على السواء مع ميل ظاهر للفنانين الفرنسيين فقال الباشا :

— الفضل في ذلك يرجع إلى ذوق المتأمل الذي يساوى بين النزعات المختلفة ويمد يد بين أهواء المدارس ، ويهوى تذوق الجمال سواء أكان بديمه براكتيلس أو رافائيل أو سيزان . مع استثناء البديع الحديثة المتطرفة ...

فقلت ، ناظراً بطرف خفي إلى السيوسارو وكان يحول دائماً أن أداجه :

— لو استطاعت وزارة المعارف أن تنقل هذا الصالون إلى مدرسة الفنون الجميلة العليا لاستغنت عن إرسال بعثات إلى فرنسا وإيطاليا ...

فضحك السيوسارو وقال موجهاً الخطاب إلي : — بل لعلها تستغني عن ناظر المدرسة الفرنسي أيضاً ...

ولكن الباشا قال جاداً :

— إطمئن يا عزيزي سارو ، فانه إذا قدر على هذا المتحف أن يترك المصيد فيستخذ طريقه رأساً إلى باريس

منذ آلاف السنين ، ومثل هؤلاء لا يحق لهم أن
يأسفوا على إهداء هذا التحف إلى باريس ...
فقال للسيد سارو :

— نحن لا نتكلم عما يحق أو لا يحق ، ولكن
عن الواقع والواقع أنهم سياسفون (ثم قال بلهجة
ذات مغزى) وستأسف معهم صحافتهم ... »
ولكن لم يبد هل الباشا أدنى اكتراث ، وكان
بطبعه يتعالى على ضجيج الجماهير وصرخات الصحف
المتفلة ، وربما كان لأصله التركي دخل كبير
في تشبته بأرائه وعناده واحتقاره للمصريين . ولم يرد
أن تسترسل في ذاك الحديث فأغلق بلباقته النادرة
بابه ، وانشغلنا ساعة باحتساء القهوة الفرنسية اللذيذة
التي لم أذق مثلها في مصر ، ثم نظر الباشا إلى باهتمام
وقال :

— ألا تعلم يا مسيو دريان أني بدأت أنافسك
في اكتشاف الكتوز ؟
فقطرت إليه مستفهماً وسأته :
— ماذا تنى يا أكليس ؟
فضحك الباشا وقال وهو يشير إلى حديقة
القصر من نافذة الصالون
— على بعد أذرع منا تجري عملية حفر جلييلة
للشأن في حديقة قصرى !
فيدا علينا الاهتمام جيماً ، وتوقفت سماع خبر
مثير ، وكان لكلمة حفر تأثير خاص في نفسى ،
لأنى قضيت شطراً كبيراً من عمرى — قبل أن
أشتغل في الجامعة — أحفر وأقب في أرض مصر
للثنية الساحرة

وقال الباشا وهو ما يزال يتسمم :
— أرجو ألا تستخروا منى يا سادة ، فقد فلت

— مسخرة يا باشا ... هذا قولهم !
فهز سواده منكبته استهانة وزم شفتيه احتقاراً
وقال وهو يثبت نظاره الذهبية على عينيه :
— أنا لا آله لهذه الأصوات المنكرة الوضيمة ،
وما دام ضميرى الفنى لا يرتاح لابقاء هذه الآيات
وسط هذا الشعب الحيوانى فلن تقبر هنا أبداً
وكنت أحزن رأى صديق الباشا من المصريين
واحتقاره لهم . وما يحكى في هذا الصدد أنه تقدم له
مند حام طيب مصرى نأبئة حاصل على رتبة البكوية
طالباً يد ابنته فطرده ثم طرده لأنه فلاح ابن فلاح .
على أن — مع موافقى على كثير من التهم التى
يكيلها الباشا لبني وطنه — لم أكن أكنيه في رأيه
إلى النهاية ، ولذا قلت له : سعادتك شديد النقد
فقهقه الباشا ضاحكاً وقال :

— أنت يا عزيزى دريان زجل وهبت حياتك
الثمينة للماضى البعيد ، وربما لاحت لك في غياضه
لع عبقرية خلفها التفسده لا تفتأ توقظ غطفك
وحثيئك على أحقادهم ولكن شتان ما بين الفراعين
والفلاحين ، لا يجوز أن تنسى يا صديقى أن المصريين
شعب قول ...
فضحكت وقلت له :

— عفواً يا صاحب السعادة ، ألا تعلم أن السير
ماكزى أستاذ آداب اللغة الانجليزية بكلية الآداب
صرح أخيراً بأنه أصبح يفضل القول على البودنج ؟
فضحك الباشا ، وضحك الحاضرون جيماً
وقال سواده :

— أنت تفهم ما أعنى ولكنك تحب للزاح ،
المصريون حيوانات أليفة طبعها اللد ، وخلقها
التدليل ، وقد عاشوا عبيداً على فئات موائد الحاكمين

— أحقا ما تقول يا سيدي الأستاذ ؟

قلت :

— نعم يا باشا ، لقد داني يوما شيخ مثل الشيخ جاد الله على بقعة من الأرض في وادي اللوك وقال لي : إنه استدل بكتبه وعلمه على وجود كنز فيها ، ففربنا فيها بمالونا ولم نلبث أياما حتى اكتشفنا مقبرة قتنا ... وهذا ولا شك من مقبريات المصادقات

فضحك الدكتور بير وقال منها : —

ولماذا تمل ذلك بالمصادقات فتجعد فضل العلم القديم ؟ ... ألا يجوز أن الفراعنة يورثون أحفادهم أسرارهم الخفية كما يورثونهم سجنهم وكثيرا من تقاليدهم ؟

ومضينا نتفكك بأمثال هذا الحديث وطرقنا غيره أحاديث كثيرة ، ومضى الوقت لهدينا متمتا ، وعند الأسيل استاذن الضيوف في الانصراف ، وأما أنا فأعلنت من رغبتي في مشاهدة عملية الحفر التي يجريها الشيخ جاد الله ، وغادرنا جميعا الصالون إلى الحديقة وصرنا إلى الباب الخارجي لتوديع الأصدقاء ، ولم نكد تقطع خطوات حتى وصلت إلى مسامنا نخبة عظيمة واعتزنت طريقنا جماعة من الخدم رأيناهم يسكرون بتلايب سيدي ويوسونه ضربا ولصا ، ثم ساقوه بشدة إلى سعادة الباشا وقال له أحدم :

— يا صاحب السعادة ضبطنا هذا اللص وهو يسرق طعام يمينش

و كنت أعترف يمينش حق للرفة ، فهو كلب الباشا العزيز وآثر مخلوقات الله بقلبه بد زوجة وأولاده ، وهو يمينش في قصر الباشا منما مكرما ، يقوم على خدمته خدم وحشم ، ويكشف عليه طبيب

ما كان يفعله اللوك الأفنديون مع السحرة والشعوذين ولا أدري كيف رضخت وأذعنت ؛ ولكن لا داعي للأسف قليل من الطرافة يريح العقل الكلف بالحقائق والعلوم . وبجل الحكاية أنه جاء قصرى منذ يومين رجل معروف في هذا البلد يدعى الشيخ جاد الله ، يحترمه العامة ويقدمونه ، وكما يصبر من القديسين ، وألح في طلبى وأذنت له وأنا أعجب لشأه ، وحياني الرجل على طريقته ويشرني بأه استدل بملء الروحاني وبكتبه القديمة على وجود كنز مخفي في باطن حديقتي ، وطلب إلى بتوسل أن آذن له في الكشف منه تحت إشرافى ، ومنانى بالذهب واللاقي في مقابل أن أعده بالحلوان ، وضمت به وعممت بطرده ولكنه ضرع إلى وتوسل حتى استعبر وقال لي : لا نهزأ بنلم الله ولا آتسن ببياده المقرين . فضحكنا طويلا ، ثم خطل لي خاطر سريع فقلت لنفسي لاسانا لا أجارى الرجل في وعه وأساره على اعتقاده ؟ لن أخسر شيئا وسأفوز حنا بنوع من التسلية ، وقد فلت يا أصدقائى ، وأذنت للرجل ، وأنا أنظاهم بالجد ، وما هو ذا يخفر في حديقتي ويساونه في عمله الشاق اثنان من خدي المؤمنين ، فما رأيكم ؟

قال ذلك الباشا ونحك طابا ، فضحك الجميع ، أما أنا ففكرت بي الباكرة إلى السافى إلى حادثة مشابهة فقلت : « طيبى أنكر لا تؤمنون بلم الشيخ جاد الله ، ولا أنا أستطيع أن أومن به وأسأه ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أنسى أنني اكتشفت قبر الكاهن قتنا بفضل خرافة كهذه »

فبنت الدهشة على وجوه الحاضرين وسألنى الباشا :

الآخرة في المقاطع ويلقونها جانباً ، وكان الشيخ جادا ، تلعب عيناه بيريق حاد يدل على العزم والأمل ، وتنبعث في ساعديه التحليل قوة غير طبيعية ، كأنه يدنو حقاً من هدفه الذي هداه إلى سبيله عمله الإلهي ، تمثل لي في شخصه العجيب الإنسان بنشاطه ، وإيمانه وأوهامه ، والحق أننا نخلق لأنفسنا آلهة وأوهاما ولكننا نؤمن بها إيماناً بحسبنا ، فيخلق لنا إيماننا عوالم غاية في البهامة والجلال ، ألم يخلق أجداد الشيخ جاد الله — الذي يذكرني وجهه بمثابة الكائنات المروءة — الحضارة الأولى للإنسان ؟ .. ألم يبدعوا الجمال على سطح الأرض وفي بطنها على السواء ؟ .. أو لم يستوحوا في عملهم وتفكيرهم أوزوريس وآمون ؟ ... وما أوزوريس وآمون ؟ .. لا شيء في الغالب ... أما حضارتهم فكانت شيئاً وأى شيء ... بل هي أم حضارتنا الراهنة ...

وقفنا نشاهد الشيخ المؤمن ، أما الباشا فيتسم ابتسامة ساخرة ، وأما أنا فاستغرق في أحلامي ، وكلانا لا يدري بما يجتبه له القدر تحت آكام ذلك التراب ، وكان العمل يبدو عقياً قبليل الباشا واقترح على أن نجلس في الفراغا فاقبته صامتاً ، ولكننا لم نكد نصعد السلالم الأولى حتى لحق بنا الشيخ جاد الله عدوا وصاح بقمه التزم :

« مولاي ... مولاي ... تمال انظر ... »

فالتفتنا إليه بجمرة أنوما تيكية ، وكان قلبي يخفق خفقاً غريباً على أثر نداء الشيخ وذكرني بشيئه له قديم كان يفصل في حياته بين الفشل والنجاح واليأس والأمل ، وهبطنا السلم دون إبطاء لأن الرجل كان قد عاد أدرأجه ، وتبناه وكلانا يتألم برغبة في المدو ...

ييطرى صرة كل شهر ، ويقدم له كل يوم لحم وعظام ولبن وزبد ، ولم تكن هذه أول صرة يسطو فيها العصايدة على غذاء يميمش ... وكان السارق صيدياً قفصاً ، يتميز بالسحنة المصرية المتينة ، ويسدو على هيئته الزئمة البؤس والفقر ، وقد جدجه الباشا بنظرة قاسية وقال له بمنف :

— كيف سولت لك نفسك انتهاك حرمة بيتي ؟ فقال الرجل بتوسل وهو يلهث من أثر الجهد الذي بذله في مقاومة الخدم :

كنت جالطاً يا صاحب السعادة ورأيت اللحم السلوق مبعثراً على الحشائش غفائتي قوتي ولم أكن ذقت اللحم منذ عيد الأضحي ! فالتفت للباشا إلى وقال هازناً :

— أ رأيت الفرق بين بائسنا وبائسكم ؟ ... إن بائسكم دفعه الجوع إلى سرقة وغيف ، أما بائسنا فالغيف ليس عسيراً عليه ، ولكنه لا يرضى إلا باللحم السلوق

— ثم التفت صرة أخرى إلى السارق ورفع عصاه وضربه على كتفه بشدة وصاح بالخدم :

— خذوه إلى الخفير ...

ونحك الدكتور بير وهو يسلم وقال للباشا :

— مالنا تفعل غداً إننا شم العصايدة رائحة الذهب المكس في كثر الشيخ جاد الله ؟ فقال الباشا فوراً :

— سأحيطه بسياج من الخفراء كحيط ماجينو . وعدنا — أنا والباشا — وتبته صامتاً إلى حيث يستنل الشيخ جاد الله الذي وشك أن يصير أتراباً عالياً ، وكان الرجل منهمكاً في عمله هو ومعاوناه ، بضربون الأرض بقؤوسهم ويرفون

فما للشيخ يقول :

— فتح الكنز عمل عسير ، فهذا الباب لا يطبع
وبرنخ لإقراءة طويلة أبدأها الآن وأسترق فيها
حتى مطلع الفجر ... هل أنت مطهرون ؟
وتأثر بأقواله الخادمان ونظروا إلى مولاهما بارتباك
لأنهما اعتقدا أنهما على وشك الموت في حضرة اللقوة
الغنية ، ولم يكن في الوقت متسع لتطهر والقراءة
فقلت للشيخ بحزم :

— إننا لم نبلغ هذا الباب بقراءة فيذهب أن
نقتحمه بمثل ما اتصفنا الذي قبله ...

وم للشيخ أن يعترض ولكن لم يجد اعتراضه
وانتهره الباشا فصمت وهو رمقى شزراً واستأنفوا
المعمل من جديد ، وتيقظ غريزي فعملت معهم ،
حتى أزعجت المقبة الكؤود ، ووجدنا أمامنا منفذاً
إلى مئوى حوز الأبدى ...

وكنت خبيراً بذك الأعمال ، فأصرتهم أن
يتريشوا في أما كنهم وقتاً قصيراً ربنا يتجدد الهواء ،
وكانت ساعة انتظار شديدة الوقع علينا جميعاً ، وكان
الباشا صامتاً ذاهلاً كمن هو في حلم مجيب ، وكان الخادمان
ينظرون بينين ساهمين إلى الرجل الذي يؤمن به ،
وكان الشيخ يحملني تيمع ما قد يحدث لاستهاني
برأيه ، أما أنا فكنت أحلم بما عسى أن يقع عليه
بصري ، وساءلت نفسي ترى هل من المستطاع أن
أفوز بحقة أرية أزين بها عقد متحفنا الخالد في
باريس ... ؟

ثم دخلت ، ودخل خافي الأرنؤوطي باشا ثم
للشيخ جاد الله ، وآثر الخادمان أن يلبثا في الدهليز
الخارجي فلما اختفى عنهما نور المصباح وأظلم المكان
اندمجا إلى الداخل وانكشف في ركن ، وكانت ججرة
تابوت كما يدل مظهرها ، وقد شاهدت أمثالها صرحت

ووجدنا الرجل الثلاثة يزحزون سخرة
كبيرة ، ساحتها متر مربع على وجه التقريب ،
فداونا منهم فرأينا السخرة تكشف عن فوهة في مثل
اتساعها ، فنظرت إلى الباشا ، ونظر إلى بينين
تطقان بالدهشة والدهول ، ثم نظرنا إلى داخل
الفوهة فرأينا سلماً قصيراً ينتهي إلى دهليز يتجه
إلى الداخل موازياً لسطح الأرض ، وكانت الشمس
تؤذن بالغيب فقلت للباشا « إنا بمصباح » فأرسل
الباشا أحد الخادمين لاحضار مصباح ، وعاد الرجل
بالمصباح فأصرته أن يتقدمنا ، ولكنه تردد وانكشف
نهممت بأخذه منه ، ولكن كان للشيخ جاد الله
أسرع مني إليه فأمسك به بيده ومضى يتلو من
القرآن وتماويز غريبة ثم نزل بقدمين ثابتين فتبعته
وتبني الخادمان المضطربان ...

ووجدنا أنفسنا في دهليز مستطيل لا يتجاوز
طوله عشرة أمتار ، ويمار سقفه من هامتنا بدة
أشبار ، وكانت أرضه متربة أما جدرانها فن الجرانيت
وتقدمنا جميعاً في خطوات بطيئة حتى اقترب
سبيلنا باب حجرى يأخذ على الفتحمين طريقهم ،
ولم يكن منظره غريباً على ولا الرموز المحفورة
في وسطه ، فجري بصري عليها ثم التفت إلى الباشا
وقلت بصوت متهدج :

— لقد اكتشفت يا صاحب السعادة مقبرة
أرية ... فيها هنا رقد القناد حور من عظام الأسرة
الثامنة عشرة

ولكن للشيخ جاد الله قال بمنف وغضب :

— بل وراء هذا الباب كنز ... هكذا يقول

الكتاب الذي لا يكذب

فهرزت كفتي قائلاً : « سمع كيف شئت ،

الهم أن تفتحه ... »

— رأيت مصفورا آرف بجانبه فوق التابوت
فالتفتنا إلى التابوت ولكننا لم نر شيئا وكان من
البعث أن نسال الخاديين قتلنا للشبح :
— دعنا من أوهماك يا شيخ جاد الله
ثم ضحكنا وقلت للباشا بالفرنسية :
— عسى أن يكون المصفور روح الميت (ك)
جاد لزيارة معنا ...

ثم عدت إلى مطالعة الصناديق والجدران التي
تحدث قلبي بلغة صامتة لا يسها سوى ، ولكني لم
أستطع التأمل بتاتا لأناسنا الخاديين يصيحان بذكر:
— يا سادة الباشا !

فالتفتنا إليهما بسرعة وقد امتلأت غيظا وحنقا
ولكنني شاهدتهما في حالة خيرية من الرعب ، وقد
التصق كل منهما بصاحبه ، واتسمت حينها وجعظنا
وأرسلنا نظرة صلبة جامدة مبتة إلى ناحية التابوت ،
وتصلب الشيخ جاد الله في وقفته ويده قابضة على
المصباح وعيناه لا تتحولان عن نفس الهدف ...
فنظرت إلى التابوت وقد نسيت غضبي ... فرأيت
غطاءه مرفوعا واللومياء ممددة أمامنا في لفاقها ... !
ما هذا ... كيف فتح التابوت ؟ ... هل أثمر
في إقامتي الطويلة في الشرق فندت ميني تتأثر إلى
هذا الحد المضحك بأوهامه وسعره ؟ ! ...

ولكن أي سحر هناك ... ! إلى أرى اللومياء
أمامي ، ولست الوحيد الذي يراها ، فيها هو ذا الباشا
قد تحول إلى نثال ، وهام الرجال الثلاثة بكادون
يموتون من فرط الملح والدمع ... فأنى وم هذا !
والحق أنني أحس بالخجل كلما اضطررتي الظروف
إلى سرد ما حدث بعد ذلك ، لأنني أحدث في المادة
ألمسا عقلاء مثقفين درسوا تيولوجيا وليني برول ودر كيم
ولكن ما حيلتي ؟ ... إن ديكارت نفسه لو كان

عديدة ، وكان التابوت موضوعا في مكانه وعلى غطاءه
صورة ذهبية لصاحبه وإلى جانبه تقوم ثلاثة تماثيل
بالجسم الطبيعى أحدها لرجل - من المرجح أنه حور
نفسه - والآخر لامرأة يستدل من وضعا إلى جانبه
أنها زوجته ، وأمامها نثال صغير للنام ، وفي الناحية
الغالبية وضعت صناديق منقطة وآنية ملونة ومقاعد
ومناشد وعدد حربية ، وكانت الجدران ملأى
بالرسوم والنقوش والرموز ...

ألتيت نظرة سريعة مقبمة بالزوعة على ذلك العالم
المبوث ولكن الباشا لم يدعني لتأملاتي فقال لي ولم
أكن أعلم أنها آخر أقواله في هذه الدنيا :

— الأوفى يا أستاذ درين أن تباع الأصر إلى
الحكومة في الحال ...
فأحصست بحجية أمل وقلت :

— انتظر قليلا يا باشا ربما أتى نظرة مجلى ...
ودنوت من الصناديق والأثاث والباشا يسير
إلى يميني ومضيت لأخصها بين خبيرة مشوقة ،
ونفسي محدثي بفتحها ومشاهدة ما بداخلها ، وكنت
أومن بأنها تحوى طامعا وثيايا وحليا ولكن أنى
لميل أن يملك إرادته حيال تلك الخلفات الجليلة التي
تستعوز على منبض التأثير من قلبي ووجداني ...
ثم لا تنس التابوت والتماثيل واللومياء ... إلها من
مفاتي ... !

وقطع على تأملاتي أن سمعت صوت للشيخ
جاد الله القبيح وهو يهتف « هس » فالتفت إليه
منزعجا مضجبا لأن أقل حصة أتخذ كانت تثير أعصابي
ولكن الشيخ قال لي بإعلامه « مصفورا »
فأنبهته قائلا :

— أى مصفور يا شيخ ... أهنا وقت هزل ؟
فقال الرجل :

بالفضل الصمدي الذي ساقه الخدم إلى الباشا وأهموه
بسرقه غذاء الكلب ييميش ، كان شهما غريباً
ولكنه اقتصر على الطول واللون والفسات دون
الروح والحياة ، ولولا ما كان يبدى للمائل أمامي من
النبل والتبالي لربما خالفتي شكوك ...
وكان يمدح الباشا بنظرة قاسية لا يحولها عنه
كأنه لا يرى سواه ...

ماذا أقول يا سادة ؟ ... لقد سمعته يتكلم ...
أي والله لقد تكلم حور بعد أن صمت ثلاثة آلاف
من السنين ، وتكلم بتلك اللغة القديمة التي طواها
الوقت منذ آلاف السنين .. وسوف أنسى كل شيء
في دنياي قبل أن أنسى كلمة واحدة مما نطق به
لسانه ...

قال لصديقي الباشا السبي' الحظ بصوت لم أسمع
مثله جلالاً لأنني لم أنشرف بعد بمخاطبة الملوك
— ألا تعرفني أيها السيد ... ؟ لماذا لا تجنو
ساجداً بين يدي ... ؟

ولم أسمع للباشا صوتاً ولا استطاع بصري أن
يتحول إليه ، ولكني سمعت العظيم ذا الصوت العظيم
يقول مرة أخرى :

— لم أسمع بقهر أسر الموت لإحسين شاهدت
روحى هذه المجائب التي تحدث في الدنيا وأنا مقيد
بأصفاد الأبدية لا أستطيع حراكاً ، ولم أقدر أن
أذهب إليك لأن حياتي انتهت كما قضى أوزوريس ...
ولكنك سميت إلي بتقديمك ... وإني لأعجب كيف
سوت لك نفسك هذا الفعل الأحمق ... أبلغ بك
البيتر الجنون ... ؟ ألا تحصد الآلهة أن حالت بيني
وبيتك بالموت ... ؟ ماذا جئت تفعل أيها السيد ... ؟
ألم يقتلك أن تنهب أبنائي فأنتيت تنهب قبري ... ؟
تكلم أيها السيد ...

ولكن أي المسكين أن يتكلم ... إنه لا يفقه

في مكانى تلك الساعة ما أتمه الشجاعة على الهزء
بحواسه ...
ماذا رأيت ؟

رأيت اللومياء تتحرك وتقدم في التايوت في
حركة خفيفة لا يقدر عليها الخمور أو الثقل بالنوم
فضلا عن البموث من عالم الأموات ، ثم قفزت قفزة
غاية في الرشاقة واتصبت قبالتنا أمام التايوت ...
وكنت موليكا ظهري الخادمين والشيخ جاد الله
فلم أر ما حل بهم ولكن ارتماش النور الذي يضي'
الحجرة دل على كهرة اليد التي تمسك به ، وكنت
في حالة يتمرد وصفها ، وأعترف بأن مفاصل تفككت
من الرعب الذي لا يوصف ، وذهرت ذهراً لم أحس
بمثله في حياتي على الإطلاق ، ولا تكاد تذكر إلى
جانبه أحوال الأيام الشديدة التي قضيتها في الجبهة
الشرقية وممركة اللارن ...

يا للعجب ! ... ألم نكن حيال مومياء ... ؟
أو حيال جثة ردت إليها الحياة بطريقة خفية ... ؟
أو أمام قائد مصري كان يرمح هولاً ونخشوعاً
إذا اجتاز عقبة القصر الفرعوني ... ؟ ولكن هل
كان من الممكن أن يتخالج نفسي في تلك الساعة فكر
من هذه الأفكار ... ؟ بل هب أنه خالجه فهل كان
يستطيع أن يهدي من رعبها شيئاً ... ؟ فزهت
فزهاً قائلاً ... على أنب عيني استطاعت أن تروا
كما استطاعت ذاكرتي أن تحفظ ما رأت عيناى ..
ولم أجد أمامي مومياء بل رجلاً حياً كامل
الرجولة والحياة ، وكانت هيئته تذكر بتلك الصور
التي ترى بكثرة على جدران المابد ، فكان يرتدى
ثوباً أبيض ووزرة قصيرة وينطى رأسه الكبير
بقنفسوة أنيقة ، ويعلى صدره المريض بنياشين
كثيرة زاهية وكان مسيماً رهيباً متشاكياً ، ولكني
بالرغم من جلاله خيل إلى أنني رأيته من قبل وذكرت

بنته كأنى أتى ضربة قاتلة لأردى من أين تقع على رأسى ، وحلقت في الظلام وأنا أنتفض فرقا وذعرأ ، ثم خارت قواى ، وشاء حظي الحسن أن أفقد شعورى وأغيب عن المألوت ...



سادنى ... إنه لثانى على أوقات بصيبي فيها ذهول وتماهرنى شكوك فأسائل نفسى مرابأ : هل كان حقاً ما رأيت أم كان وما ؟ ... وربما ملت أحياناً إلى تكذيب نفسى ، ولكنى كلما أميل إلى الشك تصدق حقائق لا قبل لى بها ... لما قولكم مثلاً في شهادة الشيخ جاد الله وهو حى يرزق ويستطيع أن يبذل لكم ما حكيت ؟ ... وما قولكم في جنون الخادمين التمسعين ... ومقبرة حور ... والقصر المهجور ؟ ... بل ما قولكم في حادثة موت المنفورة محمود باشا الأرنؤوطى التى ما يزال يذكرها جميع قراء الصحف ويسبحون لها أشد السجود ؟ ...

يجب تحفظ

شيئاً ... ولا يبدى حراكاً ... لقد دبت الحياة في المومياء ... وارتقت قلب الباشا الحى أما المومياء فمادت تقول :

مالك لا تتكلم ؟ ... ألسن حور ؟ ... ألسن مبدى شتى ؟ ... ألا تذكر أنى جئت بك من الشمال في إحدى اللزوات الظاهرة ؟ ... أنتجاهلنى أيها البعد ؟ ... إن جلدك الأبيض الذى يرمز إلى العبودية يفضحك سهما تنكرت .. ما هذه الملابس المضحكة التى ترتديها ؟ ... وما هذه الأبهة الكاذبة التى تحتفى وراءها ؟

وظن حور أن الباشا لا يريد أن يشكم فانتفضت أوداجه وتعلب بجينته وصاح غاضباً :

— ما الذى دهاك ؟ ما الذى دهم الأرض فجعل أعزتها أذلة وأذلها أعزتها ، وخفض السادة عبيداً ورفع العبيد سادة ؟ كيف تلك أيها البعد هذا القصر ويسمل أبنائى فيه خدماً ؟ أين التقاليد المتوارثة والقوانين المقدسة ؟ ما هذا البعث ؟

واشدت الغضب بمحور فاستحالت ميناء جمرتين بقطار منهما الشرر وصاح بصوت كالرعد :

« كيف تتجاسر على ابني أيها البعد ؟ لقد سمته القتل بقساوة دلت على العبودية التى تنضج بها نفسك ضربته بمسلك لأنه جائع ودفنت إخوته إلى ضربه أجيوع في مصر أبنائك ؟ الويل لك أيها البعد ... ولم يكذبتم كلامه حتى تقدم نحو الباشا مزجراً كأسد مصور بهم بفريسته

ولكن الباشا التمس لم ينتظره ، لأنه كان قد فقد قوة الاحتمال ، فسقط على الأرض لا حراك به وكان تهديد حور قد أشاع في الحجرة رعباً جديداً أتى على البقية الباقية من التماسك في النفوس ، فلما لبث الشيخ جاد الله أن سقط على وجهه وسقط معه الصباح فانظفأ نوره وساد الظلام ، وانكشفت

صدر كتاب

قافله الأيام

(تيسية)

مجموعه من القصص المصري الحديث

تأليف

عبد العظيم كركنة

يباع بخمسة قروش بجميع المكتبات بالعالم العربى
وبمكتبة النهضة المصرية

وكانت سوزان ابنتنا
الكبرى على المكس من أختها
بليدة ساذجة كأماها ، فكانت
هي وأماها على خير ما يكون
الصديقان تبادلًا للمواظف
وتسلطت إسرائيل على ماريانا
وطغت أن من واجبها أن تسهر
على مراقبتها مراقبة دقيقة .

وما بلغت الفتاة الثامنة عشرة من سننها حتى أصبحت
جذابة اللامع فتاة ، وكانت دأمة المتحدث من
الذهاب إلى المدينة والسعي للحصول على عمل
في المسرح ، وكان طبيعياً أن ترفض أمها
كل فكرة من هذا القبيل ، فقد كانت متنفذة اعتقاداً
راسخاً أن الفتاة إذا هدنت وجهها وشفتها بالأصباغ
فقد انحدرت في طريق الفساد ، ولم يكن في مقدور
أية قوة أن تنزع من رأس إسرائيل هذه الآراء
المتينة التي تدل على شيق العقل

كان من أثر هذه الحالة أن نشأت بين وبين
ماريانا رابطة غريبة ، فقد ذكرني على وجه ما
بأخت لي أسمر منى سكا ، هزبت منذ سنوات
للتحقق بفرقة من الرافعات . فقد كان لماريانا مثل
طبيبة أختي اللقطة ومثل لطفها على العمل وراء
أنوار المسرح

على أن ابنتي كانت فتاة مستقيمة الخلق وكانت
مراقبة أمها لها أصراً مضايقة لا تدعو إليه حاجة ، وكان
في البلدة الصغيرة التي نعيش فيها من بلاد الولايات
المتحدة مصانع كبيرة للصفيح ، فكانت إسرائيل
تلع على ماريانا في أن تسي إلى عمل في أحد هذه
المصانع ، ولكن ماريانا لم تخلق لتعيش عيشة العزلة
في المصانع ، وإنما كانت لها في الحياة وجهات أخرى.

مَاذَا ابْغَضْتَ وَفَجَّيْ

عن الانجيلية
بقلم الأستاذ عبد الحليم دحماني

« كان مستمداً لأن يضيى بجماله ليحول دون
زواج هذا الرجل من ابنته الحبيوة ، ولكن هنا
الزواج قد وقع فالحال يستطعم الآن أن يسل ؟ »

كنت طوال حياتي الزوجية على ما أذكر زوجاً
لين الجانب مليحاً لاضرائه ، وكانت زوجي امرأة
طيبة القلب ولكن من النوع التصلب المتحكم ،
فكانت دائماً تستسلم لموايل الغضب والثورة ،
وكنت أتركها في استسلامها إلى أن تهدأ نفسها
وإذا أحسست بأن غريزة الغضب والثورة ستتحرك
في نفسي دئبت لحال إسرائيل وكبعت جماع هذه
الفرصة . كنت أذكر أنها لم تألف غير العمل الشاق
منذ طفولتها ، إذ كانت نشأتها في مهنة لا تؤلف
فيها الحياة الناعمة . ولم يكن أي اعتراض من جاني
على الخط الذي يجرى عليه شؤوننا البيتية ليؤدي

إلا إلى زيادة متاعب كل فرد من أفراد البيت
على أني — مع ذلك — كنت أستفكر أسلوبها
في معاملة ابنتنا الصغرى ماريانا ، وماريانا فتاة صغيرة
جميلة قوية الحبيوة ، وقد خيل إلي على صورة ما أن
أما تنأذي من ملامحها الجميلة ، لأنني لم أجِدَ تمليلاً
آخر للأسلوب السيء الذي كانت تعامل الأم به
ابنتها ...

وكانت ماريانا ترجوني دائماً أن أحضر لها عند عودتي إلى البيت بعض المجلات السينمائية ، فكنت أبتاع لها ما أجده عند بائع الصحف الذي أمر به في طريق وأدس لها ما أحضرت تحت صحيفة المساء ، وكانت هي بدورها تحمل هذه المجلات سرّاً إلى غرفتها حيث تقرأها بعيداً عن أعين الرقيب ، ولو أن امرأتى عرفت سرّاً أنني أنا الذي أحضر هذه المجلات بنفسى لجلت حياتي عذاباً لا يطاق ، فلقد كانت تصر دائماً على القول بأن المجلات السخيفة التي تمر عليها أحياناً في غرفة الفتاة هي التي قلبت رأسها . على أنني كنت أحمل كل ما أستطيع لأرفه حياة ماريانا ولكن مهمتي لم تكن سهلة في هذا الجو العدائى الذي كانت تخلقه أمها وأختها .

وفي ذات مساء تلقفتى ماريانا عند عودتي مبهجة طروباً وأخبرتني أنها تسلمت رداً على أحد خطاباتى التي أجابت فيها على بعض الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وفي هذا الرد يمرض عليها معهد للتصوير الفوتوغرافى في المدينة عملاً تقاضى عليه أجرأ ثلاثة جنهات ونصف الجنيه في الأسبوع ، على أن تتقدم قبل ذلك إلى إدارة المعهد لاثبات كفايتها للهنوس بهذا العمل . وقد هيأتى عند ما شمت أقوال ماريانا وشهدت ابتهاجها أن روح الفتاة علققة في السماء العليا ، وعلى الرغم من أنني كنت متعباً في تلك الليلة ، اعترمت أن أقف وقفة شديدة مدافساً عن ماريانا إذا عارضت أمها في قبولها هذا المركز ، لقد كنت أتطلع إلى مستقبل لماريانا خير من هذا ، وكان في مقدورى أن أنهم لماذا كانت ترغب في مناصرة البيت والذهاب إلى المدينة .

وكنت كلما أحضرت جريدة المساء إلى البيت استمرت ابنتى منى قلم الحبر وكتبت في أثناء الليل عدة خطابات نجيب فيها على ما تقرأه من الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وكانت تدس هذه الخطابات في جيبى دون أن تشرأبها بشئ ، لأضعها بنفسى في صندوق البريد في الصباح .

وكان انتصار سوزان لأمها وعطى على ماريانا منشأ نزاع صامت مشؤوم بين أفراد العائلة . ولم يكن يسمح لأحد من الشبان بدخول البيت لزيارة الفتاة . وقد عارضت في ذلك وبخاصة منذ أصبحت ماريانا تلك الفتاة اللطيفة الراضية في حياة المجتمع . ولكن ماريانا لم تلبث ذات مساء أن أراحت إلى من هذه الناحية . فقد طوقتنى بساعديها ضاحكة وقالت : إن أمها تعجده نفسها في منع شبان البلدة من غشيان دارنا ، ولكن ماريانا كانت تتطلع إلى شاب من طراز كلارك جابل أو وليام بول ، ومن الصعب جداً أن وجد هذا الطراز بين شبان البلدة ، فليس في الجهد الذى تبذره الأم من هذه الناحية ما تكثره الفتاة في كثير أو قليل . فشارت ماريانا الضحك ، ولم نستطع إلا أن نتفكك بأمر ذلك النشاط الذى تبذره الأم عبثاً لطرد الفتيان من طريق ابنتنا .

ومن حسن الحظ أنني كنت أتنجب أكثر النهار عن البيت فقد كنت أملك « جراباً » وعطلة بزين صغيرة على الطريق الرئيسى ، فكنت إذا عدت مساء إلى البيت متعباً قرأت جريدة المساء ، وقطعت فترة من الوقت في لعب (الباما) مع ماريانا أو أصغيت إلى الراديو .

وطء من الفرن غرقت ساعدها ، فكانت حالتها النفسية في هذه اللحظة أسوأ ما تكون

فأسمعت الخبر حتى حاجت وصاحت في غضب قائلة : إنه لا يجوز لماريانا أن تخالط شبان المدينة ، وأنها لا تسمح لها بأن تحضر أحداً منهم إلى البيت . وكنت أود أن أتصر لماريانا لولا أن لاحظت أن أمها كانت في حكم الرضعة ، فاعتزمت أن أرحم انتصاري لها إلى فرصة أنسب من الفرصة الحاضرة . والشئ الذي لا يستطيع الانسان فهمه حقاً هو

أن تمارض امرأة في مقابلة للشبان الذين تعجب بهم ماريانا . فلقد كنت أنا رغباً أشد الرغبة في مقابلتهم والتحدث معهم ، فن الطبيعى أن فتاة لها جمال ماريانا لا بد أن تكون موضع إعجاب كثيرين من شبان المدينة . ولما كانت الفتاة قوية الإرادة متصلة فان أسلوب وانتمائها في معاملتها قد يضطرها إلى سلوك الطريق الخطأ في التمتع بمباهج الحياة ، وهذا هو الذي كنت أخشاه ، وكنت فاعم القلق من ناحيته على أننى لثمت السمات في تلك الليلة عند ما أسهرت امرأة ماريانا بالآ تصاحب هؤلاء الناصرين من شبان المدينة ، وقد خيل إلى أن مثل هذا الأمر يكفى لنزع ماريانا من عمل ما تريد

وبعد بضع ليال من ذلك الحديث أصبت بمحاوئ أزعجني ، فقد بقيت في عمل بمحطة البتزين إلى ما بعد الوقت الذي كنت أتتعي فيه من العمل طادة ، وما أطفأت الأنوار وشرعت أوسد للباب حتى وصلت إحدى السيارات في طلب البتزين ، وبينما أنا أفورخ البتزين في خزان العربة أقبلت سيارة صغيرة خضراء من النوع المكشوف ووقفت بجانب السيارة الأولى ،

وبالفعل مارضت امرأة في قبول ماريانا المركز المروض عليها ، ونشبت بيننا مشادة عنيفة بعد المساء ، ولكننى ذكرت المرأة الطيبة بأنها كانت تلح على ماريانا في أن تسمى إلى عمل في أحد مصانع الصفيح حيث لا يزيد أعلى أجر للعامل غير المدرب على جنبيين في الأسبوع ، إذن لماذا تمارض في أن تتولى الفتاة عملاً محترماً تنقضى عليه ثلاثة جنهات ونصف الجنه في الأسبوع ؟ فأصابني هذه الملاحظة الهدف الذي رميت إليه ، وبعد كثير من المناقشة رجعت ماريانا المركة ، ولقد ارتفعت لذلك ارتياحاً شديداً لأننى لم أكن أنوقع أى مستقبل حسن للفتاة إذا هي بقيت حبيسة في بلدنا الموراء

وكانت لي ابنة هم أرملة مجوز تسكن المدينة فاتفقت معها على أن تقيم ماريانا عندها فلا تحضر إلى البلدة إلا في نهائات الأسابيع

لم تحب ابنة عمى « نيل » امرأة قط ، وكانت تقول عنها إنها ضيقة العقل بليدة . لذلك ساء امرأتى ألا تكون العلاقة بينها وبين « نيل » حسنة ، وألا تستطيع أن تعرف ما تملك ماريانا في أثناء الليل في المدينة الواسعة الأرجاء . ولكننى كنت مراقباً كل شئ امرأة إلى التقارب التي تخبئني من ابنة عمى وكلها تدل على أن ماريانا سعيدة بمجراتها الجديدة وأن لا شائبة على الاطلاق في سلوكها

وحضرت ماريانا ذات مساء على حادثها في نهاية كل أسبوع ، وأخبرت أنها ستصحب معها يوم الأحد المقبل ، سديق اسمه روى تردواي للنداء معنا . ومن سوء الحظ أن الفتاة أعلنت هذا الخبر في لحظة غير ملائمة . فقد حدث بعد الظهور أن أمها كانت تخرج

وبعد هذه الحادثة القصيرة انصرف العميل ولم يكن يد من أن أدمو أحد الأطباء ليضمده لي مكان الإصابة ، ولكي لا أزعج امرأتى وسوزان عند عودتي إلى المنزل مصوب الرأس ، أخبرتني أنني أصبت نفسي بالهاتر الحديدى لحدى السجلات في أثناء زعمى له ، وقد قبلتني هذا الكلام ، على أنني تأملت ألكا شديدة من أضرار الضربة وشرحت بالحوار. ولا كان اليوم نهاية الأسبوع فقد فضلت عدم الذهاب إلى العمل والالتزام الراحة ، وكان من المنتظر أن تصل إلينا ماريانا في المساء ، وكنت أنشوق إلى رؤيتها فقد شرحت بوحشة لثيابها ، وكان كل شيء تقيداً مملًا في غير وجودها

ولكنني عند ما قابلت ماريانا في محطة سكة الحديد لاحظت تنيراً في خلقها ، فلم تكن على عادتها ، فقد ألقت منها أن تجيئني في حراسة وألا ينقطع حديثها في الطريق بما كانت تملئه طوال الأسبوع في المدينة أما في هذا اليوم فقد وجدتني صامتة صمتاً يبعث عن مأساة خفية فاضطربت لذلك نفسي ، على أنها لم تلبث آخر الأمر أن أنفضت إلى بأن لمسها أصراً تريد أن تحدثني به ، وأعقبت ذلك بقولها إنها تحت تأثير حال عصبية قد تزوجت من روى تريدواى أمس ذلك اليوم فقط

وعني عن البيان أن هذا الخبر قد أزعجني فقد وقع ما خفيت أن يقع نتيجة لتصلب أمها ، فقد أدى هذا للتصلب بما رايانا أن تتولى أمرها بنفسها فبعد أسبوع واحد كانت ماريانا ترجو أن يسمح لها باسطحاب روى تريدواى إلى البيت ، فمارشت أمها في ذلك ، فهل أخطأت التصرف بصفتي والداً ؟

وخرج منها شاب من الأشقياء فاندفع نحو عميل مهدداً وأصره بأن يطبعه حافظة قنوده ، فأطاع العميل الأمر ظناً منه أن الشئ يحمل مسدساً ، ولكنني حين تلفت أستطلع الأمر تبين أن الشئ الذى يحمله الشئ في يده لم يكن مسدساً كما أراد أن يوم ولكنه مفتاح أنجليزى ، واستطعت كذلك أن أتبين وجهه على ضوء مصباح الطريق ، فأسرعت بالمجموع عليه ولكن كان المجموع متأخراً ، فقد ضربني على صدغي خربة شديدة أفقدتني توازنى فسقطت مترنحاً ، واندفع الجاني واثباً إلى سيارته الخضراء ، ولا نهضت من سقطتي وجدت عميل قد سلم الشئ عمقته وفيها مائة من الجنيهات

وكان طبيعياً أن أغضب وأتصايق مما حدث لأنه وقع أمام متجري ، ولكن العميل الذى ظهر أنه رجل ظريف هدا من غضبي وقال إنه لا ذنب لي فيها حدث ، وكان الرجل تاجراً يمر بهذه الطريق مرة واحدة كل ثلاثة أشهر ولكنني لم أراه قط قبل ذلك المساء ، وتكلمنا كلاماً بالتلفون من الجراج فأبلغتنا البوليس خبر السرقة

وقال عميلى إنه رأى جيداً وجه الشئ وإنه يستطيع أن يعرف ذلك الأنف الدقيق للمدب في أية ناحية من نواحي العالم

ولقد ضحكيت عندما سمعت ذلك لأنني قد اشتغلت أيام شبابي بأعمال البوليس السرى لحساب إحدى الوكالات في شيكاغو ، وكان أعظم ميزانى عندها قدرتي على تذكار الوجه وتعرفها ، فقلت لعميلى إننى أنا أيضاً موهوب من هذه الناحية ، وإنني رأيت وجه الشئ وسأخبره إذا ساعدنى الحظ بمقابته مرة أخرى ،

على أنني كنت متأهباً لخوض هذه المركة . وقد قالت
اسرائي إن اللطلة هي عطلى أنا لأنني أنا الذي سمحت
لماريانا بالذهاب إلى المدينة ، وما هي فدى قد تزوجت من
رجل لم تره الأسرة قط قبل هذا الزواج . ولكنني
لأول مرة طرحت ما كنت ألبأ إليه من جمالة اسرائي

حرصاً على عدم جرح شعورها ، ولها في لجة نائرة
عينة مقبلاً عليها مسؤولية هذا الزواج المأجور

ذكرت اسرائي برفضها عجي روي تريدواي
إلى بيتنا عند ما اقترحت ماريانا ذلك ، وذكرتها
بالرقابة البلهاء التي كانت تفرضها باستمرار على الفتاة
وقلت لها إن رد الفعل النجاني الذي ظهرت به ماريانا
لم يكن إلا أمراً طبيعياً تحت تأثير هذه الظروف

كانت مغفاجأت اسرائي بهذا الكلام سبباً في
أن تمود إلى نفسها ، فاعترفت بالقلب بأنها ربما كانت
قد أخطأت ، وقد رجونا كلانا في حرارة أن
تكون ماريانا قد وقفت في اختيارها وأن يكون
زواجها سميحاً ، فإن الناية التي كان يرى إليها كل
مناحي سعادة ابنته

ولأول مرة تنبأت زوجي إلى أن ماريانا قد
أصبحت شابة نامية لا طفلة صغيرة فبدأت ناملها
بشيء من التقدير والاحترام ، وحتى سوزان مالت
إلى تغيير أسلوب معاملتها لأختها . وهكذا لم تنته
إذاعة خبر زواج ماريانا إلى النتيجة السيئة التي
خشيت أنا وهي أن تنتهي إليها . وتم الاتفاق بيننا
جسماً على أن نحزم اللروس حقائبها المدة لرحلة
هاقانا وتنتظر في البيت ، وأن يحضر زوجها روي
تريدواي ليأخذ الحقائب بنفسه ، وبذلك يتمكن أفراد
الأسرة من مقابله . وكتبنت ماريانا إلى روي موكدة

أكان يجب على الرغم من مرض اسرائي أن أناصر
ماريانا وأصر على وجوب استصحابها الفتى الذي
اختارته معها إلى البيت ؟ الحق أنني اضطربت وشعرت
بالتماسة وتغيرت فيها أقواله لابنتي رداً على هذا التبا
الذي فاجأني به

وسألت ماريانا كيف عرفت روي تريدواي
فقلت : إنه من أهل انديانا وأنها قابله في حفلة
كوكتيل وأنها ما كادت تراه حتى عقدت بينهما
أواصر الصداقة في الحال ، وهي واثقة من أنها تحبه
حباً شديداً ، على أنها إذا كانت مخطئة في تقدير
عواطفها فإن هناك شيئاً واحداً لا يتطرق إليه الشك
ذلك أنه هو مجنون في حبها وقد طلب منها في رجاء
شديد أن تقبل الزواج منه

وقالت في وصف حبيبها إنه فتى رشيق مصري
الأداء جميل اللباس جداً ، وإنه يمسار أوراق مالية
ناجح في عمله ، ووكدت لي أنني سأحبه وسأزود
حباً له كلما ازدادت معرفة به ، وقد وعدنا روي بأن
يقضيا شهر العسل في سياحة إلى هاكنا . ولولا خوفها
للتشديد من إبلاغ خبر الزواج إلى أمها لما شابت
سماعتها العظيمة شائبة ما . ولقد كانت تتطلع إلى
هذه السياحة البحرية تتطلع الأطفال إلى الشيء
الحبيب لأنهم لم تركب البحر مرة في حياتها

لم يكن أمي حين سمعت هذا الكلام إلا أن
أبذل أقصى ما أستطيع من جهد لأوجه الأمور خير
وجهة مستطاعة . وبعد المشاء أخذت على عاتق أن
أستعين بكل ما في مقدوري من لباقة وكياسة على
نقل خبر زواج ماريانا إلى أمها . وكان من المستحيل
ألا تشب بيني وبينها مركة حامية من جراء ذلك ،

مولياً ظهره نحوى فاستطعت أن أرى رجلاً طويلاً
القامة هريض الأكتاف، بليس رداءً رمادياً، ضاحكاً
مكثراً من الحديث مع ماريانا. وما رأيته ماريانا
مقبلاً حتى حينئذ وقالت منشرحة تقدمنى إلى روى
الذي التفت ناحيتى :

« هذا أبى ! »

— وخيل إلى عند ما وقع نظر الفتى على رأسى
المصوب أنى قد رأيت فى عينيه نظرة خاصة ، فقد
ضاقت فتحتها وبدأ فيها معنى الأزواج ، وصاغنى
الفتى هازلاً فى شيء من التلقى بدى التى بقيت بمدودة له
لحظة قبل أن يراها .

واعترضت ماريانا أن سلوك زوجها التريب
ليس له من سبب إلا أن رأسى كان لا يزال مصوباً
فأسكت بذراعه فى عطف شديد وقالت :

« لقد جرح أبى رأسه إذ صدمه بإطار مجلة

إحدى السيارات فى الجراج فى أثناء زجه »

فندم روى بضع كلمات فيها بعض التألم لهذا
الحادث ، وفى طرفه عين بدا أن فى هيئة الفتى
شيئاً غير غريب عنى . فرد الفعل المصبى الذى
بدا عليه حين رأى والجركة التى هز بها رأسه
لينظر من النافذة كمن يفكر فى الحرب ، كل
ذلك أحدث شيئاً من التوتر فى الغرفة ، ثم تلك
الفتنة فى ضوئه التى ذكرتى بفئة الصبيحة التى سمعتها
منذ بضع ليال عند ما اقتربت من شاب شق
يحمل فى يده مفتاحاً إنجليزياً ؛ أيمكن أن تكون
هذه هى الحقيقة ؟ لقد كانت الفكرة حوشية غير
قابلة للتصديق ؛ ولكن عند ما أدار روى تريبواى
وجهه إلى الشاب ورأيت صفحة خده ورأيت تلك

له أنه سيقابل مقابلة حارة ، وأخبرته بما تم الاتفاق
عليه من قضاء الليل معنا قبل السفر فى رحلة شهر
المسل ...

وتكلمت فى الوقت نفسه مع ابنة عمى تليفونيا
فسألها عما تعلمه من أسر روى ولكنها أجابتني بأنها
لم تره قط . وقالت إنه تكلم كثيراً مع ماريانا تليفونيا ،
ولأنها تعرف أن ماريانا كانت تخرج مع رجل اسمه
روى ولكنها لم تفكر قط فى أن الأمر بينهما جد ،
لذلك كانت دهشتها شديدة عند ما أخبرتها بزواج
ماريانا ، ولكنها لم تدهش حين أخبرتها كيف كان
هذا الزواج مفاجئاً لأنها تذكر أنها قضت أغلب
أيام الأسبوع على شاطئ البحر

وانهمكت ماريانا فى تجهيز ممدات السفر منتظرة
قدوم روى

ومن الطبيب أننا جميعاً كنا متطلعين إلى رؤية
مسار الأوراق المالية للشاب ، وقد أعدت له أسراً فى
غداء حسناً ، وكانت ماريانا مبتهجة تهلل بشراً .
ولأول مرة لم تمارض الأم فى مظاهر ابتهاج ابنتها
وإن يكن قد بدا عليها أثر الصدمة التى أصابتهما من عدم
إفضاء ابنتها إليها بأمر زواجهما قبل وقوعه

لم يخطر لاسرائى قط على بال أن ماريانا كانت
تعلم أن أمها ستمارض فى زواجهما من أى إنسان
حتى لو جاءت معلنة أنها ستزوج من رئيس الجمهورية
ولو أن هذه الأم كانت من النوع اللامبال الذى يحسن
التفاهم لأخبرتها الفتاة بما اعترفت

تركت ماريانا وأنها فى عملهما وقصدت إلى
مكتب البريد فلما عدت إلى البيت وجدت أن روى
تريبواى قد حضر فى أثناء غيابي

لما دخلت غرفة الجلوس كان زوى تريبواى

غطاء جديداً لمائدة الطعام ، وكانت سوزان قد ذهبت إلى غرفة الجلوس لتتحدث مع تريدواي ، ودخلت أنا مصادفة إلى الغرفة التي كانت فيها مارينا ورأيتهما مشغولة في عد الفوط

وما رأيي ابنتي حتى سألتني وفي عينها وميض الحب ؟

— كيف وجدته يا أبي ؟

وكانت وهي تاتي هذا السؤال صورة مجسمة من صور السعادة ، وكان من المستحيل أن تعلم بالأفكار الفظيمة التي كانت تملأ رأسي في تلك اللحظة ، ولا بالخوف المزعج الذي استولى على نفسي وكان صوت أجوف كأنه آت من أميال بعيدة عند ما أجبتها :

— أظنه شاباً طريفاً

فاسمت من هذه الكلمات حتى طوّقتني بإساعديها وقبلتي ، وكنت لا أزال أدعو الله أن أكون قد أخطأت في تصوراتي ، وقلت وقد نظرت من النافذة — إن حربة زوجك هذه الصغيرة جميلة

فقال مارينا :

— أليست غاية في الجمال حقاً يا أبي ؟ لقد ابتاعها روي أمس ليحبل منها مفاجأة سارة لي فقد تحطمت سيارته الحضراء المكشوفة !

لقد كانت هذه الكلمات الثلاث : « سيارته الحضراء المكشوفة » كافية ! لقد قاومت في عنف صدمة الشلل الذي كان خليفاً أن يصيبني عند سماع هذه الكلمات ، وقد اقتنمت الآن اقتناعاً لا سبيل إلى التشكك فيه ، بأن تريدواي واليس الشقي ليسا إلا شخصاً واحداً

فإذا أنا فاعل ؟ أحطم حلم سعادة ابنتي بأن

الديني وذلك الأنف الدقيق الذين رأيتهما لحظة طائرة على الضوء الأحمر ارجفت ركبتي . لقد كان الشبه بين صورتى للشخصين أخذاً ، فهل يمكن أن تكون مارينا بحيلة غريبة من حيل الحظ قد تزوجت من ذلك الليس الشقي الذي سرق للتاجر على باب جراحي ، والذي ضربني تلك الضربة الشريرة بالفتاح الانجليزي ؟ لقد وقفت في حيرة شديدة !

لم يلاحظ تريدواي أنني شككت في أمره ، فقد كان الوقت الذي وقع فيه الحادث ظلاماً وكان ضوء الطريق الذي رأيت عليه وجهه لحظة سريعة ضوءاً ضليلاً ، ثم هو لا يعرف شيئاً عن قدرتي على تذكر الوجوه . ولكن كان ظاهراً أن هذه اللقطة المفاجئة في بيتي قد هزت أعصابه ، حتى أنه عند ما نظر من الشباك إلى الخارج وقد دس يديه في جيوبه لم يسمع صوت مارينا إذ كلمته إلا بعد أن كررت ما قالته مرتين ، الأمر الذي دل على أنه كان شديد الانهماك في التفكير . ولم ألبث أن نظرت من النافذة لأرى إذا كان قد حضر في نفس الغرفة الحضراء المكشوفة التي رأيته من قبل ، ولكنني وجدت بدلها حربة سوداء مقلقة لا تزال جديدة . فمن الجائز أن أكون قد أخطأت في غنوني . ومن المحتمل أن يكون للشبه بين الشخصين شديداً جداً ولكنهما ليسا برجل واحد

ولكن لماذا سلك الرجل ذلك السلوك الغريب منذ رأيته ؟ من المحتمل أن يكون ذلك أيضاً من نيات خيالي ، ولقد دعوت الله فلما أن أكون قد أخطأت فيما توهمت . على أنه إذا كانت ابنتي قد تزوجت من ليس شقي فاني أود أن أعرف ذلك ، وكانت مارينا قد ذهبت إلى غرفة أخرى لتحضر

وسال منه الدم ، ولكن الصداق لم يكن من الجرح
إنما كان من التفكير ، وما كان لي أن أأم من غرفتي
مثالاً

وكلا سمعت صوت أسرى وم يتحدثون على
المائدة ازداد اضطرابي وساءت نفسي : أم يطعمون
الآن مع لص شقي ؟ وقد سمعت أكثر من مرة
ضخمة تريدواى المصيبة وهي تحترق الجو واصله إلى
أذني تذكرني بتلك الصبيحة المزججة وتلك الضحكة
التهمكية اللتين معتمهما ليله ضربني بالفتاح الانجليزي
على صدفي قبل أن يهرب بسرقة ، ولم ألبث أن
ركزت في رأسي ما حدث ليلة السرقة ، وهنا ظهر
لي واضحاً شخص تريدواى وبخاصة أنه كان يملك
عربة خضراء . صحيح أن هناك سيارات خضراء
كثيرة ولكن كل هذه الاتفاقات بين الشخصين
لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة

وبعد النداء حضرت ماروانا إلى غرفتي
مستفسرة عن حالتي وأخبرتني أنها ساعدتني إلى غرفتها
حيث تلحق بها سوزان لمساعدتها في إعداد حقايقها
فصرفت أن روى سيكون وحده في غرفة الجلوس
إذ لا بد أن تشتغل أصرأني بفصل أدوات الطعام في
المطبخ ، إذن جاءت الفرصة . فقلت لماروانا : إنني
أشعر بتحسن في حالتي وإنني لذلك سألحق بزوجها
فأتحدث معه بعض الوقت . فطلبت مني وهي ضاحكة
أن أسرع لألحق به قبل أن ينصرف لأنه كان يقول
إنه سيخرج لابتياح كية من السجائر

كان هذا كافياً لتوكيد شكوكي ، فقد كان الفتى
يرسم خطة الحرب ، ولعل تنبئي عن النداء معهم
قد أطلق نفسه . إذن لن أتركه يذهب ، وبدل أن
أقصد إلى غرفة الجلوس اندفعت إلى خارج الباب

أبث في رأسها الشك من ناحية ذلك الرجل ؟ لقد
أصبح الرجل زوجها وانتهى الأمر ! وإذا ظهر
فيها بعد أني غطى في غنوني فهل يمكن أن تنفري
يوماً ما أقوله لها الآن ؟ اضطرب تفكيري وأنا أحاول
حل هذا الاشكال ولكنني فضلت أن ألتجأ كمادني
إلى الصبر وأن أتحكم في وقتي فلا أقصرع

وكان من المستحيل عليّ وقد اضطرب شعوري
هذا الاضطراب أن أجلس معهم على مائدة النداء ،
فأخبرت ماروانا أنني أشعر بشيء من الصداق لكثرة
حركتي منذ وقع لي حادث الإصابة ، وأني سأوى
إلى غرفتي طلباً للراحة ، وأقمتها بأنني إن أصلح
لجالسهم وأنا أشعر بذلك الألم . وأني على كل حال
لن أستطيع أن أطعم بنير فتيجان من عصير الطماطم
ووعدها بأنني إذا تحسنت حالى بعد الطعام فسألحق
بهم وأؤكد معرفتي بزوجها . فقبلت ماروانا هنري
كما قبله الآخرون ، وانصرفت إلى غرفتي لأفكر
فيما أفعل

إذا لم أكن غطتاً في أمر هذا الرجل فيجب
أن أسرع في العمل ، وليس يحتاج الأمر لأكثر
من أن أبلغ البوليس خبره فيقبض عليه وفي الوقت
نفسه يفسخ زواج ماروانا

ولكن الفضيحة التي تنشأ من ذلك التصرف !
ثم لنفرض أنني كنت غطتاً في ظلي ! ألا يجوز أن
يقبض عليّ بتهمة البلاغ الكاذب ، وبأنني تسببت
في القبض على رجل بريّ وبنيير ذلك من الهم ؟
إذن يجب الاحتراس والحذر . ولو أنني استطعت
أن أخلو بالرجل بضعة لحظات لأمكنني أن أستقر
على خير الطريق التي يجب أن أتبعها في أمره ،
لقد كان رأسي مصداقاً حقاً كما لو كان الجرح قد فتح

ينظر إلى ولكنه جلس عابسا كأنه يمتدنان إلى
أستمر في حديثي ، ولم يكن ممثلا بارعا فأى
إنسان غيري كان يستطيع أن يفضح أسرته من
موقفه ، وقد شجني ما رأيته منه على أن أواجهه
بهذه الكلمات :

— ولقد كنت أنت أيها الشاب حاضرا
للسرقة ، وتعرف كل ما يتصل بأمرها

فوثب الفتى واقفا صارخا صرخة شريرة مزعجة
شبيهة بالصرخة التي شهدتها ليلة الحادث ، وللتوت
شفته العليا التواء الشر فكانت أشبه بشفة حيوان
يموى . ولقد أدرك أنه فضح نفسه بتصرفه فلم يتبق
هناك قائمة في الانكار

وشعرت عندما أتى على نظرة خاطفة أنني
قد أصبت بجنون فطيع وخيل إلى أنني سأائب عليه
فأخفقه حتى أقضي عليه انتقاما أولا من الجرح الذي
أصابني به ، وفوق ذلك لهوره في الزواج من ابنتي
الصغيرة . ولكنني بمجهود فوق القدرة البشرية
ملكيت عواطفى ، فلما لاحظ الفتى هدوئى وتبين أنني
لن ألجأ لشيء من العنف زال عنه هو أيضا المظهر
الشرير الذي بدا عليه عندما سألني في صوت مضطرب :
ماذا اعتزمت أن أفعل

قلت له : إن أسهل الطرق أمامي هي أن أبلغ
البوليس خبره . وهنأشده في غرفة الجلوس منتظرا
غريبا ، فتريدواي اللص الوحشي انقلب حملا وديما
يتوسل إلى كما يفعل الطفل الصغير ، قد ل إنه هو
أيضا يجب ماريانا وإنه يجب أن تفكر في أمرها ،
فلقد أراد أن يسدها ، فقد أحبا حباً لم يشمر مثله
من قبل لأي خلق ، وإنه كان خالياً من العمل الثابت
وكان مصدر رزقه المراهنة على الخيل ، وكانت ماريانا

أعلا أن يكون قد ترك مفاتيح السيارة فيها ، ولقد
كان من حسن الحظ أن تحقق رجائي ، فلم أتردد
في أخذ المفاتيح ودسها في جيبى ثم دخلت إلى غرفة
الجلوس . وكان ترديدواي عند دخولي على أعبه أخذ
قيمه المعلقة على المشجب . فسأله كأنني لا أعلم شيئا
عن عزمه :

— أخرج أنت ؟

فلم يرفع قط نظره إلى وهو يجيب على سؤال
مدمدا بضع كلمات تفيد أنه ذاهب ليقنع علة
سجابر . فقلت له :

— إنك تستطيع أن تخاطب غزن السجابر
تليفونيا فيرسل لك ما تريد

وأظن أنني تبيت رعدة عصبية في صوته عند
ما أجابني بأن ذهابه شخصيا قد يكون أسرع من
الكلام بالتليفون . فقلت متطوعا :

— إذن سأذهب معك

وكانت اللجة اللطافة التي نطقت بها هذه
الكلمات كانت صاعقة قد انقضت عليه ، فبدل أن
يخبرني بأنه يسره أن أصبه تردد واضطرب ، وعقد
لسانه فلم يتكلم . وعندئذ توكدت أنه هو نفسه
اللس الذي ضربني ، فقلت أصرا :

— إجلس ولا تقرب

فجلس واضحا قمعته على ركبته بينما أصابه تيبث
بها في حال عصبية ، فقلت له في غير مواربة :

— إنك تعلم أن هذه الاصابة التي في رأسي
ليست من إطار مجلبة ، ولكنني لم أزد أن أزعج أسرتي
فاخترعت هذا السبب ، والواقع أنني أصبت بضربة
من مفتاح إيجليزي

وهنا بدأ الفتى يتحرك حركات عصبية ، ولم

تلك اللحظة عامل الاغراء الجنوني . ولكنه حين استأنف السير في الطريق الرئيسي غير قاصد إلى مكان معين رأى من جديد السيارة التي كان يلاحقها وقد وقفت أمام جرابي

هنا استولى عليه عامل الاغراء مرة أخرى ، ورأى أن الفرصة قد هيأت له نفسها ، وكان الطريق خالياً ، وقد اعتقد أن سبب وقوف السيارة خلل أصاب إحدى محركاتها ، ولم يحظر له أنه كان يتزود بمحاجته من البنزين ، ولما كنت على وشك إغلاق المحل عند وصول عميلي فقد أطفأت جميع الأنوار ، ولما كنت أعرف موضع خزان البنزين في السيارة ، فقد كنت أفرغ فيه البنزين في الظلام ولذلك لم يرني تريدواي عند ما هاجم العميل وإلا فانه لو علم أنه هناك شخصاً آخر لما أقدم على مجازفته الخطرة . وهذا هو الذي يفسر الزعب الذي فاجأه عند ما رأى مقبلاً عليه على غير انتظار، وهذا هو السر أيضاً في أنه ما جلى تلك الضربة للقاسية عن غير عمد لأنه كان يفكر في الهرب أسرع ما يستطيع . هذه هي قصة الفتى في تفاصيلها روماناً لي في بساطة وإخلاص

وطبياً أنني قد تبينت أن الرجل الذي أماني ليس بالأس اللياس ولكنه شاب أحق أغربه الظروف بالأم ، وقد استطاع أن يقننى في أثناء سرد قصته بأن مركز اللياس الذي وجد فيه نفسه لم يكن له من سبب إلا أنه لم يرد أن يحزن ماروانا التي كان قد وعدنا بأن يقابلها في اليوم التالي بدار البلدية لمقد زواجهما . استمرضت كل ما حدثني به الفتى ورأيت أن الأمر يتصل بابنتي وماترونو إليه من سعادة المستقبل فلت إلى التسامح والطف على أنني وجدتني قد وقفت في الحيرة وقد

تعتقد أنه سحار أوراق مالية وبعد أيام من خطبته ابنتي اعترفت في أن يجتهد في دفع مبلغ كبير من المال فوضع كل ما عنده من النقود على جواد كان من المؤكد أنه سيربح ولكن الجواد خسر وبذلك أفلست الفتى واستولى عليه اللياس وكره أن يجبر ماروانا بأنه خالي الوفاش وتحير فيها يفعل ، وكان جالساً في أحد المقامى بطعم بعض الزاد إذ دخل رجل لا يعرفه وجلس على المائدة المجاورة له

ويقول تريدواي إنه رأى الرجل وهو يدفع الحساب للخدام قد أخرج رزمة كبيرة من الأوراق المالية ثم عاد فدفعا في حافظة نقوده ، فقرر الفتى أن يتبعه دون أن يرسم في رأسه خطة معينة

وكان تريدواي ، على ما وري ، قد استولى عليه اللياس لحاجته الشديدة إلى المال بعد الخسارة التي حلت به ، فبعثت سيارته الخضراء سيارة الرجل الآخر لسافة عدة أميال ، ولم يدفعه إلى هذه الملاحقة الجنونية المخيفة غير عامل اللياس وحده ، ولم يكن يدري كيف يستطيع أن يتنزع حافظة النقود من صاحبها ولم يكن كذلك مسلحاً . وكان عقله يعود إليه ما بين لحظة وأخرى فقرر أن يرجع عن هذه المطاردة . ولكنه حين رأى السيارة الأخرى تنيب عن عينيه دفسته الحاجة لللمعة من جديد إلى استئناف اندفاعه الأحمق ، على أنه لم يلبث أن انتهى آخر الأمر إلى الانتحاب بأنه مقدم على مناصرة شديدة الخطر ، فعدل عن مواصلة المطاردة ووقف لينتاع عليه من السحار ويشرب شيئاً خفيفاً

ولما رأى أن السيارة التي كان يلاحقها قد غابت في الأفق نهت نهت الدارتيح ، وزال من نفسه في

وأن هذه الناحية الخيرية لا تلبث أن تظهر إذا حرف الإنسان طريق الرسول إليها ، وأن فتاة طيبة مثل ماريانا تستطيع أن تحصل زوجها على أن يسلك سبيل الاستقامة فلا يجيد عنها .

وتحت تأثير هذه العواطف تقدمت لغنى باقتراح ملخصه أنني ، وكل يوم يمر تتقدم بـ السن خطوة إلى الشيخوخة ، يحسن أن أستعين بمساعد لي في الجراح ، فليكن هو مساعدى ، وإذا برهن على كفايته للعمل اتخذته شريكا ، وفي يوم ما يصبح الجراح ملكا له ، وهرمنت أن أقرضه مائة جنيه لقضاء رحلة شهر العمل إلى هافانا إذا وعدنا استقامة وبقبول للعمل معى في الجراح ، فما سمع الغنى هذا الاقتراح حتى غمر السرور نفسه . وإني بتهيئة هذه الفرصة له إنما أبرهن على أنني أميز بين الرجال ، واتفقنا على نسيان أمر السرقة فلا يذكرها أحدهنا بعد الآن وتصاغنا على هذا العهد .

أحسنت كأني ساحرى طبيب القلب وشمعت بعد أن أتممت هذا الاتفاق بالهزة التي يشر بها المصلح الذي يتخذ الأرواح من الامم . وبدا لي أن ما فعلته هو أحكم ما يمكن أن يعمل . فإني عند ما فكرت لأول مرة أن هذا الغنى لص يجب أن أرسل به إلى السجن أرشدنى التفكير المترن إلى أنني لن أجنى شيئا من وراء ذلك ، ولكن ستكون نتيجة سلوك هذه السبيل جلب الحزن والشقاء لى . كذلك فكرت في حالة امرأتى الشاذة وفي طبيعة سوزان وفيأ أحرغه من كبرياء ماريانا فأدركت أن الفتاة لن تمشي إذا تسحت لأمرها وأختها فرصة تدكيرها بالزيجة الفاسدة التي عقدتها من وراء ظهورهما ،

واجهتنى مشكلة صعبة الحل ، فقد أتى الغنى بأمره بين يدي ، وأصبحت سادة الفتاة التي نجحنا نحن الاثنان ملقة على الخطوة التي سأخطوها بعد ذلك لقد كانت عقيدتى في الطبيعة البشرية ثابتة دائما لذلك اعتزمت أن أطالع الأمر كله بنفسى ، فقلت لتريدواى إنه يجب عليه أول كل شيء أن يسلمني المحافظة التي اغتصبها من التاجر حتى إذا عاد الرجل إلى أعتدتها قلت إن اللص قد شر بتأنيب ضميره فأرسلها إلى في البريد دون أن يذكر اسمه

فلم يتردد تريدواى في تسليمي المحافظة قائلا : إنه أفتق مما فيها أربعة جنيهات ، فوعده بأن أوحسها من مالى ، ثم قال الغنى في لهجة الحزين المتألم إنه الآن لا يملك المال الذي يمينه على اصطحاب ماريانا إلى هافانا في رحلة شهر العمل وهي الرحلة التي تتطلب إليها الفتاة في لهفة وشوق .

فسألته : ولكن ماذا بعد هافانا ؟ وكيف اعتزم أن يمشي إذا ما انتهت رحلة شهر العمل ؟ فأجاب في استخفاف بأنه يستطيع دائما أن يحصل على رزقه من طريق المراهنة على الخيل ، وليس من شك في أنه حين يصل إلى هافانا سيلعب على السباق في حذر واحتياط وسيجنى بذلك بعض المال .

ولكن لم أحب ذلك فليست هذه هي الحياة التي تناسب ابنتي الصغيرة ، ورأيت أنه لا بد من عمل شيء ما . لقد ظهر على الغنى أنه جاد في قوله وأنه قد تاب من ذنبه الذي دفعه اليأس إلى ارتكابه ، وكان ذلك واضحاً في حديثه وسلوكه المتواضع . وظننت أنني إذا هيات له فرصة حقيقية للعمل المفيد . فقد يصبح رجلا صالحاً في الحياة ، وإني أعتقد اعتقاداً ثابتاً أن هناك بعض الخير حتى في نفوس شر الرجال

جداً إذ قالت إنه في صحة جيدة وإنه يرسل تحياته واحتراماته للأسرة

وعاد اللورسان إلى البيت مساء أحد أيام السبت، وإذا كانت ماريانا قد نعمت بألم طيبة كما قالت في خطابها فإن نظراتها تكذبان هذا القول، فقد ظهرت تحت العينين دائرتان سوداوان ، وبدا عليها كأنها كانت تعاني آلاماً نفسية شديدة . وقد تصنعت السرور والانفتاح فخدمت مظاهرها أمها وأختها ولكنها لم تخدعني مطلقاً وقد أدركت أنها تخفي في نفسها أمراً لا يتوح به على أنني لم أحاول أن أسألها شيئاً .

وتأخر روي في النوم صباح الأحد وانفردت بماريانا على مائدة الفطور إذ كانت سوزان وأمها قد ذهبتا إلى الكنيسة ، ولم تتكلم ماريانا كثيراً في أثناء الطعام، ثم تناولت جريدة يوم الأحد وبدأت أنظر إلى محتوياتها

وعلى حين فجأة سألتني ماريانا هذا السؤال :
— أظن يا أبي أن الرجل الذي ينش في لبس الورق يد لكما ؟

أدهشني هذا السؤال ولكنني أجبت عليه في لهجة قاطمة :

— الرجل الذي ينش في أية لمبة من الألعاب لئس ما في ذلك ريب

فلم ترد ابنتي شيئاً على ما قالته ، ولكنها اكتفت بأن تنظر إلى الفضاء نظراً كأنها ، على أنني أحسست بأنها سامع أمراً غير سار ، فسألت ماريانا عرضاً :

— ومن هو الشخص الذي ترفيق أنه ينش في لبس الورق ؟

لذلك لم أتردد في حل الاشكال الذي واجهني على الصورة التي حللتها بها

وبعد لحظات من هذا الاتفاق كنت أنا وروي نشرب معاً كأسين من الحبة وقد ساد نفسيينا روح الصداقة للتباد ، فلما دخلت ماريانا علينا للترفة خبرتها بأن روي سيمعل معنا في الجراج بعد عودتهما من رحلة شهر المسل ، فأمن روي على كلاي منتبهاً ، ولم تمارض ابنتي في هذا الاتفاق ومن حسن الحظ أن روي كان قد أخبر ماريانا قبل يومين أنه اختلف مع أصحاب بيت الأوراق المالية الذي يسمل فيه وأنه قد قد مركزه في ذلك البيت ، أخبرها بذلك ليمدها بقبول اشتغاله بعد عودتهما من الرحلة بالراهنه على الخيل ، ولم تخبرنا ماريانا بهذا الخبر لأنها خشيت أن تترض أمها على إنفاقهما المال في رحلة بحرية في الوقت الذي أصبح فيه زوجها ماطلاً من العمل

على أن ماريانا — على كل حال — لم تهتم بفقدان زوجها عمله في ذلك البيت المال ولم تهم لذلك الحادث كبير وزن ، لأنها كانت شديدة الثقة بروي وبقدرته على أن يجد لنفسه عملاً جديداً على أثر عودتهما من الرحلة . فلما عرضت عليها الاتفاق الذي تم بيني وبينه قبلت ذلك بإذتياع ولكنها اشترطت شرطاً واحداً هو أن تقيم هي وزوجها في بيت خاص بهما

صرت بعد ذلك بضمة أساييح مرأ سريماً ، لم أتمسك في أثناءها من ماريانا غير تذكرة بريد واحدة وخطاب مكتوب على عجل ، علمت منهما أنها كانت مسرورة من رحلتها إلى هافانا وأنها تقضى فيها على ما يظهر أياماً طيبة ، ولم تقل عن زوجها إلا القليل

ولكن ابنتي كانت واقفة من أن زوجها قدغش
بالفعل في الورق ، وكذلك كنت أنا واقفة من ذلك ،
وقد اضطربت ماريانا اضطراباً شديداً لذلك الحادث
الذي عكر عليها سقاء شهر العمل ، ومن الطبيعي
أنني تأذيت من سماع ذلك الخبر لأنه كان مقرراً أن
يبدأ روى عمله في الجراج يوم الاثنين المقبل ، فاذا
كان الرجل لصاً حقاً فإن الأمر سيكون مشكلاً
لم يمس على عمل روى في الجراج غير أسبوعين
حتى أدركت أنني قد أخطأت في عدم إرساله به
إلى السجن عند ما كشفت أنه لص . فلقد ود
الفتى لصاً يجري دم الجريمة في عروقه ، فقد وجدته
يشرب الزيت فيعطي عملائي زيتاً رخيصاً بثمن مرتفع ،
كذلك كان يشرب في بيع البزنجي إذ يتقاضى من
الميل ثمن عشرة جالونات ولا يسطيم غير ثمانية
ولكن الضربة الأخيرة كانت عند ما غير مجلة
إحدى السيارات ثم أخفى بعض الأدوات الرئيسية
الخاصة بالسيارة ، حتى إذا سار الميل بسيارته قليلاً
و كنت قد كشفت السرقة جريت وراءه وصحت به
أن يعود لأنه قد نسي بعض أدواته

فنظر الرجل إلى روى نظرة قاسية وقال :
— أظن أنك أخبرتي أيها الشاب أنك قد
وضعت جميع أدواتي في مكانها من مؤخر السيارة
فلمسم روى بكلمات تفيد أنه قد نسي ، وسار
الرجل متبركاً بعد أن شكر لي
أما أنا فكنت واقفاً من أن روى كان يقصد
مأمداً أن يسرق هذه الأدوات . ورايت أن الأمر
قد وصل إلى حد يتطلب أن أتحدث معه ، فأخبرته
بأنني قد لاحظت ما كان يفعله ، وقلت له : إنني
عشت طوال عمري رجالاً أميناً وإنني معترفاً أن أسلك

فلم تجب لأول وهلة . ثم أقبلت نحوى جلست
على ساعد الكرسي الذي كنت جالسا عليه وخبرتنى
بتجربة محزنة مرت بها . فقد كان روى يلعب الورق
مع بعض الرفاق في الباخرة كل مساء
وقى ذات ليلة كان واقفاً على ظهر الباخرة
مائلاً على الحاجز ينظر إلى الماء وكانت ماريانا جالسة
على أحد الكرسي فوقت إلى جانبها سيدتان
لا تفران أن روى زوجها وجري بينهما الحديث ،
فكانت إحداهما وهي تشير إلى روى :

— أترين هذا الرجل الواقف هناك الرتدى
ملابس الثيل الأبيض ؟ لقد قال زوجي إنهم طردوه
الليلة الفائتة من على منضدة اللب لأنهم ضبطوه
وهو يشرب

فلمت حمرة الخجل وجه ماريانا عند ما سمعت
ذلك الحديث وشمرت بأنها قد أهينت وحقرت ،
وكان شرأ من ذلك أنها وقتت من صدق ما تحدثت
به السيدتان ، لأن روى نادى في الليلة التي ذكرناها
إلى غرفتها مبكراً على غير عادته ، وبدأ يحرق عدداً
كبيراً من أوراق اللب على شمة مشعلة ، فلما سألته
عن السبب فيها يفعل أجاب بأنه لم تمد به من حاجة
إلى هذه الأوراق بعد الآن . ولم يقل شيئاً عن طرده
من غرفة اللب

ثم قالت ماريانا :

— فلما سمعت حديث السيدتين أدركت أن روى
كان يحرق بعض (الآسات) الزائدة التي كان يدمها
في حزم الورق التي غش فيها
وأخبرت ماريانا زوجها بما سمعت فلم يزد على
أن ضحك وقال لها : أن لا تنهم بما سمعت فإن رفاقه
في اللب قد هاجمهم أن حظه كان موافقاً

نفس اخفى عن الرجل الذى ساقته الأقدار إلى طريقها...
وإذ علت ذلك كله ازدردت غداً مسرعاً وعدت
إلى الجراج حيث تركت روى فى هياج شديد ولست
أدري ماذا يمكن أن يفعل

ولما عدت إلى الجراج وجدت أمامه سيارة
عليها لوحة من لوحات ولاية بنسلفانيا ، وتبينت
أنها سيارة التاجر الذى سرق حافظة نقوده أمام
عيني ، فسرت لذلك لأننى أستطيع الآن أن أرد
الحافظة . ولكننى عند ما خطوت إلى المداخل رأيت
مشهداً غير عادي فى انتظارى ، فقد كان التاجر
شاهراً مسدده على روى متحدتاً فى الوقت نفسه
تليفونياً مع مركز البوليس . فأن توسط الجراج
حتى أمرنى الرجل أن أرفع ساعدى وأن أنف إلى
جانب روى . وكانت لهجة قوية ثابتة ، وكان طيبياً
أن أشر بأننى قد سمعت ، فقلت له إن حافظة نقوده
مى وإننى أريد أن أردّها إليه
فقال التاجر فى تهجم :

— ليس ثمة ما يدعوك إلى التسرع ، فاني
سأخذها من يد البوليس .

فاعتزمت على هذا الكلام وقلت له : إنه غلط
فيا تصوره وإننى مستمد للإيضاح . ولكنه نضح وقال :

— لقد ضمت من الايضاحات ما يكفي
لهذا الساء .

فالتفت إلى روى تريدواى ، فرأيت على وجهه
أمارة ارتياح غريبة ورأيت شفتيه ملتويتين اللواء
إجرامياً فى ابتسامة سقراء . ولم يقل الشئ كلمة
واحدة فى صالحى على الرغم من علمه ببراءتى ، بل

مسالك الأمانة إلى نهاية أيام حياتى ، وانهته بأنه
كان يريد سرقة هذه الأدوات

فهاج الفتى هياجاً شديداً وصاح هازئاً بأمانتى
قائلاً إنها هى السبب فى أن أعمالى لم تتقدم تقدماً
كبيراً . وقال أيضاً إنه كره حياته فى الجراج وإنه

قد اعزم العودة إلى المدينة متى توافر له شئ من
المال يستعين به على ذلك . فذكرته بوعده الذى تماقنا
عليه ، وقلت له إنه يستطيع أن يذهب إلى المدينة
إذا أراد ولكنه لا يستطيع أن يأخذ ماريانا معه .

وهنا تجدد هياجه فى صورة وحشية شريرة وتحدانى
أن أمنع ذهاب ابنتى منه إذا استطعت قائلاً إنها إمرأته
وأنه ينصحنى بأن أهتم بشؤونى الخاصة ، وترك
السكان فى وسط الحركة قاصداً إلى البيت للنداء

ومن حسن الحظ أننى كنت أعلم مما سمعته من
ماريانا عن سوء خلق زوجها فى الأسابيع الأخيرة
أننى مستطيع أن أقتنصها فى سهولة بالأنا تذهب معه
إلى المدينة . ولقد علت منها أنها فى الواقع لم تحبه
قط حباً حقيقياً فسردت ذلك سروراً شديداً .

وظهرت لى أنها كانت قد أخذت بمظاهره الجذابة ،
ولما كان الساء لا يتخرج بالزيت فقد أدركت ماريانا
حتى قبل أن تكشف ما كشفت من عدم أمانته ،
أن هناك هوة واسعة تفصل بينهما ، وأنهما ليسا من
نفسيلة واحدة . فلقد نشأت ماريانا فى بيئة متشددة
ضيقة التفكير ولكنها كانت أمينة شريفة بطبيعتها .

أما روى فكان شاباً عديم الخلق ظهرت ثقافته
حتى فى الأمور التوافه كالشئ فى ورق اللعب . وقد
كان من أثر هذا التفاوت بين الزوجين أن انصرفت

من مشاة قبل ذهاب إلى البيت للفداء . ولكن ما حيلتي وقد وقت في هذا الأمازق المخرج !

وحضر البوليس واعتقلنا نحن الاثنين !

وكان اعتراف روى في مركز البوليس كافياً لانهائى اتهامهما شاملاً بالاشتراك معه في الجريمة اشتراكاً تاماً ، فقد روى قصة شيطانية وصف فيها طريق تدبيرنا خطة الجريمة قائلاً : إنه أعطاني الحافطة على أثر ابتعاد التاجر بسيارته عن نظرنا

ومن حسن الحظ أن رئيس البوليس كان رفيقاً ماسونياً في الحفل الذى أتمى إليه ، وقد اشم رائحة الكيد في اعتراف روى تريدواى . وكان الرجل يعرفني منذ سنوات عديدة ويعلم أنني رجل شريف مستقيم ، وقد اعتقد أن تريدواى يكذب في اعترافه ولكن كيف السبيل إلى إثبات ذلك ؟ فهو حيال شكوى التاجر واعتراف تريدواى الذى يهمنى فيه مضطراً لأن يقينى في الاعتقال إلى أن تثبت الوقائع التى تبرر الافراج عني . وبدأ البوليس في الحاصل التحريات عن حياة تريدواى فظهر أنه قبض عليه عدة مرات في مدن مختلفة بتهمة تزوير أوامر صرف من بعض البنوك ، وأنه كذلك أهم في كثير من السرقات ، وهو فوق ذلك متزوج بامرأة تقيم في نبراسكا وقد هجرها منذ سنوات. إن ذنوبه من ابغى باطل بطبيعته ثم هو جريمة يماقب عليها

أما ملف سوابقي فكان نظيفاً ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن بد من أن أبقي سجيناً حتى يتم التحقيق وتقديم للقضاء . وقد رويت لرئيس البوليس كل ما حدث علي حقيقته وأظن أنه قد تبين خطر

(٤)

لقد كان على العكس من ذلك متيقناً بانسراكي في تهمة .

ولم يحول التاجر مسدسه عنا لحظة واحدة ، بل بقي مصوبه نحونا حتى انتهى من حديثه التليفوني مع البوليس ثم تلفت إلى وقال :

— لقد كانت لعبة محكمة جميلة ، ولم يخطر لي قط على بال أنكما أعدتاهما معاً ، على الرغم من أنني لم أكن رجلاً غيبياً ؛ ولكن من حسن الحظ أن الجريمة التى وقتت على مكنتني من الحصول على رخصة يحمل المسدس ، ولقد أخبرتك من قبل أنني لا أنسى أبداً الوجوه التى أراها مرة ، فلم يقع نظري على هذا الرجل حتى تذكرت كل ما حدث

فقلت في شيء من الضعف :

— إنك غطيت ياسيدى فانا لم تكن لي يد فيها حدث

فقال الرجل في هدوء :

— الآن سأقول : واحد

وهنا تلفت إلى تريدواى وقلت :

— قل له الحقيقة فانك تعلم أن لا بد لي من السرعة لخديجي روى بنظرة خبيثة وقال في لهجة العداء والتحدى :

— لا قائدة في أن تنكر أننا كنا متفقين يا أبى فليس الرجل أباه ولا غيباً

وهنا شعرت بدوار شديد يستولى على حواسي فبهكذا كان أسلوب ذلك اللص الشقي في مكافأتي على إحساني إليه وشفقتي عليه : لقد أشركتني في تهمة . إذن كان هذا هو انتقامه مني لما كان بيننا

القول الحق ولكنها ابتسمت ابتسامة أشبه بالفرح
وقالت :

— إنه لا يعرف مقدار بنفي له ، فقد لُزمت
الهدوء في حياتي معه ولم أشتبك معه قط في نزاع ،
فأنا أعرف كيف أنزع الحقيقة منه ، وهما أنا ذى ذهابه
لأفضل ذلك

وبهذه الكلمات تركتني مارينا أسائل نفسي
كيف تستطيع حل ذلك التبرير على الاعتراف بالحق
وأنا أقل هنا ما حدث بعد ذلك عن لسان
رئيس البوليس واثنين من المفتشين فيظهر أن مارينا
قد ذهبت مباشرة إلى الرئيس وارن فأخبرته أنها
تريد مقابلة روى تيردواى لتحصل منه على اعتراف
بميل الحقيقة في موقف أبيها . فأجابها الرئيس بأنها
تعرض لهمة شاقة لأن تيردواى متشبث بأقواله
وليس في مقدور أحد أن يزحزحه عنها .

ووكذ الرئيس لمارينا أنه طرف بأبني مظلوم
في هذا الاهتمام وأن حمايماً ماهراً يستطيع أن يظهر
الحقيقة أمام القضاء . ولكنها رجته في أن يسمح لها
بالمقابلة وأن يسمح لاثنتين من رجال البوليس
بالوقوف في سجن مجاور لسجن روى ليسما يجرى
بينها وبينه من حديث . فوافق الرئيس على طلبها
وهو قليل الرجاء في نجاح مهمتها ، لأنه بالطبع
لم يدرك أحد مبلغ مهارة ابنتي وحديثها ، فإن قراءتها
لجميع صحف الدنيا التي كتبت أحضرها لها لم تذهب
عينا ، ثم هي كانت دائماً راغبة في أن تلتحق بالمرزح
ولما دخلت مارينا على زوى في سجنه وجدته
جامداً مضموماً ، ولكنها لم تلبث أن أنمشته في مهارة

مركزي في الاهتمام على أنه يجب من وضئ كل
ما وضعت من قشة في لص ، ومن رأيه أنني أستحق
الوقوف في هذا المآزق لأنني لم أسلم تيردواى للبوليس
في الحال عند ما عرفت أنه لص
ومن الطبيعي أن تجزع سوزان وإسمائي
عند ما اتصل بهما خبر سجنني ولم يفكرا إلا في المار
الذى يلحق بهما من جراء ذلك وأن تكونا متحقتين
من بطلان التهمة الموجهة إلي ، وبدأنا نعملان مارينا
مسؤولة كل ما حدث ، نرواجها من تيردواى ،
ولكنني تدخلت في الأمر بحزم وطلبت منهما ألا تريدنا
في متاعب مارينا بمثل هذا اليوم

وجاءت مارينا لزيارتي في سجن المقاطعة وكان
قلبي ينقطع حزناً على ما أصابني ، وقد رويت لها
كل ما حدث ، فاقبلت فتورها نحو تيردواى إلى
بنضاء عديدة حين عرفت كيف جعد جميل وتكرر
لاحساني وشفتي عليه ، وقالت إنها مسرورة لأنها
أن ذلك اللص الشقي امرأة على قيد الحياة فإن ذلك
يجعل زواجه منها باطلاً بطبيعته دون حاجة للاتجاء
إلى قضايا الطلاق النتية

وطلبت من مارينا أن تتصل بمحام كبير للدفاع
عني فخطر الاهتمام الوجه إلى والظروف الخاصة
المحيطة بالقضية من جراء اعتراف تيردواى ولكنها
رفضت رأسها حاليك وقالت في لهجة حازمة :

— ليست بك يا أبي من حاجة إلى محام
وتتطلبون متراحك قبل المحاكمة فساحل أنا ذلك
اللص على الاعتراف بالحقيقة

فمررت لها أن لأمل هناك في عمل روى على

الفرصة التي تطلعت إليها في رحلة هافانا ، غاية مخلوقة
أكون أنا إذا لم ألق إلى جانبك يد أن علمت بذلك ؟
على أنه إن كان هناك ما يحزنني قليلا فهو أن أبي
قد اشترك ملك في هذه المناصرة ، لقد كنت أود
أن تكون أنت وحدك الذي عرضت نفسك للخطر
في سبيل إرضائي وإسعادى

وما سمع ترييدواي هذه الكلمات حتى اندفع في
غير وعى إلى الشراك ، قد قال على مسمع من رجل
البوليس الواقفين في السجن الجاور لسجنه يسجلان
أقواله :

— أصنى إلى يا ماريانا . إننى قد تشاجرت مع
أبيك حين أراد أن يفرق بيننا ، هناك أشركنه في
التهمة مى ، ولكن الواقع أنه لم يشترك مى في السرقة
قد غارت هذه المناصرة وحدى ، ولكننى أريد
الانتقام منه . هناك سأركه يشاركنى العقاب
ودفعه الزنور إلى المباحة بمنافرتى في سبيل
إرضائها ثم قال :

— وموضع الفكاهة في هذه القصة أننى لم
أكن أحل مسلما عند ما هاجمت الرجل ، ولم يكن
في يدي غير مفتاح انجليزى ، وقد اضطرت أن
أضرب به أباك على صدغه ، على أنه بقى في يدي فخذ
ما هربت ولا يزال عندى إلى الآن
كان ذلك كافيا ، فلم ينته ترييدواي من هذه
الكلمات حتى دخل رجلا البوليس إلى سجنه
فطوقه . ثم التفتنا إلى ماريانا وقال :

— لقد أحسنت كل الاحسان أبنتا السيدة
الضئيرة

ومفهوم بالطبع أن ترييدواي لم يكذب بيقين الدور

تامة إذ طوقته بإساعديها وأخبرته أنها أسفة لعدم
استطاعتها زيارته قبل هذا الوقت ، فقد حبسها أمها
في غرفتها منذ اليوم الذى قبض فيه عليه وعلى أبيها .
والحق أن روى كان شديد الحاجة إلى من يحوطه
بشيء من العطف وقد سقته ماريانا جرعة وافية
من عطفها وحنانها .

ثم بدأت الفتاة تلعب دورها ، ومن حسن الحظ
أن روى لم يكن قد عرف بأن البوليس قد تحررى
من سوابقه ، وأن ماريانا قد علمت بأن له زوجة
شرعية على قيد الحياة . وكان الفصل الأول الذى
مثلته إظهارها الغضب على ، فقالت إنها ماركتنى
عرا كما شديدا لأننى رفضت أن أسمع لها بمراقبته إلى
المدينة بعد تركه عمله في الجراج . ثم أردفت
ذلك بهذه الكلمات :

— كأنه يستطيع أن يفصلنا أحدهما عن الآخر ،
ويودى أن أرى ذلك المخلوق الذى يستطيع أن يفرق
بيننا . لقد قلت لأبى إننى مستعدة أن أذهب مع زوجى
إلى أى مكان يريد الذهاب إليه ، قلت إن روى هو
زوجى الذى أحبه ويحبى وإنى واثقة أن ليس في
الوجود من أحد يمكنه التفريق بيننا

وابتلع خروبر ترييدواي كل هذا الملقى ، ثم مضت
ماريانا تنفذ بقية خطتها ، وكان روى قد تأثر تأثرا
شديدا بأخلاصها وولائها له فقال إنها ملاك في وقوها
إلى جانبه

فقالت ماريانا قالبة أوراها الأخيرة :

— ولم لا ألق إلى جانبك ؟ ألم تعرض نفسك
للخطر بارتكاب جريمة السرقة حتى لا تقطع على

الذي مثله ماريانا ويرى نفسه قد اندفع في بلاهة إلى الشرك الذي نصبته له ، حتى هاج وناز داخل السجن راميا ماريانا بكل ما في القاموس من ألفاظ السباب مكرواً : غائنة خائنة ..

لقد كان ما حدث ماريانا عنة ونجمة من تجارب التقدر ولكنها خرجت منها ظافرة . وقد أفرج عنى في الحال بعد هذا الاعتراف الجديد الذى سجله أحد رجل البوليس وشهد عليه زميله

وروى تريبواى يقضى الآن مدة الحكم الذي صدر عليه في سجن الولاية . على أنى بعد الذى حدث لم أنقذه تقضى في الطبيعة البشرية ، ولا أزال مستمداً لأن أهى فرصة الإصلاح لأى إنسان ،

ولكنى قد أدركت شيئاً آخر هو أن من المستحيل إصلاح مجرم متمود الاجرام مثل روى تريبواى أما فيما يتصل بماريانا فاني واثق من أن بعض المخرجين لا بد أن يكون في حاجة إلى مثلها ، فقد برهنت على كفايتها للتأدرة في تجميل المأساة ، وقد وفرت على نفقات المحامي الكبير ووقفتى عار الوقوف أمام المحكمة . وإنى لأتساءل غالباً : أليست ابنتى أرق طبيعة من أن تحتمل التجربة التي مرت بها في الحياة وإنما لم أكن أنا بعد كل الذى حدث قد أصبت في عدم إخبارى ماريانا بما عرفته من أمر زوجها قبل سفرهما في رحلة شهر العسل !

عبد الحميد محمدى

بنك مصر

انقذت الجمعية العمومية العادية لمساهى بنك مصر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٣٩ بدار البنك بالقاهرة . وبعد التصديق على تقرير مجلس الادارة لسنة ١٩٣٨ اعتمدت الحسابات عن السنة المذكورة . ووافقت على صرف مبلغ اثنين وثلاثين قرشاً أرباحاً لكل سهم مقابل تقديم الكوبون رقم ١٨ ابتداء من يوم الاثنين ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ إلى مركز البنك الرئيسى بالقاهرة أو فروعه بالأقاليم . وبما أن الكوبون المشار إليه هو آخر كوبون ملصق بالأسهم فترجو حضرات من يحفظون لديهم أية كمية من أسهم البنك أن يقدموها لمركز البنك الرئيسى بالقاهرة ابتداء من يوم ٣ مايو سنة ١٩٣٩ لالصاق كموب جديدة بكوبونات أخرى .

وستحجز من قيمة الكوبون ضريبة الحكومة بواقع ٠.٧٪ مضافاً إليها خمسة مليات عن السهم الواحد نظير إلصاق الكموب الجديدة .

عضو مجلس الادارة للتدب

محمد طلعت حرب

الملوك

للقصصى التشيكي كارل كابل
بقلم الأستاذ إبراهيم حسين العقاد

وراح يذرع حجرته جيئة
وذهوباً واللقاق يسود نفسه لفساد
برنامج أعداء لقضاء ليلته... لقد
أراد أن يقضها مضجعا على القعد
الطويل والكتاب في يده وضوء
الصباح المزيل يداخل نفسه
بروح من الهدوء والاستقرار..
يا للمجب ! لطلاب برم بهذه

الضجعة وكرهما في نفسه ولكن... لأى سبب
تراه قد أحبا الآن ؟ أى سر غامض جعل هذا
الاحساس يسوده فيحب وحدته ويفضلها على كل
شئ وبخاصة في هذه الليلة التي وصلته فيها البرقية
التي أمسك بها في يده وهو تحت سلطان الفكرة
الجديدة الطارئة فغلبته رغبة من طفولته القديمة
وسرعان ما كان يمزحها إرباً ؟ !

ما أسرع ما يغيرنا الزمن . وما أقصرها فترات
تلك التي يجملنا فيها تتحول من حال إلى أحوال !
لقد تغير إحساس الشاب عند ما كان ينتظر في ذلك
الجو الرطب مقدم القاطرة التي تأخرت عن موعد
وصولها... سادته إحساس من الأسى والرأى إذ كان
كل ما حواليه يوحى بالفاقة والفقر والبؤس... تلك
أشياء لمسا بحسمة في وجوه أولئك المنتظرين هباء
أو القادمين وقد مستهم الضراء وعبث السكالك
بأجسادهم المزهلة المرهقة

ووسط زحام جوع القادمين استطاع أن يشعر
كيان شقيقته الضامر وأن يلمح وجوها للشاحب
وعينها الشاردتين وهي تميز متهالكة نجر وراءها
حقيقة كبيرة، جعله مرآها يستند أن شيئاً ما قد دم
شقيقته الممزقة

فلبه الماء ثائية وهو يتناول غذاءه وأحس
رأسه يكاد يتفجر فأسنده إلى راحة يده في الوقت
الذي انسحبت فيه مدبرة البيت رائية له وقد آتت
تذكرة مضجعا على القعد الطويل ناعماً — كما خيل
لها — راحة كانت في الواقع عذاباً كابد السكين
قسوته . قلبه غير منتظم الضربات وممده قد
استحال في ثقلها حجراً ، وشمر وقد خارت منه
القوى رغبة في النوم ولكن... آه ! لو أن الكري
وأنه وكل السهاد عينيه !

وصرت ساعة حادت بعدها مدبرة البيت تدق
بها لتمطيه برقية فضها مسرعاً وقرأ :

٤٠ - ٧ × ١٠ - ١٩ أصل الليلة

« روزا »

أية ليلة تراها هذه الليلة ؟ تلك كانت الفكرة
التي شغلته والتي وقف حيالها في حيرة والبرقية
في يده محاولاً أن يفسر طلاسم أرقامها ؛ وبسجد
استطاع أن يفهم أن شقيقته المتزوجة روزا ستصل
في قطار الليل وعليه أن ينتظرها قريباً حضرت
لشراء بعض حاجاتها ولكن... لمن الله تقيصة
التمسح في خلق النساء ! إذ حرمته دون مبرر بعض
راحة كان ينشدها

أرغم على سماعها خاصة بطريقة الزوج الميشية وكيف يتناول الطعام ويقابل بالشر ماتسدية زوجته إليه من الغيرة، وإذ لالهالها ثم وتغديرها والمشاكرات التي تنشب بينهما في وحشية، وأحسن السكينة بموجات من الاشفاق تطني عليه تغيل إليه معها أنه من الذين أن يتحمل كل هذا دون أن يمتج أو يجرى ساكنا

ونظر من خلال أساه إلى تلك الشابة السكينة المهدمة التي غلبها الضنى وأدوى عودها المم وهي التي ما عرفت الخنوع ولا رضيت الهانة وعاشت مدلة محبوبة ثورية ذات كبرياء وأتفة ... هذه الفتاة التي كانت تناقض ولا تخضع لأمرى، والتي كانت حينها متوهجان يبرق لأمع يمر عن الدكاء ... السكينة ! تجلس الآن وقد جرحها سيول الحزن وفاضت مدامها وتهدج صوتها الطروب حتى كانت تتكلم بصوتية لم تحتملها أعصاب جورج الذي صاح يريد إسكانها وهو يثالب أحاسيسه الرائية :

— كفى ... إننى أعرف كل شيء

وغارت قوى السكينة ولم يستطع إتمام حديثه في الوقت الذي زاد فيه نشيج روزا وهي تقول :
— لا تقل هذا ... إننى ضالة في هذه الحياة، وليس لى في هذه الدنيا سواك

واتسع المجال للبكاء فلا صوتها وهي تقص مأساتها وما حدث لها وصوتها يتلون مع رهبة الحوادث وقصوتها ... ونجاة توقفت عن البكاء وسألت شقيقها :

— وأنت جوزج ... كيف حالك ؟

— بالنسبة إلى أعترف لك أنى لا أستطيع

واستقل الشقيقان حرية أسرعت بهما إلى البيت دون أن ينسى خلال الطريق أن يمرض عليها البيت في فندق يستأجر لها إحدى حجراته إيماناً في توفير راحتها ولكنها لم تجبه إلا بسيل من الدموع علقته بعض قراته بأهدابها فأمسك يدها الضامرة بيده وراح في حنان يربت عليها . ولكن كانت سعادته عظيمة عندما اكسب وجه السكينة بانسامة مشرقة وهي تنظر إليه نظرة الممتنة الشاكرة ولكن سرعان ما تغير كل هذا عند ما وصلا المنزل وجلست روزا على المقعد الطويل تحوطها الرسائد ... كانت بداية الرحفة شاردة النظرات تاريتها مرشحة للشفقين مما روع شقيقها فأقبل عليها مستفسراً طالباً منها أن تكون في حديثها أكثر هدوءاً خشية أن تمزق سكينة الليل وهي تكلمه في عصبية نائلة :

— أقول لك إنى فردت ... هربت من زوجى ... آه ! لو أنه كان في وسك أن تتصور مدى آلام فقال كنت أنوء تحتها ولكن لا ... إنك لن تستطيع أن تصدق كم كان يكرهنى ... أخى ... لقد فردت ... هربت من بيت الزوجية وأنتيك طالبة نصيحتك وإرشادك ...

واففجرت السكينة تبكى بدموع غزيرة بينا نجهم وجه شقيقها جورج، وراح يحضو داخل الحجرة في عصبية ثائرة تصور خلالها حياة أخته مع زوج لا خلاق له يتمدد قريبا وإهانها أمام الخدم ... لا يعرف غير ملاهيه وملاذه يجرى فيها ويصول ثم يقرر ويثل يده إلى عنقه إذا ما طالبته زوجته السكينة ييمض ضروريات الحياة ... أية قصة تراها تلك التي

— كلا... أنت لا تعرف كيف كنت أعيش...
 أى آلام كابدت حزانتها وأى تقريع كان يوقر
 أذنى ويضئ جسدى من أجل القلعة التى كنت أتبلغ
 بها أو الكساء الذى كان يسترنى ... لا أستطيع
 أن أعمل !! كلا أنا واثقة من قدرتى على العمل
 وسترى بنفسك كيف سأخطو بنجاح وكيف
 سأكون سعيدة فى حياة أنجيليا مظلة بالهدوء
 والأمن... سأجدراحة النفس فى كسرة جافة أمسك
 بها رفق وهدوء الضمير فى مكان خشن أوى إليه ...
 شجنى بكلمة ... قل إنه باستطاعتى أن أصبح إحدى
 النساء اللاتي يملن وبجاهدن من أجل الحب ...
 وحتى لو ما كنتى الظروف سألتحق بأحد المصانع ..
 ها أنت ذا ترى أنى عدوت للأمر عدته تماماً ...
 أينها السموات الرجيمة !! أى أمل براق هذا
 الذى جملته بداخل نفوساً عظيمة !! لقد أحس
 جورج بالحجل يحمله إذ كان ينظر إلى العمل نظرة
 غريبة حورتها هذه الفتاة المشبوبة الحواس ...
 هاهى ذى تموداً هواماً إلى الوراء .. إلى أيام طفولتها ..
 إنها لا بد مصيبة كل نجاح ... بل كيف يقدر لى لها
 مثل هذا الروح أن تلقى الفشل !!
 واستطردت روزا ثانية تقول :

— سأغامر وإنك لترانى مقدمة على هذه
 المناصرة ... لن أقبل مساعدة من مخلوق وسيكون
 فى وسى أن أربح وأن أزن مائدة طماى يبيض
 الأزاهير ... وحتى هذه الأزاهير إن عز على نيلها
 سأكتفى بأن أراها وأن أجتاز الطرقات ... أية
 أحاسيس طاغية غمرتني بالهدوء عندما ما استقر رأيت

الشكوى ولكن .. بالنسبة لك .. هل تنوين المودة
 إليه ثانية ؟ !

— أنا .. أعمال ... هذا مستحيل لى يحدث
 بل إنى أؤثر الموت على ذلك ... آه ! لو أنه كان فى
 وسلك أن تمسود أى حياة كنت أحبها !

— حسن ... ولكن انتظري ... فى هذه
 الحالة ما الذى تنوين عمله ؟

لقد فكرت فى هذا قبلا ... سأقوم بمهمة
 التدريس أو ألتحق بأى عمل ما ... لا تجب فإن
 الزمن كفىل باقتناعك أنى مستطية النجاح فى عمل
 وبأنى سأكون سعيدة إذ أربح قوتى بنفسى ...
 لست أطلب إلا نصيحتك وتشجيعك .. أما مسكنى
 فسأجده سرياً فى أى مكان ولكن فكر مى قليلا ..
 ونهضت من مكانها فى عصبية وراحت تدرع
 الحجرة إلى جانب جورج وهى تمدنه قائلة :

— إن المقولات القديمة التى تركها أبوانا
 ستكون من نصيبى ... لا تنتظر إلى هكذا حتى أتم
 حديتى ... لست أريد شيئاً ولكنى أريد أن أعيش
 فى هدوء وسلام غير عابثة بكونى فقيرة ، لأن أقل
 فىء سأجد فيه كفايتى ما دمت بعيدة عن ذلك
 الجو ... إن العمل هو غايى وإليه أسيو ... سأغنى
 فقد مر زمن طويل لم ترد فيه شفتاى أى لحن ..
 بهورجى ... آه لو تعلم !

— تطرقت أبواب العمل !! إننى فى شك من
 تحقيق ذلك بل إنى أؤكد لك أنك لست مستطية
 هذا لأنه فىء لم تمتد نفسك ... ستجدن العمل
 صعباً ... صعباً جداً يا روزى

ولما وأن يشد أزرى لأقوم بعمل عظيم .
 كان الأب في تلك الليلة غارقاً في نوم عميق بينما
 كان الأخ يستشعر الظلمة في نفسه فضم الصغيرة إليه
 ليحميها في صدره إذ كانت ترتد من برد الليل وهي
 أحلامها ... وهو ينجح من السماء إلى الحديقة وعلا
 صوت الصغيرة روزا تقول « جورج ... » وأجابها
 أن نعم وهو يفكر في نفسه في ذلك العمل العظيم
 الذي تمنى القيام به ... أيها الخلوقة المسكينة
 للنمسة ... أي عمل جليل هذا الذي تحلمين به ؟
 إنك إذ تحلمين بالهدوء تبذرين الراحة وتحملين كنفك
 الرقيقين من الانتقال والمهوم ما لا قبل لهما بحمله ..
 نعم إنك لست بالقادرة على شيء وحتى لو أردت
 أنت تعدي يذك لصرحي البرؤس لجرتك أيديهم
 إلى المحاوية .. وسمع وهو في وقفته تلك هس الصغيرة
 وهي تناديه ثانية : « جورج » قالت لها قائلة :
 « أنصتي إلي .. لقد فكرت في الأمر فلم أجِد من
 الأعمال ما يليق بك ... إن هناك أعمالاً كثيرة ،
 ولكنك لست مصيبة منها الريح الذي تبغين .»

وأجابته وهي في هدوء :

— سأرضى بالقليل

— كلا ... انتظري لحظة لأنك لا تعرفين
 معنى قولك .. ها أنت ذى ترين أنني سعيد بميل قانع
 بمرتبي ، بل وفي وسى أيضاً أن أحصل على عمل
 آخر « بعد الظهر » ولكنى لا أريد لأني لا أعرف
 أي عمل سأمارس ولما أعرض عليك بعض المال
 — أي مال تمنى ؟!

— سأتنازل لك عن نصيبى في أرباح تركه

على الحرب ... للفرار من ذلك الجحيم الذي كنت
 أعيش فيه ، وما أريد الفرق بينه وبين حياة بدأت الآن
 أراها طاملاً احتلت خيالي وتفكيرى ... كم أنا سعيدة !!
 — أيها الجنونة الصغيرة ، إنه ليس بالأمر السهل
 ما تفكرين فيه ... سنفكر سوياً ولكن ... عليك
 أن تريعى الآن جسدك المرهق على ألا تتحدثي
 في هذا الأمر وتتركينني إلى وحدتي فإني بمض
 أفكار . وحتى إذا ما طالنا الصباح الجديد بأضوائه
 صارحتك برأي في الأمر الذي تنتوين ... اذهبي
 الآن لتتناهى .

كان من اللعب إقناع روزا باحتلال فراش أخيها
 إذ سمعت على قضاء ليبتها نائمة على القعد الطويل وهي
 في كامل ملايسها ، الأمر الذي لم يجد جورج منه
 إلا موافقتها ، فذرها بكل ما لديه من غطاء دق ثم
 أطفأ المصباح ، فساد الهدوء السكن إلا من هيجات
 صدرها التي كانت كمن تستصرخ السماء مطالبة بالرحمة .
 وفي دعة فتح جورج النافذة لتنمر الحجرة
 نسبات هذه الليلة الهادئة من ليالي أكتوبر وقد
 صفت السماء وراحت النجوم تلعب على صفحاتها ...
 وجرت به الذكريات إلى الماضي أشواطاً بعيدة ...
 تذكر ليلة ما وما سثيران : هو وروزا ، وقد وقفا
 مثلثاقلين إلى جانب النافذة في إحدى الليالي الباردة
 يرقبان الشهب وهي تنتقل من بروجها وقد جسل
 جسد روزا هتزاز عث رباح الليل به ... إن صوتها
 للساذج الخنوف ما زال يتردد في سمعه وهي
 همس قائلة :

« عند ما ينهى نجم ساعتي على الله أن يمجلى

بقدمك ... أنظري إلى السماء الصافية رسمتها لآل
النجوم الدرية ... ألا يسيد صراخا إلى خيالك ذكرى
ليلة وقفنا فيها صغبرين إلى جانب نافذة بيتنا نرقب
النجوم وهي تهوى ؟

وحولت وجهها عنه وقد حرته صفرة رهبة ،
ونظر إليها فروعه ذلك البريق الخفيف الذي انقدت
به عينها وسحما تقول :

— كلا ... لست أذكر شيئا مما تقول ، بل
لا أحرف للآن أى شيء يجعل هذه الذكرى حبيبة
إلى نفسك ؟

وفلته الفرحة وهو يقترب منها سميذاً وقد
جمل عر براحته يده على شعرها الأملس وهو يقول:
— دعي الآن حديث المال ... ما كان أترك

عند ما فكرت في الحضور إلى هنا ... أيتها السموات
كم أما سميذ لأن النافذة انشقت من بين المرايا
المديدة ... هل تتصورين هذا ؟ لم أكن أعلم أنني
نفسى حتى لقد برمت بها ... أتذكرين ؟ أترك
تذكرين ليلة تساقطت النجوم فيها ... ما عساها
كانت أميتك التي أردت ؟ وهذه الليلة ... أمة
أمنية تجول بخاطرك لو هوى نجم .. أى شيء
تطلبين ؟

— شيء ... لا ... وأطلب شيئا لك ...
حدثت تمنياد ، أطلب من السماء أن تحمقه لك

— ليست لي مطالب ولا رغبات ، وإنى
أشكر الله على ذلك يا روزا .. والآن .. هل فكرت
في شيء ؟ أنتظري حتى الغد فاستأجر لك مسكنا
يشرف على مناظر بهجة ... إنك لن ترى من هنا
(٥)

والهى ... إنه مبلغ تحصلين منه على إيراد سنوى
بماخ خمسة آلاف جنيه
وهبت الفتاة صارخة :

— هذا مستحيل
— أوه ! لا تصرخى ... إنها الأرباح فقط
فأذا لم تريديها فبوسمك عدم صرفها

— وأى شيء سيتبقى لك أنت بعد ذلك ؟
— لا تهمنى بهذا ... كثيرا ما غلبى الخجل
على أصري من العمل « بعد الظهر » ... والآن ...
هذا المال يضابقى وجوده فهل تريدينه أم لا ؟

واقتربت الشابة من شقيقها ثم طوقت عنقه
بذراعها وقربت من وجهه وجهها المندى بالدموع
وقالت والفرح غالبا :

— جورج ... لقد قبلت ما عرضته على وهو
شيء ما فكرت فيه ... أقسم لك أنى لم أكن أنتظر
منك أى مساعدة ولكن ما دمت أنت تريد ...

— دعي هذا الآن فليست له الأهمية التي
تظنين ... إن هذا المال يا روزا ليس بنى الأهمية
بالنسبة إلى ... يجب على الرجل أن يعمل ... إلا أنى
أعود لأسألك : وماذا عسى أن يصنع رجل واحد؟
إن الطوائف والتجوال هما طال به أمرهما فانه
لا بد عائد مرة أخرى إلى نفسه ... إنه لأشبه
ما يكون بإنسان تحوطه المرايا من كل جهة بحيث
لن يرى إلا صورته التي تنطق بالوحدة ... أه أيتها
العزيزة لو أنك تعرفين المعنى الحقيقي من كل هذا ؟
لا . لا يا روزا ، لن أجعلك تصورين كل هذا المحول
بل أرى أنه من واجبي أن أعترف لك بأنى سميذ

عينها على ثقب في البساط ونظرت إلى جورج فجري
دم الخجل في عرقه وهي تسأله :

— وإذا روزا هنا ؟ لقد تركت بيت زوجها
لأنه كما تقول يعتمد إهانتها ... قد يصح وقوع هذا
ولكن ... لا بد لكل شيء من سبب ... لقد كان
زوجها ملء الحق في كل شيء فله ... إن روزا ...
لست أدري بم اسمها ... إنها ليست بالصالحة لكي
تكون زوجة ... لا أولاد لها ولا عمل ولذا لا تراها
تتهم إلا ... بنفسها ... إنها مبذرة جملة السكين
زوجها يفرق في الدين ثم تركته ... ألم تلاحظ
ثوبها ؟

— لا ...

— إنك لا تعرف كم يساوي ... إنها تشتري
الفراء بالآلاف الجنيهات لتبيسه بميض الثبات كي تشتري
بها أحذية ثم تخفي قوائم المطالبة بالدفع فتصلهم
الإنذارات ... ألم يسلط نأ هذا ؟

— كلا . فإني تملين أنه لاصلة تربطني بزوجها
— إنه غلوق عجيب ... يشور عند ما ترك
نوبه دون إصلاح وتفتن هي في زينتها حتى تبدو
كأحدى الموقات ... تنشى المجتمعات وتصابح
الرجال و ...

— كفى ...

— ربما تكون قد أفتنتك بأنها ستقوم بتدبير
شئون منزلك فجعلتك تترك مسكنك إلى آخر أكرأكثر
بسة ... إنها ليست في حاجة إلى كل هذا لأنها
أحضرت معها إلى هنا ... ضابطها ... لقد صدر
أمر بنقله إلى براغ ولهذا هربت من بيت زوجها

سوى فناء البيت ، ولكم يحز في النفس ألا تنم
دواماً برؤية السماء وما على صفحاتها من نجوم لامعات
وغادر الحجر وقد غمرته أحاسيس غريبة بين
صور باسمة للمستقبل وسعادة موانية ، ثم عاد إليها
ثانية فأنقذ روزا وقد داعب الوهن جفניה وهي تنظر
ناحية قرية هادئة ، فراح في نشوة من غيبته
يتصفح الصحف لعله واجد فيها مسكناً جديداً
يرضها ... وهكذا ظل حتى طالع الصباح وهو
بأفكاره جد قرر ...

وبدا جورج حياة جديدة وانتقل إلى مسكن
جديد واعتاد أن يؤدي الكثير من الأعمال الإضافية
التي أرهقته بأدى ذي يده ولكنه اضطر إلى احتياها
إذ كان يسمع صوتاً داخلها يقول له : « تحمل لأنك
لا تمش لنفسك فقط بل من أجل غيرك » حقاً
لقد كانت تلك حياة جديدة بالنسبة إليه ...

وحل على جورج في يوم من الأيام ضيف جديد
كان أخته الأخرى تيلدا المتزوجة من أحد أصحاب
المعامل القريبة من المدينة والذي لم يصب في عمله
نجاحاً كبيراً . وقد اعتادت كلما حضرت إلى براغ
أن تزور جورج فتقص عليه من سيرتها وسيرة
أبنائها الثلاثة الصغار الشيء الكثير حتى لكان
العالم قد أقفر عن فيه إلا أطفالها ... ولكن زيارتها
هذه كانت غريبة روخته ، فقد قلبه هلماً وذهبة ،
إلا أن الهدوء داخله سرياً عند ما علم أن الأولاد
الثلاثة بخير ، وأن العمل يسير من سي إلى أسوأ
وأنها حضرت إلى المدينة لتبحث عن قبل أن
يشتره ... ونظرت حولها نظرة غريبة ثم استقرت

— ثم أنت يا جورجي ؟ كيف ... ما أكثر
ظلمة هذا المكان ... أين أنت ؟

— كنت مشغولاً ...

— أنصت إلى ... لقد فكرت أن أتيتك هنا
مباشرة ولكن فكرت في أنك ربما لم تند إلى البيت
— لماذا ... وأين تظنني ؟ أكون ؟ أعلن

أنك أنت لم تكوني في بيتك

— أي مكان تظني كنت فيه ؟ ما أجهل مسكنك
هذا وما أشد فرحى لأني معك ... تعال ... تعال
واجلس إلى جانبي ... انني سعيدة ...

وأستند وجهه إلى فرائها الذي تندي برطوبة
الخرشف وقال يحدث نفسه « لعلها ذهبت إلى مكان ما
فاشأني أنا بذلك ؟ » ، ولكن ذلك لم يكن دامياً
ليدخل الهدوء نفسه إذ جعل قلبه يدق مرعاًفاً
فأخاف روزا وقالت 4 :

— ما الذي حدث ؟

— لا شيء ... لقد زارتني اليوم تيلدا ...

— تيلدا ... وتحدثت معي ؟ ما الذي نقلته
إليك ؟ تعال ... تكلم ... إنها ولا يد سبني لك ...
ما الذي قالته ؟

— لا شيء قلت لك ... بعض أخبار صغيرة

وانفجرت الشابة باكياً موهة وهي تقول :

— المحلوة للفترة التي ما أحست طوال حياتها
بمحوي إلا بالفترة. وماذا عساى فاعلة إزاء هذه الظروف
التي تناصبني المدا ... إنها ولا يد قد أنت عند
ما حرفت ما فعلته من أجلي وما قدمت لي من المال،
وإنني أقسم لك أن لو كانت هي وزوجياني بمحوسة من

وحضرت إلى عنا مع عشيقها ... إنها دون شك
لم تحبرك بشئ من هذا

— تيلدا ... إنك تكذبن

— حقن بنفسك هذا الأمر ... إنك طيب

القلب ولولا حبي لك ما صارحتك ... إن روزا لم
تتم بك في يوم من الأيام حتى إنها قالت عنك أنك ...

— كفى ... اذهبي ... اذهبي أتوصل إليك
واتركي أنتم همدوءاً تطلبه

— سأذهب ولكن ... إن المكان هنا قذر
وجديرك أن تبحث عن آخر أكثر ملائمة لك ...

إنك لترى الظلمة تسوده ... هل أرسل لك ...
— لا ... لست أريد شيئاً

— حسن ... أنا ذاهبة ... إلى اللقاء يا جورج ...
واختورت الرعدة بينه المهوم وجف حلقومه

وحاول دون طائل أن يؤدي أي عمل فلم يجد سوى
أن يحطم القلم ويمزق بعض الأوراق، ثم غادر مسكنه

ذاهباً إلى البيت الذي اتخذ من أحد أقسامه مسكناً
لشقيقته روزا، ولكن مديرتة أخبرت جورج أن

السيدة الصغيرة قد خرجت منذ الصباح ولم تند وإن
كان لديه خبر فستحمله لها، ولكن الشاب التأثر

تركها دون كلمة وحديج نفسه كمن يحمل على كتفيه
أثقل الأحمال حتى وصل مسكنه فوجأ به وجلس

إلى نضده محاولاً أن يعمل ولكن الساعات صرت
دون أن يفرغ من الصحيفة التي أمامه كما أن الليل

خيم دون أن يفكر وهو في جلسته أن يوقد المصباح.
وأخيراً دق الجرس دقائق مرحة ولم تمض لحظات

حتى كانت روزا أمامه تنقسم في حنان وهي تسأله :

الزرق ما فكرت في طرق بابك أو التحدث عنك
كأنسان تربطك بها وشيجة الرحم... إنها تريد كل
شيء لها... لأولادها... هؤلاء الملاعين الصغار...
— لا تطرق لهذا الحديث بلأ وكني من ذكر
هؤلاء جميعاً ...

— بل، إنها تريد أن تفسد على كل شيء وأن
تحمّل حياتي بل إنها لم تكذب تلم بما أسسته هنا من
هدوء بل وراحة حتى أنت تنفص على عيشي ...
صارحني ... هل صدقت ما قالته لك ؟!

— كلا ...

— أنا لم أكن أطلب من شيء سوى أن
أستثمر حربي ... أوليس من حق أن أُنشد
السادة ؟ ما أردت شيئاً ولكن نلت بعض ما كنت
أبني وهما هي ذى قد أنت ...
— لا تنتهي بذلك .

وقام من مكانه ثم ذهب إلى المصباح فأوقده
وعاد بطيل النظر إليها وهي مطرقة الوجه وشفثاها
زندان ... ما أجمعها وأبدع هذا اللثوب من
الشباب اللذان يزيدا روعة ! كانت في رداء قشيب
وقفازين ستيرين أفضحاً عن عاصن يديها وجوارب
حريرية ... كانت مضطربة الأعصاب فتركت يدها
المرجفة تميت بخيوط القميد الكبير ... ونهد
ثم قال لها :

— هل تسمحين ... إن لدى بعض أعمال
تطلب الانجاز .

— حسن ...

وقامت من مكانها وقد تجسست في هيئة نثال

خائف مشبك الذراعين على صدره وهي تنظر إلى شقيقها
الذي رفع إليها وجهه، ثم تمتم ألا تجزمي وعاد
ثانية ليواصل عمله . وكان العمل المستمر هو سلواته
الوحيدة في غده إذ ظل منكباً على أوراقه من مطلع
النهار إلى غروب الشمس عند ما أتمته ثمانية روزا وإذا
نهض ليتبينها طلبت منه في حمس أن يستمر في عمله
لأنها ستجلس قبالة ... وحاول جورج أن ينفذ
طلبها دون جدوى إذ كان يحس أن عينها النافذتين
المتكنتين بشق الأحاسيس والمواطف ما انفكتا
تنظران إليه وتديان التطلع إلى وجهه ... ونجاة
مهما تقول :

— لم تات اليوم ثاردي وقد انتظرت مقدامك
دون أن أبارح البيت ؟!

ووضع جانباً القلم ثم التفت إليها ... كانت
في ملابس سوداء رشيقة وقد اكتسى وجهها صفرة
وشحوباً ... وأجاب :

— بخيل إلى أن الجو أكثر برودة هذه الليلة
— لا شك أنك تعرف ما آل إليه حال تيلدا .
إن زوجها رجل ساذج تنره الظواهر ولذا لم يعرف
كيف ينظم أعماله فسادت ... كان له حيل سرقة
وغرره بالأمان فسادت العاقبة ... إنه على شفا
الافلاس، وهما م أولاد مقبول على مصير غامض وقد
كان جديراً به أن يفكر قبل تورطه في مصير أولاده
— لا أعرف عن هذا أي شيء ...

وسكنت روزا على مضض ولكنها لم تياس ثمانية
من مهاجته وآثرت أن ترى آخر سهم في جيبها
فقال متهمة :

فيتشرّد الأطفال ويمسح أكرم شارل الذي يجلم
بالمستقبل شحاذاً منبوذاً ... وأنا واثقة أنك ستحضر
لاقائنا وأنتك سوف تحب الأطفال

لك حي أنا ... أختك النعمة : (يلد)
حاشية : — « أما ما قلته لك من روزا
وأكدت أنت لي كذبه فأخبرك أن زوجي سوف

يحضر إلى براغ ومعه حجج دامغة تثبت صدق
ادعائاتي ... إن روزا لا تستحق حديقك وعطفك
لأنها لطخت بالمار هاماتنا ؛ وغير لها أن تمود إلى
زوجها، وإنه لصانع عنها كي تترك لأولادى الصغار
لقمة الميش التي بها يتبلنون »

أي ضيق هذا الذي يحسه ... إنه من الميث أن
يستمر في عمله على هذه الصورة من الارتباك الديني،
وإنه غير له أن ينادر مسكنه إلى الخارج عساه
يستطيع أن يروح عن نفسه ... واعتزم الذهاب
زيارة روزا ... وصل إلى مسكنها ولكنه لم يكد

يقدم على دق بابها حتى سمع من الضمير صوتاً نهائياً
فأدأدراجاً متلصصاً، وإذ هو في الطريق أبصر شابة
تنشع بالفراء مثملقة بذراع أحد الضباط خفت
الخطي خلفهما كاشق تبتت التيرة به ، ولكنه
لم يجددها روزا ... كانت فتاة أخرى فائنة متبرجة
فيهم شعر مسكنه ولم يكد يلجعه حتى أتى روزا
المسكنة مستلقية على المقعد الطويل غارقة في بحر
من مدامها وبقرعة منها سقطت رسالة تيلدا التي
تركها جورج عند متادونه السكن ... وأحست
بمقدم أخيها فقلات له متوسلة بصوت خفقت الدموع
نبراته :

— يا شقري السكن ... أ رأيت هذه الخلوقة

— ولما ساء حال زوج شقيرتي تيلدا إلى هذا
الحد الجأ إلى زوجي ملتصقاً عونه ولكنه رفض إذ كيف
يقت زوجته على مال وقد كان لها منه ثلثة ألف
أضامها

— وهل هناك من سر جملة تصارحيني
بما قلت ؟

— رغبة مني في أن أجعلك تقف على الحقيقة
لأنك طبيب القلب وتحب مساعدة الآخرين ...
— هذا لطف منك

لم يحول ميينه عنها وهي في مكانها وقلبه يدق
مضطرباً بين جنبيه ... لكن كان في شوق إلى سماع
كلمة حثان منها تصارحه فيها بأنها تود أن تبعث
من عمل ولا تمشي حالة على الآخرين . تقوم بخمسته
اللزلية ... تترك مسكنها الفخيم إلى آخر ولكنها
لم تفعل بل راحت تطيل النظر إلى النافذة ثم بدأت
حديثاً آخر

وفي اليوم التالي تلقى جورج من شقيقته تيلدا
الرسالة التالية :

عزيزي جورج :

لكن أسفت إذ تركتك في مثل حالتك ولكنها
الظروف ... هي أيضاً ما حدا بنا إلى الكتابة ثانية
إليك لأصارحك أنه قد ساءت حالتنا ولن نستقيم
إلا بعد أن ندفع خمسين ألفاً نحن زعيان بأنها لا بد
حائدة ، لأن المستقبل لصناعتنا ويوسى أنا وزوجي
أن نمطيك الضمان الكافي للتسديد في ظرف عامين
لو أنك دفعت ديننا وأقذتنا من هاوية الفقر ...

إنني أحرف فيك طيبة للقلب وهي التي ستدفعك
إلى مساعدتنا ولإسابت العاقبة وعضنا الدهر بناه

أسكنتها فأحنت رأسها وانصرفت
وفي اليوم التالي طرق باب زائر ... كان زوج
تيلا الضخم الجثة الذي يشبه البكس في ملامحه ..
ولقيه جورج متوجهاً ولم يتم احتكاماً لمقدمه
كي يتركه واقفاً ثم سأل في لهجة أسمة :
— ما الذي تريده ؟

وروع الحديث المفاجئ الضيف القادم فأرجح
عليه وقال :

— أنا ... أنا ... إن تيلدا هي التي أرسلت هذه
الأوراق التي طلبتها أنت ...
— أنا ما طلبت شيئاً

— لقد كتبت تيلدا إليك أيها الأخ وشرحت
ظروفنا ... فإن كنت تريد مشاركتنا العمل ، وإنى
أؤكد لك أن المستقبل ...

وفي هذه اللحظة انفرج الباب في ببطء وأطلت
روزا التي روعها أن ترى زوج تيلدا ... وقال
جورج لها :

— ماذا حدث ؟

— جورج ...

— لدى أحمال وزائر كاترين ... هل تسمحين ؟
وفي رهبة قدم زوج تيلدا الرسائل وهو يقول :
— وهذه يا سيدي هي الرسائل التي كتبها لنا
زوجها وبعض أوراق أخرى ...

وتهاكت النعسة وأمسكت بالباب إذ خانتها
القوى في الوقت الذي ضمت فيه شقيقها يطلب من
التقدم أن يطليه الرسائل ، فلما أخذها لم يكلف نفسه
عناء تصفحها بل أعطاها أخته وهو يقول :

— خذني هذه ... واسمعي لي أن أقول لك

النعسة التي تريد أن تسرقك علانية ؟ لا تعطها شيئاً
ولا تصدق كلمة مما قالته ... إنك لا تعرف أى نوع
من النساء هي ... ألم تر إلى تهجها كيف تصبها كذباً
هل ؟ ما الذي فعلته لها ؟ ما أروع هذه الأفكار ...
إنها لا تريد شيئاً سوى المال وعن طريق سلبك .
مالك تمتدد الاساءة إلى ...

— إنها أم لأطفال ياروزا .

— تلك هي ذريتها الأبدية ... لعلنا سرقتنا
وما كانت لهم بسوى المال .. تزوجت من أجل المال .
ألا تذكر أن أمانها وهي طفلة كانت تنحصر في
غنيها التي واليسار .. ؟ إنها مخلوقة شرسة ، فهل
لك أن تدلني على ذلك الشيطان الذي قمصها ؟
إنها تريد الآن أن تسرقني فهل أنت يا جورج
مطعها هذه الفكرة ؟ هل ستختلس مني ؟ لغير
لي أن ألقى الموت خرقاً من أن أعود ثانية

وكان جورج يسمها وهو عني الرأس ...
أجل .. إن هذه الفتاة تقاتل من أجل كل شيء ..
تقاتل تيلدا .. بل تقاؤه هو نفسه إن حاول أن يسلبها
شيئاً ... المال ... ودوت في أذنيه هذه للكلمة
وجعلته ينصت صمت أخرى إلى روزا وهي تقول :

— لقد كان منك إيلى المال أشبه الأشياء
بالمجرات إنك أنت الذي وهبي هذا المال
وكان جديراً بك ألا تنبه مادام التفكير في استراحته
كان يراود خيالك

— إنه مالى ... ملكي الخاص وإنى سأفكر
في هذا الأمر

تلك كانت أول مرة يبين فيها روزا فلسفتها
حينها يبريق من الكراهية ولكن صرامته للبادية

الفصول والغايات

معمزة الشاعر الطاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
تأقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححة وشرحه وطبعه الأستاذ

محرم حسني زباني

تحت ثلاثون قرشاً غير أجره البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

لا تذهبي إلى الصرف من أجل المال لأن ذهابك
لا فائدة فيه ... والآن يا سيدي ما هي مهنتك ؟

— المسألة تتحصر في ... رأس المال ...

— اصغ إلى يا سيدي ... لست أدراك كإندى

رجل أعمال

— سأعمل جهدي و ...

— كيف أستطيع أن أوليك تقى وتكون

أميناً في نظري ؟

— أهدك بذلك ... إن لدينا أطفالاً ...

— كفى ... يمكنك أن تأتيني بعد عام

— بعد عام !

— وداعاً يا سيدي ...

ومادت الأرض تحت قدمي الشمس وغشت عيني

سحابة من الكدر واستدار مفادراً الحجره وهو يقول

— وداعاً و ... شكراً لك

.....

وأحسن جورج هدوء الوحدة وساده ضف

حبيب فقام يرب الأوراق المبعثرة على النضج ثم نادى

مديرة البيت التي ما إن أنت حتي كان قد نسي

ما اعترم قوله لها .. وأرادت السيدة أن تعود ولكنها

نمت صوته

— قفى ... إذا أنت اليوم ... أو في الغد ...

أو في يوم من الأيام شقيتي روزا تقول لها إنى

متكف و ... إنى لا أستطيع أن أقابل أحداً ...

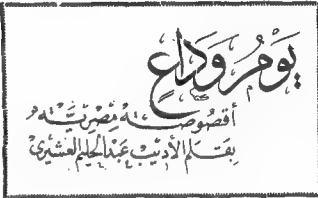
وخرجت السيدة وشملته الوحدة فأنية فاستقى

على المقعد الطويل وهو ينظر إلى عنكبوت بدأ نسيجه

في ركن الحجرة الواقع فوق رأسه

إبراهيم حسين العقاد

الفتاة - (تترد) تخاف ...
 أنكردها المرة الثانية ؟ إني لا أنفك ،
 لقد تغيرت كثيراً يا صاحبي
 الفتى - يؤسفني هذا أيضاً و ...
 الفتاة - ويجب أن تصمت إذا كنت
 تريد أن تجعل كل كلامك على هذه
 الوتيرة ...



الفتى - (في حيرة) لو عرفت ما بي لما قلت
 هذا الكلام ، ولما تريت هذه الثورة ...
 الفتاة - (تتكلم المدو) وما بك يا عزيزي ؟
 الفتى - إني خائف ...
 الفتاة - (في صوت منغل) قلت لك تكلم كلاماً
 مفهوماً . إنك تخلع قلبي ...
 الفتى - يؤسفني هذا أيضاً ... و ...
 الفتاة - (في صوت منغل أيضاً) أف منك !
 إنك تغيرت كثيراً جداً ...
 الفتى - (في حيرة) قد أكون تغيرت حقاً ،
 ولكن يجب أن تهدي من ثأرتك بمض الشيء ،
 إن ما بي فيه الكفاية ...
 الفتاة - وماذا بك ؟ ليتك تجيب هذه المرة ..
 الفتى - (في مزه وهو يستمع قوته) أجل
 سأجيب ... إني ... إني ... إني ...
 الفتاة - إنك .. إنك .. إنك ، إنك ماذا ؟
 لقد أصبح من الواجب عليك أن تصمت ...
 الفتى - لقد كنت أود هذا ، لولا أنه من
 الضروري أن أتكم ...
 الفتاة - حسن . تشدد يا عزيزي هذه المرة
 أيضاً وحاول أن تتكلم ...

و فني وفاته في سن الشباب يسيران جنباً إلى
 جنب في شارع حفر موحش ، وفي يوم من أيام
 الشتاء التي تحمل معنى الشتاء ...

الفتاة - كم هو قبيح هذا اليوم ! جو رطب
 مشبع بالضباب ، سماء ملبسة بالشوم نقي يطير
 قريب ، سميت ووحشة ، تري لماذا استدميتني في مثل
 هذا اليوم يا حبيبي ؟ !

الفتى - حسبتك أحسست ...

الفتاة - (في خوف وهي تنفث إليه) ماذا تقصد ؟

الفتى - (يهيم بأن يتكلم ثم يتردد ويطبق فيه ثانية)

الفتاة - لماذا لم تجب ؟

الفتى - إني خائف ...

الفتاة - مم ... ؟

الفتى - عليك ... على قلبك ...

الفتاة - (في حدة) إني لا أنفك كلامك ،

ليس هكذا كنت تتكلمني ...

الفتى - يؤسفني هذا ... ولكن يجب أن

تسديني . قاني ... قاني ...

الفتاة - قل ما ستقول ... إني لا أرتاح لهذا

التردد ...

الفتى - ولكي خائف ...

الفتاة — (ساخرة ضاحكة) هل تستطيع القيلة
إخراجها ؟

الفتى — بل هي تمنعها أكثر من الخروج

الفتاة — (متصنعة الجدة) يا لها من كلمة !

الفتى — نعم ، يا لها من كلمة . إنها الحد الفاصل
بين حيائين ، بين قلبين .. بين ..

الفتاة — (هائلة) أصمت . أصمت . إنك تؤذي

الفتى — ألم أقل لك ...

الفتاة — بل تكلم ... قل كلمتك ...

الفتى — لا ...

الفتاة — (تنظر إليه في خوف)

الفتى — الود ...

الفتاة — (تنظر إليه في خوف)

الفتى — الوداع . أشهد أن لا إله إلا الله ، هذه
هي الكلمة التي استدعيتك لأقولها لك ...

الفتاة — (تنظر إليه في دهش ورجب)

الفتى — (في حزن) ألم أقل لك . ألم أقل لك
الذهب ذنك ...

الفتاة — (إلى) إني لا أنعمك ...

الفتى — وهذا ما اعتقدته ، ولكن حاول ،
حاولي أن تفهميني ...

الفتاة — سأحاول ... وضع صمرك ...

الفتى — إذن سأكرر كلتي أنزيتي أستطيع ؟
والفتاة — ...

الفتى — ولكن يجب أن أستطيع (يتشدد)

استدعيتك لأودعك ...

الفتاة — (كأنها تحلم) استدعيتني لأودعني ...

الفتى — (في عزم وهو يستجمع قوته) أجل
سأنتقم هذه المرة ، إني ... إني استدعيتك لأقول
لك ... لأقول لك ... لأقول لك ...

الفتاة — (برافه) . لقد زدت على كلامك
السابق ثلاث كلمات ، حاول أيضاً حاول بقوة ...
الفتى — إني استدعيتك لأقول لك كلمة واحدة

الفتاة — وما هي أيها الحبيب ... ؟

الفتى — هي ... هي ... إني خائف ...

الفتاة — خائف .. خائف .. يا صاحبي يجب
أن تنزع عنك هذا الخوف ...

الفتى — يخجل إلى أني لا أستطيع ذلك

الفتاة — بل تستطيعه بقليل من العزم . هيا ..
هيا قل كلمتك ...

الفتى — (يتلع رقبة ويحاول أن ينزع صمخ خوفه)
الفتاة — كن قويا ...

الفتى — كلني هي ... « يتردد »

الفتاة — كن قويا تشجع ...

الفتى — هي ... « يتردد » .

الفتاة — (ضاحكة) إن صبري فرغ .. بودي
لو أصفك ...

الفتى — (في جد وهو يريد لما خذه) أوه هذا
قليل والله أصفى ...

الفتاة — (ضاحكة) إنك بطل ...

الفتى — تكذبين . فأنا والله أصف خلق الله
اليوم ...

الفتاة — دع هذا . ما هي كلمتك ...

الفتى — أجل كلتي . يا الله ... لو أعكن
من إخراجها مني في ...

فمنك... والحقيقة أن الجو لا يزال على برودة...
الفتاة - على أي حال... يجب أن نخبرني بكل
شيء الآن وعلى أنا تحمل تبعة ما يحدث إذا طال
مسيرنا...

الفتى - ولكن يا عزيزتي...
الفتاة - «عائلة» اسمك كلامي...
الفتى - حسن، سأخبرك بكل شيء...
«يردد»

الفتاة - قل، قل، لا تكن بطيئاً هكذا في
إخراج الكلام من فمك...
الفتى - الحق أن الأمر يؤلى، ولكن ما جئني
سأقول، سأقول كل شيء فاصبر.

الفتاة - إني منصتة إليك بكلماتي...
الذي - إن لي ابنة تم تحبني حباً لا غاية بعده،
كنت أحبها قبل أن أهرطك وأمدها زوجتي القبلة
وتعدني زوجها القبل. هذه ابنة العم هي السبب
في أني سأودعك اليوم. قول لم، لأنها كادت
تقتل نفسها حينما علمت أني متصل بك. كانت
مستعربة العم لو لم تنقذها في اللحظة الأخيرة.
إنها مسكينة هذه الفتاة، ويبدأن خلصناها من الموت
التفتت إلى قول في صوت كه إصرار «لما كنت تعرفت
الآن كم أحبك.. فتلك أن تعرف أيضاً أني سأعود
ما كنت أريد أن أقبله بنفسى إذا لم تقطع علاقتك
بتلك الفتاة التي شغلتك عني». خفت يا عزيزتي.
خفت عليها من الموت فقد وجدتي لا أزال أحبها..
أجل وعلى الرغم من أني أحبك. وقلت في نفسي
إن تمل قلب ليس كقتل نفس، وعزمت - وكلتي

إستدعيتي... (تطعم كلامها وتلفت إليه بادة) هل
تسنى أننا ستفترق...؟
الفتى - هو ذاك...
(سكت)

الفتاة - (بعد قليل) يخيل إلي أني لست ممك
حقيقة. فهل تراني أحلم...
الفتى - بل أنت ممي...
الفتاة - إذن فأنت تهذي، تسخر...
الذي - ولا هذا...
الفتاة - ولكن كلامك...

الفتى - ولكن كلامي يدعو للشك. هذا
ما أوأفقتك عليه...
(سكت)

الفتى - (بعد بضع دقائق) هل كنت تحبيني
يا عزيزتي؟

الفتاة - (غضبانة وم تكاد تبتك) ألم تعرف ذلك
بعد؟ أنا نادمي الماضي... يا لحظي المار؟
الفتى - لا تنفسي. امدريني. إني غطى...
ولكن... ولكن...
(يمدح وتبسم)

الفتاة - «بعد هنية» ولما إذا تودعي
يا عزيزي...؟

الفتى - هذا أمر يحتاج إلى شرح طويل...
وأخاف عليك من برودة الجو إذا طال بنا السير وأنا
أشرحه لك...

الفتاة - لا تخف. فاني أحس الآن حرارة
في الجوف، يخيل إلي أن برودة زالت...
الفتى - «مفعولا». هذا كلامي الأليم في

الفتى - ألم تصدق بمد كل هذا ... (صت)
 الفتى - (يقطع الصت) إن أيام الحب تمر
 دائماً كالأحلام ، وما أكثر من يشقون بالحب بمد
 أن تمر أيامه هذه إلى كالأحلام ...

الفتاة - ...

الفتى - لقد فكرت حيناً استدعيك اليوم
 في حيناً الكبير الذى سيموت ، فكنت أعجب هل
 يمكن أن يموت حقاً وهو فى ريمه ...

الفتاة - ...

الفتى - وفكرت أيضاً فى قلبك الذى سيقفل ...
 فسجيت هل يمكن أن يقفل قلب مجاً بمجانين ...
 حياة الحب ... وحياه هو ؟

الفتاة -

الفتى - وفكرت أخيراً فى أمر هذه الدنيا ،
 التى تأبى أن تبقى للسعيد سعادة بينما يكون فى أشد
 الحاجة إليها . فرحت ألمها وألمها

الفتاة -

الفتى - وحيناً انتهيت من تفكيرى ثرت على
 نفسى لأنها كانت السبب الأول فى كل هذا

الفتاة -

الفتى - وعظمت فى عفرانك . ولكن يظهر
 أننى لن أناه ...

الفتاة - (تشارك الصت) ولم لا تناله ؟ إنك
 مجبراً تفعل . سوف أقفر لك يا صاحبي ... بل
 لينفر لك الله ...

الفتى - (يرح) الآن أنا سعيد . وسوف
 أقوم بما استدعيتك من أجله . ولكن دعينا أولاً

ألم وحزن وأسف - على قتل القلب الذى استجيا
 بحبه هذه النفس البائسة .

الفتاة - ولذلك استدعيتنى ؟

الفتى - أجل ...

الفتاة - (تضحك فى تكلف والدمع يتحد من
 عينيها على خديها) واخترت هذا للشارع المقفر
 الذى لا يكاد يرى فيه رجل من رجال الشرطة ،
 أو حتى بعض الناس ؟

الفتى - لقد يكون . ولكنى على كل حال لن
 أخاف من التنبؤ على متلبساً بجرمى ...

الفتاة - يا لك من مجرم شجاع ...

الفتى - ليس هذا وقت هذه السخرية .
 خبرينى هل تمفين عى ...؟

الفتاة - لا أدري . ربما ...

الفتى - هذا مؤلم . كنت أطمح فى عفوك ...

الفتاة - سأحاول أن أعفو عنك . فقط بمد
 أن تقوم بجرمىك ... « صت »

الفتاة - (بمد قليل عائدة إلى سخريتها) ولكن
 خبرينى أى سلاح ستستعمله فى قتل قلمي المسكين .

إننى أفضل البندقة لأنها تقتل بسرعة فلا يتألم
 المقتول بها إلا مرة واحدة ...

الفتى - ما زلت على سخريتك . ترى هل
 تقدرين موقفك الآن ؟

الفتاة - (هيق قليلاً قليلاً وتنتظر إليه نظرة من أعطاء)
 إننى أسفة لقد خيل إلى أننى أستطيع للترفيه عن

نفسينا بهذا الكلام .. (صت)

الفتاة - (بمد قليل) وإذن سنفترق حقاً .؟

الفتاة — (ضاحكة) ولكن حذار أن تنهز
هذه الفرصة فتقتل قلبي

الفتى — (في استعطاف) أرجوك ، دعي هذا
الآن وإلا أنسدت جو هذه اللحظة (يقبلها)
الفتى — (بعد أن قبلها مفر قبلات) انتهت
القبلات المشر ... (يريد أن يمسك فة عن فها فتدبث
برقبته وتدق فها من فة ثانية)

الفتاة — قبلني أيضاً . اعطني على المشر قبلة
(بنسم) أو نصف قبلة إذا كانت القبلة كثيرة (يقبلها)
الفتى — (وهو يتدلى في جلسته بعد أن قبلها) ،
والآن ...

الفتاة — أ ... أقتل قلبي ...
الفتى — (يستمر في قولها كان سيقره) والآن
دعينا نستمع شيئاً من ذكريات حبتنا

الفتاة — (تصمت في تفكير ثم بنسم وهي تطلب
دموعها) حسن . هل تذكر يوم كنا نسير بجوار
إحدى الترع الصغيرة بقرية (النصورية) وأنت تقرأ
في شمعاً مثتوراً قلت لي إنني أنا التي أوجيت به إليك ،
فلما أخذت منك الحفاصة ماخذها وأنت تتلوه زلت
قدمك فسقطت في التربة ، وطارت الورقة التي
كثبت فيها شمعك في الهواء

الفتى — أوه ، أذكر هذا جيداً ، ولقد خاصمتك
بوي لأنني عند ما خرجت من ماء التربة ظلمت
تضحكين على طول الطريق ...

الفتاة — وهل تذكر يوم جذبتني من أنفي
لتقبلني قبلة . قلت لي يوماً إنها ستكون : « فتجأ
جديداً في عالم القبلات »

نميش لحظة في جو حبتنا ... لحظة أخيرة ...
الفتاة — كلا ...

الفتى — عجيب . ولكن لا يجب أن تفرق
هكذا . على الأقل يجب أن أميلك ...

الفتاة — كلاً لاني تقبلني (تستدرك) بل قبلني
مشر قبلات هل ذكرها تساعدني على الحياة مشر
سنوات

الفتى — وبعد مشر السنوات ؟
الفتاة — أوه ، سأشكر الله لو استطعت أن أعيش
مشر سنوات ...

الفتى — إنك تركبيني . بل سيطول بك العمر
أكثر بأذن الله ... وهاتي الآن فك ...

الفتاة — كلا ليس بهذه السرعة . يجب أن
نجلس أولاً في مكان بعيد عن السيون إذا كانت هناك
سيون ، لا تنس أننا في شارع ...

الفتى — حسن . بعد خطوات سنصل إلى
حديقة صغيرة على جانب الشارع يمكننا أن نجلس
بين أشجارها فلا يرانا أحد ...

(يوسمان الحلى نحو المدينة والصمت يسودها)
الفتى — (بعد أن جلس بجوار الفتاة على أحد المقاعد
المتخفية من الأنظار بالمديقة التي تصدها) : والآن هل
يمكنك أن تفضل بإعطائي فك ؟

الفتاة — (باسمة وهي تهرب منه فها) بالطبع
ها هو ذا يا عزيزي ... فلتطبع عليه مشر قبلات
كاملة طويلة ...

الفتى — (وهو يهم بقبيلها) ولنفس كل شيء
الساعة

الفقئ - أذكر هذا تماماً ...

الفتاة - وهل تذكر يوم (قرصتي) في أذني بشدة جعلتني أمرخ من الألم حيناً طلبت منك أن تعطيني درساً في قواعد اللغة العربية . فلم ألقه بما تقول شيئاً ...

الفقئ - أجل أجل . وأعتقد الآن أنني كنت قاسياً على أذنك يومذاك . فلقد احترت من أثر (القرصة)

الفتاة - وهل تذكرت يوم مثلت معي دور الزوج ، ومثلت معك دور الزوجة (تمست منية وهي تجسم في تحسر وحزن) حينما كنت تأمرني أن أفضل كذا ، أو أترك كذا ، فأفاد رفضت اتخذت هيئة الزوج الغضبان على زوجته وهددتني بالضرب أو الطلاق

الفقئ - (يسم في تحسر ولا يجيب)
الفتاة - (تهم بأن تستمر في ذكرياتها ثم تردد فجأة)
بحسبك هذه الذكريات ، هيا اقتل قلبي الآن
الفقئ - (يتأعب) حسن . (يغف) . الواع .
الفتاة - (صارخة في ضراعة) كلا . كلا .
انتظر ...

الفقئ - لقد طال الانتظار يا عزيزتي ...
الفتاة - لحظة أخرى ...
الفقئ - كلا ولنتفرق ونحن على أحسن ما نكون من الصفاء إذا كان ما بيننا الآن صفاء ... وداعاً ...

الفتاة - آه ... قلبي ...
الفقئ - قليل ؟ أليس كذلك ؟ حسن . الذنب ذنبك فأنت التي طلبت الإسراع في قتله (يتلمذ به)

ولكن يجب أن تمرق أن قلبي هو الآخر قتل .
أو كما هو الواقع قتلت منه قطعة ، والرصاصه التي قتلت قلبك وقتلت تلك القطعة من قلبي واحدة ...
(للمرة الثالثة) (الواع) سوف تذكريني بخير . أليس كذلك ؟ كلا ، بل انسيني ...

الفتاة - (في غير وعي وهي تضم إلى صدرها اليد التي قبلها وصبرها تائه) وداعاً وداعاً يا حبيبي .
(تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة سامة) . يا حبيبي .

(الفقئ يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها فجأة)
(يضم إليها ويتناول يدها ليقبلها)
الفتاة - (تتمتع من قبيل يدها) بل انتظر حتى أقف لأودعك بدوري ...

الفقئ - لا . إنك لن تستطيعي الوقوف وما زال الثقب الذي أحدثته في قلبك الرصاصه التي أطلقتها عليه يتنبثق منه الدم . ودعيني وأنت جالسة ألقطتها عليه يتنبثق منه الدم . ودعيني وأنت جالسة
الفتاة - (دهشة وكأنيما أفادت من غيرة) إذن سنفترق ؟!

الفقئ - (مندهما) إلى الآن لم تصدق ؟ عجباً !
الفتاة - (سامة ذاهلة وهي تعطي يدها) حسن قبل يدي . (يقبل يدها)
الفقئ - وداعاً ...

الفتاة - (في غير وعي وهي تضم إلى صدرها اليد التي قبلها وصبرها تائه) وداعاً وداعاً يا حبيبي (تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة سامة) يا حبيبي ... (الفقئ يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها فجأة)

الفقئ - كلا (يا حبيبي) لا تتولى يا حبيبي
الفتاة - (وهي تجسم والنعيم على خديها جلالاً)
وأنت أيضاً يا حبيبي لا تقل يا حبيبي !
عبد العظيم محمود العشري

حاجي بابا اصفهاني

لكتابنا الانجليزية "جهنم مؤبر"
بقلم الأستاذ عزيزنا الطيف النشار

الفصل الحادى والستون

فقرة حاجي بابا تقع على نادره

أقمت في غيبى عشرة أيام طوال متعبة دون أن يصلنى خبر من ملا نادان وقد خشيت أن يكون حظه المارقد لازمه أو أن الأمور لم تجر في الجرى الذى كان ينتظره . ولم يكن بين همدان والقرية التى أنا فيها اتصال كبير . وقد بدأت أياس من رؤية جوادى وما عليه من مرجع عيى ويئست كذلك من رؤية ملايسى . إلى أن حدث في مساء أحد الأيام أن فلاحا كان قد ذهب أخيراً إلى همدان ليشتغل في الحقول وعاد منها طابسا ، وألفت كلامه التى رواها بصيما من النور على غاوى قد قد قال : إن قلنا عطيا حدث تقدم نازا كشي وقبضه على ابن صاحب الضيعة وأخذ الجواد وحله أسيره إلى الماصمة منهم إياه بقتل شيخ العلماء في طهران . وإننى أترك لفتارى الحكر على ما شمرت به عند سماحى هذه القصة فقد أدركت السر في صمت الملا نادان . ودمغ أنى شمرت بأن لا خوف على في ذلك الوقت فاني كنت أشك في دوام هذا الشعور وأعلنت في الفقرة أننى استرجعت كامل محمى واستأذنت مضيقى وأسرعت إلى همدان لأتحقق مما رواه لي الفلاح

وكان والده نادان معروفا في المدينة فلم يصعب على أن أهتدى إلى داره وقد أحجبت من دخول

الدار والاستفهام مما تم في أسر نادان ، ولكننى ذهبت إلى حلاق مجاور للدار لترصين الأول أننى أردت أن أقصر شعر رأسى ووجهى ، والثاني وثوقى أنه هو الذى يمكن أن بروى لي حقيقة ما حدث بمخافته . وقد صدق ظنى فاني وجدت الحلاق تركا ، ولم أكد أسأله

عن أخبار اليوم فأنكأ له إننى أجهل تلك القصة العجيبة التى حدثت أخيراً والتي يتحدث عنها القوم بلاء الدهشة حتى تراجع خطوتين إلى الوراء متجنباً . وقال : « من أين أتيت إذن حتى خفيت عليك قصة ذلك الأبله الملا نادان ؟ إنه لم يكن بقتل شيخ العلماء حتى ليس ثيابه ولم يكفه كل ذلك حتى سرق جواداً من أكرم جياد الحكيم ، ياله من نذل خسيس بأ كل اللالحرام ! »

فرجوت من عدى أن يقص على كل تفاصيل القصة التى نظامت بجهلها جهلا تاماً فسرد لي ما بانى من غير انتظار لتكرار السؤال :

« منذ ثمانية أيام تقريبا جاء هذا الملا إلى بيت أبيه راكباً جواداً مطهما ولا بسا حلة تلبق بظلم من العلماء أو قائد من القواد ، وليس رجل من رجال الدين فقد كان عليه شيلان من أجود الأنواع وكان يشبه حقيقة شيخ العلماء . وأحدث ظهوره بهذه الحلة الأنيقة وهذا الشكل البديع تأثيراً عزمياً إزمين مدة وجيزة قبل حضوره لأن قد شاع عنه أنه أنى بعمل أعضب الشاه فطرد من طهران طرداً قبيحاً

وقد تزل عن جواده في تيه ومجب ، وحين سئل عن طرده من الماصمة لم يأبه للأسر كثيراً وقال : إنه أخبر بسفة سرية أن غضب الشاه عايه وقتى وأنة للتقليل من وقته أهدى إليه هذا الجواد

الأمر الذي رواها لي الحلاق وحزنت حزناً شديداً على تقدي الجواد والملايس الثالثة ولكنني حدثت الله على سلامتي حين فكرت في أنني لن أسأل عن حوادثي الأخيرة إذا قطع رأس الملا نادان، وشرحت أنني لا أزال في حفظ العناية وسفاه الحظ بينما قدر على الملا أن يكون شقيقاً منكوداً، وإلا فلماذا استبدلنا ملايسنا ؟ ولماذا أخذ جوادى في وقت لم أجد فيه بداً من الخشوع لما طلبه مني ؟

ولكن شعوري بأن الملايسات عذاب ما لم يمين بدلا منى جللى أحس ولو مؤقتاً بالخطر ما دمت في إيران . ولذلك سمعت على أن أابع خطي الأولى وأن أترك إيران دون إبطاء ، وعزيت نفسى عن فقدان الجواد والملايس بما بقى لي من المال وهو الخمة والتمسعون طومانكا . وهذا المبلغ كان لا أحتاج إليه الآن . وبعد ذلك تذكرت أن الله قادر على كل شيء فأملت في المستقبل . وقدما كانت هذه الثقة بالله تزيه وسلواناً لكثير من التمساء أمثالي وشرعت أنها ستقضى ما حيت من مصائب خفية

الفصل الثانى والسون

ماهى بابا سمع بقبه نصر الحرام نيزمى عزمت على أن أزع ثوب الشايخ إذ لم ينلنى منه خير وتريت بزي التجار ولحقت بقافلة كانت ذاهبة إلى كرمان شاه وانفقت مع رئيسها على استئجار بئل هزيل مقابل أجر كافه . ولما لم يكن لدى من البضائع غير ما أحله على ظهري فقد اقتنعت به . ووصلنا إلى كرمان شاه في اليوم السابع من رحيلنا وهنا كان لابد لي من البحث عن قافلة أخرى . ولما سألت قيل لي إن ذلك يستدعى شهراً من الزمن

وصدق كل إنسان روايته واستقبل في منزل أبيه بالاحترام والاحترام ، ولكن لسوء حظه أنه كان في اليوم التالي يتأهب لركوب الجواد وإذا بتنازا كفى يدخل المنزل وكان قد وصل من طهران ثم أخذ ينظر إلى الجواد ويفحص الهجام والسرير اللذهين ثم استغفم عن اسم صاحب الجواد فأخبروه أنه الملا نادان

قال مفشياً : « الملا نادان ! من هذا الكلب الذى تقولون عنه ؟ إن هذا جواد سيدى الحاكم ومن يقول بشير ذلك فقد كذب سواء كان ملا أو غير ملا »

وفي تلك اللحظة حاول الملا أن يحتجى عن أنظار النازا كفى وهو أحد الدين أجوانا عن العاصمة يوم حاره وفضيحهته ، وكان في لبس ملايس شيخ العلماء وحماته ما أظهر أمام عينيه فطاعة جرمه . ولحقته عين الضابط فصاح بأعلى صوته : « اقتضوا عليه ! أزهقوا روحه ! إنه هو نفس الرجل ! أقسم برأس على أن هذا قاتل شيخ العلماء »

وكان النازا كفى في تلك اللحظة قد ترجل وقبض على الملا بمساعدة أتباعه والحضور الذين أدركو أنه يعمل تنفيذاً لأوامر الحكومة وقد أخذ الملا يبرى نفسه بالقسم يناله القسم على أنه لم يقتل ولم يسرق وأنه مستعد أن يحلف على المصنف الشريف أنه برى .

وقص الحلاق ما دار بين الملا وبين النازا كفى بصدق وأمانة ، وكانت النتيجة أن أخذ الأخير الملا معه إلى طهران رغم توسلاته وتوسلات والده ورجاء أصدقائه ومساعدهم . وقد شرمت بما لم يشمر به إنسان من الحسرة والحزن على ما ألم بصاحبى من

نقلها إلى كربلاء ، وقال لى قائد القافلة وكان رجالا كثير الكلام ذكى القلب كمادة رجال القوافل من أمثاله

« يظهر لى أنك غريب وإلا لما سألت عن أسر معروف مشهور. إننا نحمل أشياء عزيزة إلى كربلاء. فأجبتة : « نعم إننى غريب قادم من جهة بعيدة ولا علم لى بشئ مما تقول لحدثنى بالله ماذا تنقلون إلى كربلاء »

فقال محدثى : « ما هذا ؟ ألم يصل إلى ملكك شيء عن مقتل الملا يافى ؟ أما سمعت كيف فارق الحياة فى الحمام وكيف ظهر شبحه بعد ذلك ممتطيا جواداً ثم ظهر فى منزل الحرم وكيف أن ذلك للشبح اختفى على جواد من جباد الحاكم ؟ أين كنت تعيش أثناء وقوع هذه الحوادث ؟ »

قال ذلك وهو يشير بيديه ويهز كتفيه أرحبى ما قاله الرجل فتظاهرت بالجهل وطلبت إليه أن يثنى لى لى عن تلك الأمور التى تحدث فيها ، فأجبنى إلى ما طلبت بحالة لولا أننى كنت متورطاً فى نفس تلك الحوادث لأثارت عجبى ودهشتى ، قال : « تقى أولاً أننى أقص عليك أموراً حقيقية لا مجال للريب فى سمعتها لأننى كنت فى مكان وقوعها فى الوقت الذى وقت فيه. ذهب شيخ العلماء فى مساء أحد الأيام بعد أن أدى فريضة المغرب إلى الحمام ثم رجع إلى داره محاطاً بأتباعه ودخل إلى خلوة لينام تلك الليلة فى جناح الحرم

ولست فى حاجة إلى إخبارك بأن معظم حمامات إيران تفتح أبوابها للنساء أول النهار إلى ساعة معينة منه وبعد ذلك تخصص للرجال

فى صباح اليوم التالى اليوم الذى استعمر فيه

لأن الموصى الأكراد ينبرون على الحدود فلا تقدم قافلة على اجتيازها إلا إذا كان عدد أفرادها كبيراً ولكن قيل لى إن قافلة من الحجاج قامت قبل وصولنا ليوم واحد إلى كربلاء وأنه يمكنى بقليل من الجهد أن ألتحق بها قبل أن تصل إلى المنطقة التى يهددها الأكراد فلم أتردد فى اختيارى ، ولحقت بالقافلة بعد ما خضت مالى فى حزامى ولم يكن مئ غير عصا غليظة ...

وفى مساء اليوم الثالث وبعد أن أنهك التعب قوى رأيت من بعد نيراناً يتصاعد دخانها فشرحت صدرى رؤيتها وقصدت إليها وتبينت حين اقتربت منها بنالا وماشية ترمى فى السهل التيسر فأدركت أننى لم أكن عطفاً حين حسبت القافلة قرينة

وشاهدت حين اقتربت من الوهاد التى تكدست فيها الأحمال خيمة صغيرة بيضاء منصوبة فى ناحية غير بعيدة وقد دلى شكلها على وجود حجاج من ذوى السكاة بين أفراد القافلة وأتهم بصحبون نساءم لأننى رأيت هودجا على مقربة من الخيمة فتقدمت من رئيس القافلة كأحد الحجاج ، ورأيت منه استعداداً تاماً لإعطائى بنالا يحملنى فى سقرى وأردت ألا ينتبه أحد لوجودى نظراً لحالى السيئة التى كنت فيها غير أن الخسة والتسعين قطعة ذهبية التى فى حزامى جعلتنى لا أستطيع حبس خيالى وكظم زهوى كمادة مواطنى الأيرانيين وشاهدت بين الأحمال على مقربة من مكان أكياسا عديدة خيطت على أجسام مستطيلة منتشرة على الأرض أزواجاً بشكل يدل على أنها كانت مجموعة على ظهور الجمال . ولما كان منظرا لم تألفه عينائى فقد سألت عنها فقيل لى إن بالأكياس جثثاً براد

فقد رأيته يسيى رأسى يعود من الحمام سالماً وأسلمحت له الفراش وأنا على يقين أنه لم يمد ذلك فيه . وليس من الممكن أن يكون نائماً في فراشه في نفس الوقت الذى يكون فيه ميتاً في هذا الحمام . كلا ! هذا إنسان غيره بلا ريب »

وقد زادت هذه الملاحظة من رعب النسوة وذعرهن عن ذى قبل لأنهن تصورن أن من رآه الخادمة كان بلا شك عرفت اللابثى

وكانت زوج الملائدة حادت إلى رشدها فقالت مشيرة إلى وجه الجثة : « أنظروا إلى هذا الخدش الذى أحدثته في وجهه بالأس قط » وقالت إحدى الخدامات : « وهذا مكان خصلة الشعر التى اقلعتها من ذقنه »

وسيت هذه الذكرى اللذيذة أنهال الصوع من عيني السيدة الأرملة فلم يوقفها إلا تأكيد الخدامات بأن اللابثى لا يزال على قيد الحياة . وقالت لها خادمة : « من إذن الذى أوصد الباب من الداخل وأمرنى بالانصراف ؟ ومن الذى سمعنا غطيته ؟ »

وقد اقتنمت الخادمة بصعقة قولها قلبت ملابسها وأسرعت إلى الخارج لترى سيدها نائماً في حجرته دون شك ولا ريب

وهنا قالت إحدى الخدامات مشيرة إلى الجثة : « ولكن إذا كان سيدي نائماً في منزله فلن هذه الجثة التى رآها »

فقالت أخرى : « يجب أن يكون هذا عرفت سيدي إذ لا يقل أن يكون الإنسان ذا بدنين بمعنى الواحد وعوت بالآخر »

وقالت ثالثة ذات صوت أجفى : « هذا غريب (٧) »

اللابثى ذهبت زوجته بين أتباعها وعبيدها إلى نفس الحمام ، وكان ذهابها عند شروق الشمس وكانت هي ومن معها أول من دخل الحمام في ذلك اليوم ولشدة احترام أتباعها لما لم تستطع إحداهن أن تتقدمها إلى منطس الماء الساخن ، وكان لا ينير قبو الحمام غير شمع الفجر ، فنزلت زوج اللابثى إلى المنطس في ظلام داس ، فتخيل رعبها وخوفها حين تقدمت خطوتين في الماء فوقمت يدها على جسم من اللحم حارم

ولم تستطع السيدة إلا أن تصرخ صرخة حادة وإلا أن تسرع إلى الخروج من الماء ثم أغشى عليها من فرط ما نالها من الرعب

وتخيل ذعر الخدامات مما حدث فقد كانت كل واحدة منهن تتقدم وفي يدها مصباح لترى السبب في رعب سيدتهن ثم لا تلبث أن تصرخ صرخة وترتد مذعورة صرعية إلى الورا ، ولم تتحقق واحدة منهن ذلك الجسم المائم في الماء ، وأخيراً تشجعت رئيسة الخدامات المعجوز ونظرت متجعدة إلى المنطس . ولشد ما كانت دهشتها حين رأت أن الجسم المائم جثة رجل ثم تبع ذلك صرخات عديدة وصياح حاد أمد رشاد زوج الملا إليها وجعلها تشارك خادماتها ، ولكنهن لم يعرفن الجثة التى اتفخت وتغير لونها ثم حمى بمصباح ونظرن إلى وجه الجثة فصرخن جميعاً : « إنه الملا باثى ! إنه الملا باثى » وعادت السيدة إلى إغمائها وبدأ الرقيقات في صراخهن ، واختلط جليهن بالنابل حتى ظن من رآهن أنهن في يوم للقيامه . غير أن إحدى الخدامات قالت في وسط ذلك الصراخ والويل الذى اشترك فيه جميع النسوة : لا يمكن أن يكون هذا سيدنا

مدمع لا يتصوره العقل »

وفكرت في أننى قد أردت الخلاص من خطر دام
فألقيت بنفسى في ذلك الخطر ، إذ قد يرمى خادم
من خدم شيخ العلماء . ومنهم من كان يبنى وبينه
معرفة ومحبة فيستكشف آخرى ويظهر تكرى
وأردت أن أحرف حل لأحاط القوم ملابسى
التي كنت تركتها في ركن من أركان الحمام ، فقلت
لرئيس القافلة : « ماذا تم بعد إخراج الجثة من
الحمام ؟ »

فأجابنى : « لست أذكر ما حدث ، على أننى أعلم
أن الروايات اختلفت وأن الاشاعات تمددت وأن
كل رجل كان له رأى يخالف رأى الآخر ، فقال
البعض : إن شيخ العلماء بعد أن قتل غرقاً رأى
في خلوة وبعد ذلك نام في فراشه . وقال البعض :
إنه ظهر في الصباح التالي في منزل رئيس الجلادين
وذهب محتلياً جواً من خيرة جياده . وقد أظهر
رئيس الجلادين نفسه ورقة عليها خاتم الملائشى وفيها
إذن بشرب التبيذ . وبالاختصار فإن اختلاف
الروايات وتمدها جبالاً لا يعرف أيها يصدق ،
غير أن القوم ارتبكوا وتغيروا في تمثيل خروج
الملائشى حياً من الحمام (وبذلك شهد جميع خدمه
وشهد صاحب الحمام) ثم وجدوه بعد ذلك في المنطق
غريقاً ، وكما ازداد الناس في البحث وأكثروا من
التمثيل زادت حيرتهم وكثر ارتباكهم إلى أن
استكشف أمر أننى على تلك الظلمات قسماً من الضياء
إذ وجدوا بعض الملابس الممزقة في ركن مظلم من
أركان الحمام ، واستدلوا في غير عشاء على صاحب
تلك الملابس وهو شيخ مأفون يدعى حاجى بابا كان
تابعاً للملائكة عدو شيخ العلماء اللدود والذى
اشتهر بأكرة الشغب والمباح .

وكان قد دخل الحمام في ذلك الوقت نسوة
آخرات للاستحمام . وبينما كان نسوة شيخ العلماء
يفكرن في أمر سيدهن ويفرضن الفروض
إذ بالمجارية التي كانت قد ذهبت لتتحقق من وجود
الملائشى في منزله قد عادت وأخبرتهن بأنها لم تجده
ولم تجد غير آثار نوم على الفراش فتصالت للصراخات
وارتفع صوت المويل ، ونما الخبر إلى خارج الحمام
فتجمع حوله عدد كبير وطلبوا السماح بدخول
السكان . وقبل أن يتمكن النساء من لبس ملابسهن
وستر أجسادهن المارية امتلأ الحمام بالرجال ولم يحدث
قط أن حماماً في طهران اختلط فيه الرجال بالنساء
كما حدث ذلك اليوم

وكان المنظر جميعاً من نسوة يندبن ويكبن ،
وأخريات يصرخن ويلطمن ويجرن قزعات من
رؤة الرجال هن وهن ماريات . ثم جاء أقرب المرحوم
وأصدؤه ومهم الناسون الذين أخذوا الجثة إلى
مكان آخر فنسلوها وحفظوها وأعدوها للسفر إلى
كربلاء حيث تدفن فيها كما تقرر من ذي قبل .
وأبدت زوج التفتيل رغبتها في مرافقة الجثة .
واستأجر القوم بثلاً لهذه المهمة . ففي هذه المهمة
التي تراها هناك زوجة التفتيل مع جواربها ، وأما الجثة
فهي بين تلك الأكياس . وأما الجثث الأخرى التي
تراها فهي جثث من ماتوا في طهران وفي البلدان
التي سرنا بها أثناء السفر . وقد جرى بها تدفن في
كربلاء في كرامة شيخ العلماء إذ قد يشفع فيها يوم
القيامة ليدخل أصحابها الجنة »

وهنا سكنت عدنى وكنت قد ألبس لسانى الخوف
الذى استولى على أثناء سرد القصة فلم أنكم ،

كنت أحسد كل ذى سحنة منكرة وملابى خلفة وهيئة رثة لحوى أن يكون حسن ظمى شيباً في أنباه الأنظار إلى . وقد خفت الاقتراب من خيم السيدة زوجة للرجوم خوفاً شديداً فكنت أدير وجهي إذا ما نظروا إلى الجهة التي كنت فيها وذلك رغم شوقى إلى أن أعرف هل فيهم أحد من معارفى .

ومر اليوم الأول من رحلتنا دون حدوث أمر فوضت رأسى على وسادة من الأمتة التي كنا نعملها وغت الليل كله نوماً هادئاً . وكذلك مر اليوم الثانى وحلى اعتقادى بحسن حظى على أن أبحت عن رقاء فى المسير أفضل من سائقى البنال والحلجى وأخذت أحدث أسقفاً أرمنى وألتصق به حتى جعلته يشمر بواجب الشكر والامتنان لرجل مسلم يميزه شيئاً من اهتمامه . ومر فى هذه الأثناء بجانبى أحد الخدم للملايين فوجفت قلبى خوفاً من أن يعرف حقيقى . ولو أن اللابى نفسه ظهر فى هذا الحين لما كان الزمى من رؤيته أكثر من الزمى عند ما رأيت هذا الخادم . وأدبرت وجهى إلى جهة أخرى غير أن الرجل مر ولم يتنبه لوجودى وأحدث هذه الحادثة إلى نفسى الحذر الذي كنت أجنبه فزمت على أن أرجع إلى موقفى الأول بين البنالين وتركت الأسقف يفكر فى شئونه

وكننا سنمر فى اليوم التالى بالجهة غير المأمونة التي تقم فيها عصابات الأكراد وسيكون كل فرد فى شغل من خوفه على نفسه عن أن يفكر فى . ومضى اجتازنا تلك الجهة أسبغنا فى أرض غير أرض إيران . ويمكننى إذا عرف أسرى أن ألبأ إلى حماية الأتراك

وجاء ذلك اليوم الخيف : اليوم الذى لن أنساه

ولما علموا ذلك صاح كل واحد من الموجودين : « حاجى بابا هو القاتل ! لا ريب فى أنه هو الذى قتل العالم الأكبر ويجب أن يبال القاتل جزاءه » . وأخذ جميع سكان المدينة يبعثون من حاجى بابا وقد قال كثيرون إن ثمانى هو القاتل .

وأرسلت الرسل للبحث عن ثمانى وحاجى بابا وإحضارهما إلى طهران حين أو ميتين ، ولست أرجو أكثر من أن أسادف واحداً منهما فأقال مكافأة تعادل أجرة جميع هذه البنال للمسافرة إلى كربلاء . أترك لكم جميعاً أن تصوروا ما كنت أشعر به عند سماعى ذلك الحديث إذا علمت أنى لم أنمود مقابلة المخطوب والمكارة بقلب جرى . وأنى ظالماً فضلت سرعة قدمى وخفى فى الفرار على أية وسيلة أخرى من وسائل الأمن والسلامة . ولكنى أدركت أن للتفهم فى موقفى الحاضر لا يجديني نفعاً بل هو شر من الثبات والتقدم إذ لم يبق بينى وبين حدود إيران غير مسافة قليلة أصير بعدها فى أرض حكومة أخرى فزمت على أن أخفى نفسى ما استطعت وأن أسير فى طريق مخدر من يعلم أنه عاظ بالنظر من كل ناحية

الفصل الثالث والستون

حاجى بابا يستكشف أسره ويضيق عليه
غير أنه حصى عظه بكثرة المصوص

تابت الثقافة سيرها فى الصباح التالى . ولكى أجنب الأنظار اخترت أن أسير بين البنالين والحالين وتقدمتنا زوجة شيخ العلماء فى هودجها ومسا أتياعها ومن خلفهم الجبال التي تحمل الجثث وبعد ذلك باقى الثقافة من بنال عملة تسير فى خط مترج طويل فى طريق كربلاء

و كنت على وشك الترحم على نفسى غير أن
الدليل خفف من جزى وقال : « لقد كنت آخر
رجل التحق بالقافلة وقد تستطيع إخبارنا عن المكان
الذى ينظر أن الص على خان موجود فيه على الحدود »
فأجبتة قلقاً مضطرباً ، بيد أنى جعلت أطيل النظر
إلى عبد الكريم وكذلك أخذ هو يمدق فى بنيه
التي ترسل النظر حاداً نفاذاً فكادت تنخلع
أشلاخى ويثب فؤادى من الرعب .

وظل عبد الكريم ينظر إلى كمن كان يشك
فى أمر بينا كنت أحاول للقرار من أمامه . غير أنه
لم يلبث أن استجمع أمره وصاح : « وجدة ! وجدة !
إنه هو بينه ! إنه الرجل الذى ضحك على ذقنى
وسلب مائة الطومان » .

ثم وجه الخطاب إلى الواقفين حولنا وقال :
« إن كنتم تريدون لصاً فها كم هو الص . اقبضوا
عليه بحق النبي الكريم ! »

فبدأت أحتج احتجاجاً شديداً وأنكر التهمة
التي ينسبها إلى عبد الكريم وكان من المحتمل أن
أصبح فى إقناع الواقفين حولى بأنى انتهت ظلماً
وعدواناً وأنى برىء لولا أن جاء لسوء حظى فى تلك
اللحظة المأذون الشرعى وعرفنى لأول وهلة ونادى
باسمى فأتضح أمرى وانتهت . يقتل شيخ العلماء
وشملت هذه الحادثة كل من كان فى القافلة وأحدثت
لنظاً شديداً وجلبه وضوءاً حتى نسى الخوف من
ضطاع الطرق الأكراد إلى حين ، وأقبل على كل
فرد فى القافلة ينظر إلى سمعتى ويمدق فى وجهى .
قبض على وربط يداى إلى ظمري وأوشكت
أن أسحب على وجهى فأعرض أمام زوجة شيخ

طول حمري والذى سأطل أذكره ما دمت أذكر
شيئاً من حوادثي . وذلك أن القافلة مشيت مشية
عسكرية وشهر كل من كان معه سلاح سلاحه .
وذكرنى ذلك النظر بمنظر آخر يشبهه وقد قصصته
فى جزء آخر من هذا الكتاب حينما كنت فى حجة
عبان أنا ولاقينا جملة التركان . وما أشبه خوفى
ورعبى فى هذه الحادثة بخوفى ورعبى فى تلك . ولأنى
أسدقكم القول أن الزمن لم يبر من خرميتى ولم يقو
أعصابى ولم يسكن فؤادى

سادت القافلة فى نظام وعلى استعداد لكل
طارى تحت قيادة جايوش وتقديمها الدليل فكون
هو وأتباع زوجة الملا باشى ما يشبه طليمة الجيش
وأما أنا فقد كان لحوفى على نفسى أكثر من
سبب واحد . ولذلك اختلطت رجال القافلة وحدت
الله على أن ليس منى من المتاع غير المال الذى أحله
فى حوزى

وكنائير فى سكوت تام فربكن يسمع إلا صوت
أجراس القافلة . وسبحت فى بحر من الخيال
وجعلت أفكر فيما سأفعل بالخمسة والتسعين طوماناً
عند ما أصل إلى بغداد إذ حانت القافلة منى فرأيت
دليل القافلة قادماً إلى يصعبه أعجى حسن الهندام
وقد أشار الدليل بيده نحوى وقال لرفيقه : « هذا
هو الرجل نفسه »

فقلت لنفسى : « ورأس على لقد قلب الحظلى
ظهر الجن وتكرلى القدر بيد أن ساقانى » .
نظرت إلى رفيق الدليل ولم ألبث أن تبينت فيه
شخص عبد الكريم الذى استوليت منه على مائة
الطومان فى قرية سيرايدو بواسطة الخطاب الذى كتبته
وبسمت عليه بخاتم الرحوم الملا باشى .

من ينتظرون له فدية . وعلمت أن نجم حياتي قد عاد إلى نالقه وإشرافه ، لأن من يملك متاعاً أو بئس ثياباً تم على نعمة وتراء قصد إليه المصوص ، أما أنا وبني الحفير فكان في حالة لا تسترني أنظارهم ولا تستدعي أى اهتمام ، فسرت بلا مشقة ولا عناء في طريقى إلى مقصدى وليس دونى طائق إذ لم يكن لى بين الجثث المنتشرة هنا وهناك قريب أو صاحب أضع عنه فدية ، وكنت حراً كالغواء طليقاً كالماء ، فتأملت طريقى حتى تخلفت من تلك الأخطار ونجوت من المصائب التي كانت تحيط بى بمسجزة هى أشبه بالسحر قائلاً : « برك الله فى قدرى ربحانى وحظى بخدمنى وتوفيق لىس بدمه من توفيق »

الفصل الرابع والسئون

الوصول الى بغداد . مقابلة حاجى بابا لبيده الأول
انجاء نظره للعبادة

تركت أرملة اللابشى وعبيدها وأتباعها بين أيدي الأكراد وأسرت فى طريقى لا أوى على شىء محاذراً أن يحدث أحد بعد الذى حدث أخيراً بل اتبعت فى سبرى خطة لا تسترني الأنظار ولا تثير الاهتمام

رأيت فى طريقى بعض من أفلتوا من الأكراد ولكنهم لم يبتعدوا عن مكان الحادثة كثيراً إذ كان لكل منهم بنية فى القافلة تخافوا حولها رجاء التمكن من متاع أو مساعدة صديق

وكنت أنا الوحيد الذى لا ناقة له فى القافلة ولا أمل فيمد أن سرت فرسخين أو ثلاثة أمنت الطريق الذى لم يشاركى فيه أحد وصرت بخاطرى حوادث حياتى كلها واستمرت أمام غيلنى

العلماء وإذا لحظت يساعدنى والقدر يمد لى سبيل الخلاص

سمعت نجاة صرخة عظيمة دوت عن بعد ، ورأيت كوكبة من الفرسان تتحرك إلينا من جانب التل الجاور فأدركت وأنا أبهل فرحاً أن هؤلاء الفرسان هم الأكراد الذين ألقوا الرعب فى القلوب وخشيتهم القوافل

سرى الخوف والاحذر فى القافلة كلها وحل فيها الاضطراب والارتباك فلم تستطع المقاومة ، إذ كان يمزحها الاقدام والقوة فهرب راكبو الدواب وخاف البغالون على بناتهم فقطعوا جبال الأحال وتركوها منتشرة فى السهل فى متناول يد المصوص ونحت رحمتهم ، وكذلك أتى ما كان على ظهور الجبال من الجثث فكانت ترى مبصرة فى كل مكان وقد لاحظت أن الكيس الذى فيه جثة الملا ياشى سقط فى نهر هناك وكاننا القدر لم يكتف باغراق شيخ العلماء حتى أغرق جثته . وبالاختصار فقد عمت القوضى فى القافلة وانتشر الهياج وبذلك انفردت بنفسى خلفت ونأتى بسهولة ولاحظت أن الأكراد وجهوا جل اهتمامهم إلى المودج ومن حوله من الأتباع لأنهم توقعوا أن يجدوا به من هو خليف بالأسر من ذوى المكاكة ، وسرى وأطلع صدرى أن أجد من كانوا منذ لحظة يسيرة يدبرون لى وسائل الخراب والدمار وينظرون إلى " كنى قصى عليه أصبحوا هم أنفسهم فى نفس الحالة التي اختاروها لى وحل بهم الخطب الذى كنت فيه والمصائب الذى نجوت منه

ولقد ذهب تهديد أتباع الأرملة ووعيدى سدى ولم تجد مقاومة ولم يمنع مهاجمهم غلاظ الأكباد متخجري القلوب ، مانع عن السلب والنهب وأسر

ما شاهدت وما فاسيت وانتهيت إلى النتيجة الآتية:
قلت في نفسي : « ما دمت بمخدمى الحظ
ويساعدنى القدر فلأسعين إلى مطامى ولأجبرن
وراء أغراضى ورجوت أن يكون فشلى الأخير
مقدمة لتحقيق آمالى وإدراك ما أطمع فيه من نعمة
وثرء »

وقلت : « في حراى خمسة وتسعون طوماناً
وطريق العمل مفتوح أمامى فلأن الملا نادان تقطع
جسمه على آلة التذويب وأرمله شيخ العلماء قبض
عليها الأكراد وقتلوا فساداً يعنى من المصعب
في مشيقى والتبى في مسيرى كأحسن رجل في
إيران ؟ »

وأخيراً رأيت قباب بغداد ومبانيها ثم وصلت
إلها فدخلتها هربياً جاهلاً بأحياءها، وكنت أعلم أنى
أستطيع اللشور على خان في كل بقعة من المدينة
ولكننى تركت البشل يقعون حيث شاء

وكان البشل على دراية تامة بطرق المدينة
وشوارعها فوصل بى إلى خان كبير لاشك أنه كان
مستاداً أن يبيت فيه في رحلات القوافل . وعند
اجتيازه حبة الخان نهى بضع نهقات منتظراً سماع
الجواب من رفاقه في اصطبل الخان

وكنت أشعر بضيق وإقباض صدرى وزاد في
اغتيابى وسماضى، إن سمح أن يسمي ما كنت أشعر
به سعادة أنى أبصرت جماعة من مواطنى في رحبة
المدار، ولم أثبت أن أدركت أن الخان مكان تلاقيهم
جنلت أخفف عن نفسى بقولى إن مظهرى

لا يدمو إلى الالتفات ولا يجلب النظر وكم كانت
خبيتى حين ظهر أن الأمر على عكس ما ظننت
إذا ما كدت أترجل حتى وجهت إلى آلاف من

الأسئلة فقد كان قوم ينتظرون القافلة من آوة لأخرى
وكان التجار ينتظرون وصول بضائعهم بفارغ الصبر
وظن الجميع أن في إمكانى القضاء إليهم بما يودون
أحييت إعجابات تتناسب المقام غير أنى عزمت
على أن أترك قوماً فضوليين لا يفرغون من أسئلتهم
كقولا القوم وأن أدخل منهم إلى مكان آخر
أختفى فيه

وعلى ذلك تركت بنلى تحت رحمة الأقدار معللاً
النفس بأن صاحبه لا يثبت أن يحضر وبأخذة وعمت
ناحية أخرى من نواحي المدينة

بدأت بإتمام تنكرى فغيرت قلنسوى المصنوعة
من جلد النمر بما يرضه أهل المدينة على رؤوسهم
وهو كيس طويل أحر اللون من قماش يتبدل أهلاء
إلى الظهور . وربطته على رأسى بقطعة ملاءة من الحرير
وابتعت ثوباً قديماً من الثياب التى يلبسها الأتراك
عادة . ولما ليسته فوق قفطانى ظهرت كالمهاجرين سواء
بسواء ثم أكلت هندائى بمخدائى لونها أحر

وبعد ذلك فكرت في أن أقدم نفسى إلى حائلة
سيدى القديم عثمان أنا لأنى بواسطتها أستطيع
أن أنصل بمصارف في المدينة وأن أقدم في ميدان
التجارة

وانطلقت في المدينة أسير في أسواقها لأسأل
عن ضالتي وكنت أتف فى كل بائع جلد إذ كنت
أذكر أن صاحبي منرم بتجارة الجلود، وذكرت أيضاً
كل ما كان يقصه على أثناء رحلاتنا حتى تمسورت
أننى أسل إلى باب داره من غير سؤال

وأخيراً انتهت حيرتى هذه بأن وقفت أمام
حانوت كبير من حوانيت البخاريين وسألت أصحابه
عما إذا كانوا يعرفون شيئاً عن رجل اسمه عثمان أنا

هل يليق بك أن تعامل صديقاً قديماً هذه المعاملة ؟
 فما كنت له أني لم أكن أسى إلا إلى سعادته ،
 ولم يكن في الأمر غاية أخرى ، وأني حسبت أن
 تلك السيدة التي كانت جارية للشاه ذات جمال وحسن
 تستبقني إلى آخر أيامها ، واعتقدت أنها بذلك فوق
 ما ينبغي رجل مثلك قضي أحوالاً عديدة في رفقة الجلال .
 فصاح صاحبي : « جمال ! أتقول الجلال ؟ إن
 تلك الجلال لو قورنت بالشيطانة التي أتيتني بها لكانت
 مثل اللؤلؤة . ليتك زوجتي من نافة بدلا منها ،
 فقد كان في مكنته ذلك الحيوان التمس أن يكون
 هادئاً في مشرتي ساكناً في مصاحبي ، وأن يتركني
 أذهب حيث أشاء ، وأفل ما أريد . بيد أن تلك
 الحية الخبيثة لم تجدا ما يقطع وقها من غير الترم
 بأنها أسمدتني وشرقتني . لأنها كانت تقود للشاه
 من ذقنه وتضطره إلى إجابة رغائبها بخفة روحها
 ورشاقة قدمها ولالها وغنجها . وكان لا يصعب للشاه
 أسراً إذا دأبت بلطمة خفيفة »

ثم قال محدثي وقد لطم خده يده : « أمان !
 أمان ! إني أكاد أشعر بوقع تلك اللطبات الآن »
 وأخيراً انتزع الرجل بأنه لم يكن لي دافع إلى
 تزويجها منه غير الرغبة في إسماده . ثم دفني إلى
 ضيافته ، وأن اتخذ مقامي في بيته مدة إقامتي في بغداد
 فقبلت منه ذلك مسروراً بلا تردد

حدثت هذه المناقشة بيني وبين عثمان أماً في
 الحجرة الخلفية من حاوت للتاجر البخاري ، وقد
 سقاني عثمان أماً مقداراً وافرأ من القهوة التي كان
 يستحضرها من شرب جاره ، وبعد انتهاء الحديث
 عرض على الذهاب إلى حاوت ولده في نفس السوق
 بمد بضمة حوائث

وكان اسم ابنه سليمان ، وكان سليمان هذا في

من بغداد ، فسمعت صوتاً تعرفه أذناني حتى الرفقة
 يجيبني : « من يردي ؟ أنا عثمان أماً »

وتصور أيها القارئ مقدار سروري ودهشي
 فقد كان التكلم هو نفس عثمان أماً ذلك الشيخ
 الحرم ... دهشت غاية الدهشة من مقابلتي إياه كما
 دهشت سابقاً من رؤيتي له في طهران ، وكذلك
 دهش هو من مقابلتي وقصصت عليه من حكاياتي
 مارأيت أن أقصه عليه ضرورياً وروى لي هو الآخر
 حديثه الآتي :

ترك عثمان أماً طهران وفي عزه مواسلة السير
 إلى الآستانه لجلها مراكز تجارتها ولكنه سمع أن
 أخطاراً عظيمة تهدد المسافرين بين أرباق وأرصورم
 إذ لا يسلم المار في تلك الجهة من السرقة ففكر في
 زيارة بغداد ووصل إليها وهي موطنه الأصل بمد
 غياه عدة أعوام ، وقد وجد أن ابنه قد كبر وباع
 مبلغ الرجال بمد أن أقام مآتم والده للضائع واتخذ
 في الأسرة مركزه بين والده وأخته . ولكنه بمد
 أن رجوع والده لم يظهر أي امتناض بل امتثل كسمل
 صحيح الاسلام للآية القرآنية للشرقة التي تخص
 على البر بالوالدين وتوجب ألا يقول لها أف ولا ينهرها
 ويقول لها قولاً كريماً

ثم أضاف محدثي إلى ذلك أنه وجد زوجته حية
 تزوج وابنته في سن يؤهلها للزواج ، وبعد أن انتهى
 الرجل من سرد حوادثه على التفت ونظر إلى نظرة
 شزاء لم أمهدا فيه من قبل وقال لي : « يا حامي بابا
 قل لي بحق نبينا محمد ما الذي دفعك إلى تزويجي
 من تلك الشيطانة الخبيثة في طهران ؟ هل أودت
 أن تجعلني أنسى متاعبي وهمي أم أجدها بين
 ذراعي تلك المجوز اللقيضة ؟ وحق ما بيننا من ألفة
 قديمة وصداقة مثينة لقد كانت أبوي معها أنس
 وأنس من الأيام التي قضيتها في أسر التركان !

أخصص وقتي وأقصر جهدي في المستقبل على الحصول على عيش ناعم بواسطة التجارة . قلت كذلك إن كثيراً من الناس أدر كوا النسي وجموا أموالاً طائلة رغم ابتدائهم بمحالة أصفر من التي أريد أن أبتدي بها ووافقني عثمان أنا وولده على هذا الرأي ، وعند ما انتهينا من أسر الثروة التي ساجمها قال عثمان أنا بيت الشمر الذي واه أثناء رحلته وهو :

« يسقط الماء من بين الصخور تقطة فنقطة حتى يصير في النهاية بحراً » .

وحين وصلنا إلى هذه النتيجة أخذنا وجهتنا عثمان أنا ونجله وأنا إلى المنزل الذي كان يقع على مسافة غير بعيدة من السوق .
« ينبع » عبد اللطيف النشار

أثناء غياب أبيه قد تزايد زبى التجار ، وطاش عيشة طيبة ، جالساً طول يومه — عدا أوقات الصلاة — على مصطبة دكانه ، ومن حوله بضاعة مرسومة رسماً بديعاً على رفوف مرسومة على الحوائط وكان حينما قصير القامة يشبه أباه أتم الشبه حين علم أنني حامي بابا رجب بن وهش في وجهي وتزع غليونه الذي كان يدخل فيه من فمه وناولني إياه

وقد رجوت أن ألتحق بعيش رغد ومقام طيب في بغداد في حبة هؤلاء القوم الأخيار ولكني لا أظهر بمظهر المالاة عليهم أخبرتهم بأن لدى خمسة وتسعين طوماناً واستشرتهم في أجمع وسيلة أنبها لأربح منها في التجارة وقلت لهم إنني قد تعبت من حياة التجارب وكثرة الطواف وإنني عزمتم على أن

بنك مصر

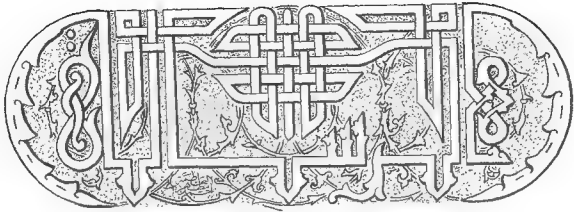
أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عامره . وعاملوا شركائه . تكثروا .. النصر لعمروكم

(طبعت بمطبعة الرماكة بشارع الميبرولى - عا حبيب)



مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهير العبقرية للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهير التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحو في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجوعة أعداد هاديو أن العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

لاشتران لادبيات شرقية ، والحاجي مايساري جينها مصر ، والبلاد العربية بمضمون ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل.

احمد حسن الزيات

جل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدول رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرجلة

مجلة اسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

٢٥ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٥ إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٤

من لَحْسَنِ الْقِصَصِ



فهرس العدد



صفحة	
٣٣٨	انظام
٣٤٩	سندوق النفور
٣٥٦	المارد الذى يحب نفسه ..
٣٥٩	تعب القلب
٣٧٠	عنبرة
٣٧٦	حاجى بابا أصلهافى
...	أفصوصة مصرية
...	أفصوصة مصرية
...	للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد
...	عن الانجليزى
...	أفصوصة مصرية
...	للكاتب الانجليزى « جينز مور »
...	يقلم الأستاذ محمود الحنيف
...	يقلم الأستاذ درينى خيبة
...	يقلم الأستاذ غزوى شهاب السعيدى
...	يقلم الأستاذ عبد المجيد حدى ...
...	يقلم الأستاذ عبد القى طى حسين
...	يقلم الأستاذ عبد الحطيف النشار

ونظرت إليه نظرة صارمة فيها
الجزر والاستخفاف والفضب، وفيها
كذلك التهديد بأنها لم تعد تطيق منه
هذه الحال التي جعلت عيشهما تكداً
على نكد؛ وفهم الرجل مغاى نظرتها
فأطرق يخشى أن ينطق فزيده كلماتها
ضيقاً على ما به من ضيق

من صمد الرضف أنفتام

أقصوه من قصصه

للأستاذ محمود الخفيف

وكانت امرأته في الخامسة والأربعين من عمرها
لا تزال تحتفظ بقسط كبير من جمالها السابق، فما
يزال في وجهها بقية من ملاحظته وصباحته، وما زال
يحمل جسدها نصيباً من سالف نموته وطراوته،
وعيناها الواسعتان اللامعتان ما يزال يحتلج فحهما
قبس من ذلك الإغراء، ثم من ذلك السلطان الذي
طلما تحكمت به في فتیان القرية أيام الشباب والحب،
ذلك السلطان الذي أذعن له عثمان وبرهن على إذعانه
بما أنفق في سبيله من مال حصل عليه ثمناً لفدان
من أجود أرضه باعه في غير تردد ولا إبطاء
وانتهرت زوجها قائلة :

— فيم هذا الثم كله يا رجل ؟ دائماً تجلب لنا
النكد من غير سبب ... ماذا جرى ؟ في هذه السن
تسمع كلام الكاذبين ؟
— لاشيء ... لاشيء ... الحر شديد ... أنا
أشكو الحر ... أنا تبيان —

ووصلت في تلك الساعة إلى الدار ابنتها نبوية
تمسح بالبقرة والجاموسة ، فرفع إليها أبوها بصره
وفي عينيه مثل ما يكون في عين نمر غاضب بكاد يتميز
من غضبه ، ولكنه عاد فأطرق مسرعاً خشية أن
تقع عليه عينا امرأته ، وإنه يحاول أن يخفي ما تركه
في جسده مرأى ابنته من رجشة بلغت حد الانقباض

جلس أنام داره وقد غربت الشمس وأخذت
تتلاقى في سماء القرية لظلال المساء ، وتشتيع في زرقه
الأفق حمرة الشفق ، كما أخذت تنسم أنفاس الليل
قتسروها الأنفاس الضائعة التي كاد يزهبها حر
النهار ...

ودار الشيخ عثمان بوجهه يستقبل النسمات
الواوية التي كانت تنساب إليه متقلعة من ذلك الفضاء
الذي يمتد أمام بصره من موضعه إلى حيث تنبسط
الحقول البعيدة ، وكان ذلك القروي الشيخ يفتح
صدره لتلك النسمات وينشق منها ملء رتيبه ، وكان
يبدو من ترهد وجهه وقلقه وما يحتلج في عينيه
الذابلتين أنه يلتبس فيها فضلاً عن طراوتها روحاً
لنفسه من همومه التي بات يؤوده حملها

كان الشيخ عثمان يذبل للستين ، ولكنه كان
يبدو مما يشغل فؤاده من هم كانه أربى على الثمانين !
فقد احترم ذلك المم جسده أكثر مما احترمه
السنون ، وتزايدت في وجهه التجاعيد حتى ليحجب
الناظر إلى ذلك الوجه كيف كان خلوا منها في يوم ما !
ودنت منه امرأته فسمته بتهداً تهداً عميقاً ،
ويش أنيتاً لا يكاد يطلقه حتى يكتمه مستسلماً تارة ،
رمماً ضائقاً بالحياة تارة أخرى ؛ ولا ألناها إلى جانبه
تظاهر أنه إنما يشكو الحر

تكنمته عني ولكنك تقول إليك تنق بذلك الرجل ،
فإن كان ما جاءك به لا يصدق فاطلب إليه أن يحلف
بيمين الله »

ومضى الشيخ عثمان منصرفاً إلى داره وكأنا
خفف ما أشار به عليه الإمام بعض آلامه ، فهو
في سيره خفيف الخطى ، لا يتوكأ كثيراً على عصاه
كما كان يفعل في ذهابه إلى المسجد أو كما كان يفعل
منذ نعى إليه ما كدره وأحزنه

أسفر الصبح وأفاق الناس من نومهم ولا يبد
وجه الشمس ، وعاد الشيخ عثمان من المسجد ، فأكاد
يصل إلى عتبة داره حتى كانت ابنته خلفه قد عادت
في سرب من صاحباتها يحملن من التزعة جرارهن
ويسرن بها خفيفات في وجوههن بشر ونور من بشر
الصباح ونوره ، وفي وجعها ذنونهن كدرة وشحوب
لم تقو على إخفاها

وأسند أبوها عصاه إلى جدار الدار ، ومد يده
تحت إبطه فأخرج شيئاً ملففاً بورق ؛ وفض الورق
فتبينت بنته مصحفاً صغير الحجم عرفته لأنه شبيه
بمصحف أخيهامصطفى الذي طالما شدد عليها ألا تمسه
إذا هي فتحت صندوقه ؛ ولقد دق قلب الفتاة دقاً
عنيفاً حتى لقد سمعت أمها تلك الدقات وهي تعاونها
على وضع جرتها فوق المصطبة ، ذلك أنها ظنت أن
أباها ما جاء بهذا المصحف إلا لتقسم هي به .

ولكن الرجل كان يدور بينه وبين الفينة والفينة
يحوم مدخل حارة من الحارات القريبة ينتظر مقدم
شخص يريده ، ونظر بعد هنيهة نظرة تمشت على أرضها
صفرة في وجهه المستنور المتغضن ، فما هو ذا حسن
يسير نحوه . .

ودخلت نبوية فملفت المشاية ، وألقت بعض
الماء في أواني الطير لتجدها سائلي إذا أصبح الصبح ،
ثم ذهبت لتبهي الطعام لأخويها فقد عادا من الحقل
وجلسا ينتظران بالباب

غص بمسجد القرية قبيل المشاء بأهلها من كل
ناحية ، وما خان موعد الصلاة حتى كان الناس
في ذلك المسجد الكبير صفوفاً خلف صفوف من المنبر
إلى البابين الكبيرين ، وقد نهضوا على تكبير الإمام
يقسم الصلاة في صوت رنان يسمع وانحفاً في أركان
المسجد كأنما يحمله مكبر صوتي ، وركع الناس وسجدوا
ثم سلموا وخرجوا من صلاتهم يريدون دورهم
إلا الشيخ عثمان فقد سار مسرعاً نحو المحراب حتى
جاء الإمام فذاع منه وسلم ثم تناول يده فلقمها على كبره
وسأله : « يا سيدنا الشيخ كيف تبين ؟ سمعت
في الصلاة ما أفهم منه أنه يجب علينا أن نتبين
إن جاءنا ... »

وأجاب الإمام « إن جاءكم فاسق بنياً فتبينوا
أي انظروا في هذا النبا أهو نبا صحيح أم كاذب »
— ولكن كيف أتبين ؟ أخبرني رجل بشيء
لم يره غيره فكيف تكون البينة ؟
— وهذا الرجل هل تنق به ؟

— نعم إنما هذا شيء لا يصدق وإن كان ليأكل
الحم بعده قلبي

قالها الرجل والدموع تنحدر من محجريه فتجري
في أخايد وجهه ، وكان في ذلك الوجه لوعة وجزع
لم يتالك الإمام لهما دمة فتنتد عيناه ولكنه ابتدر
الرجل قائلاً :

« على أي حال لست أفهم ذلك الشيء الذي

— كفى كفى يا بني.. أهنئني في شرفي واتهمني في عرضي... الحمد لله أنك كاذب وإلا فهو العالم ماذا كان يحدث لها أولى .

لاحظ الناس أن الشيخ عثمانًا يفتق باب داره عليه بعد الغروب، وأنه هو وابنيه يستروحون نسيم المساء على السطح بدل مدخل الدار، وعجب الجيران أن أصبحوا يرون حسنًا يدير وجهه مقضياً كلما مرَّ بتلك الدار، وأنه لا يلتقي التحية على الشيخ عثمان إذا صادفه في الطريق . وكذلك عجب الجيران أنهم لم يعودوا يرون أحمد يجلس لدى الباب مع مصطفى وعبد الصمد وقلمًا كان يتخلف ليلة في الصيف عن ذلك ...

وظل هذا شأن الشيخ عثمان وأهل داره إلى أن كانت ليلة قراءه فيها التيسيم غير وان ولا متقطع، فكأنما جنب السكان لدى مدخل الدار الشيخ عثمان جذبا حينما وصل من المسجد فجلس وفي نفسه ألا يطيل، ولكنه لم يكده يجلس حتى مر به الشيخ مبروك فسلم وجلس، وماهى إلا برة حتى مر الشيخ عبد المطلب، فجلس ثم مر من بعدها الشيخ عمر واثنا غيره من الجيران فمن هم دون هؤلاء سنا وهما الليثي وعبد الفتاح فجلسوا جميعاً حول الشيخ عثمان وسأله الشيخ مبروك قائلاً :

ياشيخ عثمان إيه حكاية الخلاف بينك وبين حسن أبو سالم ؟

— لا ، مسألة بسيطة، لا خلاف ولا غيره وتجهم وجه الشيخ عثمان وأحست نفسه الضيق فلا بد أن الجيران قد نبى إليهم سب القطيعة بينه وبين حسن ، ولعل فيهم من يفهم الأمر على غير

— السلام عليكم يا عم الشيخ عثمان، ما هذا ؟ هل نويت أن تصبح قفحا ؟
— عليكم السلام . اجلس يا حسن أنا عاوزك . لا ، قم بنا إلى داخل الدار .

ودخل حسن الدار وراءه ، ونظر الرجل فلم يجد أحداً قربه وأنصت فسمع صوت امرأته في الحظيرة فأدرك أنها وابنتها مشغولتان في حلب الماشية فعول على انتهاز الفرصة ، وأخذ يد حسن قائلاً :

« هات يدك ، ضمها على هذا المصحف ، قل أحلف بكتاب الله ... »

وجذب حسن يده متعجباً وقاطعه قائلاً : « فيم هذا ؟ ماذا جرى يا عم عثمان ؟ »

— احلف على المصحف أن ما قلته لي بخصوص أحمد والبت صحيح ؟

— أحلف أنها تحبه وتتودد إليه وأنه يتودد إليها ويعطيها أشياء يشترها لها من ماله .

— إذن أنت الآن يا بني تغير ما سبق أن قلته . يا بني هذا حرام لا يرضى الله . تنهم بنتاً في عرضها ؟ حرام عليك ، حرام على كل من له ولاية ... أهكذا يا بني تخرمى النوم وتسخر من ذقي ؟ دا أنا أكبر منك بالله .

— ما هذا ؟ قلت لك أحلف أنه ...

— هل تحلف على ما سبق أن ذكرته ؟

— لا أحلف على شيء نسيت .

— لا لا يا حسن ، الله يجازيك بذنبك ، يا بني

كفى ما جرى ، من اليوم لا تدخل دارى وكل واحد منه لله .

— أنا يا عم عثمان أدخل دارك من اليوم أو من البارحة ؟ أنا أدخل دارك منذ ستين حصل منى إيه ؟

هذا أن يهمل جانب هؤلاء أو يفرط في محبتهم .
ولقد خشي الناس كذلك على الشيخ عثمان
بمسه شيء من غضب حسن ؛ ولكن الشيخ عثمان
نفسه كان لا يبغى بذلك . وكثيراً ما كان يقول لمن
يحاوره في هذا الأمر إن كل شيء عنده يهون
في سبيل محافظته على شرفه ، وإن الأمر كله بيد الله ؛
ثم يتمم في يقين قائلاً : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا »

ولقد أحسن الشيخ عثمان صنفاً بأن أشار على
أحد كذلك ألا يدخل داره ؛ وإن كانت امرأته قد
خالفته في ذلك وجادلته فيه جدالاً شديداً ، لأنها
كانت تحب أن يكون هذا الشاب زوجاً لابنتها وإنما
لتعلم ما بينهما ... ولكن الرجل أمر ولم يعبأ هذه
المرّة بأرادة امرأته مهما يترتب على ذلك المصيان
وكأنه أراد أن يثبت لها سلطانه ولو مرة ...

ما كانت نبوة لتقدر أن تسلي عن صاحبها ،
وكذلك ما كان يقدر أن تسلي هو عنها ، وهما بت
لقلبين يربط بينهما الحب أن يفرق بينهما إلا الموت ؛
لذلك كانا يتلسان السبل للبقاء وهما أشد ما يكونان
خوفاً وحذراً أن تراهما عين فيصل خبرها إلى أيها
أو إلى حسن فتكون الكارثة

كانت نبوة في العشرين من عمرها كالزهرة
في ريمان الربيع اكتملت نفاؤها وتمت روعتها
وتوفى لها من معاني السحر والفتنة ما تمنى لو كان
لهن بعضه الكثيرات من فتيات القرية ؛ ترى الأعين
في وجهها الصبوح ملامح أمها وترى في عينيها ذلك
الإغراء الذي أخذ يتلاشى في عين الأم ، والذي
يأمر ويتحكم اليوم وينبث من مقلتي الفتاة كما
تنبث السهام

وجهه كما هي المادة في كل الإشاعات ، أو لعل فيهم
من يصدق ما افتراه حسن على أحد من حديث ،
وإلا فما بالهم يعيرون الأمر هذا الاهتمام فيسألوا ؟
وراح الشيخ عثمان يتنهد تنهداً عميقاً ويعقب
كل مرة من تنهده بقوله : « يا الله يا لطيف ... »
وما درى أنه بذلك إنما يزيد هؤلاء المتسائلين شكاً
ويستثير فضولهم . ولكنه لم يكن يستطيع كتاباً هم

تذكر الفتيان أحدهما للآخر يريد أن يثار منه
لنفسه ؛ أما حسن فقد كان يضرر السوء لأحد
منذ عرفا نبوة ، ذلك أنه كان يعتقد أنه يفرجها بالفاظه
المسولة ووعوده الخلابة ، ولكنه كان يداريه حتى
لا يصل إلى الناس أمر خلاصتهما ؛ وأما أحمد فقد كان
يمتد حسناً لأنه يخشى أن يأخذ الفتاة من أبيها
قسراً بما كان له من بطش لا يجعله أحد في القرية
لم يكن من إعلان الخصام بد بعد أن طرد حسن
من بيت الشيخ عثمان فليس في رأيه من أوعز صدر
هذا الشيخ حنفاً عليه إلا أحمد . وبات من يعلم نبأها
مشفقين أن ينال أحمد من بطش خصمه ما لا قبل
له به . ومنذ الذي يستطيع أن يفلت من هذا الفتى
إذا اعترم الكيد والانتقام ؟ ليس في المتفتين في القرية
والمتنمرين من بدانيه في إشعال الحرائق وتسميم
الماشية ، وقيادة الأشرار إلى إتلاف الزرع . وليس
في المجرمين من يوقوه في سعة الحيلة وإحكام الجريمة
والقدرة على الإنفلات من سطوة القانون
على أن أحد على الرغم من ذلك كان مطمئناً
بمض الاطمئنان ، ذلك أن وشائج النسب قد ربطت
بينه وبين كثير من أسر القرية على نحو غريب ،
وفي عصبة حسن نفسه بعض ذوى قرابه ولا يستطيع

وتجنب كل من الفتيين مجلس الآخر وكره لقاءه حتى ما تقع عين أحدهما على الآخر إلا وفيها من معاني البغض وأمارات الشر ما ينذر بالويل والخطر وانطوت الأيام على هذا الحال ونعم الشيخ عثمان زمناً بهدوء البال وحلت في وجهه محل القطوب والعبوس بسمة الرضا والدة والاطمئنان ، فلقد استراح من بواعث الخوف ودواعي الهم وأسباب القيل والقال

وظل احمد يتلمس السبل للقاء فتاته دون أن يعلم بذلك أحد إلا أمها واثنين من صاحباتها ، إلى أن كان ذات صباح من أصباح (هاتور) وقد بعث الربيع في إقباله الحياة في كل ناحية من نواحي الحقول ، وأوحت إلى النفوس برامحه الوليدة معاني الأمل والبهت والقوة ، وحدث أزهاره قلوب الفتيان والصبايا أحاديث الهوى والسحر والجمال ، وألهمت شواذى الفصون من طيره المحيين سر المرح والخفة والانشاء ، وذكرتهم المشاش المأهولة أن هذا هو زمان الوصل والمناجاة والألفة والبناء

في هذا الصباح خرجت نبوية تسبق الطير قاصدة إلى التربة لتتلأجرتها وسارت وحدها وإن نفسها لتفيض بمعاني الحبور والجلد والنشوة كأن هامساً يهمس في سمعها بأحداث المني ويشيرها بما طال انتظارها إليه من نعيم وسكن ، وكانت ترى في هذه البكرة أروع ما تكون جمالا وفتنة ، وأعذب ما تبدو رشاقة وملاحة ودلالا ، وقد اتسق جمالها في جمال الكون من حولها حتى ما يعرف على وجه التحديد أسرت إليها من الربيع الفتنة والحسن ، أم ألقت هي محاسنها ومفاتها في محاسن الربيع ومفاته فأضافها إلى معانيه وزاد بها في مسراته ومباهجه ؟

ولقد نشأت نبوية مدللة يحنو عليها أبوها كأنه لم يرزق من البنات والبنين غيرها ، وتولها أمها حنان الأم ومجة الأم كأعظم ما يكون الحنان والحب ، ثم ترى فيها صورة منها فيحملها شعورها أن مرد هذا الجمال إلى جمالها هي على المحب والزهو ، وتستشعر نفسها النقطة والسرور أنها بابتها تحيا اليوم في ماضيها ؛ فلئن كان لها أمس السلطان والدلال بما وهبت من جمال فإن لها اليوم الفخر والزهو بما أنجب ذلك الجمال وما كانت تختلف نبوية عن أمها في اعتدال قوامها ودقة خصرها وبضاضة جسمها ، ولكنها كانت تختلف عنها في لون بشرتها فكانت شديدة البياض إلى حد غير مألوف في قري مصر ، يتجلى لك ذلك البياض على طبيعته إذا شمعت عن ساعديها أو إذا كشفت عن ساقها ، أما وجهها ونحرها فقد طبعت شمس الزيف عليهما لون الورد الأحمر حتى لتحسب أن عليهما طلاء وما مسهما الطلاء يوما ... وإذا انحسر مندبليها إلى أعلى قليلا عن جبينها المستدير السمح ، رأيت في موضعه من البياض فوق هذه الحرة ما يشبه الثرة تسيل فوق جبين مهرة جميلة ... أما صفاتها الذهبية فما يدرك مبلغ سحرها إلا تلك القلوب التي طالما هفت إليها وأحست كأنما علقت بها : قلوب الشباب في أعماق القرية ، وقلوب الشابات التي كانت تحس لديها مع الإعجاب معاني الحسد والغيرة والتمنى

نصرت الأيام واقضى الصيف ولم يعد يرى أهل القرية حسنا ولا أحمد يساعدان الشيخ عثمان في حقله كما كان يفعل كلاهما من قبل ، كذلك لم يعد يراها الناس عند داره كما تعودوا أن يروها ...

خالط لفحات الصيف شيئاً فشيئاً أنفاس
الرياح الرخية ، ونضجت سنابل القمح وراحت
عيداتها الذهبية توحى بمنظرها وخشخشتها إلى
المزارعين أغنى الحصاد ورزين المناجل وسحر العشايا
والبكر وروعة القمر في تلك الليالي التي تشبع الهبة
في النفوس ونحي الزهء في القلوب ، ونحي كثيراً
من الشبان والشواب بتحقيق الآمال المنشودة
وحلول الأيام الموعودة

وعاد مجلس الشيخ عثمان سريره الأولى أمام داره
عقب صلاة المشاء كل ليلة حافلاً بأهل الناحية من
الشيخ والشباب . أما الشيخ فقد أحبوا عشرته
وأولوا بحديثه ؛ وأما الشباب فقد توقفت بينهم
وبين ولديه أواصر المودة . ولكن السر الحقيقي
في اجتماعهم حول داره لا يكاد يخفى على أحد ، فقد
كان كل من هؤلاء الشبان يعني نفسه أن تكون له
نبوة ، ولولا ما كانوا يخشونه من بطش حسن
لراحوا جميعاً يتنافسون في طلب يدها

وطال الحديث ذات ليلة وتشمع ، فن ذكريات
قديمة يستعرضها هؤلاء الشيخ عن حياتهم في القرية ،
إلى الكلام فيما وعوه عن آباءهم من أحاديث
« كالمعلمية » في عهد سعيد و « هوجة » عرابي
ومنهم من شهدا ، إلى غير ذلك مما طوته الأيام ؛
وكان الشبان ينصتون إلى حديث الشيخ في اهتمام ،
فاذا تكلم أحد الشيخ ناعياً على شباب اليوم أحوالهم
تهامس الشباب ساخرين أو تناسلوا بالأحداق ،
وقد منهم احترامهم لهؤلاء الشيخ أن يردوا عليهم
بما يخالف آراءهم

وانفض السامر والشيخ عثمان يرد على المسلمين
تحية الإسلام وودخل ابنه الدار ، وبينما كان هو يهيم

وصلت إلى الترفة وكانت غير بعيدة فوقفت إلى
جانب شجرة من أشجار التوت قد رد عليها الريح
رداءها جديداً رائع الخضرة فأمسكت جذع الشجرة
يسراها ووضعت رجلها اليمنى على حجر في الماء قرب
الشاطئ ثم أدلت جرتها حتى امتلأت وهي تنصت
إلى ضحكات الماء في فوهتها ثم جذبتها بكلتا يديها
فأخرجتها وأسندتها إلى الشجرة وأصلحت حويتها
فوق رأسها ودارت بعينها تبحث عن فتاة قادمة
أو غلام أو رجل يمينها على حملها . ولكن عينها
الجليتين لم تقا إلا على حقول الفول الداكنة وحقول
القمح التي أخذت تمشي صفرة النضج في خضرتها ،
فجلست على حافة الترفة تنتظر ، ثم بدا لها فكشفت
عن ساقها وأخذت تلقى عليها الماء وتمسل عقبيها
كأنما تأتي أن يعلق التراب بهذا المرمر الناصع الذي
تدل به وترى

ورفت عينها ولكنها لم تكذب تلتفت حتى التفت
تأنيك العيان بعيني أحمد وألفت نفسها بين زراعيه
القتوتين فانمت وغالبت ، ولكن أنى لها أن تدفع هذا
الهامام أو أن تكبح هذا الشوق ؟ وراح هو كالجنون
يلقي على ثمرها قبل مختلفه الطول ، فمشرة مقطعة
في زمن واحدة ، وواحدة متصلة في زمن عشرين ! .
وذملت عن نفسها برهة ثم أفاق فتداعت تدفقه
وقد دب الخوف إلى قلبها أن تراها عين ، ونهض
على رغبه ونهضت فتناولت حويتها وأعانها على حمل
جرتها وجرى إلى حيث كان بين شجيرات الفول ،
وسارت هي نحو القرية ينتفض جسدها انتفاضاً .
وتنازع مجاها الألبج صفرة المفاجأة وحمرة النشوة ،
وتمتثلج على شفتيها بسبات الرضا حيناً وسحات الخوف
والقلق أحياناً

ما يحسه من مرض ، وهي تحاول أن تسري عنه حتى نام أو تظاهر أنه نام .

وتراحت في رأسه الوساسوس والأوهام حتى صار غيبولاً أو كالمجنون ، وكان يطلب إلى الله ضارعاً أن يرجمه بالموت أو أن يصيب ابنته بكارثة من غرق أو حريق أو علة تودى بحياتها ... ثم ترجمه تلك الأفكار فينتفض جسده ويتصبب عرقه ، وتكاد ترهق روحه .

وأخذته سنة فرأى فيما يراه التأمم أنه صد فوق مشنقة الجلاد يوشك أن يضع الجبل في عنقه ، وبلته على مقربة منه وهو يتوسل إليها أن تغفيه فلا تحيب ؛ وظل على هذا الحال برهة ، ثم تقدم الجلاد فهم به ليشنقه ، ولكنه أفاق قبل أن يموت على تلك الصورة !

وراح يسأل نفسه أمي مظلومة ؟ وإنه ليرجوا الله أن تكون كذلك ، ويسأل أن يبين له الحقيقة ... ولكن الشك لا يلبث أن يستولى على نفسه فيحس كأن نارا حامية تمشي في جسده كله حتى ليهب واقفاً ثم يهذى كأن به جنة .

ونامت الدار فلا تسمع فيها حركة إلا ما تأتيه اللاشية في حظيرتها من حركات وأصوات ، وكانت نبوية تنام وحدها على سطح الدار تتوسد حضيراً وتلتحف ببلاء خفيفة ، وكانت في تلك الليلة تنفط في نوم هادئ ووجهها إلى السماء يقابل ملك الليل فيكون من وجههما قران أحدهما حالم في نفاسه ، والآخر حالم في مهده

ونهبض الشيخ عثمان فشئ في فناء الدار كأنه شبح من أشباح الليل لا يسمع لوقع أقدامه أى صوت كأنه لا يطلأ بهما الأرض ، ودخل حظيرة المشايبة

بالدخول استوقفه شيخ يقرب منه فنظر. فإذا هو حسن ، فأريد وجه الشيخ عثمان وأخذته ربكة اهترت لها أوصاله ، وأخرج حسن مصحفاً من جيبه فنأوله إياه ثم وضع يده عليه وراح يقسم على ما رآه بعينيهِ وهو يختبئ بين شجيرات القول قائلاً إنه إنما سكت هذه المدة لأنه كان يجتهد أن يتحرى مبلغ الصحة في إشاعة علمها ولكنه لا يستطيع أن ينطق بفحواها . ولم يجب الشيخ عثمان بكلمة ودخل داره

يجر رجله جراً وإنه ليكاد يهدم من الضعف . ولم يقرب النوم من جفنيه طول ليله ولم تفارقه الوساسوس لحظة ؛ وإنه ليوشك بما بلغ به من الضيق أن يلفظ النفس الأخير كلما صورت له هواجسه ما عسى أن تكون خوى تلك الإشاعة التي أشار حسن إليها

وعجب الناس أن رأوا الشيخ عثمان في اليوم التالي يكاد يسقط من الإعياء ، وهالما أن يذبل وجهه وتنطفئ غنياء ، وقد كان بينهم بالأمس موفور المرح بأدى العافية ، وراح هو يوم السائل أنه إنما يشكو مرضاً في صدره هو سبب ما هو فيه .

وصبر حتى جنة الليل فذهب كعادته إلى المسجد . ولما صلى الشاء ذهب إلى حيث كان يجلس الإمام فدنا منه وسلم ثم سأله هل يكون جزاء القاتل جهنم مهما كانت دوافع ارتكابه الجرمية ؟ وكيف يساق إلى جهنم من يقتل حفاظاً عن نفسه أو دفاعاً عن عرضه ؟ وأجابه الشيخ إجابات زادت حيرة على حيرة . فانصرف وفي نفسه شك من كل ما يقول به ذلك الإمام ...

فعاد من المسجد فشرّب بعض الماء وعافت نفسه الطعام فأوى إلى مضجعه مبكراً شاكياً إلى زوجه

يموض علينا ربنا في عقلك . خلاص بقيت زى اللعبة .
في أيدي العيال . أنزل . الله ينتقم من اللي كان السب »
وانهرت دموعها ساخنة على خديها فتمسحها
بكفيها ، وجرو زوجها فالتفت إليهما قائلاً :
« الله ينتقم منك أنت ومن بنتك ... يارب عجل
بالموت ... ما ذنبي يا ربى حتى أصاب بهذه الفضيحة
التي تملق بشيبي ... الله يبيدك بالعجز والعمى
يا نبوية يا بنتى ... أنا برىء منك إلى يوم الدين »

ولما نزلوا إلى فناء الدار أخذت الأم تنتحب
وزوجها صامت لا يجيب ؛ ثم قالت وهي تنشق من
فرط الدمع : « سأخذ ابنتي وترك لك الدار لتسريح »
ووقفت هذه الكلمات في نفس ذلك الشيخ
وقفاً أليماً ، فهو لا يطيق أن يبعد زوجته عن الدار
ساعة ، ولحبت هي أثر كلماتها في نفسه فاستطردت :
« حكاية عيال من أولها إلى آخرها ... وإذا كنت
تريد أن تطلعن على شرف ابنتك في الصباح تقسم
لك على المصحف وأمرنا الله »

— أى نعم أريد أن تقسم على كتاب الله أمها
ما فرطت في عرضها

— يا رجل ، استغفر الله! هل يصح الكلام ده
على ابنتك ؟

— أقسم لى حسن على المصحف أنه ...

— أعرف هذا كله ... وما قيمة يمين واحد
فاجر زى ده ... يا رجل افهم ، واحد ما يخفنى من
ربنا يقوم يخاف من المصحف ؟

— وهل أنت تفكرين أن ابنتك تحب أحمد
وأحمد يحبها ؟

— ولله يعنى ... داشى يحصل بين كل
شاب وشاب

فأخذ منها شيئاً ، ثم صعد على السلم إلى حيث تنام
ابنته ، وجلس إلى جانبها في رفق ، وقد ارتعش جسمه
وجدد ريقه ؛ ثم مد يده المروقة فوضها على بطنها
وراح يتحسسها في هودة ، ووسوس له الشيطان أن
في بطن ابنته علواً لا يكون في بطن الأبكار ، فارتفع
الدم إلى وجهه وهانت الدنيا في نظره ثم عقد النية
على تنفيذ ما اعترم ، وواتته وقتئذ جرأة عجيبة حتى
ما يفكر في شيء ... وغشيت القمر في تلك اللحظة
سحابة فكانت راح يتوارى من سوء ما يرى ، وتناول
للشيخ عبان الحبل الذى أحضره معه وقد أعده على
شكل مخنقة ليشد طرفيها حول عنق ابنته ورفع
يسراه رأسها من فوق الوسادة . وبينما هو يتأهب لوضع
عنقها في المخنقة أفادت مذعورة وقد خرج القمر
من خلف السحابة بنته فوقت عيناها على وجه أبيها
وعلى الحبل في يده فصرخت صرخة دوت في السطح
وشاعت في فناء الدار ، ولطمها أبوها لطمه قوية على
وجهها وقد سقط الحبل من يده ثم أمسك عنقها
وشد عليه بكلتا يديه وصاح بها : « يا فاجرة »

وهزعت الأم إلى السطح وقد أتق في روعها
ما حدث وأقبلت على زوجها فدفقته في عنف فألقت
على ظهره وراحت تكييل له الشتائم ، ثم أخذت بنتها
بين ذراعيها وراحت تهدهدها وهي من فرط دعرها
في غيبوبة شديدة يلاو صدرها ويهبط ، ويدق قلبها دقا
متوالي ينذر بالخطر حتى لقد كادت تصرخ الأم
لولا أن خشيت أن توقف الجيران ..

ولما ذهب عن ابنتها الروع وضعت رأسها على
الوسادة وألقت على جسدها ملامتها ، ثم جذبت بملها
من يده فطاوعها ومشت تجره حتى السلم فدفقته دفعة
كادت تلقيه على وجهه وهي تقول له : « أنزل يا رجل

جميعاً جاً لم تستشعره نفسه من قبل ؛ وما كدر عليه صفوه ما أحدث به الناس عما عسى أن يفعل حسن ، فلقد ملك الفرح عليه شعوره حتى صار لا يفكر إلا فيما هو مقبل عليه ، ولكن حدث أن جرى بينه وبين سليمان أحد لداته حديث ذات يوم فاستطال ذلك عليه وآله حتى لم يعلق أحمد صبراً فتهذبه وتوعده ؛ ولولا أن تدخل بعض الشبان فباعدوا بينهما لعظم شرها وتفاقم أمرها ..

أما حسن فقد تظاهر بعدم المبالاة لا يشير إلى هذا النبأ في أحاديثه ولا يلتفت إلى أحاديث رفاقه عنه ، فإذا خذه أحدكم عنه حمل محده في دهاء على أن يصدق أنه لا يحفل به وأنه انصرف عن تلك الفتاة ولو أن له فيها رغبة ما وقف في سبيله أحد وفي ذات ليلة روع أهل القرية بمنظر النار على

بعد تجرى في حقل من حقول القمح ، وقد صعد النسوة على أسطح الدور ينظرن ويتبين الجهة وكل تحسب النار في حقلها أو حقل قريب لها ويعلمو صراخها ، وجرى الفتيان والرجال نحو الحقلول ولكن أي لهم أن يدركوا شيئاً وقد كانت النار تجرى في ذلك المشيم في سرعة هائلة مروعاً ؟ وعاد الناس بعد قليل يعلمون أن النار لم تترك في قمح سليمان عوداً واحداً . . . ولم تنحصر الشبهة أول الأمر في أحد فـا كان يسمع على ألسنة الناس إلا قولهم : « ربنا يعوض عليه » أو قولهم : « ربنا يؤذي أولاد الحرام » . ووجد رجال الشرطة من معانية الحقل عذراً من الكرات القهشية المحشوة بالبارود وتترت الصودا والكبريت ، تلك الكرات التي اخترعها الفلاحون ليحاربوا بها روح الغضب في التجديد ! ولهم ليجملون لها فتيناً يفسن

--- عال قوی ! شیء يحصل بین کل شابة وشاب ؟
— اسم الله علی عقلک ، هوه ما حصلتی بینی وینتک ؟ افتکرک یا رجل الی عملته عشان تأخذنی .
وهو أما یومها فرطت لك فی عرضی ؟ یا راجل حرام علیک دانت من الی یصلوا الفجر ، والبزت علی کل حال تطلعن لأما

ولاحظت المرأة شيئاً من الاطمئنان يخالط نفس الرجل لهذه العبارة ، فأقبلت عليه وأخذت يیده وقالت : « قم یا شیخ بکره تستريح فیتحلف لك ابتک علی کلام الله »

وذهب الرجل إلى فراشه وصعدت الأم إلى الصلح فوجدت ابنتها ما تزال تبكي ، فازالت بها حتى اطمانت ثم رقدت إلى جوارها حتى أصبح الصبح

وثق الشيخ عثمان من براءة ابنته فصحت عزيمته على أثر ذلك أن يزوج نبوة من أحمد في أقرب فرصة وتتمكن في موسم القمح هذا . وسرعان ماذاع هذا النبأ فعرفه جميع أهل القرية ... وجزع من كانوا يمتنون أنفسهم بنيل يدها من الشبان ، وأشفق كثيرون على أحمد من كيد جنس حتى لقد أخذ بعضهم يؤكد أن هذا الزواج لن يتم وفي جسد حسن عرق نبض . ونصح بعض من أشفقوا للشيخ عثمان أن يرجع عن هذا قرض في شدة ما عرفوا عنه مثلها من قبل ، وعاد يتمتم بتلك الآية التي كان يتمثل بها أبداً « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »

وفرحت الفتاة فرحة جاءت مضاعفة بعد ما كانت فيه من بلاء وغم ، أما أحمد فقد أصبح من فرط ما سره هذا النبأ في شبه ذهول يتقبل تهاني أقرانه فتفتح كلاتهم على قلبه برداً وسلاماً ، وكأغما هو يحجمهم

يقفوا فلا يتبعوه ، وتوسل إليهم أحمد أن يفلتوا ، وكانت أمه وأختاه يكيان بكاء يفتن الأكباد كأنما كان يساق فتاهن إلى الموت ، وهذا هو آخر عهدهن به ولم ينقطع دعاؤهن أن ينتقم الله من ظلمه .
واقترب أحمد من دار الشيخ عثمان فذق قلبه ووهى جلده ومشى يجر رجله ، وم بالدار فلم يلتفت إليها كأنه لا يمرها فلقد كره أن تقع عينه على نبوية وهو هكذا مغلول الديدن يساق على رغبه إلى حيث يساق المجرمون .

وسار أحمد يتبعه الشرطي على جواده في الطريق المؤدية إلى الحقول ليسلكها إلى طريق الماصحة ، وقد اشتدت حرارة الشمس حتى كانت لفحاتها في الوجوه كأنها أسنة من اللب ! وكان أحمد مطرفاً في مشيه يقرى نازن : نار الشمس في وجهه ، ونار التيف في صدره ... ورفع عينه وقد اقترب من شجرة عند منعطف الطريق ، ولم يكذب ينطف حتى وجد نفسه أمام نبوية ! فاقت ثمره عن ابتسامه ما لبثت أن انطفت فيها شاع في وجهه من شحوب وكدره ؛ فلقد رأى فتاته تحاول حبس دموعها فلا تقوى فتعجز وتشتب وتئن أنه مكتومة تنفذ إلى أعماق قلبه ، وحاولت الكلام فلم تنفج شفتاها ، وحاول هو أن ينطق فاستعصى عليه الكلام كأنما انمقد لسانه . وأخذت الشرطي الشفقة فاغبرورت عيناه ودار بوجهه ليدع لها حرية الكلام ولكنها ظلا جامدين . ثم إن الفتاة تقدمت فندست في جيب الفتي بعض درهما وألصقت صدرها بصدرة فراح يغالب الحديد في يديه على غير وعى منه ، والتفت نحو الشرطي فلما وجده لا يراه قبل فتاته بين عينها ... وانطلق بعد ذلك في سبيله ، ووقفت هي إلى جانب

في الزيت ، ومتى مست النار ذلك الفتيل سرت فيه على مهل حتى تحس تلك المواد فتنبعث النار وتشتب ، وفي تلك الآونة يكون ملق الكربة في هدفها قد بعد تمام البعد عن مكان ذلك الهدف ...
وسرعان ما جرى اسم احمد على ألسنة أهل القرية وأخذ الناس يتهايمسون بالإنهام ، وما لبث سليمان أن أتهمه في غير تردد ، وقام الشرطة بتفتيش داره فوجدوا فيها بعض الكرات وكان قماشها من نفس قماش تلك الكرات التي وجدت متناثرة قرب الحقل كما كان حشو هذه كحشو تلك لا تفرق عنها في شيء وتقدم بمض الشبان فشبهوا بما ثبتت الجريمة على المسكين ولم يفت عن إنكاره ودفاعه ...
وصدق الكثيرون من الناس أنه هو المجرم ، وإن كانوا ليمحبون لذلك أشد المحب فها عهدوا عليه شيئاً من هذا ، وما كان الشر من طبعه أبداً ...
أما القليلون فقد كانوا يتسمنون لهذا ابتسامه الألم والسخرية ، وفي عيونهم أمارات الخبيث التي تنطق بأنهم يملكون كل شيء ، ولكنهم على عادة أهل القرى في مثل تلك المواقف لا يستطيعون أن يفصحوا عن شيء وإلا لحقهم هم أيضاً مثل ما لحق هذا البائس من كيد وغدر ، وما أيسر أن تدس الكرات أو غير الكرات في أية دار من الدور !

فرغ المحقق في مركز الشرطة من تحقيقه ، ووضع الحديد في يدي أحمد وسارمغلولاً أمام شرطي على جواده يسوقه إلى عاصمة المدينة ، وكان الوقت بعد الظهيرة بساعة ، وقد حبس التيفظ الناس في دورهم فلا يرى أحد في دروب القرية كأنما كان الوقت منتصف الليل ، وأمر الشرطي أهل المتهم أن

إحدى الدابتين إلى العين والأخرى إلى الشمال فكان من
الحبل مخنقة دارت بعتقه ، والدابتان تمننان في الابتعاد
إحداها عن الأخرى وتجريان معاً إلى الأمام في وقت
واحد فتجران هذا الذي علق بينهما ... وما هي
إلا لحظات حتى كان جثة هامدة وقد كسرت ذراعه
عند مفصل الكتف !

وهكذا كانت الخنقة من نصب هذا الفتى ،
وقد كانت بسبب ما اقترى ودس مستدور حول عنق
آخر ضعيف حين لا يستحق إلا أن يدور حوله عقد
العرس الغفيف

الشجرة تشيمه بنظراتها في جزع يتقاصر عن وصفه
أى كلام

مضت أيام كان لا حديث لأهل القرية فيها
إلا ذلك الحادث ، وبات الناس يرجون أن يقف
الأمر عند هذا فلا ينال الشيخ عثان من بطش
ذلك النادر الفاجر حسن ما يجعل به إلى القبر .
ودخل أحمد السجني ليقضى فيه سبعة أشهر طويلة ،
وتلقت نبوية ذلك النبا في صمت كان في الواقع صمت
اليأس ، وظلت على صمتها هذا يتمشى السقم في بدنها
ويفشى الحزن وجهها فيلبس بها روعة على روعة
ويترك على عيائها طابع التلكوى الدائمة والضراعة
وحصد الناس قحهم وامتلات البيادر والأهراء
وسعد من سعد من الفتيان والصبايا إلا نبوية فقد
حيل بينها وبين ما اشتيت نفسها ، وحل محل الأمل
في قلبها الضراعة والمسكنة والمذلة . وجعل الشيخ
عثان يصبر نفسه وأصبح لا يحتم صلاته إلا بطلب
الانتقام من الله ، على أنه ما تسرب إلى قلبه خوف
بند ما حل بأحمد ، حتى لقد دهش الناس من بسالته
وثباته على رأيه وإصراره على أن يزوج ابنته من
صاحبها مهما حدث وهو في تلك السن

ولم يمض شهر حتى وقع في القرية حادث تلقاه
أهلها بمزيج من الدهشة والرهبة والاعتبار ، وكان
جانب العبرة فيه أقوى تلك الجوانب ، يتخالط أناس
القرويين إذا شعور الراحة والنبطة والاطمئنان ، فينبأ
كان حسن في طريقه إلى حقله ذات صباح رأى
غلاماً يسحب دابتين يربط حل إحداها بحبل الأخرى
فأسرعت الدابتان لأمرهما وجذبتا الغلام فتقدم حسن
لنجديه وأمسك بالحبل المتصل من وسطه واتجهت

الفصول والغايات

مقدمة الشاعر اللاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمه وشرحه وطلبه الأستاذ

محمد حسن زنتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

وكانت الهامة الكبيرة البارزة
المنفعة بالكشمير الثمين تلقى في
القلوب ربهية، وكانت عينا محمد أفندي
عبد النفور لا تريحان عنها . لكنه
كان يتسم أو يخفى ابتسامة خيثة
ضايقت صديقه الشيخ على عبد الواحد
الجالس إلى جانبه يتمتم بأدعية خافتة .

صندوق النذور

اقصوصة مصيرية بقلم الأستاذ د. خير خشبة

الرواية

وصلوات طيبات ..

وكان اليوم يوم جمعة، وكان الوقت ضحى، وكان
زائر المقام الكريم قد أخذوا يقبلون أفراداً أفراداً،
أو أزواجاً أزواجاً، أو جماعات جماعات، لكن
الرحام كان نادراً وخفيفاً على كل حال، لأنه لا يكون
على أشده إلا بعد أداء صلاة الجمعة حين يقبل الناس
متراحين متدافعين لنيل البركات والخمسة النجفات
وأقبلت فتاة ناهد ذات جمال وذات رواء نثب
كالجملة فوق السجاد السميد، فجعلت تطوف بالضريح
سبماً وكلما أتمت حصة وقفت عند صندوق النذور
فدست فيه قطعة كبيرة من النقد كان يسمع رنينها
في الداخل حين تدفع أخواتها في الصندوق لتحتل
مكانها بينها ... فلما أتمت الفتاة طوافها وقفت عند
رأس الشيخ الذي تحسبه قاراً تحت الهامة الكبيرة
الخضراء، ثم راحت تتمتع وتهمهم، ثم تبر وتتمتع،
ثم وقفت لحظة ساكنة صامتة، ثم انحدرت من
عينها دمة برفرفت فوق خديها الجليدين الأسيلين،
وشهقت شهقة عميقة حارة ثم انصرفت ذاهلة
أو كالداهلة ...

وقد دُعر قلب محمد أفندي عبد النفور عند ما لمح

كان مقام العارف بالله رضى الله عنه وأرضاه
هادئاً ساكناً فيه روعة وفيه جلال وفيه خشوع .
وكانت القبة الساقطة الشاهقة تمكس فوقه أخيلة
رفافة يزيد بها البلور الملون، والفضاشي المجيب،
وألواح الرخام والمرص والبليسط، وقاراً فوق وقار،
وجلالة فوق جلالة، ونوراً دنيوياً فوق ما يفيض
عليها من نور الآخرة، وسناء التقوى، ولألاء الثوبة
ووضاءة الرضى ...

وكان أريج المسك يهب في أرجائها، وريحان
التقى يملأ بشذاه أجواءها، وكانت شبيايك الضريح
النحاسي تلعب وتزجي وتبتسم، والثريات من فوقها
تتألق وإن لم تكن مضادة، وبيض النعام المعلق فوق
الضريح يروح مرة ويحى مرة، وما هزته ريح،
ولا حركته ... وكانت السفينة المعلقة بين بيض
النعام تهتز قليلاً فتكون كأنها فوق موج رفيع بها
حبيب عليها يهددها في أمن ودعة إلى بر السلام .
أما الضريح فكان مكسواً بنطاء أخضر زيتوني
نقشت عليه آيات من القرآن الكريم خيطت فيه
بخطوط من حرر وعملت بصنمة دقيقة باهرة برزت
فيها سلوك الذهب والقضة فجعلت تتألق وتمكس
ريقاً هادئاً خفيفاً .

- الفتاة، وعند ما شهدها تحظر رواية فيناة بارعة المحاسن
 جة الفاتن، فلما تنبه إليه صديقه على، وهو يوشك
 أن يلهم الفتاة بميني الحائمتين اعتدل في جلسته،
 وترك أدعيته وصلواته وقال له، ثم قال محمد له :
 - إني الله يا محمد فانت هنا في حرم حرام
 ومكان مقدس... غض من طرفك يا صديق وانظر
 أمامك !
- أناظر أمامي لأرى ماذا ؟
 - لى هذا الضريح يكاد ينشق فيلبهك !
 - يا حفيظ ! وكيف ينشق يا أخا الشيخ على ؟
 - لقد رأيته يتحرك تأففاً من فسك !
 - يتحرك تأففاً من فلى ؟ وماذا فلت ؟
 - لقد كنت تهم بصرك في إر الفتاة !
 - وكيف لا أفضل وقداها جيلتان ناصمتان
 كأنهما خلقتا من صرص يتدفق فيه دم ؟
 - ما هذا الكلام يا أخى ؟ إني الله يا شيخ...
 أنت هنا في مكان طاهر له حرمة وله قداسة !
 - لكن الجلال الذى زار هذا المكان الآن
 أفنك بالنفس وبالقلم وأشد تأميراً فهما من قدسية
 هذا المكان !
- استنحى يا شيخ ! تأدب في حديثك هنا !
 - هذه لهجة شديدة يا شيخ على فهذب
 حديثك قليلاً !
 - أقسم لك لقد شهدت الضريح يتحرك
 ترمك بك !
 - الضريح يتحرك ؟
 - أجل... ولا شك في أنك قد رأيته !
- وكيف يتحرك الضريح، ولماذا ؟
 - ماذا أقول لك وأنت رجل رقيق العقيدة
 ضعيف الإيمان !
 - ولماذا كنت عندك رقيق العقيدة يا شيخ
 على ؟
 - لأنك تنكر ما وقع أمامك الآن من كرامة
 هذا الشيخ المبارك !
 - أية كرامة يا صديق ؟
 - اهتزاز الضريح من السخط عليك
 والضييق بك ؟
 - أنا لم أر الضريح يهتز... إنك واهم...
 لقد تركت الخيال يستولى على نفسك والوهم يقضى
 ناطريك
 - اتق الله يا شيخ... أسكت... أسكت
 واتق الله !
 - أنا أشد لله تقوى منك... ما هذا الذى
 تقول ؟
 - بل إبليس أشد لله تقوى منك يا عزيزى...
 إنه لو رأى الفتاة التى خلبتك لما حاول أن يأكلها
 مثلك !
 - وأنت ؟ ألم تصب إليها تحرك الله ؟
 - إخصاً... إني أعرف منك بقداسة هذا
 المقام الكريم... أناظر !
 - أناظر ماذا يا شيخ على ؟
 - بيض النمام !
 - ماله ؟
 - إنه يهتز !
 - وما ذاك يا عم ؟

- هذه علامة سخط الشيخ !
 — أى شيخ ؟
 — سيدى شمس الدين ... سيد المارفين بالله !
 — سيدنا شمس الدين ساخط ؟
 — إنه ساخط لا شك !
 — وفيه يتسخط أو لا يتسخط ؟
 — ساخط عليك
 — وماذا بينه وبين بيض النمام ؟
 — بينهما سر !
 — بينهما سر ؟ ماذا تقول ؟
 — أجل ...
 — وكيف ؟
 — نعم أنه إذا غضب غضباً هيناً اهتز البيض ،
 فإذا غضب أكثر اهتزت هذه التريات ، فإذا اشتد
 غضبه اهتز الصريح ، فإذا حنق وامتلأ غيظاً رأيت
 هذه السفينة تهتز وتملو وتهبط وتروح جيئة وذهاباً
 كأنها فوق سطح اليم المضطرب !
 — يا حفيظ !
 — هل تسخر ؟
 — كلا ... لست أسخر
 — بل أنت رجل لا عقيدة لك ولا أدب عندك !
 — عوداً إلى العقيدة والأدب ...
 — أنصحك يا محمد أفندى !
 — وبم تنصحنى ؟
 — قم فتوضأ وصل ركعتين لله عسى أن يفتر
 لك الشيخ ؟
 — وهل عليك الشيخ أن يفتر أولاً يفتر ؟
 — يا شيخ ! إني الله يا مسلم !
 — من منا يجب أن يتق الله ؟ أنا ؟ أم أنت ؟
 — بل أنا ... عجيب والله ... بل أنا يا سيد محمد
 فلا تحزن ! ... أنا لأننى لا أستحي من النظر إلى
 ما حرم الله وأفعل هذا المنكر فى مقام سيد المارفين
 بالله ... !
 — على كل حال أنا لم أكفر بالله مثلك !
 — إحصاً قاتلك الله ... أنا أكفر بالله !
 لا بارك الله فيك !
 — وكيف تنكر ذلك وقد جعلت لله شركاء ؟
 — أنا ! غفرانك اللهم !
 — أجل أنت ! ألم تقل إنه يجب أن أتوضأ
 وأصل عسى أن يفتر لى هذا الشيخ الذى اتخذتم
 ضريحه وثناً ؟
 — نحن اتخذنا ضريح الماروف بالله وثناً ؟
 — أجل ...
 — نحن ؟ السليين المصلين !
 — أجل ... إنكم اتخذتم منه ما هو شر من
 الوثن !
 — ماذا تقول يا محمد ؟ وهنا تقول هذا الكلام ؟
 — أقوله هنا لأنه منكر ؟
 — قاتلكم الله يا شباب ! مقام سيدى شمس
 الدين منكر ؟ أى كفر هذا ؟
 — يا لهذه الهامة ويا لهذا الكشمير ! ماذا
 يكون الوثن إن لم يكن هذا الضريح وثناً ؟ !
 — ثم ماذا أيضاً ؟ !
 — ثم هذا البيض الملون الذى يفيض على

وأراد محمد أفندي أن يتخذ من هذا الأمر دعابة

فنهض ويغم شطر الشيخ على ، ولما وجده يصل
تبسم ثم قال له : « عجبت لكم كيف تتخذون من
مقابر موتاكم مساجد وقد نهاكم النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك ... أليس هذا منكراً ؟ ... »

وسمع الشيخ هذا الكلام ولكنه كبر تكبيرة
ثم ركع ، ثم قام ، ثم أهوى إلى الأرض ، ثم ظل
ساجداً سجوداً طويلاً خاشعاً

ثم تلفت محمد أفندي فلعخ الفتاة ... بعينها ...
الفتاة الجميلة الأسوأة جالسة في رهط من أترابها
في الركن الغربي من أركان المقام ، فآثر أن يجلس
حيث هو ليطالع القمر السافر الذي يحيل مقبرة
المارف بالله جنة وارفة من جنان الحب ... لكنه
ما كاد يفعل حتى رأى شيخ المسجد يقف حياله ،
ويتفرس فيه ، ثم يمد يده فيقبض على ذراعه ،
ويدعوه إلى خلوة معه ... وما كاد يستقر بهما المقام
في خلوة الشيخ حتى يدوى المؤذن بأذان الظهر ،
فتتردد في جنبات المسجد الكلمتان العظيمتان اللتان
فتح الله بهما للإسلام فضحه المبين « الله أكبر ...
الله أكبر ... »

وتنتهى الصلاة ...

ولتفت الشيخ إلى محمد أفندي ويطلب إليه ألا
ينصرف لأنه سيريه من آيات المارف بالله عجا ...
ثم يقصد وإليه إلى مقام شمس الدين ، فإيلنانه
إلا بعد جهد وبعد طول عناء ، لأن الزحام يبلغ
أشدّه عقب الصلاة حينما يتدافع الناس نحو الضريح
ليطوفوا به ، وليتمسوا من بركات الولي الكريم ،
ولتشملمهم نفعاته ...

عقولكم شديبات ، ماذا هو ؟ !

— ألا تقصر يا محمد أفندي ؟

— حدثني عن تلك السفينة ؟ أسفينه نوح هي ؟ !

— أأنت أعقل من الدولة إذن ، وأهدي ممن
وضع هذه الآثار ؟ !

— الدولة لم تملق هذه الآفات ، وليس من
وضعها ممن هدى الله !

— أليست الدولة هي التي شيدت هذا المقام
الشاهق ؟ !

— بلى ، لقد شيدته الدولة التي كانت تفكر
كتفكيركم !

— واليوم ؟ أليست الدولة هي التي تتولى صيانتها ؟

— كل هذا منكسر سيده الله !

— ولماذا تبقى عليه الدولة ما دام منكراً ؟ !

— تبقيه لأنها تخشى الرعاع ، ولن تكون بخير
حتى يأتينا الله بدولة تهدينا السبيل ولا تخشى
في محاربة الأوثان لومة لأثم !

— السلام عليك إذن ... هناك الله أيها الأخ .

إن كلامك شيء لا يطاق ... مسكين ! ... أي بلاد
سيحل بك ... اليوم أو غداً ... ومن يدري ؟ قلله
يحل بك الساعة ... قاتل الله المدنية وقاتل الله شباب
المصر !

ونهض الشيخ على وحمل معه خُفَّيه ، ثم
ذهب إلى ناحية أخرى قصية في المقام واستقبل
القبلة وكبر ، ثم راح يصل لله ركعات يحو بها
الرجس الأثيم الذي علق بأذنيه من حديث محمد
أفندي عبد الغفور

ودخل الشيخ ... ووقف محمد أفندي عبدالنفور
إلى جانبه ... وجعل رئيس المسجد يتم بصلوات
ودعوات ، وجعل الناس يتدافعون نحو صندوق
النذور يدسون فيه قروشهم

وكانت سيدة وقور تجلس عند الصندوق، فاراع
الناس إلا أن تقف فجأة وتأخذ مقصاً صغيراً
ثم تتناول غداًها الذهبية فتقطع كل (محمودية)
وتدسها في ثقب الصندوق وتصنع هذا سبع مرات
ثم تجلس قليلاً ، ثم تمود فتقف وتعمل المقص
في غداًها ... فملت ذلك سبع مرات ، ورئيس
المسجد واقف يتم ويصوّذ ، ثم يسبحل ويحوقل ،
وهو بين هذا وذاك يتفصد جيته بالمرق فيدع
حبّاته تترقق فوق وجهه المشرق النير ...

ثم يتدافع الناس فجأة فيفسحون طريقاً لرجل
فقير أشعث الشعر خلق الثياب عارى القدمين نابى
المهية ، قد علق في ذراعيه حلقاً ثقيلاً من حديد ،
وجعل في رجليه سلاسل وأغلالاً ، وأغرب من كل
ذلك وأعجب جعله في شفتيه قنّلاً ثقيلاً من فولاذ ،
وفي يمينه سيفاً مفلولاً من خشب له غمد زرى
كثيب ...

وقف هذا الفقير حيال ضريح الولي ؛ ثم أخرج
مفتاحاً فدسه في القفل للتدلى من شفتيه ، وكواه
فانفتح ، وسلك اللسان الطويل من تقنين كبيرين
في شفتيه ، وراح يصلى صلاة خافتة أول الأمر ،
ثم جعل يثمن مرة وبهمهم أخرى ، ثم راح يصصف
بصوته ويصف ، ويحجل كالرعد ، ويقول :

يا سيدى يا شمس الدين ... مدد

يا سيد العارفين بالله ... مدد

مدد ، مدد ، يا نور العين ، مدد

يا أبا الكرامات يا ولي الله مدد

يا سارى فى الليل مدد ، مدد

يا كاشف أسرار الناس ، مدد

خذ يدي يا شمس الدين ، مدد

من الهلال يا زين ، مدد

أنت المقصود يا زين ، مدد

مدد ... مدد ... مدد ...

فى القلب شجون ، وشجونه فنون ... مدد

حبك يضيئ ، وهواك دواء ... مدد

عرش الرحمن ، لك فيه إيوان ، مدد

الح ...

وكان الرجل ينشد هذه الحفافات فى صوت

متهدج ، وفى لسانه الدارج ، ثم ينهز وزناً سليماً

مستقيماً مع أنها ليست شعراً

ووجم الناس ... ووقفوا لا ينس أحد منهم

بكلمة ... ووقف السيد محمد عبد النفور مسبوهاً

مشدوهاً ... فقد خلبه ذلك الإخلاص الحلو الذى

كان يتدفق من فم الرجل فيحل برداً فى قلوب

الناس ، ويستولى على مشاعرهم ... فلما قال الرجل :

— ألسك حرام ... مدد ... مدد !

— عبد النفور ... اسمه محمد ... مدد مدد !

— يا رب اهدى ... مدد مدد !

— يا شمس الدين .. إشفية إشفية ... مدد مدد !

شعر محمد أفندي بفيض من الشهور المعجب

يسرى برداً فى دمه ، وأحس كأنها الأرض تسوخ

من وجنتها وهي تصنع ذلك ...

وخلا المقام من الزائرين إلا قليلاً .

ثم شعر محمد أفندي بيد تقبض على ذراعه من

خلف ، وسمع صوتاً يقول :

— ألا تستغفر يا محمد أفندي !

والفتت محمد أفندي فبصر بالشيخ على عبدالواحد

فدار الحديث بينهما ، واشترك فيه رئيس المسجد :

— أستغفر الله يا شيخ على !

— ألا تلمس الصفح من سيدى شمس الدين ؟

— بلى ... ألمس منه الصفح بعد أن شهدت

بعبى وصمت بأذنى !

ثم قال رئيس المسجد :

— حقاً ! لقد ألفت المدينة قلوب شبابنا ،

وأضعفت تقههم بأولياء الله ... ألا إن أولياء الله

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...

فقال محمد أفندي وهو يستمر :

— أجل ... لكننا ممنورون ... فتألف إن هذا

أول يوم أرى فيهم كرامة لولى ، وتألف لأكون خادماً

بعد اليوم لسيدى شمس الدين ... وتألف لأهملنى إلى

مقامه تحمداً وآيات من الآيات ...

ودعا له الشيخ الفقير ، ثم أخذ قفله فجعله فى

شفتيه ، وذهب يجلجل بسلاسله ، ويضرب فى الهواء

بسيفه الخشبي .

ونظر محمد أفندي فى الركن المبارك حيث جلست

الفتاة فى رهط من أهلها ، وكان فيهم رجل شيخ

كبير ، فاستأذن رئيس المسجد فى أن يمضى معه

إلى الرجل ، فلما لقياه سأله محمد أفندي إذا كان هو

تحت قدميه ... وخيل له أن القبة رقص مع الرجل

وتهبط وتملأ وتروح ذات المئين وذات الشمال . .

ثم نظر إلى الناس فوجدهم جميعاً يرتصون على نتهات

الشيخ ، ويمنفمون بهتافاته

ثم هلل رئيس المسجد فجاء وكبر ... فسكت

الرجل الفقير وصمت الناس ، ووقف الهواء وأمسك

الحاضرون أنفسهم ... ورفع أرائيس يديه نحو

العمامة الكبيرة المسكورة ، فاهتز بيض النمام ورجفت

الترتبات ، وتأرجحت السفينة بمنة ويسرة ، ثم مضت

لحظات على هذا الحال ... ثم اشتد الصمت وظل

الناس مأخوذين بروعة المشهد المجيب ... لكنهم

هللوا فى صوت واحد وكبروا ، حيناً لهوا العمامة

الكبيرة الهائلة تهتز وتتحرك ، ثم يتحرك الضريح

كله حركة هينة لينية لكنها ملحوظة لأنها حدثت

مرتين أو ثلاثاً ... ثم خرجت أصوات جميلة من

داخل الضريح تقول :

« الله ... الله ... لا إله إلا الله ! »

فأكدوا يسمعونها حتى تدافعوا بالجنوب

والناكب نحو صندوق التندور ... وكان جميعاً

أن يستقيم الرجل الفقير فينثر فوقه كثيراً من

الزيالات المصرية الكبيرة كان الخادم يجمعها ثم يقذف

بها فى الصندوق كما يقذف التروش والللايم والبرائر

وأصناف البرائر وأخامها ... وحاولت السيدة التى

كانت تقطع الذهب من غداثرها أن تدس فى الصندوق

إحد (محمودياتها) ، لكن الخادم (رجاءها) أن

تستأنى حتى يفرغ الزوار . ومع ذلك فقد استطاعت

أن تدس (محموديتين) ، وكانت فرحة يطفح البشر

هذه الجمعة فلائت الصندوق وهدبت الضال وزوجت فتاة ... فاذا صنعت أنت الجمعة السالفة ؟ »

فقال له صاحبه : « حقاً إنك لشيطان ! ... لكن الذى ساعدك هذه المرة هو الشيخ أبو السلاسل ! » فقال الأول : « لقد لقنّه الرئيس دوره فاداه على خير وجه ... لشد ما كنت أفزع أن يضيع أحد الريالات ! »

ولم يكن الخادمان ريان محمد أفندى وهما تاجيان هكنا ... فلما ربت على كنف أحدهما وأبصر به ... فزعا فزعاً هو أقرب إلى الخجل والحياء

لكن محمد أفندى عبد الفتور كان أشد استحياء على كل حال ... ومع ذلك فقد تزوج الفتاة ، لأنها وقتت من قلبه موقفاً عظيماً ...

دربنى مشبه

والد الفتاة . فقال الرجل : « نعم يا بك ! » . فقال له محمد أفندى : « وابنتك هذه متزوجة ؟ » . فقال الشيخ : « كلا يا بك ... سهّل الله لها » . فقال له محمد أفندى : « فهل تزوجني لأها وأنا لها كفـهـ وهؤلاء شهودى ؟ » . فقال الرجل : « أنظرني أياماً يا بنى ! » .

فقال محمد : « وأرجو أن أئال القبول إن شاء الله » فقال الرجل : « القبول إن شاء الله » ثم جهرّف نفسه إلى الشيخ وعرفه ، وقرأ الجميع الفاتحة ...

وما كاد يخطو محمد وصيد الضريح حتى سمع خادماً خبيثاً من خدم المسجد يقهقه ويقول لصاحبه : هل رأيت ؟ أنا أم أنت ؟ ... لقد دخلت الضريح

صدر كتاب

قافلة الأيام

مجموعه من البصائر المصرية الحبيب

تأليف

عبد اللطيف كرك

يبيع بمسرة قروش جميع المكتبات بالعالم العربى
ومكتبة النهضة المصرية

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جوتة الاولانى

مترجة بلم

أحمد حسن الريات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً

إدراكه كل إنسان ؛ ولست أسمح
لأحد غيري باللعب فيه أبداً !
ثم قام فصنع له جداراً رفيعاً سوز
به بستانه ، ورفع لوحة كتب عليها
هذا الإعلان :

سَيَجْزَى المخالفون
بنس الجزء

المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد
بقلم الأستاذ غزى شهاب السعيد

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بلح سواه !
ولم يبق حينذاك للأطفال المساكين ملعب
يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع
ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالآثربة
والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر
الرفيعة — حين يتبنون من دروسهم — لاهين
بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، وبأيام
سمادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع وانشرت بمقدمه الأزهار
والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا
المارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار
لم يسيها أن تفرّد فيه حين غاب عنه الأطفال ؛ وإن
الأشجار قد أنسيّت أن تروق أو ترهر ...
ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من
بين الأعشاب فهالها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان
تتمتع الصغار من غشيان البستان ، وانبسلت هاربة
لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه .
ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير
« التلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد أنسى هذا البستان ،

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد
واللعب فيه حين يمدون من المدرسة عصر كل يوم .
وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست
أرضه بالشب الأخضر الطرى ، وانتثرت في أرجائه
الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة
شجرة من أشجار الخوخ التي تنفق في الربيع عن
أزهار دقيقة زاهية الألوان كأنها الآلي ، تتحول
في الخريف إلى ثمار يانعة سائفة . وكانت الأطيار
فيه تمتلئ غصون الشجر وتفرّد في عنوبة تصرف
الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذين ،
فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بنبر هذا القول :

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه
النيلان ، بعد أن لبث معه سبع سنين ، أنهى
في خلالها كل ما أراد أن يحدّه به — فإن عادته
كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد المارد إلى
قصره فرأى الصغار يلعبون ويعرجون في البستان !
فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلاً :

— ماذا تصنعون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هارين ! ثم استأنف
المارد صراخه قائلاً :

— إن هذا البستان ملكي ، وذلك ما يستطيع

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً .
وقفز من فراشه ، فإذا رأى !

إنه لنظر جد جميل !
أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان
من خلال نقب صغير وجدوه في أحد الجدر واعتلوا
الأغصان وبقوا هناك السالين . وقد أتبعهم الشجر
بمقدمهم فأورق ، وماس على رؤوسهم في حبوحنا ،
وكان الطير يشدو حيناً ويطير حيناً في جذل وأنبهاج ؛
والزهر يرنو إلى ذلك بسم الثنور من بين الأعشاب
— إنه حقاً لنظر بهيج !

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي
وقف فيها أصغر الأطفال يعول طوراً ، ويطوف
بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكنة التي بقربه
ما تزال شاتية .. إن ذلك البطل لم يتمكن من الوصول
إلى الفن لصفه ؛ وكانت الريح الشمالية تصف حوله ،
والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها العصب الصغير ... ولكنه ما يقدر
على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إشاري لنفسي لقد عرفت
الآن سبب انقطاع الربيع عن الجحى إلى هنا ..
سأذهب إلى ذلك الطفل فأضمه على الشجرة ، ثم أثنى
على الجدار فأهدمه وأجعل من بستانى هذا ملجأ
وفقاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على
ما كان بدر منه

ثم إن المارد تزل وفتح بابه في هدوء وساز
في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى أوغلوا
هرباً ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ؛ ولكن
صبيك واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذي
ملأت عينيه النموع لما رأى المارد قادماً إليه
وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه

ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !
وكذلك طنى « الثلج » على الأعشاب وأسبل
عليها طرف رذاثه السانغ ، وانتشر « الجليد » على
الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ؛ ثم
لإسها أمرايح الشمال أن تبقى مهمما فلبت أمرها ،
وجاءت ملتفة بالفرء تنصر طوال النهار خلال
البستان والمداخن ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ
يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر
بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن همها حول
البستان يطوف بأقصى ما أوتيته من سرعة ! لقد
كان برداً عجباً أغبر ، وكانت أنفاسه يضاء كالثلج !
وقد جلس المارد التئم ذات يوم في الشباك اللطل
على البستان الأجرد الشاق ، وقال يحاور نفسه :

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى
الآن ! وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .
ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف
ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنصج
الثار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذي
كان يعرفه الخريف لثماً لا يجب أحداً غير نفسه !
وإن المارد لمصطجع ذات صباح في فراشه
إذ سمع أنشأ شجيرة تطرقه أذنيه خيل إليه لمذوبتها
أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز في
الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام العجيبة غير صدح
طائر صغير كان يشدو على يده من نافذته . لأنه ما كان
سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه
أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهناته من حوله ، وريح الشمال
قطعت هز زها ، وجاءت المارد من النافذة نفحة
من أريج عبق جميل . فقال المارد في نفسه :

الجميلة . ولكن أجل منها في نظري هؤلاء الصغار
وفي صباح يوم شات .. وقد أصبح الشتاء
الآن لا يفرغ المارد ، فما هو الآن عنده غير إغفائه
قصيرة لا يلبث الريح بمدها أن ينفض بأزهاره
وتهاويله . في صباح ذلك اليوم ، بينما كان المارد
يرتدي ثيابه إذ بصر بشيء هال ، فكذب نظره وكذب
نفسه... إنه منظر مدهش عجيب! أفي الإمكان هذا؟
شجرة حالية بالنور الجليل في تلك الزاوية القصية
وتحتها طفله الصغير الذي أحبه واقفاً ؟

هرول المارد نازلاً يستنفضه الفرح ، وجاز أرجاء
الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ، وما كاد أن
يقرب منه وراه حتى طأ غضبه وارتد وجهه ،
وسأله قائلاً حين بصر بأثار مسبارين على يديه ومثلهما
على رجليه :

— من ذا الذي تجرأ فجرحك؟ قل من ذا الذي
تجرأ عليك ففعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا . ما تلك ببحر حقيقية . إنها
جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع
نفر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلاً :

— من أنت إذا ؟

فأجابه الطفل باسمًا : أنا الصبي الذي سمحت لي
مرة بالعب في بستانك هذا ، جئت لأخذك مني إلى
بستانك الذي هو الفردوس

❖ وحينما جاء الأطفال عصر ذلك اليوم كما دهمهم
وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد
ثارت على جفائه الأزهار والنور الأبيض الجليل
« بنناد » فخرى شهاب الصبيدي

على الشجرة فما كان أسرها حين أودقت وأزدهرت ،
وما كان أسرع الأطيوار حين تساقطت عليها مفردة
حائمة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى
جنب المارد مسروراً . ثم انحنى الطفل على المارد قبله ،
فلما رأى أحبابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم
الريح ، فقال المارد بخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول
معملاً كبيراً فقدم به الجذر القائمة حول البستان .
فكان الناس إذا صروا به في طريقهم إلى السوق
في منتصف النهار رأوا المارد يلعب الأطفال في أجل
بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال
النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، جاءوا
إلى المارد فغيوه وانصرفوا ...

وقد سلم المارد مرة من صديقهم الصغير الذي
كان رفقه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون
عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... لأنهم لم يروه
من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين
يسكن . لشدة ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير
الذي قبله !

بقى الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان
عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع
صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان
التخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه
ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لوراه .

ومضت على ذلك السنون تبعها السنون ، فشاخ
المارد وعجز عن مشاركة صفاته اللب . فكان يجلس
على مقعد وثير ليفرج عليهم هائناً منتبطاً . وكان
يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار

تَعَبُ الْقَلْبِ

عن الانجلىزى
بقلم الأستاذ عبد الحميد محمدى

الدكتور جون سيمور إحدى مريضاته؟

أجابت حنا فى لهجة الجد :

— لأنه زارها صباح اليوم ،
وليس حالك الصباحية بداعية إلى
زيارة ثانية

— ولكنى مريضة بقدى . قهل

تظنين أن الطبيب لا يحضر إلا لزيارة

مريض يحتضر ؟ إن هذا هو السخف يا عزيزتى !

والآن هاتى علة الزينة ، وسأريك فى الحال لماذا

يهم الدكتور جون هذا الاهتمام بمريضته ؟

فأجفلت حنا وقالت منكرة :

— علة الزينة ؟ ولكن لا يجوز أن تصبنى

وجحك ولو الآن على الأقل

— ولماذا ؟

— لأن الطبيب قد يندفع بلون الصبغ عن

لونك الطبيعى .

فتمزت فيث بعينها لمرضتها وقالت :

— إن طبيبي لن يندفع ، وعلى كل حال لقد

تحسنت صحى ، وليس بى ما أشكو منه . والحق أنى

لا أدرى لماذا يقضى علىّ بأن أزم الفراش هذا

الوقت الطويل . إنى لأرى أن السألة كلها مؤامرة !

فقال حنا متلطفة :

— يجب أن تتحملى فترة أخرى قصيرة .

— واه ! لا تلجئى إلى هذا الأسلوب الذى

يخاطب به الرضى يا أخت حنا ! ولتعلمى الشغل إذا

كنت لا تسمحين بأمر الشفاء . ولتعلمى أن الرجل

المزير إنما يحضر ليرانى لا ليزور المريضة رقم ٩٩

ف نظرت حنا فى سكون إلى جسم مريضتها الجميلة

الرشقة . فرأىها جذابة فى مرضها كما هى جذابة

« إذا كان الطبيب شابا شديد الجاذبية فانه خلق
بأن يجد كل مريضة يزورها مصابة بحب القلب »

صاحت المريضة الشابة الراقدة على السرير فى

لهجة ساخرة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عاك

ترين من الشباك ؟

فطلعت حنا مبتعدة عن الشباك وقد التهب

خداها بمجرة الجمل ، فلقد أصبح عادة لها أن تقف

فى الشباك مرتبة كلما دنا موعد ساعى البريد

وسارت الموضة حتى دنت من مريضتها فأنحت

عليها ناظرة إلى وجهها الجميل الشاب ، وقالت عن

غير قصد :

— لا أرى أحداً غير الدكتور سيمور ، وما

أظنه قادما إلى هنا

فضحكت فيث ميرتون ضحكة خفيفة مستهترة ،

وقالت :

— ولم لا ؟ لم لا يحضر إلى هنا يا أخت حنا ؟

فأجابت حنا منبهة المريضة فى شئ من الرقة :

— أنا لست أختا إن أنا إلا ممرضة عادية

— ولكنك تقطعين وقت فراغك كله فى رقب

إنسان ما أو شئ . نا ، إذن يجب أن تكونى الأخت

حنا . ثم أحب أن أعرف لماذا لا يبين أن يزور

— مرحى يا دكتور جون ! هل جئت لتوقع ورقة الوفاة ؟

فوقف الطبيب أمام السرير وانحنى ينظر إلى المريضة وقال :

— أظن أننى أستطيع أن أرجى ذلك إلى ما بعد يوم أو يومين

ثم وجه الطبيب الحديث إلى الممرضة وقال :

— سأغير الدواء للس مبرون بأحضرة الممرضة .
فلوت فيث وجهها وقالت :

— إنك تحسن لو مرجت الدواء نوعاً ما يقرب طعمه من طعم الكرز ...

— هذا الطلب يذكرنى بأن أقول لك إنه بعد شفائك يجب أن تستمرى فترة من الزمن منقطعة عن الكوكيتيل والتدخين والسهر الطويل
فقطبت فيث وجهها وقالت :

— ليس لأحد من الرجال أن يتدخل على هذه الصورة فى شؤون الخاصة فإن الحياة تفقد مباحها فى نظرى يا دكتور إذا أنا كلت نفسى كل ما تسألنى أن أكلنها من حرمان ! وإنه ليحجل بى عند ذلك أن أضرق حذائى فى الحال

فلم يجب الطبيب على هذا الكلام ولكنه أمسك بالمصم النحيل بين أصابعه ونظر إلى مريضته نظرة الجدل . وانتهزت الممرضة حنا هذه الفرصة لتنظر إلى صفحة وجهه نظرة المختبر الدقيق . وما من شك فى أن الطبيب كان جميل الوجه ، فلا عجب إذا أحبته مريضاته وأعزهن به ، ولا عجب إذا أرادت فيث مبرون أن تتجمل وتتخذ من أسباب الزينة ما يزيدا فتنة وجاذبية استعداداً للاقائه

وحدثت الممرضة نفسها وهى تنظر إلى المريضة وطبيبها بأنهما إذا تزوج أحدهما من الآخر كانت

فى صحتها حين تجرى من مكان إلى مكان مع أصدقائها الرحين . فلا عجب إذا رأى الدكتور جون سيمور أن الضرورة تقضى زيارتها .

وجلست حنا فى صدرها زفرة كادت تخونها ، إذ من المؤلم أن يرى الإنسان سعادة غيره من الناس وقصص غرامهم ، فى حين لا يشعر هو بالسعادة ، ولا ينم بقصة غرامه أو على الأقل فى حين تتجه سعادته وقصة غرامه اتجاهها خاطئاً .

فقد مضى عليها الآن أكثر من خمسة عشر يوماً منذ تسلمت آخر رسالة جاءتها من روبن ، فليس بعيداً أن تكون صحيحة تلك الإشاعات التى اتصلت بها عن العلاقة بينه وبين الفتاة روت . فكيف السبيل إلى التأكد من الحقيقة ؟ ! فهذا الشك الفظيع هو الذى كاد يقتلها .

وابتسمت فيث لمريضتها بعد أن أصلحت شعرها وقالت :

— أنظرى الآن يا أخت حنا ! هل ترى عجب من رانى ؟

فأومأت حنا برأسها لإجابة إيجابية وقالت :

— إنك لفتاة ياسيدى .

فقال فيث وفى عينها معنى الخبث :

— هذه هى الفكرة ، فقد أعد المسرح ونحن

الآن فى انتظار دخول البطل

وفى هذه اللحظة سمع نقر على الباب ففتحت حنا وتحت مفسحة الطريق للدكتور جون سيمور وكان الطبيب شاباً طويل القامة ، أسمر اللون ، تبدو على فيه إماراة الجد وفى عينيه معنى الإنسانية ، وكانت حنا ترتاح لمنظره

فندت « فيث » الطبيب يدها البيضاء النحيلة

وقالت :



الرغم من أنه يعلم كما تعلم فيث وكما تعلم هنا أن حالة
مريضته لا تدعو إلى القلق . بل هي على العكس من
ذلك قد وصلت إلى مرحلة النقاهة . ولكنه استمر
جالسا وأطال الجلوس
وقالت فيث على أثر انصراف الطبيب تخاطب
المرضة :

— أذكركن ماقلته لك ؟ هل هناك من رجل
يبدى من دلائل الحب العميق أكثر ...
فقطعت الممرضة على مريضتها الحديث بقولها .
— لقد حانت الساعة التي يجب أن تتأهي فيها
للنوم ...

فنبست فيث وقالت :
— لا تكوني هكذا كالقطب المشاكس !
ألا أستطيع أن أتحديث عن الدكتور جون إذا أنا
أردت ذلك ؟ يجب أن تمرق بأنه جميل إلى حد
مزعج .
فصاحت هنا في حدة :

— إنه لأجل جداً من أن يكون طبيبا

(١)

زيجتهما صفقة رابحة ، فإن أموال فيث تساعد طبيبا
قرويا مثله على النهوض بعمله الضئيل وتوسيع دائرته ،
وحزم الدكتور جون كفيلا بأن يكبح جماح هذه
الفتاة المرحلة الفارغة الرأس التي ظنت أن خير ما في
الحياة هو اللهو والبيت . فإن الأضداد تستطيع دائما
أن تحسن العمل إذا سارت جنباً إلى جنب
واستمر الدكتور جون جالسا وقتاً طويلا على

قالت فيث منهمكة :

— أحسب أنني كنت أهدم في طريق الشفاء بأسرع مما تقدمت لو أنه كان دالحية وخطها الشيب يسير متكئا على العصا ! حسن؛ إنني لن أفعل ذلك، وسألتك في طريق الشفاء وسأكون مريضة تسترعى اهتمام طبيبها مادام يريد هو ذلك . غيباً، إن الرجل المسكين لا بد أن يكون ممنوراً في إطالة قبضه على يدي ! ألم تلاحظي أنه اختبر سرعة نبضي ثلاث مرات هذه الليلة ؟

بلي، لقد لاحظت حنا ذلك

وألفت فيث رأسها على الوسائد مسترخياً وقالت وهي تنظر إلى حنا :

لقد كنت أخشى أن يصبح هذا المرض عبئاً يثقل عليّ حمله ، ولكنني أرى الآن أنني لا أبالي به مثقال ذرة ، ففي حضرة طبيب جميل يحمل قلبه على كفه، ووجود الطلف وأرق ممرضة في العالم، لا أجد موضعاً للشكوى على الإطلاق .

فتأثرت حنا تأثراً جانياً وانحنت على مريضتها فقبلتها ، فقد كان في تكوين فيث شيء يجذب إليها الناس ، وكانت على بيثة من شعور الدكتور جون ، كما كانت تعلم أن الحب هو أحسن علاج في الوجود ، وقد أحدث المجاب في مرض فيث . وهما قريب تصبغ في غير حاجة إلى حمرة

وساءلت حنا نفسها بعد أن طافت هذه الأفكار برأسها :

وماذا عسى أن يحدث لي عندئذ ؟ أأبحث عن مريضة أخرى أسهر عليها أم تراني أتزوج من روبن ؟ لقد كانت الفتاة منذ سنتين على استعداد للزواج من روبن ، وقد أنهت — في غيبتها — كل عزيمة في جهاز العرس ، كارتبت في عناية أنأت كل غرفة من غرف بيتها الخالي

غير أن « روبن » كان دائم الاعتذار . فهو مرة غير مطمئن إلى البقاء في العمل الذي يشغله ، ومرة لا يجد بيتاً يستأجره ، وتارة يقول إن الوقت صعب والمال شحيح ، وطوراً يقول : خير أن يتزوج الإنسان في سنة من أن يتسرع ثم يندم ساعة لا ينفع الندم !

فلم يكن أمام حنا إلا أن تستمر في التمريض بيتاً « روبن » مستمر في الاعتذار

وما تشك الفتاة في أن خطيبها بجها ، لقد كانت من ذلك جد واثقة وكل هذه الإشاعات التي أثيرت حول علاقتها بالفتاة « روث » لا تستند إلى أساس من الحقيقة ، فإن هي إلا تقولات بليدة سخيفة يختلقها أناس بلاء سخفاء . وقد اعتزمت الفتاة ألا تصدقها وألا تصني إلى مروجها

صاحت المريضة تدعو الأخت حنا مكررة النداء وكانت حنا واقفة في مرصعها من الشباك تنظر إلى الطريق على عادتها . وكان سامي البريد قد اعتاد في الأيام الأخيرة أن يعطى في الحضور ، بينما اعتاد الدكتور جون أن يسكر في مواعيد زيارته . ورأت حنا عربة الطبيب العتيقة ذات المقعدين تقف أمام مدخل الباب ، فردت على نداء المريضة :

— ها هو ذا قد أقبل يا عزيزتي

فصاحت المريضة :

— أسرعي بالمرأة إلى ، فإني لا أكاد أشتبه -

الغراب !

كان من العادة أن تعفى حنا من العمل ساعتين كل يوم بعد الظهر ، وأن تتعيب نصف يوم كل أسبوع ، وكانت الخادم تحمل معها لدى المريضة في أثناء راحتها أو غيابها ، فلما عادت في أحد الأيام بعد عطلة نصف اليوم ، وجلت سيارة الدكتور جون واقفة أمام الباب ، فصعدت السلم مسرعة خشية أن تكون

روين ! فهو لا زال يحبها ، أما الفتاة روث فلا تشغل أية ناحية من نواحي تفكيره

فصت حنا غلاف الخطاب في لهفة فلم تجده خطاباً طويلاً ، ولكن الإنشاء لم يكن من مواضع قوة « روين » وجملة واحدة تكفي لكشف غرضه من الكتابة ... وهذا ما جاء في الخطاب :

« في نفسى شيء أريد أن أسر به إليك ، ولكننى لا أعرف كيف أسيفه كتابة . فهل لك أن تقابلنى حيث تشائين في يوم عطلتك من الأسبوع المقبل ؟ على أنى أنهز هذه الفرصة لأبلغك أنى قد تحسن مركزى على غير انتظار ، فقد دعانى الشيخ تشارلتون يوم أمس إلى مكتبه وأخبرنى أنى قد ارتقيت إلى مركز شريك أصغر ، فما رأيك في ذلك ؟ »

لقد أدركت حنا معنى هذا الذى قرأته ، وليس معناه إلا أن أيام عملها ممرضة وليالها المنطرة قد أوشكت على نهايتها . قروين يريد أن يتحدث معها في المستقبل وما يجب أن يعده له . ولقد حال الحجل بينه وبين أن يكتب ما يريد أن يقول ، ولكنهما حين يجتمعان ... وهنا التهب وجتا حنا بحمرة الانفعال السعيد ...

ولما عادت حنا إلى غرفة المريضة فاجأها هذه بقولها في لهجة النائد الدقيق :

— إنك أيها الأخت حنا أجمل جداً من أن تكونى ممرضة

فاحمر وجه حنا حياء ومضت فيقول في لهجة التائب اللطيف :

— ويجب أن تتزوجى
فلم تستطع حنا أن تجيب على هذا الكلام بأكثر من قولها :

مريضتها قد ساءت حالها على حين فجأة ، ولكنها اطمانت حين سمعت صوت الدكتور جون الحنون يصل إلى أذنها من خلال الباب نصف المفتوح ، وهو يقول :

— إننا لن نتناقش في ذلك مرة أخرى إذا كان الأمر يضايقك ، وما أريد منك في هذه اللحظة أن تقضى برأى في الموضوع ، فالوقت لا يزال متسعاً أمامنا ، وما زلت أنا شاباً ؛ ولا يزال في مقدورى أن أكيف مستقبلى على ما أريد ، ولكنك تستطيعين أن تساعدى إذا أنت أردت ، وإنى لاحتاج إلى إنسانه مثلك .

وما سمعت حنا هذه الكلمات حتى انصرفت تسير على أطراف أصابعها ، فلم يكن مثل هذا الحديث بالذى يقصد به إلى أن تسمعه ، واستمر الطبيب بعد ذلك عشر دقائق في حضرة المريضة ، ثم انصرف ، وارتدت حنا ملابس التمريض وذهبت إلى مكانها في غرفة فيث ، وكانت فيث لأول مرة مستلقية ساكنة هادئة يبدو عليها الانهالك والفكر ، فقالت الممرضة :

— آسفة لأننى كنت في الخارج عند ما حضر الطبيب

فقدمت « فيث » :

— لا بأس في ذلك ؟ فقد كان لدينا ما يحسن أن نتناقش فيه منفردين
واتجهت حنا إلى الشباك وأطلت منه فرأت سيارة الطبيب قد بدأت تتحرك في الوقت الذى وصل فيه ساعى البريد على دراجته . فطارت الفتاة إلى الدرج تهبط عليه في سرعة البرق وقد اشتد نبض قلبها ، وهى تقول في نفسها : هذه المرة ... بالتوكيد هذه المرة ...

وسلمها الساعى خطاباً وكان من روين : اخذت فيه كأنها لا تصدق عينها فيما تراءى . إذن لم ينسها

صب الشاي لروبن أشد إثارة للنفس من صب قطرات الدواء للمجائز المسابات بالروماتزم . وعسا قريب ستكثر من مشاركة روبن مجلس الشاي .

ونظرت حنا إلى صديقها بعين مستحيية وقالت :
— لقد كان عظيماً نبأ ترقينك يا روبن !
فتناول روبن طبقاً فيه نوع من الفطير وقدمه إلى حنا وهو يجيب على قولها السابق بمبارة مضطربة إذ يقول :

— آه... آه... نعم... ألك في شيء من هذا الفطير ؟

فقالت الفتاة :

— أنسيت يا روبن أنى لا أستطيع أن أطعم هذا النوع من الفطير ، لنى أفضل قطعة من الخبز المادى المهر

ومضى الفتى يتحدث في شؤون مختلفة كالأشرطة السينمائية التى شهد بها والروايات التمثيلية التى حضرها والكتب التى قرأها . فأصغت حنا لهذا الحديث متجلفة كما لو كانت تصنى إلى حديث مريض مشاكس ولكنها لم تلبث أن تنبت إلى أن روبن ليس بمريض ممن تسهر عليهم . فسألته :

— متى تبدأ ياروبن عملك الجديد شريكاً أصغر ؟
فبدأ على الفتى شيء من الحيرة وقال :

— المتعب فى الموضوع يا حنا... هو... هو أئنى لن أشتغل هنا بعد الآن ، فقد قررت الشركة إرسالى إلى نيويورك
فصفت الفتاة طرياً وصاحت :

— مرحى ! لقد كنت أصبو دائماً إلى الحياة فى أميركا . ألا ترى ياروبن أن الحياة هناك ستكون مثيرة لمواطنى ؟

ولكن روبن لم يجب على هذا الكلام ، وسادت

— قد أتزوج يوماً ما . وقد يكون هذا اليوم قريباً ...

الزواج ! هو الحلم الذى يشغل رأس حنا ! إنها لترنو إلى اليوم الذى يصبح لها فيه بيت خاص بها ، إلى اليوم الذى تستطيع أن تنفق فيه المال ، وتبتاع الملابس ، وتضى بمجديقتها ، لا يقلق نومها صوت الجرس الذى يدق فى منتصف الليل ، وأتات المرضى المتوجعين ، والواجبات التى تصدع الرؤوس . اليوم الذى تتحرر فيه من قيد مواعيد قياس الحرارة ، ومن إعداد قناني الماء الساخن ، حرة فى أن تمشى كما يجب أن تمشى ، حرة أن تمتع نفسها بما تصبو إلى التمتع به .

وترقية روبن التى أنبأها خبرها هى الوسيلة إلى تحقيق هذا الحلم السعيد ، لأنها تمكنهما من الزواج بعد هذا الانتظار الطويل .

وبعد أسبوع قابلت حنا خطيبها روبن فى مقهى الظير الأزرق فى كلثون ، فلما مدت إليه يدها مصافحة ضغط أصابعها ضغطاً مؤلماً وهو يصيح :

— مرحى ، يا حنا !

فلمت عينا الفتاة وحى تقول :

— إنه لى السعادة أن أراك ثانية ياروبن ؟

فرد الفتى على هذه التحية بقوله :

— ألا تشرعن بحاجة إلى فتجان من الشاي ؟
فضحكت حنا وقالت :

— هل عرفت فى حياتك ممرضة لا تحتاج إلى الشاي ؟

وجلس الاثنان على مائدة فى أحد الأركان . وشرعت حنا تفرغ له الشاي فى فتجانه ، غير ناسية أنه يضع دائماً ثلاث قطع من السكر فى الفتجان الواحد ، وأنه يجب الشاي القوى ، وشرعت بأن

— هل يضايك أن أستمير هذه التسمية من
الس ميرتون؟ فقد كانت هي التي تناديك هذا النداء
أم ترينى غططاً؟

فأجابت حنا وهي تجلس إلى جانبه :

— نعم يا دكتور هي التي تناديني بهذا النداء
غرك الطبيب العربة وهو يقول :

— هذا حسن جداً ... وعلى فكرة لقد كنت
أراك دائماً تظلم من الشباك على الطريق ...

فمضت حنا شقفتها ، وقالت في نفسها : إنه إن
يراها في الشباك بعد الآن ، فلم تعد بها من حاجة
إلى الترقب ، ولم يعد أمر ساعي البريد ليهما في كثير
أو قليل

وجرى الحديث بين حنا والطبيب في أثناء الطريق
على الرخصة فقال الطبيب :

— ستفاد مسس ميرتون الفراش بعد قليل ،
وقد لاحظت أن هؤلاء الفتيات الحديثات تكونن
مجيئاً . وهي في الواقع أصبحت في غير حاجة إلى
ممرضة

فقال حنا في شيء من المكر :

— ولا إلى طبيب أيضاً !

فقطب الطبيب جبينه وقال :

— ولكن لا بد لي من أن أزورها بضع مرات
أخرى فالأمر كما ترين ...

ثم حبس الطبيب الكلام في فمه وعاد فقال :

— آسف فقد كنت أثنى لك سرراً ، وقد

طلبت متى فيت أن احتفظ به لنفسى إلى حين

فلم تقل حنا شيئاً ، فقد كانت على علم بما يرى
إليه ، فليس من المفروض أن يقع الأطباء في غرام
مرضاهم ، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يملك
نفسه دون الوقوع في حب فيت ؟ وفيث نفسها

الجو فترة سكون طويل عميق غامض انزعجت له
نفس حنا ، فلم تلبث أن نظرت إلى وجه روبن وقد
علته حمرة الحجل ، فأدركت الحقيقة على حين فجأة
وسألت في هدوء :

— إذن كان صدقاً ما شاع عن العلاقة بينك
وبين روث يا روبن ؟

فهمز روبن رأسه إيجاباً وقال :

— أخشى أن يكون ما شاع صحيحاً ، ولقد
كنت أحاول منذ جلسنا هنا أن أخبرك ولكنني
كنت أجبن من ...

فقطعت حنا عليه الحديث قائلة ، وقد ملكت
عواطفها :

— ولا شك في أنك تكون أجبن من ذلك
إذا أنت تزوجت من امرأة لم تحبها . وإنى لأستطيع
أن أحتمل هذه الصدمة يا روبن ، وأعني لكما
السادة في الحياة

إنها الهزلة أن تجلس حنا في ذلك المقهى تصب
الشاي لروبن متذكراً ما يحبه وما لا يحبه من قوة
الشاي وقطع السكر ، وعجبت إذا كانت روث تعلم
أيضاً بهذا الاجتاع وما يجري فيه

لم تدع عين حنا من أثر الصدمة التي أصابها
ولم تمتب على صاحبها ، واقتصرت على أن صاغت
مودعة ، وانصرفت تمشي الهوينيا في شارع هاي
استريت ، بينما عادر روبن مسرعاً إلى محطة سكة الحديد
ووقفت سيارة الدكتور جون على حين فجأة إلى
جانب حنا فقال الطبيب :

— هل أستطيع أن أوصلك أيتها الأخت حنا ؟
فوثبت حنا إلى العربة وكانت هذه هي أول مرة
يدعوها فيها الدكتور جون بسيارة « الأخت حنا »
وضحك الطبيب لما بدا من إجحال الفتاة وقال :

والأنس ، ولحرماتها الصداقة الوفية التي بدت من
جانب الدكتور جون

فكرت الفتاة فيما عسى أن يكون المستقبل مخبئاً
لها ، فقد تجد عملاً عند مريض آخر وقد يكون
شيخاً مضطرب الأعصاب ، يتبعها بطلابته فلا تقف
لها قدم عن الحركة طوال الليل والنهار... فهي غير
راغبة في مغادرة هذا البيت

شفيت فيث ، وجاءت ساعة الوداع فماعت
مرضتها وهي تقول :

— سأشعر بوحشة للأخت حنا ! ولا بد لي من
أن أتزوج سريعاً ، وسيكون لي كثير من الأطفال
وسأعيدك إلى بيتي مرة أخرى يا عزيزتي
فابتسمت حنا وقالت :

— أرجو أن تزوجي منه قريباً ، وإني لوائقة
من أنك تستطيعين أن تحيطيه بأجل مظاهر السعادة
فعملت فيث بنظرها في حنا وقالت :

— أتزوج منه ؟ من هو الذي تقصدين ؟
فعملت حنا بدورها في فيث وقالت :

— أقصد بالطبع الدكتور جون !
فضحكت فيث ضحكا عالياً متصلاً وقالت :

— هل جئت يا عزيزتي ؟
فجلست حنا مندеше وقالت :

— ولكنكم متحابان !
فهرت فيث رأسها وقالت :

— يجوز أن يكون قد أجبت ، ولكني ما زلت
طليقة القلب ، ولا شك في أنني أعترف بأنه مليح
صفحة الوجه ، وله شعر متماوج جذاب ولكنني أطلب
من الزواج شيئاً أكثر من ذلك ، وأخشى أن يكون
ذوق منصرفاً إلى البحوث البخارية والسيارات
والطائرات وما إلى ذلك ، وإنه ليحزنني يا عزيزتي

كانت تداعبه في خلعة حتى في حضرة حنا نفسها !
ووقف الطبيب سيارته أمام البيت وقال :

— لن أدخل الآن ولكن أرجو يا حضرة
المرضة أن تتصلي بي إذا احتجت إليّ .

فقال حنا مبتسمة :

— سأفعل يا دكتور

فقال الطبيب :

— وعلى فكرة ! أيتها الأخت حنا ...

ثم تردد لحظة عاد بعدها يقول :

— أرجو متى انتهت مهمتك في هذا البيت أن
تحضري لزيارتي فمسأجد لك عملاً عند مريض آخر
فأجابت في هدوء :

— أشكرك يا دكتور .

وقالت الفتاة في نفسها وهي تصمد السلم :
« مريض آخر ! لقد تبعت من المرضى والسرير عليهم
إني لأصبو إلى النسيم والخيال والحب ، وكل شيء
مثل الذي تنعم به فيث ! »

وكانت فيث الآن في دور النقاها ، فهي تجلس
وتنتقل من غرفة إلى أخرى وتخرج قليلاً إلى الشرفة .
وأدركت حنا أن أيامها في ذلك البيت قد قاربت النهاية
فلا بد لها من أن تتأدده قريباً وأن تبحث عن عمل
آخر .

وبعد قليل كانت فيث في الحديقة تقود سيارتها
وتستقبل أصدقاءها ؛ وكانت حنا تحزم حقائبها
استعداداً للرحيل .

ولم تكن الفتاة راغبة في ترك ذلك البيت الذي
كانت تنعم فيه بشيء من الراحة والسعادة على الرغم
من جنابة روبن ... وستشعر بمد رحيلها بوحشة
لا تبتاعها عن فيث وما يحيط بها من مظاهر المرح

محل الجدل . ولابد أنني كنت في ذلك المساء جد بلهاء
عندما أجبتك « بغم » ولكنني على كل حال لم أكن
ما قلت

فلم يزد الطبيب على قوله : « صحيح » وكان
صوته غاضباً وقد خرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه
في عنف ثم اندفع إلى الدرج يهبط عليه مسرعاً .
فلحقته به حنا مسرعة فأدركته في الزدهة وأمسكت
بساعدته وقالت :

— أوه ... دكتور، أرجوك العفو إذا كنت
قد سمعت شيئاً من حديثكما فقد كان صوتكما عالياً ،
ولكني أرجوك ألا تسمى الظن بفيث، وتذكر أنها
كانت مريضة فلم تكن مالكة أعصابها ، وسيأتي
اليوم الذي تدرك فيه الحقيقة ، وأنا أيضاً أعرف
صدمة الفشل في الحب ... فأرجوك ...

وقطع الحديث صوت فيث وهي تنادى :

— الأخت حنا ! الأخت حنا !

فأسرعت حنا في الصعود وهي تقول :

— ها أنا ذى حاضرة يا عزيزتي

ووقف الدكتور جون لحظة ينظر إلى الفتاة
الصاعدة السلم وقد بدت عليه أمارات الدهشة
ولآخر صرعه سمعت حنا صوت فيث يناديها في
لهجة التهمك ضاحكة :

— أينما الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك
ترين من الشياك؟ هذا ساعي البريد يعود إلينا والدكتور
جون يذهب !

فتلقت حنا محفلة وهي ترى من غير الطبيي أن
الطبيب ينادر البيت على هذه الصورة . وقد أنساها
التفكير في الطبيب وما أسابه أمر ساعي البريد الذي

ألا أستطيع أن أمثل لك الرواية الغرامية التي تخيلتها
فنظرت إليها حنا نظرة قاسية وقالت :

— إذن كان يجب ألا تشجعيه

فنظرت إليها فيث بدورها مندеше وقالت

— أشجعه ؟

— وقالت حنا وقد شرعت بصدمة من
تصرف فيث :

— نعم ... لقد كنت تحاولين أن تظهري

في أحسن صورة كلما زارك

— ولكن ما أظنك يا عزيزتي كنت تريدني
أن أظهر كما حدى العجائز القعدات ، والحق أن المرض
ليصبح حالاً ثقيلاً لا يطاق إذا لم يستطع الإنسان
أن يداعب طبيبه قليلاً

جزعت حنا لهذا الموقف وأدركت أن فيث
لم تكن إلا عاثة . ولكن ماذا يكون وقع هذا
الأمر في نفس الطبيب ؟ إنه أكبر جداً من
أن ينظر إلى الحب هذه النظرة الطائرة . لقد حضر
في ذلك المساء ليرى فيث فلما صاحبه حنا إلى غرفتها
قال :

— أريد أن أرى المس ميرتون على انفراد في أمر

خاص فإن كان ذلك لا يضايقك فأرجو ...

فاكتفت حنا بهذه الإشارة ومضت ، ولكن
صوت المتحدثين كان يصل إلى أذنيها غامضاً . وأخيراً
فتح الباب وسمعت صوت الطبيب يقول في صوت
مرتفع ولهجة غاضبة :

— ولكن لماذا شجعتني هذا التشجيع كله

إذا كنت لا تقصدين إلى تحقيق ما وعدت به ؟
إني غاضب منك أعد الغضب يا فيث !

فأجاب فيث في طلاقة :

— إنك تحمل كل شيء يا دكتور جون على

— كنت أظن أن هناك مسألة شاب وخطبة
فأجابت حنا في ثبات :

— لقد كان ذلك ، ولكن لا وجود لهذا
الشاب في نظري بعد الآن ، ولقد مهد لي فرصة
جديدة للعودة إلى ما مضى ، ولكنني أفضل أن أجد
عملاً آخر

فقال الدكتور جون في هدوء :

— أريد أن أعرف منك يا حنا ماذا كنت
تظنين على وجه الدقة ، فيما يتصل بالعلاقة بيني وبين
مس ميرتون ؟

فاخبره حنا وقالت له متلثمة ...

— ولكن ... أألم تكونا ... أنت ... وهي ...

فجز الطبيب رأسه وقال :

— لقد كنت جد مخبطة في ظنك . فالأمر كله
أنني كنت أحاول إغراءها بأن تنزل عن شيء من
مالها الكثير الذي تبخره في الهواء لبناء مستشفى
قروى . وقد وعدتني بذلك ثم أخلفت الوعد

فتنهلت حنا وقالت في دهشة :

— أوه ...

غدى الطبيب في الفتاة وقال :

— ولكن ما الذي هلك على أن تظني غير ذلك ؟

فأجابت حنا في لهجة الجد :

— لقد كنت أنت تعلم وكنت أنا أعلم أن حالة

المریضة لم تكن تدعو إلى أن تزورها مرتين في اليوم

فأبسم الطبيب وقال :

— ولكنني لم أكن أحضر لزيارتها ، إنما

كنت أحضر لأنني لم أكن لأستطيع الانقطاع

طويلاً عن رؤية الأخت جينا الصغيرة وهي تنظر

من الشباك وديمة فتاة

وصل في ذلك الوقت ، إلى أن جاءت الحانم بخطاب
جاء به هذا الساعي

إنه خطاب من روبن ... فضت حنا غلافه
وقرأت فيه ما يأتي :

« عزيزتي حنا ...

أرجو أن تغفري لي ! فقد كنت أبه سخيفاً !
فأنا أعلم الآن أنها أنت وأنت فقط ، لقد هزنت رووث
بفكرة الذهاب إلى نيويورك ، وفسخت خطبتنا ،
فهل تفضلين بمقابلتي مرة أخرى يا حنا ، ناسية
الماضي مفتقرة لى ذنبي ؟ جيبك (روبن)
وما انتهت حنا من قراءة الخطاب حتى سألتها
فيث عرضاً :

— أخبار طيبة يا ممرضتي ؟

فملت الحجرة الشديدة وجه حنا وقالت :

— لا أدري ... على أي أظن أن الوقت قد

حان لذهابي

وهبطت الفتاة إلى الطابق الأول وطلبت من

« كارثر » أن يحمل متاعها في السيارة إلى محطة

سكة الحديد وخرجت إلى الطريق ماشية

وكانت الساعة ساعة العمل في عيادة الدكتور

جون سيمور ، لذلك اضطرت أن تنتظر حتى ينتهي

من عمله . حتى إذا دخلت عليه الترفة نظر إليها

منما وقال :

— خير ؟ أرجو ألا تكوني مريضة ؟

جلست الفتاة أمام الطبيب وقالت :

— لقد قلت لي منذ أيام يا دكتور جون إنك

مستعد أن تجد لي عملاً إذا أنا احتجت إلى ذلك .

والآن جئتك أطلب العمل

فنظر الطبيب إليها نظراً مستعجباً وقال :

نفضت حنا نظرها وقالت :
 — أوه ... عجيباً !
 فضى الطبيب يقول :
 — وكانت ترتب على ما أظن مجيء ساعي البريد
 يحمل لها رسالة من جيبها
 فقالت حنا :
 — نعم كان ذلك أول الأمر . ولكنها لم تكن
 في الأيام الأخيرة لهم بأمر ساعي البريد حضر أولم
 يحضر . وعند ما انصرف الدكتور جون من البيت
 هذا المساء ... أحست هي ... هي ...
 ثم رفعت الفتاة رأسها ومضت تقول :
 — لقد نسيت ما جئت من أجله ، فأنا إنما
 جئت لأطلب منك العمل الذي وعدتني به ، فأين
 هو هذا العمل يا دكتور ؟
 فتظاهر الطبيب بأنه يفحص بعض الأوراق
 على المكتب وقال :
 — آه ... نعم ... إنها حالة محزنة حقاً . حالة
 شاب في مقتبل الحياة ، أمامه مستقبل حسن يشر
 بالنجاح ، وبكل شيء طيب ، ولكنه يشكو من
 تعب القلب ، وكان يظن أن مرضه غير قابل للشفاء .
 ولكنك إذا توليت أمره يا عزيزتي حنا ...
 فسألته حنا في هدوء :
 — وما اسم هذا الشاب ؟
 أجاب الطبيب :
 — جون سيمور
 فهو المريض ممدى

التأمين ضمان المستقبل

أمنوا على أموالكم وأرواحكم

لدى :

(شركة مصر لعموم التأمينات)

تحافظوا على مقتنياتكم ضد :

والنقل بأنواعه ...

كوارث الحريق ...

وأخطار السيارات ...

— هل السيدة موجودة ؟

الخادم — أية سيدة ؟

الآنسة — ...

الخادم — من حضرنك ؟

الآنسة — ...

فتردد الرجل برهة ثم تركها وخف

إلى الداخل فذاب حيناً ثم عاد فدعاها

إلى الدخول . ومشى أمامها على طرفسة بنفسجية

في ردهة صقيلة تكاد حوائطها تضى ولو لم يضئها

مصابيح ، وأدخلها حجرة رحيبة يشع فيها ضياء

هادئ وردي اللون جميل ، وجلست الآنسة ففاضت

في نخل وحرير

وخرج الخادم موصداً الباب وراءه . وبعد حين

سمعت الآنسة وقع أقدام مسرعة ، وفتح الخادم

الباب إلى أقصى اتساعه ووقف ممسكاً به في احترام .

وخطرت إلى الحجرة ربة القصر ، سيدة نصف

في العمر ، قد ضمت الحسن من أطرافه مجالوبه وغير

مجالوبه ، جمت الأنوثة الكاملة الناضجة والمقل الراجح

المتقف ، في عينيها سيال حنان ، وفي فمها كنز

عجبة ، يتقدمها أربع كأنه نفع من جنات الخلود

جلست السيدة والآنسة متقابلتين . قالت السيدة

بعد سكوت : « خير يا عزيزتي ؟ ! » قالت الآنسة

في تكرار وعثار « علمت أنكم ... ياسيدي ...

بحاجة إلى فتاة متملة لتربية الأطفال ... فجئت ...

أطلب الخدمة ... فنظرت إليها السيدة في دهشة

وقالت : « من أبناك هذا ؟ ! » قالت الآنسة في ارتباك

ظاهري : « ... عرفته ... »

كان للسيدة أطفال قامت على تربيتهم إلى اليوم

بنفسها دون استئانة بمرليات ، فقد أوتأت ألا تعهد

عذرية

أقصوصة مصرية
بقلم الأستاذ عبد المغني علي حسين

في أحد الأحياء المترفة بمدينة القاهرة ، وفي

طريق أقفرت من المسارة في ليلة من ليالي الشتاء ،

مشت آنسة نحيفة المود ، شاحبة اللون ، تلبس على

عينها عوينات وتحمل يمينها حقيبة ثياب ، يبدو

عليها الإعياء الشديد ، وتنتظر أمامها في شبه دھول

ووقفت الآنسة فجأة والتفتت نحو مبنى أبيض

من طابقين ومشت إلى باب سوره بخطى وثيدة

ومدت يداً نحيلة فمالجت الباب الحديدى فطاولها

وافتح ، وأسفر عن روضة بديعة التنسيق . مشت

الآنسة إلى درج من الرخام الأملس ، على جانبيه

صفان من أصلب الرياحين . وتوقفت حائرة ومحت

أن تعود ثم عدلت ، ومضت ترقى الصرج في بطاء

شديد كأنها تجر بقدميها طن حديد ، ووقفت أمام

باب غم عريض قد من أثمن البلور وإزدان بإطارات

لجينية . ومدت يداً مرعجة إلى ضاغطة عاجية

ففسها فاز الجرس وتلا الأرز وقع أقدام خفيفة ،

ثم انفتح الباب وأطل منه خادم نوبى في قفطاة

الناصع ، وحزامه القاني ، وخفه المقنوب

تفرس الخادم في الطارقة المجهولة ووقف برهة

صامتاً وأترجم على الآنسة فوقفت هى أيضاً صامتة

ثم تملككت نفسها وقالت :

بل تقول إنها تعرف ... ١١ « قال البك : » أدخلني على هذه الزائرة إذا سمحت « فأرسلت في استدعائها . وأقبلت الفتاة وجلة سفراء ، خياها البك متلفكاً ودعاها للجولس . ثم قال بصوته الجمهوري : « من قال لك أننا بحاجة إلى مربية ؟ » قالت الأنسة : « هذا يا سيدي يحتاج إلى شرح ، وأنا متعبة جداً الآن ، وستعرفون ذلك متى بعد استخداجي » فنظر إليها البك بارتياح . قال : « أنمرفين أحداً من خدم هذا المنزل ؟ » قالت : « لا » فنظر إليها بارتياح أشد . وسكت قليلاً ثم قال : « هل سبق أن اشتغلت مربية ؟ » قالت : « لا » قال : « أنمرفين أحداً يمكن أن يعرفك إلينا ؟ » قالت : « لا » قال : « اسمي يا أنسة ! لا يمكننا أن نستخدم شخصاً لا نعرفه ، ولم يقدمه إلينا شخص معروف أو جهة معروفة .. متأسف ! » ودار بكروسيه ليواجه أوراثة

فنهضت الفتاة واقفة ، واغبرورت عينها ، ويمتد نحو الباب . ثم توقفت وقالت : « أيمكنني يا سادتي أن أبيت هنا الليلة ؟ » فنظر البك عرجاً ثم قال : « أليس لك مسكن ؟ » قالت : « لقد طردني أخي » وأجهشت بالبكاء . قال البك : « من هو أخوك ؟ » فلم تجب . قال : « أليس معك ثوب ؟ » فلم تجب . فأخرج من جيبه ثوباً ومد يده قائلاً : « خذي هذه واقضي الليلة في فندق ... و ... تعالى إلى في الفندق ، وأنا أنظر في أمرك » . فأبت الفتاة أن تأخذ الثوب وتغادر الحجر

عندئذ نادى سيدة الدار قائلة : « إندريس ؟ » ، فجاء الخادم النوبي . قالت : « لا تدع الزائرة تخرج ... أدخلها حجرة الاستقبال ... أغلق الباب » . ثم التفتت إلى قريبتها وقالت : « ماهذه القسوة يا عزيزي !

إلى غيرها بأول واجباتها وأسمى وظائفها . ولكن حدث أن دعيت للاشتراك في جمعيات نسوية فلبت داعي الجهاد في ميدان النفع العام . ولم يكن ذلك في البدء ليشتغلها عن أطفالها ، أو يستنفد من وقتها إلا يسيراً . ولكن نشاطها الاجتماعي نما وتشعب ، وصار يشغل من وقتها بضعة ساعات في أكثر الأيام تضطر فيها إلى ترك بناتها في رعاية خادمت جاهلات . لذلك رغبت في استخدام مربية متملة تنقيها ببناتها وتشرف على عملها ما استطاعت .

أما موضع الدهشة فهو أن هذه الرغبة لم تحبط ببالها إلا يوم أمس ، ولا يعلم بها أحد سوى قريبتها التي لم تقامح فيها إلا ليلية أمس ، ولم يتفقا بعد على التنفيذ . فمن أين جاء الفتاة عليها ؟ ! كررت السيدة على الأنسة السؤال ، ولجت الأنسة في الارتباك .

قالت السيدة : « اسمحي لي ... برهة ... » ثم غادرت الحجر ، ودخلت على قريبتها في حجرته مكتبته ، وهو مكب على أوراق يستمرها ، فقد كان مديراً لشركة هندسية وزعيماً اقتصادياً كبيراً .

قالت : « عزيزي ! ... هل أعلنت عن حاجتنا إلى مربية ؟ » قال : « لا » قالت : « ألم تخاطب أحداً في هذا الشأن ؟ » قال : « لا » قالت : « شيء غريب ! ! ! » قال : « ماذا ؟ ! ! » فروت له حديث الفتاة .

فتبسم البك وقال : « لا بد أنك حدثت أحداً في هذا الأمر ولا تذكرين » فهزت رأسها بالنفي المؤكد ، وكان البك يعرف أن قريته تعني دائماً ما تقول .

قال البك : « لعل الأنسة طرقت بابنا مصادفة للسؤال عن عمل » قالت : « إنها لم تسأل ...

جثت السيدة بجوار الآنسة تقلب فيها وتجس
نفسها ، ووقف البك لا يفعل شيئاً . بل لقد خطر له
أن الأمر كله رواية مدبرة وهبذا فصل منها . قال
إدريس : هل أدعو الإسعاف يا سيدى الباشا ؟ .
و (الباشا) هو القرب الذي اعتاد إدريس أن يمنحه
لسيده . فلم يجبه سيده بشيء ، وأشارت إليه سيدة
أن احملها ، وتقلها إلى حجرة نوم ، وطفقت السيدة
تسمعها بما في مقدورها دون أن تقيق

قال إدريس : « هل أدعو الإسعاف يا سيدى
المهام » . قالت سيدة : « لا... بل استدع الدكتور
فلان ... بالتلفون ... أسرع ... »

وحضر الطبيب ، فلما فحص المريضة هن رأسه
في يأس ، ثم طفق يبالغ بالحزن والأشربة المقوية
والنبتات والتدليك وقتاً طويلاً دون أن تقيق .
قال الطبيب : « لا أملك بإساذنى أن أكث
أكثر من ذلك ، ولكن أرى المريضة بحاجة
إلى عملية فنية متواصلة مما لا يتيسر إلا في مستشفى ،
وحيث أنها زائرة مجعولة لكم فالأرى عندي أن تنقل
إلى قصر العيني بواسطة الإسعاف »

فتقدم إدريس ليلتق الأمر باستدعاء الإسعاف .
ولكن الطبيب مضى يقول « غير أنى أصارحكم
القول بأن نقلها شديد الخطر على حياتها . والحل
الأخر هو أن أذهب أنا ، وأبث إليكم بممرضة
مزودة بما يلزم من التعليلات والأدوية قسهر عليها حتى
الصباح » قالت السيدة : « ليسكن ذلك يادكتور »
وذهب الطبيب ، وجاءت الممرضة .

وهم السيدان بالذهاب إلى الفراش فقالت الممرضة
« أرجو يا سيدى المهام أن يكون أحد الخدم على مقربة
منى طول الليل ، فقد أحتاج بعض أشياء » قالت

فتاة ضميعة ، نحيلة الجسم ، رقيقة الثياب ، مشردة
في هذه الليلة الباردة ، تهيب بنا أن تؤويها ، فندفع
بها إلى الشارع ولدينا سعة لبيت عشر مثلها ؟ !
قال قريتها : « مهلاً يا عزيزتى ! ألا ترين في أمر
هذه الفتاة ما يدعو إلى الرية ؟ نحن لا نعرف من
أمرها شيئاً ألبتة ، وهي تأتي أن تقول أى شيء عن
أمرها ، وكل احتمال بشأنها جائر عندي . وحتى
لو صدق ما قالت من أن أخاها طردها فأكبر الظن
أنها أنت أمراً ! إذاً حمل أخاها على طردها في هذه
الساعة من الليل »

قالت : « قد يكون شيء من ذلك . ولكن
ألا يجوز أن الفتاة سليمة النية ؟ »

قال : « هذا جائر أيضاً . ولذا قدمت إليها نقوداً
لثاوى إلى فندق ، ودعوتها للمود في الغد لأتلف
أمرها في فسحة النهار » . قالت : « قلبى يحدثنى أن
هذه الفتاة تستأهل العطف . إن لى حاسة سادسة
تمكننى من الحكم على الأشخاص حكماً صحيحاً دون
استدلال منطقي » . فتيسم البك وقال : « أنا
يا عزيزتى لا أعرف شيئاً عن هذه الحاسة السادسة ،
وليس لى إلا خمس حواس فقط بعضها في غاية البلادة
وليس لاجز مثلى إلا التحويل على المنطق والمقول .
أنا لا أرتاح مطلقاً لبيت هذه الفتاة هنا الليلة »

وفي هذه اللحظة انبث من الردهة صوت رضى
ثم طرقت باب الحجرة بلهفة ، وفتحها الخادم إدريس
قبل أن يؤذن له ، وصاح : « النجدة يا سيدى ... !
الزائرة سقطت في الردهة مفضياً عليها »

فنهض السيدان وخفا إلى الردهة . ومشى إدريس
في إثرهما يقول : « دعونها إلى حجرة الاستقبال
فأب ، وظلت واقفة ، ثم سقطت هكذا »

وحناء وضع الباشا قدحه في الطبق قائلاً :
 « تذكرت ... تذكرت تماماً ... أتصرف يا سيدي
 البك فلاناً الأديب الشاعر الذي توفي منذ بضعة
 سنين ؟ ... جاء إلى عيادتي ذلك الرجل الفاضل رحمة
 الله عليه ، منذ نحو عشرة أعوام ومعه ابنة له في نحو
 الخامسة عشرة ، وقال إنها مصابة بمرض عصبي ،
 ففحصتها ، فلم أجدها مرضاً عصبياً ، بل وجدت
 ضعفاً عاماً فقط ، وعالجتها حتى شفيت ، وكان اسم
 الفتاة عنيزة ، وهي هذه بيننا ، فقط كانت تلبس
 على عينيها عوينات » فأشار رب الدار إلى عويناتها
 وكانت على نضد بجوار الفراش

وتعجب الجميع من هذه المصادفة

قال البك : « وما الذي حل أباها على الظن بأن
 مرضها عصبي ؟ » قال الباشا : « سألتني في ذلك ،
 فقال إنها تدعى أحياناً ، ثم يبدو كأنما حجب الغيب
 تكشفت أمامها ، فتقول مثلاً : إن فلاناً قريبنا في
 مكان كذا يعمل كيت وكيت ، أو ترشدنا إلى شيء
 نبحث عنه ، أو تنصحننا في بعض الأمور » قال :
 « فطلأنت الرجل وأفهمته أن مرضها قد زال ،
 أما هذه الحال فلا خوف منها وهي طبيعية »

قال البك مندهشاً : « ... طبيعية ! »

قال ألباشا : « نعم . هي خاصة نفسية معروفة ،
 تتجلى واضحة في بعض حالات النوم المتعطش ،
 وتنشأ ذاتية عند بعض الناس ، ويمكن إزالتها
 بالتصوف ، وقد عرفت في كل المصور ، وبلغت
 أوجها في الأنبياء »

قال البك : « اغفر لطفلي يا باشا ولكنني بحاجة
 إلى زيادة إيضاح »

قال الباشا : « أنت تعرف يا سيدي البك أن
 ما نذكره بمحو اسما للحس وبالأجهزة العلمية التي اخترعت

الهام : لإدريس ! إلهر مع السيدة إلى الصباح ،
 وناولها ما قد يلزم » ثم انصرفت .

ومضى إدريس مهموماً ، فجاء بكرسيه الخشبي
 ووضعه على باب الحجر ، وهو زجر بلهجته النونية
 قائلاً : « ليلة طويلة بتناغتو . چاي منين البلاوي دي »
 وأصبح الصباح فبادرت ربة الدار بالسؤال عن
 المريضة . قالت المريضة : « إنها كما هي ، ولكنها
 انتهت بضع دقائق أثناء الليل ، فأردت أن أحادثها
 فلم أجداً ما أقول إلا السؤال عن اسمها ، فقالت إن
 اسمها عنيزة ، وهو اسم لم أسمع به قبل اليوم يا سيدي
 الهام » .

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع بحجرة المريضة
 ربا الدار ، والطبيب . قال الطبيب : « إني متحير
 في مرض هذه الأنسة ، وأرى عرضها على فلان باشا »
 وأسمى نظامياً مشهوراً ، وأستاذاً كبيراً . فوافقت
 ربة الدار على استدعاء الباشا ، وأصررت عليه .

وجاء الباشا ، فلما فحص المريضة قال « هبوط
 عام ، ولكنه ليس خطيراً ، وسأصف لها دواء أعتمد
 أنه سيشفيها » وبينما هو يكتب الدواء رنا إلى الأنسة
 وقال : « لقد رأيت هذه السحنة مرة ، ولكنني
 لا أذكر متى ولا أين » وأتم وصف الدواء ، ثم سأل
 عن اسم المريضة فقالوا : « عنيزة » قال رب الدار
 « اسم غريب يساعد الباشا » قال الباشا : « نعم
 غريب ، ولكن الأغرب منه أني سمعته مرة ورأيت
 هذه السحنة مرة ، ولكنني لا أذكر متى ولا أين »
 وطفق يفرك جبهته مكرراً . « متى ؟ أين ؟ »
 ثم قال « لا أذكر » ونهض مستأذناً للخروج .
 ورجاه رب الدار أن يتناول القهوة ، وكان
 الخادم قادماً بها ، ثم جلسا يحتمسنيها ويتحدثان في
 شئون عامة .

أخي « ومضت تقول : « لما توفي أبواي كنت في مرحلة التعليم الثانوي ، وكان أخي قد نال شهادة عالية وألحق بوظيفة حكومية هامة ، ولم يترك والداي أي مال ، فانقطعت عن الدرس ، وعشت من مال أخي في منزله . ثم وسوس الشيطان لأخي فبدأ يستغل سلطة وظيفته في الحصول على منافع مادية ، وأحسست إحساساً خفياً بأن الرزق غير نقي ، وكان والدي منذ وفاته يتمثل لي في بعض غفواتي وأشاهده مشهدة أشد وضوحاً من مشاهدات اليقظة ، وجاءني أبي يوماً فقال : « نبه أخاك إلى سوء المصير الذي ينتحدر إليه . إنه سيفلت من بطش القانون في حياته الدنيا ، وهذا من سوء حظك ، فالويل الذي ينظره في أخراه لا يوصف »

قلت : « قابلت ذلك لأخي حرصاً على صالحه ولكنه غضب ، وحقد عليّ حقداً شديداً ، وتغيرت معاملته لي . إلى أن كان فجر اليوم الذي جئتكم فيه فتمثل لي أبي وأخذ يبدى ، وقال : « تعالى معي » ثم أحسست أننا ننقل ، وإذا بنا نخلق في أجواء منعشة ، وأنوار بهيجة ، ونشرف على رياض ناضرة وأنهار صافية ، ومساكن طيبة ، ومشاهد لا تصور جمالها ريشة أي فنان ، ولا تتساقى إليها أحلام أي شاعر ، وثمة رجال ونساء كلهم في ميعة الصبا ، وعلى أقصى غاية الجمال . قال أبي : « هنا الفردوس ، وإلى هنا يأتي كل من قضى حياته الدنيا عاملاً لإسعاد البشر ، ساعياً بنفسه وبهم إلى التسامى . إلى أقيم هنا يا ابنتي ، وما كنت أحلم أن جهودي المتواضعة تستحق عشر معشار هذا الأجر » قلت : « يا أبي هذا العالم حقيقى عسوس ، وهو موجود في سماء الوجود ، فما بنا على الأرض ننظر فلا نراه ؟ » قال : « إنه في الأخير . إن كل أشياء هذا الكون

في مدى قرنين أو ثلاثة ، لا يمد قطرة في محيط هذا الوجود ، فأعلم ياسيدي أن في الناس شواذ يستطيعون الحس ببعض ما لا ندرکه بالحواس ولا بالأجهزة العلمية المعروفة حتى الآن ، كأنا وهب هؤلاء الناس حاسة سادسة أو امتداداً في حواسهم الحس »

قال البك : « إن قولاً كهذا من عالم كبير مثلك ياسيدي الباشا يفتح الباب واسماً أمام الدجالين والشعوذين » قال الباشا : « إني أفرك على هذا مع الأسف الشديد ، فإذ هذه الخواص للتفرير بالجمهور أمر ميسور ، والذين يرتقون من هذا السبيل في مجموعهم عتالون أدعياء ، ولا حيلة إلا أن يبطش بهم القانون بلا استثناء » قال البك : « ألا ترى أن الأولى إنكار هذه الخواص كلية لقطع السبيل على الدجالين ؟ » قال الباشا : « قد يكون ذلك ولكن الحقائق الثابتة لا تنكر » ثم إن إنكارها لحماية الناس من الدجل قد يجر إلى ما هو شر من الدجل فهو يمهّد للهزة بكرامات الأولياء واعتبارها خزعبلات ، ثم إلى إنكار النبوة نفسها واعتبارها دجلاً ، ثم إلى الإلحاد المطلق »

قال الباشا ذلك ونهض مستأذناً ، وودعه رب الدار إلى سيارته بالتجلة

تماثلت الربيعة للشفاء بسرعة بفضل دواء الباشا وتولت مهمتها في المنزل كرمية ، وأنس أهل البيت فيها الذكاء ، وسو الخلق والتقوى ، فزادوا اطمئناناً إليها يوماً بعد يوم

قال البك ذات يوم لقرينته : « ألم ترو لك الآنسة شيئاً من ماضي حياتها ؟ » قالت السيدة : « لم أفتحها في ذلك فقد يكون فيه ما يؤلمها » فاستدعاه البك وقال : « نحن لم نعهد عليك سوءاً فما الذي أغضب أخاك عليك ؟ » فأطرقت الفتاة قائلة : « عفا الله عن

حالاً أفضل من حاله فيما طول حشرته وعذابه وبعد :
الشقة التي تنتظره حتى يبعد إلى أرض النعيم »

وأشار إلى ناحية وقال : « أنظري ! هنا يقبع
الذين كانوا يرتشون ، يخونون الأمانة ويفسدون
الخلق ، ويمطون الحقوق لنير أربابها ويفوتونها على
أصحابها . وأشار إلى أخدمه فرأيته يلطم خده ، ويمزق
جلده ويقطع شعره ويكي بدمع يستعين ويندب قائلاً :
« ويلى ! ويلى ! والله لو أوتيت ملء الأرض ذهباً
لاقتديت نفسي به ولو ساعة واحدة بما أنا فيه »

ثم أخذ يبدى وأحسست أننا نصعد ، وإذا بي في
حجرتي ، قال أبى : سأركب الآن على أن تصق لأخيك
مارأيت . إن كلامك قد لا يفيدك ولكن افعل ...
ثم اختفى وعدت إلى نفسى

قالت الأنسة : فانتظرت حتى عاد أخى في المساء
وقصصت عليه ما رأيت . ففيس وبسر ، ومن على
إعالتى وإطعمائى ، وأقسم عينا غليظة ألا أمكث
في منزله بعد ذلك لحظة واحدة . فجمعت ملابسى
وخرجت حائرة لا أعرف أين أذهب . وإذا بهاتف
يقول : أنظري أمامك ، فنظرت فرأيت هالة من
النور ، قال الهاتف : تنبئ هذا النور ، فقبعت حتى
صرت أمام هذا المنزل ، وافتقدت النور فوجدته
على باب سور الحديدية ، ثم سمعت الهاتف يقول :
« ادخلي هنا فهم بحاجة إلى مربية أطفال »

وسكتت الأنسة ثم أطرقت وعيناهما تدمعان
مضت الشهور والسنوات والأنسة كأنها فرد
من أفراد الأسرة وأحبها كافة من المنزل ، حتى
أن إدرى نفسه بدأ يشعر نحوها بحب واحترام
خالصين . ولم يعد يسميها « البلاوى » بل تلم
أن يقول « السيدة عذرية »

عبر الحنفى على صدى

حتى السادة التي تحسونها إنما هو موج في الأثير ،
ولكنكم لا تحسون إلا صفناً واحداً من الموج
وهو المادة

ثم أخذ يبدى . وأحسست أننا نهوى في سرعة
وإذا بنا على أرض جرداء لا نبات فيها ولا شجر ،
مظلمة الأجواء ، فيها أكواخ عاطلة من كل زينة
ورجال ونساء عليهم سبا الفقر والقنوط ، قال أبى :
« نحن بالقرب من سطح الأرض ، وإلى هنا يأتى
الذين لم يهتموا في حياتهم الدنيا بغير نفوسهم ،
ولم يصب العالم منهم خيراً ولا شراً . إن حواسهم
الروحية ميتة ، وكيانهم الروحي كثيف » قلت :
« وهل يظنون هكذا ؟ » قال : « نعم . إلا من بدأ
يشعر بما فوت على نفسه من فرص فيمضه الندم
وتحرقه الحسرة ، وهذا الغلاب يوقظ من حواسه
الروحية ، وينقص من كثافته ، فيرتفع في بطنه
وعناء إلى عالم النور »

ثم أخذ يبدى ، وأحسست أننا نهبط ، ولكن
في صموبة وبطء ، فقد كان الجو كثيفاً قائماً وازداد
الجو كثافة وقاماً ، وصار حاراً كريهاً خائفاً لا يطلق
قال أبى : « أنمى النظر » فإذا بي أرى أشباحاً
صروعة ، ليس فيها من الصورة الأدمية إلا أثر ،
وجوه شوهاء وأطراف طويلة وعيون جاحظة وأجسام
من ظلام ، فيها المبعج حتى التذكور والأعرج
حتى العظام . قال أبى : « هنا الذين اجتروا
السبائت قد رسبوا إلى الحضيض ، وحشدوا مما
ينشئ بعضهم بعضاً ، ويسخر بعضهم من بعض ،
ويوسوس بعضهم إلى بعض وإلى من على شاكلتهم
من أهل الدنيا . أكثرهم لا يؤمن بالله ، ويمتد
أن ليس في الوجود إلا هذا الذى هو فيه . أما من
أخس منهم بخيئته وبواره ، وأدرك أن في الوجود

حاجي بابا اصغرها ناني

للكاتب الانجليزى جيمز مور
بقلم الأديب تاذيلا الطيفى النشار

الفصل الخامس والستون

تجارة الفصوص . حب ابنة عثمان أغا

كان منزل عثمان أغا يقع فى حارة ضيقة تتصل بالشارع الموصل إلى سوق من أكبر الأسواق فى المدينة، ورأيت أمام باب المنزل كثيما من القاذورات عليه عدد من الحلج وبعدة كتيب آخر عليه كلاب صغيرة تحرسها أمها، وكان عواء هذه الأجراء خليقا بأن يجمع الطائفة الهدوء والهدوء عن النفس، وبين هذين الكتيبين باب منزل عثمان أغا الذى دخلنا منه، وكان المنزل بناء صغيرا يحتوى على حجرات قنرة لا أثر للنظافة فيها ولا يمتثل شكلها عن نعمة وراء . ولم يكن لى من المتاع غير سجادة صغيرة فانتقلت من الخان الذى نزلت فيه إلى منزل الأغا، وجلست مقافى فى ركن من أركان حجرته الخاصة ووضع هو فراشه بجانبى ولم يجوارى

ولكى يحتفل بى عثمان أغا ذبح لى كبشا وسواه وأخضر لى صحن من الأرز وأضاف إلى ذلك بلحا وجينا وبصلا، وقد جهزت ذلك الطعام زوجته نفسها وابنتها تساعدها جارية ليس فى المنزل سواها من الخدم؛ ولم أكن إلى تلك اللحظة قد رأيت واحدة منهم إذ وصلنا إلى المنزل فى الظلام . ولم يكن من حسن الخلق أن أسأل عثمان عنهن إلا بقدر ما يسمع هو بإخبارى

وشاركنا فى المأدبة تأجر جلد دعاه عثمان أغا للحضور، وكأنت قد عرفته فى رحلاته فى بخارى . ودار الحديث فى الشئون التجارية التى كنت أجهلها ولذلك لم أشترك فيه إلا ما ندر، فرغم إرادتى الشديدة فى التحدث مع الرجل عن تلك الشئون اكتفيت بأن أنصت إلى كل ما يقال، وجلست أسمع مناقشة فى التجارة تدور بينهما وقد حفرانى من الاتجار فى الجلد وشجبانى على شراء الفلايين للتبغ لأن سوقها فى ارتفاع ولأنه لا ينتظر هبوط أسعارها

انتهت الولية وذهب الضيف وقد شغلنى ما سمعت حتى لم أعد أفكر إلا فى الفلايين وفى الاتجار بها . وجلست طول اليوم فى ركن هناك أحسب كم غلبونا بتباعنا طومانان وكم أربح من بيعها فى الأستانة . وحين وصلت بخارى إلى تلك الثروة التى ستهبط على من تجارة الفلايين قلت فى نفسى : « ما أربحه منها أبتاع به تينا من أزمير وأذهب به إلى أوزبا، وهناك أبيعهم بأثمان باهظة أجصل منها على ربح وافر، ثم أشتري طرايش أحملها إلى القاهرة وأبيعها هناك فيجتمع لى مال كثير أضفه فى أكياس وأذهب به إلى الحبشة فأشتري منها عبدا وإماء أبيعهم بأثمان غالية فى اليمن ومنها أشتري بنا وأعود به إلى إيران فأمال ربحا كثيرا ثم أشتري فى موطنى الأصل إلى أن أتمكن من شراء منصب من مناصب الدولة قد ينتهى بى مع الزمن إلى رئاسة الدولة فى حكومة ملك اللوك

وحين ثبت أنورى على هذه الكيفية شرعت فى تجارى بزيمة ونشاط، وبعد أن تحيرت أحسن

ورغم ما أصبت به في وجهي من التشويه فقد رأيت أنني أصبحت فتنة في نظر « ديلارام » وفي قلبها . و « ديلارام » الجلية هذه هي ابنة عثمان أغا التي لم تترك وسيلة إلا اتبعتها لتفهمني شعورها بنحوي . وكانت هي وأما على دراية تامة بعلاج هذا المرض الذي أصبت به ، فأخذتا تمنيان بي وعرضاني وكأنا كانت قرحتي وحيد ديلارام لي . كأنما كان الأمران على موعد فقد ظهرا معا وتقدما معا . وفي الوقت الذي بلغ فيه مرضي أشده بلغ حبيب ديلارام درجة لا تطاق . والحق أقول إن عدوى ذلك الحب لم تصبني إذ كانت فانتني صورة محبحة من والدها وكنت لا أستطيع أن أميز وجه أحدهما من وجه البعير . وكنت كلما نظرت إلى وجه « فانتني » اتقبض صدري وتدففت إلى غيلتي الأفكار السوداء . ولذلك تقلت خبر اجتماع القافلة للذهاب إلى القسطنطينية بسرور وانشرح . وجمعت غلايتي وربطتها ودفعت أثمانها واشترت ملابس السفر . وكما كان سروري حين أعلن أن القافلة ستتحرك عند أول فرصة . مسكينة تلك القفلة ديلارام ! لقد جعلت تنظر إلى خدي المصاب نظرة يأس ، وما كاد يذهب الورم عن خدي وفك آخر الأربطة عنه حتى حسبت أنها فككت كل قيد كان يمتنها من الاتهاج والسرور

الفصل السادس والستون

في طريق القسطنطينية

بدأت القافلة سيرها في طريق القسطنطينية في صباح يوم من أيام الربيع وجلست فوق حمل من أحمالي وسأرتها حولي ، وكنت أنظر إلى القافلة نظرة ارتياح وأصني إلى أجراس البغال كما لو كنت أصني إلى نغمة المزمار

الطرق وأفضل الوسائل تماقتت مع خطاب على أن يذهب إلى جبال « لور » وهناك يجد غابات من شجر يصنع منه الفلايين فيختر منها أصلحها ثم يعود إلى بغداد حيث تجهز وتصنع لها اللباس وتصدر إلى تركيا وعلى هذا النظام مرت ولكن في أثناء انتظارى رجوع الخطأب أصبت بمرض لا يسلم منه المقيم في بغداد فضلاً عن الغريب الزائر ، وانتهى بي ذلك المرض إلى قرحة حين تحبف تترك وراءها أثرًا خبيثًا في الجلد يطلقون عليه اسم « أخت بغداد »

وكانت قرحتي في وسط الخد الأيمن فوق نهاية شعر اللحية . وهناك تركت أثرها الخليث بعد أن نحتت جزءاً من الشعر وترك بقعة قبيحة الشكل زرية المنظر . وتجمعت تلك البلوى بصبر وجلد رغم ما كنت أشعر به أحياناً من الضغينة على القدر والحقد على الحظ لاختيار ذلك المكان من وجهي وكان لها أن يختاراً من جسمي أي مكان آخر . ثم نهبت وقلت لنفسي : « فليكن ما أراد الله ؛ فلو خير كل حجر لاختار أن يكون ماساً ، ولو استشير كل رجل في مكان قرحته لما رأيت وجهاً قبيحاً في بغداد »

ثم عزيزت نفسي قليلاً بأن وجه عثمان أغا لا يمدله وجه في الدمامة والتبجح رغم أن قرحته لم تصبه في وجهه . وقد سر عثمان أغا من مصيبتى بدلاً من أن يعزبي ويشاركني في الألم فقد قال لي : « إنك لم يصبك في حياتك يا حاجي بابا غير هذه القرحة في وجهك فمدتها نعمة من الله . ثم لقد شوهدت نصف الوجه ولكن النصف الآخر يبقى سليماً بحمد الله »

فقلت في نفسي : « بش هذا الرجل ! إن قبيح الصورة لا يطبق رؤية الحسن كما لا يطبق خيار الناس أشرارهم »

موطنى الأصلى فإنما بي أرى ما لا عداد له مما يضل النظر فيه . ولئن كانت أصفهان نصف الدنيا فهذه المدينة هي الدنيا بأجمعها ! وأين من هذه المباني الفخمة مباني أصفهان ؟ هنا مباني مقامة على ساحل متعرج جميل وهي تطل على الماء الأزرق الرجراج ، وهناك مباني أحاطت بها الجبال الجرداء

ولاتساع المدينة وجمالها ووقوعها على ضفاف البحر تظهر كأنها منعكسة على سطح مرآة فيتنصاف اتساعها ويكثر رونقها وجمالها . ولئن أردت وصف كل ما في المدينة من جمال يسحر النظر ويغلب الالب فليست بمتته أبداً ... آلاف من القوارب المختلفة الأشكال والأحجام تسبح على سطح الماء ، وبوارج لساراتها شكل الغابة مارّت ذلك المرفأ الجميل وجعلت للبناء شكلا رهيبا

قلت لواحد ممن كانوا حولي : « والله هذه جنة فليتني لا أفارقها » ... غير أنني ما فكرت فيمن بأيديهم هذه الجنة ولا في العداوة التي بين قومي وبينهم ؟ ولما فكرت في ذلك ذكرت أنهم قوم لا تصلح لحامهم مكانس لأبناء وطني ، وشعرت بتزلي العظم وبوضي من قدر نفسي باختلاطي وإقامتي مع هؤلاء القوم . وخرجت من تأملاتي بتزمية واحدة تعزيت بها ، وهي أن هؤلاء القوم الذين أراد الله أن يتمتعوا بتلك الجنة ويعرجوا في جنباتها في هذه الدنيا لهم يوم رهيب تصطلك منه الفرائص وتنخلع من هولها القلوب وهو آت لا ريب فيه

بعد أن انتهيتا من الأعمال التي لا بد منها في الجرك ركبت أنا وأصحابي زورقا ألقنا من أسكوتارى إلى دار السعادة ونزلنا بتناجرا وأمتمتنا في خان يؤمه تجار إيران واقع في الجزء المتوسط من

وكان فرائشي معقوداً إلى سرجي وقد حسبت نفسي تاجراً عظيم القدر مغبوط الحال . ورافقتي في رحلتي عثمان أغا وصاحبه تاجر الجلود البخاري الذي تشرفت ببقائه في الولية وتاجر أو تاجران من تجار بنداد . ورأيت فضلاً عن هؤلاء كثيراً من مواطني من بلاد مختلفة يقصدون إلى الآستانة في

أعمال تجارية وفيهم من كنت أعرفه من قبل وكانت قصتي مع الرحوم شيخ الملاء قد نسبت تماماً ؛ وقد جعلتني ملابسى التي اخترتها لهذا السفر والمرض الذي أصاب خدي أظهر بمظهر أهل بنداد حتى لم أعد أخشى كثيراً أن يبه شكلي على أنني إيراني . ولا أريد أن أتعب القارى بوصف مسهب لما حدث أثناء سيرنا في تركيا وهو يتلخص في خوفنا من اللصوص وزعائننا مع الغالبين وزولنا في إغاثات . ويكنى أن أقول إننا وصلنا إلى مقصدنا في سلام ، غير أنني لا أستطيع إخفاء شعوري عند مشاهدتي للآستانة

إنني كإيراني أصفهاني كنت معتاداً أن أحسب بلدى الأصلية خير بلاد العالم وأرقاها فلم يحظر بيالى قط ولا دار بخلى أن بلدة أخرى يمكن أن توازن بها حتى لقد كنت أعجك مستهزئاً ممن يصف عاصمة أذربوس بما يفوق بلدى حسناً . ولكن أية دهشة استولت على وأى ذهول شملنى حين رأيت لأول مرة تلك المدينة الفخمة

كنت أحسب أن مسجد أصفهان الشاهاني المبني في الميدان الأكبر أضخم مباني العالم وأحسنها فإنما بي أرى هناك مائة مسجد أعظم وأغزر مما كنت أحسب وكل مسجد يفوق الآخر حسناً وبهاء لم أكن أظن أن مكاناً أوسع وأرحب من

عن صداقة الأتراك؛ ولكن مواطني من الإيرانيين كانوا فضوليين وكانوا يشعرون بالإهانة عند أقل إغراض عنهم فلم يلبثوا حتى عرفوا من أنا ومن كنت . ثم جعلوا ينظرون إلي نظرة لا تنطوي على شيء من الاحترام . وعلى أية حال فقد اجتهدت أن أعيش على وفاق معهم ، وتركوني أسلم من شرم ما دمت لا أنازعهم في أي شأن من شئون التجارة وكنت أعلن عن نفسي في محال اللو العامة أنني من أغنياء بغداد وقد أكد قولي وألبسه ثوباً من الصحة أثر الملة التي انتابني والتي كنت أعدّها

مصيبة عظمى قبل أن أجني بسببها الربح ولم أجد أهل من نفس الأتراك وخداعهم بالظاهر الخارجية ، وحاكيهم في سلوكهم ووقارهم وفي سلوكهم الهادي الرصين حتى وفي مشيهم البطيئة وألفاظهم المرتبة ؛ وقد رجوت أن أتقن كل ذلك في وقت قصير حتى إذا ما تم لي ذلك اندمجت فيهم وكنت أكثر من ذكر الله بصوت خافت ضعيف ومن عد السبحة حتى كنت أستقبل في المقهى الذي كنت أراده بكل احترام وتنظيم

وكان صاحب المقهى يصنع قهوتي بيده ويصبها بجرعة فنية ولم ينس مرة أن يرحب بي ويلقيني بلفظ أنا . وقد بلغ من نفوذى على القوم وعظم قدرى في نفوسهم أنه إذا حدثت مناقشة حادة أو جدال عنيف في المقهى عن الخيل أو الكلاب أو السلاح أو التبغ (وهي الأشياء التي تدور حولها مناقشاتهم) كان يشار إليّ بالبنان ويكنى أن تلفظ شفتاى كلمة « نعم » أو « لا » لكي أنهى الجدل فيمود الحديث إلى ما كان عليه

المدينة وعلى مقربة من أسواقها ، وقد شعرت أنني ضليل لا قيمة لي عند ما فكرت في أنني لست إلا فرداً واحداً بين تلك الجوع المائلة التي تنساب في طرق المدينة ليل نهار من غير انقطاع ، وحين شاهدت النفائس الثالية تملأ الخازن، والملابس الفاخرة يرتديها كل ساكن، والنبلاء والأغوات على صهوات الجياد المطهمة لا ينقطع لهم مرور ولا يقف لهم تيار ، ونهدت عمدتاً نفسي : « أين من عظمة القسطنطينية وجلالها وأبتها وغناها فقر إيران اللدقع وفاقها الشاملة ؟ »

ثم استأجرت مع عبان أغا حجرة في الخان الذي أودعنا فيه بضائعنا وجعلت أثناء النهار أفرش غلابيني على أحد الأرصعة ، ولجودة بضائعي ورخص أثمانى أخذت أبيع كميات وافرة وأحصل منها على ربح عظيم ، وجعلت لما رأيت المال يمود إلى جيبى ثانية أمتع نفسي بملاذ لم تكن تحظر لي على يال من قبل : جعلت نفسي بملابس أكثر حسناً وهنداماً وابتعت شُبُكاً جميلاً ونحزمت بشال له ألوان زاهية

واشترت كيساً حريراً للتبغ ولبست خذاء أصفر لامعاً وحملت خنجرأله بریق يخطف الأبصار كنت محاطاً بكل ما يدعو إلى الإنفاق ويغري بالتبذير ، وبدأت أنظر إلى ما في الحياة من مباحيج وملاذ — نظرة التعلق المشغوف؛ وكان بالبدنة محال كثيرة أستطيع أن أظهر فيها أمام الجماهير بشكلى الأثني ولم أحجم عن ارتياد المقاهى الفاضة بالناس أجلس على دكة عالية وأنكس على وسائد ناعمة وأدخن في غليونى وأرتشف القهوة كأحد أفراد الطبقة العليا وقد علمتني الحوادث وما قاسيت في إيران أن أحذر أبناء جلدتى وأنجنهم فتجنبتهم وجعلت أبحث

الفصل الخامس والستون

حادثة حاجي بابا مع أميرة الدومير

ظلت أعيش كما وصفت مدة من الزمن إلى أن لاحظت في ثلاث ليال متوالية حوالى الغروب أثناء خروجي من المقهى أن امرأة عجوزاً تقف في ركن من زقاق ضيق تجاه المقهى وتحديق وجهي وتظهر عليها الرغبة في محادثتي، وكانت بين كل آونة وأخرى تنظر إلى نوافذ المنزل الذي اتخذت بأسفله المكان الذي تقف فيه ثم تدعى به ذلك أماً في طريقى . لم أعرها شيئاً من الاهتمام أول مرة فإن وقوف سيده عجوز في ركن من أركان زقاق صغير ليس بالأمر الذي يدعو إلى الاهتمام أو الملاحظة، ولكنني دهشت في المرة الثانية وانتهت إلى نفسى، وأثارت المرة الثالثة عجبى وريبتي، وصممت في رابع ليلة إن أنا وجدتني في مكانها أن أعرف مقصدها . وعلى ذلك لبست أغفر ملابسى معتقداً أن جمال طلعتي وحسن حظى كفيلاً، بوقايتي ثم خرجت من المقهى ومشيت متمهلاً مختلاً إلى جهة تلك السيدة الغريبة، وكنت على وشك لقائها إذ فتحت نافذة من نوافذ المنزل فجأة ورأيت وجهاً نساءياً ساحراً أمام ناظرى وكان آية في الجمال والحسن وفي يد صاحبه وردة أدنتها من وجهي ووضعتها على فؤادها ثم ألقها إليّ وأغلقت النافذة بسرعة مذهشة حتى لقد ظننت أن ما حدث كان خيالاً ظهر ثم اختفى

ظلت واقفاً فاتحاً فى ناظرأ إلى النافذة حتى شعرت بيد العجوز بمحذبتى من كحى وقد التفتت الوردة وناولتها لى فالتفت إليها وقلت لها : « ما هذا بالله عليك ! أهن الإنسان ذلك الوجه الصبيح أم من الجن ؟ »

فأجابتنى تلك العجوز : « ألا تزال غراً فلا تعرف معنى إلقاء هذه الوردة إليك ؟ إن لك ذقناً طويلاً ولست غلاماً ؛ ويظهر أنك سافرت كثيراً وتغربت ولكنك إن كنت لا تعرف ماذا تقصد السيدة من إلقاء ورده إليك فقد سافرت بلا نتيجة ولم يملك الاغتراب والتجارب شيئاً »

قلت لها : « بلى، إننى أعرف أنها تريد القرب وتعنى المحبة والاختلاف وتشير إلى أن رأسينا يجب أن ترفهما وسادة واحدة : تعلمت هذا من أسفاري وتجاريبي ولكن الأسفار والتجارب علمتني فوق ذلك أن أمثال هاتيك الحوادث لها مالها من خطر وضرر وأن رأسينا قد قطعمان بدل رفهما على وسادة واحدة »

فقلت محدثتي متأثرة منفعلة : « لا تخف شيئاً . أقسم لك بحمرة نبينا الكريم إنه لا خوف عليك ولا ضرر . إننا قوم عظام وقد نقولك ثروة إذا لم تقبل ما أعرضه عليك . هل وصل بك الحزن والغبوة أن تخشى الأوهام وتخاف الظلال ؟ إن خوفك لا أساس له »

قلت لها : « حدثيني من هذه السيدة التى رأيتها وماذا يجب أن أصنع ؟ » فأجابتنى : « لا تتعجل كثيراً . لا يمكن أن يتم أماً فى هذه الليلة وعليك بالصبر فإن الوقت والمكان غير ملائمين . قابلنى غداً وقت الظهيرة عند مقبرة أبواب وستعرف كل ماود معرفته . سأكون جالسة على قبر أول أمير على عينيك ويمكنك أن تميزنى عن سائر النساء بشال أحمر تراه على كتفى الأيسر فاذهب الآن والله ملك ! »

وافترقنا على ذلك فرجعت إلى حجرتى فى الخان أفكر فيها حدث ولم أملك فى أن خيراً ينتظرني، غير

وتزوجت سيدتي واسمها « شكرليپ » أي «مسولة الغم» من أمير هرم واسخ الثروة ، وكان يأتي أن يكون له أكثر من زوجة واحدة لأنه عرف من تجاربه أن بيته لا تحمل فيه الراحة ، ولا تزوره السعادة إن هو سمح لنفسه بالإكثار من الزوجات معتمداً على إباحة دينه جواز التعدد .

وكان مفرماً بالسكون والراحة العائلية ، وظن أنه باقتراه من فتاة صغيرة السن يستطيع أن يموهها طباعه ويعمرها على ميوله فلا تمارض له رغبة ، ولا تمضي له أمراً . ونجح فيما أراد إذ لم يخلق الله من هي أرق طبياً ، وأثني جانباً من سيدتي . ولكن أمراً واحداً ظل منشأ الاختلاف ومصدر النزاع بينهما فلم يكن في استطاعة الزوجين أن يتفقا عليه . وكان ذلك الأمر من العوامل التي أدت إلى موت الأمير فيما بعد .

وكانت سيدتي تحب الفطائر المحشوة بالزبد ، ويحبها الأمير محشوة بالخبز فظلاً خمس سنوات يتشاجران على مائدة الإفطار كل يوم إلى أن حدث منذ ستة شهور أن الأمير المهرم تناول كثيراً من الفطائر المحشوة بالخبز والتي يحبها فأصيب بتهمة ومات على الأثر تاركاً لزوجته حسب الشريعة المحمدية ربع أملاكه من عقار ومتنول وعبيد وغير ذلك

وقد رغب في سيدتي الكثيرون لشبابها الفاضل وجمالها الفتان وثروتها الطائلة ، ولكنها أوتيت ذكاء وحكمة ناديين فيمن هو في مثل سنها من النساء فلم تقبل أن ترتبط بمقد جديد وآلت على نفسها أن تصبر حتى تتاح لها فرصة الزواج من رجل تحبه حباً حقيقياً ولا يكون الدافع له زواجها أو مركزها ولوقوع منزلها أمام مقعبي من أعظم المقاهي

أنني كنت أسمع عن غيرة الأزواج الأتراك قصصاً عجيبية وخفت أن أصير ضحية غيرة شديدة وأن يقتلني زوج على مذبح غضبه ، ثم توالى على مخيلتي ذكرى كل حب عاثر ، وحادثة كل غرام ضائع ، فذكرت زينب وبرجها ، ومریم ويوسفها ، وديلارام وقرحبها ، فغفقت كل رغبة كانت عندى في مجارة عواطفى ، وخفت أن تكون النتيجة شؤماً على .

غير أن دم الشباب كان لا يزال يجري في عروقي فمزمت على أن أقبل كل ما تطلبه . وفي ظهر اليوم المعين ذهبت إلى مقبرة أيوب وبعثت عن أول قبر للأمير فرأته ، ولهذا القبر شاهد عليه عمامة خضراء . ووجدت هناك المعجوز بوشاحها الأحمر ، وتجنبت معها الطريق العام واتخذنا مجلسنا في ظل شجرة عالية في جانب المقبرة ، وهناك جلسنا وأماننا منظر الميناء البديع وبدأنا متحدثين في موضوعنا . بدأت السيدة بشكرى على احتفاظي بميادها ثم أخذت تؤكد لي أن ما ستمرضه على لا خوف منه . وكان للسيدة حنكة المجازير ومكرهم . وأخذت تكلمني بحب ودهاء دون أن تقترب كثيراً من موضوعها وصرحت لي بميلها إلى « ورغبتي في قضاء الأوقات معي .

وكنيت أخشى أن يضيح معظم كسبي من النغلين فلم أتركها تسترسل كثيراً وأوقفتها عند ذلك الحد ، وطلبت إليها أن تخبرني عن قصة الغادة الجميلة التي رأيتها في النافذة خدعتني الحديث الآتى قالت : « إن السيدة التي رأيته والتي أخذتها هي ابنة أحد التجار في حلب . وكان لأبيها خلافها ولدان ، ومات الوالد من زمن ليس بالبعيد خلفه في تجارتها ودهاءها الآن تاجران لها ثروة طائلة ، ويقيمان في نفس هذه المدينة .

قسوة وخشونة وسبياً في إساءة زوجها إن لم يكن في ضياعه »

ولم أكن مستعداً لمثل هذا السؤال . ولكن سرعة البديهة التي أدركت بها مقدار ما ينتظرني من جأه وثروة كانت عوني في الإجابة من غير تردد، وقلت: أسرقى! أتقولين عائلتي؟ من في العالم لا يعرف حاجي بابا؟ سلوا إن شئتم من أول حدود اليمن إلى آخر حدود العراق ومن بحار الهند إلى شواطئ قزوين فستجدون اسم حاجي بابا أشهر من نار على علم

فقلت: « ولكن من يكون أبوك؟ »

قلت بعد أن سكنت برهة: « أباي أأبي تمنين؟ لقد كان أباي صاحب سطوة وجاه عظيمين وكم من رؤوس خضعت للإشارة من أصبعه وكم من رجال أحتت أمامه رؤوسها وسحبها من ذقونها وفعل بها ما لم يفعله رئيس الوهابيين »

وكنت في أثناء قولي هذا قد وجدت من الوقت ما يكفي لخلق قصة مناسبة في تخيلتي وظللت أقول للسيدة ما يدهشها فأطالت التحديق في وجهي، وقلت: « إن كانت سيدتك تريد دماً نبيلاً وأصلحاً كريماً ومتيناً فاضلاً فإني يجب أن تتجه نظرهما، وإلى يجب أن يكون مصيرها . إنها وإخوتها مهما بلغ من أسرهم فلن يفوقوني حسباً ولا نسباً . كان جدي المنصوري من بطن نجد في جزيرة العرب وقد أقامه الشاه اسماعيل شاه المعجم العظيم مع قبيلة في جهة من أخصب مراعي العراق فأقام فيها منذ ذلك الحين

وكان جدي لأبي يدعى خاطر بن خور بن أسب ابن الدين من قبيلة قريش وهو شريف من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام »

فصاحت المرأة: « ماشاء الله اكفى اكفى !

في المدينة أخذت تراقب من يرتادها من الزوار . ولست في حاجة إلى إخبارك أنها رأتك أجمل من وطئت قدماء القهى ، ورأت فيك الرجل الذي كانت تحلم به »

ثم قالت المجوز بعد ذلك: « وأخي هو صاحب القهى فطلبت إليه أن يستعلم عنك ويعرف من أنت وما شخصيتك . وقد أطربت سيدتي إجابته واجتهداً بعد ذلك أن نلفت نظرك إلينا وأن نتعرف عليك إن أمكن ، وأنت تعلم كيف كلل مسعانا بالنجاح . ولك أن تحكم الآن هل ترى قدمت لك خدمة عظمى أم لم أقدم »

وقد شمعت بأني كنن أفرج عنه بعد الحكم عليه بالوت إذ لم أكن أنصور في أول حديثي مع تلك المجوز أننا سنصل إلى هذه النتيجة . واخفتي من أمام ناظري ما كنت أتخيله وأخشاه من محائب وأسرار ومن تسليق اللعواظ وقفز من النوافذ ومن مؤامرات تركية وخناجر ودماء . فحل محل ذلك كله تصور الثروة والراحة من عناء وكدر . ورأيت باب السعادة مفتوحاً أمامي على مصراعيه

لم أتردد ولم أحجم بل قلت لها: إنني سأكون لسيدتها محباً متفانياً في الحب إلى الأبد واستعملت كل ما وهبني الله من كلام معمول ، وقول خلاب وأقسمت لها أنني سأجزل لها العطاء مكافأة على خدمتي

فكانت المجوز: « إن أسراً واحداً طلبت مني سيدتي أن أستوثق منه قبل أن ترضى بك وتقبلتك وهو مركز أسرته وقيمة ثروتك إذ يجب أن تترك أن أخونها وأقرباها متكبريون فإذا ما أقمت على زيجة لا تليق بمركرها كان ذلك مدعاة لعاملتها بكل

قطعتين ذهبيتين أخذتهما بنير اعتراض . ثم تركتني في تأملاتي وسارت .

الفصل الثامن والستون

نواجح حاجي بابا مع شكر ليب

لم أبق في موضي تحت شجرة الصفصاف كثيراً إذ كان يجب أن أؤدي جملة أعمال قبل أن يحين موعد التلاقي ، وعدت لألبس لباساً يدل على النعمة وينم على الثروة والجاه ، ولأهل كيس دراهم مملوءاً ، ولأظهر بمظهر يليق بمركزي الجديد . وفوق ذلك فقد سرني أن أجمل شخصي ما سطعت بأن أذهب إلى الحمام فأغتسل ثم أنظر وأتطيب ، وجملت أثناء مسيرتي أحدث نفسي مسروراً : « ليه يا حاجي بابا ! لقد برهنت هذه المرة على ما بين العاقل والتبي من فروق ... لقد أحسنت وأجملت يا ابن التصوري ويا ريب قرين ! »

وصلت إلى الخان وأنا أسبح في لجة من الأفكار وبحر من الآمال . رأيت الشيخ عثمان أفا جالساً في ركن من أركان الحجر بعد ما ربحه من بضائمه ، ورأيت في الركن الآخر غلاييني وقد وازنت بين هذه التوافه وبين مايجول بخاطري من عظيم الآمال حتى ظهر على تأثير هذه الموازنة وشموت بكبرياء وعظمة لم أشعر بمثلها من قبل . ولست أدري إن كان عثمان أفا قد لاحظ شيئاً من ذلك ، ولكنه ذعر حين طلبت منه أن يعطيني بنير إسهال خمسين قطعة ذهبية على أن أودع بضائتي رهينة لديه ضماناً لئلا

قال لي : « ما هذا الذي تطلبه يا بني ؟ ماذا تريد أن تقبل بمثل هذا البالغ الكبير وبمثل هذه السرعة ؟ هل جننت أم أصبحت من ضحايا الييسر ؟ »

إن كنت أنت من وصفت فسيدي لا تطعم في الزيد ؛ ولئن كانت ثروتك تتناسب مع شريف أسلاك فليس لنا بعد ذلك أي قول »

فأجبتها : « أما من جهة ثروتي فأني لا أغفر بما لدى من مال عيني وثروة مجموعة فأني تاجر لديه مال أو ثروة من نقد ؟ لكن مال التاجر في بضائمه المنتشرة في كثير من بقاع العالم والتي لا تلبث حتى تعود بربح عظيم . إن حرائري وبضائتي الأخرى من قطيفة وديباج في طريقها إلى خراسان وسأستحضر بدلاً منها جلوداً من بخاري وعملائي اليوم في مشهد بما معهم من ذهب وعطر لشراء شيلان الكشمير وأحجار المهنداثينة . وفي استراخان يستبدلون بالسمر وأنواع الزجاج بضائمي الهندية أما بضائمي في حلب فسترد إليّ بدلها طيالس وشيلان على أنني لا أحد ثروتي ولا أحصياها ولو أردت ذلك لكنك ممن يريد عد حبات القمح في الزرعة . وإنما قولي لسيدتك في غير مبالغة إن الرجل الذي وقع عليه اختيارك لو جمع ثروته لأذهلك وأذهل أسرتك مقدارها »

فقلت المرأة : « حمداً لله وشكراً ! هذا ما كنا نتمنى ولم يبق إلّا أن أجمعكم ما فلا تنس أن تكون في ركن من الزقاق عند ما يحيم ظلام الليل حتى أقدمك بكل حيلة وحذر إليها . وإذا رقت في عينها لم يحل حائل بين زواجكما وسعادتكما . ولم يبق إلّا أن أنصح لك نصيحة وهي أن تحب الفطائر المحشوة بالزبد وأن تبدي نفورك من المحشوة بالجبن وأما فيما يتعلق بأبي موضوع آخر غير هذا فسيدي لا تعلق أهمية ولا تبدي اعتراضاً »

ثم سلمت عليّ متأذنة بالدهاب فوضعت في يديها

الباب . وأردت أن أظهر في شكل الرجل الوقور فلففت نفسي بأطراف عباءتي ودخلت حجرة يضيئها مصباح واحد يلقى نوره على ما بها من متاع .

وكان بالحجرة إيوان عليه غطاء من أطلس مخمير لامع أزرق اللون ، ورأيت في زاوية منه بقرب النافذة من أثبت لرؤيتها .

لم أتمكن من رؤية شيء منها غير عيني سوداوين ظهرتا كأنهما نضبان في سماء حياتي . وأشارت إليَّ يديهما أن أجلس ، فأيتت احتراماً لها ، ولكنني حين وجدت أن الإياء لا يجدي خلعت نعلي وتربعت على البساط وأدخلت يدي في أكمام ردائي وتكلفت حياءً وخجلاً ألا أزال إلى اليوم أضحك حين أذكرها .

جلسنا متقابلين بضع دقائق لم نتحدث في غير المألوف من ترحيب وتسلم ، وبعد ذلك أمرت السيدة خادماتها عائشة (وكان هذا هو اسم التي قادتني إلى المنزل) أن تترك الغرفة وتخرج ثم تظاهرت بالجلوس تريد أخذ مروحيتها المصنوعة من ريش الطاووس وكانت على الوسادة فسقط نقابها ورأت عيناى أجمل وجه خلقه الله وكانت حركتها هذه دليلاً على اندسام الكلفة فأخذت أنظر إلى مبدؤتي نظرة هائم مدله مظهراً لها شدة إخلاصي وإعجابي ببها وما وشوق وهيامي بها حتى لا أجعلها تردد لحظة واحدة في الاعتراف برقة مؤادى ونبل شمورى ودقة فهمي وسلامة ذوقي ، ولم تمالك أرملة الأمير من أن ترى في الرجل الذي تمناه في أحلامها ، وعلت أنني أرضيتها ونلت ثقتها حين ائتمنتني على أسرارها وأطلعتني على دخالل نفسها وقالت : « إنني في مركز حرج وحال مرتبك فقد فلتت عيون الحساد فعلها في حياتي وأنت تعلم أن زوجي أسبغ الله عليه رحمته

فأجبت : « غفر الله ذنوبي ! لست مجنوناً ولا مقامراً ولا يزال عقلي ممي وقد أقيمت على الدنيا بعد إدبارها ، فأعطني المال أولاً وسأقص عليك خبري بعد ذلك »

ولم يتردد الرجل طويلاً في إجابتي إلى رغبتى إذ كان يعلم قيمة بضاعتى ويعلم أن الصفقة رابحة ، فأخرج المال وعد خمسين قطعة ناولها لي ، فأخذتها وتركته وخرجت فاشتريت ملابس في غاية الواجهة وأمرعت إلى الحمام فاغتسلت واتممت كل ما كنت أريد من زينة وحسن زى وخرجت كأحد الأغنياء : وكان في أثناء ذلك قد حل ميداد المقابلة فسرت بقلب يخفق وينبض إلى السكان المكين ، ووجدت المجوز في الانتظار . وبعد أن نظرت حولها تترى هل من أحد يلاحظنا تقدمتني إلى باب في مكان مخفف في المنزل ودخلت فدخلت وراءها ، وسرت من السكون والهدوء الشاملين للنزل إذ كنت أنظر إلى نفسي كأني صاحب المنزل ، وسيد من فيه .

ذهبتنا إلى الجناح المخصص للسيدات وكان حذرنا واحتراسنا كما لو كان الأمير لا يزال حياً يرزق . دخلنا من الباب إلى ردهة كبيرة فيها نافورة ماء . ثم صعدنا سلماً خشبياً فرأينا في نهايته ستاراً متمدد الألوان ومخلفين الستار إلى حجرة أخرى لم أر فيها من المفولات غير أحذية نسائية وغير مصباح ملعن تركنتي قائدتني في هذه الحجرة ، وذهبت تخبر سيدتها بقدوى ثم سمعت أصواتاً عديدة من الحجرات المجاورة فظننتها لصاحبات تلك الأحذية . وأخيراً فتح باب في طرف الحجرة — وكان بالحجرة أربعة أبواب غيره — وأشير عليَّ أن أتقدم .

أخذ قلبي يخفق في عنف ، وأنا أتقدم إلى ذلك

سماعه . ولقد خافت التأخير فأسرت ببدء خادمها
المجوز عائشة وأمرتها أن تقودني إلى المأذون الذي
حدثني عنه والذي كان ينتظر أوامرهما في مكان
آخر من المنزل . ورأيت مع الرجل إنساناً آخر
أحضره معه ليكون الوكيل عني في العقد . وقال لي
المأذون الشرعي إن ذلك واجب من جانب الرجل
كما هو لازم من جانب المرأة ثم عرض سجل العقود
وكان قد قيد فيه ما تملكه العروس من مال وضياع
ومتاع وطلب إليّ أن أخبره بما يقبده ليضيفه إليّ
ما كتب

وهنا أخذت وذعرت ، غير أنني لم أجد خيراً من
أن أحييه بمثل الذي أجبت به عائشة من قبل فقلت :
« إن الساجر لا يستطيع تحديد ثروته المتفرقة في
مختلف الجهات وشتى البلدان بضاعة ومتاجر
إلا أنني أحب كل ما أملك لزوجتي فزواجنا أبدي
لا افتراق بعده ولا طلاق »

قالت العروس : هذا حسن غير أننا نريد ذكر
شيء محدد فقل لنا ما تملكه هنا في دار السعادة على
سبيل المثال . إنك لم تحضر طبعاً إلى هذه المدينة
إلا لأعمال هامة فاذكر لنا ثروتك التي تحت يدك
وذلك بكفي مؤقتاً

فتظاهرت بعدم الاكتراث وقلت : « لكن
ذلك ! فليكن ما تريدن ! اسبري قليلاً » ثم سكنت
كأنني أحسب ما ممي من بضائع . وبعد لحظة قلت
في ثبات وجرأة : « إنني أعطى زوجتي عشرين
كيساً من الذهب وعشر حقائب من الثياب »

ودار بعد ذلك حديث بين أرملة الأمير وبين
المأذون . وبعد مفاوضة قصيرة انتهى الأمر برضاء
وقبول وبصمنا جميعاً على وثيقتي الزواج والهبه بعد
(٧)

وغفرانه ترك لي مالا كثيراً فأصبحت بإضافته إلى
مالي الخاص على درجة من الغنى تحرك الأطماع
وسببت لي ثروة الطائلة متاعب وآلاماً كادت
تذهب بعقلي

ادعى كل من أقربائي حقوقاً لا أصل لها وطلب
كل من يمت إليّ بصلة طلبات كأنني أنا جزء من
بيت المال وكان ثروتي ثروة عامة . وأظهر أخوأي
أفكاراً خاصة ورغبات مميعة في اختيار زوج لي كأنما
الزوج الذي اختاره يجب أن يوافق مزاجيهما قبل
مزاجي ، ويجب أن يرتاحا إليّ دون نظري إلى عواطف
وميولي ، وكان لزوجي ابن أخ من رجال القانون وقد
ادعى أن التقاليد القديمة تحول لقرية الميث حقاً على
زوجيه وأن في استطاعة ذلك القريب أن يظهر رغبته
في التمسك بمقته ليلقي عباءته على أرملة قريه المتوفى
وادعى قريب آخر أن لا حق لي في كل ما ورثت
وما أملكه الآن وهددني بأخذ ثروتي . فساورتني
الهموم والمتاعب ولم أجد في ظروف التي ذكرتها
لك من يتقضى ويعد لي يد المساعدة غير زوج اختاره
أنا وقد أرسلك القدر إليّ فالحمد لله على ذلك »
ثم أعلمتني بكل ما أهدت لعقد زواجنا الماجل

وأشارت في حديثها إلى رجل من رجال الشرع
اختارته لكتابة الوثائق وقالت : إن الرجل موجود
بالمنزل وعلى استعداد لإتمام العقد فشرعت باضطراب
عنيف إذ لم أكن أنتظر مثل ذلك الانتقال من حالي
التي كنت فيها إلى سماء المزم والنفى ! غير أنني لم أنس
أن أظهر لها الحب الكامن في صدرى وقلت لها :
إن حبي سيكون أبدياً وإن عاطفتي لا تزول ما بقي
في عرق بنبض وفؤاد ينفق ، ولم أقل عن نياتي
ومقاصدي إلا كل ما تطرب له ويرقص فؤادها الذي

في إخبار أخوها بزواجنا وقالت : إن الزواج وإن كان شرعياً إلا أن دولمه متوقف على إرادتهما إذ هما من أغنياء التجار ولهما نفوذ كبير في المدينة فيجب ألا تدخر جهداً في مرضاهما

وكانت عروسي قد رأيت أن تخطو خطوة في سبيل غرضها في حذر وانتباه ، فأعلنت أن في عزمها أن تتزوج من أكبر تجار بفسداد غنى وجاهاً ، ولكنها لم تقل إن الزواج قد تم

وكان لإشهار زواجنا يستدعي أن نولم ولية ندعو إليها كل أفراد أسرتهما ، ونبذل عن سعة لتكثرون الولية أنغر الولائم ، ولكي يقتنع أهلها بأنهما لم تلق بنفسها بين أحضان حقير أو محال

وقد وجدت مني مليكاً لرغباتها مطعماً لأوامرها وسرت بسنوح فرصة سريعة يذيع فيها أسر تروى وبدأت في استحضار سرب من الخدم كل منهم له عمل خاص ولقب يناسبه . واستبدلت بقصبات التدخين التي أحضرها الأمير الرحوم قصبات أخرى أحسن منها وأغلى ثمناً وأحدث طرازاً . وكذلك أحضرت طمناً جديداً للقهوة بديع الصنع غالى الثمن بمض قطعه موشى بالذهب والبرص الآخر مطعم باللاج وفيه طبق أو اثنتان طعم بالأحجار الكريمة لاستمالي خاصة

ثم اخترت من أحذية الأمير ما راق في نظري وكان الأمير مفرماً بانتقاء فاخر الملابس وغالبها من عبادات وقفاطين وفراء تصلح للملك ، وقد أخبرني زوجتي أن تلك الملابس من آثار عائلة الأمير ومخلفاتها الثمينة فلم أحجم عن اتخاذها لنفسى ووجدت قبل أن يحين يوم الولية من الوقت ما يكفي لإعداد ما يليق بأنا من أعظم الأعوات . وإلى أعتقد رغم كوني

أن اتنى للأذن من خطبة الزواج . وبذلك تم المقد على حسب الشريعة وهنأتى الحضور وشكرت لهم ولم أنس أن أكاى الشيخ وابنه وأن أعطى الخدم وأرسلت مبلغاً ليقسم على المقيمين بالقصر جميعاً . وبذلك من أن أرجع إلى عثمان أنا وأنام على وسادة من غلايين دخلت إلى مكان الحرم تحف بي مظاهر العظمة والجلال وأحس كافي رجل آخر غير الذى تعرفه أيها القارى

الفصل التاسع والستون

مع تايير فعمدين الى أغا عظيم
منابه من شهيته المستعارة

مرعان ما أدركت أن أمانى طريقاً وعراً وأنى مقابل عقبات كثيرة . ولقد قيل إن فيلسوفاً صينياً قال مرة : إن عملية الأكل لو اقتصر على ما يحدث بين الفم وطبق الطعام لكانت أسهل العمليات وأطيبها ، ولكن هناك المدة وأجهزة المضغ بل هناك بقية أعضاء الجسم كله هى التى تحكم إن كانت عملية الأكل طيبة أم خبيثة

وكذلك الحال في الزواج فلو اقتصر الأمر فيه على ما بين الرجل والمرأة لكان الخطب ولكن هناك الروابط العائلية وعلاقات القرابة تقرر سعادة الزواج أو شقاءه وراحة العروسين أو تماسهما

أخذت عروسي الفتاة بعد زواجنا تحدثنى أياماً متوالية وليلال طوالاً بأنفه الأحاديث وأحبها عن أفراد أسرتهما وتنازعهم وغيرتهم وبفضهم وعن كل ما يشعرون به نحوها من شر وما يريدونه لها من أذى حتى ظننت أنى إنما دخلت وكرمايين وعش عقارب ولقد فضلت زوجتى أن تستعمل نهاية الاحتياط

أخوى زوجتى عاملان بلطف ورقة ورجبان قائلين :
لانى زدت أسرتهما شرفاً ونفاراً باقتراني من شقيقتهما
ولا اشتغالهما بالتجارة تحول مجرى الحديث إلى الشئون
التجارية فاجتهدت أن أدخل في روعهما أنني تاجر
عظيم ، وأن تجارتي منشرة في أنحاء المعمورة .

فتدقت في الحديث تدفق الماء على أنهما أخذاً يسألان
عن تجارة بغداد ، وعن التاجر في جزيرة العرب ،
والهند ، والصين ، وأخذاً بطلبان إيضاحاً دقيقاً عن
الحاصلات ، وأحوال السوق فأسرعت إلى اقتضاب
الحديث ، وتحويل وجهته إلى المعلومات العامة .
وأجبت إجابات لا تفيد شيئاً ، وحين انتهت شعرت
بأنه لا يزال يتقصى شيء ، وهو أن يرى عثمان أنا
ما أنا فيه من سعادة ، وأن أخبره بأمر زواجي ،
وأدعوه إلى الوليمة .

ولكن هل أنا سعيد حقاً ؟ هل أنا صاحب
هذه الثروة الطائلة ؟ إنني أشعر بأنني أمثل دوراً
لا حقيقة له . وهنا خفت أن يفتضح أمرى وتظهر
حقيقتي ولم أجرو على الثقة حتى ولا بثمان أنا لثرتة
ولعلمه بحقيقة حالى

وصممت على ألا تكون لى به ولا بأى إنسان
من مواطني علاقة ولو إلى أجل موقت إلى أن
أشعر بأنى في أمان وأنى قد ثبتت أقدانى في مركزى
الجديد فلا أخاف الانقضاض

الفصل السابع

نزاع الزوجين

انقضت الوليمة على أحسن حال وأحسب أنني
نجحت في إقناع الضيوف بأننى نفس الرجل الذى
زعمت أنني هو وأن شخصيتى حقيقة لا ريب

ابن حلاق أن ليس لأحد من الشكلى والأخلاق
وحسن التصرف ما يؤهله لإتيان دورى هذا الجديد
خيراً منى ، ويجب أن أذكر أنني قبل ذلك الاحتفال
العظيم لم أفس أن أزور أفراد عائلتى الجديدة كما يقضى
الواجب . .

كنت أحسب لتلك الزيارة ألف حساب متخوفاً
من نتيجة مقابلى أفراد الأسرة ولكننى حين سرت
في شوارع المدينة راكباً جواداً من جياد الرحوم
يحيط بى جمع غفير من الخدم والحشم ذهب عنى
الخوف وشعرت بالطمأنينة والانشراح . وإن من ينظر
إلى الجموع الساورة وهى تقسح لى الطريق وتطلع
إلى ثم تضع أيديها على صدورهم عند مرورى ، وإن
من يرى جوادى وهو يضرب الأرض بحوافره
ويتبختر في مشيته غموراً بمن يحمل على ظهره ، وإن
من ينتم بما كنت أنتم به من جلسة على ظهر جواد
كريم بينما يمشى الآخرون على أقدامهم - كل من
يرى ويشمر بما كنت فيه ولا يأخذ الدهول ويملكه
العجب فليس آدمياً

وبحسب أن أضيف هنا أنني حين خرجت في شكلى
التقدم وقت عيني على بعض مواطني وأبناء بلدنى
« الأعراء » ممن رافقونى في القافلة من بغداد وكانوا
في أحمال بالية وحال زرية وكانما كان ظهورهم أمامى
في شوارع المدينة باعثاً على ذكر ما أنتم الله على
وشكر ما أعطانى

ولم أعرف إن كانوا قد تبينوا حقيقتى أم جهلوا
أمرى فإني أدركت وجهى وسرت مجتهداً أن أخفى
ملاحى في ظل عمامتى الكبيرة ولحيتى الطويلة
وكانت نتيجة زيارتى فوق ما كنت أتصور ،
ولست أعرف ماذا كان شعور أمهارى غير أن

أدخني فيه فجلست وسألت عن عثمان أفا نجاء الرجل وجلس على طرف بساطي بكل خشوع واحترام دون أن يعرفني أو يخال . وأخذت أكله في غير اهتمام مدة ما . وقد لاحظت أنه كان ينظر إلي نظرة التشكك ثم صاح : « بحق النبي الكريم أأنت حاجي بابا ؟ »

قال ذلك بعد أن عجز عن ضبط نفسه وإخفاء ما كان يدور بخلد

وتحكت كثيرا من منظر الرجل ومن قوله ثم تمارقنا وقصصت عليه مجل أمرى وكيف تحولت الخسوس قطعة ذهبية التي اقترضها منه إلى تلك الثروة التي يرى علاماتها بعيني

ولا حظت أن عثمان أفا لم يتأثر من انتقال الفجائي إلى ما كنت فيه من نعمة وراء ولم يحركه منظرى وقصتي كثيرا إذ كان له عقل فيلسوف قليل الاهتمام . غير أني لاحظت أن مواطني حينما علموا أن لايس تلك الهامة الكبيرة والثياب الغالية وراكب ذلك الجواد وصاحب هؤلاء الخدم إنما هو حاجي بابا الذي كان يباع سلع ملهم لم يستطيعوا كظم غيظهم ولا إخفاء حسدهم فأدركت ولكن أخيرا جدا أنني أخطأت خطأ جسيما في ظهورى بذلك المظهر أمام أبناء بلدي وأردت أن أنسحب في سكون من غير جلبية أو ضوضاء وإذا بأحدهم يقول :

« ماشاء الله ! هذا حاجي بابا ابن الحلاق الأصفهانى !

دنس الله قبر أبيه وفضح أمه ! »

وقال آخر :

« أجنت وأحسنت يا ابن الأحماء ! لقد هزمت من ذنون الأتراك فليمت الله إليك من يهزأ بك ، ويسخر منك »

في صدقها ، ومن ثم بدأت أطمئن على نفسي وأخذ شيخ الخوف ينبب عن عيني فأنصرفت إلى المذلات والتعرف على أصحاب الله وإخوان السرور وأن أبس أنفم الثياب ، وكان منزلي موضوع الأحاديث ومطعم الأنظار في المدينة ، ولست أستطيع أن أنكر أنني كنت أزداد كل يوم شعورا بأني مدين بكل ما أملك لزوجتي وألني ذلك الشعور ونفسي على عيشتي ، وقد أدركت أن ستقوم بيننا منازعات عديدة على موضوعات أخرى غير فطائر الزبد وفطائر الجبن حتى لقد قلت في نفسي : « ما كان أحسن حظ الأمير الشيخ ! لقد استطاع أن يعيش مع هذه الزوجة ثم لم يختلف معها إلا على أمر واحد مع أننا نختلف على كل أمر حتى لست أجد ما لسننا نختلف عليه »

وكنت قد علمت نفسي بأمنية غريبة وهي أن أظهر أمام مواطني في الخان الذي يقيمون فيه بشكلى وأهيتي . وأن أمتع نفسي بما يظهر على عثمان أفا عند رؤيتي من القهول والارتباك ؛ فلما رأيت أن لا خطر على وأني أصبحت آمنا مطمئنا لم أرد أن أقوم تلك الرغبة فلبست أحسن ثيابي وامتطيت خير جياى وسار حولي كل خدنى وأتباعى وسرت في ذلك الموكب في أكثر ساعات النهار حركة إلى الخان الذي كنت قد أقت فيه باسم تاجر غلايين أول يجيئ إلى الأستانة

لم يعرفني حينما تحطيت باب الخان أحد بل اجتهد السكل في خدمتي واحترامى طائين أنهم سيجلدون منى شاريا لكل ما ليسهم من البضائع وجاء خدى ببساط تمين من أنفس الأيسطة وأغلاها وفرشوه لأجلس عليه . وناولوني كذلك شربكا غالى الثمن

وقال ثالث :

« أنظروا إلى عمامته الكبيرة ، وسراويله الطويلة ، وغليونه الثمين . والله إن أباه لم يرمثل هذه الأشياء حتى ولا في أحلامه » .

وظل آل بلدي يوجهون إلى الكثير من هذا التقرير إلى أن استجمعت كل ما أمك من عظمة ووقار بعد الذي كان ، وقت من مجلسي فامتطيت جوادى ، وتركتهن يشيعوننى بالنكات المرة والضحكات المزرة والسخر والاحتكار .

حققت أول الأمر عليهم ثم حققت على نفسى بعد ذلك حقاً شديداً . وقلت : « لقد جوزيت يا حاجى بابا جزءاً عادلاً ! وحق رأس أليك كربلاى حسن الحلاق لقد كوئنت على رعوتك ، وغباتك ! هل يجرؤ يوماً كلب أن يمشى بين ذئاب مفترسة ؟ هل قدر غي من أغبياء المدن أن يسير بين وحوش العرب بدون أن يسرقوه أو ينهبوه .

قد يصير حاجى بابا عاقلاً حازماً في يوم من الأيام ولكن يجب أن يدوق مرّ السذاب ويتجرع كؤوس الألم قبل أن يصل إلى تلك الناية

ثم قبضت على لحيتى ييدى وتأوت قائلاً : « ماذا أفادتني هذه اللحية وماذا أكتبنى شعراتها الطويلة ! لقد أصاب من قال : إن المرء لا يسره أبداً أن يرى ابن وطنه في ارتفاع وارتقاء اللهم إلا إذا كان مرتفعاً إلى المشقة ! »

وبقيت أحدث نفسى بأمثال هذه الخيالات إلى أن وصلت إلى منزلى وهناك دخلت إلى محل الحرم محاولاً أن أجد الراحة من عناء اليوم ومتاعبه غير أنى لم أسب ما أردت فإن زوجتى زادت في كرى وبلاى كأنما كانت تندهم الشياطين وتحرضها بألسنة الجحيم إلى مضايقتى

طلبت إلى أن أقدم لها حلالاً كل البلغ الذى ذكرته في وثيقة زواجى . وظلت تلح في طلبها وتردده بحالة لم أعملها مع ما كنت فيه من غيظ وضيق صدر بسبب ما حدث بينى وبين أبناء بلدى ولم أشعر إلا وقد انفجرت انفجاراً شديداً وجعلت أهدى هنيئاً مريماً مصحوباً بالإشارات النيفة وأمطرت أبناء بلدى وزوجتى وأباً من اللعنات والشتمات القبيحة والسباب البذى حتى غدت أنا الذى كنت ودباً لطيفاً أكثر شراسة من الوحوش الصوارى

ذهلت زوجتى بما أبدته وتقوت به وتراجعت قليلاً إلى أن وقت ومن ورأها خدما وعبيداها وأتباعها تتقدمهم عائشة منتظرة فرصة تستطيع فيها الكلام

وأخيراً تكلمت وتكلمت حتى بدا ثغرها أصغر من أن يسع كل ما تقوت به من ألفاظ وما خرج من فها من كلام

ولم يمنع عائشة ومن معها من الخدم والأتباع ما كانت تقوله سيدتهم من الكلام فتكلمن حتى كأنما هبت في الحجرة عاصفة من ألفاظ نيفة وشتم متوالية كلها موجهة إلى

كنت أرغب في المقاومة غير أنى لم أستطع فقد كانت الحجرة كأنها ساحة ضحيج وسوق شتم وصراخ وضاعت الحجرة عن أن تسمنا جميعاً . وكنت أول من فكر في التقهقر والمهرب فانسحبت من مسكن الحرم بين اللعنات والسباب والضحيج والتدافع والتلاطم وعلى رأس الجميع زوجتى العزيزة فكانت هذه المخالقات اللطيفة أشبه بالشياطين منها بالحور التى وعد الله بها عباده التقين في الفردوس النشود .

اللحظة البرس الذي تملته في مشهد
ثم فكرت في حالي قائلاً : « ولكن أليست
شكريب زوجتي رغم كل ما حدث ؟ إنها زوجتي
شرعاًهما يكن ما حدث أو ما سوف يحدث، ولئن
كنت قد بالنت قليلاً في مقدار ثروتي فإني لم أفعل
لذلك غير الذي يفعله كل أبناء آدم »

ثم التفت إلى خادي وقلت له : « بحق النبي دع
القوم يأتون إلى هنا وأحضرن لنا القهوة والغلايين »
رفع الخدم فراشي ونظفوا حجرتي ودخل الزوار
واحدًا بعد الآخر في صف طويل وجلسوا على أيوان
وم أخو زوجتي وأخو زوجها الأول وابنه ورجل
آخر متجهم الظلمة شرس النظر لم أكن قد رأيته
من قبل

جلس هؤلاء ورأيت غيرهم سرباً من الخدم
والأتباع وقوفاً في آخر الحجرة وبينهم رجلان بشما
الشكل قد تسلحا بالمصا النليظة ووقفا أمام الخدم
ينظران إلى نظرات تنطوي على الشر ولا تدل على
صفاء ولا خير. اجتهدت أن أكون ساكناً رزيناً
وألاً أظهر بمظهر الخائف ما استطعت وتظاهرت
بالشر والارتياع لتلك الزبارة ورحبت بالزوار فلم يكن
جوابهم لي ما أريدت غير تحمة لم أفقه لها معنى
أمرت بإحضار القهوة والغلايين ورجوت
أن أعلم السبب في تشرفي فقلت لشقيق زوجتي
الأكبر : « أسمع الله صباحك يا عزيزي . هل
أستطيع أن أؤدي لك أية خدمة في هذا الوقت المبكر
من النهار ؟ ليس عليك إلا أن تأمر قطعاً »
فقال بعد أن ثم الصمت برهة : « حاجي بابا !
أنظر إلى ! هل نفضلنا حيوانات لا تفقه ولا تنفع ؟
هل تمد نفسك رجل اليوم فلا قرين لك ولا نظير
تضحك من ذقوننا وتبست بكرامتنا ما شئت وشاء
لك عقلك ؟ »

أويت إلى حجرتي منهوك القوى مضطجع المزم
خائر النفس مما حدث في يوم من أرواء وخطوب
وأوصلت باب حجرتي وجلست فيها وأنا أشعر بأنني
أتمس مخلوق دب على الأرض رغم ما يحيط بي من
عز وأبهة ورغم أنني صاحب كل هذه الرياش والنفائس
وجعلت أندب سوء حظي متوقفاً ما يجيء به الند .
وشمرت بما يشعر به المسجون من الظنون والريب
وكان من الواضح أنني لو حاولت أن أخفف من بلوأي
بإخلاق أو كاذب جديدة فإن آخرتي ستكون شر
آخرة ومصيرى أصبح مصير

ثم قلت لنفسي في ألم وحيرة : « رحم الله أياماً
كنت فيها حراً طليقاً فلم كنت لم أرتبط بمقود
وأخاتم تركت زوجتي تفعل ما تستطيع دون أن
أحفل بما تفعل ، ولكنني الآن تقيدت بكتابات
رسمية عليها توقيعى وسأظل أمام العالم كذوباً عتلاً
الفصل الحادى والسبعون

ماحي بابا يستكشف أمر اعتباره بمفرد زوجه
بت ليلي قلقاً مسهداً لازمي فيها الأرق فلم تدق
عيناي الكرى حتى سمعت المؤذنين يعلنون انقضاء
الليل وزوغ الفجر ويدعون الناس إلى الصلاة .
وكان استيقاظي إذ ذاك قبل أن تمر ساعة واحدة
على اغتاض عيني ، على صوت نغمة غير عادية في
رجبات المنزل . وأخبرني أحد خدني أن أختي
زوجتي قد حضر إلى المنزل يصحبه قوم آخرون .
فأصابني رعشة شديدة أفقدتني كل ما كان لدى
من عزيمة وقدر . وقام في ذهني خمسون خاطراً
كل منها يزيد على الآخر أهمية وخطورة ، وبدأت
أشعر بأصابع قدمي قد أصابها خدر شديد فلم تقو
السنون التي مضت على إضاعته ، وذكرت في تلك

فضله ! إن حاجي بابا تاجر لا نظير له . فإن حرائره وديابجه في الطريق إلى بخاري لتسبيل بها جلوده ، وإن شيلانه في طريقها إلينا من كشمير وإن سفته قد حجبت سطح البحار ما بين الصين وبوشر ! » وقال ابنه تنمنا : « ونسبه وأصله ! هل قلت إياك ابن حلاق ؟ حاشا لله ! اللهم رحمتك وغفرانك ! فإن نسبه ينتهي إلى قريش وليس هو من قريش فقط بل هو شريف من العرة النبوية . من ذا الذي يوازي أسرة المنصوري ؟ »

وكنتم قد لاحظت أن الماصفة على وشك المهبوب فجعلت أكرر : « ولكن لماذا كل هذا ؟ إن كنتم تريدون قتلي فاقولوا ! أقم ولا تنزعوا جلدي قيراطاً قيراطاً بقارص كلامكم »

فقال الرجل المتجهم الوجه الببوس الطلمة بعد أن ظل صامتا أثناء كل هذه الأحاديث : « أنا أتولى إخبارك عما ترى وتسمع أيها الكافر النافق . إياك خسيس نذل لا تستحق أن تعيش فإن لم تترك ادعائك ومظالمك الكاذبة وتترك زوجتك وهذا المنزل وكل ما يحتويه بشير إبطاء فأتت ترى هذين الرجلين (وأشار إلى التشردين الراقفين أمام الخدم بالمصى النليظة) وهما يزعزان روحك من جسدك النجس كما تنزع بقايا التبغ من الغليون . لقد أخبرتك بما سيكون وتركت لك الخيار فاختر لنفسك ما يحلو »

وكأنما أثرت ألفاظه في جميع الموجودين فأطلقوا لأنفسهم النعان وصبوا على السنوات والشتائم دون مبالاة ولا احترام . وظللت صامتا في تلك الماصفة الثائرة لم أنبس بينت شفة ووجدت من صمتي فرصة للتفكير .

رأيت أن أتبين ماذا تكون نتيجة المقاومة فقلت لصاحب الوجه الببوس : « ولكن من أنت حتى

فأجبتة بقولي : « ما هذا الذي تقوله يا سيدي الأنا ؟ إني لا أدعي أي دعوى ولست إلا رجلاً وضيعاً لا وزن قبضة من التراب »

فقال أخوه الثاني في حماس وحدة : « أيها الرجل كيف ترغم أنك لا تدعي السماوى المراض ؟ ما الذي صنعتك بنا إذن ؟ هل حسبنا أغناماً حتى نتجمل مشقة الحى من بفساد إلى هنا لكي تسخر منا ؟ » فصحت متألماً : « يا الله يا الله ! ما هذا ياسادى ؟ لماذا تتحدثون بهذه اللجة المرة ؟ ماذا صنعت حتى أستحق منكم كل هذا ؟ تكلموا بحق السماء وأصدقوني ! »

فقال عم زوجتي وهو يهز رأسه وخطيته البيضاء : « ما أخشاك يا حاجي بابا ! ما أألم طبعك ! لقد صاغك الله يوم صاغك من خبث ورياء فظننت أن خبيثك يجوز علينا ورياءك ينطلي على عقولنا . كلا كلا ! إن ذلك لن يكون »

فقلت له : « ولكن بحق يا عمها ماذا جنيت ؟ تكلم ! »

فقال ابن عم زوجتي : « ماذا جنيت ؟ أقول ماذا جنيت ؟ إياك قد كذبت وسرقت وتروجت امرأة بعد أن خدعتها . ألا يرضيك كل هذا ؟ أنك لا تستحي ولا ماء في وجهك . هل تظن أنك لم تأت أمراً ؟ »

وهنا قال صهرى الأكبر : « ربما ظننت أنك أكسبتنا شرفاً عظيماً وأن ابن حلاق أصفهاني قد تواضع فرضي بالزواج من ابنة أسرة من أغنى أسر الآستانة ! »

وقال آخر : « ربما خطر ببالك أو صور لك الوهم أن بائع قصبات التدخين تاجر عظيم يستحق أن يعقد له على شقيقتي »

وقال عمهما ساخراً : « نحمد الله ونشكر

« نعم نعم بحق النبي ! أتركوه يذهب إلى سيبله .
بالله عليكم أرحمونا من طلعتة »

صدرت هذه الكلمات وآلاف من قبيلها عن
ناحية الباب فنظرت إلى جهة الصوت من مسكن
الحرم فראيت عند بابه زوجتي على رأس جماعة من
النساء كأنما أحضرت للشهد ضدتي ولتبدى رغبتها
في الانفصال عني

وأخذ النسوة يصرخن ويلعنن ناقيات ناديات
كأنما لبستن روح عفريت وكأني كنت رجساً من
عمل الشيطان ويجب تطهير المنزل منه
وجدت نفسي وخيداً غريباً في بلدة لا مساعد
لي فيها ولا معين ، ورأيت أن لا حيلة لي أمام قوة
عظيمة لا أستطيع الوقوف أمامها فتجلدت قليلاً
وقت من موسى وأنا أقول :

« إن كانت هذه هي رغبتكم فليكن ما تريدون
إني غير راغب في شكرليب ولا في مالها ولا في أخوها
ولا في عمها ولا في أي شيء مما يملكون ما داموا
جميعاً لا يرغبوني ، غير أنني أقول اليوم إنهم عاملوني
معاملة لا ياملها مسلم لأخيه ، ولو أنني كنت كلياً
بين جماعة من الكفار لمولمت بأحسن مما أعامل به
الآن . وفي يقيني واعتقادي أن العذاب الذي سيناله
من أساءوا إلى النبي سيناله يوم القيامة من أساءوا
إلى واضطهدوني »

ووقفت في وسط الحجرة بين الموجودين وقد
تشجعت وتحمست بسبب ما ألقيته عليهم من الكلمات
وخلمت جميع ما كان عليّ من الملابس التي اشتريتها
أو أخذتها من مال زوجي ورميت بذلك على الأرض
في احتقار وعزّة نفس كأنما هي وباء يخشى منه
ثم طلبت حبة قديمة كانت لي ووضعتها على كتفي
واظلمت إلى الخارج وأنا أؤمن كل من تركت

عبد اللطيف النشار (يتبع)

تجزؤ على دخول بيتي ومعاملتي كما يعامل الكلب
الأجرب ؟ إن هؤلاء أصهارى ، وهم في منزلهم ،
وأهلك بهم وصرحاً ، ولكن أنت ماذا تكون
قرايتك من زوجتي ؟ لست بأبيها ، ولا بأخيها ،
ولا عمها فإذا تصنع هنا ؟ إني لم أتزوج ابنتك
أو أختك فإذا يهلك ؟ » .

وكان أثناء حديثي يخدم غيطاً وغضباً ، ونظر إلى
كما ينظر الأسد إلى فريسة يهجم عليها . وقال
وصوته يتمثل فيه الغضب والحقد : « إن أردت
أن تعلم من أنا فسل الذين أتوا بي إلى هنا . إني
ورجالي نعمل بأمر الحكومة وسلطة القانون ، فإن
قاومت كان الأمر وبالأعلى عليك وخسرانا » .

فأدركت أن الرجل وأتباعه من رجال الشرطة
قتلت وقد خفضت من لهجتي وألنت من ألفاظي :
« ولكنك إن أردت أن تفرق بيني وبين زوجتي
التي تزوجت بها على كتاب الله وسنة رسوله فأتك
لي فرصة أستشير فيها رجال الشرع إذ كل مسلم
يحميه نصوص القرآن الشريف وأظنك لا تأتي عليّ
استعمال هذا الحق . وفوق ذلك فإن زوجتي لم تبد
رغبتها حتى الآن في الانفصال أو قبول ما تعرضه
عليّ أنت ... إنها هي التي تبحث عني ولم أكن
الباحث عنها ورضيت في بلاك وأحببني دون أن تفكر
في أي أمر مادي مما تشيرون إليه . وحين قبلت أن
أقتن بها لم أكن أعلم من أمرها شيئاً ولم أكن
أعلق أية أهمية على غناها أو مركز أسرتها . لقد
كانت إرادة الله السابقة هي التي جمعتنا وأنتم مسلمون
فهل تمارضون تلك الإرادة ؟ »

فقال أكبر أصهارى سناً : « لا نجهد أنفسك
في الكلام عن إرادة شكرليب ورغبتها فإنها تمنى
الانفصال أكثر مما تمناه نحن »

وسمت في هذه اللحظة جملة أصوات تصيح :



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرآة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ - أول مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٥



فهرس العدد



صفحة

٣٩٤ هذا القرن	أفصوة مصرية	يقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٤٠٣ لم يرغب أحد في وجودي	عن الانجليزية	يقلم الأستاذ عبد الجيد حمدى ...
٤١٥ زهير الصين	للآلة متعة سم شاه	يقلم الأديب ابراهيم ت . ج . ما
٤٢٢ الحب أقوى من الموت	للكاتب الروسى ديمترى ميرىجكوفسكى	يقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٤٣٣ حاشى بابا أصفهانى	للكاتب الانجليزى « جيمز نور »	يقلم الأستاذ عبد الطيف النشار

جسمه الدقيق صورة صليب
متساوى الأطراف على وجه
التقريب ...

ولم ير السائق بداً من إيقاف
سيده فقال بصوت خافت :
— سعادة الباشا ... سعادة

الباشا ...

فلم يعبث نداؤه فيها أى أثر للحياة ، فرجع
الرجل صوته قائلاً :

— سعادة الباشا ...

واستطاع نداؤه في هذه المرة أن يوقظه فتحرك
رأسه ، واضطرب شاربى كأنه جناحاً نسر يخفقان ،
وقال بلسان ثقيل متلعثم :

— من ... ؟

— وصلنا يا صاحب السعادة ...

— وماذا تريد ؟

— عفواً يا صاحب السعادة ... تفضل بالنزول

لتصعد إلى مخدعك

ففتح الباشا عينيه المحمرتين وكأن النور اللطيف
الذى ينير المسكن آذاها ، فأغمضهما بسرعة وتحسس
بيده ذراع زوجته المارى كأنه قرينة مملوءة بالمياه وقال
بصوته الثقيل :

— يا هانم ... زينب هانم ...

فشبهت المرأة شهقة قوية لو أصاب ثيارها الباشا
لا يتلثمته ، وقالت بتبرم وسخط :

— من ... ؟

— وصلنا ...

— وماذا تريد يا باشا ؟

— تفضل لتصعد إلى مخدعنا

هَذَا الْفَرْزُ ط

أَقْصَوْصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَمِينِ نَجِيبِ مُحَمَّدٍ

اتصفت الليل ؛ وخيم السكون ، وشمل الصمت
الدور والطرقات ، وانتشرت أنوار المصابيح الباهتة
كأنها تؤنس وحشة الأشجار المتروسة في الأفانير
وقد منق السكون الأمن بوق سيارة أتت
مسرعة من مبتدأ شارع العباس ، ثم وقفت أمام
الباب الحديدى الملقى لفيلا آية في الأناقة والجمال ،
ونفخ السائق في البوق صرات ، نفخ البواب من
كوخه انخشي وفتح الباب ، واندفعت السيارة إلى
داخل الحديقة التى لا يبدو منها إلا أشياخ الأشجار
ودارت دورة غير كاملة ، وصعدت منحدرًا ثم وقفت
أمام الباب الداخلى للقصر ، وتزل السائق مسرعاً
وضغط على مفتاح كهربائى على كشب من الباب
فأضاء مصباح وأرسل نوراً أزرق هادئاً ، ثم فتح
باب العمارة ووقف كالتمثال ...

وانتظر لحظات وثوانى ودقائق ، ثم أخذه العجب
فأرسل ناظره إلى داخل السيارة ، فرأى الباشا
وزوجه مسافرين فى نوم ثقيل ، وكانت السيدة ملقبة
برأسها إلى الركن ، وجسمها الضخم المائل ممدداً ،
يسدو فى الفتحة اللامع المتصق به ، كفرس
البحر ، وكان الباشا مسفداً رأسه إلى كتفها يحسبه
من رآه لضعالة جسمه ونحافته وقصر قامته — غلاماً
صغيراً . لولا شاربى الغليظ الطويل الذى يرسم مع

- أصدد ؟! ... أنا لا أستطيع أن أتحرك
فكيف لي بالصعود !
- ما العمل ... هل نقضى الليل في السيارة ؟
— ولم لا ؟ ... المقعد وثير لين كالفرش ،
وهذه خيمة مريحة فما معنى التعب ؟
- فقال الباشا للسائق وهو ما يزال منمض الحفنتين :
— يا حسن ... لإذهب أنت .. سننام هنا
فارتبك السائق وقال بتحرج :
— العفو يا صاحب السعادة ... هذا غير طبيعي .
وسيرى البواب في الصباح ويرى الخدم ...
فألقى الباشا إلى زوجه قائلاً :
— يا هاتم هذا غير طبيعي وسيرى البواب في
الصباح ويرى الخدم !
— من الذى يكلمك ؟
— السائق
— أف ... لا تضايقنى ... ماذا بهما من البواب
أو الخدم أو السائق ؟
فقال الباشا للسائق بنفس الهمجة :
— أف ... لا تضايقنى ... ماذا بهما من البواب
أو الخدم أو السائق ؟
فسكت الرجل ولكن لم تطاوعه نفسه على
الذهاب فوقف ينتظر ، أما الباشا فأخرج مندبيله
وجفف عرقه ، وقال وهو يترك ربطة عنقه :
— الدنيا شديدة الحرارة ...
فاعتدل المرأة فى جلستها ، ولم تلبث أن صاحت :
— يا لطيف !
— مالك ... ؟
- المقعد يبدى كأنى فى أرجوحة !
وأرادت أن تسك بسية ، فومت يدها
التخططة على شارب الباشا ، فتألم الرجل وزرع
شاربه من كفها وهو يقول ضاحكاً :
— دعى شاربي ... هل تحسبته جبل
الأرجوحة ؟
— أنا فى غاية التعب
— شربت كثيراً يا زينب هاتم ... شربت
أكثر مما ينبغي لك !
— وماذا كنت أستطيع أن أفعل سوى ذلك ؟
الكل كان يشرب رجالاً ونساء ... أنت نفسك
شربت كثيراً يا باشا
— أنا متمود على الشراب يا هاتم ... أنا
أستطيع أن أشرب جانة كاملة فى ليلة واحدة !
— ومع هذا لم تبالك أعصابك الليلة ...
وعلا صوتك بالضحك على غير عادتك ، بل وصحكت
منى أنا يا ناقص !
— كيف ذلك ؟ ... هذا مستحيل
— مستحيل ! ... ألا تذكر ساعة خروجنا
من البوفيه ؟ ... كنت تسير ورأى فنظرت إلينا
عديلة هاتم تلك المرأة الراقصة وقالت : « كان الله فى
عون إبراهيم باشا فهو زوج ومرض » وصحكت
جميع المدعوين وصحكت أنت أيضاً !
— أنا لا أذكر هذا !
— طبعاً لأنك لم تكن فى وعيك ، ومع ذلك
فأنت تزعم أنك تستطيع أن تشرب جانة فى ليلة
واحدة ... أليس كذلك ؟ ولكنى انتقم منك

- فضحكت منك مع الضاحكين بعد ذلك مباشرة
— وكيف كان ذلك ؟
- كان جماعة من الحاضرين يتمتعون لنحافة
قدك فاعتذر الأمير الـى فتحي بك عن صغر حجمك
بقوله « إن شاربك الثقيل يوق جسمك عن النمو »
فضحكت مع الضاحكات والضاحكين ... وواحدة
بواحدة
- بالله من ضابط وقع !
— أنت السئول عن جعلنا أضحكة في كل
مكان ... لماذا لا تقص شاربك ؟
- أقص شاربى ؟ ... هل جنت يا هاتم ؟ !
— وما وجه الجنون في هذا ؟ ... إنه حمل
ثقيل على جسمك الرقيق
- لا يكون الرجل رجلاً بجسمه !
— أيسكون رجلاً بشاربه ؟
- معلوم ! أنظرى إلى مثلك ، فانت امرأة
ولك جسم فيل .. ولكن هل توجد امرأة بشارب ؟
— الحق أقول لك إنى همت مرة بقص شاربك
في أثناء نومك ... لولا الخوف
- وما الذى أخافك ؟
— أشفتك من أن يصبح زواجنا لاغياً
- وله ؟ هل أنت زوجى أنا أم زوج شاربى ؟
— الحقيقة أنك بفيز هذا الشارب تغدو غلاماً
لما يبلغ السن القانونية للزواج !
- هذا هذر سكارى والأولى بك أن تتحنى
جسمك الهائل ، فضخامتة الشاذة هي المدعاة الحقيقية
إلى السخرية ... ألم ترى صديقانك الليلة ؟ .. كلهم
- نحيفات اللحم إلا راضية هاتم على كل حال لا تزن
نصف وزنك ...
- أنت السئول عن وزنى
— أنا !
- نعم ... لأنك كنت دائماً تؤكد لى أنك
تحب اللحم السخالى والبقرى ... وأنت تحترق الوزن
(الهاف) ٢ ... وها أنت ذا تملص من تبعاتك
كما كنت تفعل وأنت وزير !
- ما شاء الله .. هذا قول أعدائى النياسيين ،
وأرى أنى أحجند فى بيتى كما جحدت من قبل فى ميدان
السياسة للملون وأنى خسرت الدنيا جميعاً
- بل زيمت شيئاً مؤكداً ...
— وما هو ؟
- أنك صاحب مقام رفيع !
— يا هاتم أنت فى سكر كالحشاشين ، والحق
أنك تستاهلين رتبة ولكنى لا أدرى أى رتبة
تناسبك ... فلأفكر قليلاً ... ما رأيك فى لقب
الصدر الأعظم ؟ !
- ... وهنا قطع حديث الزوجين طرق عنيف
على باب القصر الخارجى ، وشق الصمت الخيم صوت
متكر يصيح :
- يا بواب ... يا عم محمد ...
فسكت الزوجان دهشة واعتدلاً قليلاً فى جلستهما
وأرهما السمع ، وخف السائق مسرعاً إلى الباب
ليرى ما هنالك ...
- ***
- كان الشرطى المكلف بالحراسة الليلية يسير

— سفر لا يقبل التأجيل .
 أو ليس للقصر باب ؟
 — لم أجد وقتاً لإيقاظ البواب .
 — يا مغيث ... هذا حقاً عصر السرعة ...
 وليس يبعد أن أرى غداً من يقفز من نافذة الطابق
 الثالث أو الرابع . لأنه ليس لديه متسع من الوقت
 يهبط فيه السلم ... عوفيت يا سيدي عوفيت ...
 — أراك لا تصدقني يا حضرة الشاوش ...
 أوكد لك أنني من أهل القصر ... غير أنني استسهلت
 أن أقفز على هذا السور القصير .
 — معلوم ... معلوم ... ليس الذنب ذنبك ...
 ولكنه ذنب من يحتم تعليم الألعاب الرياضية
 والتدريب العسكري ... على أنني أجد نفسي مضطراً
 إلى تأخيرك يوماً أو عدة أيام وربما عدة أشهر .
 قال ذلك ودفعه أمامه .. ولكن الشاب الصق
 قدميه بالأرض وقال بتوسل :
 — لست لهما ... لست لهما والله ... أنا من
 أهل القصر .
 — إذا كان ما تقوله حقاً فأعنيك إلا أن تدخل
 القصر ثانية فأصدقك .
 — حسن ... أترك ذراعي وسري ...
 — أدخل البيت من باب ... تعال
 وساقه إلى باب القصر وطرقه ، وهو ينادي
 البواب ...
 وأنى السائق على صوته مسرعاً وأيقظ البواب
 فقام الرجل ساخطاً وفتح الباب ، وأحدث ظهور
 الشرطي والشاب القبوض عليه دهشتها ، ونظرا

الحويثي في شارع العباس ، ولما بلغ قصر الباشا .
 سار بجذائه وعرج ملازماً للسور إلى شارع الإلهامى
 وانتبه من سهوة إلى حركة في أعلى السور فنظر إلى
 مصدرها فرأى رجلاً يقفز من الحائط ويسقط على
 بعد ذراع منه ، وقد تولد الذعر لظهور الشرطي
 المفاجئ فتسمرت قدماء بالأرض .. وأسرع الحارس
 إليه وقبض على ذراعه بقسوة وهو يصيح به :

— يا ابن اللعن ! ألمحسب البلد بلا حكومة ؟
 وكان القبوض عليه أفندياً ، أنيق اللبس ،
 كشف نور الصباح الخفاف في وجهه عن ملامح
 ودیعة ونظرة أدنى إلى الرقة والجلين منها إلى الشر
 أو التجدي ، ففحصه الشرطي بنظرة شديدة وهو
 يتحسس جيوبه وقال له متكباً :

— إخالك لم تسرق سوى هذه البذلة !
 فقال الشاب وهو يلهث من الإضطراب والخوف :
 — أتركني يا حضرة الشاوش أنا لست لهما
 كما تتوهم

— عفادم عليك ... فمن تكون يا مولانا ؟
 — أقسم بالله العظيم أنني لست لهما ... ولم أسرق
 في حياتي قط وهاك جيوبى فتشها كما تشاء
 — آه ... هل كنت في القصر زائراً إذا ؟

— أنا ... أنا من أهل القصر
 — فهمت يا سيدي فهمت ... أنت ابن الباشا
 بلاشك وما قفزك من السور إلا رياضة بدنية كنت
 تقوم بها في هذه الساعة المتأخرة من الليل !

— بل أردت أن أخرج بسرعة
 — وما الذى يدعوك إلى الخروج بعد منتصف
 الليل ؟

- إليهما متسائلين ، فقال الشرطي :
- قبضت على هذا الشاب وهو يقفز من سور القصر ، فادعى أنه من أهل الدار فهل تعرفانه ؟
- فأضاء البواب المصباح الكهربائي ، ونظر السائق إلى وجه الشاب الشاحب وقال مسرعاً :
- هذه هي المرة الأولى التي تقع عليه عيناى ...
- وسأل البواب الشرطي :
- هل وجدت معه شيئاً ؟
- سيفتش في القسم
- وفي تلك اللحظة سمع صوت الباشا الثمل يصيح في سكون الليل :
- يا حسن . من عندك ؟
- فهرع السائق إلى الباشا ، وطمع الشرطي في سماع كلمة ثناء من صاحب السعادة فساق الشاب أمامه وتبع السائق ، وقال حسن لسيده :
- قبضوا يا صاحب السعادة على لص يقفز من سور القصر .
- فقام الباشا واقفاً وغادر السيارة ، وهو يقول :
- كيف ؟ دى لولو كانت في البيت وحدها وهي نحو الباب الداخلى وتبتمت زوجه في تشر ظاهر ، وكان الباشا يصيح : لولو .. لولو !
- وفتح الباب وظهرت غادة جميلة في لباس النوم الأبيض الشفاف ، أشرقت في الظلماء كالشمس تائرة في الجو عطراً يفعل بالأعصاب فعل الموسيقى العذبة . فصاح والدان :
- الحمد لله .. هل أنت بخير يا لولو ؟
- فأنجابت بصوت له في الأذن وقع كالطر في الأنف :
- نعم يا ماما ... ماذا حدث ؟
- فقال الباشا :
- قبضوا على لص يقفز من سور القصر .
- نفق قلب الفتاة وقالت بصوت منهج :
- لص !
- ألم تسمى حركة ؟
- كلا ...
- الحمد لله ...
- وسار الباشا إلى حيث يوجد اللص والشرطي والسائق والبواب وتبتمت زوجته ولولو ، ورأت الفتاة وجه القبوض عليه على ضوء المصباح الهادي فاشتد خفقان قلبها ، وزاغت عيناها ، وخففت بصرها ذاهلة مضطربة ...
- وقال الشرطي :
- يدعى هذا المجرم أنه من أهل البيت يا صاحب السعادة
- فأنمتم زينب هامت النظر في وجه الشاب بعينين أطفأت انحر نورهما وقالت :
- كذب ... هذا لص جرىء
- ولكن ساورها شك في صحة بصرها فالت إلى زوجها وسألته بصوت خافت :
- أليس كذلك يا باشا ؟
- فنظر الباشا إلى الشاب بعينين ذاهلتين كمعنى زوجه وقال :
- بلى ... بلى ... هذا لص ولا شك ثم مال على أذن لولو وسألها :
- أليس كذلك يا لولو ؟
- ولم تجب الفتاة أو على الأصح لم تسمع السؤال .
- فسأل الباشا السائق :

إصلاحه بالحروب فوقعت في يدي الشرطي .. لست
لصاً ... قتشوني فلن تشعروا على شيء»

— وماذا شربت ؟

وكان السائق في حالة سيئة من النعيط والحلق
فقال :

— هذا لص كذاب يا صاحب السعادة وينبغي
أن نسوقه في الحال إلى القسم

ولكن الباشا انتهره قائلاً : لا تقاطع التحقيق
وسأل الشاب وهو يهز رأسه بهاء :

— ماذا شربت ؟

— ويسكي يا صاحب السعادة

فسأله زينب هامم :

— بالصودا ؟

— نعم يا سيدتي

فالت المرأة على أذن زوجها وهمست :

— ممنور ...

فرد عليها قائلاً بصوت خافت :

— نعم ... الويسكي بالصودا شراب ملمون

ثم دنا من الشاب وهو يقول : دعنا نفتشك

أولاً ... فاستسلم الشاب إليه ، ودس الباشا يديه

في جيوبه ولم يجد سوى حافظته فأراد تفتيشها ،

ولكن الشاب لم يمكنه منها ، وأثارت مقاومته

شكوك الحاضرين ، فقبض الشرطي على يديه بقسوة

وأخذ الباشا الحافظة ، وكانت لحقت به زوجته وابنته ،

وأخرج محتوياتها وكان بها ورقة من ذات الجنيه ،

وعدة بطاقات وصورة صغيرة ، ولاحت منه نظرة

عارضة إلى الصورة ، فأيقظت انتباهه وشحذت بهمه

— هل تعرف هذا الشاب يا حسن ... ؟ هل
هو من أهلنا ؟ !

وكان السائق حزيناً مختلساً من لولو نظرات
ملتهبة وراقبها بارتياح ، فقال بانفعال :

— هذا لص مجرم يا صاحب السعادة

فقال الباشا للشاب بلسان متلعثم ثقيل :

— كيف تسول لك نفسك ادعاء قرايبي ؟

— لست لصاً يا صاحب السعادة

— فإذا كنت تفعل هنا ؟

— لا أدري يا صاحب السعادة

— ما شاء الله ... هل سقطت من طائرة في

حديقتي ؟

— كلا يا سعادة الباشا .. ولكنني وجدت

نفسى بنتة في الحديقة ... لا أدري كيف ساقني

قدساي إلى هنا ! !

فقال الشرطي :

— ستجد نفسك بنتة في السجن إن شاء الله

وغضب الباشا لقاطعة الشرطي وقال له بمنف :

— يا عسكري ... لا تقطع على التحقيق ...

فقال الشرطي بسرعة :

— حاضر يا أفنديم

وسأل الباشا الشاب :

— كيف تدخل إلى الحديقة وأنت لا تدري ؟

— أنا أسف يا صاحب السعادة ، كنت سكران

وقادتنى قدساي إلى هنا من غير أن يراني أحد ونمت

على الحشائش يصنع ساعات ، ثم استيقظت في حالة

أدنى إلى الوعي والانتباه ، فأدركت خطيئتي ، وحاولت

فنظر إليها بإيمان فرأى صورة لولو ، لولو بذاتها ، هل يصدق عينيه ؟ ... أم أنها الخمر ؟ ... ونظر إلى زوجه يستعين بعينها فرأى بهما دهشة وإنكاراً ، والتفت إلى لولو فرأى أنها تنسحب بخفة وتعود إلى القصر تسير بخطوات متزنة مثقلة غير مبالية بشيء ...

وسمع الشرطي يسأل بصوته النظيف :
هل وجدت بها مسروقات يا صاحب السعادة ؟
فرد محتويات الحافظة إلى موضعها وأعادها إلى صاحبها وهو يقول بلسانه التلثم :
— كلا ... ما بها يخصه دون غيره ...

وكان السائق على بعد قريب من مولاه فاستطاعت عيناه الحادتان أن تريا ، فارتد إلى حالة جنونية من الغضب والنفيت وقال لسيدته بصوت متهدج :
— إن عدم الثور على شيء معه لا يبرئه بحال وهو ولا شك قد حاول السرقة فلم يفلح .
فقال الباشا :

— سأتحقق مما إذا كان سكران ...
ومال على فم الشاب يشمه ثم قال :
— الآن حصص الحق ... هذا الشاب سكران بغير شك ...
فكاد السائق يمين وقال بنضب :

— العفو يا صاحب السعادة ، العادة أن الإنسان إذا كان شارباً لا يشم الخمر في أفواه الآخرين !
فانتفض الباشا غضباً ، وقتل شاربه بقطرسة وصاح بالسائق :

— إنه شارب يا كلب !
— العفو يا صاحب السعادة ... أنا أغنى ...

— لا أقبل منك كلاماً يا سفيه ، لقد قضت سفاهتك على أسباب رزقك في هذا البيت . يا عسكري دعه هذا الشاب لي الآن ، وخذ هذا الوقح خارجاً ...
وصدع الشرطي بما أمر ، وخلا المكان إلا من الباشا وزوجته والشاب .

قال الباشا للشاب بلهجة نمر على التهديد والوعيد
— ألا تعرف من أنا ؟
— أعرف طبعاً يا صاحب السعادة ...
— فكيف إذا تسول لك نفسك انتهاك حرمة بيتي ؟

— أنا غايي شريفة يا صاحب السعادة ...
— وهل يوجد شرف بعد منتصف الليل ؟
وسأله السيد :
— ما صنعائك ؟
— موظف ...
— هذا يعني أنك صملوك ...
— صملوك !

— نعم ... إن الكاتب الحقير الذي لا يجد له وظيفة تشرفه يطبع على بطاقته كلمة موظف وهي لا تعني في الواقع إلا أنه كاتب حقير ... أليس كذلك ؟ ...

— ... !
— في أي وزارة ؟
— المساحة ...
— ما شاء الله ... وما هي مؤهلاتك ؟
— ... !
— ما هي مؤهلاتك ... أجنني ؟ !

فوقمت في غرام مملوك متشرد ممن يسمونهم
بالموسيقين !

— لا تتكلم عن صهرك يمثل هذه الألفاظ ،
فليس هو الآن بالصملوك ولا بالمتشرد ، ولكنه
مفتش موسيقى يحترم بوزارة المعارف !

— أنا الذي عينته في هذه الوظيفة التي هو غير
أهل لها بحال ... أنا الذي خلقتة

— اخلق هذا أيضاً من أجل لولو
ولكنه غير قابل للنطق ... لقد كان الأول
معنياً فاستطعت أن أصنع منه مفتشاً للموسيقى وإن
كان لا يفقه شيئاً في الموسيقى ، ولكن ما عسى
أن أصنع بهذا وكل مؤهلاته البكالوريا ؟ ... الأوفى
أن نظرده !

— ليت ذلك كان ممكناً ! ... ولكنك تعلم
أن لولو عتيبة صلبة الإدارة ، فلنوار سواتنا ونضع
منه شيئاً ...

— مهما فعلت فلن يكون أكثر من كاتب
— حنانيك يا باشا ، هل شح الزمان حتى
تزوج ابنة واحد باشا مثلك ووزير سابق (ووزير
لاحق إن شاء الله) من كاتب !

— وما ذنب الزمان إذا كانت ابنة الباشا مجنونة
مثل لولو ؟

— دع أحاديث الغضب جانباً ، وقل لي ألا يمكن
إلحاقه بأي وظيفة في مفوضية أو قنصلية ؟

— مفوضية أو قنصلية ! .. أهذا كلام يقال
على واحد كل مؤهلاته البكالوريا ؟

— أف .. أنا أعلم جيداً أنك متعب ومهما
(٢)

— البكالوريا ...

— بس يا خبر أسود .. وماهيتك ؟

— ... !

— وماهيتك .. أتوسل إليك أن تحبيني !

— ستة جنهات !

— عال .. ولماذا تحب ابنة باشا ؟

— سيدق ..

— لماذا لم تحب ابنة كلب من طبقتك ؟

وتنهذ الباشا من قلب مملوك وقال للشاب :

— تفضل مع السلامة . -

وصعد الزوجان إلى مخدعهما وقد نال التعب
منهما كل منال فارتقى الباشا على « الشيزلنج »
واستلقت السيدة على الفراش وكانا واجبين
حزينين ...

وتنهذ الباشا وقال لها :

— أيسجيك هذا ؟

— أنت دائماً تلقى على تيمة كل شيء ..

— أنا رجل ينوء مكتبا بعبء ثقيل سواء

في الوزارة أو مجلس الشيوخ أو الشركات ، فأنت
وحدهك المسئولة عن فساد أخلاق بناتك !

— لا تتكلم يا سيدي عن بناتي بهذه اللجة
التي لا أقبلها بحال ... إنني أعلم أنهم أشرف النساء
جميعاً !

— إذا أنت ترضين عن هذه الأففال

الشائنة ؟ ...

الآمرين أن أمساءة الأخت الكبرى تتكرر ؟ تلك
الفنائة البائسة التي أردت أن أزوجه من طبيب كبير

بكلمات لا تنفي وقد قال له :
 — أنت غطى يا حسن ... لماذا تتدخل
 فيما لا يعينك ؟
 فقال محمداً :
 — أهذا رجل ؟
 — وما الذى يفضيك أنت ؟ ... إنها ابنته
 لا ابنتك !
 ثم غمز بعينه وتساءل :
 — أم هنالك سبب آخر لهذا الغضب ؟ ... أهو
 غضب أم غيرة يا شيطان ؟!
 فلما لم يرد عليه الجواب قال له وهو يودعه :
 — معلش يا حسن ... فالحق أن الباشا لم يعرف
 برى غير شنبه !

بجيب المفرد

آلام فرتز

للساهر القيسوف جوتو ديوانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشا

يكن من أمر فينبنى ألا تكون درجته أقل من
 السادسة وألا تقل ماهيته عن خمسة عشر جنيتها ...
 وأمامك أصدقاؤك الوزراء فليختره أى واحد منهم
 سكرتيراً له ..

— ليس الأمر سهلاً يا هانم كما يبدو لك
 فالصحف تقف بالمرصاد للحسوبيات والاستثناءات
 — وهل يرضى الصحف أن تزوج ابنة واحد
 باشا من كاتب بستان جنيتها ؟
 — إن للصحافة هموماً لا تدع لها وقتاً للتفكير
 في مسألة زواج لولو !

— وإن مستقبل لولو لفوق الصحافة وهووما
 فينبنى أن تخلق هذا الشاب من جديد ...
 — هل كتب على أن أخلق كل يوم شاباً
 من جديد ؟

— أرجو أن تذكر أنك كنت موظفاً باشاً
 حين تزوجتك وأنه لولا المنفور له والدى ...
 — إن أباك لم يخلقى ولكنه أتاح الظروف
 المناسبة لعظمى الكاتبة !
 — صه .. لولا أبى لكنت الآن موظفاً بالدرجة
 السابعة على أكثر تقدير ؟
 — أبهذا الكلام تدافعين عن ذوق بناتك
 القسندر ؟

— معلش يا باشا ، إنهن ورثن عنى ذلك الذوق
 الذى حملنى فيما مضى على الزواج منك !

وكان السائق هائجاً غاضباً ، يلحن ويتوعد ،
 والشرطى يهذى روعه ويمزحه عن « قطع عيشه »

لم تَرَ أَحَدًا فِي وَجْهِ

الآن
عن الانجليزية
بسم الأستاذ عبد المجيد حمدي

الشوهة من عمل البنوات
العديدة، بقطعة الصوف الزرقاء
الطروحة على ركبي وقد بلشت
في ذلك اليوم السادسة والسبعين
من عمري فاليوم هو عيد
ميلادي ولكن أحدا لم يذكر
ذلك ولم يشعر به، لا ابني هاري
الذي أعيش الآن معه ولا أمراه
اليونان الذي أكتبه الجيلة ولا ولداها.

قضيت اليوم كله أداعب أملاً حياً حزناً في أن
يتذكر أحدهم فيحضر إليّ ويقبلي ويقول لي :
« عيد سعيد يا عزيزتي ! » . ولكن لم يكن هذا
الأمل إلا حافة، فقد كانوا جميعاً مشغولين بشئونهم
الخاصة . لذلك نسيتني هاري وإليانور وحفيدي ،
وكذلك نسيتي أبنائي الآخرين : توم وهو عام
في برمنغام ، وآلان الطبيب في نورثامبتون وجورج
الذي كان يبحر جريدة في مئلا ندز ، وجين التي
تميش في لندن وتكتب لإحدى المجلات النسائية
مقالات تتقاضى عليها أجوراً غالية وقد قضيت عندها
جزءاً من شتاء العام الماضي

ولكن لا بأس ! فأنا امرأة شخوة وأبنائي
جميعاً جد مشغولين ولهم من نجاحهم في الحياة ما يليهم
عن الاهتمام بأمر عجوز مثلي . ولم يعرفوا بعد الشتاء
الذي يشعر به الإنسان عند ما الشيخوخة يرى الحياة
تمر به مندفة وتركه وراءها . إنهم لا ينتظر منهم
أن يدركوا ما في الشيخوخة من قسوة ووحدة .
يا لهول ما في الشيخوخة من وحشة وخوف !
لقد كان كل شيء قبل ثلاث سنوات ، مخالفات
فيا يتصل بحياتي لما هو كائن اليوم ، إذ كان زوجي
جون لا يزال علي قيد الحياة فلم أكن أبالي بالشيخوخة

هل هناك مأساة أعظم من أن يكون
الإنسان غير مرغوب في وجوده ؟ هنا قصة شيرة
من امرأة واجهت هذه المشكلة وما زالت توابسها
إلى أن ...

جلست إلى جانب شباك غرفتي الوحيدة التي
فيها أنام وفيها أجلس ، في خط رفيع من شعاع
الشمس المائلة إلى الغروب ، وقد طرحت على ركبي
قطعة القماش التي كنت أحبكها
ونظرت بعينين كليتين إلى الجدران العارية
القائمة على الجانب الآخر من الطريق ، وهي كل
ما يمكن أن تقع عليه العين من شباك غرفتي ونحن
الآن في شهر مايو من فصل الربيع وقد تفتحت
الزهور وعطر شذاها الجو

وقد مضى على الآن ثلاث سنوات لم تقع عيني
في حلالها على زهر الخزامى الجليل ، وهو يستقبل
الربيع باسماً جذاباً ، ولا شممت شذى الليلق المنمش
للصدور . مضى ثلاث سنوات على اليوم الذي مات
فيه زوجي جون ، فاضطرتني موته لأن أعيش متنقلة
بين بيوت أبنائي ثلاث سنوات طويلة جوفاء قضيتها
وحيدة في عزلة عن الناس !

جلست إلى جانب الشباك تعبت أُنابهي الخشنة

قد علمتني هذه السنوات الثلاث ألا أقول شيئاً وأن أبتعد عن طريقهم . لقد كان لهم من مشاغلهم وضيق وقتهم وشدة ملهم ما يحملني باطاقة الأمومة على أن ألتبس لهم في أعماق قلبي العذر من عدم إقبالهم عليّ

كانوا يتبرمون بطراز ملايسى ، كانوا يكرهون القماش المطبوع الذى أخيط منه اللباس ، والمثزر الأبيض الذى كنت ألبسه فوق ثوبي . فابتاعوا لى رداء من الحرير الأسود لبسته إرضاء لهم ، ولكنى كنت أشعر أنى فيه غريبة غير صراحة ، أشعر بالوحشة إلى جلايبي القطنية القديمة الطراز . كذلك كانوا يتبرمون بأستلتي إذا خطر لى أن أسألم سؤالا ، ولقد سمعت لندا امرأة «آلان» تقول فى كثير من المناسبات :

— إن أنا متعبة تشبه الأطفال فى أستلتي
ذكرت هذا كله فى جلستى هذه فسرى الجزء إلى نفسى

وذكرت أن جين اتهرتنى مرة إذ قالت غاضبة :
— إنك تتبرين أعصابى يا أمى بكثرة كلامك على أمور قد مضت . ألا يمكن أن تفهم ابنتى أن الماضى هو كل ما أملك فى الحياة ؟ لقد سرت نظرة التناذى على وجهى عند سماع هذه الكلمات وأمتلأت عينائى الكليلتان بالدموع البطيئة ولكن جين لم تلاحظ شيئاً من ذلك

لقد تبين لى الآن أنى كنت دائماً عقية فى طريقهم ، كلا حاولت المساعدة فى بعض الأعمال المنزلية ، وما كنت أقصد بذلك إلا أن أجعل لنفسى بينهم فائدة وأن أملاً فراغ ساعات أسمى الطولية

تنزل لى وهو إلى جانبي . لقد كان حبه وقربه منى يملآن نفسى شجاعة ومحيطان حياتى بالهدوء والسعادة والآن قد ترك جيون هذا العالم وتركنى وحيدة تكتنفى الحيرة والخوف فى عالم هو فى عيني شديد الاتساع والحدأة وسرعة الحركة

ولقد عزانى عما أنا فيه أن جيون لا يستطيع أن يعلم الحقيقة ، فلقد كان وانثاقاً من أننى سأكون هنية وفى خير بعد ذهابه . لقد قال لى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

— سيعين بك الأولاد يا ماري ولن تكونى وحيدة يا عرنى ، سيحبك أبناءنا ويرفون حياتك نعم ، فبعد أن انتهى كل شئ وبعد أن رأيت جيون بوضوح فى مقبره الأبدى بمقبرة البلدة الصغيرة أخذنى أبناءى معهم . فالتقت أول الأمر مع آلان ثم مع توم ، وبعد توم أخذتنى جين فقصت معها فترة من الزمن وأنا الآن مقيمة مع هارى . لقد أدى الجميع واجبهم ، ولكن يبدو لى على صورة ما أنهم أصبحوا لا يشبهون أبناءى الذين من لحي ودى . فهم يعملونى كأننى غريبة فى بيوتهم ، غريبة لا تتصل بهم ولكن يجب أن يتحاملوا عنها

لقد أزعجنى ذلك وشعرت فى أعماق قلبي بشئ صغير جازع يصعب بهم طلباً الحب والراحة والتفاهم ويرجوهم أن يقتطعوا من حياتهم الملوذة حركة فترة وجيزة يقولون لى فيها لهم لا يزالون يحبونى ويحتاجون لى ويرغبون فى وجودى إلى جانبهم ، كما أحبوني واحتاجوا لى ورغبوا فى وجودى عند ما كانوا أطفالاً

ولكننى لم أنطق قط بهذه العبارة الدفينة ،

أيضاً : ترى تحبّ لندا بقدوى ؟ وهل تبسم عند ما أقبل عليها وتقدمني لضيوفها ؟ من يدري، ولعلها أيضاً تسمح لي بمساعدتها في تقديم الشاي والنفطائر الصغيرة . لقد كنت أرجو من أعماق قلبي المهجور أن تسمح لي بأن أجالس المدعوين

فتحت الباب في استحياء ودخلت ، فتلقت لندا وإذ رأيتي قطبت جبينها علامة عدم الارتياح لوجودي . ثم قالت في جفاء :

— لقد حسبتك ستبقى في غرفتك
فأجبت :

— لقد آتيت لقضاء فترة وجيزة يا لندا
وكانت عياني وأنا أنكم تمولان إليها في أن
تسمح لي بالبقاء وأن تشفق على

فتنهت لندا تنهد المتهور وأشارت إلى كرسي في ركن بعيد من أركان الغرفة جلست عليه في هدوء وأخبرت يدي المرتجفتين في جبري حتى لا يلاحظ الضيوف اضطرابي .

وتكلم النسوة في أمور لا أعلم من أمرها شيئاً وتجاهلن محاولاتى التواضعة التي كانت تنم عن رغبتى في الاشتراك في الحديث ، فشعرت بأننى قد زجرت وأناى وحيدة لا موضع لى في ذلك المكان . لذلك وقفت في الحال ، وتركزت الغرفة في سكون ، مقفلة ورأى الباب في بطن ، ثم تسربت إلى غرفتي فترعت ثوبي الأسود ، وفككت دبوس الأمايست ، وبقيت فترة طويلة ممسكة هذه الهدية الزوجية العزيزة في يدي التحنلة المرتجفة ، بينما سالت السموع على وجنتي المجدتين .

ولم ألبث أن قلت لنفسي :

الفاخرة . كنت أود أن أذهب إلى المطبخ فأسوى من حين إلى حين بعض النفطائر ، كما كنت أحب أن أصلح ملابس أحفادى أو أنظف غرفة الجلوس ولكنى لم أكد أقدم على عمل من هذه الأعمال لأول مرة حتى عيسيت البنور وقالت وهي تلوى رأسها :

— إنى أفضل أن تترك ذلك للخدام
وطلبت منى لندا ألا أندخل في شؤون بيتها قائلة في صراحة :

— إنه (يتي) كما تملين وأنا أفضل أن أرتبه
على الطريق التي أراها

وشعرت من جراء عدة أمور صغيرة كهذه أننى قد جرحت وأناى لم أكن في بيوت أبنائى إلا غريبة طفيلية . وهكذا تلمت أن أكتف ساعدي وأن أزم غرفتي وإن كنت أشعر فيها بالوحدة والفرغ

وحدث مرة في بيت آلان ولندا أن كان هناك بعض الضيوف لتناول الشاي ، فلبست ردائى الجديد الأسود ، وجمدت شعري الأبيض الرفيع ، وشبكت ببقتي بدوس رأسه من حجر الأمايست كان زوجي جون أهدانيه في الذكرى الثانية لزوجنا ، ثم نظرت إلى المرأة نظرة الناقد لأرى إن كان في منظري ما يدعو إلى التفور ، وصرخت بلطف بكفى على ردائى وعلى شعري ، ثم هبطت السلم إلى غرفة الاستقبال حيث كان الضيوف جلوساً ، على أنى عند ما وصلت إلى الباب وقفت لحظة مترددة

وأحسست في وقتي بارتجاف يدي من التأثير المصبي كما أحسست بقلبي ينبض بشدة . ترى أكان في منظري ما يدعو إلى الاشمئزاز ؟ لقد سالت نفسي هذا السؤال غير مطمئنة إلى الجواب . وسالت نفسي

— إني لشيخة حقاء إذ أبكى .

لم يبق من أثر لأشعة الشمس حيث جلست على الكرسي الواطي في غرفتي ، ولم تلبث عتمة الفسق أن ملأت الجو ، على أنني ما زلت جالسة في مكاني مطبقة جفني مطلقة لفكري العنان يسبح في ذكريات الماضي السعيد النامض .

عاد الخيال إلى مزرعتنا الصغيرة في كورنيش ، تلك المزرعة التي لا تنفك عواطفني تحن إليها كلما شمعت بالفراغ الذي يكتنفني وسط المدينة الآهلة فارتمت أمام عيني صورة الريشة والحقول والبيت الأبيض الخشن المنظر الذي ولد فيه أبنائي الغمة وشبوا ، ورأيت غرفة النوم الكبيرة وقد بهت ورق جدرانها ورأيت السرير الخشبي الكبير المزخرف الذي كنت أعاني عليه آلام الوضع كلما أخرجت أحد هؤلاء إلى عالم الوجود .

رأيت نفسي بعين الماضي شابة صغيرة رشيقة سريعة الحركة لا عبوزا بطيئة كما أنا الآن ، ورأيتني منتقلة في خفة من مكان إلى مكان أتمجز عمل البيت وأربي الصغار . رأيتني أغسل الملابس والآنية ، منحنية على الوجاء متعبة شاحبة ، مشتتة في الحديقة في أشعة شمس الصيف الحارة ، معدة نار الشتاء بيدني خشنها وشققهما الصقيع ، معنية بتغذية الأطفال وتظفيهم وتنشئهم على الصديق ومعرفة الحقائق ، مجتهدة في إقناعهم معنى الشرف والعبر والكرم ، ولا أذكر أنني أهملت في ناحية من هذه النواحي ، وإني لأسمعهم الآن كما كنت أسمعهم أطفالاً يرتلون صلاتهم كل مساء .

إني لأذكر كيف كنت أنا وجون تقتصد وقتنا على أنفسنا لنستطيع أن نبتاع للأطفال أحذية جديدة ولتسد لهم نفقات التعليم في المدارس ، ولتكنهم من أداء مدة التمرن للمهن التي أعدتهم لها دراساتهم وإني لأسمع جون وهو يكرر قوله :

— إن أبناءنا هؤلاء ياماري ليستحقون كل هذا العناء والتمب فسيأتي يوم نفخر بهم فيه ، وسيكونون مبعث رفاقتنا في شيخوختنا .

ولقد صدقت زوجي حينذاك ، وتطلعت إلى الزمن الذي يصبح فيه أبنائي رجالاً ونساء ناجحين في الحياة يؤلفون بيوتاً هنية سعيدة تزورها أنا وجون ، فنجد فيها أحفاداً لنا أعزهم وأذلهم وأهم صراحيهم لأنهم

صرت في هذه الذكريات وأنا جالسة في مكاني ساعة الفسق فالتبسمت ، فإت أبناءنا لم يدعوني وأبائهم لزيارتهم إلا نادراً ، وبعد أن غادرونا الواحد بعد الآخر بقينا نحن الاثنين في مزرعتنا زوجين شيخين وخيدين منسيين

أما الأحفاد ، فقد كانوا في الحق أطفالاً من الطراز الحديث فلم يسمح لي بأن أدلمهم أو أهزهم ، بل إني حتى لم أر قط « أن » ابنة جورج ، فقد كانت في المدرسة التي ألحقها بها أبوها في سويسرا ، عندما مات جون ، ولم تحضر جنازة جدها

نظرت إلى يدي الجائفتين المشوهتين البسوطتين على ركبتي ، وذكرت كيف كانت هاتان اليدين تتسابقان في سرور في سبيل العناية بالأطفال ، فأصبحنا الآن عديمي الفائدة شيخين مشوهين لا يرغب فيهما أحد .

وفي هذا اليوم يوم ذكرى ميلادى هيات لى
الحاققة أنهم سيحضرون لى مهنين ممبرين عن جهم
لى وعطفهم على !!

أخبرت راسى فى بطه وأطبقت جفنى
وفي صباح اليوم التالى بكرت فى المهبوط لى
الطابق الأول لاستطيع الاجتماع بهارى وحده ، فلما
وجدته فى غرفة الطعام ابتسمت ابتسامة مرحة
وقد جهشت فى تلك أعصابى والزود بالشجاعة ،
وقلت وقد بدا فى صوتى الرفيع أثر الاضطراب على
الرغم منى :

— لقد كنت أفكر فى أمرى يا بنى وقد
وجدت أن فى حاجة لى تغيير الهواء ، وإننى لأحب
أن أبقى هنا معك أنت وإلينور ، ولكنى أرى أن
أسافر الآن إلى جورج ، فهل لك أن تكتب لى
لتخبره بأننى ذاهبة لى فى الحال ؟

لم يكده هارى يسمع هذه الكلمات حتى بدا أثر
الارتياح على وجهه ، فوخذ ذلك نفسى ، وألمنى أن
أرى ابنى أيضاً مسروراً لتخلص منى .

فرد جورج فى شىء من التذمر يقول إنه مستعد
لاستقبالى إذا كان من الضرورى أن أذهب . فأجابته
إلينور برسالة تلغرافية إن ذلك من الضرورى جدا .
وهكذا أعددت حقيقتى التيقية وأر كنى هارى القطار
وقبلنى قبة وداع عاجلة متندراً بأنه مضطرب
يسرع فى الذهاب لى ترتيباته يومه جام فحصل بأعماله ؛
على أننى لم أكيد أشعر بما فى علمه من إهمال لشأى ،
لأننى بعيد أن علمت أن ليس بين أبنائى من يرغب
فى وجودى لم يبق ما هو أشد من ذلك إلا لى لنفسى .

وبينا أنا غارقة فى هذه الأحلام إذا صوت إلينور
الحاد يمتدح غشاء رأسى ويقطع على أحلامى ، متسرباً
خلال باب غرفتى نصف الفتوح ، كانت مقبلة من
الردهة ، وكان كسبا حداثتها الباليان يقرعان الأرض
بشدة تيمث فى الجوصدى عالياً ، يسر هارى إلى جانبها
فى خطوات بطيئة ثقيلة ... سمعتها تقول له :

— أقول لك إن صبرى قد فروغ يا هارى !
ويجب أن تيمدها عن هذا البيت ، إنها تتدخل لحد
بعيد فى ترتيباتى الاجتماعية

سألت نغمى متعجبة : ترى من هى التى تريد
الينور إيمدها عن هذا البيت ؟ أى الخادم الجديدة
أم لملها الطاهية ؟

ثم سمعت صوت هارى بطيئاً تبدو فيه الحيرة
وهو يقول :

— ولكنهما أى يا إلينور ، صحيح أنها يجوز
كالأطفال ومتعبة قليلاً ، وأنا أيضاً لأحب بقاءها
هنا ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟
فقلت لإلينور فى حدة :

— يجب أن تعمل شيئاً ، ويحسن أن ترسلها
إلى جورج ، فإنه لم يتحمل قط نصيبه من هذا العبء
وليس مهمى أين ترسلها ولكن يجب أن تيمدها عن
هنا فى أسرع وقت

سمعت صوت إيفال باب غرفتها وجلست فى
الظلام مصمومة لا أستطيع حراً كما

لقد كنت أنا التى يدور الحديث حولى أنا التى
يراد إيمدها عن البيت ! أنا « المجوز كالأطفال
المتعبة قليلاً » كما قال هارى

بوجودى إلى جانبه! وجدت من يرى أنه محتاج إلى
لقد كان ذلك معجزة! كان إجابة لصلواتي ودعائى .

فأطبقت عيني للمتعبين لأخى البومع التى غمرتهما
بغاة، والإنسان إذا كبر كانت جموع الفرح أسرع
إلى عينيه من جموع الألم والبكاء

وكانت « روث » امرأة جورج تنتظرنى فى
البيت ، ولم أكن قد رأيتهما غير بضع مرات منذ
زواجهما من ابنى ، وأذكر أنها كبيرة الجسم شقراء
ممتدة بنفسها زرقاء العينين قاسيتهما مرتفعة الصوت .
ولقد رأيتهما الآن قد تغيرت قليلاً ، إذ أصبحت أقل
نشاطاً مما كانت وأشد تحكماً ، ولكن صوتها كان
كما عهدته مرتفعاً ، وكذلك كانت عيناها على عهدى
بهما قاسيتين

رحبت بى امرأة ابنى فى فتور وقيلتى قبلة باردة
وإلى لأظن أن « روث من هؤلاء النسوة اللواتى
يحسن أن الشيوخ من الأدميين كالخيل التى أتلفها
العمل الشاق يجب قتلها متى أصبحت عذيمة النفع »
نظرت إلى « آف » نظرة تفيض بالجزع
والرعب ، فابتسمت لى ابتسامة تبت الاطمئنان إلى
النفس الحائرة وقالت :

— لقد غادر أبى البلدة اليوم لحضور اجتماع
سياسى ، وسيمود إلى هنا صباح الغد ، فهلمى إلى
غرفتك المجاورة لغرفتى ، وسأفك لك حقيقتك لأنى
أعلم أنك متعبة يا جديتى

ثم تأبطت مناغدى ومضت بى
وتفتحت وأنا أصمد معها السلم متباطئة بماطفة
الشكر تغمزنى وقلب فى نفسى : « مهما حدث الآن

فقد أصبح قلبى كبيراً يذى كما يذى كل قلب مجبور
كبير ...

كان كل ما أملكه هو أن أحاول الترفيه عن
نفسى بأن جورج يعيش فى بلدة صغيرة على مقربة
من المزرعة التى أحببتها وتمودت حياتها وفى ذلك
بعض المراء . غير أننى كنت أضطرب كلما ذكرت
أننى ذاهبة إليه غير مرغوب فى وجودى .

زلت من القطار فوقفت على إفرز المحطة داخلة
متعبة من الرحلة غريبة بين الناس حائرة فيما أفعل
ثم سمعت ورائى خطوات تجرى بسرعة ؛ وشمعت
ييد عميك بساعدى فى لطف وسمعت صوتاً يقول :

— هل أنت جدتى ؟

فخلعت فראيت أمامى فتاة طويلة رشيقة بنية
الشعر مرسلة لها عينا واسمعتان صافيتان ، تبدو
على فها العذوبة والزانة . فقلت :

— نعم أظن أننى لا بد أن أكون جدتك

فطوقتنى بتاعديها القنيتين القويتين وقيلتى قبلة
حارة ، هى أول قبلة حقيقية تلمست بها منذ ثلاث
سنوات . وقالت :

— أما « آف »

وقادتنى حفيدتى إلى سيارتها الصغيرة الزرقاء
فساعدتنى فى الصعود إليها ، حتى إذا أدارت المحرك
ابتسمت لى وقالت :

— جئاً لى لسميلة يا جديتى بقدموك !

وقمت هذه الكلمات من نفسى موقع الغناء من
نفس السكب الجانح ، وكالكلب الجائع اختلطت
هذه الكلمات متلطفة : لقد وجدت أخيراً من يسعد

فإني سأجد «آن» إلى جانبي»

نظرت إلى عيني الصغرتين الزرقاوين الماكزتين ، وإلى فه الرفيق الضعيف الذي يدل على القسوة فلم أحب ما رأيت ، لقد كان وجهه مجرداً من أمارات القوة والشفقة وكرم النفس ، وهذا هو الرجل الذي تخيرته «روث» ليكون زوجاً لابنتها !

شعرت عند ما رأيت هذا الفتى بعشة الخوف تسرى في نفسي ، ورجوت ألا تكون «آن» قد أحبته ، فقد كنت أشفق عليها من ذلك الحب لغلى بأن الشباب متلف إلى الخليل تعميه في سهولة الحالة التي تحيط بالثروة والمركز العالي .

ثم قابلت «كن ادايم» فلم تلبث أن تلاشت جميع مخاوف فيا يتصل باستيوارت با كستون وعلاقته «بآن» ، في مساء يوم من أيام شهر يونيو بينا كنت جالسة في الحديقة أقبلت «آن» ومعهما فتى طويل القامة قدمته لي بقولها :

— هذا هو «كن» يا جدتي

قالت هذه الجملة في صوت متهدج ، فنظرت إلى الفتى نظرة حادة عند ما تناول يدي المجددة وأمحنى عليها مقبلاً

كان «كن» ذا عينيْن واسمتين رماديتين ضاحكتين ، في وجهه الأشمر بساطة ، شعره أسود سميك ، فـه واسع سار . ابتسامته شيء ذكرني بزوجي جون وقد أحببته حباً شديداً لأول مرة وقع نظري عليه . وكان رداؤه قديماً رثماً وكان هو نحيل الجسم ، وعلى الرغم من ذلك قلت في نفسي : «هذا هو الرجل الذي يليق بآن» ولكن هذا إذا أمكن أن تحبه الفتاة

لقد صدق ما توقعته ، في الأشهر التي تلت ذلك اليوم ، كانت «آن» هي المستعدة دائماً للدفاع عني في حاسة وغيرة ، وهي التي كانت تغمر أياي بضوء الشمس والسعادة ... كانت تجيب على أسئلتني المتواضعة وتحذني بأخبار أصدقائها وما بهم من الشئون ... كانت تعرض علي مسائلها طلباً لنصيحتي ، كانت تاملني على أنني إنسانة حية ، لا على أنني عبء ثقيل عديم الفائدة ، فكنت أقابل هذه الماملة بأرق ما أستطيع من مظاهر الشكر وعرفان الجليل

ولولا «آن» لكانت حياتي في بيت جورج كشيبة موحشة كما كانت في بيوت أبنائي الآخرين . ولم يكن في تصرفات جورج ما يدل صراحة على عدم شفقتة ، وكل ما هنالك أنه لم يكن ليهم بي على نوع ما . فقد كان كل هم محصوراً في الصحافة والسياسة

وكان اهتمام «روث» منصرفاً إلى عملها الاجتماعي وإلى تدبير زيجة طيبة «لآن» ، ولم ألبث أن أدركت أن «روث» إنما قصدت «بالزيجة الطيبة» أن تزوج «آن» من ستيوارت با كستون ابن أحد مديري البنوك

وكنـت قد التقيت بهذا الفتى على أثر وصولي إلى بيت جورج . ولذا كنت تعودت ملاحظة وجوه الناس منذ خسين سنة وأكسبتني التجربة صدق الحكم على أخلاقهم النكاملة وراء مظاهرهم ، فقد دققت في وجه ذلك الفتى القصير النحيل ثقيل الحركة التي رأيت فيه «روث» الزوج الصالح لابنتها ،

« أن » من مقابلته في أى مكان آخر . وكان ستيوارت باكتون يزور البيت كل ليلة على التقريب وكان الجميع ، ما عداى وأن ، يقابلونه بالترحيب القلبي الحار

وفي مساء يوم من الأيام خرجت لأبتاع بعض الحاجات فلقيني « كن » في الطريق ، فرأيت قد ازداد نحولاً وشحوباً عما كان من قبل ، وقد استوقفتني إذ رآني وقال :

— خبريني يا مسز مارتن ماذا عسانا نستطيع أن نفعل « أن » وأنا ؟ إنني أحبها حباً شديداً وأبواها لا يسمحان لي بأن أراها . وإنني لأعلم أنني غير كفء لها لأنني رجل فقير ، ولكن سيأتي يوم أولف فيه كتاباً يفود عليّ بالربح ، وعندئذ أستطيع أن أقدم لها كل ما تحتاج إليه ، وإلى أن يجي هذا اليوم أعطيها كل ما في نفسي من الحب

فابتسمت لما في حديثه المتحمس من لهجة جادة وقلت :

— إنني أظن أن حبك كاف « لأن » فلا تنقد الأمل يا « كن » فسينتهي الأمر نهاية طيبة على وجه من الوجوه

واجتهدت أن أساعد « أن » بتبنيهي « روث » إلى عدم ارتكاز بنفسها « كن » على أساس مقول ، ولكنني بذلك قد زدت الأمر سوءاً . فقد أجابني في جفاء :

— أرجو أن تهتمى بشؤونك الخاصة ، وكفى تدخلًا في شؤون « أن » فإن ما تسببه لي من المتاعب كاف بدون تدخلك

ثم رأيت « أن » تنظر إلى « كن » نظرات ملتهبة ، ورأتها تبسم له ابتسامة حية مضطربة ، فقلت كما لو كانت هي التي خبرتني بأنها تحبه من أعماق قلبها حباً يدوم إلى الأبد

ولكن الأمر عند أم « أن » كان على العكس من ذلك ، فقد كانت تبغض « كن أدامز » بغضاً قاتلاً لا يرتكز على سبب مقول . فقد قالت لي مرة في لهجة غاضبة :

— إنه رجل أفاق لن يصلح لها بحال، فإنه لا يحصل حتى على مرتب محترم ! والحق أنني لا أدري أى شيء فيه يعجب « أن » !

ف نظرت إلى « روث » في دهشة ، فقد أعلم جيد العلم ما الذي يعجب « أن » من « كن » فقد أعجب بمثله من زوجي جون ، فيه الطيبة والبهجة والقوة والشرف والركة في معاملة المرأة التي يحبها ، وهذه هي الخلال التي تحمل الفتاة على أن تعمل وتحمل المتاعب من أجل رجلها وتشر في الوقت نفسه بأنها تلقى الجزاء الذي يروض عليها المشقة والتعب .

لن تكون لـ « كن » يوماً ما مثل ثروة « ستيوارت باكتون » ولكن الحياة مع « كن » سيكون أغنى من نواح أخرى ، نواح عظيمة هامة كالصالح والحب والسلام والمؤانسة

ولكن « روث » لا تستطيع أن تفهم ذلك ، فقد كانت مصممة على أن تتزوج « أن » المال والثروة ومعنى ذلك أن تتزوج من ستيوارت باكتون . فلم تسمح لـ « كن » بوضع قدمه في البيت وأمنت

قط . لقد كنا فقيرين ، كما مستكونان أنت و«كن»
في أول الأمر ، ولكننا كنا سعيدين . إنكما صغيران
وفي نفسيكما شجاعة ، ويجب أحداكم الآخر ،
فلا تسمحا لأى شيء بأن يحطم حبكما .

فرفعت الفتاة رأسها ، ورأت الدموع تنحدر
على وجنتيها ، وقد بدا في عينيها بريق لطيف ،
وقالت هامة :

— شكراً لك يا جدي ، فاني الآن أعرف
ما يجب أن أفعل ، وسأهرب الليلة مع «كن»
فباركينا يا عزيزتى .

فضممتها إلى صدرى وقبلتها ، ثم تناولت مفتاحا
من فوق مائدة إلى جوارى ، وكنت قد وضعت عليه
استعداداً لما توقعت أن سيكون ، ثم وضعت يدها
وقلت :

— هذا مفتاح بيتنا القديم في الزرعة ، والمزرعة
في كورنول على مسافة خمسة أميال من ليسكيد ،
وستجديها على خريطة الطريق ، والدار لا يسكنها
الآن أحد ، فتستطيعان أن تقصداها وتميشا فيها
إلى أن يجد «كن» ما هو خير منها ، وعلى الأقل
إلى أن يؤلف الكتب التي ستجعل منه رجلاً ذائع
الصيت

وهنا انقسمت لنفسى في الظلام ثم أتممت حديثى
في رقة :

— وليبارك الله لك يا عزيزتى .
ثم همت من فراشى فلبست رداى الصوف ،
وتسللت أنا وآن إلى المر الخاريجى ، ثم مررنا
متلصصين في الظلام بباب الغرفة التي يرقد فيها جورج
وروث ، وهبطنا بمنذ ذلك السلم إلى ردهة الطابق

وسمعت روث بعد ذلك تتحدث مع جورج في
أمرى فتقول في لهجة الغضب :

— إذا كنت لا تريد أن تزوج ابنتك من
هذا الأفاق المفلس فيجب أن ترسل هذه المعجوز
إلى أحد إخوتك ، فإني لا أريد بقاءها في بيتي !
وفي هذه الليلة نفسها نشأ بينها وبين «آن»
شجار عنيف ، حتى إذا انتهت تسلمت «آن»
إلى غرفتى ، وكان جسمها يضطرب لشدة انفعالها ،
وكانت تبكي بكاء شديداً وركعت في الظلام إلى جانب
سريرى فوضعت يدي في لطف على شعرها الأحمر
المجد ، وقد قالت لى هامة :

— ماذا أعمل يا جدي ؟ إنهم لا يريدون أن أرى
«كن» وأنا أحبه حباً شديداً وسيرغنى أوى وأبى
على الزواج من ستىوارت ، ويقولان الآن إنك
سترحلين من هذا البيت ؟

فربت على وجنتها البلهة بالدموع وقلت :
— إسمى يا عزيزتى ! قد أكون مضطرة لغادرة
هذا البيت إذا ما طلبا ذلك منى ، ولكنهما لا يستطيعان
أن يرغماك على الزواج من إنسان لا تحبينه .

— سيفعلان ! نعم أعرف أنهما سيفعلان ذلك !
إنك لا تعرفين كيف يتصرفان إذا ما اتفقا على أمر ،
وتشيتا به فإن أى ستجعل حياتى كلها شقاء إلى أن
أزوج من ستىوارت ، ولكننى أبغضه .

فنظرت إلى خط من ضوء القمر على نهاية
سريرى ، ثم قلت في تأن :

— إننى عند ما كنت في مثل سنك يا «آن»
أحببت شاباً كما تحبين أنت «كن» فهربت معه ،
وتزوجت منه بعيداً عن أهلى ، ولم أندم على ذلك

الأرضي حيث آلة التليفون ، فأضأت « آن » مصباحاً كهربائياً في الجدار

وبينا وقتت عند قاعدة السلم أقرب وأنصت لأية حركة تبدو أدركت آن رقم تليفون « كن » ، وفي هذه اللحظة سمعنا صوت تشقق لوح من الخشب فوق رأسينا ، فنظرت كل منا إلى الأخرى جاحظتين لماذا نفعل إذا كان جورج أوروث قد سمع حركتنا وجاء يستطلع الخبر ؟ ! ومضت لحظة سكوت خفيفة ثم إذا كل شيء في البيت نائم في هدوء

ولجأة جمعت آن نفسها على آلة التليفون التي حملتها في يدها وسمعتها تقول مستفهمة في صوت خافت :

« كن » ؟ أنا « آن » أريد أن أقول لك إنك كنت على حق حين قلت إننا يجب أن نهرب ، وسنهرب الليلة ونزوجه أسرع ما يمكن ! نعم سنهرب في اللحظة التي تصل فيها إلى ... نعم ! نعم ! أنا أقصد ما أقول ... إلى أحيبك يا عزيزي !

وإني لاستطيع أن أتصور النشوة والجذل اللذين غمرا « كن » عند سماع هذه الكلمات

وأعادت « آن » سماع آلة التليفون مكانها في هدوء وعانتني بكل ما فيها من قوة ، وكانت عيناها ترفقان من شدة الانفعال ، وقالت :

« شبيكي أصابعك من أجلنا يا جدتي إلى أن نبتعد عن هذا المكان

وعندما فصحنا السلم متصلصين ، وساعدت « آن » في سرعة سامنة في إعداد حقيبتها ، ثم حملنا الحقيبة إلى الطابق الأرضي ، وفتحت « آن » رتاج الباب بأصابع مرتجفة ، ولم تكد تخطو إلى العتبة حتى وثب

« كن » فماتها في شدة كأنه يخشى أن تفلت من بين يديه وهو لن يسمح بذلك أبداً

وابتسمت وأنا واقفة في ضوء الردهة الضئيل منذكرة الماضي — لقد كان ساعدا جون فتيتين قويتين كساعدي « كن » وكان قلبي ينبض شوقاً وعيناي تشعان ببريق الأحلام السعيدة شأن عيني « آن » في هذه الساعة

وقبلاني قبة الوداع ثم جريا ممسكا أحدهما بيد الآخر إلى حيث كانت سيارة « كن » العتيقة في الانتظار عند الباب الخارجي

وأقفلت الباب وأوصدت رتاجه ، وأطفأت مصباح الردهة الضئيل ، ثم تسلمت في هدوء إلى غرقي ، ولم أثبت أن نمت نوماً عميقاً هادئاً ، وأنا لا أزال أشعر بمذوبة قبله آن على وجنتي المجددة المجوز ، عالة بأن هذين الصغيرين يسرعان في الظلام في طريق الحرية ، ولم أعد أبالي بما قد يصيبني بعد أن مهت « لأن » الطريق إلى السعادة

وبعد أيام قليلة تسلمت تلعزفاً جاء فيه :

— لقد تزوجنا ونحن سميذان ونحب الزرعة والحياة فيها ، شكراً لك يا جدتي وتقبل حبنا وكانت الرسالة موقعة في كبرياء باسمي « آن » وكن آدامز »

وعتذرت هبت الزوبعة ، فهبت روث هذياناً جنونيا ونطق جورج ببيارات شديدة لا تقبل الغفران . وحملني كلاهما مسئولية هرب « آن » وزواجها وقال لهما لن يغفرا لي ذلك أبداً ، وقد نصنا على حياتي في الأسابيع القليلة التي تلت ذلك الحادث ، رافضين أن يبادلاني الحديث إلا إذا دعت .

وقد قال في لهجة منغمة :

— لقد وجدنا معدن الصفيح في الحقل الجنوبي .
وجدنا معدن الصفيح ، فهل تفهمين معني ذلك ؟
ستصبحين غنية يا جدتي ! فأخضري في الحال
تركت سماعة التليفون فوجدتني أنا أيضاً مضطرب
انفعالاً ، وحضر جورج وروث إلى الزهرة ونظرا
إلى عمليتين وتساءلا :
— ماذا هناك ؟
فأجبت :

— لقد أخبرني « كن » الآن أنهم قد وجدوا
معدن الصفيح في المزرعة
فنظر جورج مبهوفاً وقال :
— الصفيح ... مرصحي مرصحي يا أمي إنك
ستصبحين غنية
واندفعت « روث » نحوي فطوقتي بإساعديها
وصاحت :

— يا للعجب ! لا تتفكرى في مناصرة هذا البيت
أيتها الأم العزيزة ! يجب أن تفكرى رباط حقيقتك
في الحال ! وإنك لتستطيعين أن تنتقلي إلى غرفتنا
فهي أحسن غرفة في البيت . وسينذهب جورج
إلى المزرعة ويتولى الإشراف على العمل بنفسه ،
ألا تذهب يا جورج ؟ والآن يجب أن تكلمى إليه
كل شيء

ولكننى ابتعدت عن روث وقلت في فتور :
— لا ، وشكراً لك فإن « كن » و « آن »
في انتظارى وسأذهب إليهما ، فالزراعة مريعة
والصفيح صفيحي وسأولى الأمر بنفسى
فيما الحزن على روث وقالت :

لذلك ضرورة ملحة ، فأشعرانى بذلك أننى ازدت
عن أى وقت مضى . بأننى غريبة في بيوت أبنائى
وكتبت آخر الأمر خطاباً إلى ابنتى جين أسألتها
فيه في تواضع إذا كنت أستطيع أن أزورها ،
فأجابتنى بأنه يستحيل عليها أن تقبلنى في دارها قبل
اتهاء فصل الصيف
وكانت خطابات « آن » هى الشماع الوحيد
الذى يضيء ظلام حياتى . حتى إذا جاء شهر أغسطس
تلقيت منها خطاباً يقول فيه :

« إلهى حقيقتك يا عزيزتى واحضرى إلى
المزرعة . إننا هنا سميدان كل السعادة ونشعر بالحاجة
الشديدة إلى وجودك معنا . فكل بيت يحتاج إلى
جدة تراه ! و « كن » يشتغل بالفلاحة في النهار
وفي الليل ينكب على تأليف كتبه . وهو راغب أشد
الرغبة في حضورك . ويمكنك أن تخبرى بقية العائلة
أن ليس بأحد منهم من حاجة في إيوائك فأنت لنا
دون غيرنا ! لقد مهنت طريق السعادة « لكن »
ولى فنحن نحبك من أعماق قلوبنا »

قرأت هذه الكلمات المذبة من خلال الدموع
التي ملأت عيني ، ففاض قلبى بشعور عظيم من
الراحة والرضا . فقد أيقنت أن الحياة لن تكون
بعد اليوم حرباً على ، فقد وجدت من يحببني ويحتاج
إلى وجودى معه ، وقد أصبحت ملكاً لأناس
يحبوننى . إننى لن أكون وحيدة بعد اليوم وستصبح
الحياة عذبة سعيدة

وفي ساعة مبكرة من الصباح قبل بضعة أيام
من الموعد الذى حددته للسفر إلى المزرعة تكلم
« كن » مئى تليفونياً ، وكان صوته يهتر انفعالاً ،

الفصول والغايات

مميزة الشاعر الماتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طرقة ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمّد وسرحه وطبعه الأستاذ

محمّد حسن زباني

ثمة ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لا مريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

— ولكنك لا تستطيعين أن تذهبي ، بل يجب
أن تبقى هنا معنا يا عزيزتي وهذا البيت يتك ...
ونحن ... نحن محتاجون لوجودك معنا ...

فابتسمت في نفسي .. فصحيح أن روث محتاجة
الآن إلى وجودي معها ، فقد أصبحت شبيخة غنية
بعد أن كنت مجزاً مفلسة . هذه هي أخلاق روث
كذلك كان أبنائي الآخرون على شاكلة جورج
وروث ، فلم يكذب توم وآلان يسمعان الخبر حتى
حضرا الزيارات ، وقد سمحا دعوتين ملتجئين من
زوجتيهما الماهرتين ترجوان فيهما أن أعيش معهما
وكذلك أرسلت لي جين تلعرافاً تسألني فيه أن أذهب
في الحال إلى لندن ، ويظهر أن وجودي قد أصبح
خفيفاً عليها فلن يقلق راحتها في شيء .

وجاءني أيضاً تلعراف من هاري وإلينور يؤكدان
فيه أن الوقت مناسب جداً لعودتي إليهما ، فابتسمت
مرة أخرى ابتسامتي الخفيفة . وقلت في نفسي :
— إنهم جميعاً يفكرون في أنني سأموت بعد
قليل ، ويطلبون إلى الثروة التي سأتركها .

كان هذا شأنهم جميعاً ما عدا « آن » و« كن »
فهما اللذان احتاجا إلىّ عند ما لم أكن إلا جنة .
لم أزد على أن كنت شبيخة ضئيلة الجسم متواضعة
حنونا أحبتهما من كل قلبي .

فالآن سأذهب إليهما ، وستكون الثروة التي
يدرها عليّ منبر الصفيح روثهما بالغا ما بلغ مقدارها .
لقد كان الله رحيماً كريماً يواسي القلوب الكليمة
بأسلوبه الحكيم ، لقد أفاض تعالى نعمته على عباده
الحائزين صفاراً وشيوخاً ... نعم لقد كان الله كريماً
رحيماً . . .

عبد الحميد حمدي

منيرة سم شاه محرومة « مجلة الكتلة
الاسلامية » . وقد وصفت فيها الزلفة
مصحداً صغيراً من معاهد مقاومة
السكان الدينين المسلمين في الصين
للمتدين . والقصة للفصل في هذه
المرحلة حقيقة واقعة ، فهي جديرة
إذن باهتمام القراء

الزمام : أول أليم سقوط
سينتينج في يد اليابانيين (٤ أبريل
سنة ١٩٣٨)
المطامير : في الجامع الأكبر بمدينة
سينتينج . ولاية ساتونج بالصين

زئير الصين

مَسْرُوحَةٌ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ

لِلْآنَسَةِ مُنِيرَةٍ سَمِيحَةٍ شَاهٍ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ إِبْرَاهِيمِ ت. ج. مَا

نُورَتُهُ لِلْعَصْرِ

صحت القلوب من سباتها العميق على دوى الدافنم في البلاد
التندبة الجديدة ، ولم تفض عن هذه القاعدة بلاد الصين
التي يبلغ عدد سكانها ٤٥٠ مليون نفس منهم ٥٠ مليوناً
من المسلمين . لقد صرفت الصين الحديثة منذ أقدم العصور ،
حينما كانت سائر الشعوب غارقة في ظلمات الوحشة ، وحملت
مصباح الحضارة فأشادت الطريق للأمم بواسطة فلسفتها
السنية . وأخيراً دججت بخطى سريعة في سبيل التقدم
والتهنئة منذ اتحادها في سنة ١٩٢٦ فبرهنت للأمم الصديقة
أنها تستطيع النجس على منوالها والسير على مثالها والحياة معها
على أحسن ما يرام من الوفاق والوئام

لكن هذه التهنئة المباركة التي نالت إعجاب الأمم والعموم
لم ترق لبلد كانت تربطه بالصين صلات الأخاء والجوار ،
بل كان أول من ورث عنها الدنية والحضارة . فقد اعتقد
هذا البلد أن تقدم الصين سيكون خطراً عليه . إلا أنه أخطأ
كل الخطأ ، لأن الشعوب الصينية في الجمهورية الوسطى ليست
من سلالة جنكيز خان أو تيغورلوك

وفي ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ بدأ الهجوم على هذا الشعب
الأمين السالم ، إذ هجم أعداؤه دون مير مقول على بلاده
المتقلة متدينين بإحتلال قنطرة لوكو (المرفوعة عند الأوربيين
باسم قنطرة ماركو بولو)

ثم تحمل الشعب الصيني من صنوف ألهاماته كالأعتدادات ،
وأخيراً ميل صميمه وهو الشعب الذي اشتهر في التاريخ
بجعل المكره دوت أن يشكو . فوج الصينيون
على حب السلام ، مما جعلهم ينفرون من تسوية الأمور
بالسيف والنار . أما الآن فقد غيرت ظروف القادير طباعهم
فأصبوا شعباً مجاهداً ، مولوا بالحروب ، شعباً مدافعا عن
نفسه ، فبالآن ينجب العالم وتقديره

ولينا على مسرحية قصيرة في فصل واحد ، بقلم الآلة

الاشخاص : الشيوخ : —

الامام وانج (في الصين يمكن الامام عادة في الجامع
ويحوي هذا الشؤون الدينية الجزئية الأكبر من شؤون بي
دينه وهو شيخ بلمية طويلة)

للؤذن ما : رجل من بلمية طويلة

الوجه يايج : رجل من بلمية طويلة
أشخاص أصغر منهم سنا : —

الوجه لي

المرأة أ

الشبان : —

سينجيان يايج (ابنة الوجه يايج)

أنتيا يايج (ابن الوجه يايج)

الرجل آ

الجوع : —

اتنا عمر رجلا وامرأة لاجئون في الجامع

اتنا عشر جندياً يابانياً

المصير : وجهة فاجعة كبرى . نظيفة جداً . آية في

قاعة البناء . حوائطها مدهونة باللون الأخضر وزينة
بتقوش بالغة الرمية على شكل أهلة يضاء . وإلى جانبي
القاعة بابان . وبجوار الباب الأمير لوحة زينة بالرسوم
والخطوط الرمية . وقد علفت في هذا السكك لاختفاء
عرج مفلق

وفي القاعة منبر ولوحات صغيرة معلقة بالخطوط الرمية ،
وأرضها مفرشة بالأبسطه الثمينة ، من صناعة سينتياج ،
والقاعة منسمة قسمين بحاجز خشبي متقل (بارافان)

رفع الستار : صوت مطر يسبح من الخارج ، فيحدث
اهتاساً في النفس ، وجو ساكن عزن في الجزء الأمامي .
من القاعة يصر بخرق وتوقع كارتة فاجحة . الامام وانج
يسبح ذهاباً وإياباً مضطرب الأعصاب . ويتندب حيناً بعد حين .

ما رأيكم في أن نذهب لمقابلة اليابانيين
الوجيه لي — أظن أن هذا هو الحل الوحيد ،
سنفهمهم أننا رجال مثلمهم ، وأنه يجب أن يكون عندهم
شيء من الرحمة (استؤثرت الطرقات بعدة خلف اللوحة
وساد الوجوم في القاعة)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : أيها المؤذن ما !
افتح الباب ودعنا نخرج . إننا لا نستطيع البقاء
مختبئين في هذا المكان . زريد الخروج . إن الحالة
لا تطاق هنا

المؤذن ما — (مقرباً من اللوحة) إلزموا الهدوء
قليلاً ، تحملوا الظلام بغير . ألا تعلمون أن اليابانيين
قوم لا رحمة في قلوبهم ؟

من خلف اللوحة (صوت امرأة) : دعنا نخرج .
زريد أن نحدثك في أمهم

الوجيه يأتي — (متجها نحو اللوحة) : منجنتان !
بنيتي منجنتان ! إن اليابانيين هنا . إنهم في الشوارع
المجاورة . أصنى قليلاً إلى دوي الدافع الرشاشة
والبنادق (تسمع أصوات الدافع) . إبقى في مكانك
ولا تتحركي . إصبري قليلاً في الظلام . فقد ينقذ
حياتك وحياة أخيك وزملائك من الهلاك المحقق
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : سمعنا
كل شيء يا أبناء ، لكنني لا أستطيع تحمل الظلام
أكثر من ذلك ... يا أعمار ! وا خجله من الشباب
الصينيين !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : احترس
من السحاب للقاء اليابانيين أيها المؤذن ما . إنهم
أناس لا رحمة في قلوبهم . إنهم شياطين لا يتحدثون
عن العدل ولا يدركون له معنى . فإذا ذهبت فلن
تعود بالفشل فحسب ، بل تعرض حياتك للفناء
الحقق . ألم يأتك خبز ما ارتكبهه من المذامح في البلاد

نهما عميقاً مداعبا لحية بحركة عصبية . والوجهان وانح ول
جالسان على مقعدين في حالة وجوم ، ويقفان بين وقت ووقت
بنظرهما على الإمام وانج . ثم لا يلبث أن يقطع صوت الطر
ويطلب عليه دوي الدافع الرشاشة .

الإمام وانج — (يقف فجأة) اسمعوا . لقد دخل
اليابانيون المدينة

الوجيه يأتي — (مرعفاً) آه !
الوجيه لي — (رافضاً يد إلى السماء) اللهم إليك
نسلم أمورنا ، لقد قطعنا سنة لا تسمح لنا بحمل
السلاح ، للدفاع عن المسجد ، وعن حياة الآلاف
من إخواننا . اللهم نسألك موتك (ثم أطرق رأسه
بيناً أخذت أصوات الدافع الرشاشة والبنادق تردد وضوحاً)
الإمام وانج — (واقفاً أمام الجدران ، وقد وضع
يده على جبهته كانه أدرك شيئاً) كلا . إن الله لا يحب

الجبنة وبرغم تقدمنا في السن ، يجب علينا أن نسير
إلى الأمام ونواجه الحوادث ، حتى نتفقد الآلاف من
إخواننا . لنقل لليابانيين إن هذا هو المسجد فيتمتع
منجنتا امتيازات وحمايتنا . (للؤذن يدخل من الباب
الأيسر بخطى سريعة تاجه وهو يرتدي جلباباً أسود)
المؤذن ما — أصبت يا سيدي الإمام وسأذهب

ملك لمفاوضة هؤلاء اليابانيين ، والإسراع خير من
الانتظار ، لأن مئات من الناس أسلموا لنا وأرواحهم
فأزيناهم في المسجد فهل يمكن أن نظلوا إلى ما شاء
الله في الظلام . (اقتربت طلقات الرصاص . وسمع من
خلف اللوحة التي تخفي باب الخروج طرقات قوية متوالية)
الإمام وانج — (مشيراً إلى اللوحة وعظماً ما)
كيف الحال هناك ؟

المؤذن ما — (أخرج مفتاحاً من جيبه) الحالة
حسنة ، والباب مغلق بالفتح ! لكن الظلام جالك
وعدم كبير

الإمام وانج — (مخاطباً يا ج ولي وهو يتهد)

الإمام وأنج — على أنه لو نزل بنا مكروه لما أسفنا على ذلك أمام خالقنا وبني ديننا .

المؤذن ما — هذا صحيح يا سيدي الإمام . سنبدل أقصى جهودنا لمحادثتهم، وإن أخفقنا فنسوى الأمور بهذه (معياراً إلى قبضة يده — الجميع ينسكون بصوت عال)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : علام عولم هل تواجهون اليابانيين ؟ إنه جنون . ستلاقون حتفكم جميعاً . دعونا نخرج ، فمن واجب الشباب أن يذهب لتسوية الحساب مع العدو . (صوت امرأة) : لا . لا . أوصل إليكم . لا تذهبوا . إذا وعدتم ببقائكم كففتنا عن المطالبة بالخروج ، وثرمنا الهدوء ولم نضايقكم (صوت نهد)

الوجيه يا نج — وهو كذلك . الزموا السكينة فالشيوخ لن يخطأوا بحياتهم (بصوت غات) ومع هذا .. من خلف اللوحة (صوت رجل) : لا حرية بلا قوة .

(صوت امرأة) : إذا لم نقتصم بالقوة ، فلن يأتينا المدد من السماء .

الوجيه يا نج — (بصوت مرعيف) : هل نذهب لنناقى حقتنا بظلفتنا : كلا .

الإمام وأنج — (بصوت متهدج) : لم يبق لنا إلا هذه البارقة من الأمل .

الوجيه يا نج — إهدأوا يا أولادى سنفتح لكم من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : حقاً . ما أسعدنا : إذا ستبقون هنا معنا .

الوجيه يا نج — نعم يا أولادى من خلف اللوحة (صوت رجل) : هيا بنا لنخبر الآخرين يا متجان . إنه لنبا عظيم (وهم أقدام ونهيد وطني حماسي ... القساومة . القساومة ... اقتراب يوم (٤)

التي فتحوها ؟ ألا تدري أنهم يجهلون المبادئ الإنسانية ولا يفهمون إلا فلسفة الدم ؟ ... إنهم وحوش ضاربة يقتربون من الإنسان ...

الوجيه يا نج — (مقاطعاً) : حسن جداً ، كلنا نعرف اليابانيين على حقيقتهم . فآزموا السكينة انتظاراً لقرارنا ...

من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : يا أبتاه قل للمؤذن (ما) إنني لأستطيع الانتظاراً أكثر من ذلك ، أريد الخروج بل أفضل الموت على البقاء هنا . إن اليابانيين بين يدينا . أريد الدفاع عن نفسي والهجوم عليهم باسم أمي وديني وشرقي . أنت تعلم أنني كنت دائماً سريعة التأثير قليلة الصبر ، فهل يرضيك أن أختنق هنا حية ؟ ... أبتاه ... أبتاه ... دعني أخرج ... (صوت رجل) : ماذا تنتظر هنا ، الموت أم الحياة ؟

الوجيه يا نج — واحسرتاه ... ولكن ... (متجهاً إلى المؤذن في حرة مصيبة) افتح الباب . ودع أولادى يخرجون . لا مانع لدى ما داموا يريدون التضحية بحياتهم في سبيل الأمة والدين . بل إنه لشرف عظيم .

الإمام وأنج — (اجذب إليه الوجيه يا نج وهمس لي أذنه) لا تسرع في الأمر . واعلم أن اليابانيين لا يرجون الشباب ، فالأفضل أن نذهب نحن ونحشدتهم بهدوء ، لن ينزلوا بنا أى عقاب ، أو كد لك ذلك . (غل الوجيه يا نج صامتاً واكتفى بالإيعاء برأسه ثم تبع الإمام) الوجيه لي — أنظر إلى لحانا الطويلة . إنهم لن يلحقوا بنا أى أذى ، وسيحترمون بلا شك الرجال المتقدمين في السن ، أو يتساعون معهم على الأقل . ومع ذلك فهل هم يهتموننا أحياء ويأكلوننا لحماً وعظماً ؟

جريح . وقد بدأ أصغر سنا يرغم السماء المنخفض بها جسمه .
يسلم بأبشمة مرة . ويضئ جرحه . فيحاول النهوض ،
ولكنه يسقط مضطجعا . صمت دقيقتين على السرح ، ثم
تسمع أصوات الطلقات على مسافة بعيدة للدلالة على أن العدو
لا وجود له تحت الأضواء الجديدة التي تطلأ بها جوش
الامبراطورية اليابانية أرض الأعداء

من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : أخى .
أنتظن أن مصابا حل بأيتنا ؟

— (صوت رجل) : إفهمي جيدا يا منجتان .
إن مئات الألوف يذبحون بسيوف اليابانيين الماضية
فن ذا الذي يضمن أنه لن يحدث شيء لأبني ولنا
أيضا ؟ لقد أمرنا الله عز وجل أن نصد هجمات العدو .

فلماذا نبقى نختبئ هنا . إن هذا الجبن يؤلم نفسي .
أكد أجن من شدة الأمسى . وأتساءل : لماذا لجأنا
إلى هذا المكان ؟ يا للعار ! ألا يفتح لنا المؤذن ما
هذا الباب لتخرج ؟ ... نعم يا أختاه ، لقد أصبت
في قولك . إن اليابانيين بين أيدينا . فيجب أن نأق
عليهم درساً قاسياً ، احتراما للأمة ولدين ولأفئتنا
— (صوت امرأة) : نعم يا أخى ، لقد فهمت
ولو كان أبى ... فيجب أن أفكر في بنى وطنى
الذين يتألمون .. لا . لست مريضة .. (تهرع الباب ،
افتح لنا . أيا المؤذن ما ... تريد أن تخرج لنقتل
اليابانيين (طرقات قوية جداً)

الوجيه لى — (يستيقظ ويثنأ أننا مؤلما) آه !
آه ! إني أتألم .. أتألم ألما شديداً . (تكب الطرقات)
آه آه آه ! يا لهول المصاب !

من خلف اللوحة (صوت رجل) : أنسمعين ؟
ترى من هذا ؟

— (صوت امرأة) : من أنت ؟ هل أنت أبى ؟
من أنت ؟ أجب !

الوجيه لى — أنا ... أنا ... لى ...

من خلف اللوحة — هو اللى لى . ماذا حدث
لك ؟ أين الآخرون ؟

الاتصار والجهد ... ثم يبتد صوت الشئيد) ... (أما
الأشخاص الظاهرون على السرح فيلزمون الصمت ... ثم
يضرب المؤذن ما الأرض بقدمه متحسا غاضبا)

المؤذن ما — لقد أن أوان الاستشهاد يا إخوانى
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه . المدم
غالبه هو الطريق الوحيد للحياة الأبدية الخالدة ،
أليس من واجبا أن نشيد صرح السلام في هذا العالم
الغارق في السماء ؟ لقد نشدنا الحق فوجدناه . أنظر ،
إنه شاخص أمامنا . الله أكبر . الله أكبر .
(ارتسم السور على جميع الوجوه)

الإمام وأنج — (ود رفع الأربعة أيديهم مبسوطة
إلى السماء أمام صدورهم) الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم . اللهم سدد خطوات جميع محبي السلام ، آمين .
(ثم يخرجون من السرح وتسمع خطواتهم من خلف اللوحة)
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : أيتاه .

(صوت رجل) : أياها الإمام وأنج . (صوت امرأة) .
أياها المؤذن ما . (تسمع طرقات شديدة خلف اللوحة ثم
تخف الطرقات شيئا فشيئا . وجماعة تسبع طلقات نارية
هل مسافة قريبة من المسجد . وتلبها ضجعات عالية وحشية)
(صوت امرأة) : آه إلى أشعر بضيق في صدرى .
قلبي يحدثنى بأن الكارثة على وشك (صوت جسم يسقط)

(صوت رجل) : منجتان . استيقظي . استيقظي
أنهضى (وقع أقدام وأصوات كثيرة متضاربة) شكراً
بإسديتى وسادتى . لقد تحسنت سمعتها الآن بمد أن
أعظم عليها فرعا من أصوات الطلقات النارية .

(صوت امرأة) : هل تعلم يا إنيشاج أن أبى
وزملاء ذهبوا للملاعة اليابانيين ؟ ترى هل أصيب أبى
ورجال الدين بمكرهه ؟

(صوت رجل) : لا . لا أظن ذلك . أنغمضى
عينيك واستريحى قليلاً يا منجتان

(تخف الصرخات وكذلك طلقات النار ويبدو صوت
المطر . يدخل من الباب الأيمن رجل زاحف على بطنه يخيف
العنكب مبللة بنياه بلقاء السماء . هو الوجه لى . ويظهر أنه

— (صوت امرأة مضطرب) : إني خائفة يا أخى ..
خائفة جداً

الوجيه لى — إهم .. إهم ... آه ! آه !
ما أشد آلامى !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : سنأتى
إليك فى الحال يا عم لى ... إنا على استعداد ...
(ركلات أقدام قوية على الباب الذى تخفيه اللوحة ، حتى
كادت تسقط من شدتها)

الوجيه لى — تماكوكوا قليلاً .. لا يوجد شئ هنا

(لكن ركلات الأقدام على الباب تشدد فيصبح صوت الشيخ
غير مسموع) لا ... لا شئ ... إن الذين يريدون
السلام راقدون الآن فى سلام ... لا يخرجوا
(يزحف على الأرض متسائلاً آلامه للبرحة) أما ...

لم أصب بشئ ... لكننى أخشى عليكم (وأخيراً
تسقط اللوحة من شدة الضربات وتخرج جوع من الرجال
والنساء كالليل الجارف بعد كسر الباب . وقد بدا على
وجوههم الهول والزرع وأثر السنين الطويل . وتظهر فتاة
« فى المقدمة » . ثم تملكهم البهشة عند ما يرون الوجه لى
غارفاً فى دماغه)

منجتنان يانج — (عقرب بسرعة) عمى (لى)
انشيايغ يانج — (يبت مع أخيه) الدم يسيل
من جبهته (يبت فى موضع آخر) لا ... لا شئ
فى موضع آخر (يمزق قبضه ويطلبه أخيه) خذى
ضمدى الجرح هنا

منجتنان يانج — (تضمد جرح لى) إنه لفجر
عظيم أن تسقط جرحي يا عماء ... والآخرون ؟
(ترتد) وأبى ...

انشيايغ يانج — (يرفع لى ويستند إلى صدره) عماء
الوجيه لى — (عيناه مضطربتان . يفتحهما قليلاً
وينظر إلى الشبان) أما أنتم ... أما أنتم ... فأخرجوا
من هنا (مشيراً إلى الباب الأيمن)

الرجل أ — نعم (ضم قبضة يده بشدة) سنخرج
لنهمز أولئك اليابانيين الشياطين

الوجيه لى — هيا . إنذهبوا ... إنذهبوا ...
(تبدو على شفاهه ابتسامة مرية وحركة تدل على محاولة
إخفاء الألم) هيا ... إنذهبوا ... إن الذين أجبوكم
راقدون فى ركن الشارع الغربى . ألقوا إلى هنا
هؤلاء الشيوخ الأجلاء (يمشى عنيبه) اللهم اسلمهم
ببركتك واجعل جنة النعيم مأواهم !

الرجل أ — باسم الله وباسم الدم الذى ورنناه
عن أجدادنا ، لن نحاف شيئاً وسنكافح إلى النهاية .
هيا بنا . هيا بنا ...

الجموع — هيا بنا . هيا بنا (اخذت الجموع
من المرح ، وقد حاولت منجتنان يانج أن تنهض لتلحق
بهم ، ولكن الوجه لى منعهما)
الوجيه لى — لا . لا . إبقى معى ، إبنى فى حاجة
إليك . إبقى معى قليلاً !

منجتنان يانج — أصررك يا عماء (تنظر إلى لى الذى
كان يبدو عليه ما يدل على رغبته فى الكلام ، بيد أنه صمت)
انشيايغ يانج — ننقلهم إلى هنا (غاطبا لى)

إذن فأتى والآخرون جرجوا أيضاً وحالتهم خطيرة
جداً ، ولا يستطيعون السير على أقدامهم) منجتنان
يانج تحلق فى أعقابها (

الوجيه لى — لا .. نعم .. إهم .. (تسمع عيناها)
منجتنان يانج — عماء . إهم ...

الوجيه لى — (مضطرباً) ستملئون ذلك فبايعد
(مسكاً بيد انشيايغ يانج) يا ولده لم نشأ الاستماع إلى
نصيحتك ، فكانت النتيجة أن الإمام وانج والمؤذن
ما ووالدك كلهم ...

انشيايغ يانج — (يحلف فى لى يهدوهم تام وقد
انفتح وجهه ...)

منجتنان يانج — (مضطربة) ماذا ؟ كلهم
يا عماء ؟ ماذا حدث لهم ؟

الوجيه لى — أصنى يا بنيتى . لقد اعتقدنا أن
إخفاءكم فى ركن مظلم من المسجد ليس بالوسيلة

مبلاكا بالأماء بالهم، وفي بادى الأمر كنا معاً وحاولنا النهوض ، ولكن جهودنا ذهبت سدى . كان بعضنا يصرخ من شدة الألم ، وبعضنا يئن ويذكر اسم الله ... وبعد دقائق قليلة سكتوا ... وأصبحوا لا يتحركون . ثم سمعت ديب أحذية حديدية مرت بجوارنا تتخللها ضحكات سخرية . حاولت أن أقف فاستطعت ، وبعد جهد جهيد اقتربت من زملائي ومسست أجسامهم فوجدتها باردة كالثلج . نعم . لقد رقدوا في سلام ..

انشياخ ياخ — حسن ! سرود إلى أعدائنا تلك الطلقات النارية، سننتقم، سننتقم (ضحك مرعوم)، الوجيه لى — (خطابا متجان ياخ) إلى متالم لصايك ، ويكاد قلبي تنفثت من شدة الأسف . لكن صبرا جيكا . فقد كان أبوك وزميلاه رجالا صالحين في هذه الحياة الدنيا . واستشهدوا في سبيل أمهم . وهم الآن في جنات الخلد حيث ينعمون بالجزاء الحق ورضا الملى العظيم . (يسود السكون المرح ويتخلله انتحاب متجان ياخ . تبتعد أصوات الطلقات النارية ويدخل رجال يحملون ثلاث جثث مفرجة بالعماء، وتحمل متجان ياخ ويكي) إنشياخ ياخ — (يرك الوجيه لى ونهش) : أبتاه . يا أيها الإمام . يا أيها المؤذن أقسم بالله أننى سأخذ بثأركم (يحاول الخروج فيسك بتياه الوجيه لى) كلا . يجب أن أذهب (يمتنه الوجيه لى مرة أخرى) سأواجه الموت للانتقام . من أولئك اليابانيين الملعونين . إن وجيى يحمر خجلا أمام بنى وطنى . على أن الوقت مازال متسعا للانتقام (بكاه) الوجيه لى — (يكهك عبارة) هيا انقلوا جثث المتوفين إلى غرفة الأموات (رجال يحملون الجثث ويخرجون من باب آخر . خطابا انشياخ ياخ) ساعدنى على النهوض ، لأننى أريد الانضطجاع على سرير لأستريح (انشياخ ياخ يساعده على النهوض ... خطابا

المثل لإيقاظ حياتكم . وكنا نعلم حق العلم أيضا أن لا جنوى من التحدث في العدل والإنصاف مع اليابانيين . ومع هذا فلم نتردد في الالتجاء إلى محاولة أخيرة ، عسى أن نجد في قلوب أولئك القوم شيئا من الشفقة والرحمة . نعم إننا أدركنا ما في نصائحكم من سداد الرأي ، لكننا ظننا أن اليابانيين سيحترمون سننا المتقدمة ولحانا الطويلة ... وأنهم ... أنهم ... فهل هناك من يتصور أن الشيوخ الكبار لا يمكن أن يتنجوا من برائن هذه الدواب الصاروخية ؟ نعم . وأأسفاه . هذه هى الحقيقة المؤلمة . لقد ذهبنا برغم ذلك . كانت الطرقات مقفرة كأنها قبور موحشة ، أو ميدان الوعى غداة الوقعة . خرجنا إلى الشارع . سمعنا أنز ... زرز ... (وأشار إلى الجهة الغربية بصوت خفقه العبرات ... طى حين تبدو متجان ياخ في أشد حالات الاضطراب) وأصابنا مصاصة .. أصابت .. أصابت ... أبلك ...

متجان ياخ — لكنه لم يمض .. أليس كذلك ؟ الوجيه لى — مات ... وأأسفاه . متجان ياخ — آه . آواه . واحسراه عليك يا أبى (بكاه) وأأباه تقسم بالله الملى العظيم أننا سننتقم لك (يسمر الوجيه لى فى الأيمن من شدة الألم ... وتكف متجان ياخ عن البكاء شيئا فشيئا) انشياخ ياخ — سنذكر إلى الأبد عدونا اللدود يا شقيقى . أتمسعين ما أقول ؟ متجان ياخ — (تساقف البكاء)

انشياخ ياخ — خبرنا يا عمى (خطابا الوجيه لى) ماذا حدث للإمام وأجى والمؤذن ما ؟ هل قتلا أيضا بأيدى أولئك الشياطين . (متجان ياخ مطرقة الرأس تستمع باهتمام)

الوجيه لى — لقد أصيبوا جميعا لسوء الحظ . أصيبوا بطلقات الرصاص وقتلوا لساعتهم وجرحوا أيضا ثم سقطت إلى جانبهم . لم أعرف هل كنت

ضحكا هاليا ... تنهقر متجبان يانج قليلا نحو الباب الأيسر
ها ... ها ها ... لا تهربي منا يا آفسة ! تحضر المرأة
الأخرى مضطدة فيجلس عليها الجنود اليابانيون ويصففون
بقياتهم على متجان يانج . قهقر من الباب الأيسر وتفر
للرأة الأخرى من الباب الأيمن ويركض الجنود للاعتصام .
تسمع من خلف الأبواب أصوات : أسكوا بهم ... أسكوا
بهم . وبعد لحظات يظهر الجنود الستة موقفة أيديهم وأرجلهم
ويسفهم على المسرح إلتسانج يانج ومنجان يانج وفي يد كل
منهما بندقية يابانية

أنشيانج يانج — (يبحث في جيوب الجنود ويتدبرع
منها السدسات وأكياس الرصاص . ثم يشر على جلي ثينة
وغيرها من التفاس التي تزين بها السيدات) لا تخافوا ،
سنرد إليكم هذا الرصاص في الحال (ضحك سرية)
الرجل أ — لنذهب بهم داخل الحجرة لبروا
الذين اغتالوهم وليؤدوا نحن ما جئت بدم

انشيانج يانج — سنفضي على جميع الذين يأتون
إلى هنا بائسين عن الهلاك !

الجموع — لن يخرجوا من هذا المأزق (يصففون
الجنود نحو الباب الأيسر . ثم تسمع ست طلقات نارية ...
وتنود الطرقات على الباب الأيمن . تفتتح المرأة نفسها ويظهر
على المسرح ستة جنود يابانيون آخرون . يستدوهم متجان
يانج إلى الباب الأيسر ، وتخرج بهم موني الدين والقدمين .
ثم يقذف الجنود الستة إلى الباب الأيمن خلف المسرح ...
وأخيراً يعود الجميع وقد حل كل منهم بندقية يابانية)

انشيانج يانج — الآن وقد أصبح لكل منا
بندقية يابانية سنرد لهم رصاصهم (ثم يصفف الرجال ثلاثة
ثلاثون يخرجون من المسرح وهم ينفدون النشيد الآتي :)
هل تسمعون دوى مدافع الأعداء التي تخرب
حقولنا ومنازلنا ؟

هل تسمعون أزيز الطائرات التي تلتقي بقنايلها
تصفق مدتنا الأهله ؟
قلنهض ! قلنهض !

سنكافح الى آخر قطرة من دمنا لحابة وطننا .
المزج !



منجان يانج : ضمي القفل في الباب (الوجه لى يسر
يسطه متكئا على كنف انشيانج يانج . وتضع متجان القفل
في الباب)

منجان يانج — (واثقة بجوار الباب تنظر إلى الله
المنخفضة به الأرض) : اللهم ... اللهم ... هذا دم أبي ...
هذا دم بني وطني ... لقد سقطت مدينة تسليج
في يد الأعداء . لقد هزمت جيوشنا القوية ... هذا
هو اليوم الأول الذي أصبحنا فيه بلا أهل ولا أب .
اغتيال الإمام وزملائه . أين بني وطني ؟ هل هربوا
أم قتلهم العدو ؟ ... هذا هو اليوم الذي دخل فيه
اليابانيون بلادنا . ترون ماذا سيحدث بعد هذا ؟
إلى أي مصير نحن مسوقون ؟ هل ستميش إلى الأبد
عبداً أذلاء ؟ اللهم ارحم عبادك . لقد شمت الحياة ،
ولا أقبل الدل (ينفض صوته ... ثم يرفع لحيته) :
كلا . أريد أن أتمتع ... أريد أن أتمتع ... أريد أن
أثار لأبي ولبنى وطني . نعم . نعم . لقد قررت هذا
(تنحى من الباب الأيسر ... ثم يسمع ديب أحذية جديدة
من الباب الأيمن يخلفه ضحكات هالية)
منجان يانج — (في يدها سكين مطبخ) الانتقام
الانتقام (تنهد من الباب الأيمن تقسم طرفات وضحكات
وصراخ من الأعداء) آه (دمعت ثم وقفت وفكرت
وفكرت ولهمت كل شيء ... عادت أذراجها واصطبغت
سما امرأة أخرى .. طرفات قبضة اليد أولاً ، ويلها
طرفات غيومة النادق)

منجان يانج — من الطارق ؟
من خلف الباب — ها ها ها (ضحكات هالية)
إفتحوا يا آفسات . إفتحوا لنا الباب ، نحن عشاقكن
منجان يانج — (تضحك ضحكة قاتلة) : هيه .
(ثم تجري إلى الباب ، وتنفخ بصر كلمات بصوت منخفض
ثم تخرج وتقفير إلى المرأة الأخرى بفتح الباب) : إفتحى
الباب .

المرأة — (تفتح الباب يظهر على المسرح ستة جنود
يابانيون سكارى) : آه ... (ثم تنهقر عدة خطوات)
الجنود اليابانيون — (يرون متجان يانج فيضكون

من أحسن القصص

الحب أقوى من الموت

للكاتبة الروسية ديمتري ميخكوفسكي
يَعْلَمُ الأديب محمد عبد الفتاح محمد

وما من أحد يستطيع أن يتبادل
التكات الرحة ويلقى الملح الطريفة
على السابلة ، أو الجيران ،
أو المشترين في حذق ومهارة كما
كان يفعل أُلرى القصاب ،
وما من أحد كان يقدر أن
يتحدث بمثل تلك الولاة والإلام
عن الأحداث السياسية للشعب

الفلورنسي أو عن تاريخ سلاطين
آل عثمان أو عن مؤتمرات ملوك
الفرنسيس

وما كان يسوء مزاح القصاب
وهزله من الناس إلا قليلاً، وكان
يطبق عليهم المثل « إن المزاح
لا يسوء الجار الطيب، وإن اللسان
لحاد مرهف في الزاح كالوسى »
وكان أخوه ماتيو — تاجر

الصوف — على خُلُقٍ مختلف :
كان حاد الذهن في دهاء ومكر ،
سياسي الطباع ، صمو تاعوساً ، وقد
اطرد نباح أعماله أكثر من جيو فاني
العمل الهذاب ، وكان له مراكبان
يتنادران — كل سنة — ميناء
« ليفرونو » عمليان بالصوف إلى
نهر القسطنطينية . كان واثباً بطلوحاً
سلك في سبيل إعاءة روثه سلوك

نصريف بالقصة

كان ديمتري . س . ميخكوفسكي
أحد كتابة الروس الحديثين الذين
كتبوا فيا وراء بلادهم ، وربما
فضل هذا لأنه كان أقل عصية من
زملائه الروسين . ولما رأى أن أدب
بلاده آيل إلى الانحطاط والتفكك ،
لغت نظر الكتاب إلى الرتبة
الفرنسية كوسيلة لانعاش الأدب
وإحيائه ، ولجأ لهم إلى الأسلوب
الحزن الكتيب الذي يصورون به
آراءهم وأحاسيسهم نحو حياة هذا
الوقت ، وقد أحس سحر الخلفات
القديمة ، وقلة ما في القصص التاريخية.
من تفاصيل غريبة وتصاوير دقيقة
تناسب عبقريته ولبوغه ، وما هو ذا
يقدم لنا في قوة وبراعة « الحب أقوى
من الموت » ، وصرح هذه القصة
إلى الأصل الإيطالي قصة جنيفكا كما
ظهرت في : « The Novellæ Do -
menico Manni » من آثار القرن
الثامن عشر الفلورنسي . وقد عهد
ميخكوفسكي إلى كتابة القصة من
جديد مستمداً على أسلوبه الخاص
الترجم

كانت أسرة « أُلرى »
السائلة — من أهالي فلورنسا —
في قديم الزمن تتجر في نوعين
من التجارة مختلفين ، فقد راح
البعض منهم بقدس « سانت
أنتوني » حامي القضاين ، على حين
اتخذ الآخرون شعاراً رسم عليه
صورة سمك إذ كانوا يتجرون
في الصوف

وقد اختلف الاخوان جيو فاني
وماتيو أُلرى — كأسلافهم الأولين —
هاتين التجارتين ، فامتن جيو فاني
تجارة اللحوم في مكان السوق
القديم The Marcato Vecchio
واتخذ ماتيو مصنفاً لفزل الصوف
في « آرنو » ، وكانت الناس
يتقاطرون على محل جزارة
جيو فاني ، لأنهم يجدون لديه

السميل إلى منصب في الدولة كبير ، وقد انخرط
في سلك الطبقات الراقية والجامع الأرستقراطية
أو « الناس السمان » كما كان يطلق عليهم آنذا

أحسن اللحوم من خنزير طازج ومجل طرى وأوز
سمين غضب ، ولكن لأنهم — إلى هذا — يجدون صاحب
التجر لطباعه الرحة البهيجة ولسانه الحلو الموصول

وكان الراتب الذى أفرد له لأرملة أخيه كل شهر جد ضئيل ؛ حتى أنها قاومت أسباب الحرمان والفاقة لاسيما وهى ليست وحيدة ، إذ كان لها ابنة صغيرة عزيزة محبوبة اسمها جنيترا . وما كان أحد من طلاب الزواج فى ذلك الوقت يقبل على المندارى الموائى بدون صداق ، كما هو الحال الآن . بيد أن اليأس لم يتسرب إلى قلب مونا أرسولا المؤمنة الورعة إذ أخذت تصلى بجمادة وإخلاص لكل قدسي الله ورسله خصوصاً « سانت أنتوني » حامى القساكين فى الدنيا والآخرة . كان أملها قوياً فى أن الله - نصير الأارامل واليتامى - حتماً سيرسل إلى ابنتها التى لا تملك بائنة ، زوجاً صالحاً رزياً

وكان ثمة سبب آخر يشعرها يقرب تحقيق ذلك الأمل ، هو جمال جنيترا وسحرها . حتى أنه لما يصعب تصديقه أن جيوفانى البدن الهذاز ينبج تلك الابنة الطرية الفتيانة . وكانت جنيترا دائماً ترتدى ثوباً أسود فضفاضاً وتضع حول عنقها الطويل الجميل قلادة من اللؤلؤ تتوسطها ياقوتة أثرية صفراء ، وتربط رأسها بمصاصة من اللوسلين تصل حتى منتصف جبينها شفافاً حتى أن المرء ليرى خلخالها خصلات شعرها الذهبى الباهت ؛ وكان وجه جنيترا هو وجه المندراء التى صورتها ريشة الرسام قبلى لى ، المندراء الطاهرة التى تبعت للقديس برنارد فى الصحراء ، وبأصابع كالشمع قلبت صفحات كتابه ...

كانت شفتاها اللتان كشتفى الطفل ، ونظراتها المادئة الحزينة وحاجباها الخفيفان العاليان ، كان كل أولئك يحمل أقصى معانى البراءة والظهر . ومع أنها كانت ندية كالزهرة شابة كالربيع إلا أن منظرها كان يدل على ضعفها وقصر عمرها كما لو كانت لم تخلق للحياة

فى فلورنسا . وقد أمل أن يسمو بأسرة ألقى إلى أعلى مرتبة اجتماعية . بل ربما يرى اسمه محلقاً على أجنحة شهرة خالدة وصيت باق ، ومضى ينصح لأخيه أن يهجر مهنة الجزارة لأنها مهنة ليست راقية وأن يضم أمواله إلى رأس مال ماتيو ، بيد أن جيوفانى أبى أن يأخذ بنصيحته إذ كان يخشى أخاه بقدر ما يحب بمقدرته ، وراح يقول لنفسه دون تصريح « لسان ممسول وقلب خؤون »

وفى يوم قانظ عاد جيوفانى إلى مثواه من دكانه تبعاً مكدوداً ، ومن ثم أترع بطنه بشاء ثقيل كمادته وجرح كما كبيراً من خمر مثاروجة ؛ فأصابته غثاء سكتة قلبية ، إذ كان يدين الجسم فى إفراط ، غليظ العنق فى قصر . قضى نحيبه ليلاً دون أن يجد الفرصة لإشهاد أحد أو كتابة وصية . فسلمت مونا أرسولا أرملة - وهى امرأة طيبة القلب فى سذاجة وبلاهة - مقاليد تجارة زوجها إلى أخيه ماتيو الذى عرف كيف يخدمها بدهائه وكنائه الممسولة ؛ إذ استطاع أن يقنع المرأة الساذجة أن زوجها قد ترك « دقار حساباته » مضطربة نتيجة إهماله وتقصيره وأنه مات وهو على شفا الإفلاس وأنها إذا أرادت أن تنقذ البقية الباقية فليها أن تنلق دكان اللحوم فى السوق القديم . وقد تناقلت أطاويل السوء أن ماتيو الداهية قد خدع الأرملة دون رحمة ليدبر رأس مال جيوفانى مصانع الصوف تحقيقاً لرغبته القديمة . على كلر ، شيء واحد كان واضحاً جلياً ، هو أن أعمال ماتيو قد تقدمت تقدماً كبيراً منذ ذلك الحين ، وبدلاً من مركبين اثنين مضى الآن يرسل إلى القسطنطينية خمسة أو ستة مشحونة بأنواع الصوف المتوسكانى . ومرعان ما أنضى صاحب أكبر مصنع للصوف فى فلورنسا

لفلسفة أرسطو ومحاورات أفلاطون . على الجملة لم يكن يأمل تاجر الصوف (وهو الداهية الطموح) في شخص ينتسب إليه أكثر نفعا وأسمى مركزاً من هذا . وقد تمهد مانيو أن يهب ابنة أخيه بآنسة كبيرة على شرط أن يرتبط اسم أجولانتي باسم المرى

وقد صادف ذلك طبعاً هوى في فؤاد فرنسكو ؛ غير أن جنيرفا مضت تمهل عمها وتؤجل موعد الزفاف من سنة لسنة ، وحيناً سألها عمها حزم أسرها أعلنته بأن ثمة رجلاً آخر تحبه أكثر من أجولانتي . وبالرغم من خوف مونا أرسولا ودعشتها ، فقد صرحت باسم أثنونيو روندينيلي اللشال الشاب الذى يقوم مصطنعه في أحد الشوارع الضيقة في « بونت فيكيو » وقد تعرف أثنونيو بجنيرفا في بيت أمها منذ أشهر فلائله . فقد استأذن أن يصنع ثعلاً من الشمع لأرض الفتاة الصغيرة ابتغاء بث جمال جنيرفا في صورة بارزة للشهيدة المقدسة بباربارة أوصاه بها راهب تروى يشوى في إحدى ضواحي المدينة . ولم تشأ مونا أرسولا أن ترفض للشال الشاب طلباً كهذا لوجه الدين . وإبان العمل ونُقِيع اللشال في حب نموذجة الجميلة ، ثم تلاقيا في المحافل الشعبية والمجتمعات الشتوية حيث كثيراً ما كانت تدمى جنيرفا بحرارة وإلحاح ، إذ كان جمالها من أقوى أسباب التحريج بها في كل حفل أو وليمة

ولما أن جهرت مونا أرسولا - نبع إبداء أسفها واعتذارها - إلى مانيو بأن جنيرفا لها خطيب آخر تحبه ، وحيناً ذكرت اسم أثنونيو روندينيلي ، تمالك نفسه وكبح جماح غضبه المتضرم وسدد إلى مونا أرسولا نظرات وادعة وقال في لين وهدهو :

— لو لم أسمع ياسيدي ما قتله الآن بأذني

وعند ما كانت ابنة القصاب . تتخذ سبيلها إلى الكنيسة في هدوء واحتشام بأعين مسبلة وبكتاب الصلوات في يديها كان الشبان السرعون إلى وليمة أو رحلة صيد يوقفون خيلهم ويملأ وجوههم نواً أمارات الاهتمام ، ويحتفى هزلم ونحكاتهم ويعضون بتمون جنيرفا الجميلة أبصارهم

وعند ما سمع الم مانيو كلمات الدمع والإطراء تنسب انصباباً حول أخلاق ابنة أخيه الفاضلة ، حزم أسرها على أن يزوجهما من فرنسكو ديلاً جولانتي أحد سكرتيرى الجمهورية وكان رجلاً شينخاً ، ولكنه كان محترماً من الجميع يرتبط بصلات وطيدة مع عطاء المدينة البرزين في ذلك الحين ، وكان فرنسكو أحد تلاميذ المدرسة اللاتينية الكبير ، وقد دأب على أن يكتب تقاريره ومضبوطاته بالأسلوب الفلسفى الذى كان للقي وسأوتست ، وكان بطيمه عيوساً متجهماً ؛ بيد أنه كان أميناً (كرومانى قديم) لا يعمل سلوكه منفذاً للوم والتعنيف ، وكان وجهه كوجه أحد أعضاء « السناتو » أيام الجمهورية ، وقد عرف كيف يرتدى عباءة موظفى فلورنسا الطويلة الحمراء القاعة كأنها « روب » روماني حقيقى « Areal Roman Toga » وكان يحب اللغات القديمة حباً جماً حتى أنه حيناً كانت اللغة الإغريقية شائعة في توسكانيا وحيناً جاء الملم البيزنطى « عمانوئيل كرزو لوراس » من القسطنطينية يحاضر في قواعد اللغة الإغريقية في الاستديو (اسم الجاسامة آنذاك) لم يستنكف أجولانتي بالرغم من سنه المتوسطة ومركزه كسكرتير في الجمهورية الفلورنسية أن يجلس جنباً إلى جنب مع الصبية الصغار على المقاعد المدرسية ، وقد أقتن اللغة الإغريقية حتى استطاع أن يقرأ النسخ الأصلية

عنها . يقنسها أكثر مما يبارك صور القديسين ،
والرسل الخالدة .. وقد حدثني بعضهم أنه ،
وتلاميذه يشرّحون الجثث التي يتناغم من حراس
المستشفى بأهبط الأخوان ليدرس عليها خفايا الجسد
البشرى من أعصاب وعضلات ادماء التثبث من فنه
والتضلع فيه ؛ ولكنه في الحقيقة يفعل كل هذا
لإرضاء لمساعدته وناحه ، عدو غلصنا القديم ، الشيطان
الذى يوصى إليه بالشموذة السوداء . لقد أغوى ذلك
الضال بنتك الطاهرة واجتذب قلبها برقة الزائفة ،
وسحره الجهنمى وأساليبه الشيطانية »

يمثل هذا الحديث مضى ماتيو يخيف مونا أرسولا
ليحملها على الاعتقاد أنه على حق . ولما أن أنبات
ابنتها أنها في حالة رفضها الاقتراف بفرانسكو
ديلا جولانتي سيكلف عهما حثا عن إعطائهما راتبهما
الشهرى . أزعج الحزن والياس قلب الفتاة ؛ بيد أنها
رضخت لحظها وجمعت أسرها على إطاعة عهما

وفي أثناء تلك السنة انقضت على فلورنسا رزية
فادحة ، مصيبة تنبأ بها النجمون من قبل ، لأن
كوكب المريخ دأمته كوكبا زحل والمقرب دفوا
كبيراً . كان عدد كبير من تجار الشرق قد أقبلوا
يحملون بين طيات أقمشهم الهندية ميكروبات الطاعون
وتقيدمت الواكب الزهية في الطرقات بردون
المزامير حاملين صور جميع القديسين ، وسُنّت
القوانين المحرم تفريغ القمامات في المدينة وحرم على
الدابع والمذابيح تصريف فضلاتها في « آرنو »

وضرب نطق حول الرضى خشية اختلاطهم بالأسماء
وخوفاً من التعرض لعقاب الغرامة أو السجن بل
الموت أحياناً ، حرص الناس ألا يتركوا في بيوتهم
أولئك الذين ماتوا أثناء الليل إلى شروق الشمس
(٥)

لما كنت أصدق أبداً أن امرأة حكيمة فاضلة مثلك
تعتبر شاباً أرعن قليل الاختبار مثل هذا أدنى اهتمام .
لست أدري كيف يحدث مثل ذلك في هذه الأيام ؛
ولكن في عصرنا لم يكن للبنت أى رأى وليس لها
أن تلفظ أى كلمة في اختيار زوجها . في كل شيء
كن يظعن آباءهن ، وأولياء أمورهن . تبصرى قليلاً
في الأمر . من هذا الأتونيوى التى شرفته ابنة أختى
باختيارها ؟ . لا يحتمل أن تكونى غير عالة أن المثاليين
والشعراء والمثاليين والطيريين الجوايين إنهم الإنسان
لا يمكنون ما يفعلون غير هذا ، ولا يصلحون البتة
لأعمال مثمرة مفيدة ؟ . إنهم أخف الناس عقولاً ،
وأكثرهم وهماً وخيالاً في هذه الدنيا الواسعة . إنهم
سكبرون بوهيميون ، كسالى ملحدون ، مترفون
مبذرون لأموالهم وأموال غيرهم . أسأعن أتونيوى ،
فلا إخالك لم تسمى بكل ما تعرفه فلورنسا عنه .
وسأذكر لك ببساطة إحدى ميزاته . تلك السلة
الملقعة بحبل في ذكانه ، في تلك السلة يضع أتونيوى
كل إنزال الذى يترع دون حصده ولا عد . وكل من
يرغب ، سواء أكان تلميذاً له أم أحداً من معارفه ،
في استطاعته أن يأتى ويوزل السلة دون أن يعلم صاحبها
أو يستأذنه ، ويأخذ ما يشاء من المال ، نحاس أو فضة
أو ذهب . فهل تحسبن ياسيدتى أنى أضع مالى
- البائنة التى وعدت ابنتك - في يد مثل ذلك المتهو ؟
« وليس هنا كل ما في الأمر . ألا تملين
أن أتونيوى ينطوى على الحداخنى وإباحية مستبدة
غرسها الشيطان في قلبه ، فجعله لا يذهب إلى الكنيسة
ويسخر بالسر المقدس ولا يعتقد في الله . لقد أنبأتى
بعض الأخيار أنه يبعد تلك التماثيل والأوتان الرخامية
التي تمثل الآلهة والأرباب ، والتي أبشدى يكشف

أوهام الشباب عقب الزفاف . وأن فرنسكو سيعرف

كيف يكسب حب عروسه الصغيرة

ولكن آماله لم تكن لتتحق . فمتد ما غادرت

العروس الصغيرة الكنيسة ودخلت بيت زوجها

بدأت تحس دواراً . وفجأة سقطت على الأرض كأنها

ماتت . وبلغ ظن الكل أولاً أنها في غشية وحاولوا

أن يثيروا إليها رشفها ؛ بيد أن عينيها ظلتا مسبلتين

وأخذ تنفسها يضمف ووجها وسائر بدنها يتحولان

إلى صفرة الموت ، وسرت البرودة في أطرافها . وجاء

طبيب بمد بضغ ساعات (في ذلك الحين كان الناس

يستدعون الأطباء رغماً عنهم وفي على الخفاء كيلا

يتسرب في المدينة خبر وجود مريض بالطاعون في

البيت) ؛ ولكنه عند ما أدنى امرأة من فم جنيرفا

المساوية الحياة لم يبد عليها أى أثر لأخف نفس

هناك اعتقد الجميع والحسرة تحملاً نفوسهم

والحزن ينجم على رؤسهم أن جنيرفا قد ماتت حقاً

ولنط الجيران أن الله قد صب جام عقابه على ألمرى

لإقامته الزفاف في مثل ذلك الوقت غير اللائق . وأن

عروس فرنسكو الصغيرة نالها الطاعون فماتت عقب

عودتها من الكنيسة . وقد انتشرت هذه الاشاعات

سرياً لأن أهل الفتاة كانوا في خوف من زيارة

« الشياطين السود » لذلك كتموا خبر غشية الفتاة

وموتها حتى اللحظة الأخيرة . ولكن عندما أنبل

الساء أى المفتشون الذين وقفوا على دقائق الحال من

الجيران وطلبوا إلى أهل البيت أن يسلموهم جثة

جنيرفا أو يدفنها تورا ؛ بيد أنهم حيناً أخذوا

« رشوة » جسيمة ، قبلوا أن يتركوا الجثة في بيت

فرنسكو حتى مساء اليوم التالي .

لم يبق أحد من الأهل في صرية من موت جنيرفا

حتى ولو كان سبب الموت أدواء أخرى

وانبت لذلك مفتشون يحرسون خلال الطرقات

والسبل قارعين الأبواب سائلين عن مرضى في البيوت

أو موتى . بل قد يفتشون البيت بأنفسهم إذا ساورتهم

الشكوك والريب . وكانت ترى هنا وهناك المرات

الملطخة بالقار بين دخان المشاعل يحف بها رجال في

ثياب سود صامتين ملثمين يحملون الخطاطيف التي

يلتقطون بها نحاي الطاعون ويلقون بها في المرات

اتقاء مسها . وكان غمة إشاعات أن هؤلاء الطفاة

المتعة الذين يطلق عليهم الناس لقب « الشياطين

السود » كانوا يلتقطون الأجساد التي ما زال بها

رمق كيلا يهودوا إلى المكان عينه صرة ثانية

وظل الطاعون الذي انتشر في أواخر الصيف ،

منتشراً حتى وقت متأخر من الخريف ، بل حتى

فصل الشتاء الذي أقبل مبكراً هذه السنة ، ولم يح

آثاره ولم يقتل جراثيمه . وهرع أغنياء فلورنسا

الذين لا تربطهم مهام قوية بالمدينة إلى بيوتهم الريفية

حيث الجو طاهر بقي من جرائم الطاعون

وخوفاً من أن تغير جنيرفا رأيها . تمجّل الم

ماتيو يوم الزفاف بحجة أن مونا أرسولا وبنتها يجب

أن تبرح المدينة بأسرع ما يمكن ، وأن فرنسكو

ديلاجولاني قد عرض أن يأخذ جنيرفا وأما إلى

جوسقه الجليل عند سفح « مونت ألبانو »

كانت هذه رغبة ماتيو . وقد تحققت ، إذ تم

الاتفاق على أن تكون ليلة العرس يمد أيام قلائل .

فأقيمت الحفلة دون جلبة ولا ضوضاء كما كان سائداً

في تلك الأيام الحزينة . وفي ليلة العرس وقفت جنيرفا

كالغزال ممتعة شاحبة يملو صبات وجهها هود

رهيب . بيد أن عمها أمل أن تزول تلك الأوهام ،

وقد حدث بمض الاضطراب في أخريات الحفل حينما حل النمش من الكندراتية إلى الرمس لتوديعها بالقبلة الأخيرة . إذ شق رجل شاخب الوجه في عبادة حررية طريقه إلى الفتاة السجدة ، ورفع عن وجهها غطاءه ، وبدأ يحدق فيها بنظرات ناجية . فطلب إليه أن يتنحي ويبتعد ، وأخبر أنه عار عليه — وهو غريب — أن يدنو من جنيرفا ، ولما يتركها أهلها بعد . فلما سمع الرجل المتعق أنه وُصف بالنزيب ، وأن ماتيو وفرنسكو قد نمتا بالأهل ، ابتسم في صرامة وقبل الفتاة الميتة في ثمرها وأعاد الغطاء على وجهها ، ثم ابتعد عن الجمع دون أن ينبس . فدار الحمس بين المحشدين ، وأشاروا إليه مرهدين اسم اتونيو دي روندنيلى ، الرجل الذى أحبته جنيرفا ، والذى ماتت في سبيل حبه .

واختفت بقايا الشفق وانتهت الجنازة ، وبدأ الجمع في الانصراف . فرغبت مونا أرسولا في قضاء الليل بجانب النمش ، فعارضها المم ماتيو . إذ أنها بلغت من الحزن مبلغا كان ينعش على حياتها من قسوته . فقط بقى الأخ ماريانو — وهو راهب دومنيكانى — بجوار القبر ليقرا الصلوات على الميت وتغنضت بضع ساعات . وفي هدوء الليل الشامل لم يكن يُسمع سوى صوت الراهب ودقات الساعة من أعلى برج « جيوتو » من حين لحين . وأحس الأخ ماريانو بعد منتصف الليل بظلم شديد . فسحب زجاجة من الخمر في عنف وأمال رأسه إلى الوراء ، وتناول بضع جرعات قليلة بسرور ولذة . ثم خيل إليه أنه سمع زفرة ، فأرهف السمع فبلغت سمعته زفرة أخرى . وفي تلك المرة بدا له كأن غطاء وجه الفتاة قد اهتز وارتمش . فتملكه رعب شديد بث

إلا مريتها المجوز التى يرميها الجميع بالجهل والقباء . فتوسلت إليهم في بكاء مؤلم ألا يدفنوا جنيرفا مؤكدة أن الطبيب مخطئ . فإن جنيرفا لم تمت ، بل أنها في نوم عميق . وأقسمت أنها حينما وضعت يدها على قلب عزيزتها (أحست أن القلب يخفق في ضعف ، في ضعف ، بل أضعف من رفيف جناح فراشة) وتصرم اليوم ولم تبد جنيرفا أى دليل على حياتها فطويت في أكفانها ووضعت في نعشها ، ثم حملت إلى الكندراتية . وكان القبر الجانف الخشن مرصوفة أرضه بالأجر التوسكانى ، جانغا بين بابى الكنيسة في إحدى ساحات الجبانة تحت ظل أشجار السرو الشماء العالية ، بين قبور أشراف فلورنسا وأعيانها . وقد دفع ماتيو في ذلك القبر عنقا باهظا . ولكن المال أخذ من البائنة التى كانت ستدفعها جنيرفا . وكانت عملية الدفن يحف بها المهابة والوقار . إذ أضيئت الشموع وأعطى كل فقير — قد كرى جنيرفا — كيلا من زيت الزيتون مقابل نصف « سوليدو »^(١) . وبالرغم من برودة الجو وهول الطاعون كان في الجنازة جمع غفير . ولم يستطع البعض — حتى الثغراء منهم — جلس دموعهم حينما سمعوا قصة موت الروس الصغيرة ، وراحوا يتمتمون بحملة بترارك الحلوة

« يبدو الموت جميلا على وجهها الجميل » .

وقد أتى فرنسكو على قبرها رثاء مقتبسا ليس من اللاتينية فحسب ، بل من الإغريقية لأفلاطون وهو ميسر^(٢) ، وقد كان ذلك حدثا جديدا في هذه الأيام ، أخذ بالباب جميع المنصتين إليه حتى أولئك الذين لا يفهمون الإغريقية .

الجبانة . ثم إلى الساحة أمام الكاتدرائية . وكانت أشعة القمر تنساب من بين السحب السريعة التي كانت الرياح تمزقها ثم عموق ، وبدأ برج « جيوتو » الرخاى في ضوء القمر منتصباً في صلالة وشم . وكانت أفكار جنيرفا صر تيك مضطربة ورأسها يتمايل ويترنح وقد خيل إليها أنها والبرج سيحملان إلى السحب المنمورة بضوء القمر . لم تدرك تماماً إذا ما كانت حية أو ميتة ، إذا ما كان هذا حلماً أم يقظة .

وسارت على غير هدى في شوارع مقفرة ساكنة . واسترعى بصرها بيت تعرفه ، فتوقفت ثم سارت إليه وطرقت الباب ، كان بيت عمها ماتييو وبالرغم من هذه «ساعة المتأخرة» ، لم يكن تاجر الصوف قد آوى إلى فراشه . كان في انتظار رسول من القسطنطينية إثر إخطار أنه . وقد كانت بضعة إشاعات قد بلغت الم ماتييو تدور حول غرق سفن كثيرة على مقربة من ساحل « ليفورنو » وخشى أن تكون سفيناته ضمنها ، وأحس وهو في انتظار رسوله بالجووع . فأمر خادمه « نينسيا » . - وهي فتاة جميلة ذات شعر أحمر وثنايا بيض سواحر - أن تجهز له ديكاً محمراً . وكان الم ماتييو غريباً عجوزاً وفي تلك الليلة كان يجلس في الطبخ بجوار النيران حيث كان البرد شديداً في بقية الحجرات . وكانت نينسيا تجهز الديك بوجه مورد وذراعين بتشميرين . وكان لهيب النار ينعكس على الخزف البراق والأباريق المنسولة والصحن التي استوت على الرفوف . وقال ماتييو وهو يهرف السمع :

— نينسيا . أما سمعت شيئاً ؟

— إنها الرياح . سوف لا أذهب . لقد أرسلتني إلى الخارج ثلاث خرات .

في هيكله الرفعة . ولما كان قليل الإختبار في مثل تلك الأمور ، ويسلم جيداً أنه حتى من خبروا هذه الحالات تطفئ على أذهانهم خيالات وأوهام ، حين ينغردون بمجة أثناء الليل . فقد عوّل على ألا يبقى بالآ إلى الأمر ، ورسم علامة الصليب ثم مضى يردد الصلاة بصوت جهورى طنان .

وانقطع صوت الراهب فجأة ، وتصلب مكانه ، وثبتت عيناه الماحظتان على وجه الفتاة الميتة ، لم تكن هذه المرة زفرة ، بل أيقن أنى من بين شفتيه . ولم يبق لدى الأخ ماريانو أدنى شك بعد ذلك ، إذ رأى صدر الفتاة يعلو ويهبط ببطء ، فميز الغطاء الشفاف الذى على وجهها ، كانت تنفس ، فرسم علامة الصليب وهو يرتد من الرأس إلى القدم . ثم اندفع نحو الباب ، وقفز فصار خارج القبر . ولما استعاد نفسه بفعل الهواء البارد حمل ما حدث على الهم والتخيل وعاد إلى الباب مستعيداً بالصدراء ، ونظر إلى جوف المقبرة ؛ فأنفجرت من بين شفتيه صرخة مفزعة . كانت الفتاة الميتة قد استوت جالسة في نمشها بعينين مفتوحتين ، فأسرع الأخ ماريانو يمدو عبر الجبانة دون أن يلتفت خلفه . ثم عبر ساحة سان جيوفانى ثم طريق « ريكاسولى » . فقط كان يُسمع وقع (سندله) الخشب على الشارع المرصوف المنطى بالتلج في سكون الليل الرهيب .

وعندما أفاقت جنيرفا ألرى من نومها ، أو من غيوبتها التي تشبه الموت ، راحت تفتحص نمشها بعينين يشع منهما الجبل ، وابنت فيها الرعب حينما أدركت أنها دفنت حية . وبقوة يائسة قامت من نمشها وأحكمت أكفانها حول جسدها . ثم أجهت إلى الباب الذى تركه الراهب مفتوحاً ، وخرجت إلى

إنك ترتد كما لو كنت ذاهباً إلى الآخرة ... هيه ؟
ليس ثمة فائدة من ذهابك . إبق هنا واحد الله
أن لم يحدث لنا أسوأ من هذا
وأخذت نينسيا زجاجة ملأى بالماء المقدس
ورشت منها على الباب الخارجي وعلى أرض البيت
والسلم والطبخ ، وعلى ماتييو نفسه ... وأطاع
الخدام ولم يُحَسِّب رجاءها ، زعماء منه أنها أكثر
معرفة في التصرف مع الأرواح . واستحلفت نينسيا
الروح بصوت مرتفع قائلة :

— أيها الروح المبارك ، إذهب بربك .. الموق
للموق جعل الله مثواك دار الحق
فلما أن سمعت جنيفاً أنها خوطبت كأنها ميتة
أدركت أنه ليس ثمة داع لبقائها هنا ، فهضمت من
جلستها على مدخل البيت حيث كانت قد سقطت
إعياء ، وضربت في الطريق تبحث عن مأوى
سارت بقدميها المتجمدين في ثوب وإرهاق
حتى وصلت إلى الشارع المجاور حيث يقوم منزل
فرنسكو ديلاً جولانتي

كان سكرتير جمهورية فلورنسا في هذا الوقت
يكتب رسالة فلسفية باللاتينية إلى صديق له في ميلانو
يدعى ميشيو ديبلو برقي كان مولعاً هو أيضاً باللائم
القديمة . كانت رسالته في اللاهوت عنوانها :
« خطاب لذكرى الروح التي ارتبطت برابطة الموت ،
روح زوجتي الحبيبة ، جنيفاً أأرى » . ومضى
فرنسكو يقارن بين مذهب أرسطو ومذهب
أفلاطون ، مُفْتِداً وجهة نظر توماس أكويناس
الذي يجزم بأن فلسفة أرسطو تتفق وتعاليم الكنيسة
الكاثوليكية من ناحية الجنة والنار ، بينما راح
فرنسكو يدلل في براعة ومنطق سليم أن أرسطو

— وما ذلك بريح . امروء يطرق الباب . إنه
الرسول . إذعبي واقتحي الباب حالا .

فبدأت نينسيا المكتنزة تنزل الدرج الخشبي
في تراخ وكسل بينما وقف المم ماتييو على رأس السلم
ممسكاً بمصباح ينير لها السبيل . وسألت الخدام
— من هناك ؟ ... فأجاب صوت خافت من
وراء الباب :

— إنه ... إنه أنا جنيفاً أأرى ... فتمتمت
الخدام في ذعر :

— يسوع .. يسوع ...
وابتدأت ساقاها ترتعدان ، ولتند نفسها من
السقوط تشبثت بسيج السلم ...
واصفر وجه ماتييو وسقط المصباح من يده .
وتوسلت جنيفاً قائلة :

— نينسيا . نينسيا . افتحي الباب . أسرعي .
دعيني أدق نفسي . إنني مقرورة أنبيءي أنني أنا
وبالرغم من بدانة الخدام ، اندفعت نحو السلم تجري
عليه صاعدة حتى سُمع للدرج صرير تحت قدميها :
— هو ذا رسولك الذي تنتظر . لقد أنباتك
أنه خير لك أن تذهب وتنام كسيحي مؤمن ...
أوه ! أوه ! يطرق ثانية ... أسمع ؟ إن الروح
المسكين بن ويتالم . كم هو مؤلم أنيته . آه يا إلهي !
أنتقنا وارحنا نحن المذنبين صل من أجلنا أي قديسنا
لورنس ... فقال ماتييو في تردد :

— اسمعي يا نينسيا . سأذهب لأرى ماذا هناك
من يدرى ... ربما ... فصرخت نينسيا وهي تشبك
يديها :
— ماذا ستفعل أيضاً ... فكر فيه فقط ...
يا للرجل الشجاع ! أوه هل تظن أنني أدعك تذهب ؟

تمالك نفسه سريعاً . وخجل للرب الذى ران على قلبه حينما تذكر ما قاله بلوتونيس الأسكندري ، وبروكس عن ظهور الموتى ، تمالك نفسه توا وأطل من النافذة وقال فى صوت ثابت :

— إذهب سواء أ كنت روحاً سماوياً أم روحاً أرضياً . إذهب إلى حيث كنت لأنك تحاول عبثاً أن تخيف ذلك الذى استنار عقله بالفلسفة الحقة . قد تستطيع أن تخدع عيني الظاهرتين ؛ ولكن عبثاً تحاول خداع عيني عقلى وإدراكى . إذهب بسلام . الموتى للموتى .

ثم أغلق النافذة جامعا أمره ألا يفتحها ثانية حتى ولو أقيلت فرقة بأكلها من الخيلالات والأطيان البائسة تقرر الباب .

فشرعت جنيفاً تقرب فى السير . ولما كانت على مقربة من السوق القديم فقد ألقت نفسها عند مأوى أمها .

كانت مونا أرسلوا لاجئاً أمام الصليب وبحوارها وقف الراهب جيا كومتو شاحب الوجه ضعيفاً واهناً من أثر الصيام . فرضت عينها الجزعتين إليه وقالت : — ماذا أصنع يا أبت ؟ ساعدنى . لا أحس صبراً ولا خضوعاً . ولا أشعر فى نفسى برغبة إلى الصلاة . يبدو أن الله خذلى ، واجتوانى وهجرنى ، وقضى على روحى بالهلاك . فقال الراهب يحسها على الصبر :

— أطيعى الله فى كل شيء حتى النهاية . لا تتدبرى . هدى من صوت جسدك المتمرد . فإن حبك المحض لا ينتك إن هو إلا حب جسدى لا روحى . ليس الحزن لأن جسداه مات . بل الحزن لأنها مثلت أمام الله ولما تب توبة صادقة . خطيئة

كان فى الخفاء شاكاً ملحداً وأن « أفلاطون » المعجب الكبير بالآلهة هو الذى كان يتمشى مع تماثيل الكنيسة المسيحية

وكان مصباحه الزيتى المثبت على مكتبه إلى جانب عدد كبير من الأدراج ، وأقسام الورق والحبر ، والأقلام ، يحترق فى لهب هادى لطيف . وكان المصباح عبارة عن تمثال صغير « لترينون^(١) » يمانق إحدى غواني البحر ، وهذا يدل على ولع فرنسكو طوال حياته باقتناء التحف التى على هيئة التماذج القديمة وكان على المكتب أيضاً تماثيل من ذهب تمثل رقص كيوبيد ، وملائكة يحمل أكاليل من زهور الجنة ينمسون ريقها على صفحات القراطيس الناعمة كالحرير ، الصلبة كالعاج .

وكان فرنسكو بهم بتحلل نقطة لاهوتية من مذهب تقمص الأرواح . ويُلمح فى حقن ، ومهارة إلى مذهب « البيتا جوريان^(٢) » الذى يحرم أكل البقول زعماً أنها تحتوى على أرواح الأولين . عند ما سمع نجاة طرقة على الباب . فقلب حاجبيه ، إذ كان لا يعلق أى إزعاج بإن عمله . على أية ، فقد ذهب إلى النافذة وفتحها ، ثم أطل منها إلى الشارع وعلى ضوء القمر الشاحب رأى جنيفاً ملتفة فى أكفانها .

فنى فرنسكو أفلاطون وارسطاليس وأغلق النافذة فى سرعة حتى أن جنيفاً لم تستطع أن تبس بكلمة واحدة . ثم ابتدأ يردد صلاة المنراء ، ويرسم علامة الصليب فى رعب هائل مثل نينسيا ؛ بيد أنه

(١) تريون : نصف لله ، أحد نافعى البوق من أتباع نبوتون لله البطار .

(٢) بيتا جوران : فيلسوف لامع قديم عاش سنة ٥٢٢ ق . م

وهت الأم مرة ثانية ومدت ذراعها نحو ابنتها
بيد أن الراهب ، في شحوب كاللوقي ، وقف حائلاً
بينهما ...

فسقطت جنيرفا على الأرض وأحست البرد يكاد
يقتلها . وعقدت يدها حول ركبتيها ونكتت رأسها
ثم عقلت النية ألا تقوم ثانية ولا تتحرك حتى
تموت ... ومضت تفكر « ليس للوقي أن يمودوا
إلى الأحياء » ثم ذكرت أتونيو فقالت في نفسها :
« أيمحتمل أن يبينني أيضاً ؟ » ... لقد فكرت فيه
من قبل ؟ ولكنها شرعت بالهجل يطغى عليها ،
إذ أنها لم تشأ أن تذهب إليه ليأكل بمفردها وهي
ذات بعل ... ولكنها الآن ميتة أمام الأحياء

واختفى القمر ، واكتست الجبال بالثلج ،
وانتصبت شاحبة أمام الصبح السافر . ومن جلسها
في مدخل بيت أمها وفقت جنيرفا ، ثم اتجهت إلى
بيت غريب بعد إذ ضاقت بها بيوت الأهل والأقارب
وكان أتونيو قد قضى الليل كله في صنع تمثال
من الشمع لجنيرفا . لم ينتبه إلى مرور الوقت وكيف
تسرب الضوء البارد ، ضوء صباح الشتاء الأزرق ،
إلى الغرفة من خلال النافذة . وكان يساعده في عمله
تلميذه المقرب بارتولينو وهو شاب في السابعة عشرة
من عمره ذو شعر ناعم ووجه كوجوه الفتيات
وكان وجه التمثال هادئاً . خيل إليه أنه بعيد
الحياة إلى اللانتهى وبهها بقاء جديد . وبدت الجفون
كأنها ستتهز وتنتفتح ، والصدر كأنه سيملو ويهبط
وكان الدم الحار يتدفق في عروقها الجليلة
وانتهى من عمله ؛ وبينما كان يحاول أن يرسم
على شفتي تمثال جنيرفا ابتسامة طاهرة ، إذ سمع
طرقاً على الباب . فقال دون أن يترك عمله :

— بارتولينو ! افتح الباب

فذهب التلميذ إلى الباب وسأل :

كبرى وذنوب عظيم . وفي تلك اللحظة سمع طرق
على الباب :

— أوى . أوى . افتحى سريعاً . إنه أنا . دعيني
أدخل . أسرعى
— جنيرفا !

قالت أمها مونا أرسولا في دهشة عنيفة وهتت
بالاندفاع نحو بنتها . ولكن الراهب تصدى لها :

— أين تذهبين ؟ إن ابنتك الآن في قبرها
ميتة ... ولن تقوم حتى يوم الحساب . إن هذا
إلا الروح الشريرة تخدعك بصوت ابنتك . بصوت
جسدك ودمك . توبي وصلي . صلي قبل أن يفوت
الأوان وتولى الفرصة . صلي من أجل نفسك وروح
جنيرفا الخاطئة . هذا ما ينبغي كما من الخسران المبين
— أوى . ألا تسمعين ، ألا تعرفين صوقي ؟

إنه أنا . إني على قيد الحياة ... لست ميتة !

— دعني أذهب إليها ، أوى أوى . دعني

— اذهبي . وتسلمي أنك بذلك لا تعرضين
نفسك للهلاك لحسب ، بل روح جنيرفا أيضاً ...
عليك لعنة الله في الدنيا والآخرة

وامتلاً وجه القس بآيات البغض الشديد وتوهجت
عيناه بيريق من النار غريب ، مما جعل مونا أرسولا
تقف خائفة وجملة . ثم شبكت يدها وجشت تحت
قدميه تصلي

فأجبه الراهب جيا كومتو نحو الباب ورسم إشارة
الصليب وقال :

— باسم الأب والإبن والروح القدس ...
أستحلفك بدم المسيح الذي صلب أن تخفني ... أن
تذهبي أبناً للموتة . إنها أرض مقدسة . أوى إلهي
لا تقدنا إلى التوابة والضلال بل خلصنا من السوء
والويل ...

— أوى ... أوى ... رحمة في ... إني أموت

وحده. فتأديه، فلما جثا بجوارها حدثته بكل ما مر بها من حوادث، ثم عَقَبَتْ قائلة :

— أوه يا عِزْزِي ! أنت وحدك الذي لم تخف حينما جثتكم ميتة. أنت وحدك الذي يحبني حباً صادقاً فسالها أنتونيو : هل أستاذي أهلك ؟ عمك ، وأمك ، أو زوجك ؟

— ليس لي أهل . ليس لي زوج ولا عم ولا أم . إنهم جميعاً غريباء إلا إليك . إنني ميتة في نظرم ... ولكنني على قيد الحياة في نظرك أنت ... وأنا لك . وبدأت أشعة الشمس الأولى تنصب في الحجرة فتبسمت له جنييفاً . وكان لون الحياة ينوء إلى خديها كلما تجلت الشمس . وجرى الدم حاراً في عروقها وحينما انحنى أنتونيو عليها ، وضمها إليه وقبلها في ثغرها ، أخست كأن الشمس تعيد إليها الحياة ، وتبها حياة أخرى خالدة . وهمست تقول له :

— أنتونيو ! تبارك الموت الذي علمنا الحب . تبارك الحب . إنه أقوى من الموت .

محمد عبد الفتاح محمد

— من هناك ؟
فأجابته صوت كموت نسيم المساء لا يكاد يسمع :
— أنا جنييفاً أأرى
قفز بارتولينو إلى أقصى مكان في الغرفة شاحباً
مرتمداً ، وراح يهيمهم وهو يرسم علامة الصليب :
« الميتة ... ! »

يبدو أن أنتونيو عرف صوت حبيبته فاندفع إلى بارتولينو وخلف منه المفتاح خطفاً فواجهه التلميذ قائلاً وأستانه تنمطك :

— فكر في نفسك يا أنتونيو . ماذا أنت صانع ؟
فأمرع أنتونيو نحو الباب وفتحته ؛ فآلني جنييفاً ملقاة على عتبته كأنها جثة هامدة ، وقد تجمد الطل على خصلات شعرها الناعم ، ولكنه لم يحس أي خوف إذ كان قلبه مغماً بحزن شديد . انحنى فوقها تتناثر كرات الحب من فيه . ثم حملها وعاد إلى مثواه . أرقدها على بضع وسائد وغطاها بأحسن غطاء لديه ، ثم بعث بارتولينو إلى السيدة المجوز التي استأجر منها غرفة عمله . ثم أوقد ناراً في اللود وأدفاً عليها بعض الخمر وسقاها منه قطرات . فتنفست بعد ذلك في راحة وسهولة وهي وإن كانت لم تستطع الكلام ، إلا أنها فتحت عينيها . فامتلاً قلب أنتونيو بالفرح ، وقال لها وهو يذرع الغرفة غدوا ورواحا :
— سنقبل المرأة حلاً ، لقد برت كل شيء .
فقط أغفري لي تلك الفوضى التي ترين ياسيدي جنييفاً وأزل أنتونيو السلة خجلان حيران وأخرج منها بعض المال ناوله بارتولينو وأخبره أن يسرع إلى السوق ليشتري لحماً وخبزاً وخضراً لطعام الافطار . ولا أقبلت المرأة المجوز ، أمرها أن تهبي حساء فزوج ساخن

وأمرع التلميذ إلى السوق بأسرع ما في مكنته ، بينما ذهبت المجوز تدبح فزوجاً وبقي أنتونيو مع جنييفاً

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من القصص المصورة الحياتية

تأليف

عبد العظيم زكريا

يبلغ خمسة قروش بجميع المكتبات بالمعالم العربي
وبمكتبة النهضة المصرية

وما أقل عقل من يندم على شيء أنت أردته
وقدرته ! يارب لقد شأمت قدرتك أن أمر
من هنا لأتعلم درساً ولأعلم الطريق الذي
يجب اتباعه . إن العونة والمساعدة في متناول
الذي يطلبها . ذلك هو الدرس ، وإني تتبعه
إن شاء الله رغم أن الكلب هو الذي

علمنيه . ثم يجب أن نغضب من حكمة تأتي بها
الحيوانات وفوت الآدمي إدراكها ، فلن أدع اليأس
يتسلط عليّ وسأبحث عن صديق أجد العزاء والبلوان
في تجاربه كما رأيت هذا الكلب يفعل الآن
واتجهت خطواتي إلى حيث كان صديقي الأمين
وصرشدني وناصحي الشيخ عثان أغا فهو على الرغم
من كونه تركيا كان يعاملني كما لو كان مواطناً لي
ومشاركاً لي في عقيدتي

استقبلني في سكن وهدة كمادة ، وحين نصمت
عليه بلاوى صمد نفساً طويلاً من غيونه الذي لا يفارقه
وتهد قائلاً : « الله كريم ! » ثم قال لي : « اعلم
يا صديقي أنك حين حضرت إلينا بكل ما عليك من
مظاهر النعمة ودلائل الثراء والننى وراك مواطناً
كذلك تبأت لك منذ تلك اللحظة بضربة تصفيك
ومصيبة تحل بك ... إنك لا تزال صغيراً ولم تحمل
على كفافك من الأعوام الطويلة والتجارب القاسية
مثل الذي أجل ، فانت لا تدرك أثر النعمة الحادثة
في نفوس الأشقياء الناكيد ... أ كنت تصور
أن قوماً من طبقتك في الحياة يرحون تحت ما يعانونه
من العمل التواصل والكد العنيف لا يعتمدون
في رزقهم إلا على قسبة تبغ يبيعونها أو كيس تبغ
شيرازي يشجرون فيه ، أ كنت تحسبهم يطيعون
أن يروا زميلاً عليه من مظاهر الترف والننى ما لم يتصوروه

حاجي بابا اصيفه مانى

لكتابنا الاخضرى جهر مور
بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار

الفصل الثاني والسبعون

مادته في الطير - حاجي بابا مير
في نصيحة عثمانه أغا تعزية رسولنا

خرجت من المنزل لا ألقى على شيء وأسهرت
في مشيتي وظللت مدة لا أشعر بشيء ولا أسمع حتى
ولا وقع قدمي إذ كنت مشوش الأفكار مهموماً
محزوناً أحس باللوعة تكاد تمزق صدرى وبالأسى
يوشك أن يفتت كبدي . وحين وقع نظري على البحر
جملت أقول : « إن من الحكمة أن ألقى بنفسى فيه »
غير أنى أثناء اجتيازي ميداناً فسيحاً من ميادين المدينة
رأيت حادثاً كان له رغم قهاتته أثر عظيم في نفسى
إلى حد أنه غير مجرى أفكارى وأقننى من الانتحار
وقفت أشاهد معركة من معارك الكلاب
مما يكثر وقوعه في شوارع الأستانة فتسلل كلب
إلى حظيرة جماعة من الكلاب واعتدى على حقوقها
بأن سرق قطعة عظم وتجرى بها . وتبع ذلك عواء
شديد ونباح وانطلقت الكلاب جميعاً وكادوا يصلون
إليه . وهنا تصادف أن قابل الكلب السارق بعض
رفاقه فطلب منهم اللبونة ورجع بهم إلى مهاجرة
مطارديه وبذلك بدأت المعركة

وقد خطرت لي خاطر أثناء وقوفى أشهد هذا المنظر
قلت : « يارب ما أعظم قدرتك وأحكم لإرادتك

فقلت له : « قد يكون حقاً ما ظننت ، وقد يكون الأمر قد انتهى ونفذ السهم وليس لنا غير السكون والصبر ؛ غير أنني مسلم يا صديقي أعتقد في عدل الله ولم أسمع قط أن امرأة طردت زوجها من بيتها وإن كان العكس كثير الشيوخ . ولست أعلم ولا أستطيع أن أعلم بأى حق تقبلني هذه السيدة زوجاً ثم لا تلبث أن تطردني من منزلها في هيئة تحجب السكاب . إنها امرأة خبيثة سرها أن تماشرنى في الصباح ثم تهجرنى في المساء »

إن في المدينة قضاة وشيوخ إسلام كما هي الحال في كل بلد إسلامي فلماذا لا أرفع مظالمتي إليهم ؟ إنهم يقبضون مرتباتهم لإقامة العدل ورد الظالم فكيف يجلسون معلمين إذا سمحوا بمثل مظالمتي ولم يردوا العدل إلى نصابه ؟ إنني باحث بإذن الله عن حق »

فقال صديقي عثمان أغا : « هل جئت يا حاجي بابا حتى تطلب مقاضاة أرملة أمير من أعظم أمراء الإسلام ، بينما يحرمها أخوها وما تاجران من أغني تجار الآستانة ؟ أين عشت كل حياتك حتى لا تعلم أن الذهب والمال هما الحق والعدل ؟ إنك لو ظهرت أمام المحكمة تطلب بحقوقك ومعك ما شئت من حجج وبراهين ووقف أمامك صهرك بماله وجاهه ، هل تشك في أن الحق يكون في جانبه ؟ »

فقلت متأوها : « لإرحمني يا أرحم الراحمين ! هل ضاع العدل وفقد الناس الدم ؟ بئس علا هذا شأنه ! إنني لا أستطيع أن أزل عن حقوق وسأطالب بها » وجعلت من يأسى وحسرت أبكي بكاء مراراً وأنتحب تحبباً شديداً وجلست من يأسى وحسرت أبكي وأنتحب وزجرت بعض شمرات من لحيتي فحاول عثمان أغا أن يهدئ من روعى ويسكن من هياجى

في أحلامهم أو يتخيلوه طول أيامهم ؟ إنك لو كنت تفوقهم حذفاً أو تنجزهم مقدرة وعزماً ثم ظهرت أمامهم بلباس أحسن من لباسهم وحال أنعم من حالهم ، أو أراوك تمتلئ الحياء وقد اعتادوا ركوب الجير لجان الأمر ولما أوعزت صدورهم وأثرت حزازات نفوسهم . ولكن الذى أوقد نيران الحسد وأشعل لهيب الضغينة ظهورك بلباسك الأنيقة وغلبيك الذهب وجوادك الطهيم بين خدمك وحشمك وما كنت فيه من عظمة وكبرياء وجب وخيلاء . وإن ذلك كله كان مفاجأة لم يسبقها امتياز لك عليهم ولا تدرج في التفاوت بينك وبينهم فأذلتهم بذلك وحطمت عزائمهم فلم يحتملوا الأمر وحقدوا عليك ووطدوا الزم على إرجاعك . إن أمكنهم - إلى حالك الأولى ، فمن الجلى أنهم هم الذين أسروا إلى أسهارك أنك لست بالتاجر البغدادي ولكنك ابن حلاق في أصفهان وأنتك بائع سلع حقيرة

ولم يشك أسهارك في صدقهم بسبب الرية التي كانت محوم حولك ولتلاعبك في عقد الزواج وحيرتك في تحديد ثروتك . ومن الواضح أيضاً أن أسهارك أدركوا كذبتك فيما ادعيت من شرف الأصل وكرم المنبت وسعة الثروة ، فمن متاجر في بخارى إلى مهاكب تسبح في بحار الصين . ولو كنت ظهرت أولاً في غير جلبة ولا ضوضاء بمظهرك الحقيقي لكنت نصحت لك وحذرتك من الظهور أمام أبناء بلدك بشئ يدل على التهمة أو ينم على النفى . ولكن الأمر انتهى ووقع المقدور ولا حيلة لنا اليوم فيما حدث . وكل ما أوصيك به الآن أن تتعلم من ماضيك ما ينفعك في مستقبلك »

وبعد أن انتهى الرجل من حديثه عاد إلى غليونه

ولما تكلمت معهم أدركوا أنني واحد منهم رغم ملايبي التركية ، ووعدوني أن يدخلوني إلى سيدم من غير عناء .

غير أنني كنت أريد قبل أن أدخل إلى السفير أن أعلم شيئاً من طباعه وأحواله حتى أستطيع أن أظهر أمامه بالشكل الذي يريد ، وأحادثه باللغة التي يحب .

لذلك تحدثت مع أحد الأتباع من غير حذر أو مواربة عن كل ما أستفهم عنه ، وكانت نتيجة حديثي أنني علمت أن السفير اسمه فيروز ، وقد ولد في شيراز من أبوين عثمانيين ، ولو أنهما ليسا من عليّة القوم خلا أمه التي كانت شقيقة وزير قديم ذي سطوة وجاه ، والذي كان السبب في ارتقاء الشاه إلى العرش .

وتزوج السفير من ابنة خاله الوزير المذكور ، وساعده ذلك الزواج أن يتال مركزاً في الحكومة وكان قبل ذلك قد مارس عدة شؤون جعلته يزور كثيراً من الممالك ، ونتج عن ذلك أن اختاره الشاه وزيراً لشؤنه الخارجية .

ثم قال : « إنه رجل ذكي القلب سريع الخطاير جبار العقل سريع الغضب غير أنه مع غضبه كثير التسامح ولو أنه حين يغضب لا يسلم المرء من شدته وقد وهبه الله ملكة الخطابة والتأثير ، وبها استطاع أن ينجو في مركزه من أية ورطة يقوده إليها مركزه وحده طبعه ، وهو يسامل خدمه وحاشيته بالحلم والرفقة أحياناً وأحياناً بالشدّة والقسوة فيسمح لهم في بعض الأحيان أن يقولوا ما يشاؤون في حضرته ، وفي البعض الآخر لا يمرؤ أحد أن يقترب منه ، ولكنه يلقب عليه التبسط في الحديث

فأخذ يذكرني بحياتي الماضية وبحوادثها وما شاهدناه أثناء سجننا لدى التركان وقال لي : « إن الله قادر وحليم وكل ما يصيننا في حياتنا فهو مكتوب مقدر فليس لنا إلا الرضوخ لما قدر علينا »

نفطري لما خطر جديد وقلت : « ولكنني إراني فكيف أقبل ظلاماً من تركي ؟ إننا أمة عظيمة لها تاريخها وعظمتها من عهد جنكيز خان وتيمور خان ونادر خان الذين رفضوا شائناً وأذاعوا فضلنا بين المالين ، والذين قتلوا رجال الترك ونهبوا ديارهم أبنا وجدوم . سأسى إلى سفيرنا وأقص عليه الأمر . فإن كان رجلاً شهماً رد لي حقوق من منتصبها . نعم . نعم . إن السفير سيرد زوجي إلى . ما أحسن هذا الخطاير وأطيعه ! ثم سترى من يستطيع أخذها مني ثانياً » .

وكنت قد تشبعت بهذا الخطاير ، وامتلاّت به نفسي حتى لم أقف لأسمع ما يقول عثمان أنا في الموضوع وانطلقت ممثلة نشاطاً وإقداماً أسى إلى مثل ملكنا الأعظم الذي كان لحسن الحظ قد وصل قريبا في شأن من شئون الدولة مع الباب العالي .

الفصل الثالث والسبعون

عثره على صديقه - بعض أعباء ميرزا فيروز علمت أن السفير يقطن في حي اسكوتاري . فیمت ذلك الحى ، وجعلت أرتب أفكارى وأنظم خواطرى لأقدم للسفير مظلة جديدة بالاهتمام . وبعد أن نزلت من القارب سألت عن منزل السفير . فلما وصلت إليه رأيت حديقة حافلة بالأتباع والخدم ، وقد ذكروني بموطنى الذى يختلف كثيراً عن البلاد التركية بما يبدوا لى من ملامحهم وسرعة حركتهم .

والرفة واللين وحب المزاح .

وعظمى اللتين ظهرت بهما ، وكنت كلما ذكرت شيئاً من خديقتي لمجول الأثرak (كما كان يسميهم السفير) وغشى لهم زاد مروده وانشراحه وكثر ضحكه وأخذ يقاطعني بقوله : « بارك الله فيك يا أصفهاني ! بارك الله في ذكائك أيها المفلس : والله لو كنت في مكانك ما صنعت خيراً مما تصنع »

ولكنني حين قصصت عليه ما فعله مواطني من حسدهم وضغينتهم وما تم أخيراً في منزلي ، والشتائم التي أنهالت عليّ من النسوة وأقارب زوجتي . وحين مثلت له حالي حين خرجت من المنزل رأيته بدل أن يظهر الشفقة والأمل لما نالني أخذ يضحك ويتأيل من شدة الضحك وقد احمر وجهه وانتفخت عروق جبهته ولم يلبث أن استلقي على وسادته من تأثير الضحك الشديد

فقلت له : « أتوسل إليك ياسيدي أن تفكر في مركزى الحاضر . لقد كنت أنام على فراش من ورد فأنصبت لا أجد ما أتوسده . وكنت أمتطي خير الجياد فأنصبت أتمنى أن يكون لي حمار حقير

إنني حين أنصور ما كان لي من ثروة وغنى ، من ثياب فاخرة وخدم وحشم وحمامات من رخام وغلايين وفناجين وكل ما يمكن أن يشتغى المرء ، ثم أرى نفسي اليوم لا أملك ما أتباع به ؛ حين أنصور ذلك أعاني حسرة أية حسرة ! وأكابد لوعة أية لوعة ! إن هذه الذكريات لتثير كل شعور في نفسي إلا السرور ، ومحدث كل شيء بنفسى إلا الضحك مهما يكن تأثيرها في نفسيك »

فصاح السفير ضاحكاً : « إن هؤلاء الأثرak معانيه وإنني أتخيلهم الآن بلحاهم الطويلة ورؤوسهم الصلماء ، وقد انطلقت عليهم رواية الإيراني الخبيث وأكاذيبه . ولولا أن أبلغهم الأمر فارسيون من

ذلك هو الرجل الذي قادوني إليه . وقد رأيته جالساً في أحد أركان الغرفة كمادة أهل إيران ، وبسبب جلوسه لم أعرف أطويل هو أم قصير ... غير أن وجهه كان من أجل الوجوه ، وهو عريض الكففين ، عريض الصدر ، أفتى الأنف ، واسع العينين متألفهما ، جميل الفم جذاب ، له لحية يحسده الرأؤون عليها . وكان مثلاً للجمال الفارسي ، وبعد أن تبادلنا السلام قال لي : « هل أنت إيراني ؟ » فقلت : « نعم » .

قال : « إذن لم تنزياً بالرى الميثاني ؟ إن لنا بحمد الله ملكاً ودولة لا يتجمل من الالتئام إليهما أي إنسان » .

فأجبته : « لقد قلت حقاً . ولما لبست ثياب الأثرak وتشبهت بهم صرت أحقر من كلب ورأيت أيام يؤس لا توصف ، وفتفت كبدي أسي حيث اختلطت بهؤلاء القوم الملاحين ، وليس لي من حام غير الله وغيرك » .

فقال لي : « وكيف ذلك ؟ تكلم ! هل نال أحد أصفهانين ، إذ يظهر من لمسجتك أنك أصفهاني ، ضرراً أو أذى من ترك ؟ عجيب هذا والله ! إننا ما حضرنّا إلى هنا ، وما قطعنا كل هذه المسافات الشاسعة إلا لنذيقهم العذاب لا لكي يذبونا » .

قصصت عليه كل أمرى منذ البدء إلى النهاية وكنت كلما تقدمت في الرواية ازداد هو إقبالاً عليّ وانشراحاً بمحيدني إلى أن وصلت إلى قصة زواجي فأخذ يضحك ضحكا عالياً متواصلاً من الرواية التي رويتها عن زوجتي ، وقد سره ما أخبرته به من أمر الوليمة التي أقيمتها والاحترام الذي قوبلت به وأبقي

كثير المم والتفكير، فأمالى من حيث الحياة الناعمة والعيش الطيب قد ذهبت أدرج الرياح ورأيت نفسى مضطراً إلى الكد والنصب لأحصل على ما يقوم بأمورى

وأخيراً قلت لنفسى : « لئن فقدت المنزل فقد عثرت على صديق وليس من العقل أن أرفض حمايته ولا شك أن العناية التى حفظتنى والقدر الذى سدد خطواتى سيتمهدهانى فى مستقبل وقد أسبل يوماً من الأيام إذا شامت المقادير إلى حالة لا أقلل معها على الحياة »

وصممت على التقرب من السفير ، وسررت أن رأيت أن البشاشة التى أظهرها عند أول مقابلة قد زادت ، وكثر عطفه على مع توالى الأيام . وقد استفاد السفير منى إذ جعلنى أستطاع له الأخبار ، وأودى له خدمات حكومية ، وأخرى خاصة بمهمته التى جاء من أجلها .

وشغلنى عن البحث فى مستقبل الاهتمام بالحوادث العامة ، والأمور الخارجية ، وكنت لا أعرف عن الأمم من قبل غير أمى وأمة الترك ، وأسما بعض الأمم الأخرى مثل الصين والهند والأفغان والتاتار والكرد . وكنت أعرف العرب كذك ، وأعرف من الأفريقيين بعض أجناس كنت أراهم يخدمون فى منازلنا .

وعرفت من الفرنج الروسيين (إذا كان هذا هو اسمهم) وقد كنا كثيراً ما نرى بعض رجالهم فى إيران . وصممت عن الإنكليز والفرنسيين .

فلما دخلت إلى الأستاذة دهشت إذ صممت بوجود أجناس أخرى من الفرنج غير الثلاثة الأجناس التى ذكرتها ، ولكننى كنت مشغولاً بأمورى الخاصة

جنسه لظلال فى عمايتهم ولما غامرهم شك ولا رية . ثم قال لى : ماذا أستطيع أن أعمل ؟ لست والذك ولا عمك لأتدخل فى أمر زواجك ، وأقنع أهل زوجتك ، ولست قاضياً ولا مفتياً لأفصل فى موضوعك » .

فأجبته : « نعم . لست واحداً ممن ذكررت غير أنك حائى هنا ونصيرى ، وأنت تمثل ظل الله على الأرض فلا تتخسل عنى ولا تسمح باضطهاد يصيب مسكيناً غريباً مثلى »

فقال لى : « هل ترغب فى استرجاع زوجتك على أن تظل عرضة للقتل فى كل لحظة ؟ ماذا يفيدك الننى والثروة والجاه والسلطة إذا وجبوك قتيلاً فى صبيحة اليوم الذى تستردها فيه ؟ كلا ! كلا ! كنى طافلاً وأسعى إلى قولى واستمع لنصيحى . ألقى كل ما عليك من ملابس الأتراك وأرجع كما كنت فارسياً . فإذا ما استعدمت شكلك الأول فكرت فى أمرى ، وفيما يجب أن أعمل من أجلك . لقد أطربنى قصتك وأعجبني ذكاؤك وفطنتك وصدقنى أن فى الحياة ما يفوق النوم على فراش من ورد ، والتدخين طول اليوم فى قصبة تبغ أو ركوب جواد ضخم ثالث هنا وإذا اشتقت يوماً إلى اللهو والضحك أحضرتك لنقص على قصتك نانياً » .

وعند ذلك قت فقلت أطراف ثيابه شاكرًا فضله . وتراجعت غير عالم بما يكون من أمرى فى حالتى هذه .

الفصل الرابع والسبعون

ماجى بابا بموز تمة السفير

لقد قيل إن الحاجة كجواد يمدو راحبه فيصل إلى ما لا يصل إليه الجواد السابق . وكنت قلقاً

والعزف على آلات الطرب وغير ذلك من الشئون اللزنية ، وأن اشترى للحزم الملكي حرار ورياشا وبذائع وطلائف ... لقد أشبنا ذلك لتضليل الجمهور وإخفاء غرضنا الحقيقي ، فلم يرسلني الشاه لأمثال هذه السفاجات بل حضرت في غرض أهم وأشرف مما ذكرت . حضرت في مهمة فوق ما تتصور . ولا ينتخب الشاه لثلها إلا الذي الحصيف ، وقد وقع اختياره على فارغ سمك لما أقول . منذ بضعة أشهر وصل إلى طهران عاصمة إيران سفير من أوروبا قال : إن الذي أوفده هو امبراطور اسمه نابليون بونابرت شاه الفرنسيين . وقال إنه يحمل رسالة وهدايا للشاه وتحدث ذلك السفير كثيرًا عن قوة الامبراطور وأعماله وصفاته ، وأكاد رغبة سيده في عقد محالفة مع الشاه . وقال السفير : إن لديه من التعلبات ما ينحوه عقد المحالفة ، وظهر في كلامه وحركانه بظهور عظيم حقًا ، وصرح بأن باقي الأمم الأوروبية أي أم الفرنج ليست إلا مواطلي لقدومه لا تستحق منه أي اعتبار ووعدها السفير بأن يتخلى لنا الروس عما فتحوه في جرجان ، وأن يمد إلى الشاه نقاليس وغيرها من المدن التي كانت للفرس في الزمن الماضي وقال إنه سيفتح الهند ويطرد منها الانكليز ، وأنه يهبنا كل ما نطلبه ونصبو إليه نفوسنا .

وقد كنا سمعنا من الفرنسيين أنهم يجيدون غزل الأقمشة وبضع صناعات أخرى غير أننا لم تكن نعلم أن في استطاعتهم تنفيذ ما كان يدعيه ذلك السفير . وسمنا فوق ذلك شيئًا من أخبار هجومهم على مصر إذ ارتفعت على أثر ذلك الهجوم أمانا البن والحناء . وذكر أحد المظاہر سفيرًا فرنسيًا من قبل ملك فرنسا لويس ولكن أجدنا لم يعلم أن ذلك البونابرت.

فلم ألتفت كثيرًا إلى ما يختص بهذه الأجناس . فلما انضممت إلى أتباع السفير ، وصرت في معيته سمعت عن أشياء لم تكن تخاطر ببال من قبل وسر السفير إذ علم أنني أسس إلى مرضاته ، واتضح أمره بأن منحني ثقته التامة .

ففي صباح أحد الأيام بعد أن تحمل رسائله الرسمية ، أرسل في طلبي وقال : إنه يريد عاقدتي على انفراد في أمر هام . وأمر كل من كان موجودًا بالانصراف وأجلسني . ثم قال لي بصوت منخفض : « يا حاجي بابا . إنني أريد أن أحادثك . فإن القوم الذين تتكون منهم ميعتي لا يفقهون ما أريد . وهم فارسيون أذكاء إلا أنهم لا يدركون من شئون الدولة شيئًا ، ويطلقون الأعمال التي حضرت من أجلها أكثر مما يساعدوني على إنجازها . غير أنني والحمد لله قد وجدت فيك الرجل الذي أطلب . فأنت فوق هؤلاء الرجال خبرة ودراية ، وقد رأيت من العالم وحواشه ونجاريه فوق ما رأوا ، ويمكن الاستفادة بك . إنك تستطيع أن تضحك من الذقون ، وتستخرج لباب الأمور من غير أن تلس ظواهرها . وأنا في احتياج إلى رجل مثلك . فإن أخضعت لي وللشاه ملك الملوك كان ذلك سبيلًا في رفعتنا سويا ، وفي ارتقائنا وعظمتنا » .

فقلت له : « إنني وما أملك من قوة ونشاط رهن إشارتك . فما أنا غير عبدك وخادمك ، وليس على سيدي السفير إلا أن يأمر بقطع أمره على الرأس والمين » .

فقال السفير : « قد يكون وصل إلى سمك مما تتداوله الألسن أن مهمتي التي قد جئت من أجلها هي شراء الرقيق للشاه من نسوة بارعات في الرقص

عرشي ويقبل على أهل الشمال والجنوب وسكان الغرب والشرق ويقدمون إلى الهدايا والنفائس ، لأصح لهم بالمقابلة تحت قدمي فيلقدم منهم من يتقدم وليقد على منهم من يقد بالله معنا »

وعند ما تركت باب الشام كانت فارس تنظر قدوم سفير انكليزي . والخطابات التي تسلمها الآن تنبئ بأخبار طلبة السماح له بالمقابلة . والمخابرات الدائرة بهذا الشأن غير أن الشام لا يستطيع البت في الأمر قبل أن تسلم أخباراً لأنه حين علم أن في الأستانة كل الأجناس الأوربية وأن لكل أمة سفيراً فيها رأى جلالته بما له من الحكمة وسداد الرأي أن يعثى إلى هنا لأحصل له على المعلومات التي نحن في حاجة إليها حتى يزول من فارس كل ريب يتعلق بالفرنسيين والإنكليز وحتى أعلم إذا تمكنت حقيقة ما قالوه عن أنفسهم .

وقد رأيت يا حاجي بابا أنني رجل واحد هنا والعمل الذي كلفت به يحتاج إلى أكثر من خمسين رجلاً فالفرنج أم مختلفة وأجناس لا عداد لها كما لاحظت هنا من تباين اللغات واختلاف المهن والهجرات ، وقد أخبرتك أن رجال حاشيتي لا خير فيهم ولا منفعة منهم في مثل أبحاثي فوقع اختيارى عليك . وهما نذا أنتظر نتاج مجهودك وثمره أبحاثك ويجب أن تتعرف على بعض هؤلاء الكفار . ولمعرفتك باللغة التركية تستطيع أن تستعلم منهم عن كثير ممن نود . وسأقل لك نسخة من تعليمات الشام في هذا الصدد . ويجب أن تحفي هذه التعليمات في أيدي مكان من عقلك غير أنك تسير على مقتضاها فاذهب الآن إلى أن أستحضر لك هذه الأوراق واجلس في مكان منفرد وفكر طويلاً فيما يجب أن تبينه من الطرق وتتخذوه من الوسائل »

قد صار ملكاً على فرنسا . وعلنا من تيجار الأرمن الذين طافوا بلاد العالم بوجود رجل بهذا الاسم وبأنه مثير هياج ومسبب شغب وقلق . وقد قبل الشام بسبب معاملته هؤلاء التجار وبسبب ظروف أخرى أن يسمح للسفير بالثول بين يديه . غير أن أحداً من الناس لم يستطيع أن يعرف إن كانت الرسائل التي أحضرها ذلك السفير مكتوبة بخط يمكن تفسيره أو لا يمكن وأن ما قاله السفير كان حقاً أو باطلاً فأعيا الأمر وزدنا كبيرم وصغيرم ولم يستطيع الشام أن يدرك شيئاً رغم علمه الواسع بكل ما تقع عليه أشعة الشمس وإذا استثنينا « الخواجه عبيد » الأرمني الذي كان قد وصل إلى مرسيليا وهي بلدة في فرنسا وظل فيها سجيناً أربعين يوماً ، وإذا استثنينا كذلك « ناسيس » القس الفرنسي الذي تلقى العلم مع الدراويش في جهة من جهات تلك الممالك المجاورة . إذا استثنينا هذين الرجلين لم نجد يباب الشام من يستطيع إرشادنا أو يلقى على ظلمات عقولنا شيئاً من النور أو يستطيع على الأقل أن يخبرنا إذا كان هذا البوابرت وسفيره محتالين أو صادقين ؟ وهل جاءنا السفير لينهب بلادنا أو ليرفع من شأننا ؟ ثم لم نعلم خبرتنا فإن الإنكليز الذين كانوا يتجرون بين الهند وإيران ويقطن بعضهم في « بوشير » حين علموا بمجيء ذلك السفير أرسلوا إلينا الرسل والرسائل وبشوا بمعامل منهم يمحنتا على عدم السماح لذلك السفير بالتقرب منا وحاولوا كثيراً أن يمنوا تقدمه ونجاحه حتى أدركننا أننا نستطيع الاستفادة كثيراً من هذا النزاع بين الإنكليز والفرنسيين

وقد قال الشام : « وعزتي وتاجي إن العناية الإلهية هي التي أحدثت ما حدث . إنني أجلس على

كشفت مسألة حيرت ألياب الفارسيين وشوشت عقولهم وهي كيف أن انكلترا ولوندرنا قد اختلطتا واشتبكتا فهل انكلترا جزء من لوندرا أم لوندرا جزء من انكلترا؟

ثم أمر السفير أن يستعلم فوق ذلك عن حقيقة الإمبراطورية ومن أو ما هي وكيف وجدت العلاقة بينهما وبين انكلترا وهل الإمبراطورية امرأة يجوز كما يتردد على بعض الألسنة أم تتكون من جملة عجائز؟ وهل ما يروى عن عدم قابليتها للنفاء مثل (لأما للثب) خرافة أم حقيقة؟ ثم يستكشف حقيقة بعض أمور غامضة خاصة بالحكومة الإنكليزية ونظلمها

ومن مهمة السفير أيضاً معرفة بعض أبناء الدنيا الجديدة . وأخيراً أمر السفير أن يكتب تاريخاً عاماً عن الفرنجستان وعن أحسن الوسائل المؤدية إلى تنفيرهم من شرب الخمر وأكل الخنزير وإلى اعتناق دين الإسلام

وبعد أن قرأت هذه التعليلات وفكرت ملياً رأيت أن خير من يجيب عليها هو كاتب في خدمة (الريس أفندي) كنت قد تعرفت به إبان الزمن القصير الذي كنت فيه أتيق المظهر

وكنت أعرف القلي الذي اعتاد أن يجلس فيه والساعة التي يذهب فيها وكان من عادته ألا يكثر من الحديث ولا يسترسل في الكلام غير أن رجوت أن تشرح نفسه ومحدثي عما يراه في هذه المسألة إذا ما شرب قهوة ودخن غليونيه كما كان يحدث من إقباله على الحديث في بعض الأحيان

ولما اتخمت بهذه الفكرة أخبرتها السفير الذي سمرنيها واغتبط إلى جذأه عزما إلى نفسه وقال لي : « ألم أخبرك بهذا ؟ ألم أقل لك أنك ذكي القلب

وبعد ذلك أمرني بالانصراف فتركته وخرجت وقد فتح أمامي طريق جديد من طرق الحياة

الفصل الخامس والسبعون

مهررر هاجي بابا في الحياة العامة ونفعر لمهررر

خرجت بعد أن أعطاني السفير صورة من تعليلات الشاه ويمت مقبرة مجاورة لأتلوها على أفراد بهداة وسكون وقد أقيت الورقة ملفوفة في طيات عمامتي، ولأن هذا العمل كان أول عمل لي في الحياة العامة فقد ظلت محتوياتها منقوشة في ذهني بآفة في غيالي وكان أول أبحاث السفير متجهاً إلى معرفة حقيقة تلك المملكة التي تسمى الفرنجستان وهل ملكها الذي يلقبونه في فارس بشاه الفرنج موجود حقاً وأين عاصمته إن كانت له عاصمة ؟

وكان السفير فوق ذلك يريد أن يستعلم عن عدد قبائل الفرنجستان وهل هم ينقسمون إلى سكان مدن وسكان صحراء كما هي الحال في إيران ومن هم رؤساء قبائلهم وكيف يكمونهم ثم يستعلم بعد ذلك عن فرنسا وعن اتساع أقاليمها وهل هي قبيلة من قبائل الفرنج أو مملكة مستقلة ومن هو ذلك البونابرت الذي يلقب نفسه إمبراطور تلك المملكة ؟ وأمر السفير أن يوجه كثيراً من التفاته إلى معرفة حقيقة هؤلاء الإنكليز الذين يعرفونهم في فارس بأفقتهم المريضة وساعاتهم وخناجرهم، ويعرف من أي طبقة من طبقات الكفرهم ؟ وهل يقيمون طول العام في جزيرة من غير أن يكون لهم مصيف ولا مشق وهل يعيش معظمهم في الرأكب ويقتصرون في قوتهم على الأسمك ؟ وإن كان هذا هو أمرهم فكيف استطاعوا الاستيلاء على الهند . ثم يبدل جهده في

حاضر البديهة . اعترف إذن بأن لي بصيرة نفاذة ونظراً ناعياً، وأنه يجب أن يكون الرمتوقد الذكاء والفطنة ليعرف أقدار الرجال ويعين الكتابات الأولى لما اتجهت أنظارنا إلى هذا الكتاب ولما فكرنا فيه .

سيعبرنا ذلك الكتاب بكل شيء ويساعدنا على انتشار الإسلام في جميع أنحاء الكون »
ثم أخبرني السفير بأن في إمكانى أن أعد ذلك الكتاب بالمدايا إذا وجدت صعوبة في الاستعلام منه وإن استعصى على الكتاب أمر فله أن يستفهم عنهم نفس الرئيس افندي

وقد تكون هذه هي الحقيقة إذ كلهم يحلقون ذقونهم ويرسلون شعورهم ويلبسون القبعات على رؤوسهم ، وكلهم يرتدى الملابس الضيقة ويأكل لحم الخنزير ويشرب النبيذ ولا يؤمن برسول الله . غير أن من الواضح أن لهم ملوكاً كثيرين ، ألا ترى هؤلاء السفراء المديدين الذين يتوافدون على الباب العالي ؟ إنهم لا عداد لهم حتى لا يسع المرء أن يحصيهم »

وذهبت في الوقت المناسب إلى المقهى فوجدت الكتاب هناك ودونت منه منظراً البشاشة والترحاب والود ثم دعوت السائق وطلبت أن يحضر لنا فنجانين من القهوة اللذيذة التي يصنعها من البن اليمني . وجلست أمام الكتاب وقد تصادف أنه أخرج ساعته فوجدت الفرصة ملائمة للبدء في مأموري . وقلت :

قلت له : « تكلم ! تكلم بحق رسول الله ! وسأكتب ما تقول . أشهد الله أنك رجل واسع الاطلاع غزير العلم »

قال : « هذا صحيح فليس في العالم من يستطيع عمل الساعات غير الأوروبيين »
قلت : « عجباً ! يظهر أنهم قوم غير عاديين »
فقال : « أجل غير أنهم كفار »

فسرح الرجل شعر لحيته وأخذ يقتل شاربيه ويستجمع أفكاره ليحصى أمم الفرنجستان ، بينما كنت مشتتاً بإخراج الدواة من حزامي والاعتدال أمامه استعداداً للكتابة

قال : « هذا صحيح فليس في العالم من يستطيع عمل الساعات غير الأوروبيين »

وبدأ الرجل حديثه بقوله : « ولكن لماذا تشغل نفسك بهذا الأمر ؟ إنهم جميعاً ملاعين من منبت نجس وخرج ذئب ، ويوم القيامة سيصلون ناراً حامية »

قلت : « عجباً ! يظهر أنهم قوم غير عاديين »
فقال : « أجل غير أنهم كفار »

ثم قال وهو يحصى على أصابعه : « أولاً هناك التماسيون جيراننا وهم قوم كثيرو التدخين يرسلون إلينا الأقشعة والصلب والرجل ، ويحكمهم شاء من أعرق عائلات الكفر وأقدمها وله مثل عندنا نعلمه وتكسوه : ثم هناك طائفة السكوب وهم أمة فذرة لعينة مملكتهم كثيرة الاتساع حتى قيل إن لها طرفاً تنظيه التلوج الداعة والطرف الآخر نار القيتظ لللهية . إنهم أعداء ألداء لنا وقد طالبا حاربناهم

قلت وقد أخرجت الغليون من فمي وناولته بإيه : « بالله عليك يا صاحبي أن تخبرني بشيء عن هؤلاء الفرنج . هل الفرنج مملكة عظيمة ؟ أين يقيم ملكهم ؟ »

فأجابني : « ماذا تقول يا صديقي ؟ أقول مملكة عظيمة ؟ نعم ممالك كبيرة لا يحكمها ملك واحد بل ملوك كثيرون »

قلت : « ولكنني سمعت أن الفرنج قبائل

و هؤلاء يرسلون إلينا سفيراً خاملًا يقوم بشئون تجارتهم وتصريف صادراتهم من جبن وزبد وسمك محفوظ . غير أن حكومتهم قضى عليها ظهور بونابت وبونابت هذا رجل في مقدمة الرجال خليق بأن نضمه في صف نادر شاه الفارسي وسليمان القانوني التركي دون أن نخجل أو نحبط من قدر أنفسنا .

وهنا لن أتمالك أن قاطعت الكاتب وقلت حين سمعت اسم بونابت : « بونابت » . هذا هو اسم الرجل الذي أريد معرفة شيء عنه فقد سمعت أنه كافر لا نظير له مقدم شجاع ، وأرجو أن أسمع منك شيئاً عنه »

فقال صاحبي : « هل تظنني أستطيع أن أحصي أخباره ؟ لقد كان جندياً بسيطاً من عهد قريب ، وهو اليوم سلطان أمة عظيمة ، وهو الذي وضع لبلاده قانونها ، وحاول جهداً استطاعته أن يقضى علينا باستيلائه على مصر فأرسل جيوشاً جرارة لفتحها . غير أنه نسي سيوف المجاهدين وقاتل المؤمنين فاضطروه المصريون إلى العودة بعد أن خوف بضعة عماليك ، وأرغم الأعراب إلى الانجلاء للمصحراء »

فسألت الكاتب : « ألا يوجد بين الكفار قبيلة اسمها الانكليز ؟ لقد قيل إنهم أقل القبائل عدلاً وإنهم يقيمون في جزيرة ، ويصنعون الآلات الحادة » .

فقال مجيباً : « أجل ذلك صحيح ، وقد حظي الانكليز منذ قرون بما لم يحظ به غيرهم من أم الفرنج لدى الباب العالي فنالوا ودم ، وهم قوم بحريون لهم أسطول كبير ، ولا يماثلهم أحد في صناعة الساعات ، ونسبيج الأقمشة »

فقلت له : « وماذا تعلم من أمر حكومتهم ؟

صارخين بأعلى أسواتنا « الله أكبر ! في سبيل الله ! » ويحكمهم الرجال والنساء على حد سواء . ولكنهم ياتلوننا في قتل حكامهم والثورة على ولاة أمورهم . ثم يجيء بعد هؤلاء من طوائف الكفر طائفة البروسيين وليس غير الله يعلم لماذا يرسلون إلينا سفيراً . لا حاجة لنا به ولا منفعة ؛ فإننا أبعد من أن نهم بمثل ذلك الحقيق ؛ غير أن الباب العالي مفتوح على مصراعيه بلجه التجسس والتحقيق كما يدخل منه المؤمن الوقور فتشمل الجميع عنايته

ثم ماذا أقول بعد ذلك بحق رسول الله ؟ توجد طائفتان أخريان من طوائف الكفر تسكنان في شمال العالم وتقيان في آخر حدود الأرض ، وهما طائفتا الدانمركيين والسويديين وهؤلاء قبائل صغيرة رجالها قصار القامة لا يذكرون بين الرجال رغم ما قيل من أن شاه الدانمركيين من أكثر ملوك الفرنجستان اطمنثناً على ملكه وراحة في عيشه لا يزجه مريض ولا يخيفه منازع . بينما شاه السويد مشهور بالحماسة والجنون فقد أثار مرة في أوروبا حرباً شعواء لم ينظر فيها إلى البلاد التي يحاربها بل كانت الحرب غايته ومقصده ، وقد أدى به جنونه وساقته حماسته إلى اختراق حدودنا التركية . فأمرناه كما يؤمر الوعل الشارد .

وكانت هذه الحادثة سبباً في معرفتنا تلك الأمة . ولولا ذلك لكانا ظلالنا إلى ما شاء الله لا نعلم من أمر هذه الأمة حتى ولا وجودها .

وسأذكر لك قوماً آخرين يقال لهم أمة الفلنك ، وهم كفار أغبياء فقال الفل بطردو الطبع ينظر إليهم الفرنج كما تنظر نحن إلى الأوروبيين لا يفكرون إلا في جمع المال ، ولا يطمعون إلا في الثروة والنفي

الإنكليز المجانين ، وعلى أنه أوجدنا في أمة راقية
رزينة ندخن غلايتنا مطمئنين آمنين على صفاء
البوسفور

فقلت : « ما أغرب ما تقص علي وما أعجبه !
لو لم أكن قد سمعت منك هذه الأمور لما صدقت
منها حرفاً واحداً ؛ غير أن شيئاً واحداً بقي وهو
مسألة الهند فكيف استطاع الإنكليز أن يحكموها
مع أن حكامهم نساء عجائز »

فأجابني : « لا يدهشى والله أى أمر أسمعه
عن هؤلاء القوم فليس لهم عقول . ولكن لم يصل
إلى على أن الهند تحت حكمهم . قد يكون ذلك
وقد لا يكون والله وحده يعلم . وكم للمجانين من أفعال
شاذة وأمور غريبة »

فقلت بعد برهة صمت : « والآن هل قصصت
عليّ كل ما تعلم أم لا يزال عندك علم بكفار آخرين ؟
قل لي بحق الصداقة إذ من كان يعلم أن في الدنيا
الفرية التركيب والتكوين أمما بهذا الشكل ! »

فقال بعد أن فكر قليلاً : « أجل لقد نسيت
أن أذكر أمتين أو ثلاث أمم ، غير أن ما نسيت
أن أذكره غير جدير بالحديث . هناك غير ما ذكرت
الأسبانيون والبرتغاليون والإيطاليون وهؤلاء أقوام
يتخذون بالطنائير ويمسدون الأصنام وليس لهم أية
قيمة حتى بين الفرنج . وقد وصل علنا إلى أولام
بسبب تقوهم القضية المتداولة بيننا ، ويفد من الثانية
بعض اليهود ، وتبعت الثالثة إلى نادر أوش يدفعون
مبالغ طائلة لبناء الأديرة ودق الأجراس . ويجب
أن أذكر لك شيئاً عن البابا خليفة الفرنج فهو يقيم

ألا تكون من شيء آخر غير الشاه »
فأجابني : « كيف يمكننى أو يمكنك أن نفهم
عقلية هؤلاء القوم المجانين ؟ لست أنكر أن لهم
شاهاً ولو أنه من الضحك أن ندعوه بالشاه
إذ لا ينطبق عليه هذا الاسم فهم يطمونونه ويكسونه
ويسكنونه في القصور الشوامق ويقرون له مرتباً
سنوياً ويحيطونه بكل مظاهر المظلمة وأبهة العرش
بل ويلقبونه أضخم الألقاب وأعظم الأسماء سخريه
منهم لأن الأنا البسيط من أغواننا يملك من النفوذ
أكثر مما يملكه هذا الشاه الإنكليزي الذي يبلغ
من ضعفه أنه لا يستطيع حتى جلد أحد وزرائه
مهما كانت جنايته . بينما يستطيع الأنا عندنا إذا
أراد أن يصلم أذان نصف المدينة ولا يجازى بنير
التشجيع والمكافأة . ولم يحال علوة بالمجانين
الحق يجتمعون فيها للجدل السخيف والطحاحن
والتراشق بالألفاظ إذا قال فريق منهم عن شيء هذا
أبيض اللون قال الآخر لا بل هو أسود ، ويشيرون
نخبة عظيمة من مناقشات وردود وخطابات حول
أية مسألة عادية يكنى أن يقطع فيها بالرأى أى مفت
عندنا فنقرض على قطر بأسره . وجملة القول فإن
أمرأ واحداً لا يمكن أن يقرر في تلك المملكة دون
أن يثير الشعب تلك الضجة الحقاء والناقشات الجوفاء
مهما بلغ من تفاهة هذا الأمر كقطع رأس أنا فأثر
أو مثل ذلك من الأمور البسيطة . إن الله جلت
قدرته وعظمته قد أعطى العقل لبعض الأمم وحجبه
عن البعض الآخر ، وليس لنا إلا أن نخضع لما أراد
وعلينا أن نشكره تعالى على أننا لم نخلق بين هؤلاء

وقد سر السفير من التقرير الذى قدمته إليه مما قصه على الكاتب . وظل السفير بعد ذلك مدة إقامتى فى الأستانة يرسلنى يومياً فى شئون أخرى واستعلامات شتى إلى أن حسبنا سوياً أن فى استطاعتنا بما لدينا من المعلومات أن نكتب تاريخ أوروبا الذى كلفه مليكة بكتايته عند عودته . فأخذت أشتغل بجهد فى وضع ذلك التاريخ وبعد أن فرغت من كتابة مسودته عرضتها على السفير لتتبعها وتصحيحها لتوافق أغراض الشاه فنقحها وزاد فيها ما رآه لازماً وحذف منها ما يجب حذفه ، وحين انتهى منها سلمت إلى كاتب نقلها بمخط جميل فأخرجها مجلداً فنيا مرتباً ترتيباً بديعاً ووضعها فى كيس من الحرير قال السفير إنه حرى بيد الشاه ، واعتقد السفير أنه أتم مأموريته التى جاء من أجلها وأعلن أنه سيأخذنى معه إلى إيران بل زاد على ذلك أننى سأستمر فى خدمة الحكومة بعد رجوعنا إلى طهران ، وقال إن رجلاً له مثل هذه الدراية والخبرة الواسعة بأحوال الفرنجستان سوف ينقمننا نفعاً كبيراً فى معاملة السفراء الموجودين فى إيران »

ولم أكن أعنى فوق ما عرضته على السفير إذ أن سوء المعاملة التى لقيتها من الترك جعلتنى أكره الإقامة بينهم فلم أعد أرى فى مدينتهم ما يجعلها فى عيى ، وكنت كلما ذكرت شكرليپ على صدىري بالنيظ والحقد الشديدين

وكان قد مضى زمن طويل على حادثتى مع شيخ الملء فى طهران ، وكنت قد علمت أن الملا نادان قد مزق جسده على آلة التعذيب وأن أرملة شيخ الملء التى تركتها بين أيدي قطاع الطريق لم ترجع

فى إيطاليا ولا ببنى عن السى فى نشر دينه ، غير أننا لا نهم به وقد توقعنا إلى هداية كثير من تابعيه وهذا لا يمنع من العذاب الذى يصيبهم على ما قدمت أيديهم قبل اعتناهم الإسلام ديناً »
فقلت لصاحي : « لم يبق غير سؤال واحد ليس لى بعده سؤال وشكرآك على ما قدمت ، هل تذكر لى شيئاً عن الدنيا الجديدة فقد سمعت أخباراً متناقضة حيرت عقلى . كيف وصل الناس إليها أمن تحت الأرض أم بأية وسيلة ؟ »

فقال الكاتب : « ليس بيننا وبين من ذكرت علاقات كثيرة ، ولذلك لا أستطيع أن أقص عليك كثيراً من أخبارهم غير أن المرء يستطيع الوصول إلى الدنيا الجديدة على سفينة إذ رأينا هنا كثيراً من سفن الدنيا الجديدة وكلهم نصارى ضالون »
ثم تابع حديثه متهدأ : « كلهم نصارى مثل سكان الدنيا القديمة وسيكون مقامهم فى جهنم وبئس المصير . هذه إرادة الله وحكمته »

ورأيت بعد ذلك أن الكاتب بدأ يتذمر ويتضجر فلم أسأله عن شيء آخر ، وكنا قد مضى علينا وقت طويل ونحن نتحدث فلم أطلب قهوة ولم أذخن وافترقنا بعد أن توعدنا على المقابلة ثانية

الفصل السادس والسبعون

جاءى بابا يكتب تاريخ أوروبا

ورجع مع السفير الى ابراهيم

عدت إلى السفير فرحاً طروباً بما مى من الأخبار وبنجاحى فى أول مهمة كلفت بها فى حياتى السياسية

التي لا نهاية لها . وكان القى يسميهم في احترامهم هذا وتعظيمهم لا يحظر بباله أنى نفس الرجل القى ضحكوا منه وشهروا به منذ أقل من شهرين بل يعتقد أنى رجل بلغ من سلطانه وقوته أن حياهم أو موتهم يتوقفان على إشارة من بنانه

غير أننى لما استأذنت من عثمان أنا لم ألا حظ عليه أى تغيير ، ودلى كلامه على أن عاطفته نحو ابن حلاق أصفهان هى من لم يطرأ عليها أى تبديل وقال بلهجه المادية حين افترقنا : « إذهب يا بنى . إننى سأسلى وأنبهل إلى الله أن ينالك ما تصبو إليه نفسك من رفة ونجاح ، وأن يسند الله خطواتك أينما ذهبت وفى أية حالة — سجيناً عند التركان ، أو عالماً من العلماء ، أو بائع غلابين ، أو أنا تركياً أو سفيراً فارسياً — كن ما شئت وسأدعو الله لك فى صلاتى »

وترك السفير اسكوتارى بعد أن انتهى من حفلات الوداع ، واستأذن الحكومة فى الرحيل ، وصحبه كثير من الفارسيين فى مسيره وظلوا معه نحو فرسخ ثم استأذوه فى العودة

وكانت رحلتنا هادئة لم يحصل فيها ما يستحق الذكر من يوم أن بدأنا المسير إلى يوم دخولنا فارس وسمنا فى « أريفان » أخباراً مهمة غير واضحة عما يشغل بال القوم وعما يحدث فى البلاد إلى أن وصلنا إلى تبريز التي يحكمها عباس ميرزا فملنا أهم المسائل التي تشغل بال القوم وأهمها التشاحن بين السفيرين الفرنسى والإنكليزى وسمح الشاه لأولهما بالثول بين يديه وعدم استطاعة الثانى الثول أمام جلالته بعد وسمنا أخباراً عدة عما يبذل السفيران من الجهد

قط إلى فارس فاستنتجت من كل ذلك أن فى مقدورى أن أعود إلى الظهور فى فارس دون خوف

وقلت فى نفسى : « وإذا عرفت وظهرت حقيقتى فى القى يمرر أن عيسى بأذى وأنا فى حماية رجال الحكومة ذوى النفوذ والجاه ؟ لقد استرد رئيس الجلادين جواده ومتاعه عند القبض على اللانادان ، وأغلب الظن أن الشيخ عبد الكريم قد لقي ما لقيته سيده أرملة الملا باقى إذ لم يسمع عنه أى خبر فلست أخشى أن يعود إلى مطالبتي بالمائة الطومان ، وأى شيء أخشاه بعد ذلك من العودة إلى طهران ؟ »

لم أر ما يجب على أن أخشاه إذ يكفى أن يسل القوم أننى فى خدمة الشاه لأسير مطمئناً فى تيه وعجب واختيال فى كل أنحاء البلاد الفارسية مهما يكن من ذنوبى ، وشجعت غريعتى هذه الأفكار فأخذت أجهز نفسى للرحيل مع السفير . غير أننى عقدت النية على أن أزور قبل رحيلى الخان الذى فيه أبناء وطنى لأتمسكن من الظهور أمامهم بمظهر ذى النفوذ والسلطان بعد ما لقيت من الخزي والعار فى حادثى الأخيرة

وقد تعبت فى إقناعهم بأننى من موظفى السفارة ثم لم أخش بعد ذلك أن يهزأوا بى وينسخوا منى إذ لم يكده يستقر فى عقولهم أننى من أتباع السفير القومين حتى كنت محل عنايتهم واحترامهم ، وكانت السكيات التي يوجهونها إلى لا تقل عن : « إذا تفضلت » أو « إذا قبلت مكارمكم » أو « نرجو من مكارم حضرتكم » ، وغير ذلك من كلمات التجميل والاحترام التي لا تنقطع وخطابات التعظيم والإجلال

لكم طريقاً في أرضنا أو نمدى أصدقاءنا القدماء :
الانكليز .

وقال سفير الانكليز من جهة أخرى : « ليس
للفرنسيين أى غرض في المحي' إلى فارس إلا مضائقنا
ومنازعتنا فريد ألا تقبلوم في فارس » .

فقال الشاه : « كيف تريد أن تفعل ما تأباه
قوانين الضيافة ؟ إن أبواب قصرنا مفتوحة لكل
قاصد »

فقال السفير الانكليزى : « ولكن يجب أن
تتخبروا صداقة أحدنا وعداء الآخر ، فاما أن تستمروا
أصدقاء لنا فتطردوا السفير الفرنسى وإما أن تقبلوه
فتكونوا أعداءنا »

فأجابه الشاه : « ولم نمدى الناس لنسركم ؟
إننا نريد أن نكون أصدقاء الجميع » .

فقال السفير : « ولكن في استطاعتنا مساعدتكم
على نحو قوتكم وإعطائكم ما يلزمكم من المال »

فأجاب الشاه : « عافاك الله ! هذه مسألة أخرى
فأخبرنى ماقدر المال الذى تدفعونه فينتهى كل أمر ؟ »
كانت هذه هى الحال عند وصولنا إلى تبريز . ولما
كان وصول متبوعى السفير إلى طهران منتظراً بفارغ
صبر فلم تترث في سيرنا ولم نلبث كثيراً عند الأمير
عباس بل أسرعنا إلى السير . ووصلنا إلى مقر السلطان
في صباح أحد الأيام فشهدنا في طريقنا صفاً طويلاً
من الفرسان معهم أمتعتهم ولا حظنا أنهم ليسوا
فارسيين وقد تبينا عند الاقتراب منهم أنهم من الفرنج
وكان يصحبهم ضابط فارسى من قبل الشاه
أخبرنا أن هؤلاء هم رجال السفارة الفرنسية راجعين
إلى بلادهم بعد أن أرسل إليهم الشاه خطاباً رقيقاً

في الوصول إلى أغراضهما ، وقد وصل التعجب
والاندھاش من الفارسيين مبلتھما عند رؤيتهما
النصارى يتركون بلادهم متحملين كثيراً من المشقة
والثعب ليتشاحنوا ويتأبدوا أمام شعب كامل يحترم
ويتمنى لهم الملاك والموت الماجل .

أخذ السفير الفرنسى لكى يحصل على مطالبه
يذكر ملكيه وعظمة مملكته وسيادتها في جميع أنحاء
أوروبا وعدد الجيوش الجارة التى يمكن أن ينزلها
امبراطوره إلى الميدان ، وقد أجابه الشاه عن كل
ذلك بما يأتى :

« قد يكون ماقلت صحيحاً ، ولكن مالنا نحن
ولقوتكم وعظمتكم ، وأية علاقة بين فرنسا وبين
إيران ؟ أى غرض لكم تسعون إلى تحقيقه ؟ »

فقال السفير : « غرضنا أن نفتح الهند ونخرجها
من يد الانكليز ، ونرجو أن تسمحوا لنا بطريق
نمر منه في بلادكم » .

فقال الشاه : « وماذا نستفيد نحن ؟ قد تكون
رغبتكم في الهند قوية ، ولكن أى شأن لنا في هذا
ولم نسمح لجيوشكم بالمرور من أرضنا ؟ لا رغبة لنا
في ذلك » .

فأجاب السفير : « صبراً . فسنفتح لكم جرجان
وعلكم نغليس ، ونعميمكم من اعتداء الروس على
أرضكم في المستقبل ! » .

فقال الشاه : « هذه مسألة أخرى فحين ترهنون
لنا على صدق أقوالكم ، ونرى نتيجة أعمالكم ،
ونسلم أنه لم يبق روسى على جوانب القوزاق تتعاقد
معكم ، ولكن قبل ذلك الوقت لا نستطيع أن نفتح

في فهم كلمة واحدة مما يرطنون به . وكل ما حسب
نفسى قادراً على تذكره أو رسمه ثلاثة ألفاظ سمعهم
يكررونها ، ويسيدونها كثيراً في حديثهم . وهي
« سفير » و « باريس » و « الأمباطور » .

وخطر ببال أن هؤلاء الفرنسيين لن يغيروا
شيئاً من مراحهم أو نحكمهم ومجوعهم يوم محتوهم
نار جهنم في النار الآخرة ، وأن حالمهم فيها ستكون
مثل حالمهم التي رأيناهم عليها في مقر السلطنة . واقترنا
في الصباح التالي فصاروا ضاحكين صاخبين في طريقهم
ومرنا نفكر خائفين مما عسى أن يستقبلنا به الشاه
ملك الملوك

الفصل السابع والسبعون

وصف الاعتقال واستقبال سفير الفرنجستان

استقبل رئيسي ميرزا فيروز في قصر الشاه
بالخفاوة والإكرام ، وسر الشاه من الإجابات الحاضرة
التي كان يتلقاها من سفيره على أسئلته المتعددة
الخاصة بشئون أوروبا فأظهر السفير بذلك أنه خليق
بمركزه جدير ببنائة مولاه وأن أحداً غيره لم يكن
ليقوم بما قام به في المهمة التي انتخب لها
كان لا يتوان لحظة في الإجابة على أسئلة الشاه
ولا يتلثم ولا يتلجلج ولم يد عليه الجمل ولا وقت
أمامه عثرة ولم ينطق أمام الشاه بكلمة « لا أعرف »
قط فقد كان يعلم أن هذه الكلمة مما لا تحتمل أذان
الملوك

وكان يرسل الكلمات في رصانة ورزانة وثبات
ويثبت القول قوياً مقنعاً حتى لا يمكن أن يخطر

يرجوم فيه مفادرة البلاد . وأخبرنا ذلك الضابط
أن السفير الإنكليزي وأتباعه سيحلون محل الفرنسيين
قريباً . وأستنتجنا مما رأينا مجمل سير الأمور في
حكومة إيران وأن الشاه أيده الله بنصر من عنده
قد استفاد من النزاع والشحناء بين الفرنسيين
والإنكليز . وقد دهش السفير الذي أحياه من تلك
النتيجة ومن البت في الأمر بهذه السرعة وعدم
انتظار الشاه له مع ما يحمل من أخبار أوروبا ، ولكن
سرعان ما فسر هذا تأثير المال الذي لا تقف أمامه
عقبة مهما عظم شأنها

سمحت لنا هذه الفرصة لملاحظة الفرنسيين
الذين سمعنا عنهم كثيراً في الأيام الأخيرة . ولم يمدم
السفير الفارسي وسيلة يتعرف بها بالسفير الفرنسي .
وانتظرنا أن نجد الفرنسيين منقبضى الصدور
منحلي العزيمة بسبب طردهم من حضرة الشاه ولكن
دهشنا كانت عظيمة حين رأينا الأمر على تقيض
ما ظننا . لم تر إيران قبل هؤلاء القوم قوماً أكثر
مجوناً ولا عبثاً ولا جونا فقد كانوا يرقصون ويغنون
ويضحكون طول اليوم ، وكانوا يتحدثون جميعاً
في وقت واحد بأصوات تختلف في الملو والارتفاع
من غير فارق في المراتب إذ يظهر أنهم جميعاً من طبقة
واحدة في نهاية الانحطاط .

وكانوا يدوسون أبسطتنا بغير احترام مما أثار
عواطفنا وحرك نفوسنا . وإذ كنت أحسب نفسي
ذا خبرة واسعة بأحوال الفرنجة لما قاسيته في الاستعلاء
عنهم فقد حاولت أن أعرف إن كان يوجد تشابه
أو مشاكلة بين لغتنا وبين لغتهم ، غير أنني لم أجد

سبق السفير وحرصى على أن أظهر دونه علماً ومنزلة
فكنت بين عاملين عامل الخوف من الظهور بمظهر
الجاهل ومحاذق أن أظهر بمظهر العالم

وعلى أية حال فقد نظر إلينا الفارسيون أبناء
وطنتنا كما ينظرون إلى أصحاب المعجزات إذ لم يكن
بينهم من يستطيع نقض ما نقول. وذكري ذلك بحكمة
رددتها الألسن وهي: «إن أى صوت يظهر كأنه النعمة
الذيذة في بلاد البكم، ولو كان الصوت صوت حمار»
عبد اللطيف الشار (يبيع)

على بال سامعيه خاطرة شك في قوله، وإن من أصنى
إليه وهو يتكلم عن أوروبا ليخال أن السفير إنما ولد
ونشأ وترى بينهم

وشاع بين القوم أن السفير استخدمنى في تصيد
أخبار الأوربيين وفي كتابة تاريخ أوروبا فقلت شهرة
في معرفة العالم والملم بأحوال الناس، ولم يكن لى مثل
ما للسفير من قوة الحجج، والقدرة على الإقناع غير
أننى عزمت على أن أجعل ما فى وسعى فى الإجابة
على الأسئلة التى تلقى على بسرعة رغم خوفى من

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

خط رهاب فاخر وسريع بين الاسكندرية . منى . مرسيليا وبالسكس

أسعار الصيف اجداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء لغير
من مصر أو من أوروبا

(من الاسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو بالسكس)

الباحرة النيل

الباحرة كوتور

جك

١٦

—

١٠

—

٥

٣

جك

١٧

١٢

—

٩

—

—

درجة أول

درجة ثانية

درجة ثالثة : مخفضة (سياحة)

» ثالثة : (خصوصية)

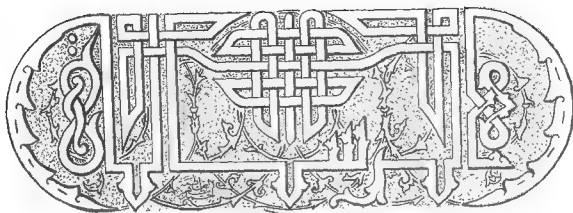
درجة رابعة

كوتور

ويجوز للذين يستخرجون تذاكر الذهاب والاياب ما خصم ٢٠٪ على قيمة تذكرة الاياب .

والأجور المبدئية أعلاه بالسلة الانجليزية تحصل بواقع ١٧ ١/٢ قرشا للجنه الانجليزي .

مواعيد السفر من الاسكندرية :		الباحرة كوتور	
الباحرة النيل	٤ مايو	» النيل	٢٢ يونيو
» »	» ١٨ »	» كوتور	» ٢٩ »
» »	» ١ يونيو	» النيل	٦ يولييه
» كوتور	» ٨ »	» كوتور	» ١٣ »
» النيل	» ١٥ يونيو	» النيل	» ٢٠ »
		» النيل	» ٢٧ »



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ التَّهَضُّعِ الْمِصْرِيِّ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيُو فِي النَّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصَّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِنَانُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٩٠

الهرولة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والادب

نصر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ - ١٥ مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٦



فهرس العدد

صفحة	
٤٥٠	هل الذى أحبته أمى ... عن الانجليزية ...
٤٦٥	سر السونو ... قصصة مصرى ...
٤٧٢	البث ... الكاتب الفرنسى جى دى موباسان ...
٤٧٦	الراحة ... قصة مسرحية فى فصل واحد ...
٤٨٢	عندما افتتح الباب ... للكاتب الانجليزية مناره جران ...
٤٨٨	فراق ... لكنين ماركس والوجورج مونتيك ...
٤٩٦	حاجى بابا أصفهانى ... لكاتب الانجليزية « جيمز مور »
	يلى الأستاذ عبد الحيد حدى ...
	يلى الأستاذ دوى خشبة ...
	يلى الأديب عادل الجبال ...
	يلى الأنسة جميلة الملايلى ...
	يلى الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
	يلى الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
	يلى الأستاذ عبد اللطيف النشار ...

الحياة ويرفها علينا ، فإذا
أحس منا أقل رغبة في شيء
من الترف والكليات أسرع
بتحقيق رغبتنا ، حريصاً على
أن نعيش في مستوى عالٍ من
الحياة

الحب الذي أحببته أمي

قصة استحققت جائزة مائتي جنيه
عن الإنجليز
بقلم الأستاذ عبد الحليم محمد

ولعل شعورنا نحو هذا

الأب الكريم كان أقرب إلى الاحترام منه إلى المحبة،
فلقد كنت أنا وأمّي في جسم الأسرة كالمعضون
الآليين وكان أبي هو الرأس المدبر الناجح فيما يعمل.
فما قتل في حادث تصادم في سكة الحديد — وكان
في الثالثة والأربعين من عمره — شعرنا بالخسارة
التي أصابتنا شعور البحارة بالخسارة التي تصيبهم
بموت ريان السفينة ، وازدادت الرابطة بيني وبينها
توتّقا في سبيل المضي في الحياة بغير قائد

ولم يكن في خيانتنا ما يشغلنا من الناحية المادية
فقد ترك لنا أبي وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ كبير ،
فضيت في حياتي المدرسية على ما كنت في حياته .
وقضت ظروف التعليم بأن ننقل من البلدة الصغيرة
التي ولدت فيها بمقاطعة وورشرشير إلى مدينة
كبيرة من مدن ميندلا ند حيث التحقت بالجامعة ،
ولما كنا غريبين في تلك المدينة فقد كان الكثيرون
من بروننا يحسبون أننا أخوان ، وكان البعض
يبتسمون لنا ابتسامات لا تخلو من معنى التساؤل
عن نوع العلاقة التي بيني وبين السيدة التي
ترافقني على الدوام . ولقد كنا نترك هؤلاء
التساؤلين يتيهون طويلاً في خيولهم قبل أن نطعمهم
على الحقيقة

• هل يستطيع أن يفهم يوما ما كان يشغل
قلب أمه وزوجها ، تلك الأم الجميلة التي لا يمكن
أن يتم منظرها من غير فتاة هناء لم تدخل
بدور الأمومة ؟

لا أستطيع أن أذكر الوقت الذي بدأت فيه
العلاقة بيني وبين أمي تتشكل في صورة صداقة
بين رفيقين متقاربين في السن . وحتى في حياة أبي
— وقد كنت في الثانية عشرة عند موته — كان
سلوكي مع أمي سلوك الأخ مع أخته . ولعل السبب
في هذه العلاقة غير العادية بين أم وأبها أن أمي
تزوجت وهي فتاة صغيرة من رجل يكبرها بأربعة
عشر عاماً ، ولم تكن سنّها يوم ولدتني تتجاوز
السابعة عشرة . وحين شئت وبدأت أعرف ما يدور
حولني في العالم الذي خرجت إليه ، أخفت أدرك
أن متاهي ومشاقل الصبانية من الأمور التي يمكن
التفاهم عليها وحلها مع أمي الشابة الرقيقة الشموخ
بأسهل مما يمكن ذلك مع أبي الكهل الذي تلزمه
طبيعة الكهولة نوعاً من الدبوس الجدي

وما أقصد بذلك إلى أن أقول إن أبي كان رجلاً
عسير الماشية فالأمر على العكس من ذلك ، فلقد
كان يسند على الدوام كل ما في جهده ليسهل لنا

ناذرة بين الأمهات والأبناء

وكان يحدث أحياناً أن أرافق شباناً من سنى
في بعض الجولات ، وأن تخرج أوى وحدها لبعض
الأغراض الاجتماعية ، ولكن لم يكن أحدنا يسأل
الآخر عما عمله أو عن الأشخاص الذين التقى بهم
فلم تكن ثمة من حاجة إلى مثل هذا السؤال . فقد
كنا صريحين في أن يفضل كل منا في بعض
الظروف ما يلائم ذوقه من الترتيبات التي تتصل
باجتماعه ببعض الأصدقاء أو المعارف .

وإني لأذكر جيد الذكر مناقشة جدية نشأت
بينى وبين أوى على مائدة العشاء على أثر عبارات فتوّهت
بها عن مركزنا الاجتماعى إذ قلت :
— أحسبك تعلمين يا أوى أنه يجب أن نعمل
شيئاً في هذا الموضوع . فسالننى :
— أى موضوع تعنى ؟

فاحتبست الكلمات لحظة في حلقى ثم قلت :
— لقد سألت اليوم إحدى الفتيات أن تخرج
مى مساء يوم السبت المقبل ، فرفضت طلبى دون
أن تبدي أول الأمر سبباً لهذا الرفض ، ولكننى
حين ألححت عليها في تعرف السبب أجابتنى صراحة
بأنها لن تشبك نفسها بأى رجل متزوج ! ولقد
اقتضانى الأمر نصف ساعة لإقناعها بأن السيدة
الجميلة التي يرانى الناس معها أحياناً ليست امرأتى
فلم تجب أوى بشيء على هذا الكلام ولكن
بذت على وجهها نظرة غريبة
وبعد لحظات قالت أوى ، وقد انتقلنا من غرفة
المائدة إلى غرفة الجلوس :

كانت هذه النظلة العامة في تقدير الملاقة التي
بينى وبين أوى من أكبر بواعث تسليتها ، فكانت
تشمع دائماً بروح الشباب والرح ، وكان ذلك مما
يقوى رغبتها في الحرص على جمال شبابه ، أما فيما يتصل
بشخصى ، فقد كان انهماكى في تكوين نفسى
يحملنى على التفكير فيما سأصطلع به في المستقبل
حين أصبح رب أسرة ، وكنت أشعر بشيء من
الكبرياء والفخر حين يرانى الناس في محبة «أختى»
الجميلة ...

وحدث في ذات ليلة عند ما خرجنا آخر الليل
من حفلة ساهرة كنا من حضورها أن دنا أحد
الضيوف من أوى وقال لها إنه قد سمره أن يلتقى زوجها .
فارتبكت لحظة — عند سماع كلامه — ولكنها
لم تلبث أن أدركت أنه كان يقصدنى بما يقول ، ولم
نلبث أن تبادلنا الابتسام ، وفي أثناء عودتنا إلى البيت
ضحكنا لهذا الحادث من أعماق قلوبنا
وقلت لأوى مازحاً :

— لقد بدأت أشعر بالإهانة في أن يحسبني
الناس زوج سيدة عجوز مثلك !
فردت على بدورها برد لئلى لم أتيين معنا على
حقيقته قالت :

— وما ظنك بشعورى حين أرائى مضطرة
لأن أسلك سلوك طليعة يلهاء ؟
نعم . لقد ازددا ارتباطاً وتلازماً على مر السنين .
كنا نحضر الحفلات معاً ، وكنا شريكين بأسباب
الفرح والمرح ، وكنا نرحب مشتركين بأصدقاءنا ،
وفي الجملة نتمتع بجميع مباحج الحياة على صورة

قط في أن يحيطي نفسك ببعض الأصدقاء ؟
قالت :

— ولكنك تعرف يا « تيمى » أن لى أصدقاء
وأهمهم كثيرون ... وأناى ...
فقاطعتها بقولى :

— أقصد أصدقاء من الرجال ! فإنك ما زلت
صغيرة وفيك من الجاذبية ما يلقى أى رجل على قدميك
ولا يزال أمامك نصف حياتك تمنعين به ، ويستطيع
بعض الرجال أن يهيب* لك حياة بالغة السعادة حقاً .
إذا أنت سمحت له بذلك

فضحكت أى ضحكة غير مترنة وقالت :
— دع عنك هذا البله يا « تيم » لإذية حاجة
تدعوى لأن أطلب الزواج مرة ثانية ؟
قلت :

— ألا تريد أن يكون لك بيت خاص ؟
ألا تحبين أن يكون إلى جانبك رجل يحمل المتاعب
المالية عن كفتيك ؟ وإنك لتعلمين أننى لن أفيدك
أبدأ من هذه الناحية ، فما أنا إلا طفل كبير مدلل
لا فائدة منه ... وأنت المسؤولة عن ذلك !

وطالت المناقشة بيننا عنيفة مشبعة بروح المحبة
ولكننا لم ننته إلى نتيجة ، فجئت برجاجة من النبيذ
المتعق التى تحتفظ به عادة لبعض الظروف الخاصة ،
وشربت نخب الاستقلال الجديد الذى لم يمتزج أحد
منا بأننا محتاجان إليه

وبقيت أى لحظة بعد هذا الحديث مشغولة بالبال
وقد ظهر لى أن المناقشة أقلقها قليلاً . وبدأ لى أننى
عرفت السبب فى ذلك . فلقد قضينا عدة أعوام

— لم يا « تيم » لا تكثر من اصطحاب
الفتيات ؟

فضحكت وقالت :
— ولم أكثر من ذلك ولم يبق فى الوجود
فتيات من ذوات العقول ، فكل ما تستطيع الفتيات
أن تعمله الآن هو صبغ الوجوه وارتداء الثياب ،
واحتماء الكوكيتيل بغير حساب ، وهذا هو السبب
الذى يحملى على أن أفضل الخروج معك يا أى فلقد
جمعت كل شئ : الجمال والذكاء
فقالت أى :

— إننى جادة يا « تيم » فإنا أقول ، فهذا هو
الوقت الذى تبدأ تنظر فيه إلى الأمام ، فبعد قليل
ستحصل على إجازاتك العلمية ، وستجد لك مركزاً
تشغله ، ثم تشمر بمحاجتك إلى الاستقرار ، والأيام
الطيبة التى قضيناها ولا تزال تقضيها مما هى من
الأوقات السعيدة حقاً ، ولكنى أحسبك تعلم أنها
لن تدوم إلى الأبد ، لأننا كلينا يا بنى نكبر مع الزمن
وأنا الآن فى السادسة والثلاثين
فقلت مازحاً :

— طفل فى الناية !
ولكنها قالت ملححة وقد بدت عليها سمات الجد :
— إن عليك أن ترسم خطتك فى حياتك
الشخصية ، وأنا أريد منك أن تكثر من الخروج
وأن تقابل أناساً من سنك وأن تتعرف بأهل
عصرك ..

فقلت أنقضها :
— فليكن ، ولكن لماذا تعلمين أنت ؟ ألم تتكبرى

وكنْتُ أسألكِ نفسى : ترى ما شأن هذا الرجل أو ذاك ، وهل يمكن أن تكون أى قد أحببت واحداً من هؤلاء الأصدقاء ؟ وهل يمكن أن يصبح هذا الذى أحبته زوجاً لها للحال وأياً ما طيباً ؟ على أنى كنت أشعر بأن فى كل منهم نقصاً فى نوع ما . ويبدو لى أن رأى أى فى هؤلاء الأصدقاء كان متفقاً مع رأى فيه . فقد كنت أرى على وجهها بعض الأحيان إشارات واضحة ثم عن نفس منكسرة يبالغها اليأس ، كأنما قد روعتها سرعة مرور الزمن وهى وحيدة لا شريك لها فى الحياة . وأردت فى يوم من الأيام أن أستمع قتر من قترات مرحضنا الماضى قبلتها فى شوق وقلت :

— لا فائدة يا أى فى هذه الحياة الجديدة . فما أستطيع أن آلف هؤلاء الفتيات اللواتى أخرج معهن . فما أجد فيهن من الفطنة والذكاء ما يحببنى فى عشرين

فأبست ابتسامة المستفهم وقالت :

— أى شئ تشكو الآن يا تيمى ؟

— لقد خرجت مرة أخرى ليلة أمس مع جوديت كارتر فقطعنا مرحلة فى السيارة ، ثم وقفنا حيث أكلنا قطعتين من الساندوتش وشرينا فانتجين من القهوة ، وبعد ذلك استأنفنا السير . فما فعلت فى أثناء ذلك غير أن لمبت المواقف بنفسها على حين فجأة ، فبدأت بقولها إننى شاب مدهش ، ثم انتهت بأن خطبتنى إلى نفسى بالفعل ، أليس عجيباً أمر هؤلاء الفتيات ؟ !

فصحكت أى ضحكة بدا فيها أثر التصنع وقالت

متلازمين فى معزل عن الناس وكناراضيين بحياتنا . أما الآن وهذا العالم الخارجى حولنا منتظر أن يدعونا لنفسه منفردين وأن يسلكنا فى حياة الأمر الواقع فإن الخوف قد بدأ يستولى على أى ، وكذلك شعرت أنا بالقلق من التغير الذى يتعارض مع أسلوب حياتنا ومن ذلك المساء سارت حياتنا على نمطها الأول مع فاروق أى بدأت أزيد من اختلاطى بالفتيات والفتيان من سنى ، وأن أى أخذت تكثر من دعوة الأصدقاء إلى يتنا بدلى أن كانت تكثر من الخروج . كذلك أكرهت أنا من الخروج فى غير صحبتيها ، ولكننى كنت فى كل مرة أخرج فيها من غيرها أزداد شعوراً بعدم الاستقرار فى نفسى . ولم يكن فى مقدورى أن أنصبر ما هو طارىء على من تغير ؟ وكنْتُ أبحر فى أمرى فى لحظات غريبة فأنا الآن إذ أنظر إلى الماضى أرى أنه لم يكن من الأمور العادية المألوفة . إن الحياة تتحدانى بما فى نفسى من رغبة ملحة فى العمل ، وبما فيها من مغريات مطالها وقضاياها الكبيرة . فما أنا بعد بالصبي ولكننى قد أصبحت رجلاً وبدأت أدرك إدراكاً تاماً ما على من المسؤوليات

كذلك أصبحت أى تظهر اهتماماً متزايداً برجال مختلفين من كانوا يأتون إلى بيتنا ليصحبوها إلى الخارج أو يقضوا بعض الوقت فى التراسل معها ، ولقد أحببت أنا أكثرهم ، وكنْتُ أتعهد معهم وأسجلهم فيما يتصل بلعبة الكريكت أو حفلات بطولة اللاكمة القبلية أو الحوادث الجارية . وكنْتُ فى كل مرة أشعر بوجود أى وبأهمية هذه الزيارات

يضرب إلى السواد ، غضة الحيا لا تكاد العين تقع في وجهها على أثر خط من خطوط الزمن ، ولم أملك أن ساءلت نفسي إن كانت جوديت ستبدو حين تبلغ السادسة والثلاثين في مثل جمال أي ونضارتها ؟ ثم دخل في جياتنا عنصر جديد ، ذلك هو ميخائيل رجب

ومن اللحظة الأولى بدت لي عدة أمور : الأول أن ميك — وقد بدأت أدعوه بهذا الاسم للصغر في ثالث مرة لزيارته بيتنا — كان رجلاً محبوباً لدرجة غير عادية . والثاني الأسلوب الذي انتهجته أي في معاملة هذا الرجل الطويل الحلي الهادئ الصوت . فقد ظهر عليها في اللحظة الأولى التي دخل فيها ميك الغرفة ، أنها قد دخلت في حياة جديدة وأن شرارة جديدة قد سرت إلى نفسها

تعرفت أي بميخائيل في أحد الاجتماعات ، واشتد ميل أحدهما إلى الآخر عندما تبين أن بينهما ميلاً متبادلاً إلى الشعر ، وعلى وجه أخص شعر أحد شمرائنا الحديثين . وأحضر ميخائيل في إحدى زيارته كتاباً قلمه هدية لأي فوطد ذلك دعام الصداقة بينهما ...

أصبح ميك بعد ذلك زائراً لبيتنا مواظباً ، وأصبحنا جميعاً نتطلع إلى العشاء معاً ، وإلى تبادل الأحاديث وإلى التروض جماعة في سيارته

ومضت فترة من الوقت قبل أن أبيع لنفسي الاعتقاد بأن بين أي وبين ميك حباً متبادلاً ، وحتى بعد أن اعتقدت وجود ذلك الحب لم يكن في مقدوري أن أحلل المركز تحليلاً دقيقاً . فقد كانت

— ينجيل إلى أنك قد أكرت من الاجتماع بجوديت أم ترى غمطه ؟

— بل أظن الأمر كما ترين . فإني أجمع بها مرتين في الأسبوع ولكن ليس بيننا شيء جدى — قد يكون ذلك من ناحيتك ؟ ولكن لعل الأمر في نظرها أكبر مما توهمته أنت يا تيم . فإن المرأة لا تخرج مع الرجل مرتين في الأسبوع فترة من الزمن دون أن تحمل الأمر بينه وبينها على محمل الجد ، وجوديت فتاة قد عثرت على الرجل الصالح في رأيها ؟ فأى شيء أقرب إلى الطبيعي من أن تبدأ تحلم بالبيت ، بالسعادة الدائمة ؟

فأنجلت عن سماع هذا الكلام ، وشعرت على حين فجأة بالحيرة والقلق يستوليان على نفسي وحاولت أن أضحك من كلام أي فقلت :

— كلام فارغ يا أي ! إنك لا تستطيعين أن تتخلصي مني بمثل هذه السهولة ، فانت وأنا ملتصق أحداً بالآخر ويجب أن نستغل ذلك على خير الوجه وهنا روعت مرة أخرى بما بدا على وجه أي من أثر الاضطراب النفسي والشعور باليأس والوحدة فهل يمكن أن تكون قد وقفت في لحظة من لحظات الانفعال من أحد الرجال مثل موقف جوديت مني ؟ لقد خطر لي هذا السؤال فتبينت أن تكون هي أيضاً قد وقفت على الرجل الصالح في رأيها !

نظرت إلى أي نظرة الناقد الدقيق فرأيت كما رأيت في ظروف عديدة أنها حقاً جذابة . والحق أنها لم تبد يوماً في نظري كامرأة جاوزت الخامسة والعشرين من عمرها . كان شعرها غزيراً لونه نحاسي

— هلم يا ولدى « تيم » استمبج ولك أب جديد
فأ رأيك في ذلك ؟

ولكن هذا اليوم لم يأت ، وصرت الأيام ثم
لحقت بها الأسابيع وتبعتها الأشهر ، وشعرت بأن
في الجو توترا غير طبيعي ، ولم أستطع كشف السر
في ذلك ، واستمر ميك جاعلاً من يتنا مركزه
الرئيسي ، أما فيما يتصل بجميع المظاهر الخارجية
فقد تقدم حبه أي في طريق جديدة ، وقد بدأ يظهر
في عينه ما يئم عن التخاذل والحب ، كذلك بدا لي
أن أي تزج تحت عبء نفسي ثقل فقد أصبحت
تستسلم على غير عادتها للانفعال أحيانا ، وعلى الرغم
من أنها كانت تسرع فتعتمد من انفعالها ، فإني
كنت ألحظ أن هناك شيئا غير طبيعي .

واستقر رأيي في يوم من الأيام على أن أكشف
الحقيقة وقد وجدت أي مشغلة بكى الملابس جلست
على مقربة منها وأشملت سيجارة ثم قلت :

— متى تزوجين من « ميك » يا أي ؟
وقد حاولت أن أبدو في صورة من خطر له هذا
السؤال عرضا .

ولم تدهش أي لسؤالي ولم ترد علي أن ابتمت
وقالت :

— لست أدري يا تيم ، فإن ميك يقول : إنه
لا يرجع من المال ما يكفي لحياة الزوجية . فقد أصابه
سوء الحظ في السنوات الأخيرة وتآبى عليه كرامته
النفسية أن أمده له يد المساعدة !

إذن ، لقد تكلمنا معا في موضوع الزواج ،
وإذن كنت مصيبا فيما ظننته ، فشعرت في آن واحد

أى حتى ذلك تبدو متعالية فوق شؤون الحب وتنظر
إليها نظرها إلى هتات من أعمال الفتيات الصغيرات
لا من أعمال أمهات لمن أولاد في سن التاسعة عشرة
على أنني احتفظت بأرائي في نفسي واعتزمت
أن أترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي ، فهما يكن
من أمر ، وسواء تزوجت أي من ميك أم لم تزوج
منه فليس ذلك من شأني . وصحيح أن هذا الزواج
سيترك شيئا من الأثر في حياتي ، ولكن لالم أكن
أظن في الرجل إلا كل خير فقد شعرت بأني لن
ألبث أن آلف التعير الجديد في حياتنا

وعلى كل حال كان من الحسن أن أشهد حياة
جديدة وأن أرى شفاع النبطة يبدو من عيني أي ،
ولقد شكرت للأقدار أن حياتها قطرة من السعادة
ورجوت ألا تندم يوما على اختيارها

ومشت قصة الغرام سريعة الخطى ، فكانت نادرة
تلك الليلة التي لا تجتمع فيها أي بميخائيل ، فكانا
دائما يخرجان معا في السيارة ويوزران أصدقاءهما معا
أيضا ، وكانا أحيانا مختلفان إلى دور التمثيل أو إلى
الحفلات الموسيقية . أما أنا فقد تركت لغزائي التي
لا ممتي إذ بدأت أزداد اهتماما وتعلقا بمجوديت كازر
فقد كانت فتاة ماهرة نشطة ، لم تمب الخلاعة
بأخلاقتها ، ووجدت أنني أستطيع بقضاء سهرة معها
أن أنعم بخير مما كنت أتصور أنني مستطيع أن
أنعم به

وكلا صرت الأيام ازدادت تعجبا لتأخر النتيجة
التي كنت أتوقها ، فقد كنت كلما عدت إلى البيت
ووجدت أي مع صديقها انتظرت أن أسمع منها قولها :

بالسرور والأسف وقلت :

— وعلى فكرة أيمكن أن تقول لى بم يشتغل ميك ، فإني لم أعرف قط شيئاً يتصل بعمله فى الحياة .
أجاب أوى :

— إنه يشتغل مركز كاتب فى أحد المصانع الكبيرة بالمدينة ، فقد أضاع كل ماله وخسر عمله السابق ، فاضطر أن يقبل هذا المركز ليستعين به على الحياة .

ميك — كاتب صغير !

لم يكن الأمر أمر المركز الذى يشغله الرجل ولكن ما كان يبدو على ميك من مظاهر الثقة الهادئة وحسن الجرؤمة كان يبعث عن كفايته وعن استعداده لأن يكون الأمر المطاع ... ولقد كان يخيل لى أنه على أقل تقدير من السباسة أو الدينين المالىين ...

وبدا ميك يكثر من شرب البخان ولست أدري إذا كان الباعث على ذلك رغبته فى أن ينسى ما أخذ يحيم على مجتمعا الثلاثى من الميوس والوجوم ، أو إن كان هناك باعث آخر لا أعرفه . وكل ما أعرفه أنه أصبح الآن يأتى إلى البيت مسلحاً بقبينة من الوسكى ، كان يخلط به أنواعاً أخرى من المسكرات كذلك بدأت أوى تشرب الخمر من حين إلى حين وقد أقلقتى ذلك ، وإذ كنت عسرياً فى كل شيء حتى فيما يتصل بالخمر ، فإني لم أكن أعرض فى شرب كأس من الكوكيتيل فى بعض الظروف ، ولكن أوى كانت دائماً محافظة فى كل شيء ، تكتفى بتعرف مثل تجريبية من الحياة هنا وهناك : أما الآن

فقد بدا لى أن هناك نوعاً من الضجر الغريب يشغل نفسها ، كما لو أن هناك حاجة ملحة تدفعها حرجة فى الطريق التى تسلكها .

ولاحظت فى إحدى الليالى — بعد انصراف ميك — أن خطوات أوى لم تكن على ما عهدتها من الثبات والاتزان ، ولم ألبث أن صغقت إذ تينبت أنها كانت منتشية من الخمر ، فاستولى الغضب فجأة على نفسى . ثم بدأت أقول :

— ألا تظنين يا أوى أنك قد اندفعت أخيراً فى طريق الحياة اندفاعاً قد يكون شديداً بعض الشيء ؟

— فأزاحتنى من طريقها وغطت عينيها بكفيها وقالت :

— إذهب إلى فراشك يا تيم واركضى وحدى ولكنى أصرت على موقفى وقالت :

— يخيل لى أن أوى ميك الذى يرى أن موقفه المالى السوء لا يسمح له بالزواج ، ينفق فى الوقت نفسه مالاً كثيراً فى ابقياع الخمر

ولأول مرة فى حياتى رأيت أوى تقضب غضباً حقيقياً ، فاقتربت منى ووقفت إلى جانب كرسى ، وكانت حينها ترقان غير مستقرتين وقالت :

أريد منك يا تيم ألا تقول مرة أخرى مثل هذا الكلام . فإني أملك وأنا ... على كل حال إن ما نعمله هو من شئوننا الخاصة ، وأريد منك ألا تتدخل فى أمرنا .

كانت هذه هى المرة الأولى بين أوى ونينى ، فأخذت كل منا لحظة فى وجه الآخر ، ثم تلتفتت

من الأثاث البثّر ، وكانت آلة الراديو تذيع في أعلى درجاتها نغمات موسيقى «جاز» من النوع الواسطى ، وكان الجو مشبعاً برائحة السوسى ودخان السجائر ، وكان ميك وأنى مشغولين أحدهما بالآخر ، وكانا يتبادلان الضحكات الفاترة المستهترّة فلم يشعرَا بدخول

وشعرت بدافع جنونى يدفعنى إلى الوثوب على الرجل والقبض على عنقه ، واستولى على الخوف من الانفعالات الشديدة التى بدأت تقفّى فى صدرى وتقدمت إلى آلة الراديو فوقفت حركتها ، ومضت لحظة لم يصل فيها أثر السكون الذى طرأ على الترفة إلى عقليهما اللذين غيبتهما الحيرة ، ولكن يظهر أنهما قد تنبها على حين فجأة إلى أن الراديو لا يمكن أن يكون قد سكت من تلقاء نفسه ، فالتفتا وأحدقا فى وجهى

وأظن أن أى لم تدرك فى الثواني الأولى القليلة لشدة ذهولها ، الخطر الحقيقى لحضورى فى ذلك الوقت - جلست فى مكانها وقد التصق شعرها بكل ناحية من وجوها ، ونظرت إلى نظرة بلهائى . ولم أستطع أن أنظر إليها فحصرت نظرى فى ميك ، وما رأيت عينيه المحمرتين ووجهه الملتهب حتى انقلب شعور الغضب والغف الذى استولى على إلى احتقار واشتمزاز ! أأكون ميك الذى وثقت به واعتقدت فيه أخلاق السادة هو المجرم الذى يرتكب هذا !

على أن تخيلتى لم تلبث أن طمسها ثورة مفاجئة فتقدمت خطوة نحوه ، ولكننى مع ذلك لم أسسه (٢)

واتجهت إلى السلم فصعدتها ، وإذا شعرت بثقل فى قلبى وجزعت فجأة من شيء لم أستطع أن أتبينه ، فقد أوبت إلى فراشى وحاولت أن أنام ، ولكن النوم لم يعرف طريقه تلك الليلة إلى جفونى

وبعد ليال من هذا الحادث خرجت مع جوديت فى سيارتى ، وسألها أين تريد أن نذهب ، فأجابت بأنها لا تفضل مكاناً على آخر ، فقلت وأنا أشعر بشيء من الانقباض :

— لست أشعر برغبة فى الذهاب إلى السينما ، فهل توافقين على أن تتجول بعض الوقت فى السيارة ؟

فوافقت الفتاة على رأيى

استقر فى نفسى أن العمل بهذا الاقتراح هو خير الوسائل لتخلصى من التفكير فى أمور معينة ، فقلت لجوديت :

أظن أنه يحسن بنا أن نمود إلى البيت لأننى بصددى من الصوف فإن سرعة السيارة تريد شعورنا بشدة البرد

وأدركت السيارة فى طريق البيت حتى إذا وصلنا أمام الباب الخارجى وثبت من مقعدى تاركاً جوديت فى انتظارى وأخرجت مفتاحى الخاص وفتحت الباب ، وتذكرت أن أى وميك لا بد أن يكونا فى هذا الوقت لا يزالان فى البيت ... فاتجهت إلى غرفة الجلوس ...

وما أحسب أن المنظر الذى وقعت عليه عيناي سيفارق تخيلتى ما حيث ، فقد كانت الترفة مجموعة



يبدى . لقد كنت أكبر منه جسماً وأقوى عضلاً
غير أنني رأيتني غير مستطيع أن أمد إليه يداً بالأذى
فابتعدت عنه كما يتعد الإنسان عن الأذى
ووجدتني بعد ذلك أتحرك كاللمبة اللزقة التي
تحركها يد اللاعب بخيط متصل بأجزائها ، فإذا يدي
تبحث عن أحد أدراج السكتب فتفتحه وأخرجت
منه مسدساً كان لأبي ، فحركت مفتاح الأمان ،
وصوبت فوهة المسدس إلى ميك . ، وقلت في نفمة
جامدة :

أبدأ من هذه الغرفة حياً

عندئذ صاحت أوى صيحة وحشية يائسة ردت
إلى رأسي كل ما أطاره المنظر من ضواب . ولم تلبث
أن وثبت من مكانها فوقفت حائرة بيني وبين ميك .
وقد تجسم الرب في عينيها وأخذ أثر الحجر يتلاشى
مسرعا ، وقالت :

— تيمي ! تيمي ! لا تطلق النار ! تيمي ! إنك

لا تدري ما أنت فاعل !

كنت في هذه اللحظة أرتجف من قه رأسي
إلى إصمض قدي ، وأحسست بجسمي كله يهزه

— ميك ... قف بعيداً فسأقتلك !
ولكنه جلس في مكانه مترنحاً محاولاً أن يلتقي
نظره بنظري ، وقد أخذ خطر المركز يتبين له في بطله
فرفع يداً مضطربة وقال :
— لا تطلق النار يا تيمي ! وضع جانباً هذا
المسدس قبل أن ينطلق !
فقلت :

— إنه سينطلق ، فقف وانتقل إلى هذه
الناحية ولا تحاول أن تبتعد عنها ، فإنك لن تخرج

وليس لدى ياتيم ما أعتد به مما حدث أليمة . وإلى متفق منك في أنى أخطأت ، وأفهم جيداً كيف يبدو الأمر في نظرك ، وكل ما أستطيع قوله هو أننى آسف لرؤيتك لنا في هذا الوقت ، ولست ألتبس لنفسى العذر من استسلامي للضعف ، ولنكتفى ضعفت أول الأمر في مقاومة الحجر فلما خضعت لها .
زادنى ضعفاً على ضعف
فقاطعته في عنف قائلاً :

— أسرع وأوجز يا ميك فلم يبق أمامك في الحياة غير لحظات فتشهد الرجل تنهداً طويلاً وقال :

— إن ما قلته يا تيم ، عن أمك منذ لحظة صدق كله ، ولا يزال صدقاً ، ففي كل الوقت الذى عرفتها فيه لم أسمع منها كلمة نافية ولم أشهد منها عملاً حقيراً ، ويجب أن تثق بأن هذا هو شأنها الحق — سواء أصدقت مثل ذلك فيما يتصل بشخصي أم لم تصدق ، ولكن اسمح لى ياتيم أن أسألك سؤالاً واحداً ، فقد حدث أنك شربت شيئاً من الحجر ، وما من شك في أن الحجر قد أثر في رأسك أحياناً ، كذلك لا بد أن تكون قد شربت الحجر مع بعض الفتيات ، فهلا توافقنى إذا قلت إنه قد يسهل أحياناً حين ينتشى الإنسان بالشراب ، أن يندفع غير مدرك إلى الشطط في تصرفاته ؟

ما سمعت هذه الكلمات حتى شعرت فجأة بشيء من الضعف والدوار يستولى على . فأغمضت عيني وأسندت يدي إلى المائدة لأحفظ توازنى . ثم فتحت

الغضب الذى ملكنى هناك عتيفاً . وشعرت بثقل شديد في معدتي . ونجاة رأيتني مندفعاً اندفاع اليائس لإنهاء هذا الموقف أسرع ما أستطيع
وخرجت الكلمات من بين أسناني المتقلصة بطيئة قتالة

أهتمت الرجل — أهتمته بكل ما استطاع عقلي الشاب أن يتصوره ، فابيض وجه الرجل من قسوة التهم وحقارتها ، ولكن لم يبد في عينيه أى أثر للخوف . وكأني به وهو يبحث عن الكلمات التى قد تعيد إلى هذا الموقف الجنونى شيئاً من الهدوء والسكون ، ولكنه لم يهتد إلى هذه الكلمات وسألتني أمي في صوت ضعيف متهدج :

— ماذا أنت فاعل يا تيم ؟
فلم أنظر إليها ولكننى أجبت على سؤالها ، وقد جززت على أسناني وصوت مسدس وقلت :
— سأقتل ميك
فقال ميك في صوت هادئ هدوء غريباً :
— لا ، يا تيم ! إنك لن تقتلى قبل أن تصنى إلى لحظة
قلت غاضباً :

لن يكون فيما يمكن أن تقول ما ينبغيك فاستمر في حديثه كأنه لم يسمعي وقال :
— إنى أحب أمك يا تيم ! أحببتها منذ اللحظة الأولى التى رأيتها فيها ، وأعتقد أنها هى أيضاً تحبني ، وقد اعترمت أن أتزوج منها ، ولكن الناحية المالية هى التى جعلت هذا الزواج حتى الآن مستحيلاً

— ما هذا يا تيمى ؟ لقد بدأت أظن أنك إنما تنسج الصدى نسيجاً ، ولكنك مع ذلك لم تأت به !
ولكنها لم تكدر ترى وجهى حتى قطعت حديثها ونظرت إلى نظرة استفهام فقلت :

- هل يضايك يا جوديت أن أوصلك إلى بيتك مباشرة ؟ لقد حدث شيء لا أستطيع الآن شرحه .

ولاشك في أنها لاحظت ما أنا فيه من اضطراب فقد أجابتنى في صوت خافت :
— فليكن ما تريد يا تيمى .

بقيت أسبوعاً كأننى فى حلم مزعج ، أحاول ما استطعت أن أسرف عن مخيلتي ذلك المنظر الذى وقع عليه نظرى فى تلك الليلة المشؤومة . ولم أحاول قط أن أتصل بأى ، واستأجرت غرفة فى أحد الفنادق ، ولم أقرب مرة من البيت

وفى نهاية الأسبوع وجدتنى قد أصبحت هيكلاً محطاً مضطرب الأعصاب ، أقضي الليالى فى أرق فلا تنبوق عيناي طعم المنام ، وفى النهار لا تفارقني صورة ذلك المنظر الشيع . واجتهدت أن أختلط بالناس لأنسى ، فكانوا يتلقوننى فى بشاشة وترحيب ويسألوننى عن أوى . وأخذت شيئاً فشيئاً أعود الحياة الجافة ، وقد خيل إلى أنه من السهل أن أجد فى الحياة لذة بعد الآن

واستقر عزمى آخر الأمر على أن أهرج البلد ، وصممت أن أبحث عن عمل وأن يكون عملاً شاقاً

عنى مرة أخرى ونظرت إلى ميك ... ميك الذى كان واقعاً أمامى مستقيماً أبيض الوجه . ومع ذلك كان شعور الاحتقار يملأ قلبي ، وما من شك فى أن ميك قد لحظ ذلك فى عيني فغمز بعينه وهو يدمدم :

— والآن إذا كنت لا تزال يا تيمى مصماً على قتلى فاضغط هذا الزناد واقض أمرك !

خفدت فى الرجل ، وشمرت فجأة بأن جميع أعصاب التوتر ترخي فى كل ناحية من نواحي جسمي وبعد أن كان كل همى أن أقتل أصبح كل ما أطلبه الآن أن أهرب . أردت أن أندفع خارجاً من الغرفة فلا يقع نظري بعد ذلك عليها ، ولا على الشخصين اللذين فيها . أردت أن أستبدل برائحة الوسكى ، والدخان المطبق فى جو الغرفة نسيم الليل الرطب النقي فى الغلاء .

فالتفت إلى أوى وقلت :

- ليكن ما تريدن ، ولتندفعا فى طريقكما على ما تشتمان وسواء أتزوجكما أم لم تزوجا فإن الأمر عندى سواء . ولكن لا تنتظري أن ترينى مرة أخرى ما حيت ! لا تحاولي أن تبخى عني ، فإني لم أر بي من حاجة لأن أنظر إلى أوى منكما بعد الآن !

ثم التفت وخرجت من الغرفة فشمرت بنسيم الليل كمنفحة من نفحات المطر الزكى ، وقصصت إلى السيارة فتلفتني جوديت بضحكة قصيرة مرححة وقالت :

أن أفكر إلا في أننا قد اجتمعنا معاً مرة أخرى ،
وفي أنني لسبب سخيف قد أعددت حقيبة مملوءة
بأمتعتي كما لو كنت ذاهباً إلى سباحة طويلة ،
أو ما يشبه ذلك :

وقلت مدسداً :

— لقد ... لقد كنت أعزم الذهاب

فتنهت وتعلقت بي وقالت :

— لا تذهب يا قيم ! فيكون كل شيء على

ما تحب . لقد انتهيت من ميك وهجرة . وقد قلت له

إنني إذا خيرت بينه وبينك فإنني أختارك . وها أنا ذى

لم أره من ذلك اليوم

وحاولت أن أستعين بجميع الأسباب التي

تمكنتني من التمسك بعزى الأول ، ولكن كل

ما استطعت أن أحس به هو الشفقة على هذه المرأة

التي هي أمي . لقد كانت تتمتع عذاباً شديداً وهي

تتوسل إلى الشخص الوحيد الباقي لها في الحياة ليففر

لها ويساعدها . فكان كل ما قلته :

— لا بأس ، سننسى ! سننسى كل شيء ،

ولن نذكر اسمه بعد ذلك أبداً !

وخيل إلى أن الأمر سيصبح بعد ذلك سهلاً .

ظننت أننا باتفاقنا على أن نخرج ميك من محيط

حياتنا مستطيعان أن نستأنف سعادتنا الماضية .

ولكن لم يكن ذلك إلا وهماً لم يتحقق

فلم أستطع أن أنسى . فقد كنت إذا جلسنا

إلى المائدة أو تمددنا في غرفة الجلوس أختلس النظر

إلى أمي من حين إلى حين فأراها عذبة في تقابل

لا يتخلص من الحبال التمسدة التي أخذت تكتنفني

واتصلت تليفونيا بالبيت معتزماً أن أغير صوئي

إذا تصادف أن ردت عليّ أمي ، ولكن مضت فترة

لم أتلق جواباً على الدق المتواصل فملت أن ليس من

أحد في البيت ، فأسرعت إلى سيارتي ومضيت بها

إلى هناك ، منتهزاً فرصة غياب أمي لأنني لم أكن

أريد أن ألتقي بها ، وقد اعترمت أن أنفذ تهديدي

بقطع كل علاقة بيني وبينها

وجدت البيت على الحالة نفسها التي تركته عليها

فسمرت لحظة بالحنين إلى الدار ، فلقد كانت هذه

داري ، وهذا هو مربى الذي ألقته ، فوالذي أصاب

السعادة التي نعمنا بها حيناً ؟

تسللت إلى غرفتي وبدأت أحزم حقائبي ،

حتى إذا انتهيت من عملي وأصبحت على إستعداد

لمغادرة البيت فتحت الباب ودخلت أمي تحمل على

ساعديها كثيراً من أنواع البقالة . فلم تكدر أني

حتى وقفت فجأة وحقق أحدنا في الآخر . ولم تلبث

أن طرحت أحمالها وقذفت بنفسها عليّ وهي تزفر

زفيراً هستيرياً وتصيح :

— تيمى ! تيمى ! أين كنت ، لقد بحثت عنك

في كل مكان . آه يا تيم لقد خيل إلى أن نهاية العالم

قد حلت بنا

لم أدر ما أقول ، ولكنني أحسست أن عزيزتي

أخذت تتلاشى . فمن الجيب أننى شمرت بشيء

من السعادة إذ وجدتني مرة أخرى على مقربة من

والدتي ، وأحس ساعديها يطوقان عنق . ولم أستطع

ييدها ، وحاولت أن يكون صوتي رقيقاً بداعياً وأنا أقول :

— يا أمي ! إن بنيك الصغير تيمى سيفرب الصخر برأسه إذا لم تمودى إلى مداعبته فقالت :

— حسن يا تيمى ، وسأجهد ، سأجهد .. ثم اختنق صوتها . فنفطرت إليها متألماً وقلت :
— ما هذا يا أمي ؟ فقالت :

- لا شيء يا تيم ، كل ما هناك أنني كنت تيمسة شقية ، وإلى لسرورة أن أراك في البيت بت تلك الليلة يقظان أفكر وقد غمر اليأس نفسى إذ تبينت أنه على الرغم من المظاهر التي تبدو على حياتنا فإن شيئاً غريباً قد أصابنا ولن نكون أبداً كما كنا من قبل أمّا وولداً . فهناك دائماً ذلك الرمز ، ذلك الشيء الذى لم نستطع أن ننساه ، هذا الشيء سيظل علينا دائماً هائلاً بنا يشمرنا بالتماسة والشقاء

وفي يوم من أيام الأحاد بقيت وحيدى في البيت واستقلت أمي السيارة لزيارة بعض صديقاتها وقالت :
لها لن تمود إلا متأخرة

فلما وجدت نفسى وحيداً خطر لى أن أتجول في غرف البيت لغير غاية معينة ، ثم شرعت أقرأ الصحيفة اليومية فلم أترك فيها سطراً لم أقرأه . ولما انتهيت منها اضطجعت ودخنت عدة سجائر مجتهداً في أن أجد طريقاً للخلاص من الموقف الذى بننا فيه

نفطرت بأقسامة حزينة أقابلها بأقسامة متكلفة ، ولكن كان كل منا يعرف ما يفكر فيه الآخر ، لقد كانت ذكرى مزججة تلك التى تلازمنا في كل مكان : أم مدنسنة في نظر ابنها ! أوجد شيء يستطيع أن يطمس معالم هذه المأساة ؟!

لقد أجهدت رأسى في البحث عن الوسائل التي أستطيع بها أن أئين ذلك التورالتى أصاب حياتنا فابثت لها كثيراً من الهدايا ولكن الهدايا لم تكن غطاء للفقران الذى لم أستطع أن أسيله عليها وحاولت أن أدخل في حديثنا الملح والنكات على ما تمودنا قبل أن نناقشنا السعادة ، ولكنها كلها كانت تبدو مبتذلة جوفاء . وأخذت أعصابنا تزداد كل يوم تضعفماً ، وعلى الرغم من أننا كنا نحاول أن نكون لمجاتنا هادئة لا يبتخلها شيء من الغضب والانفعال فقد كنا نشمر أن لا بد من نهاية لهذه الحال غير الطبيعية .

عدت ليلية إلى البيت فوجدت أمي تنظر من النافذة جامدة ، وكانت الغرفة مظلمة . فلما أدت مفتاح الكهرباء رأيت عينيها محترتين كما لو كانت تبكى ...

وأحسست طوفاناً من الندم يغمرنى وتمثل أمام عيني رضى الأسف والحسرة يحول بين أمي وبينى ، وكان يسخر منا في موقفنا العاجز ، وليس في يدنا ما نستطيع أن نملة للتخلص من براثنه .

كان يبدو على أمي الانكسار والضعف والشعور بالهزلة المؤلمة فلم أتحالك أن ركبت إلى جانبها وأمسكت

كذلك أنه أهدى أمى هذا الكتاب
وعلى حين فجأة خطر لى الحل الذى أبحث عنه ،
فكان كالشمع الذى يذوب فجأة فى زاوية مظلمة ، إن
الحياة بين أمى وبينى لن تعود سيرتها الأولى حتى
نعالج السبب الذى أدى إلى ما نحن فيه ، ولم نكن
حتى الآن قد عملنا شيئاً غير محاولة النسيان . فكان
مجهودنا فى استرداد سعادتنا الضائعة مجهوداً رجليماً
والحياة لا يمكن أن تعود إلى الوراء . لقد حاولنا
أن ننسل إلى السكن الذى كنا نعيش فيه قبل أن
تحل بنا المأساة ، ولكن منذ ذلك اليوم وقع من
الأحداث ما يترك فى نفوسنا أثراً دائماً يحول دون
ما نبغيه ما لم نحول هذه الأحداث إلى الطريق التى
تلائمنا . وهناك أمر واحد ما فيه من شك ذلك أن
أمى قد أحببت منك وهى لا تزال تحبه !
شعرت فجأة بالحرارة والافتقار بملآن نفسى
فوئدت مندفعاً إلى آلة التليفون ، وأدبرت رقفاً ووصل
إلى أذنى صوت ألفتة من قبل حتى شعرت كأن شرارة
كهربائية سرت فى كل جسمى وقلت :

— ميك ... ! ميك ... ! مرحى .. ! هذا
تيم الذى يخاطبك ... ليسألك إذا كان لديك ما يحول
دون عييتك إلينا هذا المساء ؟ أرجو أن تحضر
قالاً : جد هام ... فأنا ... أنا أريد أن أعتذر من
عدة أمور ... أود أن أسألك ... وأسألك إذا
كنت ترغب فى مساعدتى فى رد السعادة إلى أمى ؟
ماذا تقول ؟ ستحضر ؟ أشكر لك يا ميك !
بقيت فى البيت وكأن فى حلقى سداً يكاد يخنقنى

ولم أتألك نفسى من التفكير فيما رأيت من
إهمال أمى فى ارتداء ملابسها وهى تستعد للخروج ،
ولا فى المظهر الحزين الذى بدا عليها وهى تحتاز
عتبة الباب

ولم يلبث نظرى القلق أن وقع على كتاب فوق
المائدة ، وكنت قد رأيته عدة مرات من قبل ولكنى
لم أفتحه قط ، أما فى هذه الليلة ففتحته ، ونظرت
متكاسلاً إلى غلافه ، لقد كان ديواناً من دواوين
الشعر ، وهو الديوان الذى أهداه ميك إلى أمى ،
منذ زمن طويل ، وقرأت فى الورقة البيضاء التى تلى
الغلاف هذه الكلمات : « تحيات إلى صديق جديد
من ميخائيل دوج » ويرجع تاريخ هذه الكتابة
إلى عشرة أشهر مضت

حدثت فى الاسم منهشاً كيف لم يعد يؤثر
فى نفسى ، ترى هل ضعفت ذاكرتى ؟ كم ترانى
دخلت فى دور الجلود وعدم الاكتراث ؟

قلبت صفحات الديوان فوقع نظرى على كثير
من الأبيات التى رسمت تحتها خطوط بالجر الأحمر ،
وكان جليلاً أن ميك هو الذى رسم هذه الخطوط وقد
قرأت فوق أحد الأشعار هذه الكلمات : « لعل
هذا يفسر لك بأسهل مما أستطيع ما حاولت أن
أشرحه لك فى الليلة الماضية

وقرأت الشعر فتأثرت بما فى فكرته من جمال ورقة
أدركت إذن أن ميك قد أحب هذا الشعر
وقد أوصى أمى بقراءته ، لقد كنت نسيت أن مثل
هذه الأفكار قد خطرت يوماً برأس ميك ونسيت

والوحدة وأشباح الذكريات السوداء التي كانت
تملأ حياتنا ...

لاوقفت بعد شهر من هذا اليوم ، أنا وجوديت
في بهو الكنيسة الصغيرة الزينة بالأزهار وشهدنا
التقديس يعقد زواج أمي وميك ، ساءلت نفسي
مندهشاً كيف يستطيع ابن أن يبرر اتهامه أمه ،
لأى سبب من الأسباب ، إذا هو لم يكن أهلاً حتى
لأن يفهم الأمور التي يمكن أن تحتفظ بها أمه سرّاً
في قلبها ؟

أما وجوديت فقد أبدت إعجابها بحفلة الزواج
وجملها ، ومن رأيها أنه يكون جيلاً أن تروج في
الكنيسة نفسها ... في الحريف المقلب
عبد الحميد محمد

إلى أن جاء ميك . فتلقت يده ، ودفعته إلى أحد
الكراسي ، وساد السكون بيننا فترة طويلة كنت
في أثناءها أطل من الشباك محاولاً تملك نفسي ،
ولم ألبث أن سمعت صوت الرقيق المتعب من ورائي
يقول : « هنا فلتنظروا يا تيم بأني كنت هنا طوال
هذا اليوم . فقيم كنت أنت شاغلاً نفسك كل هذه
الساعات ؟ »

وهكذا نبح ميك حيث فحلت أنا ، في وضع
الأمر على أساس متين .

ترى هل بي من حاجة لأن أصف مظاهر
الدخشة والسرور التي ملأت وجه أمي عند ما دخلت
البيت فرأنتي ألب الورق مع ميك ؟ أبي من حاجة
لأن أصف كيف تلاشت هباء جميع المتاعب

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفت فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفوعة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلد في جزيئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجره البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بأثمانه الوثنية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجره البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون
قرشاً في الخارج عن كل مجلد

شرب السِّنُونُفِ

اقصص مصرية
بقلم الأستاذ مكي خشبة

يكون ملك الموت الكريم
ما يزال يرف على القصر وينظر
في حزن إلى الزهر الأسوان
والشجر الكاسف أو أن يكون
قد قبض الروح هناك ، وشهد
ذلك النذر هنا ، فيحمل إلى الله
على رسالة البشرية الظالة مع
رسالة الموت الحق في آن ،
والله بكل شيء عليم ...

لقد علقت الملكة أها الملك وهويته كما هويت
زوجة العزيز نبي الله في مصر ، وكما هويت أتنايا
بليروفون في اليونان

لملك لا تعرفين هذه الأسطورة ! إنها بمينها
قصة يوسف ، تلك القصة الرائعة التي تمثل على
مسرح الزمان في كل زمان ومكان

علقت الملكة أها الملك الذي شغفها جيا ، وقد
تردد أخو الملك أول الأمر ، وجعل يصارع جيروت
الحب ، لكن الملكة كانت جميلة وساحرة ، وكان
لها جسيم ممشوق يشير النداء القديم في القلوب المحيطة
به ... لقد كانت تيمس كالظبي ، وترنو بمينين مثل
عينيه ، تمهد لها ابتسامات الفم الجميل الدقيق المشتمل
كل سبيل إلى كل قلب ... لذلك لم يستطع أخو
الملك أن يقاوم طويلاً ... فاستسلم ، وجرفه تيار
الحب ، وقاتم البلائق الأثيمة بينه وبين الملكة
ولما كانت الملكة هي التي تطارد عاشقها بمحبها
فلم تكن تخشى شيئاً في سبيل لقائه والافتراء به ...
لقد كانت تنسرق في ظلام الليل من مخدع الزوج
الوفى المريض لتتقلب في أحضان خليلها للسكين ،
حتى إذا بلبت أمام قلبها الشرير عادت دون أن تستشعر
(٢)

كانت تصني إلى حديثه في اقتبائه شديد وذهول ،
وكانت الحجرة الفاتنة التي طالما تأججت بالنزل الملتهب
في خديها قد استحوطت إلى شحوب وصغرة ، وكانت
عينها النجلاوان قد أخذتا ترتشان ، وقد بدا فيهما
أثر البكاء الصامت

وكان نعمان يروي لزوجته الحليمة الهيفاء أسطورة
ساذجة مما يطالعها الناس عفواً في بطون الكتب
ولم يكن يدور بخلافه أن حديثه يتدفق في قلب فتاته
فيثير فيه الهم ويمكر عليه الصغو ، وينزعها من
أحلام الحاضر الجميل فيقذف بها في عالم التكريات
— فلما مات الملك صفا الجو لأخيه الذي غاثت
الشيالين في فؤاده ، ورقعت الأبالية في رأسه ،
فلم يطق على لقاء الملكة الفاجرة صبراً ، بل انطلق
في جنح الليل البهيم ليلقاها ... وكأنا كانت ولإياه
على موعد ، فقد تركت جثة الزوج الراحل الوفي
مبسجة على سريرها ، وذويت دون أن تدرف عليها
دمعة لتبادل البتريرات والتهاني هي وعشيقتها الأكم
وهناك ... تحت البوحة الخريفة الباكية التي
شهدت غرام الملك ، وسمعت عيون الملكة ، أهوى
العاشق الجديد على الفم العائد يقبّله ، غير مهال أن

يقولون إن سرباً من الكراكى وعصافير السنونو كان آيياً من رحلته الطويلة إلى الشمال فشهد الغلام مستلقياً عند جذع الشجرة ، فذهب رائد الطير ليتحسس الجرب ، ثم عاد إلى السرب ، فها هي إلا لحظة حتى أقبل الطير كله يحمل الزهر الجميل فجعل يلقيه فوق الطفل ، ثم أخذ الطير يرف فوق الغابة ويعود بالزهر ليصنع منه مهاداً وثيراً لولى المهد ... وانطلقت العصافير والكراكى ... وأصبح الصباح وأرسلت الشمس أشعتها كحلل الأفنان فسقط منها شمع فوق الطفل الذى لم يستيقظ بعد ...

وأقبل كركى جميل فجعل ينفى ويهتف بالطفل ، لكن الطفل ظل نائماً ولم يستيقظ ... وأقبل كركى آخر وأخذ يندب وينرد ، ويقف على الجبين الباهت الناضل الشاحب ... لكن الجبين الباهت الناضل الشاحب ظل ساكناً ولم يتحرك

وهنا وصل المسس الكثير ، ووقف الحراس مسبوحين مشدوهين ... وتقدم رئيسهم فأنهى فوق الجثة الهامدة حملها ، وجعل يعطرها بدمه الكريم الحزين ...

وحزنت الملكة أياماً ثم قامت إلى هواها فأخبرت فيه من جديد كأنه لم يحدث هذا الحادث المؤلم لولى المهد .

— انتظرى فسأروى لك حديث الطفلة ... فهم يذكرون أنها ظلت أياماً تبكى ، وتسال أين ذهب أخوها ، وكانوا يقولون لها إنه ذهب ليحضر لها باقات الورود من الغابة ، وإنه لا يلبث أن يعود ... فلما مضى العام أو تصرم معظمه ولم يعد لولى المهد ، أخذت وحشة الفتاة اليتيمة تتضاعف ، وبدأت تحس حرارة العيش بعد أيها الملك وأخوها لولى المهد ... وبدأت

وخزة من ضميرها البيت ، فتجد زوجها يبكى ويشكو من علته ، ولو درى لبكى وشكا من زوجته ولم تمض أيام حتى كان الماشق وصياً على العرش وقائماً مقام الطفل الصغير لولى المهد ، وراعياً للطفلة البائسة التى فقدت أباهما أشد ما تكون فى حاجة إليه ومضى عام أو نحو ، ثم قيل إن لولى المهد مريض ، وإن علته قاسية قاتلة ، وإنه فى حاجة إلى الشمس المنكسة من الخلق فوق قمم الجبال ترين ، هل كان مريضاً حقاً ؟ أم أراد الوصى على عرشه حاجة فى نفسه فهو يخفيها لحينها ؟ !

وذهبوا بالطفل البرى إلى قمة جبل منيف شاهق فى مملكة مجاورة ، وخصصت له طائفة من الخدم من بطانة الوصى

ولم تمض أشهر حتى جاء نى لولى المهد ، ولكن ليس كما يجهى نى أحد من الناس . لقد قصوا فى ذلك قصة عجيبة لوصدقت لكابت أسطورة فى أسطورة ذكروا أن الملة اشتدت بالبلاد التى كان يضييق بالدواء وبالخدم ، فتغفل حراسه وانسرق فى غابة قريبة ، فلم يزل يتنفلل بين الأشجار حتى أمن الأنظار ثم انتحر ...

— أجل ، سأقص عليك كيف فعل ، فاتهم يروون فى ذلك قصة هى إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ...

يقولون إنه ما زال مغتلفاً فى الغابة لا يدري أين يستقر ولا ماذا عساه يفعل ، وكان الطقس بارداً والرياح زهبرراً ، فلما غربت الشمس أو كادت ، تطرح الغلام عند جذع شجرة هائلة ، ثم أخذت جفنيه سنة من النوم فاستغرق فى سبات عميق — انتظرى ، فسأروى لك كل شيء ... ثم

الذكريات والوقت ترقص في هواء الحديقة الخائقة
الكريه ... وأخذت قبلاات الغرام الأثيم ترقص
مع الذكريات سافرة متهمكة مطلة على الملكة من
حلق النوار ومقل البنفسج وأعين الزجاج ، وآفاق
البنسيه . وكانت هذه القبل تسقط كالسهام في حشاشة
الملكة لأنها كانت تنشر رائحة الماضي كأنها تنشر
رائحة صارخة من قبر قديم ... ومضت سنوات
قلائل ... ولم يعرف أحد أين ذهبت الأميرة الصغيرة
التي لم تكن قد بلغت السابعة من عمرها بعد

ووقت الجفوة بين الوصي الذي أصبح ملكاً
وبين الملكة التي لم تصبح شيئاً ... ولم يكن الملك
يجعل ما يقوم بنفس صاحبه من فيض وحقق فكان
يحوطها بالجواسيس ويرصد لها العيون كل مرصد ،
وكانت هي تحس بهم يحرقون بها ويتمرفون كل
حركة من حركاتها ، ولم تكن تجعل أنهم يفعلون
ذلك بأمر الملك ، وينقلون إليه خبر كل نفس من
أنفاسها ، وعدد الخطوات التي تخطوها في كل حجرة
وفي كل مكان

غرفت ذلك الملكة لحفظته وأصغره ونظاشرت
بالسكون ، وآثرت العزلة ، ثم راحت تدبر خطتها
للقضاء على غريمها

وقد عاوتها في ذلك خادمة عجوز من خدمها
اللواتي أقصين عنها بأمر الملك ، فما زالت تتملق
بعض عيونها عليها وترشده وتمنعه بالأعطيات والهدايا
واللى ، حتى أصبح أطوع لها من بناتها ، فلما
وثقت به أسرت إليه بما تحاوله من إنقاذ الملكة من
عصف الملك ، فارتدت فرائسه أول الأمر ، ثم لأن
قليلاً قليلاً ، ثم وعداها أنه سيعمل بما ترسم له حتى
تنجو الملكة ...

الدنيا تنقلب في عينيها وفي قلبها ظلاماً حالكا برغم
مباهج الملك المحيطة بها ، وبرغم الموسيقى التي تبكي
كل صباح ، وكل مساء في حدائق القصر ، وبرغم
الأنوار الخافتة المتألقة التي تحارب ظلمات الليل ،
فتعلن عليها الظلمات ، وتنتشر على لألائها ظلال
الحداد والحزن ... لأن ظلمات الليل وحدها تعرف
كل شيء ولأنها شهدت كل شيء

— ثم أصبح الصباح يوماً وجاءت وصيفة
الفتاة إلى الملكة وهي تصرخ وتندب وتشتق جيبها ،
لأن الفتاة فرت ، ولأنهم يبحثوا عنها في كل مكان
فلم يقفوا لها على أثر !!

هل ذهبت تسأل الناس عن النابة لتلقى أخاها ؟
إن النابة في أرض مملكة أخرى غير هذه المملكة
فيأ ترى أين تذهب الفتاة ، ومن يدها على مكان
أخيها ، وهل يذكر لها أحد أنه جثة هامدة ، أو وفات
سحيق في قبر ضيق مظلم ... ؟

والجديد اليوم أن الملكة أخذت تستيقظ من
أحلام هواها ، لقد كان حزنها الجديد أمض على
نفسها من كل حزن ، لأنه حزن متجمع متمكن ،
ولأنه حزن صادف ما تفتح في نفس الوصي على
العرش من آماني ومآرب .. لقد شعرت الملكة أنه
يزيد أن يتخلص من كل الأشخاص الذين يضايقونه
ليخلص له الملك ، وليصبح الأمر الناهي ، وليكون
السيد المطلق ... ولقد شعرت أيضاً أن دورها قد
جاء مثل دور زوجها الملك ، ودور ابنتها ولي العهد
ودور ابنتها البريئة الضعيفة التي أقيت لأنها لم تستطع
ذلك البعد القاهر الربر عن أخيها .

جلست الملكة وحيدة فريدة تحت البوابة
المهودة تفكر ثم تفكر ... وأخذت أطياف

أما أمه ... نعم ... أمه ... يا لهول اللقاء !
 لقد وضع فوق وجهها لثاماً حتى لا يراها وهو
 يكلمها ...
 — أجل ، هي لتلك البهيمة التي حسنت لك
 قتل أبي ، ثم اثنارك بي لألحق بالوالدي حتى يخلو
 لك الجو أنت وخليك
 — إغف عني يا بني واصفح ما دام الله القادر
 قد حرسك ، وإني لأقسم لك إن صدقت لي قسماً
 أنني كنت أريد به ما صنعته أنت أس !
 — ولم لا تريدن له ذلك وفي طبيعتك الشر ...
 إن مثلك لا يفكر إلا في الجريمة لأنه فطر عليها
 — يا بني إنه الشيطان قد أسلني فلا تقتلني
 بكلامك ألف مرة قبل أن تقتلني ببيفك مرة واحدة !
 — الشيطان ! ولكن يا بنات حواء دائماً
 تهمن الشيطان بما ليس بحسن شيئاً منه كما تحسنه
 إطمئني ، قلن أقتلك ... لقد خسرت قيمتك لأنك
 شهدت عقي تديرك
 — حقاً يا بني ! وإني على كل ما كان لأسفة !
 — أحب أن أسألك قبل أن نفتق إلى الأبد
 لماذا عاشرت أبي وأنت لا تحبينه ؟
 — ترفق بي يا ولى !
 — لا بد أن تجيبني ؟
 — أقسم لك إذن أنني لم أحبه ، و ...
 — إذن لماذا تزوجته ؟
 — لأنه ملك وللتاج بريق ينجذب ألباب النذاري
 — أى أنك آثرت بريق الملك على هي القلب
 — هذا هو ! ولو كان لي عقل ناصح ما فعلت
 ذلك ! !
 — ولماذا كتبت تحسین نحوي باعتباري ابنك
 الوحيد البكر ؟ !

وقد أطلع تدير العجوز ، وكان الرأي على أن
 تفاجئ الملك عصابة من الرجال الأقوياء ممن لم يقرأوا
 تصرفاته في الوصاية ، ومن ثموا رائحة الجريمة تنتشر
 في كل تصرفاته منذ وفاة الملك ، فمقدوا الخناصر
 على القصاص منه لسيدم وولى عهدم ، وإن كانوا
 يعلمون أن للملكة في كل ما تم يدأ مجرمة تستحق
 القلع مثل يد عهدم وأشد تنكيلاً ...
 وفي هداة ساكنة من ليالي أغسطس ، كانت
 أشباح ملثمة تنهادى كالظلال في حديقة القصر ،
 وتقفز من شباك هناك إلى حجرة الملكة
 وقبل أن يتفلسق القصر صعدت هذه الأشباح
 كلها ، لأنها سمعت صوتاً مدوياً في ردهة العرش
 الجاورة لندع الملك يسندهم فيقول : « مكانكم
 أيها الأشقياء ولا تقتلهم جميعاً ... ليترك كل منكم
 سلاحه على الأرض وليتقدم نحو السور ، ثم ليقف
 هناك حتى يؤذن له ... »
 وألقى التأمرون أسلحتهم ، ثم نظروا فأروا
 أشباحاً ملثمة أخرى تصوب نحوهم سهاماً لو طارت
 عن قسيها لفننت في صدورهم فقضت عليهم
 قضاء مبرماً
 وأشرقت الشمس واستيقظت المدينة ، وما دهي
 الناس إلا أن يروا شوارعهم تجمج بجنود كثيرين
 يهتفون باسم ولى عهدم الذي زعموا أنه انتحى بالورد
 منذ عشر سنوات ... أو الذي زعموا أن عصفير
 السنونو قد قضت عليه بالورد حين قصدت أن تمهد
 له منه فراشاً
 وظل الجنود يهتفون للمكهم الشرعي ويطوفون
 في المدينة برأس الطاغية ، وعرف الملك الفتى ما كان
 يتنويه الرجال اللثمون فمفا عنهم ...

— ألا أراها؟

— لن تريها على أنك أمها ، فقد أخبرتها منذ
ثمانى سنوات أنك ميت ، ففرحت ، ولم تدرب
عليك دمة كما تفعل البنديات الصغيرات إذا
توفيت أمهاتهن . وثق أنها إذا علمت أنك ماتت
حية فإنها تنقلب إلى طبيعتك الإجرامية وتقتلك ..
أنا بالطبع لم أذكر لها شيئاً عن جرائك لأن مثل
هذا لا ينبغي أن يقال للصغار
— إذن... أن أراها مرة واحدة قبل أن
أموت ...

— سترينا ، وإن كنت أكره لها ذلك ،
لأن نظراتك تدنس كل إنسان تلحقه
— ما أقساك !

— جاء اليوم الذى تعدين فيه كلمة قاسية أشد
من قتل زوج وإزهاق روح ابن ، وهدم سعادة
أسرة وتقويض مملكة ... إسمى ... احذرى أن
تذكرى لها شيئاً ، فإنك إن فعلت فإنها سوف
تسفهك ولن تصدق من دعواك شيئاً ...
ثم لقيت الفتاة أمها دون أن تدري من هى ،
وإن تكن قد عجبت للدموع التى كانت تنهمر من
عينها ... وعاشت الأم بعد ذلك فى شبه دُرّ تصلى
لله وتستغفره ، ثم مات ... ومن يدري ، عسى
أن يفر لها الله ...

— انتظري فسأروى لك كيف فر ابن الملك ،
وكيف كانت أسطورة عصافير السنونو والورد كذباً
مفتري ، وكيف نشأ الفتى فى بلاط أحد الملوك من
أصدقاء أبيه ...

ولكن عجزت لم تشأ أن تصفى إلى الحديث

— ألا تفرق بينى يا بى ؟

— قلت لك لا بد من أن يجيبى قبل أن نفرق
إلى الأبد ، وأحب أن تصدق
— كنت أحس نحوك بكل محبة وعطف إلا
إذا ذكرت أباك
— فإذا كنت تحسبن إذن ؟

— كنت أمتك ، لأنك ثمرة زواجنا الذى
لم يبق على دعائم من الحب
— وأخى ؟
— أختك ؟

— أجل ... أختى التى فرت من عسفكم
— إنى أجد ريحها فى كلامك ... أصدقنى
يا بى كما صدقتك ، هل تعرف أين هى أختك ؟
— وماذا يهمك منها ؟

— يهمنى منها . أنى كنت أحبها حباً لم أشعر
به لا نحوك ولا نحو أبيك ... لقد قتلتى بعدها عنى
إن الوقعة التى تمت بينى وبين عمك كان سببها بعد
ابنتى ... لقد كرهته وكرهت الدنيا كلها . حين قيل
لـ إنها قُوت !

— عجيب أن توجد هذه القطرة من الخير
فى نفسك !

— ألا تقول لى إن كانت ما تزال على قيد الحياة ؟
— إذن فاطمنى ...
— إذن هى عائشة
— إنها عائشة
— وهل هى قريبة من هنا ؟
— بل هى هنا ... فى هذا القصر !

— بى ! ..

— ماذا ؟ ..

أكثر مما فعلت ... لقد كان القلق بادياً عليها ، وكان الوجوم يشتد بها. ثم يشتد كلما أوغل نمان في قصته المؤسفة المشجبة

لقد نهضت وقد راح الدمع ينهمر من عينيها الممزومتين ، ثم ذهبت إلى مخدعها ، فهب نمان في إثرها وقد ظن أنه سبب لها الألم بروايته تلك المأساة ... هب ليلاطفها ويرفقه عنها ، ويذهب عن فؤادها الحزن ... لكنها أغلقت الباب وراءها ، ثم قالت له حينها هتف بها : « انتظر قليلاً أرجوك ... » وهتف بها ثانية فلم ترد عليه ، فجلس على كرسی ذي مستدين ، وراح يفكر فيما آلت إليه الحال من أمر تلك القصة ...

وبعد قليل انفتح باب المخدع ، ثم برزت منه عزيزة في ثوب ضارب أسود ، وليس في وجهها أثر من دمام (تواليت) وفي يدها حقيبة صغيرة متفتحة قليلاً ، ثم قالت :

— نمان ... الوداع يا عزيزي !
— الوداع ؟! عزيزة ! ماذا تقولين ؟
— أقول لك الوداع ... إني ذاهبة !
— ربه ماذا حصل ؟!
— لا شيء ...
— أصدقيني يا عزيزة ... أأنت زوجتي ؟
— بلى ... أنا زوجتك ، ولكنني أرجوك أن ترسلني ...
— ربه ... أكاد أجن ... أريد أن أعرف ماذا حدث !
— لم يحدث شيء ... الأفضل لنا مما أنت آخر !

ترسلني ، تصدق على الفتاة التي أحببتها كما أحبتك بكلمة الطلاق !
— ما هذا ؟ ماذا تقولين ؟ أأنت مريضة ؟
— لست مريضة قط !
— إذن ماذا حدث ؟
— أفضل ألا تعرف بل يجب أن أعرف !
— إذن ... وما دمت مُصيراً ، فاعلم أنني خدعتك !
— خدعتني ؟ وكيف ؟
— خدعتك يوم بكيت لك ليلة زفافنا لتنفرد لي زلتى ... ألم أقل لك إن شاباً أغواى ؟
— بلى ، ولقد غفرت لك ونسينا كل شيء ...
— إذن فاعلم أن أحداً من الناس لم يغفوا ، بل إني كنت متروجة زوجاً لم أحبه ، فلما عاشرتني ضقت به ثم هربت ، وقد لقيتني أنت فمعلقت عليّ عطفاً جميلاً أحبك بل أعبدك حتى نسيت السنوات الثلاث التي عشتها مع الرجل الأول
— وما في ذاك ؟!
— ألا تدري ؟
— لست أرى في كل ذلك شيئاً !
— بكلامك غريب يا نمان
— ليس غريباً كما تظنين !
— عجيب !
— أي عجيب ؟
— كيف أكون لك زوجة وأنا زوجة رجل آخر ؟!

- مشكلة !
 - ألا ترسلني يا نمان ؟
 - لا قيمة لكلمة الطلاق لأن زواجنا باطل !
 - إذن وداعاً ... وداعاً أيها الرجل الذي
 حانى ومد ظله عليّ ... وداعاً رغبي يا أغبر الناس
 عليّ ... ماذا أعمل ... لقد ذكرت نجيياً وصفية
 فدارت الأرض بي ، وضاعت عليّ بما رحبت ...

هذه هي القصة التي رواها لنا نمان أغندي
 عبد الجليل عند ما قابلناه مرة يتردد علي مستشفى
 المجاذيب حيث كان يزور زوجته عزيزة ، وقد ذكر لنا
 أنها جنت لأن زوجها طردها لأن ابنها نجيياً ، وصفية
 كانا قد اختارها الله ، ولأنه كان قد طلقها منذ
 زمان بعيد .

دسوقي ضيف

آلام فتر

للساهر القيسوف جنة الألفاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تدل بحقي من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونحنها ١٥ قرشاً

- وما العمل إذن ؟
 - سأذهب إلى زوجي الأول
 - وأنت لا تحبينه ؟
 - أجل !
 - وكيف يكون هذا ؟
 - لأنني لا أريد أن تكون آخرتي مثل آخره
 الملكة بطلة قصتك ؟
 - ماذا تمنين ؟
 - أعني أن لي طفلين مثل الطفلين في قصتك !!
 - تمنين أنك تفضلين أن تمردي إليهما
 - أجل ... هو ذاك !
 - وعبد الحميد !
 - أوه ! عبد الحميد ! مسكين !
 - هذه مشكلة يا نمان !
 - مشكلة وأى مشكلة !
 - لكنه ما يزال صغيراً ، وسينسى !
 - أدعيني بنبر أم ؟
 - هذا من غير شك عزيز عليّ ، لكنها
 مصيبة ذات شطرين ، ولا بد ...
 - لا بد ماذا ؟
 - لا بد أن نقتسمها معاً .
 - وهل تضمنين أن يقبلك رجلك الأول ؟
 - من غير شك سوف يقبلني ، لأنه كان
 يعبدني ...
 - وإذا لم يقبلك فما العمل ؟
 - سأرى أولاً ...
 - وكيف أقدمت على الزواج مني وأنت متزوجة ؟
 - هذه زلة ، وإن تكن كبيرة ، لكنك
 ستغفرها لي

في عينيه حين ارتشف كأسه
الأولى ... فما كاد يأتي على
الثانية حتى كان يلهمهما ببنيته
في نشوة وشراهة .. واستقرت
محتويات القدر الثالث في جوفه
فتمتم قائلاً دون أن يتم جلته :
« لو كان في إمكانك فقط
أبها الآسنه ديزريه ... »

البعث

للكاتب الفرنسي جيمس فوباسان
بقلم الأديب عادل الجكمال

ومع فراغ القدر الرابع كان يمان ممسكاً بشوب
الفتاة وهو يحاول تقييها ...
وتعددت الكؤوس ... واكتملت مشراً ...
وحينئذ أرسل أوبان المجوز ابنته إلى الخارج وراح
هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه
الساهرين . كان أوبان رجلاً حاذقاً لا تخفى عليه
خافية ... فكان يترك ابنته تنقل برشاقتها بين الموائد
للإغراء الزبائن حتى يستريدوا من مخزنها تاركا لها
مطلق الحرية في توزيع ألباساتها الرائجة وإرسال
سهام عينها إلى أشدة الخمورين وهو واثق منها كل
الثقة دون أي محاولة من جانبها لاكتشاف سر ذلك
البرق الذي كان يشع من عينها .. البزيق الغامض
الذي كان يتمسك في أعواضها كلما حاولت امتحان
عواطفها لئلا يزاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزريه مألوفاً لدى يمان من طول
ترده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو
في مركب صيده ناشراً شبابه في المياه المسداة
أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يضيئها تومي
إليه في حلقة الليل الساجي . أو تحت ضوء القمر
الفضي الساهر ... فكان يطيل التفكير فيها ...
وكم كان يهنا بذلك التفكير وهو في جلسته عند

— ١ —

لم يكن هناك في قرية « فيكامب » من يجهل
تاريخ الأم « يمان » الحافل بألوان الشقاء ...
كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة
زوجها لها طيلة حياته

اتخذها يمان زوجة له منذ عدة سنوات حين
كانت في نضارة الصبا وقد جباها القدر بقسط وافر
من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً
ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة المجوز « أوبان »
لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول ...
ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لفراغ معدته ...
بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرق إلى ثمانى أو عشر
كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلاً إذا ما كانت
صفقة صيده رابحة . وكانت ابنة أوبان هي التي
تشرف بنفسها على خدمة رواد الحانة الذين أسرهم
عينها الحالكنا السوداء، وامتلكت أفئدتهم بقوامها
الرائع المشوق

ويوم جاء يمان إلى تلك الحانة للمرة الأولى ...
اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين
وهو يشير إليها من طرف خفي . وازدادت فتنتها

بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ...
فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها
الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد في غضب
زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة
إلا في تلك الليلة التي اعتدى عليها فيها بالضرب
وخلال السنوات العشر التي تماقت بمبدئ ..
لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن
تلك المعاملة القاسية التي كان يتعمها ياتان مع زوجها ،
لا شيء إلا لأنه كان موهوباً بالسليقة بلهجة في
سبابه لم يكن هناك في فيكاتب من يضارعه فيها
وعاشت المرأة المسكين في جوارح الخوف والرهبة
عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ،
عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجسل منها
هيكلاً هزياً يشبه هيكلاً سمكة صغيرة جافة .

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين
الرياح وهممة رياح البحر ... جلست على فراشها
وراحت أفكارها تتجمع في نقطة واحدة حتى تركزت
في ذكرى زوجها الغائب في مركبه وسط ذلك البحر
الثائر ، وسكن الصوت ... فاستلقت على فراشها
ولكنها لم تنكد تنمض عينيها حتى هبت فزعة
وقد روعها صوت الماصفة ، وقفزت من الفراش
ثم هزولت نحو الميناء التي كانت قد امتلأت
بمجموع النساء وقد حلن في أيديهن المصاييح يزن
بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك
لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين ... وظلوا
محدثين في المياه السوداء الممتدة أمامهم في جلال
وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة
وهي ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ،

(٤)

مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما
ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم ، وقد
راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادئ للذي
إجهادهم اليوم الرهق ... وفي كل تلك الحالات
التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تنسم إليه وهي
ترفع يدها لملأ كأسه بالرحيق الملون هامة وهي
تنأهب للاعتماد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حين تفكيره
كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبة التي كانت تلح
عليه في أن يتخذها حليمة له . وطلب يدها من أيها
وأجيب ياتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً
وشباكاً ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ...
في حين كان أوبان المجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت
معدات الرفاق دون تأخير .

واقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها ياتان من الحلم
الذي كان يمش فيه ، وهو يسحب كيف أنه اعتقد
بوماً أن تلك الفتاة دزيريه مختلف في شيء عن غيرها
من النساء . وأبتدأ ينعت نفسه بالجنون ، ويميب
عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي قبضت نفسها
به ... القيد الأبدي الذي استسلم إليه تحت تأثير
الحجر ... نعم ! لقد كانت الحجر هي السبب في ذلك
الزواج ... الحجر التي كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن
الفتاة قد مرضت بها يعض العقاقير السحرية للأيقاع به
ولم يكف ياتان عن سب نفسه طوال ذلك
الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير
حتى ألقى فضلات التبغ التبقية في غليونه ، وراح
ينقل أسماك الواحدة إثر الأخرى ، وهو يشتم غاضباً
وعندما وصل إلى منزله وجد زوجته — ابنة
أوبان المجوز — قابعة هناك كمادتها . فلم يحبها

وأخيراً... انتقلت ملكية البيداء وقفصه لـ «زيريه»
بعد أن رفعت عنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتياً
وتعمت المرأة قائلة بغضب لها رأت نقطة
من السماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهي تضع
له شيئاً من الطعام في حجرها

— يا لله... لم أكن أعلم أنه جريح
وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت اللطائر
شيئاً من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء
ولم تكن أوار الفجر الوردية قد بدت بعد، حين
تمالى إلى أذنى مدام باتان صوت واضح جلي يقول:
— ألم تستيقظي بعد بأنها النكودة؟

لقد رجع زوجها أخيراً... فذلك الصوت
صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في
الصباح. وأحسّت برعشة تسرى في عروقها فدفنت
وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف
ارتجافاً واضحاً وهي تتمتع قائلة لنفسها:
— يا إله السموات... لقد رجع ثانية
وها هو ذا... يا لله

وحسرت بضعة دقائق دون أن يمكر بضيق السكون
الشامل صوت... فأخرجت رأسها من تحت الوسادة،
كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها برقبها وهو على
أتم استعداد للاهتمام عليها بالضرب كما كان في الماضي
البعيد... ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التي
ابتدأت تحترق زجاج النافذة، فهمست قائلة لنفسها:
— لا بد أن يكون مخفياً في مكان ما

وظلت تنتظر... وطلت انتظارها فباودها
بعض ههوها وخفمت:

— إنني لم أراه... إذا... لا بد أنني كنت
أهيم في وادي الأحلام
وأغمضت عينها مرة أخرى في اللحظة التي
ارتفع فيها صوت باتان كالرعد قائلاً:

ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة
وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر
صائداً قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم قط...
وكان باتان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة باتان «أميلي
الصفراء» إلى أحضان شاطئ «سان فاليري».
ولكنها لم تظهر أي أثر لجسد باتان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاماً
للأحماك... كما كان من الممكن أن يكون قد اشل
من المياه وأجبر مع منقذه إلى حيث يقصدون
وعودت المرأة نفسها الحياة كأرملة... ولكنها
إلى جانب ذلك لم تكن تتمتع من استقبال سائل
أو مسافر أو بحار داخل غديها

واغتصت أربعة أموام على اختفاء رجلها
ومالت الشمس إلى الغيب... وهبت نسائم
باردة تنذر بإقتراب الليل... وفزعت الأطيار إلى
أوكارها... في حين كانت المرأة تسير في شارع
«اليهود» وقد لفت نظرها منزل قبطان مجوز...
كان يقف يبابه «دلال» ينادى على أثم المنزل
لبيعه... وفي تلك الآونة كان الرجل ممسكاً بقفص
قد استقر فيه بيباء وهو يهتف:

— ثلاثة فرنكات... طائر يتكلم كرجل
القانون... فقط ثلاثة فرنكات

وتعمت ديزيره لمصدق كان يتأبط ذراعها:
— يجب عليك شراءه فسيكون لك نعم السعير.
إنني واثقة من أن ذلك الطائر يساوي ثلاثين فرنكا
تتقي من أنك تستطيع بيعه ثانية بششرين أو
خمس وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلاً:
هيا... أربعة فرنكات أيها السادة... أربعة
فرنكات... إنه يستطيع الترتيل، فياله من أعجوبة نادرة.

كان البقاء في قفصه يتابع كئانه، وهو يحرق فيها ببينين كجمرتين .

ونظرت إليه والدهشة تنمرها ثم تمتعت :
— إذا ... إنه أنت . وتكلم البقاء ثانية وهو يحرك رأسه :

انتظري ... انتظري قليلاً ... فسأني عليك درساً لتكوني أشد كسلاً منك الآن .

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بث مرة أخرى ... بث حياً في هيئة ذلك البقاء .

إذا ... سيمود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان في الماضي ... وسوف لا يمر يوم بهدوء ...

وجيرانها ... سيمودون حنا لفرء بها والسخرية منها وأسبغت المرأة نحو القفص فتفتحه . وأخرجت الطائر الذي راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدي

يديها ... ولكنها لم تتبأ به ... ونهالتك فوقه على أرض الترفة ... وراحت بكل قواها تضغط على رقبتة حتى سكنت حركته .

لم يعد يتحرك، لم يعد يتكلم . ولكنه كان مستكيناً استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرصفة ووضعها مع الجسد المسجى على الأرض في لافاة صغيرة ...

ثم هربوا إلى الخارج عارية القدمين ... وقذفت بالحزمة الحاوية لا ... للشيء الميت في مياه البحر الهادئة ... فبدت حزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء .

وعادت إلى حجرتها فركت على ركبتيها أمام قصص الطائر الميت ... وراحت تبكي .

كانت تشعر أنها ارتكبت إثماً ... إنما هاتك كأكبر الجنايات وحشية ... فابتدأت تدعو الله أن ينفرد لها .

عاد الحال

ألا زلت نائمة أيها اللعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فرغ المرأة الطيعة التي ظلت أربعة أعوام كاملة وهي ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة ... ذكرى المذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكره ... وهتفت :
— ها أنا ذى يا باتان ... ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب وتلفتت حولها في دهشة ... ثم أخذت تبحث في كل مكان ... ولكنها لم تجد أحداً ...

ونهالت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح باتان ترفرف فوق رأسها ... وأخيراً تذكرت الحجر الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام ... لا بد وأن يكون غتبتاً هناك في انتظار مفاجأتها ... ثم ...

ثم العودة إلى نفس الحياة القاسية التي كانت تحياها من قبل ... ونظرت إلى سقف الترفة وهي تقول متسائلة :
— هل أنت فوق يا باتان ؟

ولم يكن هناك من جواب وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت في الحجر الصغيرة ترى ... لتراه ...

ولكنها لم تنمر عليه ... تجلس على الأرض وابتدأت تبكي وهي ترمد . ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول :
— أي جو وأي رياح ؟ .. إنني لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :
— إنني هنا يا باتان .. ها أنا ذى في طريقي إليك

لإعداد طعامك فلا تنضب .. ها أنا ذى آتية . وهبطت السلم بسرعة فاقمة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها وأحست بضيق ميت ينمرها من رأسها

لأخفى قسمها . وفكرت في أن تهرغ إلى الخارج مستغنية حين ارتفع صوت باتان قائلاً :
— إنني لم أتناول طعامي بعد أيها ...

إيزيس (منهودة وقد غابها
مدامها) — ما زلت أجهل
بأختاه الفارق بين اليقظة
والحلم ، نحن نحلم دائماً حتى
في يقظتنا ، لذلك أعتقد أن
اليقظة هي الحلم الصريح والحلم
هو اليقظة المتحركة

كاميليا (تجلس بجانبها
حانية) — أراك في هذه الأيام تحنين إلى العزلة ،
عزلة سكان الأرض (تشير إلى منزلها) حتى شغلك
يثبت أنك لاهية عنه ... ما الخبر ؟ هل من جديد ؟



إيزيس (في هدوء) — كاميليا ... (يغفونها
لحسها اللهم التامس فتبكي بصوت خفيض)
كاميليا (في حرارة) — ربّاه ، أى شيطان
يراودها ؟ إيزيس هيا قولى إلى عرابيك ليمود إليك

الراهبة

قصّة مسرّجة في فصل واحد
بقلم الأنيسة جميلة العلايلي

المصدر : إيزيس راهبة عنزاء جبلة ساحرة في الخامسة
والمسرين من عمرها ، جالسة تحت ظل شجرة
كثيفة بعيدة عن بناء الدير وحديقته في طريق
أشبه بالصبراء للوحشة ترى المنزل في بطنه وتسد
رأسها الجليل إلى يدها البضة محدة في الأفق يصير
سارح وذعن شارد ، ثم تحول بصرها لترى
ملياً رف عليها ثم حتى بعيداً ، وأخيراً تفنى
الطرف لتبقى دموعها التي بدأت تهمل وجنتها في
استحياء ولا تهمد من قلبها غير بسة شاحبة مريرة

تفاجئها زميلة لها راهبة صبية قد جاوزت الأربعين من
عمرها ، عليها طابع العقل الرصين ، تتمشى في هواده حتى
تلف بجانبها تنفض يدها على كتفها في حنو قائلة بصوت
خفيض بطي :
— إيزيس ، طالع بك الكثر هنا والجو مكفهر

غير بهيج

إيزيس (تنظر إليها في بطنه ثم تقول بصوت أشبه
بنم الحلم المبعق) — بالعكس ، ما رأيته أبهج منه
اليوم .. أنظري إلى هذا الغمام ! تأمليه . تأمليه جيداً .
ألا ترى اليقظة الحارة تسرى في شرايينه لتخو
الكون حلماً يحمل خلاصة الرجاء والحنين ؟ ...

كاميليا (بهجة للثناينة) — ما عهذتك هكذا
تحلمين بمآلى الدنيا وتخرجين من يقظة الحقيقة
القدسية ؟

اليوم أعمق فكراً وأغزر إحساساً ... لقد خلقني الله لأقدم رسالة الكل إلى الكل ، ولشد ما أعجب كيف يمنحني الله حقاً ومجرمة على البشر !

كامليا (عاطفياً موضع يدها على فها) — كفى كفى لقد ازدادت شططاً . خذار أن تستمعك الأم . إنها لا ترحك مطلقاً وإذا غضبت لا ترضها صلاة أعوام طوال ... لأنها تقضب لليسوع المهان ... قوى لنصلي معاً ولنفر لك الرب ، ولنشفع لك يسوع

إيزيس (بصوت اليقين) — الرب يعلم حقيقة السرار ويسوع يدرك الحقيقة . أما نحن فجهلاء آثمون .. نحارب الإثم بالإثم ونقول ذاك هو الإيمان . ما أظن هذا ! قوى إلى عرابك يا أختاه ، لأن من يخاف لعب الشمس وبرد الشتاء ويفر من الوحوش لا يبلغ عمق الحقيقة أبداً ... أبداً

كامليا — .أى حقيقة يا بلهاء ؟ الحقيقة هناك ... تنتظر في مبدك القنسى تحت مصباح المنراء . أنظري (تشير إلى الصليب المعلق على صدرها) هذا علامة الحقيقة

إيزيس (تهرز رأسها مستنكرة ... يترامى إليها صوت ناقوس الدين)

كامليا — الصلاة ... هيا

إيزيس — دعيني ... لا يمكنني الصلاة الآن ...

كامليا — عفوك يارب .. شد أزرها يا يسوع . إهربي من الشيطان يا أختاه ... وتعالى مى لتسردى إيمانك المفقود

إيزيس — من قال لك إنني فقدت لإعاني ؟ ومن أنت حتى تعرف خفايا الضائر ؟ الله وحده يعلم سرار القلوب .. ألا يحتمل أن يكون الشرير

صوابك فلا شك أن الشيطان قابع في هذا المكان الذى ملأه ببسير السحر الكاذب والحلم الوهوم (تحاول إيفانها)

إيزيس ، تنتع عن القيام) — كامليا .. إستمعي إلى . تملين أنني لجأت إلى الله رب هرباً من أضايل الجموع ، وتخلصاً من الذئاب البشرية التى تجرى وراء الفريسة النسوية في كل مكان ... هربت لأن الله بقدر ما منحني من جمال ، وهب الآخرين جشع الجسد وضعف النفس . وقد زعرت عني كل رغبة بشرية وتحررت من قيود كل شعور دنيوى لاعتقادي أن السعادة في خلو البال وتحرر الجسد من التزعات . أجل فررت من الرياض النضرة العاصرة بالأمان والأحلام ولجأت إلى الصحراء القفرة مهبط الحقائق والسلام ... ولكنني أدركت أخيراً أن كل حياة مهما تنوعت صورها ناقصة مبتورة — كامليا — أصدقيني ... ألا تشمرين بحاجة ماسة إلى شيء مجهول . ألا تحسنين في أعماق صدرك بذبذب الحرمان ؟ ألا توسوس لك نفسك أحياناً أن تدفى ما تبقى من همرك لقاء بض أيام هنيئة مليئة بأعذب الآمال

كامليا (مضطربة في حيرة) — ولكن هذا الأمل عبث يا إيزيس ، لقد وهبنا أنفسنا للمنراء ، وليس من حقنا أن نسترد الهبة .

إيزيس (في شبه ثورة) — المنراء لا تحل الباطل أبداً ... هذا وهم ... توارثته الأجيال . لا يمكن أن تكون المنراء أمانية وهى أطهر من الطهر ... كيف تجرم علينا حقاً مشروعا ؟ لقد تمتعت بالمنراء بحب وخيدها وتمتعت به إلى حين ... ذاقته الحب والأهومة ...

كامليا (متكللة منطق الحكمة) — اغفر لها يارب (تشير إلى الصليب) يا يسوع رد إليها صوابها إيزيس (في هدوء) — لست مجنونة . بل أنا

كاميليا - لا شك أنه أسابك مس من جنون
لا بد من مغارة الأم (تصرف)

الراهب - (بصوت لطيف) يا أختي الحسنة
أراك غاضبة ثائرة، علام ؟ ...
إيزيس - بدأت أفهم الحياة .

الراهب - خلقت الحياة لكي تكون خادمة لك
وأعتقد أن الرب يوم ولدت خلقك على مثال المنراء
جمالاً وطهرأ ، لا أكرمك عنك أنني أزداد إيماناً وقوة
كلما لحت وجهك التفسير ... آه ليت الدين حلل
الراهب أن يأتس بالجمال كما يأتس به ابن الحياة .
إيزيس - (متعجبة) هل تمنى أنك تحبني ،
وتشبهني .

الراهب في ثورة وحاسة - كل الحب والشهوة
إيزيس (في دهاء المرأة) - وإذا طلبت منك
الفرار من هنا لنعيش سوياً كأبناء الحياة ، أقبلي ؟
الراهب (يتردد ويطلق مفكراً ملياً ثم يقول) -
ولم لا نجمع بين الدين واللذة ؟ ... لم لا أقنع
بأخوتك مع نادبة رسالتي الدفيلة ...
إيزيس (متأكدة) - تريد أن تتمتع في وأنت
في لباس الراهب ؟

الراهب - منعة بريئة طبعاً
إيزيس - وهل تفرق بين النظرة الهمة
والاستمتاع الدني ؟

الراهب (خجلاً) - هناك فرق شاسع بين
نظرك الماطفية إليك وبين استمتاعي بك
إيزيس (في جد) - لا أفهم هذا أيها الراهب؛
والذي أفهمه أنك أصرح ما عرفت من الرهبان ...
هم يحبسون شهواتهم وقد ينتفضون في خفاء وتفاق

السفك أكثر إيماناً من رجل يتراجمجوح الراهب ؟
كاميليا (تحفف مدامها) - إيزيس .. حسبك .

قوى واعتمدى على ذراعي
إيزيس - سأصلى هنا ... كل بقعة في الأرض
يجب أن تتال حظها من عبادة الله . لأنه موجود في
كل مكان وهو يشرف على الحراب القمسي كما يشرف
على دار البني ، يمنح الأول رضاه ، ويهب الثاني حكمة
الأناة ...
(يحكر دق الجرس)

كاميليا (في ثورة الناضبة) - مجلي يا إيزيس
الصلاة تدعونا ...
إيزيس - اذهبي أنت ...

(يترأى إليها نفيد الراهبات ، يبدو طيف راهب يمشي
في طريقهما حتى يلفهما ... ويهيمهم من شجته أنه كان
بنفسهما)

المشهد الثاني

كاميليا . إيزيس . الراهب
الراهب - طال بحثنا عنكما ... ألم يلسكما نداء
الصلاة ؟

كاميليا - التوت ساق إيزيس فصمب عليها
السير ، وهما نحن تان تنأهب للذهاب إلى الصلاة .
إيزيس - (عتدة) لم الكذب يا كاميليا ؟
كاميليا - (تنظر إليها عابسة غاضبة) قلت الصدق
يا إيزيس ... أيجنحك أن يسلم الأخ أنك طفلة
لا تحسن السير ...

إيزيس - (متهكمة) أعرفت أننا لا نمتاز
عن أبناء الدنيا بغير قوة الكبت ، وبراعة التفتيق .
الراهب - ما معنى هذا ؟ لم أفهم شيئاً .

إيزيس - معناه أننا نكذب أيضاً وقد نسرق
وقد تقتل ونظلم . ولكن بأسلوب غير أسلوب الناس .
(تضحك في شبه جنون وسخرية)

الراهبة — آه، تريد أن تترهب لتتلم الحقيقة من الدير وتعتكف في الحراب لتتطهر من الرجس الذى تظنه يقطن في كل بقعة من بقاع الأرض؟ خير لك يا سيدى أن تبحث عن الحقيقة في هذا المكان المفقرفان فيه معنى لها، تبحث عن الحقيقة في النور وفي الضواء، والبحث عنها في المراقص والملاهى ودور الفاسد... هناك النفوس عارية تمشي بحقيقتها الأصلية وإن أممها حياة الكذب والخداع...

الخداع والتناق هنا حيث يتستر الإنسان بالدين ليقف الألسنة ويمض الميون
الس كل شيء... وذق كل شيء... فإذا زهدت أخيراً فأنت من المؤمنين المتطهرين...

أما أن تبحث نفسك بين جدران الهيام لتلقى الشر وتصور نفسك من إغراء الحياة... وتظن نفسك فاضلاً فأنت أضف الضمء وأكذب الكاذبين. إن استطعت أن تمشي وسط الظلم صابراً وبين المجون طاهراً وفي أعماق الأضاليل زبهاً فأنت مؤمن قديس. أما أن تبحث نفسك في الدير فأنت بالحرمان المطلق تمشي في كنف عبودية مراسيم لا تفقه لها معنى ولا حقيقة فأنت أشبه بالكافر... وما الذى تبحثه من الدير؟ عقلك يصاب بالشلل

وقلبك ييليه السم، وأخيراً تموت

الرجل — سأموت عاجلاً أو آجلاً ولكننى أريد الموت على الصورة التى تحبب إلى ظلمة القبر وتهوّن على وحشة الآخرة

الراهبة (متكة) — أى صورة؟

الرجل (بألمها طويلاً) — في صولتك حنائها وفى لحائك معانيها وفى معانيك فلسفتها ووحشيتها

أما أنت فقد استطعت أن تكون أكثر شجاعة وجراً... مينة طيبة على كل حال... تقدرها المرأة... لكن في غير المابد... لأن الرجل الذى يمحز عن كبت شهوته في المبد أكثر خطراً على المجتمع من الرجل الذى يقضى طوال النهار والليل في دور البغايا

الراهب (يمر وجهه وتبرق عيناه ويستم) — أراك أسأت فهم مرماى؟

إيزيس — ظن ما شئت وتركته في مكانه بعد أن رمته بنظرة شذراء وراحت تسير المويى... تسمع صوت ناي بعيد يقترب منها رويداً... رويداً... فتتأبه... تقف بثقة وهى تشد جبل صليها وتقول: يا يسوع... ما هذا الصوت؟ كأنه صوت الشيطان جاء ليردنى إلى حظيرة الذكرى المريرة... آه...

(يقترب الصوت حتى تبتين أثنائه وتقرأى لها صورة الطيف)
(هول بدمر) إنسان هنا... تحاول الفرار (الصوت يستوفها)... يا أختاه... يا أختا إيزيس (تخف)
من يتنادى؟... يواجهها رجل في زى رعاة الغنم سقيم الجسم شاحب الوجه في صوته رنة حزن عميق دفين...

المشهد الثالث

الراهبة . إيزيس . الرجل

الرجل — أنا

الراهبة — أظنى أنت أم جائع أم تائه تبحث عن الطريق؟

الرجل — ظاى إلى الحقيقة، راعب في الموت ولكن بعد أن... (يتهدج صوته تحت تأثير اضطراب قوى فتلثم ويسكت ثم يقول بعد عناء هذا الذى أراه هو الدير؟

الراهبة (وقد ملكتها الدهشة) - صورة من؟
الرجل - (مثلما) صورة ... آه صورة.. من
أبحث عنها .
الراهبة - عمن تبحث يا سيدي ... ؟
الرجل - كأن حقيقتها سكنت فيك .. ؟
الراهبة - آه، تبحث عن الحقيقة .. تضحك
متهكمة ... كل الناس يبحثون عن الحقيقة ...
والحقيقة ظل كل شيء في الوجود. هي الضوء والنور،
وهي الأمل واليأس، وهي الفرح والحزن، وأخيراً
هي الرجل والمرأة (تباود الضحك) أي حقيقة تنشده
يا سيد الحقيقة هي الصورة المرئية للقدر، هي القوة
والضعف، هي العدل والظلم، هي الرحمة والرجاء ...
وأخيراً هي الحب
الرجل - (مبهوتا) كأنك هي .. أأ كاد أجزم.
قلبي نبأني ... (يرتجى على الأرض في شبه إصباح)
الراهبة - (وقد ملكتها الرحمة) إلى هذا الحد
أنت تعب ... مسكين ... (تساعد على الجلوس) ...
أنت جائع بلا ريب ... تعال معي إلى الدير لتأكل
وتسترخ
الرجل (يحاول أن يبتعد قواه) - يا أختاه هل
تسمعين لي بسؤالك ؟
الراهبة - سل !
الرجل - أمتصلة أنت بكل راهبات الدير ؟
الراهبة - بالتأكيد
الرجل - متى جئت الدير ؟
الراهبة - منذ عشر سنين (تنهد) قبل أن
يكتمل صباي ... كنت أخطو نحو الصبا في عجلة ..

الرجل (حتماً) - بالضبط منذ عشر سنين ...
هل تعرفين راهبة دخلت في ذلك الوقت ؟
الراهبة - وماذا يهمك من هذه الراهبة ؟ هل
تعرف أن الراهبات تناسين أبناء الدنيا ؟ وهل تظن
أنها تسمح بمخاطبتك لو تقدمت إليها اليوم ... ؟
احفظ ماء وجهك !!
الرجل - أريد أن أستغفرها
الراهبة - (مغاطمة وقد أحست بشعور مبهم)
علام ؟
لقد غدرت بها من أجل فتاة غنية صورت لي المجد
والمظلة في الثراء ؛ فأنتسني المطالع المادية الحب
والتواء . تركتها بعد أن تقبلت قلبها ... وتضجيت
عنها في جبن ونذالة، وأثرت فتاة اللغو بثراتها، عن
فتاة الحب بشرفها، فذهبت المسكينة الظالمة إلى
الدير، وكأنها ذهبت لتكون دعواتها أقرب إلى الله
فانتقم مني لها !
عبثت المرأة الفتية بزوجي، وهتكت شرفي
وكرامتي، وأخيراً لم يستطع بريق الذهب أن يهون
على المصائب فيا بذلته من دماء شرفي، ولم يستطع
الجاه الزيف أن يرد على مجد الكرامة
ولما تارت كرامتي لزوجي ... لطمتني المرأة -
وطردتني كلما يطرد السكاب غير الرغبة فيه ...
أدركت للتو أن الله انتقم للمسكينة البائسة .
فجئت أبحث عنها راجياً أن أموت تحت قدمها
الراهبة - (بصوت منكسر حزين محاولة أن تخفي
عناصها) جئت بعد فوات الوقت . لقد ماتت !
الرجل (مدفوعاً صارخاً) - ماتت !

الفصول والغايات

معجزة الشاعر اللاتب

ابن العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذو أي الملاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صمم وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زناقي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجره البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

الراهبة - (في اختناق) أجل ماتت فتاتك
الحبة ...

الرجل - إذن يجب أن أموت ... فأين قبرها
لأموت أمام باب ، وأصلب نفسي على صليبه فأموت
شهيداً ... ؟

الراهبة (مشيرة إلى شجرة بيده) - هناك ...
حيث كانت دائماً ، وقد أوصت أن تدفن هناك
الرجل (يزعم تحت ندمها) - باركيني يا أختاه
واذ كريني عند ربك بأنني مت شهيداً إذ كفرت عن
ذني - باركيني يا أختاه قبل أن أموت - ولتشهدى
موتى لتذكريني عند ربك بأنفاسك الطاهرة .

الراهبة - (باركة) غفر الله لك .

الرجل (يجمي موليا وجهه شطر الشجرة التي أشارت
إليها وهي تلبس في صمت رهيب وحزن قاتل حتى يبلغ
الشجرة) - هنا دفنت ؟

الراهبة - أجل

الرجل - باركيني مرة أخرى

الراهبة (تشير بسلامة الصليب) - غفر الله لك

الرجل (يخرج الخنجر ويصوبه إلى صدره متمتماً) -

متمتماً ... إيزيس ... إيزيس ... هاأنذا أجيبك
مفتسلاً بدى لأبلتلك طاهراً

الراهبة (تأخذ الخنجر من يده صابحة) -

زكى ... ماتت إيزيس الساذجة ... وعاشت إيزيس
المتحصنة الماكرة ... وستحيا للحياة بعد اليوم ...

الرجل (صارتا في بحر وطلاقة) - إيزيس !

الراهبة - زكى !

إلى الحياة ... إلى الحقيقة ...

جميع الحقوق محفوظة

الرحمة والنهاية السارة المغنمة .

وقد لا تخلص من ضيق يسبيه

لك استطلاع أنارته قصة بتراء

على حين تكون قد أنسيت

من القصص الكاملة كما

كبيراً

فقد ركب القطار في طريق

المود إلى مثنوى من إحدى

الضواحي ، وكان أن جلست في ثوبٍ به أشخاص

ثلاثة : رجل أسود الشعر قسم الوجه وسميه بحوّم

حول الأربعين ، وزوجان فصلت بينهما السن فالرجل

كما يبدو يكبر زوجه ، وكان يلوح أن نزاعاً حل

بينهما قبل أن ألق الثوب ، فقد كانت سحب الغضب

والحدة تظلل وجه الزوجة ، بينما كان الرجل حزينا

مهموماً

وقد بادل الزوج جره الغريب كلمات قلائل

بلهجة المتعارفين من قبل حتى يسدل على ما حدث

ستاراً . أما السيدة — فلي النقيض — لم تحاول

أن تخفي شعورها فقد استوت سامة كأن على رأسها

الطير ، مقنعة رأسها تحديق في الظلام ، حتى إذا

ما وقف القطار ومد لها زوجها ذراعه ، غادرا الثوب

فأمسيت مع الثالث وحدي

وأنشأنا نرقب الزوجين إذ يسيران سوياً . وكان

طبيعياً أن يستأنفا التشاحن قبل أن يسيرا يضع

خطوات ، وكان رفيق السفر يواجهن ، فلما أن

اختفى الزوجان تلاقى أعيننا في نظرة كلهما تفاهم

وإدراك ، وهن كتفيه هزة خفيفة ساخرة فترأيتني

أقول على رغم مني :

من روايت الأديب المغربي

عندما انفج البئر

للنكبة الإنجليزية سارة جرانده
بقلم الأديب محمد عبد الصالح محمد

لطالما التمت في الحياة بارات لوامح ، وقت

لدينا حادثات خوارق ، دون أن تلق إليها السمع

أو نجد البصر . حادثات بارات تضطرب في قاموس

الحياة المهادرة ، وتتوارى في رحبات الدنيا الصاخبة ،

وتنضف وسط المصيج واللجب ، حادثات غامضات

ترف أمام الناس في المدينة الراخرة ، والمركبات

الفارعة ، وفي السيارات العامة ، تتوالت على طوار

القُطُر ، في عربات تقف وتغرّ ؛ تترامى في أعمال

الناس صغيرة درجت عليها حياتهم رتيبة نافهة طوال

الليل والنهار

وفي الحياة قصص أي قصص : قصص بَنَتْه

شقي المواطف وأُغْلِقَتْ ونسجته غتلف المشاعر

والأحاسيس : نبالة ونذالة وبطولة ، حب ومقت

ورذيلة ؛ وقصص يتوالى فيها تصاوير الأفراح وتهاويل

المكسب والآلام

ولو كان بين يديك قصة تقتصر على بداءة

حُسب ، فأى شوق يمدوك إلى معرفة النهاية ؛ وإن

كانت نهاية فأى نصب لتلقاه في تصور البداية ؟

وإنه لما يثير النفيظ أن يكون في القصة البتراء من

الروعة ما تقتصر عنه القصة الكاملة ذات البداية

كل من يقرأ أن يقرأه . ومن رأى أنه إذا انعدمت
الثقة بين الزوجين فلا يجد بينهما الشجار شيئاً ،
ولا تخلف الشحنة بينهما هذه الثقة المفقودة . غير
أنى لا أجيز ترك الحبل على الغارب لفئة صغيرة
رعناء . إن ما تريد المرأة رفيقاً لا ولياً ، صديقاً
لا قسماً ، وكثيراً ما يأتى المقلاء - كما أسلفت -
في حياتهم الزوجية بأخطاء جسيمة منكرة . لقد
تزوجت فتاة تصفنى بسنوات عشر ولا أظن
أن هذا الفرق في العمرين جد كبير إذا كان بين
الاثنتين توافق في الطبع وامتزاج في الخلق ؛
غير أننا كنا على طرفي نقيض . إذ كنت أهم
بالحياة الهادئة الساجية المفعمة بالفنون والأدب ،
وأملت ترقية الوقت بالثروة في الحفلات والولائم
مقتناً كبيراً ، وكانت زوجي تضييق بكل ألوان الفن ،
وليس ثمة شيء يدخل على نفسها أسباب المرح
والسرور أكثر من وجودها بين جمع صاحب
وحفل جياش . وقد أجمعت أمرى على أن أدهمها
وما تهوى فلا أسألهما مرة البقاء معى في البيت
على أن تدعى معى أيضاً وما أبنى فلا تطلب إلى
مصاحبتها إلى حفلاتها ومآذنها . وإلزام من ذلك
الحب الكبير الذى يجمع بينى وبينها لم أستطع
أن أدرك لاذن جهد كل منا في العمل على توحيد
أمرجنتنا المختلفة وأخلاقنا المتباينة . إن الزواج لوفوق
ناجح إذا كانت أساسه التجانس في الأخلاق
والتجاذب في الطبع . ولبت شمى لم يجلب
الزوجان المختلفان في الزواج التناقصان في الطبع على
نفسهما الشقاء والبؤس بالسى في توحيد أخلاقهما .
وفى وسع كل منهما أن يتخذ سبيله الذى يجب على

- كم كان بوى أن أحضهما النصح .. فتهد
الرجل وقال :

- آه ! وأنا أيضاً ، ولكن ليس من اليسر
السهل أن يفعل المرء ذلك في هذه الحال
- أحسبك توقن بأن الناس يملكون من أمرهم
أكثر مما يعلم الآخرون

- كلا ، فليس هذا من رأى ، فالنظارة ترى
أكثر مما يرى اللايون كما تعلمين ، ومع ذلك فن
المبت أن يحض المرء زوجين على خلاف وتنازع
نصيحة خاصة إذا كان كلامها صلب الدماغ خاطئ
الرأى ، وحتى العاقل الرزين من الناس ذو القلب
الطيب والمرى الشريف نراه يأتى أحياناً بأخطاء
فاحشة شنيعة على إدراكه فداحة هذه الأخطاء
وجسامتها . والآن هذا الرجل - كان هنا منذ
لحظات ، كان يقرب زوجه ويحملها على السكوت
ويأزمها الصمت ، أو على الأقل يريد أن يسطع عليها
حمايته كما لو كانت تجهل كيف تمسوس نفسها وتمك
قياد أمرها . في يقين أنها ستحمل له الكره
والسخط والشحناء وسيحملها - ولا ريب -
على انتهاج سبيل يربأ بها أن تسلكها ، ويضاحى
أن تقرب فيها . أراى عاجزاً عن أن أفهم لم يبيح
الرجل لنفسه أن يتخذ من زوجه عبداً يطعمه
ولا يصمى له أمراً ، فأنا أوتر أن أمنح المرأة حرية
غير موكوسة إلا في حالات خاصة

- ولكن غالباً ما يكون لهذه الحرية الطلقة
عواقب وخيمة ، وكيف يميز المرء هذه الحال الخاصة ؟
- أوه ! لا صعوبة أبنته في ذلك . إن أخلاق
النساء كتاب مفتوح في سنن الباكورة ، وفى وسع

وحدى، فأمسكت بكتاب وأشعلت سيجاراً؛ ولكن تبدل ذهني وعزب لي حيناً حاولت القراءة فنحيتُ الكتاب جانباً، واستويت في جلستي أدخن وأسرّح الخيال المضطرب في أجواء شتى.

وبدأت أفكر : ترى ماذا تصنع زوجي في الكرنفال الآن ؟ وهل قابلت أصدقاءها ؟ وجل بخطارى أنها ربما لا تلتق بهم . وقد يسبب لها ذلك شيئاً من الارتباك والحيرة . وإن مثل هذه الحفلات العامة لتجمع خلقاً كثيرين من شتى الطبقات والأجناس . وهناك بعض الحرية والإباحية لا سيما والوجوه ملثمة مقنعة . وزوجي حتى في هذا الثوب — ثوب الدومينو — تبدو جميلة ساحرة . وقد زعمها من لا أخلاق لم من الذين يفشون هذه الحفلات كثيراً . وقد تكون الآن تراقص احراً راغبة عنه زاهدة فيه . أتراني أعبت في تركي لإيها تذهب وحدها؟ وبخانة أقيت سيجاري في الموقد وفزعت واقفاً ولما أهتد لأمر . وأعملت فكرى قليلاً : آه ! إن لدى ثوباً تنكرتُ به مرة إلى إحدى حفلات الكرنفال عند ما كنت غريباً . كان ثوب «دون إسماني» من الخمل الأسود من عهد فيليب الرابع . وقد كان يحق زياً جيداً اقتبس من صورة وأحكم صنعه . وقد كنت أعجب بنفسى أى إعجاب وأنا أردتيه . وذهبت إلى غرقتي التي جمعت منها «استديو» وفي إحدى التلذذات أقيت الثوب وقناعه

كان الوقت مبكراً . لماذا إذن لا أردتيه وأذهب إلى الكرنفال؟ لقد استقلت زوجي المركبة ، بيد أنه بجوارنا اصطبل للمربات . ثم استدعيت الخادم وأرسلته في طلب عربة

أن يرقب بعض الفرص الساعمة فيسمدونيم برفيقه؟ إنني موقن أن هذه هي السبيل الوحيدة المؤدية إلى السعادة في الحياة الزوجية المقامة على أساس متباين الأركان من الأخلاق والطباع . ألا ترين مى أنهما يدعمان حياتهما بالتلاق من حين لآخر يتناقلان الكلمات الحلوة ويتجادبان الأحاديث المسولة

أقول قد تركت زوجتي تضرب في طريقها كما اتخذت أنا أيضاً سبيلى . وقد أجبت هذه الطريقة وسيرت ذفة حياتنا على خير ما نرجو . وكانت أحياناً تبدى رغبة أن أرافقها إلى الحفلات والولائم . كذلك كنت أحياناً ألح لها برغبتى أن تبقى معى في البيت . وبذلك استطعنا قليلاً أن نوفق بين رغباتنا وأخلاقنا . ولكنى لا أستطيع الجزم بأن إنكار الذات على هذه الصورة قد صادف في حياتنا نجاحاً كبيراً...

وكان ثمة حفلة مقنعة أصرت على أن تذهب إليها . وأظن أنها لمحت برغبتها في أن أرافقها ؛ ولكنى تجاهلت تلميحتها ليقينى أنى سأضيق بالحفلة ونحجبها

وقد ذهبتُ إلى الكرنفال في ثوب قشيب على هيئة أحجار الدومينو موشى بخطوط قرقلية باهتة ، ومفوف بشرائط بيضاء ناصعة ، وأخذت معها «مروحة» من ريش النعام الأبيض الثمين . وتبدلى من قناعها شرائط حريرية ههنا غطت فها الخمرى الدقيق . كانت رغبتها قوية في الذهاب ؛ ولكن رغبتها ضعفت حيناً رأت أنى لن أرافقها . غير أنها ذهبت لارتباطها بموعد مع أصدقاء لها . ولما أنبأها أنى سابقى بالبيت وعدت ألا تنصيب في الحفل كثيراً وراى على السأم والملل عند ما ذهبت وتركنتى

وعند ما كفت الموسيقى عن العزف طلبت إلى بعض المطربات وأرتني الطريق إلى القصر. ولما أن نالت منها كفايتها — وقد كانت كما كبيرا — تابعت ذراعى، وراحت تدور بي في المكان. كان يبدو أنها تعرف منه الداخل والخارج، ولم بكل غرفة فيه. وقد أدهشني ذلك كثيرا، إذ كنت أعلم أنها لم ترد هذا المكان من قبل، وقد سألتها في ذلك فأجابت: — أحضر هنا كثيرا؟ إلى أحضر عند ما يحلولى.

وهل تملين زوجك؟

فصجبت قائلة:

— أوه! زوجي؟ ومن أدراك أنى ذات بل؟

— إن حسناء مثلك، ولها طرفك، وسحرك

لا يمكن أن تغت من قيود الزواج.

— وأى فرق بين المشاق والأزواج؟ أليس

من الجنون أن تزوج المرأة وفي مكنها أن تم

حولها المشاق للماميد؟

وشدت يدها على ذراعى، ثم رفعت إلى من

تحت قناعها عينين تشمان فتنة وإغراء... وجبت،

أهذه المرأة زوجي؟ أم هي غانية فارحة تبعث عن

القوت من هذا السبيل؟ كلا، لا أعتقد. وحملت

نفسى على اللظن بأن ذلك الأسلوب في الحديث وتلك

المواطف الحارة الجامعة التي تبديها زوجي، إن هي

إلا من مستلزمات الكرشال، تحت ستار الأزياء

الثرية والأثواب الشاذة... ولكن المرأة لا تتغن

ذلك الضرب من النزول إلا عن اختبار وتجربة،

وها قد اعترفت أنها تنشى المكان كثيرا، مما يبدو

لي أنه تصنع منها وتمثيل أن لم ألحظ عليها غشيان

وكان مكان الحلقة يزخر بالناس، رجالا ونساء حين دلفت إليه. ولكن لحسن الحظ وقع بصرى لأول وهلة على زوجي زبيها، وصروحتها، وشرائط الحمر المتدللة من قناعها على فيها. عرقها دون صموبة فالتفتت سبيل إليها قدما. بيد أنى تنبت حينما اقتربت منها إلى أنها سوف لا تعرفني بزي هذا إذ لم ترني فيه أبدا. بل ربما لا تعلم عنه شيئا. على أية حال لم أستطع أن أردت، وقد رأيت أمشي إليها. وقد أدركت أنى أقصدها فلم تمتعض، ولم تشج بوجهها أوه! أيمكن أن تسمح لرجل غريب أن يحادثها، أو حتى تشجبه على الدنو منها؟ وساورتني الريب والشكوك. فازمت لأبلون إخلاصها ووفاءها. وبدون أن أهتم باللياقة والتقاليد، قلت لها في رقة: — يحيل إلى أنك في انتظارى، هلا أجبت بنم؟

— حسن! إلى في انتظار مئة ولمو.

قالت ذلك في لهجة رقيقة هي أيضا كأنما آنت مرماها من هذا التطفل البنيض إذ كان في وقوفها هكذا وحيدة شيء من المرض والإغراء

ورانت على عيني غشاوة، فلم أروم أسمع من الحفل شيئا، ولكني تمالكت نفسى. وبدأت الموسيقى تمزق ألحانها الطرية الحنون فساتها أن تمنحنى هذه الرقصة فقالت وهي تهين بسمه مضينة:

— كم أسر بذلك!

ثم تناولت ذراعى، وقادتني إلى حلبة الرقص، وأنا ذاهل مأخوذ. لا ريب أنها غامرت قبلى مع كثيرين. ولكن هل يتأتى لقناع على وجهي أن يسدل على شخصيتي كل هذا التستر؟ كانت في الرقص بارعة كأنما خلقت لترقص.

وقت ليس بقصير قبل أن أمك زمام نفسي . لقد أترع اليأس قلبي ، وتحطمت الآمال في فؤادي . وددت لو أمتحي ركناً مهملًا وأبكي كطفل صغير . وقد ران عليّ لا غضبٌ وثورة . بل حزن وأسى فليس ثمة غضب حين ينعدم الأمل . كنت كالقاسم الذي يلقى بأخر درهم معه ، وطُنتُ النفس أن أوغل في ذلك الغزل فأعطيها فرصة أخرى ، قلت :

— لقد سباني سحر ك . وأصباني جالك ودُّك الأمر الذي لا أطيق معه فراقك وهذا الزحام يرهقني ضللى نفاذ السكبان . إن العربة في انتظارى . هلا أتيت مى ؟

فقلت ضاحكة كأنها تحدث نفسها :

— وعلام الرفض وهو عصي الزجاج ؟ والآن . هذا حسن . صدقني أيها « الدون » الكتيب . بنيت وجهك أنك لم تتعود أن تجميل امرأة بلفظة « لا » — وله ؟ ... حسن جداً ؟

— إن ضراجه المصبي يدل على توقد عاطفتك واضطرابها ، فالى أراك جامدًا باردًا ؟ الحق أنى لا أهتم هذا البرود الذى تشتمل به

— إذن فى أن أبث فيك السروز والبهجة أما وقد أحسست ذلك فسايند كل ما فى وسى . هلا أتيت مى ؟

فضحكت ثانية ... بالله ! هل يدل ذلك منها على الخضوع والاستسلام ؟ وقدتها إلى خرج المكان برغبة الشاب للفتون فلم تتمتع . بل قالت لى نافذ الصبر . وقد كنت حقًا نافذ الصبر . كانت كل دقيقة تمر على كأنها ساعة مترعة بالألم والمذاب إلى أن انتهت المهزلة . ولم يكن بوسى أن أعجل بإنهائها ،

هذه الحفلات أبدًا . ألم تمسك بالذهب إلى الكرنفال بحجة أنها لم تر حفلاً له من قبل ؟ وإلى أقرر ثلاث مرة أنى كنت مجنونًا إذ تركتها تذهب وحدها . وإنى وإن كنت أعلم عنها الرعونة والطيش إلا أنه لم يدربخلدى قط أنها مستهتره قارحة ليس فى عينها ملح . كنت أعتقد أنها أمانة على عهدى حافظه لشرقى فى كل مكان تنشاء ، وكل حفل تحضره ، ولكنى عرفت هذه الليلة ما اضطوت عليه نفسها الخبيثة الآتمة

ولا مرية أن أصدقانى قد عرفوها أجمعين وأشفقوا على من تبذلها واستهترها . كانت صدمة قاسية . كنت مشقت الدهن عازب البال طوال الوقت . كنت أتهمها بالخيانة والفدر حينًا ، ثم أنفس لها العاذر وأبعد عى شبح اتهامها حينًا آخر . كانت كل القرائن ضدها . بيد أنى لم أستطع أن أتحمر من حى لها واحترامى لإياها فى مدى لحظات قصار . ومع كل ، فإذا صنعت للستحق أن أؤاخذها وأرميها بالفدر والخيانة . حقًا لقد أنبت فى الحديث سبيلًا ملتويًا مبتذلًا ، ولكنى لم أوغل معها فيه ، ولو أوغلت لأبدت ولا ريب استيادها واستنكارها . أتراها تفعل ؟

وكانت يدها مستقرة على ذراعى . فترددت قليلاً ثم أخذتها وضغطت عليها ، فضحكت لشرود ذهنى ثم بادلتنى الضغط على يدي وقالت :

— ها قد صحت أيها الدون الميوس . إنك بارد العاطفة ، حليف الجهماة والكتابة . ألا ترائى أبث الحياة والشعر ، وأنث الحب والسحر ؟ وسوف أبث كل أولئك فيك

فلى الدم فى عروق لهذه الكلمات . ومضى

ثم سقطت على أحد المقاعد. كانت المرأة التي أمامي عربية ، مخلوقة بشعر فاحم جمد وعينين سوداوين وأهداب مصبوغة ووجه ملطخ . امرأة من النوع الذي لا يشرف المرء مسابقتها في أى مكان ، أو مصاحبتها إلى أى حفل . وجدت لو أجثو عند قدميها فأقبل طرف ثوبها . هكذا كان شعورى حينما تحررت من الوسواس والظنون ، وتمتلذذت فلم أستطع شيئاً سوى التحديق في وجهها مبتسماً .

وعرفتني هيئتني إذ حسبت أن ذلك منى لإعجاب صامت بهت في الدهول من جمالها وحسنها ، فوفقت صامته في هيئة مسرحية تمثل الحجل المصطنع والذل الزائف ؛ وظلت الحال كذلك حتى كُتبت إلى نفسى . كان أول ما خطر ببالى هو أن أتخلص منها ؛ ولكن كيف أقبل دون أن أخدش كرامتها وأجرح عزتها ؟ كان عقلى يعمل بسرعة في امتحان عذر مقبول . ولكن قبل أن أهتدى إلى شيء ، سمعت صوت عربية تقف بالباب ، ثم سمعت صوت المفتاح وهو يدار في القفل ، ثم حفيف ثوب من حرير ، ثم خطوات خفيفة تصمد السلم .

لقد بكرت زوجى بالمودة كما وعدت . وأقبلت خطواتها نحو غرفة الاستقبال ، وهدت يدها بإدارة مقبض الباب ...

وكفت عن الحديث ثم أطلت من النافذة . كان القطار قد وقف منذ لحظات دون أن يحس به . قال الرجل في دهشة :

— « هال ها » لقد بلغت طيبتى . وقفز من

القطار عندما تحرك ثانية يواصل السفر

ولم أراه مطلقاً منذ ذلك الحين . وأحسبني لن أراه أبداً ، لذلك سأظل طوال حياتى أكدر ذهنى في تصور ما حدث له عندما افتتح الباب

محمد عبد الفتاح محمد

فقد كان الأمر جد خطير . وكان لا مندوحة عن الذهاب بها إلى البيت . وتسلفت إلى الخارج بنفسى أبحت عن الركبة ، إذ خشيت أن يعلن اسمى أمامها وأمرت الحوذى بالعود إلى البيت بينما كنت أساعدها على الركوب .

ولشدنا خشيت أن تنتبه إلى حقيقتي في ذلك الحفل المام . وكأنما صرّ دهر طويل على بدء تحريك العربة في طريق الرجعة إلى البيت .

اقتدنا من جلبه الحفل ونحيجه ولكنى ظلت صامتا بضع دقائق حتى بدأت تمازجنى كرة أخرى حول وجوى واكتشائى، وارتعت على بحسدها؛ ولست أدري أكان ذلك لاهتزاز الركبة أم عن فجور منها وفسق . على كل حال ، فقد طوقت خصرها بذراعى فلم تترص ، بل سألتنى وقد اقتربنا من طيقتنا :

— أين تقيم ؟ إن هذه الشوارع جد متشابهة ولا أستطيع بحال أن أعرف أين نحن الآن .

— على أية حال لقد وصلنا .

ووقفت الركبة فساعدتها على النزول ثم فتحت الباب الخارجى بمفتاحى ، ودلفنا إلى الردهة حيث كان الضوء خافتاً ضئيلاً . فأمسكت يدها وقدمتها إلى غرفة الاستقبال ، وكان الظلام يطمئن في جو الحجرة ، بيد أنى بدته بأن أشملت السراج ، ثم واجهتها ، فرأيتها تضحك عالياً ، ولكنها بدت كأنها لم تعرف أين هي :

قلت بلهجة شديدة :

— الآن فترض اللثام يا سيدتى

وما ترددت ، بل أمابت لثامها ونعت عنها ثوب الدومينو .

فشقت شهقة حادة وجعلت عيناى حتى كادتا تغفران من عجزهما .

فراق عظمى

يَلْكَابِتِينَ : مَا لَكَ صُوبًا وَجَوْجَ مُونِيَاكَ
بَقْلُ الْأَسْتَاذِ تَأْجِي الطَّنْطَاوِي

— (تظهر ملي) ثوب الأكنة

إيليان ؟ نعم يا سيدتي . لقد عملت

فيه أنا وعمتي حتى أنهينا به رغم

الأعمال المزدحمة لدينا الآن ،

وقد أصررتي أن أرسله إليك

— (أخذت العلبه) ربما

صنعت عمك . إن باستطاعة إيليان

أن ترديه الآن حالاً (تسلم إيليان من ناحية العين بزة

حسنه وليس بسيط مناضح) هاهي خذى قد أتت (تخاطبها)

أيها الأكنة خذى ثوبك الجليل

إيليان (فرحة) — ما أسعد حظي ... هاتيه حالاً

يا أي ... أرجو أن يكون ملائماً لي

بوليت — لا تفرج الأثواب من بين يدي

مدام بوفيت إلا حسنه وملائمة جاعاً

إيليان — حسن ، سأؤديه باعتناء وسأبدو به

كأني إحدى نجوم السينا (تخرج من ناحية العين)

مدام إيدوان (مخاطب بوليت) — تفضللي

بالجلوس قليلاً

بوليت (علس) — إن اجنحك ظريفة جداً

— إنها ليست ابنتي

— سمعها تدعوك أنها

— إنها تدعوني أنها منذ أن انتقلت من لجنة

الساعدة العامة

— الساعدة العامة ؟

— أجل ، وضعت عندي سند أن كانت رضية

وكل الناس يعرفونها عندي ، ألم توضع لك مدام

بوفيت الأمر ؟

— كلا ، إنها تعمل بصره لإتمام الثياب وليس

لها وقت للكلام ، ولولا ذلك لحدتني ... إذن

فالآنسة إيليان ؟

اومئشاً : مدام إيدوان ٣٥ سنة ، إيليان ١٦ سنة ،

السكرتس ميرليل ٤٠ سنة ، بوليت ٢٠ سنة

في العهد الحاضر قرب بلدة تور الفرنسية ،

غرفة ذات أثاث بسيط ، باب في متعوى الغرفة

ويابان أخران على طرف السرح .. إلى اليسار تظهر

أريكة ومنضدة شغل .. إلى اليمين مقاعد وأرائك .

المشهد الأول

مدام إيدوان — ثم بوليت — ثم إيليان

عند رفع الستار تظهر مدام إيدوان وهي ترتج جبة

جيلة بمريلة زاهية . سكوت وضمت ، تنظر إلى الساعة

في يدها لتعرف الوقت

مدام إيدوان — الساعة الآن تبلغ الثانية

والنصف ... ستم قيمة إيليان عند ما تستيقظ من

قيلولتها (تنهد) بعد أيام ثمانية في مثل هذه الساعة

(تسلم للقدر) يجب علينا أن نوظن أنفسنا على

تحمّل ما لا مفر منه (يرد الجرس في داخل الغرفة)

من ذا يأتري ؟ إنني لا أنتظر زيارة أحد الآن

(تفتح الباب)

(صوت بوليت في الزدعة) — هل أنا الآن بمحضرة

مدام إيدوان ؟

— أجل يا سيدتي ، تفضل بالدخول

بوليت (تسلم) — إنني قادمة من دار عمتي

مدام بوفيت

— المخاطبة ؟ حسن ، هل أتيت بالتوب ؟

— ويدو لي أنها هي أيضاً تكن لك من الحب مثل ذلك

— نعم لأنها تحبني كثيراً (تضطرب) وبعد ثمانية أيام على الأكثر سوف ...

— يد ثمانية أيام؟

— مشترك منزلي وهو منزلي لتذهب ...

— إلى أين؟

— مستذهب لتتظن قصر ريكور وهو على بعد

ثلاثين كيلو متراً من هنا

— مستخمة؟

— كلا، إنها تتركني إذا لا يحق لي - حسب

القانون - أن أبقيا عندهما دمت أحيا هذه الحياة

البسيطة ، فلقد قُسمت لها ثروة كبرى ومُهرمت

عليها حياة نفخة

— إنني لا أفهم ما ننتين

— أعني أن الكونتس مرفيل هي مالكة قصر

ريكور، وهي أرملة ليس لها أولاد مثلي ، طلبت مني

أن أكون قريبا وأن أتبني إيليان شرعا

— عاشرت السادة حمة ثروة فاستطاعتك ..

— كلا لا أريد ، إنني لم أبلغ بعد السن المخصصة

للتبني ، ولا أملك المال الكافي لأتفق على إيليان

حسب رغبة اللجنة وتلقاها ، ولم يد هناك مجال

للمفاضلة بين حياتي الثواضة البسيطة وحياة

الكونتس النخمة الثرية

— لا ريب في ذلك

— ومن أجل هذا سأتاني الكونتس مرفيل

بعد أيام ثمانية لتأخذ إيليان وتدعني وحدي في هذه

الغار أرى ببني آثار إيليان وذكرياتها دون أن

أستطيع عمل شيء (تخمد نديها من مينيها لتسحبها

— ما هي إلا يتيمة أتتني من لجنة المساعدة

العامة ، وأنا كما تعرفين يدعونني بالرضعة

— فهمت ...

— إن بي ميلا شديدآ إلى الأطفال وليس

عندي أي طفل . كان زوجي قد سبقني إلى فكرة

تبني الأطفال ، فأودعوا عندها حسب طلبه طفلا

كان أصله مجهولا لم نستطع معرفته . ولقد سألناه

فأجدي سؤالنا إذا أنه لا يذكر شيئا ، وقد نشأ

هذا الطفل شديد الذكاء طول حياة زوجي ، وبعد

وفاة زوجي لم يد في إمكانية أن أشرف على تربيته

فأصبح كثير الشغب وفقا فاسيا فاسيا محطلا كل

شيء ، فاصبحا كل أمر

— يعلم الله ما أصله

— فأدركت أن في ذلك خطرا علي ، وبعد عدة

حوادث رهيبة حدثت لي معه وأبقت له في ذاكرتي

صورة غير حسنة ، طلبت استبدال بنت صغيرة به

— ألم تخافي أن تنشأ البنت كالود؟

— كنت أشعر برغبة ماسة لأن أرى يقري

خلوقا يودني وأوده ، طفلا أحبه قلبي وأريه وأعني

به حتى أراه ينمو ويكبر أمام ناظري ، وأنا أعلم أن

التجربة التي كنت بها لم تكن ذات نتيجة حسنة

ولكن خسارتي ستكون أقل مع طفلة صغيرة ،

وسيكون تدويرها وتهذيبها أسهل علي ... ولقد

أصبحت في ظلي إذ أتتني وجدت في إيليان الحبيبة

الطفلة التي كنت أنشد لها بل وجدتها أبهى مما كنت

أتمنئ ... كانت سنها عند ما عهد بها إلى أرملة

— أعوام - وهي تبلغ الآن من العمر ستة عشر عاما ،

لقد قضيت قريبا اثنتي عشرة سنة كلها مسرة

وسعادة وجور

من الدموع) أستميحك عذراً . إن هذا ليس من اللياقة ...

— لا تقولى هذا يا مدام إيدوان ... أتظنين أن البكاء من فرط الألم ليس من اللياقة ؟ ولكن أما كنت تاملينها معاملة حسنة وتمطين عليها ؟ يجب أن يخفف هذا من ألمك ، ويجب أن يعزيك علمك أنها مسرورة وسعيدة عند الكونتس

— صحيح ولكن ... (تائهة) ذهبت إيليان لتتلقى دراساتها الابتدائية في مدينة تور ، وفي دار إحدى صديقاتي اجتمعت بالكونتس فשמعت هذه نحوها بماطفة قوية وذكرتها بابنتها الوحيدة التي ماتت منذ ست سنوات ... وبعد أيام قلائل زارتنى ، لتعرض على مشروعهما في التبنى وهو حقها الذى يؤولها إياه القانون ، فلم أستطع أن أقبل ذلك إلا بالخصوص والتسليم ، وأنا أفكر فى مستقبل إيليان ومستقبلى بعد إيليان . . .

(تدخل إيليان مرتدية ثوبها الجديد وهو على أحدث زى وحنيط باعتهاء ودفء)

إيليان (تسلم وهي ضاحكة) — أقدم لكما نفسى إننى إحدى نجوم السينما !

مدام إيدوان (تنظر إليها) — حسن جداً وموافق ... ألتفتى يا ابنتى . إن هذا الثوب ذو جمال باهر (تناطب بوليت) أرجو أن تبلى شكرى مدام بوفيت وتهنئنى على نجاحها فى الخياطة

بوليت (وهي تهمس) — سأبذلها لك وأعتقد أنها ستسر

إيليان — خبرتها أن الحزام طويل

بوليت — لا ضير ، سأصلحه لك الآن فى بضعة دقائق

مدام إيدوان — (تشير يدها إلى منضدة الشغل) تجدن هناك كل ما يلزمك ... سأترك قليلاً لهيئة طعام الغداء (تخرج من اليسار)

المشهد الثانى

إيليان — بوليت

إيليان — أأزرع الثوب ؟

بوليت — لا حاجة لذلك فإن العمل لن يطول (تأخذ خطاً وليرة ويبدأ العمل)

إيليان — لا تسرعى بالعمل فأبنتى لست مستعجلة وأرجو أن يعود الحزام ملائماً .

— سيكون ملائماً وعلى حسب رغبتك .

— (تعامل الثوب) أراه قاتناً أليس كذلك ؟

— جيد ، سيمثلوك طرباً وابهاجاً ، حقاً إنه

من ثياب القصور !

— آه ... أحدهمك أى بشى ؟

— قالت لى إنك ذاهبة بعد ثمانية أيام لتسكنى قصر بريكور .

— نعم ، وإنه لجميل جداً ... لقد تناولت فيه

طعام الغداء مرتين . إنه قصر ساحر ، فيه روضة كأنها لإحدى روضات فرساي

بوليت — (بسفاجة) وفيه مياه كثيرة ؟

— يمكن أن يكون كثير الماء . لم يكن لى

الوقت الكافى لأرى كل ما فيه .

— إن حظك عظيم .

إيليان (بانهاج) — أليس كذلك يا عزيزتى ؟

لقد رأيت غرفتى فيه ، إنها فاخرة : نافذتان كبيرتان وقطعة من الديباج ملأى بالورود ، وسرير جميل

مذهب ، وآرائك بنوص الجالس فيها ، ومنضدة من الخشب المثقن ، وأخرى للزينة ، و... و... و...

ماذا أحدهمك !

بدأته هذا الصباح (تخرج من البين ، وتخرج بوليت من أقصى الغرفة . وتدخل مدام إيدوان من اليسار)

المشهد الثالث

مدام إيدوان — بوليت

مدام إيدوان — (تنظر أن إيليان موجودة) لقد سمعت الجرس بن مرتين

بوليت — (فاختة) مدام الكونتس مرافيل مدان إيدوان — (في ذمول) مدام مرافيل ؟ وفي هذا اليوم ؟

بوليت — (بصوت منخفض) يمكن أن تكون هناك بعض تبديلات في القصر .

— أدخلها بصورة لبقة وباحترام بوليت — (خارجة) هل تفضل سيدتي الكونتس بالدخول .

(تخرج بوليت وتدخل الكونتس وهي امرأة في الأربعين من عمرها ، ذات مظهر استغرافي قليلا ، تتجاف في أول الأمر)

المشهد الرابع

مدام إيدوان — الكونتس

مدام إيدوان — (في دهشة ومحظ) تفضل بالدخول يا مدام كوتس الكونتس — أسمى صباحاً يا سيدتي العزيزة ، - يدولي أملك دهشت لرؤيتي .

— نعم ، أعترف بذلك (تهم لها أريكة) — (تجلس) لماذا دهشت ؟ — (تواصل كلامها) ذلك لأنك أتيت اليوم ... يمكن أن ... تكوني عدلت عن مشروعك — عدلت ؟

— نعم عن مشروعك

— ما أجل هذا القصر !

— وفي الروضة بركة بها قارب أخضر اللون

— هل تحسنين التجديف ؟

— كلا ، ولكني سأنتطه (تلعب يديها) كم

يسليني هذا !

— أكل ذلك بعد ثمانية أيام ؟

— نعم .

بوليت (وقد أتمت لها) دونك الحزام فالبسيه إيليان (تضع الحزام) — موافق جداً ، أشكرك حقاً إن هذا الثوب جميل ... أراي مضطرة للصمود على درجات القصر بثؤدة كيلا يفسد

— سيكون تحت إمرتك خادمة بلا ريب إيليان (مسرورة) — طبعاً (تمل دوراً هزلياً) هل عادت مدام مرافيل من زيارتها للكهنة أيها الخادمة ؟ بوليت (تمل دور الخادمة) — إن سيدتي الكونتس عادت يا آنسة

— خبرتها أنني في غرفتي

— أصرك يا آنسة

— سأزول لأراها بعد قليل .

— أصرك يا آنسة (تتفكران من الضحك ، ويسمع

رين الجرس من الداخل)

إيليان — ألا تسمعين الجرس بن ؟

— إحدى الآثار ولا ريب .

— يمكن أن تكون الزائرة ثقيلة . ماذا يحدث إذا رفضنا أن نفتح ؟ ولكن لا ، إن أمي لا ترضى بذلك (يرن الجرس ثانية)

— لا تبدلي شيئاً ، سأفتح الباب ، وسأعلم

مدام إيدوان .

— أصبت ، وأنا ذاهبة إلى غرفتي لأنهم كتبوا

— معادية ؟ كلا يا سيدتي ... إن لهجتي كانت

حزينة جداً

— ذلك لأنني أتيت قبل مضي ثمانية أيام ،

ولا أراك تصافيني الود

— سواء صافيتك أم لم أصافك إن هذا لا يبدل

شيئاً ... أرجو أن تعلمي أنني أعد هذه الأيام الثمانية

دقيقة بعد أخرى ... وأراك اليوم فجأة تقولين إنك

ستأخذينها (تخضع صوتها) وتوحين إلى بصورة غير

إرادية أنك آتية لتسرقها !

— (مالكة زمام نفسها) ولكنك يا سيدتي

العززة قد نسيت أن القانون كان باستقامته أن

يسرقها - على حد تمييزك - منذ ثلاثة أعوام لكي

بضمها تحت الثمرين ويسمح لها بأن تعيش حرة .

فأنت إذن قد رحمت أموال ثلاث سنين وهي أكثر

من ثمانية أيام فيا أظن !

— إنني لن أناقشك في هذا الموضوع الذي

يؤلمني ، بل أبق ألي في شفاف قلبي

— لقد كانت دهشتك أقل منها الآن عندما

أتيت أعرض عليك مشروعي ، أأذكرين ؟

— هذا صحيح ، لم أكن أنظر إلا لسماعة

إيليان التي عزمت على أن تضمني لها مستقبلها ، ولكن

تبي أن هناك قلب أم حنون يتلوى من الألم ، لقد

قلت ذلك قبل ساعة لابنة عمي مدام بوفيت

— مدام بوفيت ؟

— نعم الخياطة التي صنعت ثوب إيليان الجديد

— (رأت موضوعاً يتكلم فيه) هل انتهى الثوب

هل رأيته جميلاً ؟ كيف يبدت فيه ؟ أجيبيني بسرعة !

— لقد اتبعوا فيه تعليماتك (صت) آه لو أنني

— أي عن تبني إيليان ؟

— نعم

— كلا يا سيدتي العززة ... لقد نضج مشروعي

بعد أن فكرت فيه طويلاً ، ولقد تمت كل المعدادات

ولم يعد هناك أي داع للمدول

— (يمزج) آه ، حقاً أن ...

— سأشرح لك بكل بساطة سبب زيارتي الآن

قبل أن آتي إلى هنا . كنت في زيارة المرأة التي علمت

إيليان حتى خرجتها ، وقد زرتها حسب وعد

قطعت لها إثر كتاب عاطفي ألقى منها ، ولا خرجت

من عندها عزمت على أن أخذ إيليان معي اليوم دون

أن أكون بحاجة للعودة بعد ثمانية أيام

— (يمزج) اليوم ؟

— كيف صحة الطفلة ؟ (مدام ايدوان لا تجيب)

سأترك هل صحتها جيدة ؟

— (تتكلم مواظماً قليلاً) نعم يا سيدتي

— هل تنام القليلة بعد كل غداء ؟

— دائماً

— حسن ، هل فكرت في تصويرها ؟

— نعم ، وإن صورتها الآن عند صانع الأطر

— هل تبيع التصوير ؟

— نعم

— سبق لك هذه الصورة ذكرى جميلة ،

وستعلميني طبعاً تكاليف التصوير

— كلا يا سيدتي إنني لست غنية وأنت ترففين

ذلك

— حسن إذا كان هذا يسرك فليست أدرى

لماذا أريد أن أعرضك به ، ولكنك قلت لي ذلك

بلهجة معادية قليلاً

المشهد الخامس

مدام إيدوان - الكونتس - إيليان

إيليان - سيدتي الكونتس؟ لشد ما أنتظرك!

مدام إيدوان (بحس) - أنتظري إلى ثوبها!

الكونتس - (بدان صاقل إيليان وهبل جينها):

- جميل جداً، لقد زادك جمالاً

إيليان - أرايت ياسيدي؟ إن أي قد أحسنت

بإعطائه للضيافة (تخاطب مدام إيدوان) سأقرأ لك

الكتاب الذي انتهيت الآن من كتابته لأرسله إلى

أليس فاييه (تخاطب الكونتس) : هل تسمعين

ياسيدي؟

الكونتس، ضاحكة - أسمع

إيليان (هراً بصوت مرتفع) - « أعندي

يا عزيزتي أليس إذا تأخرت في إجابتي على كتابك

الأخير الذي تسأليني فيه عن الحادث الجديد بانتقال

إلى قصر بريكور الذي وصفته لك »

الكونتس - (مستعنة) جيد جداً

إيليان (تتابع قراءتها) - « هذه الحياة الجديدة

بكل معنى الكلمة توقظ في هذه اللحظة أفراساً

ليست كلها صنيانية، ولكنها مع الأسف متبوعة

بلحظات ألم. ذلك عند ما أفكر في الذكريات التي

سأتركها في هذه الدار التي عشت فيها سيدة تقرب

التي وهبتني خالص حبها دون أن تعرف عني شيئاً،

كما تحب الأم الحنون ابنها الوحيد، وأظهرت لي

من العطف والود ما لا يفيه شكر »

مدام إيدوان (تصرخ بالمعوج) - إيليان!

إيليان (ثم) - « إنني أشعر أن ذكرى

هذه الأعوام سبقي متقوشة في أعماق فؤادي.

ثم إنك تملين يا عزيزتي أليس أنني لن أنادر هذا

تنهت إلى نفسي، إنني منذ اثنتي عشرة سنة أنتظر
حزناً عميقاً.

- ألا تفكرين في امتلاك البنت وتبنيها؟

- كلا.

- أما أنا فأقول لك يجب أن تقول نعم لأنك

منذ اثنتي عشرة سنة تشمرين بالفرح لوجود هذه

الطفلة إلى جانبك، وإنك مصيبة في ذلك لأن هذا

الفرح أشعر به أنا أيضاً عندما أكون أما دون أن

أفكر في الألم الذي سيحدثه لي فقدان ابنتي التي أحبها

حب العبادة.

- إنني لم أكن أبداً أما، ومع ذلك فإني

أفقد اليوم ابنة لي في الوقت الذي تجدين فيه أنت

ابنة. إنني لا أحسد أحداً، ولكنني لا أستطيع

أيضاً أن أمتنع نفسي من التألم والحزن لحياة الفقيرة

التي لا تسمح لي باستبقاء إيليان

- حياتك الفقيرة...؟ إنك تنالين

- كلا. إنني أقول الحقيقة!

- سيدتي العزيزة، إنني أكون تحت تصرفك

إذا...

- (بلاخوة) أواه يا سيدتي، إنني لا أطلب

صدقة، ولقد أردت فقط أن أقول إن دخل لو كان

كافياً للدرجة التي يطلبونها، لم أتردد قط في استبقاء

إيليان، إن الحظ يكون في بعض الأحيان رهيماً

- لقد كان رهيماً لي قديماً عندما أقفد ابنتي.

إننا لا نستطيع إلا أن نتحنى أمامه كبيراً وصغيراً.

إن أواصر الله ومقدراته نافذة على الجميع (تدخل إيليان

حاملة يدها كتاباً، ويدعو عليها السرور) هذه هي

الطفلة العزيزة

الكان دون أن أشعر بحزن قاتل » (تطوى الكتاب وتغالب الكوتس) أظنك فهمت عواطفى يا سيدتى الكوتس — (بدشة) نعم . نعم . ولكن ما الوسيلة لحل مقبول ؟
 مدام إيدوان (تمسح دموعها) — إننى أشكرك يا إيليان من أعماق قلبي
 إيليان — بل أنا التى يجب على أن أقدم لك شكرى الجرم بعد ثمانية أيام
 مدام إيدوان — لم يبق هناك ثمانية أيام وأسفاه
 — كيف ذلك ؟

— إن مدام صرغيل قادمة لتأخذك معها
 — (فرحة) اليوم ؟
 الكوتس — نعم يا ابنتى العزيزة
 إيليان — هكذا فجأة ؟
 الكوتس (يهدهو) — نعم . لقد وضعت السبب لمدام إيدوان
 إيليان (يهد صمت قصير) — إذن أنا متهيئة للذهاب معك يا سيدتى
 الكوتس — لا تصعلى يا ابنتى ، لن نذهب الآن ...

إيليان — ماذا يجب أن أدعوك منذ الآن ؟
 الكوتس — بوسمك أن تذهبن بكلمة قصيرة وجيلة : ماما
 إيليان (تضطرب) — ماما ؟
 الكوتس — نعم ماما . إذ أنى احتلت مكان ...
 إيليان (صائحة بحزن) — كلا ، إن هذا لن يكون (ترمي على عنق مدام إيدوان) ماما ، ماما
 مدام إيدوان (تضيق) — يا عزيزتى
 إيليان — لا أريد أن أتركك ، استبقينى عندك

مدام إيدوان — لشد ما أود ذلك ، ولكنك تملين جيداً أن هذا غير ممكن الآن .
 الكوتس (تغالب إيليان) — إننى أشاطرك حزنك يا إيليان (تدهنها بطف) ولكن يجب على أن أذكرك أن أمر مستقبلك قد وكل إلى وأنا مضطرة لتأمين سمادتك ، وثق أننى لن أؤد لك طلباً .
 لمسح عينيك يا ابنتى العزيزة واذهي لتنهى ، وسأبقى مع مدام إيدوان (لاخفها نحو اليمين) حالاً يا ابنتى إيليان حالاً (تخرج إيليان)

المشهد السادس

مدام إيدوان — الكوتس — ثم إيليان
 مدام إيدوان — أرجو أن تغربها
 الكوتس — بل إننى أستحسن ذلك منها
 — إننى أخاف أن ...
 — لقد عجبت لصيحتها
 — إن ذلك شيء طيب في فراق كهذا ، إذ أننا سنفرق لنرى لقاء .
 — فكرة جميلة . إنك ستريفاً غالباً هنا أيضاً .
 سأبقى بها إليك كل وقت أستطيع فيه ذلك بالسيارة
 — يمكن ذلك في الشهر الأول .
 والثانى أيضاً وكل الأشهر التالية ، لم لا ؟
 — لأن الزمن يسير ، ويأتى معه النسيان .
 إننى لا أشك أبداً في عاطفتك الحسنة ولكنى أخاف .
 لقد عشنا معاً اثنتى عشرة سنة ، الواحدة منا قرب الأخرى . إنك ستأتين بها ، هذا صحيح ولكنها ستأتى زائرة ثم إنها ستسنى ، وأنا أيضاً سأسناها بحكم العادة
 الكوتس (تفكر) — إلا إذا ...
 مدام إيدوان — ماذا قلت ؟
 — قلت ، إلا إذا

— بامتتان (ترتبي بيت ذواى الكوتس
للمدودين ، تدخل إيليان)

إيليان — لقد تهيات ، لا يتقضى إلا بقى
(تأخذ القبة من على المنضدة وتلبسها)

الكوتس — أما ذاهبة لأرى المائق (تخرج
من أقصى الغرفة)

إيليان — إبنى لست واهمة ، لما دخلت رأيتك
تماقنين الكوتس

— (مسرورة) كلا ، إنك لست واهمة عزيزتى

إن مدام صرقت طيبة القلب وكريمة ورحيمة

— نحوى . أما نمحوك ؟

— نحوى أيضاً إذ ستأخذنى معها

— إلى قصر بريكور ؟

— إلى قصر بريكور لأساعدها فى إدارة الدار

وسأكون معك منذ أن أنقل أثابى من هنا فى
وقت قصير

إيليان — أنا أحم ؟

— إنك لا تجلين يا ابنتى . سترى كل منا

الأخرى كما كنا هنا تماماً

— (مسرورة) : كم أنا فرحة ومسرورة !

الكوتس — (تظهر) سيؤخذ الأثاث إلى

غرفتك فى القصر يا عزيزتى وستذهب معاً

— لقد قالت لى أى كل شيء ... إبنى سعيدة

جداً ، وأشعر نمحوك بحب عظيم

الكوتس (تأخذ يدها بمنى) — لقد أصبتُ

فيا فعلت ، أسرى الآن (تخرج)

إيليان — (ترجع إلى مدام ليدوان فرحة) سأدعوها

أى إذا أردت ، ولكن أنت لا أدعوك إلا ماما ...

دائماً ماما

(دموع) نأبى الطنطارى

— (يظهر لها بريق أمل) إلا إذا ؟

— هناك ... من الممكن ... وسيلة ؟

— أية وسيلة ؟

— إبنى أفكر ... ليس بعيداً عن بريكور ...

لى صديقة عزيزة ذات قلب رحيم ... أستطيع

أن أطلب إليها ... إنك تبصمين أنفسه جيدة

أليس كذلك ؟

— بقدر المستطاع .

— (ترها القبة التى نسقتها مدام ليدوان)

ومى راقية .. أنظرى قبة إيليان الجميلة هذه ، إنها

خرجت من عندك كما أظن ...

— نعم .

إذا طلبت من صديقتى أن تأخذك لتبصى الأقمشة

مندها وتلاحظى الخدم وما يتطلب المنزل ، أرضين ؟

— إذا كان وجودى لديها يسمح لى برؤية

إيليان بسهولة وفى غالب الأحيان فإبنى أوافق

— إذن ستركين هذه الدار وتنقلين إلى

صديقتك ... وسترين إيليان متى شئت

— أذهب من هنا ؟ إبنى مستعدة لذلك ،

ولكن هل لى أن أسألك ...

— عن اسم هذه الصديقة ؟ هل قبلت ؟

— نعم وبامتتان عظيم ولكن ما اسمها ؟

— احزرى

— لا أستطيع

— (مناحة) ندعى الكوتس صرقت

— (براح زاهد) أنت يا سيدتى ؟

— (مناحة) نعم أنا بكل بساطة

— (براح عظيم) . أستطيع أن أرى إيليان

دائماً ؟ اسمح لى أن أباقتك ؟

حاجي بابا اصفهاني

لِكَاثِبِ الْأَعْلَنِي "سبزه مؤبر"
بقلم الأستاذ عبد الطيف النشاز

(تسعة)

وكان السفير الإنكليزي قد وصل إلى طهران قبل وصولنا إليها بضعة أيام واستقبل بأعظم ما يمكن أن يستقبل به كلب من كلاب النمصارى لدى خليفة رسول الله . وأثار الاحتفال به فجة في المدينة وصرح بعض كبار علمائنا بأننا قد ارتكبنا بعض الإثم باحتفالنا بكافر هذا الاحتفال العظيم وأنا سندبذ من أجل ذلك يوم الحساب هذا يا أليما

ودبخت البائخ من مجول وأبقار تحت حوافر خيل السفير الإنكليزي ، وتثرت الأزهار في كثير من الطرق ، وسمع له بأن يدق رجاله الطبل يوم دخولهم المدينة ، وهذا لعمري فضل كبير لم ينله أحد غير أسراء إيران

ثم بدأت الضيافة كأحسن ما يمكن أن تكون فأعد خان كبير لتزول السفير ، وفرشت الأبطسة المثنية ، وأخذنا من الجيران ما احتاج إليه الختان والحقنا به حديقة بدية . وأمر خازن المال الأعظم بإطعام السفير ومن معه من يث المال ما أرادوا الإقامة في المدينة وأرسلت الملابس والشيلان بمد أن جئت من رجال الحكومة إلى السفير . وأعلن الشاه في جميع المدينة أن السفير ومنيعته في ضيافة جلالتنا الخاصة فلم يكن ، والحالة هذه ، بد من ملاطفة هؤلاء الأغراب والاحتفاء بهم خشية غضب الشاه

ويمكن أن يقال إن كل هذه التعطفات كانت أكثر مما يجب للترحيب بهؤلاء الكفار وإكرامهم ومنحهم وسائل الراحة ولكن حين حل موعد الرسميات نشأت صعوبة مهمة الأسباب دلت على جود هؤلاء الضيوف ونكرانهم للفضل ، وكان السفير أكثر خلق الله جوداً وعناداً ، فأولاً عند ما مثل بين يدي الشاه أبي أن يجلس على الأرض وطلب كرسيًا يجلس عليه فأحضر له كرسي وضع في مكان بعيد عن العرش . وثاني الأمور التي دلت على عناد السفير مسألة الحذاء فلم يقبل ذلك الكفار أن يخلع نعليه أو أن يلبس جواربنا الحمراء . وثالث الأمور أن السفير أبدى رغبته في رفع قميصه عن رأسه أثناء امتحانه أمام الشاه وغم محاولتنا إقناعه أنه ليس من الأدب أن يكشف رأسه . ثم نشأت عن اللباس مشكلة كبرى ، فقد كانت أعدت للسفير ورجاله ملابس يرتدونها تغطي جميع أجسامهم فيمكنهم بها أن يظهروا أمام الشاه بمظهر لائق ، وأعلن ذلك للسفير فأباه إباءً شديداً وقال : إنه سيظهر أمام الشاه الفارسي بما تمود أن يظهر به أمام ملكة الإنكليزي من الثياب

ظهرت هذه المشكلة عسيرة الحل إذ لم يحدث أن أحد الفارسيين وجد يوماً في بلاط ملك من الملوك الأجانب ليرف اللباس الواجب ارتداؤها أمامه . ففى وسع السفير ما دمتنا نجعل عادات بلاده أن يرتدى ثياب نومه ويقابل بها الشاه إذا أراد. غير أنني فكرت ملياً في الأمر فتذكرت أن من بين الصور الموجودة في القصر ذى الأربعين عموداً في أصفهان توجد صور بعض الأوروبيين الذين كانوا

وجعلت رعيته تصيح : « من حشيد ؟ من دارا
ومن أوشروان أمام شاهنا العظيم الجالس على
العرش ؟ »

ووقف الأمراء على بين العرش وعلى يساره
فكانوا أبغى وأجل من الأحجار التي تتألق على حلة
أبيهم ، ووقف على مسافة من العرش وزراء الملكة
الثلاثة ورجال الحكمة وأصحاب الشوكة ، واصطف
غلان الشاه من كل أصبح الوجه أسود الطرف
ممتدل القد أمام الحائط يحملون تيجانا في أيديهم
فكانوا كاللآلئ يحملون الأنجم الواهية ليرسموا
بها قبة السماء

وأخذ الفرخ مقاعدهم في وسط الجمع وأخذيتهم
في أرجلهم وعليهم أردبتهم التي ترتفع إلى خصورهم
وذقونهم حلقة فكانوا كالطير الفحيح المبرد من
ربشه وألقت الربة التي تساقط شعرها وأوى شيء
آخر خلا بني آدم إذا وازنتهم بمن حولهم من السادة
الأعجماء ، وقد تجلدوا وتماكسوا فلم يرههم هول
الموقف ولم يزعمهم وجود الملك حتى خلنا أنهم مثلنا
نباتا وجلدا في هذه المواقع

تكلم السفير الانكازي فمدد مناقب الذين
يتلهم ، تكلم على مثال لهجة قومه وعاداتهم في الكلام
فلم يحفل من لفظه ولم يحسن من قوله ، ولولا حذق
المترجم وذكؤه لما لقب الشاه فيها تقل إلينا من حديث
السفير بملك الملوك وقبة العالم

ولم يأت لأحاول مستحيلا إذا حاولت أن أصف
ما بين أخلاق القوم وأخلاقنا وعاداتهم وعاداتنا من
الفوارق التي لا تحصى والمفارقات العديدة ، وحاول
بعض فلاسفتنا أن يلجوا بشيء منها أو يدرجوا مبادئ
القوم فنزوها إلى أن مناخ بلادهم قائم رطب وإلى

يفدون على الشاه عباس الكبير وبينهم من أقام
في المدينة

وتذكرت أن بين الصور صورة ظهر فيها نفس
الشاه عباس فلا شك أن الثياب التي تتلها تلك
الصورة والتي ارتداها الأرييون أمام الشاه عباس
هي الثياب الواجب أن يرتديها كل أوربي أمام
رأس متوج

فأسرعت بإخبار رئيسي بما رأيت . وتقل هو
حديثي إلى الوزير الأكبر وهذا أمر بأخذ نموذج
من تلك الصورة بواسطة أمير مستاع أصفهان
في أقرب وقت ممكن . وعند ما وصلت الصورة إلى
طهران أرسلناها إلى السفير الإنكليزي وقتلنا له :
إن الشاه قبل أن يراه في ثيابه التي اعتاد السفراء
لبسها في البلاط الفارسي ، وإن نموذجاً منها مرسل
إليه ليرى هو ورجاله على مثاله وليقابوا الشاه بهذا
الزي . ولم يكن الأشقياء الملاحين أن يروا الرسم
ويسموا خطابنا حتى علا نصحكم وكثير صياحهم
بشكل لا يمكن وصفه ، ثم قالوا لنا : « إننا لن نضع
هذه الثياب على أجسامنا » . وأصرروا على البقاء
بزيمهم المتأد واضطرونا أخيراً إلى الإذعان لرغبتهم
ساد السكون والهدوء بين القوم الذين حضروا
اجتماع السفير بالشاه بشكل لم يكن ينتظر من قوم
جهلاء لم يمددوا ، وعجبنا ودهشنا من قوم هذه حالهم
من الجهل بأحوال العالم ثم يستطيعون ضبط شعورهم
والسيطرة على إرادتهم في مثل هذا الاجتماع فلا يحدث
فيه ما يعكر الصفو

وجلس الشاه على عرش من ذهب وعليه حلة
مزر كشة بالياقوت والأحجار الكريمة ذات البريق
الذي يخطف الأبصار والوميض الذي يبهز الأنظار

كان الوزير الأكبر هو الرجل الوحيد في فارس الذي له تأثير على الشاه لما اتصف به من الخلق والمهارة وحضور الذهن وقد شغل منصب الوزارة على حكم الشاه لم تزعمه التقلبات عامة كانت أو خاصة ولم تضعف نفوذه التثيرات فأصبح أكرم لفارس من أى رجل آخر

فأريت أن أول ما يجب أن أحوله هو كيف أمال رضاء الوزير الأكبر على حمايته لى . وبدأت بالظهور أمامه يومياً، وإذا كانت مسائل الأوربيين قد شغلت كثيراً من اهتمامه فقد كان لا يرانى إلا سألنى عن شىء من شئونهم ، وأدى ذلك إلى أن الوزير الأكبر كان يهدى لى رسائل إلى السفير الإنكليزى أعود إليه بالإجابة عليها مضيفاً من عندى مديحاً للوزير وإطراء وإعجاباً به وبقدرته العظيمة وتدخلت بين الأحزاب وغدوت محبوباً مقرباً من كبير الوزراء وكان أحب ما تصبو إليه نفس الوزير أن تهدى له الهدايا، فجعلت هذا الأمر قبلى فى علاقتى مع سفير الإنكليز وبذلك جهدى فى الحصول منه على شىء يقدم للوزير فيرضيه ويكون مساعداً لى على نيل الخطوة لديه، ولم يكن تبادل الهدايا إلا أمراً عادياً لا يجلب مظنة ولا يثير شبهة فالتقت كل اعتمادى فى خدمة نفسى على هذا الأمر . وكنت قد نجحت مرة أوسرتين فى المفاوضات لصالح أمتى ووطى، فكان الوزير الأكبر ينظر لى بإعجاب وسرور

وكان فى النية عقد محالفة مع الإنكليز وعين رئيس الوزارة مفوضاً من قبل الشاه فأخذت أحوم حول المفاوضات والمفوضين ككلاب يحس عن قطعة عظم، رغم أنه لم يكن لى أى عمل فى المفاوضات، وكنت أشعر بين أوتة وأخرى بأنى على باب النجاح

أن الشمس لا تظهر على ربوعها : « كيف يمكن أن يشبه قوم يحيط بهم المياه ولا يشعرون بحرارة الشمس قوماً لا يمر بهم يوم لا ينعمون فيه بأشعة الشمس ويكادون لا يعرفون ما هو البحر. — غير أن المامة أراضهم وأقنعهم قول بعضهم : « إن كفر القوم وجحودهم أنزلنا عليهم اللعنة حتى فى دنياهم، ولو أسلم السفير وأتباعه وأمته أيضاً واعتنقوا الدين الصحيح لتغيروا جميعاً فى لحظة عين وأصبحوا مثلنا وزال عنهم ما هم فيه من نجاسة، وأقذار ولكان ما ألمهم الجنة فى الآخرة يوم يسكنها الله عباده الصالحين

الفصل الثامن والسبعون

عاجى بابا تحفظ نهاية كبير الوزراء

كان ما تقدم مساعداً لى على التقدم ممينا على النجاح فقد عهد لى بمعظم ما يتعلق بالأوربيين فى فارس من الأعمال نظراً لما ظن فى من العلم بأوروبا والخبرة بشئونها وأدى ذلك لى إلى أن أصبح مرفوقاً عند كبير الوزراء وزملائه الوزراء وذوى النفوذ والقوة فى الدولة

ولم يكن ميرزا فيروز صاحب ثروة، وانقطع عنه ما كان يعطى له نظير قيامه بأمر الدولة بعد عودته إلى طهران فلم يستطع وهذا أمره أن يمدنى بما أحتاج إليه للعيش، وقد سره أن أدانى قادراً على كسب قوتى والعمل لنفسى فى الحياة . غير أنه لم يترك فرصة تمر إلا وامتنع حتى فيها معدداً مناقبى وكفايتى ذاكراً جدى واجتهادى، وقد رهنت على صدق ما قال عى فلم أعمل ولم أهان حتى أ كسب رضاء السكل وأن أحول نظرهم لى مسلمين وغير مسلمين فخرجت من محس الطالع وتركنى الشؤم

« ما لا يمكنني أن أقوله . هل فهمت ؟ »

فقبلت يده باحترام ورفعتها إلى رأسى قائلاً :

« اطمئن ياسيدى وأقسم إننى إن شاء الله حامل إليك

أحسن الأخبار ، ومبيض وجهى عندك »

وانصرفت من لدن الوزير وقصدت إلى دار

السفير الإنكليزى ، وكلى آمال طيبة فى حسن

المستقبل . ولست أريد أن أذكر ما قلت وفعلت

لأقنع السفير بموافقة رئيس الوزارة على آرائه غير

أننى نجحت نجاحاً هاماً ، وعدت أهل فى يدى

كيساً مملوءاً بالذهب .

ذهش الوزير الأكبر عند ما رأى أنى بالكيس

أمامه ، وجعل ينظر إلىّ ثم إلى الكيس مدة قبل

أن ينطق بحرف ثم انطلق يمدحنى ويفرط ذكائى ،

وقال : « حاجى بابا ! إنك أصبحت لى وحدى ولست

أتركك دون أن أكافئك فتمن على ما شئت »

فجعلت أذكر له أنى خادمه الأمين ونائبه المخلص

وأنى لم أفعل غير ما يحتمه علىّ وأجبنى وأنى لا أطلب

غير سماحه لى الوقوف أمامه . فظهرت بظهر من

الإخلاص للوزير والأمانة لا يمكن أن تنطرق إليه

الريبة ، غير أنه فهم ما وراء هذه الكلمات وقال لى :

« لا تسترسل فى كلامك على غير جدوى . لقد كنت

أبحث عن رجل مثلك بحث اليأس حتى وجدتك ،

وأنا أعرف قيمة الخدمة التى أدتها . تقدم بابى »

فى طريقك الذى بدأنه تحت حمايتى وروايتى ، وعليك

بالفرج فاسلب منهم ما تشاء فإن الذهب مكدر

فى خزائهم ، وهم فوق ذلك محتاجون إلينا . وماذا

أقول لك أيضاً ؟ إن أهل إيران كالأرض العطشى

يفعل فيها الذهب ما يفعله الماء فى الأرض . يتظاهر

الفرنج بالشعور القوى والإحساس الوطنى ، ولهم

وأخيراً أرسل إلى كبير الوزراء بطلىنى فى صباح

أحد الأيام بعد جلسة استمرت طول اليوم السابق

فى المفاوضات . وأمرت أن أقابل الوزير فى حجرته

الخاصة التى لا يدخلها أحد غير الأخصاء من أتباعه

وجده لا يزال فى فراشه ولم أجد معه أحداً

آخر ، وحين رأتى قال بصوت لطيف : « حاجى بابا !

اقرب منى واجلس بجانبى إذ لئى من العناء ما أريد

أن أحدثك به »

عند ذلك شمعت برهة وخجل غير أنى لم أستطع

إلا الركوع بجانب الفراش إذ كان كلام الوزير

بصوت منخفض جداً لا يكاد يصل إلىّ . لم يبدأ

الوزير كلامه بمقدمة ولم يستهل أى استهلال بل قال

إنه فى مركز حرج جداً إذ طلب السفير الإنكليزى

مطالب لا يمكن قبولها ، وقال إنه سيفادر طهران

إذا لم تقبل مطالبه

ثم قال الوزير : « وقد هددنى الشاه بقطع رأسى

إذا سمحت للسفير بترك طهران ، ومن جهة أخرى

فأننى والمفوض الآخر الذى يشاركنى مقتنمان تقريباً

بأن الشاه لا يمكن أن يوافق على مطالب الإنكليز

فما العمل ؟ »

فقلت بمخضوع وكأنا كان لكلمات معنى آخر

غير ظاهرها : « ألا يمكن أن نرشوه ؟ » .

قال الوزير : « نرشوه ؟ من أين أتى بالرشوة ؟

هذا إلى أن الإنكليز قوم أغبياء فلا يقبلون الرشوة .

ولكن أصغ إلىّ . إننا لا نشاركهم فى هذه العبادة .

والسفير يريد أن ينال مطالبه بأى ثمن . وأنت

بلاشك تعلم أننى ما تناولت أمراً إلا وأبجزته ، فانطلق

إلى السفير وكله بما لك من حق صداقته . قل له

إننى مرسلك ، وإن فى استطاعتك أن تقول له

الأجسام وخبث الأرواح وبأن مصيرهم جهنم وبئس المصير .

وليس من شأني أن أبحث في طبائع هؤلاء الناس ولا في أذواتهم بل كان بحثي منصرفاً إلى كيفية الحصول منهم على المال . وقد أتيح عملي وأمر وعاد على "المال الوفير فلم يذهب تبى سدى

ويذكر القراء عموماً أنني تحدثت في جزء مسالف من هذا الكتاب عن طبيب أجنبي كان يحاول أن يوجد في فارس طريقة لملاج الجبري بالتطعيم

لم تنتج طريقته نجاحاً كبيراً وظللنا نعالج أطفالنا المرضى كما كان آبائنا يعالجوننا . ولكن الطبيب كان يظهر شغفاً شديداً بتحقيق فكرته ونشر طريقته .

وكان يخاطب بنفسه كل سيدة يتمكن من رؤيتها في وجوب التطعيم بمعمل الجسدي حرصاً على حياة أبنائها . وقد رأيت أن في تقربه من النساء بهيئته الوسيلة خطراً عظيماً على الآداب مهما كان السبب الذي يتدرع به فأقمت رئيس الوزارة بأن يجعل جندياً على باب هذا الطبيب لمنع كل امرأة من دخوله وكان هذا العمل قاضياً على كل أمل للطبيب فأدخل اليأس على نفسه

فذهبت إلى هذا الطبيب الأحمق وقلت له : ما الذي يدعوك إلى الحزن مع أنك لم تستفد مالا في مقابل تبيك ؟ »

فقال لي - وكان قد تملق لفتنا - ويحك إنك لا تعرف معنى لما أقول . إن طريقة التطعيم يجب أن تتم في جميع البلاد لإيقاظ الأطفال من الموت »

قلت : « وما الفائدة من ذلك ؟ لماذا لا يموتون وهم أطفال وأى نفع جثثنا من حياتهم ؟ »

قال : « إذا كنت تريد النفع والفائدة فاني أدفع

إنما يخدمون مصالح بلادهم في كل عمل أو قول أو حركة ، وهذا نمري ما لست أفقه له معنى . من يدريني بمد موتي أو موت الشاه أن إصلاحاتنا باقية وأعمالنا لا تذهب بها الأيدي العابثة ؟ إن للوطن رباً يحميه وبقية كيد الكاذبين ، فبست ما يقول المكابدون إنهم يخدمون أوطانهم إذ ليس لفردي أن يفهم ما هي هذه الخدمة فكيف يقوم بها ؟ »

وكانما أزال كل كلمات السفير حجاباً كان فوق عيني ، وفضحت لي طريقاً جديدة للكسب ورتت في أذني كلمات الوزير : « إن الذهب مكسود في خزائن الفرنج وهم محتاجون إلينا » وإلى هذه الناية وجهت عنايتي ...

الفصل التاسع والسبعون

لاقيت صعوبة كبيرة وبذلك مجهوداً عظيماً إلى أن توصلت إلى الإعلان عن نفسي في المدينة أنفى صاحب الوزير الأكبر للمقرب إليه ونشرت بين الفرنج أن أمراً واحداً لا يمكن إنجازه من غير وساطتي ، وسرعان ما أتت هذه الشهرة فتاجها وأعرت ثمرها . وأخذت تكثر لدى الطلبات بما يتيمها من الأجر والنفقة . وكان أظهر ما في طباع ضيوفنا الإنكليز ميلهم الشديد إلى منفعتنا رغم إرادتنا غير مباليين بما يصرفونه في هذا السبيل ورغم ما نقوله نحن عنهم

وكانوا يشعرون نحونا بما لم نشعر به نحو أنفسنا من الود والنفقة . ولم نستطع رغم ما بذلناه من بحث وتفكير أن نستكشف السر الذي حدا بهؤلاء القوم إلى السعي في مصالحنا ذلك السعي الشديد - نحن الذين لم ننقطع قط عن رميهم بالكفر والإلحاد وندس

كانت من الأطعمة التي تزج في بلاده ولا يوجد مثلها في فارس، وقد قال إنه يريد مساعدته على تعريف الناس بها لتكون أساس تجارة واسعة بين البلدين فامتعض رئيس الوزارة وكلفني أن أذهب إلى السفير وأخبره بأن الأرض الفارسية ممتلئة بالخيرات وأنه لا يقبل مثل هذه الهدية بل يريد هدية من القماش الثمين الذي لديه

ولما أبلغت هذا القول إلى دار السفارة ضحك الشبان الذين فيها والذين ليس لهم لحي ولا شوارب وقالوا: «هل يريد رئيس الوزارة أن يحصل أغذية يستفيد بها الشعب إلى كساء يضعه على ظهره؟» وضحكوا ضحكات عالية مني ومن الذي أرسلني ولكن السفير نفسه كان أقل بكثير من هؤلاء الشبان قبالتي بمنعني الأدب وأمر بتسليمي ما طلبته من الثياب، وفي الوقت ذاته أرى أن يسترد البطاطس الذي أرسله وطلب توزيعه على الشعب قائلاً إن هديته إلى الوزير علامة على الصداقة وهديته إلى الشعب برهان على الاحترام والتقدير

ولما عدت في ذلك اليوم إلى رئيس الوزارة أطراني وامتدحني وقال إن منزلي عنده أكبر منزلة وإنني سأظل أقرب أخصائه ما بقي على قيد الحياة

الفصل الثمانون

الآن

كادت تنتهي المفاوضات التي بيننا وبين الكفار على أن يرسل الشاه سفيراً من قبله إلى بلاد الإنكليز لتقوية الروابط بيننا وبينهم. وكان كل يوم يمر يزيد في إقناعي بكبر المنزلة التي نلناها عند رئيس الوزارة وكانت حاجته إلى مساعدتي تزداد ظهوراً بمرور الأيام

لكن المبلغ الذي يطلبه وتركني أعود إلى نشر العمل الذي لم تكن ترى فيه فائدة قبل الآن»

هنا بدأت مفادتي منه وأظهرت له مقدار المخاطرة التي أتحمّلها بالتكلم في شأنه مع رئيس الوزارة ثم انفتحت معه في النهاية على المبلغ وبعد أيام عاد الزحام على بابه ولم يقل أحد أي شيء عن مخالفة الآداب بمقابلة الطبيب للنساء

ومن حقايق هذا الطبيب أنه طلب تشريح الجثث الأكاديمية فقلت له: «هل تدعى في هذا الموضوع أيضاً أن العالم سيستفيد من تقطيعك أجساد المسلمين؟» فقال: «يستحيل أن تقدر التوائد التي تعود على الإنسانية من علم التشريح ويستوى عندي تشريح المسلمين والنصارى واليهود»

ثم عرض عليّ مبلغاً كبيراً لأسمح له بذلك فهدت له الطريق وصرت أشقى فيضلي من الكفار بتقديم جثثهم إلى الطبيب لتشريحها وفي الوقت نفسه أجمع ثروة طائلة من هذا الطريق

ولقد كان السفير نفسه يزعم أنه يريد الإصلاح لبلاده وأنه سيخضع الإنسانية بتنفيذ مشروعاته في هذه البلاد، وكانت لمحبة كلهمجة الطبيب وقد طلب إليّ أن أساعده على عمل آخر عند رئيس الوزارة ووعداً بهدية كبيرة جداً، ولما كان من عادات رئيس الوزارة أن يظل أغفه عالياً مادام في الجو هدية فقد استمر يسألني كل يوم عن هذه الهدية بعد أن قصصت عليه الحديث الذي دار بيني وبين السفير وقد علم أن السفير أحضر من بلاد الإنكليز مقداراً عظيماً من المنسوجات الثمينة وكان الوزير شديد الشغف بالثياب الفاخرة

لكن الهدية التي أرسلها السفير من نقاء نفسه

على الكذب والاختلاق . وقد أظهر الشاه من السرور به أكثر مما أظهر من السرور بأى إنسان . وقد سمعت أنه يضرر لى عداة شديداً وإن كان يتظاهر بأنه خادم مطيع ولم يجرؤ إلى الآن على إعلان عداوته لأى إنسان أو على الدس ضد أى أحد . ولكننى لا أزال خائفاً منه حتى رحل عنا، فحتى بعد عن وجه الشاه بالسفر إلى بلاد الكفار استرحت من أكبر مسبب لمتاعبى وسأدبر فى غياهب الخطط حتى إذا ما عاد ظافراً من مهمته (وأسأل الله ألا يموت) لم يجد مثل ما له الآن من النفوذ »

وافقت رئيس الوزارة دون تردد وإن كان ضيقى غير مستريح إلى أى عمل أقوم به ضد هذا السفير الذى كان أجمل نعمتى

وقال لى الوزير : « إننى لم أعلمك إلا على جزء من مشروعى فإننى أريد غير ما أخبرتك به — أن تذهب أنت أيضاً مع السفير بوظيفة السكرتير الأول وأنت جدير بهذا المنصب لما لك من الإخلاص والمعرفة التامة بما أريده ، والخبرة بمختلف الشئون » ولقد سرفنى تقليد هذا المنصب ، ولكنى لمرضه فى وقت واحد مع منصب أكبر منه ، واختيارى لأسفرها امتنعت ، وكنت من جهة أخرى أفضل البقاء فى إيران ما دمت لى أنال منصب السفير فإن مجال الكسب والعمل فيها أكبر من مجالهما فى المنصب الذى اختاره لى . وكنت لا أزال أذكر ألم الفربة ، وأخشى أهوال البحر فى رحلة طويلة إلى بلاد الإنكليز التى سمعت عن ظلامها وبردها ما يفضى فيها وعلمت من جود أهلها وثقلهم ما جعلنى أتصور الإقامة بينهم فوق الطاقة . وعلى أية حال فقد أجيبت

وفى اليوم التالى لتوقيع الماهدة مع انكلترا استدعانى إلى غرفته الخاصة وقال لى : « أصغ إلى حاجى بابا فإن لى حديثاً هاماً أريد أن أحدثك به ولما كنت واثقاً منك فأنى مقدر ما ستبديه من الاهتمام »

فأظهرت له أننى عند ظنه وأكدت له ولائى وطاعتى فقال : « سواء أكانت الماهدة بيننا وبين الإنكليز حسنة أو سيئة فإنها قد تمت وقد قرر الشاه أن يرسل من يثقف لوندرا : وأنت تعرف الفارسيين كما أعرفهم وتعرف أنهم لا يحبون مناداة بلامم وستجد صعوبة كبيرة فى اختيار من يصلح لهذه السفارة ممن يقبلون السفر إلى بلاد الإنكليز . وإنى واضع نصب عيني اسم رجل خاص أريد أن يفارق البلاد الفارسية بأسرع ما يمكن وأريد أن تبذل كل ما فى وسعك لإقناعه بقبول هذا المنصب »

فهمت لأول وهلة أنه يريد إرسالى وتقليدى هذا المنصب ، ولكننى لم أفهم لماذا يريد إخراجى من فارس . وعلى كل حال فأنى لم أشأ أن تفوتنى هذه الفرصة فأظهرت أننى فهمت وأننى شاكر ودعوت له ودنوت منه وقبلت يده وقلت له : « إننى عبدك الخاضع وسأبرهن فى كل موقف على خضوعى لك وولائى . مرانى وستجدنى مطيعاً ولو أدى ذلك إلى موتى »

قال : « هذا كلام حسن يا حاجى بابا والرجل الذى أعنيه هو ميرزا فيروز »

فظهر الترحيم على وجهى وبدت على علامم اليأس واستمر رئيس الوزارة يقول : « لقد وجدت نفوذه لدى الشاه أخذاً فى الازدياد ، وهو رجل قادر على الكلام والإقناع ، وهو ذاهية فى الرياء قادر

والخاطرات؟ وهل سأقطع السنة الدين كانوا يشتمون
في ويمبروني بأنى ابن حلاق أم سأزيد شانه في؟
وأخذ فكرى يحوم حول هذه الخواطر ومشيت
في الطريق متفكراً بحالة تستلقت الأنظار . وكنت
أحلم بحسرى على جواد مطعمهم في أصفهان وتحكى سر ج
موشى بالذهب وفى يدى لجام مذهب وحولى الجنود
يبحرسونى . وصلت إلى بيت ميرزا فيروز فوجدته
مستعداً للكلام م فى شأن السفارة وظهر لى أن
السفير الإنكليزى كله فى نفس الموضوع الذى كاننى
رئيس الوزارة بالكلام معه فيه، وقد سهل على موقفى
الذى كنت أستعصبه أن ميرزا فيروز أظهر سروراً

شديداً واعتباطاً بمنصب السفير فى لوندرة ، وقد
سألنى هل أريد بعد أن استمدت مكانتى أن أعود
إلى زوجتى شكرليب، فتخرجت من الجواب على هذا
السؤال لأنى كنت أكره الذكرى السيئة .

وفى اليوم التالى أعلن الشاه أنه اختار ميرزا
فيروز ليكون سفيراً فى انكلترا . وصدر أمر رئيس
الوزارة بأن أذهب إلى أصفهان لجمع الهدايا من هناك
ولست أريد أن أجهد القارى بذكر التفاصيل
عن هذه المهمة ويكنى أن أقول إننى سافرت إلى
أصفهان كما يسافر إليها رجل كبير الأهمية وإننى كنت
مغمم النفس بشعور من العظمة والجلال . لا يمكن
أن يدركه إلا أمثالى من الإيرانيين، وقد ظهر لى أن
سنو الحظ فارقتى فصرت فى مأمن منه ودلتنى
كل الطواهر على أن صفحة جديدة من حياتى
قد فتحت ليكتب فيها القدر سطور السعد .

ودخل حاجى بابا بمدينةته باسم ميرزا حاجى بابا
نائب الشاه، وهل أريد بذلك أن أقول شيئاً ؟

بكلمة القبول التى نجدها حاضرة على لسان كل فارسى
مهما كان شعوره الحقيقى ، وقلت له إننى قابل أمره
على البين والرأس ، وإننى سأظل خالعه . ثم سكت
سكوت الحجر الأصم ففهم الوزير سريعاً ما عنيته
وقال لى : « إذا لم تكن تحب ما عرضته عليك فمتدى
مناصب أخرى ليس بالصعب تمينتك فى أحدها ،
ولكننى آرت صالحك ولا يزال موعد السفر بعيداً
فاذهب الآن إلى أصفهان مندوباً من قبل الشاه لجمع
من أهلها ما تستطيع جمعه من الهدايا لتقديم باسم
إيران إلى البلاط الإنكليزى . ولك من هذا العمل
مورد كبير للكسب »

لم أدع الوزير يتم قوله فقد كان اقتراحه بأن
أعود إلى مدينتى فى مثل هذه المهمة معزياً لى وقلت
بلهجة من استخفه الطرب : « أقسم بالخبر والملاح
الذى أكلته عندك وأقسم بمحباتك وبرأس الشاه
إننى مستعد لتلبية ما تأمر به وسأذهب إلى أى مكان
تأمرنى بالذهاب إليه ولو أمرتنى بالذهاب تحت أطباق
الأرض لأنى بشيطان من الشياطين »

وقال الوزير : « حسن ما تقول فاذهب أولاً إلى
فيروز خان وأخبره أنه هو الرجل الوحيد الذى يصلح
من بين الفارسيين لمنصب السفارة وأقمه بالفوائد
العظيمة التى تعود عليه من قبول هذا المنصب . وقل
له إن رجلاً آخر زاحمه عليه وأنه أعقل من أن يضيع
هذه الفرصة فيمنعها منافسه . ومتى قلت له ذلك
سهل إقناعه »

تركت رئيس الوزارة وأنا لا أعلم هل أنا صاعد
إلى السماء أم هابط إلى الأرض وهل تحققت كل
أطامى أم سأعود إلى حياتى الماضية الملوثة بالأخطار

آخر عنوانه حاجي بابا في انكلترا وقد ترجمناه ونشرناه في مجلة الرواية في العام الماضي . وقد أعجبنا أيا لم إعجاب بطريقة المؤلف في استعراض مظاهر الحياة في إيران فحكاياته في طريقته ووضعتنا على غرار كتابه كتاباً نستعرض فيه الحياة المصرية المصرية وعلاقتها بالشرق والغرب وجعلنا بطل القصة « الدكتور مبارك السنترسي الملقب بحاجي بابا بولاق وأخباره في مصر وفرنسا والعراق »

وسنوافي به القراء بعد حين

عبد اللطيف النشار

وهنا يقول واضع القصة باللغة الانكليزية إنه قد أتبع نصيحة الدرويش الفارسي فلا يعود إلى سرد القصص إلا إذا أعجب بها السامعون، فإن شجبه القراء وضع قصة أخرى يسرد فيها حوادثه بعد ذهابه إلى انكلترا وما حدث بعد عودته من انكلترا إلى إيران بعد أن عرف عن الغرب وشئونه ما ليس يعرفه الإيرانيون . وواضع هذه القصة في انتظار تشجيع القراء يستأذنهم في إتمام قصته

ويقول مترجم القصة إلى اللغة العربية إن واضع

القصة باللغة الإنكليزية قد وفي بوعده فوضع كتاباً

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

فط رباب فاضل وسريع بين الاسكندرية - منفى - مرسيليا والبالس

أسعار الصيف ابتداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء للسفر

من مصر أو من أوروبا

(من الاسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو باليس)

الباخرة كوكور

الباخرة النيل

جك

جك

١٦

١٧

—

١٢

١٠

—

—

٩

٥

—

٣

—

درجة أول

درجة ثانية

درجة ثالثة : مخفضة (سياحة)

د ثالثة : (خصوصية)

درجة رابعة

كوكور

وعتق للذين يستخرجون ثمار الذهب والياض ما خصم ٧٠٪ على قيمة تذكرة الياض .
والأجور للجنة أعلاه بالعملة الانكليزية تحصل بواقع ١٧ ١/٢ قرشا للجنة الانكليزي .

مواهب السفر مع الاسكندرية

٢٩ يونيو

الباخرة النيل

١٨ مايو

الباخرة النيل

٦ يوليو

كوكور

١ يونيو

كوكور

١٣

النيل

٨

كوكور

٢٠

كوكور

١٥ يونيو

النيل

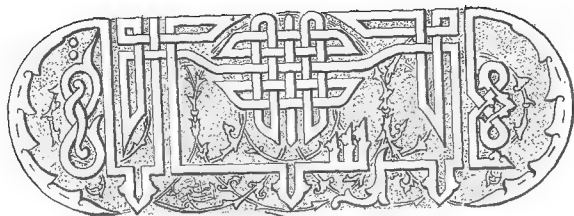
٢٧

النيل

٢٢ يونيو

كوكور

(طبع بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى - عابدية)



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجْدِيدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلُوعَةُ أَعْدَادٍ هَادِيُونَ الْعَرَبَ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجَالُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك للأخلاق سترن قريشاً ، والمناجى مايساوى جينها مصرى ، وللبلد العربية بمخضم ١٠٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول
احمد حسن الزيات

حول الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في البلاد الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي بعض

السنة الثالثة

١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ - أول يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٧

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٥٠٦	المريدة
١١٦	وحيدة
١١٩	رثاء
٢٠١	مغامرات فتاة
٥٤٠	الباب المفتوح
٥٤٤	ما ذنبها ؟
٥٥١	فقدان الناكرة
٥٥٧	الشرائط
...	أفصوة مصرية
...	أفصوة مراية
...	للفصوى الروس أنطون تشيكوف
...	أفصوة مصرية
...	للكاتب الإنجليزي الكبير «الساقي»
...	أفصوة مصرية
...	عن الإنجليزية
...	للكاتب الفرنسي جى دى موباسان
...	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ
...	بقلم الأديب تانى محمود الزاوي
...	بقلم الأديب قيسل عبادة
...	بقلم الأستاذ فوزي خبطة
...	بقلم الأستاذ عبد الحيد حدى
...	بقلم الأنة جيلة اللابل
...	بقلم الأستاذ عبد القليل النشار
...	بقلم الأديب عادل الجلال

ولكن ربما لأنها كانت
أنسهن جميعاً ولأن تعاسها
هذه كانت السبب الخفي في
سمادى بها زمناً طويلاً لن
يعود أبداً

ويرجع عهد معرفتى
بها إلى يوم من أيام عام ١٩٢٠
وكنت أكتب طالباً في اللغة

الأولى بمدرسة الزراعة العليا ، استيقظت ذلك اليوم
في الصباح المبكر كمادى فجاءتنى والبنى وقالت لى :
— حسونه ... أرى أن أخبرك أن صديقة نزلت
بيتنا ، وأنها ربما أقامت بيتنا إلى أجل غير مسمى ...
فنظرت إليها بغرابة وقلت لها :
— من هى ...
— زيب هانم زوج اليزيدانى محمد راضى جارنا .
فاستولت على الدهشة وقلت :
— لكنها ما زالت عروساً في شهر العسل ...
أليس كذلك ...؟

— هو ذلك يا بى ، والظاهر أنها تسمة الحظ
لأنها اضطرت إلى هجر بيتها والالتجاء إلى في الصباح
المبكر ، وزوجها ولا شك رجل غليظ فقط لا تسهل
معاشرته ، وإلا ما تركها تهيم على وجهها وهو يعلم
أن لا أقرب لها في القاهرة ...

وكانت والبنى شديدة التأثر فقلت :
— مسكينة ...
فقالت بانفعال :
— كانت أم هذه الشابة صديقة صباى ، وإلى

الشربكة

أفصوصة مصرية
يقلم الأستاذ نجيب محفوظ

الغالب على أحاديث الثبان في هذه الأيام أن تتجه
نحو غرضين : النساء والسياسة ، وحول هذين
الموضوعين دار الحديث في مجتمع من الأصدقاء كان
من حظى المشاركة فيه محدثاً ومتصيحاً . وقد بدأ الحديث
فأرأيت بدلاً فلم يستطع أن يجنب إلا بعض انتباهي ،
حتى تكلم ذلك الصديق البارح وتدقت الذكريات
على لسانه القرب فألقيت إليه بانتباهي كله ، لأن حديثه
كان قصة مستوفاة العناصر ، ومثل هذا الحديث
يستبد بمشاعري استبداد المال بقلب اليهودى الشحيح
وإليك ما قصه صاحبي — قال :

لا يكاد يخلو تلويح شاب من امرأة ، ولكنه
قد يخلو من المرأة المؤثرة التي تترك وراءها شاهداً
عميقاً لا ينال منه طمس السنين كالوشم في اليد
أو الصدر . وقد عرفت نساء كثيرات لا أذكر منهن
إلا أثرأ ذاهباً من اللذة أو الألم ، أو أطياناً غارقة
في الظلام والتسيان ، إلا امرأة ، بدت في فترة من
حياتي كالشوكب الذي ينير أبداً ويضيء ما حوله ،
فلأننا أنساها ، ولا يتمر التسيان حياتي التي غمرتها
بروحها الرقيق ... لماذا ... لأنها كانت أجل من
عرفت ؟ ... أو أجبن إلى قلبي ؟ ... لا أعتقد هذا

أرجو صادقة أن تفيش بيننا سعيدة ...

ثم أردفت بلهجة ذات مغزى

— وأن تكون لما يا حسوة أخا كريما ...

وبادرت قائلاً :

— طبعاً ... طبعاً ... يا أماء .

وذهبت إلى المدرسة وأنا أندكر كلمة والدتي الأخيرة والليجة التي قالها بها — وأحسست بمزيج

من الخجل والغضب . ترى هل تشفق والدتي من سلوكي على صيفتنا ؟ ثم خطر لي أن أسأله — هل

هي جميلة إلى حد تبرير والدتي ... حابت أفكاري حول ذلك طول الطريق من مصر الجديدة إلى الجزيرة .

والحق أن كلمة والدتي البريئة أوجدت في نفسي منذ البداية الاستعداد الذي كانت تشفق منه أعمام إشقاق .

وكان جو بيتنا غايه في الهدوء ، فوالدي كان حينذاك قاضياً بمحكمة طنطا الأهلية ، وكان يقيم نصف

الأسبوع في القاهرة ونصفه الثاني في محل عمله ؛ وكان أخى على في المدرسة الحربية ، وأخى عادل

في بعثة مدرسة الطب بالبنسنة . وفي ذلك الجو المغمور بالهدوء والسكينة عرفته زينب هانم العروس

التسعة ... وقد خيل لي وأنا أتى عليها النظرة الأولى أنى أرى صبية صغيرة . نعم كانت بعثة بمثلثة

بادية الأنونة ، ولكي قرأت في عينيها المسليتين نظرة براة وسذاجة . بل طفولة كاملة لولا ما يلوح

فيها بين العين والعين من الحزن العميق الذي لا تعرفه الطفولة الجفوة ...

وكان الشباب في ذلك العهد غيрым الآن كانوا أعظم استقامة وأدنى إلى العفة والعلم ، وأدعى

عهداً للتقاليد ، وكانت المرأة المصونة تبدو دائماً وكأنها عاطلة بسياج من الأسلاك الشائكة . وكان الحب

بمبدأ نسياناً عن الهتك والابتذال الذين صرعا أخيراً وأورداه الإباحية والجنون ، فكانت العواطف

تزهى في القلب وتبت الآمال والأمانى ، وتنصهر في القفل وتخلق الأخوية والأخلاق ، وتكسب بحلى

نادرة من صنع الأوهام والألحاف ...

فكان يقنعني من زينب نظرة أختلسها من وجهها الحسن أو جسمها البض ، لتكون زاذى

في النهار والليل وفي القطة والنوم ، وأصبحت وأمسيت في عالم أثيري جميل بث في وجداني حياة

ناضرة كالحياة التي ينشرها الريح في الخقول والبساتين . على أن الأسر لم يقتصر على ذلك فجري

الحديث بيننا صرات ، ولعبنا الورق مرة والرد أخرى ... وغالبتي عواطفى فوسوست إلى نفسي

أن أتشجع وتساءلت بجنون لماذا لا أجرب حظي . لماذا لا ألس أناملها في أثناء اللعب مثلاً ؟ أو أهدى

إليها مجذولين فكون فاتحة حديث للذي لا يعلم ختامه إلا الله ... ولكي لقيت من التردد الشيء الكثير ،

ولم تسمحني الجراءة التي تملتها فيا بعد ، وضاع الوقت هباء حتى رجعت يوماً إلى البيت ، فوجدت والدتي

وحدها ... وكنت تمنوت أن أراها إلى جانبها ، فأحسست بوحشة وضيق ، وكنت رغبة تلح على

بالسؤال لأن ثلوث نفسي أفقدت صراحة الأبرياء ، وظننت السؤال قاتحى ، ولم تدعني والدتي فريسة

المذاب فقالت لي :

— شكراً لله فقد جاء جارنا الضابط واعتذر

زوجها وعاد بها لأنه قل إلى أسبوط وقد كلمتني أن
أهدى إليك تحياتها ...

— هذه فرصة سعيدة

— يا حظك ...

— أي حظ تمنى ... أنت تعلم أن موظفي

الزراعة لا حظ لهم بمسدون عليه

فقال ضاحكاً :

— أنا لا أتكلم عن السكادر ... ولكن عن

فوزك بهذه الحجرة ... فيا حظك ...

— وما الداعي إلى هذا الحسد ... هي حجرة

دون حجرات الصف المقابل التي تطل نوافذها على

البحر ...

— هذا حق ، ولكن شرقها تس شرفة

الحجرة رقم ٢٤ التي إلى يمينك ؛ وحسبك هذا ...

— وما شأن الحجرة رقم ٢٤ ... ؟

فقال وهو يتهد :

— تقيم بها امرأة حسناء وحيدة ...

— وحيدة ... ؟

— نعم ... وإلى هذا يعود السبب في أن

حجرات هذا الطابق مأهولة كلها

— لملها مثله أو راقصة ...

— هو ما يظنه الرقم ٢٧

فقلت مستفهما :

— الرقم ٢٧ ... ؟

— أعني زميلي الدكتور الصوان المقيم في

الحجرة رقم ٢٧ ؛ ولكني لم أوافقه على ظنه ، لأنني

خبير بالصالات والراقص جميعاً ، والأعجب من هذا

أنها تبدو مختربة ولا ينقصها إلا زوج لتكون من

الصونات حقاً

وأحسست في الحال إحساس الطالب الذي

يعني بالسقوط في الامتحان وهو يحلم باختيار الوظيفة

اللائقة به . وضاق صدرى ذلك اليرم بالبحث ففررت

إلى الخارج لأخلو إلى نفسي بعيداً عن عيني والذق .

على أن الصبا دائماً قادر على جرف الأحزان والمحوم

فاستطعت أن أبرأ في مدة وجيزة ونسيت في غمرة

الحياة والأمال تلك الحسرة التي عصرت قلبي أياماً

فكانت مثل « الزكام » الذي يفقد الإنسان طعم

الحياة حينما يزول سريعاً فكأنه لم يكن ...

ودارت الأيام وانتهت من الدراسة وحصلت

على الدبلوم ، ووظفت في وزارة الزراعة سنة ١٩٢٥ ،

ثم انتقلت إلى تفتيش الإسكندرية بعد ذلك بخمس

سنوات . وفي الأيام الأولى لم يوطئ إلى الإسكندرية

آثرت أن أنزل بفندق لأستريح من وعناء السفر

وأبحث في هدوء عن مسكن مناسب ؛ ووقع اختياري

على فندق (ريش) الحسن بموقعه من البحر لأننا كنا

في سبتمبر وهو من الشهور المحبوبة في الإسكندرية

يطيب فيه الجو ويهدأ البحر ويصفو ؛ فحملت حقيقتي

إليه وتزلت في حجرة من حجرات الطابق الثاني .

وأذكر أنه لم يكد يتركني الخادم ويطلق وراءه الباب

حتى سمعت طرقة . فدخلت إلى الباب وفتحته ورأيت

لدهنتي صديقتنا الدكتور أحمد شلبي ، واستقبلته

بشوق وأجلسته إلى جاني وكان يقول لي :

— أحقاً هو أنت ...

نم أردف :

كنت تاركاً باب حجرتي مفتوحاً فلحقتك

فابتسمت وقالت :

— عند الامتحان يكرم المرء أو يهان

— آوه... كل الأرقام تطاردها مطاردة عنيفة

— ألم يفز أى رقم منها بطلان ... ؟

— فى الظاهر لا ، والله أعلم بالسرائر

وجالسى الصديق ربع ساعة ، تحدث فيها ما شاء له الحديث ، ثم ودعنى وانصرف إلى حجرته .

وكتبت تبكاً منبوك القوى فتمت ساعة نوماً عميقاً

واسيقظت عند الفجر ، وفتحت شرفى وجلست

فيها أستروح هواء البحر المنبش . ولاحظت منى

نظرة إلى الشرفة التى إلى يمينى ، فتذكرت ما قال

صديق الدكتور ، وأدمنت النظر إليها باهتمام وشغف ؛

ولكننى استرددت نظرى بسرعة لأنى سمعت صرير

بابها وهو يفتح ، ونظرت أمامى ، ولحظت بروز

شخص ، وتخيّل إلى أنه امرأة ، وتأكّد ظنى

عند ما عطست ، وحافظت على جودى وتظاهرت

بعدم الاكتراث ... وغالباً ما يفيد البرود وهو

إن لم يفد يمز عن الخيبة ...

ولكننى لم أثبت طويلاً ، وتنازعنى الشغف إلى

النظر فألتفت ببصرى إلى جارتى . ورأيت امرأة أول

ما راعى منها شعور بعدم الفرية سرعان ما تحول

إلى يقين بأنى رأيها من قبل ، وأنا أمتنع بهذاكرة

لا تخيب قط فى حفظ الصور فلم ألبث أن ذكرت ...

ذكرت جارتنا القديعة ... التى عاشت معى فى بيت

واحد بضعة أيام كانت كافية لإنفاج وجدانى ...

وتعلّسنى للدهشة والاهتمام ...

ولاحظت منها نظرة إلى يالفت عيناها ، وتوقفت

بقلب خائف أن أطلع فى وجهها آية التذكر ، وتحفزت

للسلام ولكن غلب رجائى ، لأن نظرتها كانت جامدة

لا حياة فيها ولم تلبث أن ولتى ظهرها وعادت

من حيث أتت . وأسفاه لقد نسيتى بغير شك ...

وما من شك فى أنها هى جارتنا القديعة وهى ما تزال

محافظ على جمالها وأوثنها ، ولكن مالها تمييز

وحدها فى هذا الفندق ... وما الذى يحملها على هذه

الوحدة القريبة ... وأين زوجها يا ترى ...

وطال تفكيرى فى شأنها حتى قتلت لارتداء

ثيابى وغادرت حجرتى ، وشاءت المصادفات أن يفتح

باب حجرتها على أثر خروجى مباشرة ، فتباطأت

فى خطاى حتى حاذقت وهبطنا الأدراج معاً ووجدت

فى نفسى رغبة شديدة فى معادتها ولم أكن أحجم

فى مثل ذلك الموقف فقلت لها بهدوء غريب :

— سعيده يا هانم ... لعلك تذكرينى ...

فخدجتنى بنظرة إنكار ، ولعلها ظنّت أنى أندرع

بالحيله لاستدراجها إلى معادتي ، وأسرعت انطلا

فلحقت بها عند باب الفندق وقلت لها :

— أهكذا تنسى جيرانك بسرعة ...

ألا تذكرين جرم حسن بك همام القاضى ؟ ..

فألتفت على نظرة غريبة ولاحظت فى عينيها

الأحلام وسمعتها تتمم :

— عدالات هانم ... شارع الرقايق ...

فقلت بفرح :

— نعم ، هذه والذى ... وهذا شارعنا ...

فهمت لى وسارت إلى جانبي وهى تقول :

— أأنت ابنها ؟ ... تذكرت ... كيف حال

عدالات هانم ؟ ...

- فقلت بسرور وقد أيقظ صوتها وجدى القديم بها:
- والذى يجير ... كيف حالك أنت يا هانم ؟
- عال ، ولكن أين عدالات هانم ؟ ...
- هل أنت هنا وحده ؟ ...
- نعم ، الأسرة فى رأس البر لأن والدى
- يجبها ويفضلها على الاسكندرية ، وأنا هنا بحكم عملى
- نسيت اسمك ...
- حسوة ...
- وكنت نسيت اسمها كذلك ولكنى نفرت بطبعى
- من سؤالها عنه ، فشئت إلى جانبها صامتة وكان
- وجدانى فى بقطة قوية ، وأصارحكم القول بأنى من
- الذين لا يملكون عواطفهم إذا خلوا إلى امرأة
- أيا كان جمالها ، وأن رغبتي فى النساء طامة لا تعرف .
- التخصص ، وقد كنت قبل نحو عشرين عاماً
- ذا استعداد للحب ، ولكنى فقدت بمرور الزمن واطراد
- التجارب وكثرة الأهواء تلك الموهبة الجميلة ودنوت
- كثيراً من الحيوانات الراقية . وكنت فى ذلك
- الوقت خاملتاً ، وكنت اخترت خطيئتي من بين
- عشرات الفتيات ولكن ذلك لم يمنع قلبى — ذلك
- اليوم — من التعلق السريع بتلك المرأة ومعاملة الرغبة
- والطمع ، قلت لها :
- أأنت وحده هنا ؟ ...
- فقلت بلا أكثر :
- نعم !
- وزوجك ... ؟
- فى السالم
- ولماذا تيشين وحده ... ؟
- فضحكت ضحكة رقيقة وقالت :
- لا ينقصك إلا أن تفتح محضراً للتحقيق
- وتطالبني بالشهود ...
- نفجلت من فضولى ، وضحكت أدارى خجلى ،
- ولم تكن عواطفى تكف عن الطفليان فقلت :
- ألا يحسن بنا أن نبحث عن مكان صالح
- للجلوس ...
- فهزت رأسها وقالت بمناد ظريف :
- كلا أنا أفضل المشى لأنى أريد أن أنصف
- ففطرت إلى جسمها البض المتلى نظرة معذب
- ووجدت فى كلامها فرصة ذهبية لا ينبغي أن تفلت
- منى فقلت بإعجاب :
- وما جدوى هذا التعب ... إن جسمك
- كامل الفتنة ...
- فألتفت على نظرة جمعت بين الاتقاد والدلال
- وقالت وهى تشير إلى جسمها :
- هذه موضة قديمة
- فقلت بحماس :
- هذا جميل وكفى ... وما عدا ذلك فلا وزن
- له عندى
- وعند الناس ... ؟
- نعم وعند الناس ... كنت أنسى هذا ، إذ خيل
- إلىّ الوم الساحر أنى صاحب الشأن الأوتد ، وعلى
- أنها قالت ما قالت وهى تبسم إلى ياغراء ، فاستخفى
- الوم مرة أخرى واشتد فى الطمع فقلت :
- أنت لم تتنبى فى هذه الفترة الطويلة وكأن
- التي أراها الآن هى السيدة الجميلة التى أشرت بقتة

فتهدت وتمعت أن أحسها تهدى ثم قالت :
— فليكن ... ألا ترين من الحكمة أن
(ترك) فندق ريش ... ؟
— ترك ...

— نعم ... أنا أعني ما أقول ، وأعرف فندقاً
هادئاً في لوران فا رأيك ؟

ولم تجبني ، ولأزيت الصمت حيناً ، وبدأ على
وجهها الاهتمام والتفكير ، نفخ قلبى وساورنى
الخوف والقلق ؛ ولكنى أحسست فجأة بذراعيها
تلف بذراعى وسرنا مشتبكين كالشقائق أو الأزواج ؛
فأتلج صدرى وغمرنى الفرح والفوز ، وقمت بذلك
جواباً ...

وفى مساء ذلك اليوم افتتحنا ممأ مأدبة الحب ،
فعدنا إلى ريش وأخذنا حقائبنا ورحلنا إلى لوران
وزلنا في فندق اكس لاشابل ، وهو فندق هادئ
منزل يقوم على شاطئ البحر كزاهد طازف يولى
ظهرة فجيح الحياة ويستقبل أفق الأبدية والأحلام
وعشت أياماً أذكرها دائماً كما يذكر السقيم
عهد الصحة والمأية ؛ كان الحب فيها الحاكم القاهر
المستبد الطاغى الذى لا يترك شئاً مكاناً من عقولنا
أو نفوسنا ، وكنت أعلم أنها أيام وإن طالت قصار ،
وإن صفت فإلى انتهاء سريع ، فأقبلت عليها بنهم
وجشع ، أملأ من حسناتها قلبي وحواسي ، كيلا أدرع
زيادة لمستريد ، غير مؤجل ممتة إلى غد أو مبق على
لنة إلى حين ، أو تارك ثمرة بلا قطف والهام ... وكانت
شريكنى سعيدة راضية يسكرها الحب وتستخفها
آيات العطف ، فستريد منها كما يستريد المثل من الطرب
وتبين لى بغير كبير عناء أن آمالنا متباينة ،

فى بيتنا بمصر الجديدة منذ عشرة أعوام ، وغربت
بنته كذلك فتركتنى أحلم بها أياماً وشهوراً
فنظرت إلى بحيث وقالت :
— يالك من ما كر ...
فقلت ضاحكا :

— ما وجه الغرابة فى ذلك ... من يرى هذا
الحسن ولا يتمناه ؟

— الظاهر أنى سأجد من الواجب أن أفارقك
لأنجو من أمانيك ...

— حاشا أن تفعل ... بل حشاشى أن أترك
تفعلين . إن فوزى بلقائك بعد هذا النياب الطويل
نعمة من البطر الشربير الكفر بها ...

— إنك تحدثنى كما لو كنا عاشقين افترقا ثم
تلاقيا ...

— هذا شعورى يحق ...

— هو أدنى إلى الوم

— أما من ناحيتى فلا ...

— وأما من ناحيتى فنعم ...

ولكنها قالت ذلك بدلال ورقة ، وهى تبسم
ابتسامة عذبة تسيل إغراء (فقلت أن يمينها لم تخرج)
ولم أدهش لما تبدى من استسلام لأن حالتها فى الواقع
كانت تدعو إلى الريبة ، وتذكرت ما قال صديقى
الدكتور شلى فقلت :

— إنى أعجب لماذا تقيمين وحدك فى هذا الفندق ؟

— أراك تمود إلى التحقيق ...

— كلا لا داعى للتحقيق ... ولكنى غلت

أن التقيمين بالطابق الثانى يضايقونك ...

— أبدأ لهم يضايقونك أنت ...

وإلا يمكن أن يظهر بشنة في أفقنا الهادئ فتكون
الطامة التي لا تدفع ...

وكانت هذه الأفكار تساورني خارج الفندق
بيدًا عن ظلها الخفيف ، ولكنني وجدت نفسي
مسوقًا إلى مفاتها بهذا الحديث وقد فلتت ،
فسألها يومًا :

— أما من أخبار عن زوجك ... ؟

فأكفهر وجهها وأظلت عينها وقالت :

— دع هذا الحديث جانبا ...

فاضطرت ساعتي إلى السكوت ، وفي نيتي
أن أعيد الكرة مهما كلفني ذلك ، وكانت تتخاضى
هذا الحديث وتهرب منه ، ولكنني قلت لها : يومًا
يا خلاص وحزم :

— ينبغي أن تعلمي أنه ليس الفضول الذي يدفعني
إلى معاودة السؤال ، ولكنه الاهتمام بشخص أعزّه
وأحبه وأرجو دائماً أن يفتح لي صدره وقلبه ...

كم فرحت لكلامي هذا ... لقد التصقت بي
بوجد وحنان وتهدت بسفاده وقالت :

— يا للسعادة ... طالما شرعت إلى الله أن يهبني
قلبك حنونًا غنياً ...

فداعيت خصلة من شعرها الأسود بيدي وقلت :

— إذا هيا وصارحين بكل شيء

— ولكنه حديث مؤلم كرهه

فقلت :

— أنا لا أدري شيئاً ، لأنك لم تريد أن
تطلعي على شيء ، ولكنني كنت أرجو دائماً أن
حياتك الزوجية غير سلبية . ومهما يكن من أمر
فينبغي أن أعلم كيف يتركك زوجك هكذا ...

فكنت لا أفكر إلا في حاضري ، وأود لو أمتص
ما فيه من حلاوة في رشفة واحدة ... أما هي
فكانت تنظر إلي بعيداً ولا تفتأ تذكر المستقبل وترغب
رغبة صادقة في أن تطمئن إلى دوام السعادة والحب .
وقد هجبت لذلك وعلمت أنني لم أفهم بعد تلك المرة ؛
وقد ظننتها حيناً امرأة مستهترّة متقلبة الأهواء ،
تجوب البلاد بعيداً عن زوجها طلباً للحب الآثم
وانتهاباً للذات ... ولكنني وجدتني هادئة الطبع ،
عظيمة المودة ، لا تسيطر عليها النزوات العمياء التي
تورد أصحابها مهالك الفتن ...

وكانت أيامنا الأولى أيام حب خالص ، فلم يكدر
صفوى مكدر ، إلا أن إفراطى الشديدي ردتني إلى شيء
من اليقظة والانتباه فاستطاع فكري أن يتناول أموراً
غير الحب ...

فكرت في أنني أعتدى لأول مرة على حرمة
الزوجية ، ولم يكن سبق لي أن اقتربت هذا الإثم
الشكر فوخرتني شكة الألم وأحسست بخوف غامض ،
وزاد من ألمي أنني كنت على عتبة الحياة الزوجية
وسألت نفسي في رعب ألا يجوز أن يقتض الله مني
ويصيبني يوماً في المثل التي طمعت فيه الآخرين ؟

— وهنا قاطعه أحد الستمعين قائلاً :

— وهل صدقت غارتك فيما بعد ... ؟

وشكك البعض ونظر محدثنا إلى مقاطعه شيزراً
ثم استأنف حديثه قائلاً :

ثم فكرت في أمر آخر لا يقل عن سابقه
خطورة . فكرت في أمر الزوج الغريب الذي يترك
زوجته الجليل على الغارب . ما الذي عساه يفرق
بينهما ؟ وكيف يرضى عن هذه الحياة القريية ؟ ..

لاستعنت به على الصبر والرضا ولكنى حرمت حتى
من هذا المزاج ...

وكانت تتكلم بتأثر شديد تغيل إلى أنى سأتبعها
إلى البكاء، وثرث في نفسى على الحظ التمس الذى
ضيق عليها الخناق، وخطرت لى فكرة قفلت لها :

— ألم يكن فى وسعك إصلاح ما أقصد الحظ ؟
فضحكت ضحكة مريرة وقالت :

— الحظ التمس لا يصلحه شيء وأنا ما قصرت
قط، وأصارحك القول بأني كتبت أحبه وما وافقت
على الزواج منه إلا لأنى أحبته يوما، ولكنه مضى
بعد الأسبوع الأول من زواجنا يقضى الليل خارج
البيت ولا يعود إلا قبيل الفجر، وكنت إذا انبرت
لإصلاحه ومداخلة الشقاء الذى يهددنى به سخر منى
وهزأ بمحاولاتى، ولا ضائق لى ترك السخريه والهزء
وعهدت إلى الخشونة والفظاظة ...

وسكتت عن الحديث دقائق وهى مستسلمة إلى
الشعور الأليم الذى أحدثته الذكريات، ثم أردفت
بصوت أعمق ووجه أشد اكفهراراً

— وأذكر كنى اليأس منه، ولا أتم شهراً كاملاً
فى بيتى الجديد، وكان ذلك لحادثه مهيبة لا يمكن
أن تمحى من ذاكرتى أبداً من الخير ودمرت
كل فضيلة فى نفسى. فى ليلة من ليالى شهر العسل
كنت مستغرقة فى النوم بعد سهاد حزين، وإذا
بهزة عنيفة توقظنى من نوى فاستيقظت فزعة صارخة
ونظرت بعينين مرتبنتين فرأيت جالساً إلى حافة
الفرش، وحممت بتعنيفه، ولكن لسانى لم يتحرك
فى فى لأنه كان فى حالة سكر شديد كما تبين ذلك
من نظراته الذاهلة ووجهه المحترق والرائحة التى تنبعث
(٢)

فهزت منكبيها باستهانة وقالت :

— إنه لا يعرف مقرى على وجه التحقيق ...

— ما أعجب هذا ... أستطيع أن أفهم أنكا
غير متحابين، ولكن الذى لا أستطيع فهمه هو
أن تبقى زوجين بعد ذلك ...

— إنه لا يطلقنى لأنه لا يستطيع الاستغناء
عن مالى ... وسوى ذلك فلم يكن زوجاً قط وهو
لا يطلق أن يكون زوجاً فى يوم من الأيام ... على
أنى فى الواقع لا أرغب فى الطلاق ...

خدقت فى وجهها دهشاً وقلت :

— هذا أعجب !

— لا تعجب لشيء. ألا ترى أنى هكذا مالمكة
لحريقى ؟ ... ولو كنت مطلقة ما استطعت أن أذهب
إلى حيث أشاء. ولو كان لى من يهيمه أمرى ويحنو
على بصدق لتغير مصيرى من بادية الأحرار، ولكنى
وحيدة، وحيدة فى هذه الدنيا الواسعة. أنت
لا تدري ما الوحدة ... أما أنا فقد تجرعت مذاقها
المرطوال هذه السنين ... مات أبواى والتحق أخى
الأوحد بوظيفة فى قنصلية اليونان، وبندى زوجى ..
فليس لى مكان أوى إليه أو قلب يعطف على ...
أنا منبوذة فى هذه الدنيا ...

فوجئت صامتة وغلبنى التأثر الشديد - ورأيت
وجهها الجليل محترقاً كقطعة من الجمر ولحت دمة
حييسة فى عينيها قفلت :

— إنك جميلة وغنية فإذا كان يريد هذا الأحمق ؟

— إنه وحش ضار وقاس جحود، لم أستطع
أن أعائره كزوجة إلا أياماً معدودات ثم اضطررت
إلى حياة التشرذ والهيام ... ولو وهبى الله طفلاً

على أن يطبق حريقى ، وقد كان ... وغدوت حرة
أقيم حيث أشاء وأفضل ما أشاء لا أسأل عما أفضل ...
وهاللى الأمر فقلت :

— وهل عشت سعيدة بعد ذلك ؟ ...

— فتهدت وقالت :

— ليت ذلك كان ممكناً ... ما تحنت على الله
من شيء مثلاً تحنت أن يسلبنى حريقى هذه في لقاء
أن أخطئ بالسعادة التى أحلم بها والمطف الذى أتحرق
إليه ، وأنا مستعدة دائماً أن أتنازل عن حريقى بائنة
لن يهين قلبه وإخلاصه .. كم تميت وكم بحثت ...
وكم ضقت بحريقى ...

الآن علمت كل شيء ... لقد صرفت هذه المرأة
التسعة عشرة أعوام في البحث عن العبودية السعيدة
فهل ياترى وفقت إلى ما تريد ؟ ... كلا ... هى
لم توفق ولا ريب ، ولو أنها وفقت إلى الحبيب الصادق
ما رمت نين يدي أنا بهذه السهولة . لقد انصرمت
السنوات العشر في خيبة صميرة وخذع ألمية ، وما من
شك في أن الكثيرين تلقفوها بشراهة وجشع كما
أفعل الآن ، ثم ردوها قهراً بعد شبع إلى حريقها
البغيضة . وهكذا فالخيرة نفسها تهون وترخص أحياناً
وتعنى في طلب المستبد الفاسد ..

ولما انتهت من سرد قصتها نظرت إلى بطليئة
واستسلام ، ثم ألصقت جبهتها بجبهتى وسمعتها تهمس
في أذنى قائلة :

— وأخيراً ...

وفهمت مدلول تلك الكلمة وعلمت أنى ألب
فدرايتها البائسة دور الأمل الأخير ، فإما أن أقوم به
كما تمنى أحلامها وإما أن أخفى بها على اليأس القاتل

من فبه ، وكان هناك ما هو أدهى من ذلك ، كانت
تقف قريبة منه امرأة غريبة في مثل حالته من السكر
الشديد . كانت تنتظر بلا ريب أن أوسع لها مكانى
من فراش العرس ، ولم يعلجى حتى أتيت من فزعى
ودمشتى فقال لى بلسانه الثقيل اللئيمى : (تفضلى
خارجاً) ولم تنتظر صاحبه ، فذنت من الفراش وارتحت
إلى جانبي ، ولم أتمالك نفسى ففزعت من مكانى
إلى أرض الترفة وقعدت رشدى ؛ فانفجرت غاضبة
وانهلت عليه سباً وليناً ، ولكنه هن كففه استهانة
واستلقى إلى جانبها فنادرت الحجر في حالة جنونية ،
وأحسست برغبة لا تقاوم في هجر البيت ، وكانت
تياىى في الدولاب داخل الحجر ، فأخذت غطاء
السادة القטיפى وتلفت به وفتحت الباب ووليت
خارجاً ، والدريوك تصيح مملنة طلوع الفجر ،
وهزلت في الطريق الوحش لا أقوى على شيء حتى
انتهت قدامى إلى البيت الوحيد الذى تمودنا الذهاب
إليه ... بيت والدتك ... ولعلك تذكر الأيام القلائل
التي قضيتها عندهم ... إلى لا أنسى تلك الليلة أبداً ...
ولن تزال قائمة في نفسى بجميع تفاصيلها ... وقد
كانت فاصلة في حياتي بين عهدين ...

إلى أذكر تلك الأيام بلا ريب ... ولكن كم
كنت أجهل ما تخفى من التماسا والبؤس ...

واحترمت فترة الصمت التى تلت ذلك ثم سألتها :

— كيف عدت إليه بعد ذلك ؟ ...

فهزت رأسها باشمزاز وقالت :

— في تلك الليلة انتهت حياتى الزوجية في الواقع
ولكنى كنت بلا مأوى وبلا معين فإذا أصنع ؟ ...
هرض على اتفاقية قبلتها ، وهى أن أعطيه من مالى

تتجاهل كل شيء... لماذا لم تصارحنى بشمورها؟...
ولماذا لم تهب للدفاع عن سعادتها الموهومة...
لم يحدث شيء من هذا

وقد عدت ظهر يوم من عملي بالتفتيش فوجدت
حجرتنا خالية، وبحفت عيني عن آثارها اللطيفة
التي تمودت رؤيتها كالفسنتين التي كانت تعلقها على
الشجوب أو الحقيقة التي كانت تضمها على المائدة فلم أرو
لها أثرًا، وأسرعت إلى اللولاب وفتحت على مصراعيه
فلم أجد سوى ثيابي، وناديت الخادم وسألته عنها
فأخبرني أن الهانم تركت الفندق الساعة العاشرة
صباحًا وأنه أحضر لها بنفسه التاكسي...

وبحثت هنا وهناك عن خطاب أو ورقة لأنى
كنت أتوقع أن تترك لى كلة، ولكنى لم أعثر على
شيء...

لقد تركتني دون كلمة وانتهى كل شيء
وجلست صامتًا واجمًا تتنازعنى المواقف،
ولم أشعر براحة للخلاص الذى جاءنى بدون مشقة،
وأحسست بمنجل وألم ووحشة ثقيلة، ولم أجد رغبة
إلى الطعام فقممت من فوري أبحث عن مسكن جديد،
لأنه كان يتعذر على أن أبيت ليلتى فى تلك المحجرة
المهجورة...

وسكت الراوى لحظة ثم أردف:
ومضت سنوات لم أرها فيها؛ ثم رأيتها منذ
عهد قريب تسير شابًا أنيقًا في ميدان المحطة؛ ولكنى
لا أدري إن كانت ما تزال تبحث عن الحب والطف
أم أنها استنامت إلى القنوط...!

تحيب محفوظ

وأحسست بثقل تبعثى ورن على صدرى ثم
عظيم وتساءلت حيران ترى ما هى أحلامها؟...
أن تدوم هذه الشرة... وكيف لى بدوامها وأنا
على قلب قوسين أو أدنى من الزواج... ومضى تأثرى
الشديد لتماستها يهدأ نوعًا، وأخذت أفكر فى نفسى
وأنظر إلى علاقتى بها بعين متشاعة، وأتساءل فى قسوة
وأسفا عن طريقة للخلاص... وكانت تأتى على
أوقات أعجب فيها من أنانيتى وأتساءل فى اشتزاز
— إذا كيف كان شأن من لم يشعروا بنوحها بشير
الشهوة والطمع؟... الحق أن عالمنا الإنسانى عالم
شديد القسوة، وما أضيع الفلسفة التي تبس أصحابها
فى الدعوة إلى القسوة وتحقيق تنازع البقاء، فعلى
فى الحق تحصيل حاصل وجهد ما كان أخرى بأذليه
بالضن به...

على أن الذى أزعجنى هو أن زينب فطنت لشاعرى
الخطية من غير أن أصرحها بها، وبدأ لى ذلك فى
وجومها وبرودها وقنوطها. ولم أدهش لذلك فأتى
من الذين لا يدرون كيف يخفون ما بنفوسهم،
وتفضضهم أعينهم وإعاءاتهم. ولم أكن يئس قط
نية مصارحتها بما طبع فى صدرى أو بفكر
مما يمتزق فى رأسى، وقد كنت أفكر فى حالتها بعطف
ومودة، ولكن المظف شيء والحب شيء

وكنت أتوقع فى خوف وإشفاق أن تقامعنى
بما يقوم فى نفسها من الواسوس، وكان ذلك يضاعف
آلامى النفسية ورجوت أن تنقش تلك السحابة
من سماء حياتى دون أن تترك وراءها أثر الحزن أو ألم
أو تأنيب ضميمين موانعتى حياتنا تخميرًا ثقيلًا، وكان
كل منا يعلم ما يشعر به صاحبه نحوه ولكننا كنا

إكراماً وإرضاء لها ، ولكن
سريعاً ما ذلت الزهرة وطواها
الردى ، وخلفت له ابنة سماها
وحيدة !

ولقد كانت هذه تشبه
أماً كل الشبه ... عينان
مثاقفان ، جبين منبسط ،
أنف دقيق ، شعر ذهبي غزير
جسم بض حُلُو شهي ، كلها آيات توحى الرقة
والإبداع ...

نشأت وحيدة في كنف والدها الذي أحاطها
بطفله وحنانه حتى أنساها موقع الأم التي فقدتها !
وكان يحضنها يشقى الهدايا المناسبة أو غير مناسبة .
وما كان أسعده عندما يرى شبح ابتسامته تلوح على
ثغرها البديع !

ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها السعيد
أنحت كأنها الزهرة النضرة : فتاة ممتلئة بالحياة
ويوحى جسدها المشتعل أن فيه روحاً متوثبة مرحة ،
وفيه حياة تتدفق كأنها الشلال الصاخب لا يكف
لحظة عن الاندفاع ... سهلة الضحك ، تحب أن تقضى
التهاير كله في الحديث والمسامرة ، لا مع أيتها الذي
كانت تضيق كل المضايقة من صمته المل وسكونه
الدائم ولكن مع ابن خالتها « أمين » الطالب
في كلية الطب !

كان جميل الطلعة ، برى التقاطيع ، صافي
العينين ، دقيق الأنف ، يجمع بين نشاط الرجولة
ورقة الأنوثة

من صميم الواقع وجيلة ...

أقصصة عراقية
بقلم الأستاذ ناجي محمود المزاري

« مهداة إلى الأستاذ الكبير الزيات اعترافاً
بفضله على الأدب والأدباء . » ن . م

السيد كامل بك وهذا هو اسمه المعروف والذي
تنبئ عنه بطاقته ذات الحروف البارزة ، رجل فارح
الطول ، عريض التكتين ، يمجرك تقدير سنه ،
فهي ثمانى عشرة سنة أو خمس وخمسون أو ما بينهما ،
وهو من صنف الرجال الذين لا تذويهم الأعمار
لأنهم قط ما أزهروا^(١) ... !

لم يكن كامل بك من ذوى المناصب المالية ،
والوظائف الكبيرة ، وإنما هو من أصحاب الثروات
الضخمة والمال الوافر الذى جمه بالسوى الدائب ،
والتيدير المعجز ، واليا الفاضح ، والشح الدق ،
والتقدير المهلك^(٢)

وقد تيسر له بهذا الثنى العريض أن يناسب
إحدى المائلات ذات الحسب العالي والشرف المالى
والصيت البعيد . فأحب زوجة الحب كله وبسط يده
المغولة إلى عنقه ، فشد القصر الضخم وأكبه بالأثاث
القضخ ، واشترى السيارة المريحة : كل هذا وغيره

(١) برنارد شو

(٢) أحمد حسن الزيات

ألا تنكر صفو مودتنا بالتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى...!

ومضى عام ... وعام ، وفي الربيع زفت وحيدة إلى الباشا !

كان زوجها قصير القامة ، ناعل الجسم ، أسمر الوجه بارده ، لا يثير عاطفة ما في نفس المرأة ، ولهذا بدأت تحس بالقباض في صدرها وبوحشة في نفسها ، وظنت أنها أصبحت حقاً وحيدة !

ولقد أثر فيها في البدء عطف زوجها وحده عليها ، لأنه دائم الحرص على راحتها ، وتوفير أسباب الهناء لها . وما من مرة لمحت بحاجتها إلى شيء إلا أسرع فكفله لها ، وإذا حدث وأحست مرضاً أو نوعاً فأنه يفي راحته في سبيل راحتها ، وينمرها بطف وحب كثيرين . كان يسرف في خدمتها ويمده جيلاً منها لو أنها كلفته بالقيام بأي عمل من أجلها ، وأحاطها بمجيش من الخدم يلبون نداءها لأول إشارة ، وما عليها إلا أن تأمر فتطاع ، ومع ذلك فهي تشكو وتتذمر !

أما أسدال الأوقات عند ما هي حينما يأتي «أمين» لزيارتها ، فيتسامران ويتأزحان ، ويقرأ لها أشعار الحب والنزل ، ويحدثه أحاديث الغرام والوجد ! لقد رأت فيه رجلاً جديداً يختلف تمام الاختلاف عن زوجها . وجدت في نفسه الرقيقة الفياضة بالمعاطفة ، صدى لنفسها المتعطشة إلى الحب ، وتأكدت أنها لو تزوجته لماشت حياة كلها مرح وسعادة ، تختلف تمام الاختلاف عن حياتها

ففي إحدى الأمسيات ... كان يسير معها ... وكان الجو صحوً والتسيم عليلًا ، والهواء مطرراً بشذى الزهور ، والقمر الماشق يتمر بأشعثه الفضية أطراف الحبين المدنفين ... فتحركت عواطفه وقاض غرامه ... واعترف بحبه ، وقبل أن يقيق من دهشتها كان قد احتواها بين ذراعيه وسجل غرامه بقبلة على شفتيها !

ووقفت الفتاة أمامه مضطربة ، مرتجفة ... وقالت :

— ولكن ... لم يكن ينبغي أن تفعل هذا ...

وترقرت الدموع في عينيها وأردفت :

— لو رأنا أبى ...

فقاطعها بلهجة الرائق :

— لا يهم ، سأفصح والدك بالأمر ...

وقصد إلى غرفة أبيها وفاتحه في الأمر ، ولكنه قال في لطف إنه وعد ابنته رجلاً آخر ...

— رجلاً آخر ؟ كيف ! لماذا ؟ أأنت أحق

الناس بها ؟

ومع ذلك فهي تبادلني الحب ، وما قالت لي إنها مخطوبة ؟

— لعلها لا تعلم ، ولعلك نسيت أن تقاليدنا في الزواج لا تجعل للفتاة أهمية في هذا الموضوع !

— ولكنها تبادلني الحب !

— اصبر يا أمين : إنك شرقتني بطلب ابنتي .

ويجزئني أنني لا أستطيع إجابة طلبك ، ومن الخير

التي تحياها مع زوجها الباشا !

ومضى عام ... و « أمين » الماشق المرمى يرى بأن وحدة ضرورية لسعادته كما هو ضروري لها ! ولم يكن يستطيع أن يتصور أن وحدة في كنف زوج مغم بها وعليه أن يتركها ليسلو وينمي وتنسى !

والعجب من زوجها الباشا أنه ما شك يوماً في نية أمين . والحقيقة أن « أمين » ما فكر يوماً أن يبست بقرينته ويتنكح حرمة الزوجية وقدسيتها، ولم يكن يحظر على بال وحدة أنها ستستسلم يوماً ما لأمين التي تمده عادة أو ستعمل المستحيل للزواج به ثانية ! ولكنها امرأة ، ولكنه إبليس !

وفي إحدى الأسبقيات المدممة خرج الباشا لزيارة صديق له فلم يجده . وفي ذلك الحين همت عين السماء بمطر كأنه أفواه القرب ، وازدادت الوحول واشتد زفيف الريح فتاله من البرد والطر ما لم يتحملة جسمه الواهن فوقع فريسة الحى والمرض ، واشتد عليه المرض فجاء الطبيب ووصف الدواء معذراً للزوجة من أن تعطيه أكثر من عشر قطرات في كل وقت وقامت في نفسها فكرة ... شرب زوجها الدواء فنام إلى الأبد ، وانتهت حفلة الدفن ورجع الناس يمدون خصاله ويترحمون عليه ، وترك زوجته تروء لا تمد ولا تحصي ، ملاين من الأصفر الزمان !

وهنا تقرب من الخاتمة ، فبعد المدة بشهرين

زُفَّت وحدة إلى زوجها الجديد الدكتور « أمين » الذي لم يكن يعلم مادبرته وحدة للخلاص من زوجها والزواج به

ولقد كان من سوء حظها أن تكتب يومياتها في مفكرة صغيرة عثر عليها أمين فقرأ فيها ما كان ، فهاله الأمر وتجاهل أنها فعلت ذلك رغبة فيه . فخرج جات وحدة فهالها أن تجد مذكراتها ممزقة ، مبثرة تتطاير من هنا إلى هناك ، وأت أمين قد خرج ...

وقضت ليلة أرقه مسهدة فيها عنة وفيها عذاب ، فضافت في عيها الدنيا ومرت بنفسها من النافذة فإذا هي على الأرض كومة من العظم والعجم والدم ! ...

نابى محمود العزراوى

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

هو أول كتاب في اللغة العربية عالم النقد الأدبي بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة . بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين ، ولكنه استطراد لدرس مسائل مهمة في قواعد النقد وأسول الأدب ومنتجات البحث حتى جاء الكتاب مرجحاً في هذا الباب ونموذجاً في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يغنى القارئ عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من الطبع المتوسط
وثقته ١٢ قرشاً بخلاف أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

من روائع الرواية الروسية

مرثاة ..!

للقصصى الروسى أنطون تشيخوف
بقلم الأديب فيصل عيسى باللهدون ما مرثأت تلقى أوخطب
تقال ...

فتشاء زابوكين وقال :

— الأيمن ؟ أه . أتعنى

ذلك الكبير ؟

— إنه هو ... ولكن

لا تنس يا عزيزى أن مادية

عشاء ستؤدب ، وأجر العربة

سيدفع ، هيا يا صاح فإ عليك

إلا أن تلقى بإحدى خطبك على القبر ... وستسلس

بسينيك مدى إعجاب الشمين بك وتقديرهم لك ...

فأجاب (زابوكين) طلبه دون ما تردد

ولا إحجام ... وتكلف الحزن العميق تأهباً

لما سيلى . ثم قال لصاحبه : إننى أعرف (الأيمن) ..

ذلك الوغد الزنيم .. عليه رحمة الله ! وأدرك المركب

وقد بلغ المقابر ، وحط الشمس على الأرض ، ووقفت

أم الفقيد وزوجه وأختها تدرقان السمع المحتون —

تبمناً للرف — وما إن أزل الشمس في القبر حتى

أعولت وزوجه وصاحت بأكية : دعونى أرحل معه .

إلا أنها لم ترحل معه ، مع أن أحداً ممن حوطا لم

يحل دون ذلك . ولعل " ما حال دون أن تشار كرمسه

ذلك الراتب التقاعدى الذى ستنأوله . أما (زابوكين)

فقد سكت حتى شغل الجمع السكون ، فأدار بصره

في الحاضرين وبدأ خطبته قائلاً :

يا ترى أبصرى وصمى صادقاً ؟ أم إننى أشهد

حلماً مرعباً يبدو فى هذا الرمس الظلم الرقيب

وهذا الحشد الباكي الحزين ... وأسفاه ... إنها

الحقيقة . فليس ما أراه حلماً ، وليس أبصارنا

— وبالأأسف — بخداعة .. إن من كان حتى

الأسم يفيض صحة ونشاطاً .. قد مات ووروى فى

التراب وأصبح ذكرى تستدرجهم الساخن التزير .

لقد سلبه الردى منا ، وهو لا يزال فى عنوان قوته

فى صبيحة يومٍ صاح مشرق مات « عضو التحكيم » (كيريل أفانوف بايلونوف) صريح الداءين اللذين كثيراً ما أوديا بحياة الروس : إدمان الخمر وفظاظة الزوج ... وكان الناس فى شغل بتشجيع موكب جنازته الذى كان فى طريقه إلى القبر ... إلا أن (بولافسكى) وهو صديق حميم للفقيد ، أسرع فامتلى عربة آت به إلى صديق له يدعى (زابوكين) . وزابوكين هذا قدرة على ارتجال الخطب فائقة ، فهو يقولها أنى كان وحيثما يدعى ، فلا تموقه سنة ولا حى ولا سكر عن ارتجالها ... سواء أكان فى ماتم رتبى ، أو فى حفل بلهج ويشيد ، كانت الكلم تتدفق من فيه كالأغزير سلسلاً ... وكان هذا ما حدى بولافسكى أن يسرع إليه ، ولا سباً والخطب الذى ألمّ يحتاج إلى خطيب يمدد مناقب الراحل الفقيد كزابوكين ... وقال بولافسكى زابوكين حيناً لقيه :

— إننى آت لأدعوك ... فهيا يا صاح ارتد ممطفاً واتبعنى .. لقد مات اليوم أحد زملاى ، وموكب جنازته فى طريقه الآن إلى القبر . وليس لنا فى مثل هذه الخطوب غيرك ... ليس لنا من خطيب راشر مفوه سواك ... ثنى يا صاح أنه لو كان الميت وصيماً مركزه لما أزعجتك . ولكنه (الأيمن) ... فلا يليق بنا أن نوسده التراب

الممس والنظرات ... وهزوا أكتافهم ساخرين
وتابع الخطيب كلامه : « إى (بروكوفى أوزبش)
لقد كان وجهك شاحبا مرعبا... إلا أننا كنا نعرف
أن وراء ذلك قلبا طاهرا نبيلًا ونفسا كريمة » .
وما لبث السامعون أن لحظوا على الخطيب دهشة بلغت
حد الدهول . فقد اتجه بصره إلى ركن من الحشد، ثم
التفت إلى بولافسكى زائغ البصر، وقال بهدج : إنه حى !
— من تنى ؟ !

— بروكوفى أوزبش . إننى أراه واقفاً عند القبر
— ومن قال لك إنه الميت ... ؟ إن الذى مات
هو (كيريل إيفانوفتش) أيها الأبله ...
— ولكنك قلت لى إن (الأمين) قد مات
— لقد كان (كيريل أفانوفتش) أميتا أيها
الأحمق ... لقد حل محل (بروكوفى أوزبش) بعد
أن نقل هذا ككاتب فى مستشفى العام المنصرم
— وأنى لى أن أعرف هذا ولم يسبق لى به علم ؟ !
— ولماذا توقفت عن خطابك ؟ استمر أيها البليد
فأدار زا بوكين وجهه شطر القبر وواصل رثاءه
وعينا (بروكوفى أوزبش) عالقان به محدقان فى حنى
وغضب ... وما إن انتهى من الدفن وعاد الشيمون
حتى أخذ زملاء (زا بوكين) يلفظون ... لقد دفنت
رجلا حيا ... وأسرع (بروكوفى أوزبش) إلى
الرائى حافقا ساخطا : « لا بأس أيها النقي الأحمق
بخطبتك إذا كانت رثاء ميت .. أما أن ترتينى وما زلت
حيا فأنها سخيرة فى بيئة ونهككا بخلقى فظيع ...
لقد قلت لى لى لم أقبل الرشوة ولست بذى أغراض
ومنافع ... ومثل هذا القول لا يقال عن موظف حى
إلا بقصد إداخته وأتهامه ... لم يطلب منك أحد
أن تصف وجهى بالخيف المربع ... لأنها إهانة
فظيمة سوف تربى منى المقاب عليها »

فصل عير الله

« بناد »

وبهائه .. وأوج قوته ونشاطه .. وإن يك مقدما
فى السن ... أية خسارة منينا بها ... من ذا الذى
يستطيع أن يحتمل مكانه فى قلوب عارفيه ... لدينا
أيها السادة كثير من الموظفين .. إلا أن (بروكوفى
أوزبش) كان جوهره بقيمة فيها كان زوجه به ويفخر.
وكان - أيها السادة - المثل الأعلى للرجل الكامل
الرفيع بخلقه ، السامى بنفسيته . لقد كان الفقيد يأبى
الرشوة فلم يرفضها يوما . وكثيرا ما كان يبدى مقته
واحتراره لمن كان يلج عليه فى أخذها وقبيلها . لقد كان
يرفضها كل الرضى وزدري ضفاف النفوس ممن كانوا
على تقيضه . كما لا أظنكم تجهلون أنه كان يهرب راتبه
الثافه على مشهد منا لزملاءه الموزين . وما أنكم الآن
تسمعون بأذانكم نجيب الأرامل والأيايى اللاتى كن
يسمن من فيض إحسانه . لقد ذهب ذلك الذى وهب
حياته للبر ، وبذر نفسه للخير ، وإنكم لا تملكون
بلاشك - أيها السادة - أنه كان أعزب ولم يزل
كذلك حتى وسد التراب ... إننى لأصوره الآن
بوجهه للشرق الحليق ويسبانه الحائلة العذاب ،
ويخيل إلى أننى أكاد أسمع صوته الرؤوف الذى كان
يفيض حنانا ويقطر رقة وإخلاصا . فلى رحمة الله
يا (بروكوفى أوزبش) ... إلى الجنان الخوالد
أيها العزيز ... وداعا أيها الراحل الكريم ...
وكان الخطيب مبدعا حقا فى إلقاءه فأحرز بهذا
إعجاب السامعين ... إلا أن المارفين منهم بالميت
أدهشهم مما قاله أعياء . ذلك أنهم لم يبقهوا علة ذكر
الخطيب اسم الميت على أنه (بروكوفى أوزبش) مع
أنه كان (كيريل أفانوفتش) . وثانيا أن الشكل
كان لا يجهل أن الميت قضى حياته فى تمكير صفو
حياة زوجه ، فكيف يقول الخطيب إنه كان عازيا
عن الزواج ؟ وأخيرا لقد كانت للميت لحية حمراء
كثمة ولم يك بحليتها ... فلماذا يصفه الخطيب بأنه
كان حليتها ؟ ! ... واشتد عجب السامعين وتبادوا

— وأخى سيدة؟ أتبيكين

يا سيدة؟

ولكن سيدة لم تكن تبكي
غضب ... إنها كانت تذرف
روحها من عينيها الجليتين
الحزوتين .

لقد حاولت الفتاة أن تخفي
ما بها لكنها لم تستطع ... لقد

انهمرت دموعها بشدة فقالت لها واد :
— كلا يا سيدة ! كلا يا أختاه ! إننا لسنا بهذه
الدرجة من الشقاء التي تنكأ في فؤادك مثل هذا
الآلم ... يجب أن نصبر ... إن الله القدير ينظر إلينا
وهو بنا لطيف خبير ... افرضى أننا جلسنا حول
هذا المجنون نبكي طول الليل ، فإذا يكون حالنا؟ هل
تخبره دموعنا ؟
فنظرت إليها سيدة ، وهي تكفكف دمعها ،
وراحت تقول :

— أنا والله لا أبكي لحالي يا أختاه ... إنما يبكي
ما يقاسيه أخى من الجوع ...
فضحكت واد ثم قالت :

— أى جوع وقد تندى منذ ثمانى ساعات فقط !
قالت سيدة :
— ثمانى ساعات ! وكيف ؟ إن لنا يومين لم نذق
خلالهما طعاماً !
قالت واد :

— يومان ، كيف ؟ وحبات الأرز والعدس التي
سقىها طاهر بعد الظهر ؟
وتبسمت الأم الحزونة ، ثم أومأت إلى سيدة
أن تشمل النار في الفرن .

مُعْظَمُ الْفَنَائَةِ

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْخِ خُشْبَةِ

كان المنزل حزينا واجماً ... وكانت الأم الرؤوم قد نخلت مسحوقاً أسمر اللون جافاً وأخذت تميجنه ، وبمحت ابنتها (سيدة) عن عتبة النقباب طويلاً ، ثم لم تجد بها غير عود واحد ... عود واحد من الكبريت في هذه الليلة الهائلة من ليالى أشهر القمطرير ... وصمدت وداد فوق السطح تجمع أعواد الحطب المبللة ، وعليها أسحال لا تقى من البرد الذى كان يشك المسكينة كما تشك الإبر ... وكان الطفل الصغير طاهر يبكي ويئن ويتلوى من الجوع والبرد ، وكان يفاخل أمه فيلهم قطعاً صغيرة من عجينة السن يعالج بها بطنه الخاوى ، فلما شهده أمه يصنع ذلك جرت من عينيها دموع غليظة كانت تجاهدها مجاهدة عنيفة ، وكانت تحرس على ألا تذرف حتى لا تفجر أحزان المائلة البائسة ... لكن الدمعة غلبت الأم الضعيفة الواهية فجرت على خدها الشاحب المتقنع ... ولحمتها سيدة فتفجرت بالبكاء الذى كانت تحبسه ، فلما نزلت وداد ورأت هذا للنظر قالت ضاحكة :

— أنت تبكين يا أماه !

— كلا يا ابنتى . إنها دموع تغليظ من البرد .

يا لها من ليلة !

الناس ولا أن تساعد نساء الأغنياء في النسل والخير ولوازم المنازل . فتساعد بهذا زوجها الشقي بما يؤجرها به عملها ، وتخفف من ضغط ما يصنع الفقر بأبدان أبنائها وما يشيع فيها من مرض وجوع ووصب ...

على كل حال ... هذا قانون نصنمه العزة ويشرعه التعفف ومصدره الفضيلة والحياة في نفوس الفقراء ... وهذه هي الثرائر التي فصلت بيننا وبين الحيوانات فجعلت لنا تيارات من التفكير تدفع منها برغمنا أحزاناً ودموعاً وشكوكاً

وكانت سيدة ابنة الشيخ محمد فتاة مثقلة الجسم بصفة الظهر ، لها ابتسامة يحسبها الرائي مفتاح القنص ... وكانت تلتفت الأنظار إذا خطرت في الطريق بقديسها الحافيتين الجليتين البضاوين ، وبجسمها المشوق للثقف في الملاء السوداء الساجرة .

وكان للشيخ محمد صديق حدث السن ابن تاجر فني يسمى خالداً ، وكان هذا الصديق مولماً بسيدة ولماً شديداً ، وقد دخل غرامه بها إلى فؤاده عن طريق قدميها . فكان غراماً قديراً لأنه نشأ من التراب وتغرغ في الطين ، ولم يكن كهذا الغرام الذي تبته الميون النجل فتطهره بالثار وتصهره بالسحر وترفعه إلى السماء .

وقد ظن خالد أن موت الشيخ محمد سوف يسهل عليه قضاء لباياته من الفتاة التي خلبته وسلبت فؤاده وأقامته وأصدقته في هوى مبرح وغرام متقد وفكر ساجح في جسمها البض ، وقد ها النض ، وجمالها الفينان

وكانت سيدة تعرف ما ينطوى عليه خالد من حها لكنها كانت تعرف أيضاً أنه يريد لها للشيطان

لنجد ما كانت الریح تصصف هذه الليلة ! ولشد ما كان البرد والصقيع يلصقان هذه الدار الواهية ! يا للفقراء !

توفي الشيخ محمد (الفقي) عن هذه الأسرة الشقية ، ولم يترك لها ما يقيم أودها إلا برأصدقاته وعطف عارفيه إن كان بر الأصدقاء وعطف المارفين يقيناً في هذا الزمان أوداً أو يسدان رمقاً أو يستران مودة ، أو يحسنان تلك الدموع التي طغرها ألم البرد وأنين الجوع وزهر برأشير في تلك الميون الشقية البائسة !

لقد كان المغفور له يشتري بآيات الله ما يتصدق به المرزؤون عند المقابر ، وما يشترون به رحمة الله يستزكونها فوق الأجداد بالميش والكمك والملايم وأوصال القصب ... وكان المغفور له محبوباً من الناس لأنه كان يخدم جميع الناس ، ويقضى لهم حوائجهم ، ويحمل أطفالهم ، ويحميهم مكر الطريق وأذى السكاب ... وكان قنوعاً لا يساوم في أجر ولا يلحف في طلب ولا يثقل في سؤال ... وأحسب هذا هو الذي حبب الناس فيه ... فهم كانوا يستنولون قناعته البائسة في نقصه أجره ، وهذا من ألأم طباع الناس ...

وكان الشيخ محمد يحرص على إعزاز عائلته حرصاً شديداً رغم هذا الموز الذي كان ملاقيه ... فلم يكن يسمح لزوجته أو ابنتيه بالذهاب إلى منزل أحد من أعيان المدينة في حاجة مما يدضمن الفقر إلى سؤالها ... ورفض ألف مرة ما عرضته عليه زوجته من الخدمة في منازل الأغنياء « لأنه ابن أصل وحامل لكتاب الله » ، كأنهم قالوا إن زوجة ابن الأصل وحامل لكتاب الله لا يجوز لها أن تخدم

في الهواء فتحسبها موسيقى تنزل من السماء كالخيا
يهتز له الروض وتراقص تحته الأزاهير

كانت وداد بارعة في مضغ كلالها ومطه وإرساله
سهلاً هيناً ليناً ، وإمالة وترصيمه بطرف لسانها
أو بحس شفتيها .. وكانت ترنه إذا شاعت فيجلبجل ،
أو تخطفه فيقطع كالنمنمة الصامتة التي تقف حين
تقف أعملة الموسيقى على أحد أوتار النود

ما كان أجدر وداد بجنة من زهر وطير وأنهار
من لبن ونخرو وعسل مصفى تمشي فيها مع اللاتكة
الأطهار الأبرار !!

ما كان أجدرها بجنة من سحر وشعر وموسيقى
وغناء وحب !

ما أكثر وداد على هذا الفقر اللثيم اللعين !!
ولكنها ليست كثيرة على هذه الأم الغثوقة ،
والأخت المنكودة ، والأخ الطفل الضعيف اليتيم ...
ليست كثيرة على هذه الأسرة البائسة التي غال الموت
عائلة قفص عليها بالصبر والجور والحرمان ... إنها
ضحكة مكبوتة في صدر مكروب حزين ... إنها بارقة
الأمل في حلك اليأس وليل الشقاء البهيم ! ...
فَلْتَصَبِّرْ أحران أما سعادة إذن ، ... ولتلمب
في مأساة أختها الناشبة بينها وبين خاله دور البطل ..
ولتنظر كيف تميت نبئت الزمان ، وكيف تبده هذه
الآلام والأحزان ... وكيف تحمل عمل والدها النقيبه
فتبتر الكمك وتحمّل للرغفان ، وتربي الطفل المسكين
بجليل الخزانى وصدقات الشكالي وقروش المجانين !

كان الخطب ميللاً ، وقد حرصت سيدة لذلك
ألا يذهب عود الكبريت سدى فلا يكون خبز
ولا يكون أكل ولا يكون دفء ، ويكون عكس
ذلك جميعاً

وليس يريد لها الله الرحيم الرحمن ، فكانت تشيح عنه
دون أن تقطع جبل أمه ، وكانت تصلى لله أن يهديه
إلى سواء الحب ، فيثور على تقاليد البيئته ، ويتفتح
لها قلبه ، كما تفتح لها مجسده ، فيتقدم إليها خاطباً
لا أن يقعد لها بكل طريق خاطباً ... على أنها مع
ذلك لم تحبه قط ، بل إنها لم عمل إليه ولو أقل الليل
وأهونه ...

أما وداد فكانت فتاة مريحة لا ترى أن يكون
الفقر سبباً لهم أو طريقاً إلى ألم ... لقد كانت تشدو
شيئاً من التسليم حصلته في كُتّاب القرية ، وكانت
لذلك تشدو كثيراً من آيات الله وقليلاً من القصص
الديني ... وهذا الكثير من آيات الله والقليل من
القصص الديني إذا صادفها ذهناً مستنيراً كانا غناء
لفتاة في مثل ظرف وداد وفي مثل طلاقها وإناسها
وحدة ذكائها

وكانت مع ذلك جميلة ولو لم تبلغ من ذلك جمال
أختها ، لكن جمالها القليل كان أخطر من جمال
أختها الكثير ... لقد كان جمالها خطراً عظيماً على
كل قلب غريب ونفس خالية ... لقد كان لها عينان
مخسنان النعز وتجيديان التكلم وترفان طريقتيها
إلى سويداءات القلوب ... فإذا أرادت أن تثير فيها
الرجة عرفت كيف تفجر فيها الألم ، فينهر من الميون
دموعاً ... وإذا أرادت أن تفرحها في لجج الترام
فلا نجاة لها ولا خلاص سلطت عليها سهماً مرارشة
تدي شفافها بل تمزقه ، بل تشب فيها ضرماً لا ينفع
فيه طب ولا حيلة معه للواء

هانان عينا وداد !
أما ميوستها فكان سلاحاً لا يقل خطراً عن
مهلكات الترام جميعاً ... لقد كانت ترسل نبراتها

القش، فتصاعد الدخان الكثيف يلاً أرجاء المنزل ،
وقبل أن تنطفىء أُشعلت الورقة الثانية وقد علا ضحكها
وأغرمت فيه حتى نهرتها أنها وصبت عليها جاماً كاملاً
من الشتم واللعن والسباب ... ولكن ذلك لم يمنع
الورقة من أن تحترق وتطوى سرها معها إلى الأبد
كما طوت سرها الورقة الأولى آخر الدهر
وسألها سيدة ماذا كان يضحكها ، وكيف
سرها أن تضحك على ما م فيه من هذا الكرب .
فقال لها وداد : « نجي ا »

فقال سيدة : « وكيف أجن ؟ »
فقال وداد وهي (تبط) الرغيغ و (تخدمه) :
« يجب أن نمنح ا »

فاستشاطت سيدة ، وحدهتها بنظرة محنقة
ثم سكنت

وأكلوا لا هنيئاً ولا مريئاً ... وكان طاهر
يتربص بالرغيغ الأول الذي خرج من الفرن فالتهمه
بقليل من الملح ، ثم نام فوق الفرن وتنطى ، وأخذ
يرسل في أرجاء المنزل غطيطاً مزججاً

وانطلق المؤذن يرسل في سماء المدينة أذان
الفجر ... فهضت العائلة القدسة توسواً وتصلى ،
وتهيأ لزيارة المقابر ، وكان اليوم يوم الجمعة المبارك
الذي تردد فيه الأرواح على رموس الموقى كما يزعم
الجزائى من أهل سكان القبور

وبدت لوداد فكرة خاطفة فلم تردد في تنفيذها
قالت لأما :

— اليوم الجمعة يا أماء ، فبم تصدق على روح
المرحوم ؟

فقال لها الأم الموهوبة :

— تصدق ؟ ولم تصدق يا ابني ، وبم ؟

وذهبت تبحث عن ورقة تشعلها تحت الحطب ،
ولكن عبثاً حاولت أن تجدها ... فلم يكن في البيت
من كتاب غير كتاب الله القدير ، وغير الكتب
الدينية القليلة التي كانت تقرأها وداد في الكتّاب ..
وقد حاولت أنها أن تجعلها تأتى بورقة منها لا لزوم
لها فتشعلها لتشعل النار وليخزوا ويأكلوا
ويستدفئوا ... لكن وداد دافعت عن كتبها النافعة
في دعاة وحزم ، وأبت أن تنزع منها ولو غلافة
داخلية لا تؤثر في بهجة كتاب الديانة ، إن كان
لكتاب الديانة القديم الرث بهجة — ولا تنقص
من كتاب التهذيب شيئاً ، إن كان للكتاب كله
وزن في هذه الليلة البلاء التي اشتد قهرها وفدح سرها
واشتد الأخذ والرد بين الأم وسيدة من طرف
وبين وداد من طرف آخر ... وعبست الأم ، لأنها
كانت تضيق بمزاج وداد ذريعاً ... ثم فاضت كأسها
فزجرت وراحت تسب وتشتّم وتلعن الكتب
والكتّاب وبنات المدارس ... والحمد لله فلم تكن
وداد منهم ، وإن تكن من بنات الكتّاب

وخشيت وداد أن تتناول الأم كتاب الديانة كله
فتشعله بالنفاب لكي تأخذ في عملها ... وفي الحق
لقد أوشكت الأم أن تصنع ذلك ... لولأن تضاحكت
وداد ثم طأنت أنها وأكبت أنها ستأتى لها بورقتين
جيدتين يبنى أن تحرق جالاً ، ويبنى أن تتخلص
منهما الدنيا بأسرها لا هذا البيت الحزين وحده ...
وذهبت إلى غرفة النوم والاستقبال وترية

الكتنا كيت والخزن ، وضحت مسندوق الملابس
والأطباق والتباقيب ، ثم عادت تحمل الورقتين
الكبيرتين وهي تضحك تضحك ساخرة ، ثم أوشعلت
عود النفاب ، ودب اللب في الورقة الأولى تحت

— إذعبي وأنا غير راضية ... واذكري أننا
قراء إلا من الكرامة يا ابنتي
— إطمئني يا أماء
وهنا قالت سيدة :
— وماذا لو أتيت منك يا وداد ؟
فقلت .

— لا ... لا أريد أن يأتي مني أحد ... بل
إن لكم موعداً فلا تخلفوه ...
وانطلقت وداد في ملأها السوداء الشاحبة ،
وراحت تطوي الطريق الموحلة تحت قطرات المطر

الدينة ما تزال ناعمة ، ولم يستيقظ من أهلها
إلا عباد الله الصالحون ... وهؤلاء عادة هم الطاعنون
في السن الذين ينظرون إلى شبابهم المولى فيطمعون
في شباب مثله يكون لهم في جنة عرضها السموات
والأرض ؟ فيعملون له بالصوم والصلاة وإيمان
التفكير والضراعة إلى الله .. وهذا شيء محمود منهم ،
وكان محمد لم أكثر لو أنهم فعلوه في فتوة العمر
وشرخ الشباب وعنفوان الصبا ... حين محمد للمرء
بجاهده للنفس الثائرة والقلب الجوح والغريزة الشابة .
أما هذه التقوى التي تأتي عن مجز الجسم وموات
القلب وعزوف الرغبات فهي تقوى الطمع والبكاء
على ما فات ... على أنها تقوى محمودة ، وهي رغم
ما قامت عليه من نقص خير من شية تصر على التي
وترح في الضلالة ولا تأتي أن تعصى الله ...

كانت تهادى وداد في غبشة الفجر بقدسين
رشيقين كقدى دمية ، وكان الشيخ سيد احمد قد
خرج من المسجد بعد صلاة الصبح يسبح ويمجد الله
ويسأل أن يمد في عمره حتى يعمل عملاً صالحاً يرضاه

— لم تصدق ؟ ألا تعرفين لماذا يتصدق الناس ؟
— أعرف لماذا يتصدقون ... ولكن الناس
كلهم لا يتصدقون !
— أجل ، ولكن يتصدق خيارهم !
— وهل الذين لا يتصدقون هم شرار الناس ؟
— وماذا يكونون إذن ؟
— يكونون إما قاذرين على الصدقة ولكنهم
لا يفعلونها ، وإما معوزين فهم بالصدقة أحق ...
أليس كذلك ؟ !

— ومن أيهم نحن يا أماء ؟
— نحن من الناس الذين لم يكن عندهم أمس
غير هود واحد من الكبريت ، وغير قدحين من
النخالة ...

— ولكننا أكلنا ودفننا والحمد لله !
— الحمد لله ... هذا ما لا شك فيه ! وهل محمد
على المكروه غير الله ؟
— ونستطيع أن نتصدق أيضاً !
— ولم لا نستطيع إذا كنا أغبياء مثلك ؟
— مثلي أنا ؟ ...
— والله يا ابنتي أنا لا أدري بأي أجزاء جسمك
تفكرين ؟ !

— أفكر رأسي طبعاً !
— إذن ترك لرأسك الدبر المفكر الحصول
على ما تصدق به
— إذن دعوني أنطلق إلى القرافة وحدي ،
ولا تلحقوا بي إلا بعد الشروق ...
— وماذا تضمنين ثم ؟

— لا أستطيع أن أذكر لك هذا الآن ...
ولكن أرجو أن تطمئني إلى ما أنا صانعة

- وقبل أن ينحني ليربط حذاءه حانت منه الفتاة إلى هذه
الأبني السارية وحدها في هدأة الصبح ، وقد شدت
ملاحتها حول ردفها شدًا وثيقًا فجعل يهز ويترجح ويغازل
الأبالسة والشياطين ، ويطلق الأناشي والشهوات ،
ويسلط الفتنة على أمثال الشيخ من الصالحين الأواين
ونسى الشيخ صلاته وتسميحه ، وهرول وراء
الفتاة دون أن يعي ربط الحذاء ، فالتصقت الأربطة
بالوحد ، وفي سبيل الشيطان ما يليق الفؤاد المهبان
وجعل السيد أحمد ينتحج ويرسل في الهواء
بعض ما كان يتقنه من لغة المازلات أيام الدنيا شباب
والعمر فينان والقلب مشبوب ... وكانت وداد تعرف
ما أصاب فؤاد الشيخ وما انطوت عليه أضالعه ،
فكانت تتخلف في مشيتها أكثر فأكثر لترى ماذا
يصنع المدنف المتصابي ... وهكذا كانت وداد خيفة
مرحة في طريقها إلى الوتى ! !
وهرول الشيخ سيد أحمد ، وأسرت وداد ...
ثم برز من الظلام فتى عريض الكتفين مشدود
المفضل طوال يبعث في القلوب رهبة ، ويشير في
النفوس حالًا من الهم لا تدرى مصدره ... فانطلق
في إثر الشيخ حتى إذا حاذاه قبض على قفاه بيد جيلة
عاتية وقال له :
- إلى أين أيها الراهب !
— ومن أنت ؟
— ألا تعرفني ؟
— كيف أعرفك وقد أرخيت هذه العبادة على
رأسك كاللصوص والقتلة هكذا ؟
— أي لصوص وأي قتلة يا شيخ سيد أحمد ؟
— عجب ! أنصرفي ولا أعرفك ؟
— إذن فاطمن لمعرفتي إياك على الأقل
- من أنت بالله عليك ؟
— ليس من شأنك أن أذكر ذلك لك ...
— ومن شأنك أن تكسر رقبتي يا وادي ؟
— وما قيمة رقبتي تخرج من المسجد لتنتقل
وراء امرأة كالكلب للسور هكذا ؟
— أنا يا وادي ؟ أستغفر الله ... أستغفر الله !
— أحقًا تستغفر الله يا شيخ سيد أحمد ؟
— أستغفره وأتوب إليه ... لقد تركنا هذه
الصبوات لكم يا شباب العصر
— إذن أين كنت معتزمًا أن تذهب ؟
— أזור مقابر المسلمين
— وماذا لك في مقابرهم أيها الأب !
— عظة وعبرة لمن لا يسمع ولا يعتبر يا ...
ما اسمك إذن !
— أنا ... أنا عزرائيل !
— أعود بالله منك يا سيد عزرائيل ... أترك
رقبتي جعلت فداك !
— لن أتركها حتى تصدقني ... ألم تكن تتبع
هذه المرأة الزداح ؟
— والله إنك لا ذوق عندك !
— وكيف ؟
— لا أنت تركتني في سبيل ولا أنت الذي
تسرع حتى ...
— حتى ماذا يا سيد أحمد ؟
— حتى لا تفوتنا يا خبيث !
— إذن هلم ...
وانطلق الشيخ والفتى في إثر وداد ، وكانت
قد ابتعدت كثيرًا هتفهما ، بيد أنهما لحقاها بيد
جهد ، وكان الطريق قد انمرج ناحية المقابر ، وكانت

سكان هذا العالم الثاني ؟ لا أحسب أن الفراق هو الذى يبكي الناس . إنه الفزع من ظلام القبر وديدانه . الفزع من أن يأتي اليوم الذى تنيب فيه فى ظلمات التراب وتناكلنا ديدانه ... نحن نخاف على أنفسنا ؛ ولذلك فنحن نبكي علينا لا على ذنوبنا . وإن يكن منا قليلون يكون على أجبائهم !

أية فلسفة فارغة هي هذه الفليسة ؟ أن وداد ؟ آه ! هاهي ذى جالسة على الترى تلو آيات من الكتاب ! حقيقة إن فى الدنيا جمالا هو الذى يجب الناس فيها حتى ليؤثروها على كل شيء ، حتى على الحياة الباقية ... !

ما أجل ما يزل القرآن قبل الشروق بصوت ساحر هادئ رقيق مثل صوت وداد ؟ ! هذا هو القرآن المشهود ... قرآن الفجر !

لقد اجتمع الناس من كل صوب ليسموا إلى هذا الترتيل كأنه ينطلق في آذانهم من مزمور داود ... ثم سكنت وداده فندست الأم المحزونة الجالسة فوق ترى ابنها قطعة فضية من ذات القرشين في يدها ، وأقبل الناس يدسون في اليد نفسها قروشاً كثيرة نهلت لها أساور المقرة الجريئة . ولا انتقلت في صف آخر من المقابر القريبة وجدت أخانا الشيخ سيد أحمد عند قبر منفرد يتحدث إلى صاحبه الذى يسمى نفسه عزرائيل ، فلما شاهدناها صمتا ... ثم رأى الشيخ أن يجرح كأن فرصة الزاح كانت مؤنثة ، فقال لها وقالت له :

— ألك فى صورة تفرئيني على موتانا يا ست الشيخة ؟

— ولم لا ... أنا مستعدة يا شيخ سيد !

— يا خيرا ! أنت تفرئيني ؟

رهبة الأبدية تنشر ظلالها ثمة ، وأشباح الموتى ترف فى فجر أمشير ، لكنهما لم تكن تميز الرعب فى قلب وداد المعبوب ، ولا تدع الرجل والشباب عن يتابعة الفتاة .

قال الشيخ وقال الفتى له :

— هل صليت الصبح يا ... سيد عزرائيل ؟

— صليته ما فى ذلك شك ...

— وماذا أفادتك صلاتك ، وقد جعلها الله لتتعى

عن الفحشاء والمنكر ؟

— إنها إن لم تنهى هذه المرة فإنها سوف تنهى

يوماً ما ... لكنك أنت ... هل صليت ؟

— إلى أغاب نفسى على الصلاة فلا أستطيعها

وأسأل الله أن يهديني قريباً

— ومتى تنتظر أن يهديك الله يا سيد عزرائيل ؟

— أحسب أنني لن أعتدى قبل أن أتزوج

— وماذا يمتنع من الزواج ؟

— لا يعنى شيء ... فقط ...

— فقط ماذا ؟

— أخشى ألا أعتدى بالزواج كالمتهتد أنت به !

— ستمود إلى ردائك من جديد .. أسرع ..

أسرع يا مغفل ... لقد فائتنا الفتاة ...

وكانت وداد قد فائتها بالفعل ، وكانت قد غابت

عن أنظارها كأنما ابتلعها المقابر

ماذا هنا فى هذا العالم الثاني ؟ !

لماذا يبكي الناس كثيراً هنا ؟

هل هو الفراق الذى ينجر دموعهم وعللاً

أفقتهم أجزائنا ؟ !

هل نحن فى هذه الدنيا الخائلة أحسن حالاً من

- رأسه ... أما هو فقد تبهما بمد أن عرفها يرى إن
كانت الفرصة تمنح ليخاطبها عن سيدة ؟ لكنها
كانت خبيثة ، وكانت تعرف أنها ذاهبة إلى القابر
لترى إن كانت تستطيع أن تصل عمل المغفور له
والدها العزيز الراحل ... لذلك لم تتكأ ليكلما
خاله ، حتى كانت أمام المسجد ، وكان ما كان من
لقاء الشيخ سيد أحمد للسيد عزرائيل ...
- وتربت وداد على الترى البلبل وأخذت في ترتيل
آيات الذكر الحكيم ... فلما رتل : (قل للمؤمنين
يفضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ...) جملت
تردها في خشوع وخشية ، وكان الأذن الشرق
قد بدأ يصطبغ بماء الورد والبنفسج ، وكانت
حواشي السحاب الرائع تشر في الشرقيين أذلالها
فتضاعف جلال الترتيل ، وتترج بالصوت البكر
والقراءة المنيرة ، ثم تترقق جمالاً وتقوى في قلب
خاله وفؤاد سيد أحمد ، الذي عرف من صاحبه أن
الفتاة هي ابنة صديقه الشيخ محمد رحمه الله
وختمت وداد آياتها ، ثم همت بالانصراف ،
فد خاله يده بقطعة فضية كبيرة ، وكذلك صنع
الشيخ سيد أحمد ، ودست وداد القطعتين في جيبها
ثم ذهبت من طريق ، وذهب الرجلان من طريق
آخر ، كما ذهبت الشياطين كلها من طرق شقي وفي
وجوهها حسرة ، وفي أفئدتها تلدد ، لما أصابها من
الفسل في أداء مهمة الشر التي أبقت من الجنة
بسببها ؛ والتي من أجلها قامت الله العلي أن تقعد
للناس صراطه السقيم .
- ***
- لماذا لم تحضروا ليعادكم ؟
— كان أخوك ناعماً فخشينا أن تركه وحده ...
- وكيف لا أعرفك وقد كنت صديق والدي !
— والده !
— أجل والقي ! هل نسيت ؟
— ومن والده ! يا ست الشيخة ؟
— يا للوفاء ولا للأوفياء !
— لست أذكر ! من أنت ؟
— ألا تعرفني ؟
— لي الشرف !
— ما دام لك الشرف فاسمعي أقرأ لك أولاً
— تفصلي !
— أكل أن يروقك ترتيلي ... أليس كذلك
يا سيد خاله ؟
— خاله ؟ ومن خاله ؟
— صديقك هذا ... أليس هو خاله أفندي
عبد النبي ؟
وجنّب الشيخ سيد أحمد النطاء عن رأس
صاحبه فإذا هو خاله عبد النبي حقيقة ... وقد يجب
عجباً شديداً كيف لم يعرفه وقد ماشاه كل هذا
الوقت من مسجد ولي الله إلى هذا العالم الثاني !
ولكن كيف عرفت وداد خاله ؟ ! المسألة
بسيطة جداً ... إن هذا الجسم المتلي الذي اكتر
عضله ليس لأحد في البلدة إلا لخاله ... وقد كان
خاله المذنب بسيدة بنت الشيخ محمد يحوم حول حمى
حبه في مثل هذا الوقت من كل فجر ... وكانت
وداد تعرف هذا الأمر ، وكانت غير خفيفة تدب
في قلبها من أجل أن القنص ليس قنصها ، فلما
خرجت هذا الفجر قاصدة إلى القرافة كان خاله يقطع
الطريق أمام النزل الفقير جيئة وذهوباً ... وقد
عرفته رغم الباعة الكبيرة التي كان يخفي في ثناياها

كان الله البلى قد زودها بهذا الصوت الساحر الذى
أخذ يلعب بالباب الجماعير ويحلب أفتدسهم ، والذى
لا تنقصه إلا صنعة قليلة وإلا عودُ مِصرن ، أو وتر
مرنان لينطلق مدويًا بين أصوات الفنانين !

وبعد ، فلقد ضاقت البلدة الصغيرة ببقرية الفتاة ،
وأخذ الطائر المحتجبُ فى صدرها يهفو إلى جنات
أخرى ... إنها تسمع إلى راديو المقهى البلدى القريب
من منزلها فتعجب كيف اشتهرت هذه الأصوات
المنكرة وكيف تدوى فى آفاق العالم على حساب
شهرة أمحائها ، فى حين تتوى هى فى هذه البلدة
الصغيرة المجهولة كيوسف المحبوس وهو النبي الوفى
الأمين ! !

ولكن أين تذهب وداد وفى عنقها هذه المائلة
القدسة ؟ ! إن القاهرة قرية حقًا ، لكن كيف
السبيل إليها ، وبينها وبين مدينة الملك هذا الملاك
الحارس الذى هو أمها ؟ ! ثم ماذا تصنع فى القاهرة
الفاروقية التى لا تعرف فيها أحداً ؟

ولكن لماذا لا تجازف ؟ هل كانت تعرف أمها
ستبرع تلك البراعة فى تريل القرآن وإحياء المولد ؟
إن كل مشروع مفقود قبل كل شيء إلى القاحلة .
وكم أمل طويل عريض قضى عليه التردد ، ولوسنده
قليل من الإقدام لطار يصاحبه بنجاحى نسر فى سموات
المجد والشهرة .

— سأسافر غداً يا أماد إلى القاهرة ؟

— القاهرة !

— أجل ... القاهرة العظيمة

— ما هذه المفاجأة يا ابنتى ؟

— لا مفاجأة ، ولا شيء ... لقد عنيت

أن أجرب حظي هناك !

عسى أن يكون الله قد فتح عليك يا وداد ! !

— الحمد لله حمدًا حتى يرضى !

— وما هذا الذى فى (طرفك) إذن !

— خير كثير ومال !

— مال !

— ولم لا يكون مالا ؟

— ومن أين لك المال يا ابنتى !

— كما كان أبى يصنع صنعت !

وجلس وداد تمد الرغفان والكسكس ، وأقبلت
سيدة وأقبل معها أخوها على أوصال القصب بمصائبها
بشغف ، وهما بين الفينة والفينة يقضيان كمّة
أوبيا كلان قطعة من المعوجة المقشورة اللبسة بالسهم
وكذا أبدت الأم انتقاداً لما صنعت وداد راحا يجادلانها
ألا سبيل إلى (السّتر) إلا هذا السبيل ! !

أما النقود فقد أدبت على الخلسة وعشرين قرشاً
فكانت وحدها أكبر برهان على عبقرية وداد ومحة
براهين سيدة ، وعقم مرارة الأم وفساد انتقاداتها

اشتهر أمر وداد القرية ومحبة لىالى المولد النبوى
فى كل القرى المجاورة ، وأخذت أنهار الخير تنصب
فى البيت البائس الفقير حتى عمرته ، وحتى بدلت
أتراحه ، وما راع الناس إلا هذه البهارة التى جددت
شباب المنزل وكسته بالملاط ودهنت يابه وشبابيكه
فأصبح (قيللا الشيخ محمد ! !) ، كما كان الخبثاء من
أهل المدينة يسمونه ! !

تُرى ! ماذا كان يحتجبُ فى أعماق وداد من
الأمانى والآمال ! ! إن الله قد وهبها مسحة من الجمال
الساحر للفائض تكفى لأن تكون رأس مال امرأة
تريد أن تلمب دورها فى الحياة بمجارة ... فما لها إذا

- يا ابنتي لقد كبرت ، فكيف أطمن عليك في تلك البلدة ففى الأهل والوطن والحيا والمات ...
في بلاد الغربة ؟
- القاهرة بلاد غربة !
— ألسنت ستكونين بعيدة عني ؟
- ولماذا لا أجرب يا أماء ؟ إن لدينا من النقود ما لا نحشى منه منية التجربة !
— هذا كلام جميل ... لكن ...
- لكن ماذا ؟
— لكى أخشى عليك من القاهرة يا ودا !
- ولماذا نخشين على منها يا أماء ؟
— إنها فتنة يا ابنتى ... وصنعتك أقرب ألوان
- الصنعة إلى فتنة القاهرة وضلالاتها ، فإذا كان الهاتف الذى يدعوك ويجذبك إلى القاهرة قويا
- مفرقا ؟ فإن هاتفاً أقوى منه قد قذف فى قلبى الرعب من مشروعه هذا !
- سيمرفى الكثيرون بمد قليل .
— وكيف ترفين هذا !
- هاتف يا أماء ! هاتف جميل ما يزال يدعونى وبوسوس بالأمانى البراقة فى صدرى . لا بد أن أتبعه لا بد أن أتبعه !
- ألا تسمعين نصيحى يا ودا !
— وم تنصحين يا أماء ؟
- بالأنا تدارى بلدنا هذه
— ولماذا ؟
- لأنها درت علينا أخلاف الرزق
— وهل لا تدرى القاهرة أخلاف الرزق ؟
- إن القاهرة يا ابنتى بلدة عظيمة شاسعة ، وبناء الشهرة فيها من المضلات ... وليس أشأم
- فى حياة الإنسان من ترك ما هو فيه مما عرفه وخبره من وسائل الرزق إلى ما لا يعرفه من وسائله ، خصوصاً
- فى بلد مثل القاهرة . وقد كنا فى حال من الضيق قبل أن يفتح الله عليك ، فبدل الله ضيقنا سعة وشقاءنا
- نعماً ودعة ، فإذا سمعت نصيحى فامكثى هنا والبش
- فى تلك البلدة ففى الأهل والوطن والحيا والمات ...
— ولماذا لا أجرب يا أماء ؟ إن لدينا من النقود ما لا نحشى منه منية التجربة !
— هذا كلام جميل ... لكن ...
— لكن ماذا ؟
— لكى أخشى عليك من القاهرة يا ودا !
— ولماذا نخشين على منها يا أماء ؟
— إنها فتنة يا ابنتى ... وصنعتك أقرب ألوان الصنعة إلى فتنة القاهرة وضلالاتها ، فإذا كان الهاتف الذى يدعوك ويجذبك إلى القاهرة قويا مفرقا ؟ فإن هاتفاً أقوى منه قد قذف فى قلبى الرعب من مشروعه هذا !
— سيمرفى الكثيرون بمد قليل .
— وكيف ترفين هذا !
— هاتف يا أماء ! هاتف جميل ما يزال يدعونى وبوسوس بالأمانى البراقة فى صدرى . لا بد أن أتبعه لا بد أن أتبعه !
— ألا تسمعين نصيحى يا ودا !
— وم تنصحين يا أماء ؟
— بالأنا تدارى بلدنا هذه
— ولماذا ؟
— لأنها درت علينا أخلاف الرزق
— وهل لا تدرى القاهرة أخلاف الرزق ؟
— إن القاهرة يا ابنتى بلدة عظيمة شاسعة ، وبناء الشهرة فيها من المضلات ... وليس أشأم فى حياة الإنسان من ترك ما هو فيه مما عرفه وخبره من وسائل الرزق إلى ما لا يعرفه من وسائله ، خصوصاً فى بلد مثل القاهرة . وقد كنا فى حال من الضيق قبل أن يفتح الله عليك ، فبدل الله ضيقنا سعة وشقاءنا نعماً ودعة ، فإذا سمعت نصيحى فامكثى هنا والبش
- أليس هذان
— هما أكثر جوانب الحياة بريقاً ؟ أليس كل الناس يطلبون الشهرة والمال ؟ فكى يا أماء فى حالنا قبل أن يطير ذكرى فى هذه الثرى وقبل أن تنقلى أيدينا بالمال ... هل كان حال يسر ؟ أذكركن لهلة

للكساة ، لأنها سرعان ماتيل ويا أكلها الصدا وتنقلب
حسنتها إلى سيئات ربما دفعت الدولة أموالاً طائلة
لتنق غوائلها ...

— لقد أسرفت في مدح المال يا ودا

— ولماذا لا أسرف في مدحه وهو عندى كل

شيء فى هذه الحياة ؟

— كل شيء !

— أجل ، كل شيء ، لأننا أصبحنا فى عصر

تبدلت فيه الظروف القديمة ؛ فتحول الناس عن صوفية
الفقر إلى صوفية الثنى

— ومع ذاك ، فأنا أخشى عليك من القاهرة ؟

— وماذا تخشين على منها يا أمى ؟ أتخشين أن
يعرفنى تيارها ؟

— كدت أقول هذا !

— إنه تيار جبل رخی لن يحسن السباحة فيه

— ومن ذاك الذى يحسن السباحة فى تيار

القاهرة

— أنا !

— أنت ؟

— ولم لا ؟

— لأن التماسيح تسبح فيه بكثرة ، وهى كما

تملین تسبح أحسن منك !

— إطمئن ... فسأحل بتدقيد سيدى دائماً

لم تستطع الأم البروم أن تنفى عزبة ابنتها عن
السفر إلى القاهرة ... لأن إرادة ودا كانت إرادة

فولاذية لا تلين ، وفى الحق ، لقد كانت ودا تسمع
هاتفاً قويا يناديها ويلون لها الأمانى ويهرج لها

الأحلام ، ويتبدى بها جالس على عرش عظيم مرمد من

أمشير ؟ أما زلت تذكرين أخى طاهراً وهو يلهم
قطع المعجين ؟

— أذكر هذا كله يا ودا ، لكن الشهرة

والمال ليسا شيئاً قط ما لم يكن تحتكما دعائم من
السعادة !

— وماذا يصنع السعادة كما يصنعها المال ؟

— المال وحده لا يصنع السعادة يا ودا

— هذه أقوال الفلاسفة النظريين يا أماء ،

أوهى أقوال الساكنين والفقرء ، وهم يقولونها
ليسوا بأنفسهم ... إنها علالة يملأون بها أدمغتهم

الفارغة .. إن الرجل الذى لا يسند المال لا يستطيع
أن يعرف ما هى السعادة ! يشفق الفقراء فيقولون

وماذا ينفع المال إذا أصابت الإنسان مصيبة فى محته
أو فى عرضه أو فى ولده ؟ أكان الفقير بنجوة من

أن نصيبه المصيبة فى محته أو فى عرضه أو فى ولده ،
وهى إذا أصابته فى شيء من هذا كانت مصيبته أفسح

من مصيبة ذى المال ، لأن مصيبة الفقير تصادف
قلباً مكتظاً وبدأ فارغة أما مصيبة الثنى فتصادف

عكس ذلك . إنها تصادف قلباً فارغاً وبدأ مكتظة
وشتان بين الحالين ... لا تصدق يا أماء أن الفقير

قيمة فى عالم الحقيقة ... إن أكثر قيمته ناشئ من
عطف الناس للمصطنع ... وهم يقولون إن الفقير

ملكات قد لا تكون للثنى ، ولست أدري لماذا
لا يكون للثنى أحسن وأكثر من ملكات الفقير ؟

على أنه إذا كان للفقير ملكات فإذا ينمها إلا المال ؟
إن الفقير محتاج لكى ينمى ملكاته إلى ملجأ أو جمعية

خيرية أو غنى من أهل البر أو حكومة منصفة عادلة
كى تأخذ بيده وتعينه بالمال حتى تنضج ملكاته ،

فإن لم يجد معينه الذى يسندة بالمال فلا قيمة مطلقاً

- المجد والنشرة إذا هي ذهبت إلى القاهرة ، وقد
استجابت لندائه ؟ فذهبت إلى المحطة بعد أن ودعت
المائة المقدسة ، وركبت القطار للمرة الأولى في حياتها
ولقيها الشيخ سيد احمد غياها وحيته ، وجلسا
على مقعد واحد من مقاعد الدرجة الثالثة :
- إلى أين إن شاء الله يا ست الشيخة !
— ست الشيخة ؟
— يا ست وداد !
— هذا أفضل !
— وله ؟
— أنا ذاهبة إلى القاهرة ، فكيف أكون
الست الشيخة ؟
- زيارة لأهل البيت أم ماذا ؟
— سأزور أهل البيت إن شاء الله ، ولكن
ليس لهذا اعترمت السفر إلى مصر !
— لعله خير إن شاء الله !
— خير ... خير عظيم إن شاء الله
ثم أخذ الشيخ يداعب ويمزح ، وذكر الفتاة
بفجر أمشير ، فقالت له :
- وبمناسبة فجر أمشير يا شيخ سيد ، هل
أحبك صوتي يومها ؟
— أحببني صوتك ؟ أهـ أكبر ؟
— لم أفهم !
— ما هذا السؤال يا ست وداد ! لقد سحرتي
صوتك وهو ما يزال يرن في أذني إلى اليوم !
— وهل سمعتي بعد ذلك ؟
— سمعتك كثيرا !
— وما رأيك في صوتي بصفتك من موازين
الفن في بلدنا ؟
- رأيي !
— أجل ... أنا أسألك عن رأيك الحق ، ودع
عنيك عاولة إرضائي
— رأي أنك لم تتقني لبلدنا الصغيرة باستوداد !
— ولأبي البلدان خلقت إذن ؟
— أقول لك الحق !
— هذا هو ما أطلبه منك
— لقد خلقت للدينا بأسرها يا وداد ، واعندربي
إذا خاطبتك هكذا
— أنت تبالغ يا شيخ احمد ... يا شيخ سيد ...
لا تؤاخذني فقد ربكتني
— والله إنك خطئة في البقاء هناك ! طبرى
يا شيخة ! طبرى إلى القاهرة فعلى مهد الفن ، وهي
وحدها التي تنسج لك
— وماذا أصنع هناك وأنا لا أعرف فيها
إلا قليلين من أعاربي !
— ماذا تصنعين ! أركبي لي هذا الأجر أدبره
وأنا أضرب بك كل فتاتي مصر والشرق !
— يا رجل ...
— أقسم لك يا وداد لو سلتني زمامك لندوت
ملكة الفناء في مصر ؟
— ملكة الفناء ؟
— أى نعم ، ملكة الفناء ... إلى أرى
ألا تقصرى حياتك الفنية على ترتيب القرآن وإحياء
الموالد ... إن صوتك المطاط الرنان هو أليق الأصوات
للغناء ، فلودرس الألحان وشدت شيئا من الموسيقى
لندوت ملكة الغناء كما قلت لك !
— كلامك جميل ولكنه لن ينجدني
— ليس إلى خديبتك أردت يا وداد ... تق
أننى أقول لك الحق !

البال والصحة والحياة الهادئة في كسريت حقير .
 فهو لاء في رأها مندورون لأهم لا يملكون أن
 يقولوا إلا هذا . وهم يقولونه وهم يعرفون أنهم يتالطون
 أنفسهم ويتالطون النطق ، لأن الصحة في الغالب
 لا تتوفر إلا للثني ، وراحة البال كذلك هي من
 نصيب النفي قبل أن تكون من نصيب الفقراء والحياة
 الهادئة إن كان في هدوء الحياة شيء من الفضل ،
 هي أقرب متناولاً للثني منها إلى الفقير ، لأن الفقير
 يخشى الجوع دائماً وهو من خشية الجوع ينسى
 كثيراً من فضائل الإنسانية العالية ، فهو دائماً
 يتلقى من هو أعلى منه ، وهو دائماً ذليل يفتنى
 على الهوان ، ثم هو مع ذلك شديد الحقد شديد
 الحسد ، ثم هو متبوع دائم للجرائم . فإذا عفا عن
 الجريمة فإنه قلما يفتنى عن الحقد وحسد الأغنياء ؛
 والدولة التي يشتد الفقر بين أفرادها هي أشد الدول
 انحطاطاً وأكثرها عكوفاً على الموبقات ؛ والدولة
 التي لا تمايز فقراءها بإصلاح أحوالهم الماشية وفتح
 أبواب الرزق لهم ، لن تستفيد كثيراً بالاستشفيات
 والملاجئ والسجون التي لا تنبها إلا للفقراء ، ومثل
 هذه الدولة ممرضة دائماً للحسد الأكبر ، والحسد
 الأكبر هو البلشفية ، لأن البلشفية هي ثمرة حسد
 الفقراء للأغنياء ، ثم هي ثمرة غريزة حب التملك ،
 لأنه ليس صحيحاً أن البلشفية تأتي التملك ، فلقد
 أراد متمنقوها بادی الرأي حرمان الأغنياء من
 أملاكهم ليملكوهم باسم الدولة ، والمليكية هنا
 وإن لم تكن حق التصرف فإنها تمنى فائدتها الكبرى
 وهي الانتفاع
 استطاعت وداد هذه الفتاة الفتية المحدودة
 الثقافة ، التي ازدهرت عبقريتها أول ما ازدهرت

— وكيف لي أن أنتم الألمان والموسيقى ؟
 — هنا من أسر الأشياء عليك إذا رضيت
 أن تأخذني رأيي !
 — إذن ماذا نصنع !
 — صديق الشيخ زكريا !
 — الشيخ زكريا ؟
 — أجل ... إنه يملك الألحان والمود في
 ثلاثة أشهر
 — ثلاثة أشهر فقط !
 — بل في أقل من ثلاثة أشهر يا وداد !
 — هذه مبالغة لا شك
 — ليست مبالغة ، لأنك فتاة بطبعك ، والطبع
 كالأرض الخصبة التي لا ينقصها إلا البذر لتمطي
 أكلها
 — إذن ...
 — اتفقنا ...
 — اتفقنا يا شيخ سيد !
 — وعلى ذلك نقصد من عسلة مصر إلى منزل
 الشيخ زكريا مباشرة !

المال ! !

هذه هي الأنشودة الهائلة التي كانت تملأ خيال
 الفتاة الفتاة وداد ! المال هو كل شيء في هذه الحياة ،
 إنه محور السعادة في نظرها ... والسعادة في نظرها
 هي القصور والبساتين والسفر وتلقى الفقراء للأغنياء ،
 وشعور القدرة على قضاء الحاجيات ، والتحكم في
 مقادير الخلق ... المال هو كل شيء في حياة الأفراد
 كما هو كل شيء في حياة الدول ... أما المفلسون
 الذين يذمون المال ويشتمونه ، ويفضلون عليه راحة

مرض وضف ، ثم إن أمها لم تحش عليها من القاهرة إلا الفتنة ، وما هو من باب الفتنة من حب وغرام وشلاة أخرى

وكانها عاهدت نفسها قبل أن تركب القطار إلى القاهرة إلا أن تحقق رجاء أمها فلا تنهزم أمام أبالسة العاصمة ، وشياطين الضلالات فيها ، فكانت دائماً تذكر ما حدث بها أمها منه ، فلم تكن تأبه كثيراً لنظرات المشاق الطائرة ، ولا لكلماتهم المصنوعة ، ولا لأشاراتهم الفاسقة التي لا يريدون بها غير وجه الشيطان ، وغير إشباع البانات والشهوات .

برعت وداد في الفناء الفني براعة هائلة ، واستطاعت أن تبتكر ألواناً جديدة من الفناء التمثيلي ثارت بها على عرف التخت الشرق الجامد ، ولم تبال أن تمزج بين الفناء وبين الرقص التوقيى ، ولم تزل بأختها سيدة تطن في أذنها بالألوان الجميلة والآمال المسولة حتى حبت إليها الحياة الفنية ، وجملت نفسها برفق في أجواء المسارح والسينات ، وكان أكثرهما أن تشاركها أختها في عملها ، فقد أوتيت سيدة من الجمال نصيباً لم يتوفر لوداد ، وجمال ريات الفن هو نصف رأس ما هن ... فإذا اقتسما العمل فستكون وداد للفناء وستكون سيدة للرقص ، وجسم سيدة كفيف اجتذاب الجماهير ، لأنه جسم صرصرى سليم له بشرة وردية يترقق فيها عطر ليست فيه رائحة ، ولكن فيه مغناطيس يكسبه زغب المنيرة سحراً وقوة

ولكن الرقص ما زال معدوداً في مصر خلاعة إن لم يكن فجوراً ، والناس - أو أكثر الناس - لا يعرفونه فناً من أروع الفنون التي لا تقل قيمة عن الشعر أو الرسم أو التصوير أو الموسيقى ، بل

بين القبور وترى الموتى ، وفي بيت والدها الفقير البائس الموز للغفور له الشيخ محمد ، استطاعت أن تفكر كل هذه الأفكار ، لأنها أفكار خفيفة سطحية تدور بخلد كثير من الناس فيما يتعلق بدولة المال ، لكنها امتازت عن هؤلاء الناس بإقدامها وحسن استفادتها لما زودها به الله من مجال قليل لكنه غامض ، وهنا مقدار فتك الجلال إذا أُجيد استخدامه ، ثم هذه الحنجرة الغالية التي اكتشفها وداد في جزمشير ، وعرف قيمتها الشيخ سيد أحمد فاقتراح تقويمها بالألحان والموسيقى لتكون صاحبها ملكة الفناء في مصر .

وقد صدق الشيخ سيد أحمد ، فقد مضت ثلاثة أشهر ثقفت فيها الفناء عقد الموسيقى العملية ، واستطاعت أن تلعب على العود فتأتى بنتم كان له الفضل الأكبر في تقويم صوتها ، لأنه كان كلاماً والساد صادفاً أرساً صالحة فأثبتت من كل زوج بهيج وقد أعجب الشيخ زكريا بوداد ، وراعه منها حسن استمداها وتوفرها على دروسه ، وكان يربكه منها جمالها الغامض ، واستطاع أن يقاوم مغناطيس الحب في فؤاده شهرين متتابعين طويلين ، وفي الشهر الثالث مرعه التيار العنيف فباح بحبه ، ولكن ليس بلسانه بل بدموعه ، ولم تسأله وداد لماذا يبكي ، فقد كانت أذكي من تلك المنزلة لكنها داعبته بكلمات ظريفة نسي بها تباريحهم ، ثم غلت تحاصر هواه وتمت به حتى برعت في الألحان وألّت بدروس السود ...

وحينئذ ... أخذت تقف منه موقف الفتاة التي لم يتفتح قلبها للحب بدم ، لأنه قلب يشغله أمل أوسع من الحب دولة وأقوى منه سلطاناً ، ذلك هو أمل المال .. المال قبل الحب ، لأن المال صحة وقوة والحب

التي أعقبت الانتهاء من عرض النظر الأول، والتي أطلقوا فيها أكتفهم وحناجرهم تصفق وتدوى بالتحية والإعجاب، وكانت باقات الورد والرياحين تنتثر فوق المسرح تحت قدمي وداد، ووداد تبسم ابتسامة رقيقة محشمة، وتنتظر نظرة واجفة نحو أختها سيدة لتتغير ماذا تم من أثر هذا العرض في نفسها

وانتهت الحفلة، وكانت نصيبها اللانهائي من النجاح، وفي اليوم الثاني، بدأت طائفة من أكرم الهدايا تصل إلى وداد من شخصيات مصرية كريمة لا يمكن أن يكون تقديرها لمارأت من رقص وسمعت من غناء تقديرًا شائهاً لبليسا كما تمود الآخرون أن يفعلوا؟ وقد اتفقت وداد من الهدايا حلياً غالية وضمتها يدها على جيدسيدة وفي رأسها وإسمها ...

— أ رأيت يا سيدة !

— ... ؟ ...

— هل أصابني سوء مما فعلت يا أختاه ؟

— أنت جريئة ... جريئة جداً يا وداد !

— ولم لا تكونين جريئة أنت أيضاً يا أختي !

— أعني أنت أكون كذلك ... ولكني لا أستطيع الآن !

— بل تستطيعين ... فقط ...

— فقط ماذا ؟

— تتعلمين

— وماذا أتعلم

— تتعلمين ما تعلمت ... الأستاذ صادق فنان

متقدم في السن، حميد الخصال موفور الأدب طيب السيرة، وهو الذي تولى تلقيني هذه الدروس في الرقص، وهو الذي سيتولى تلقينك أيضاً !

يعدونه من تجارة تكسب المال بالأجسام، فهو عندهم باب الزنا . ولذلك فهم يعدون كل راقصة فاجرة تتجر بجسمها أمام الناس وتوزع عانسها بالقروش على أبصارهم يأكلونها ساعة أو ساعتين ثم ينصرفون وقد تأججت شهواتهم بين أسالهم، وفي خلدوم صورة الراقصة المسكينة ما تزال تيس وتدل وتتأود وتثني ...

هكذا ينظر الناس في مصر إلى الرقص والراقصات، وقل منهم من ينظر إليه نظرة أرفع من هذه النظرة وأسمى، ولذلك فقد وقعت وداد أمام مشكلة هائلة وهي تجاوز أختها كي تقننها باحتراف الرقص، وكانت وداد قد تلقت دروساً في الرقص التوقيعي على يدي فنان عظيم، فلم يسمها يوماً إلا أن تدبر حيلة لتحارب في نفس أختها النفور من تلك الحرفة الجلية، فدرت حفلة مجانية في صالة من أكبر صالات القاهرة؛ ثم دعت إليها طائفة كبيرة من علية المصريين الذين سمدوا بفنائها وعرفوا ما فيه من أسرار القوة والنبوغ، فلبوا الدعوة جميعاً، ولما حان موعد الفناء تجردت وداد من ثيابها العادية ثم أضفت عليها ثياب الرقص للنظر الأول الذي أطلقت عليه اسم « أمل فتاة » . وكانت صور النظر قد نقشت على ستائر المسرح بأيدي كبار الفنانين المصريين الذين أوتوا في هذا السبيل نصيباً عظيماً من العبقرية وسلامة اللبوق في أداء المعنى وإضفاء الروح الشعرى على النظر المطلوب ... وبرزت وداد بعد إطفاء الأنوار وأخذت في الفناء وتوزيع الرقص في غمر جيل من الأشعة ذات الألوان المختلفة ... لله ما كان أجلها وما كان أروع تنظها وهي تتأود في فيض أشعة البرتقال ! لقد كان الناس معنورين في هذه النوبة الجنوبية

المال الكثير والثروة المديدة ، واستطاعت أن يكون لها مسرح خاص أصبح قبة رواد محي الفن الخالص المحرد الذي لا يستعين في استغواء الشباب بالأداف والأغاذ والتجوى الخشنة والحلوة التي يطير فيها الميراث وتبيد الثروات ... وكان لوكريا برغم صمود وداد منزلة الملحن الأول في المسرح كما كان لصادق برغم صمود سيدة منزلة مخرج أدوار الرقص ... وقد طال حب البطلين للبطلين ، لكن الفتاتين لم تفتحوا قلوبهما لأحد ... لقد أصبح جمع المال وتنمية الثروة طبيعة لها ... فهما لا تعرفان حباً بحب الذهب ولا غراماً كغرامهما بالأسهم والسندات والبور والقصور والزارع والضياح ... لقد أصبح لها من ذلك الشيء الكثير ... لكنهما مع ذاك صابتا عفافهما ، ولم تجعما بما جمتهما ملياً واحداً حراماً ، ولو قد التفتتا إلى جمع المال من طريق حرام لاجتمع لهما هرم كهرم خوف من الذهب .. لقد كان غناه وداد دروساً في الوطنية وأغاريد في الحب والجمال وحفز الهمم إلى الممالي ، وكان غناؤها يترج برقص سيدة فتكون حولها جنة كلها لمجاز وكلها حور ومياه دافقة وزهر وشجر وطير وغمر يانع جناه دان ودوح غصونها حوانى ... لقد كان فهما شيئاً جديداً في الفن المصرى ... لأول مرة شهد الجمهور المصرى رقصاً لا يشير شهوة ولا تملق الفرزة الجنسية ، وإن يكن جسم سيدة جسماً يانماً يافقاً فيناً تأكون يكن لهذا الجسم الياغ الفينان ثديان يلقطان الفؤاد الخلى ، وساقان نامتان مستويتان ، وخصر لطيف نحيل وذراعان لدنتان ، تنهيان بأصابع عاجية تكاذ تنمقد من لين وطراوة . أما وجهها فهو دولة كاملة من الباهج والمفاتن ، وحسب الغم تلك الابتسامة الفررة البريئة التي لم تعرف الختل ، وحسب المينين

— وأهى بإوداد! آه لو رأكت الليلة الماضية !
— أهى ! وما دخل أمنأ إلا في المحافظة علينا من أن نزل !!
— هى تمتقدأنا في حياتنا هذه أدنى إلى الخطيئة —
— لتعتقد ما تشاء ، أما نحن فنسأل الله أن يقينا مصارع الزلل
— وكيف نسأل الله أن يقينا مصارع الزلل ونحن نلقى بأنفسنا مكتوفين في اليم ؟
— هذا وهم كاذب ... إنك يا أختاه ستقومين بأداء أدوار من الرقص التوقيى التثبيلى إما بمفردك وإمامى ، ولن يشترك معنا أحد ... إن آمألى الواسمة في عالم الفن مفترقة إلى جسمك الخصب أشد الافتقار ... إن جسمك المشوق الممتلى لم يخلق لشهوات الأزواج فقط يا سيدة ! إنه خلق للكفاح في دنيا الفنون ، وثق أن الله سيحفظنا من شياطين الإنس ما دمنا لا نقع في حبائلهم ولا تنفوس في خباثتهم ... فهلى ... أعينى يا سيدة ... يجب أن نعيش سمداء وأن نهض بترية أختينا الصغير ، ونضمن لأمنأ آخره سيدة هاتئة . أما نحن .. أما أنا وأنت ، فسترين كيف يصطرع المشاق تحت أقدامنا فتختار منهم زوجينا ، فإذا ولى الشباب ، ولم يمد لنا روثه الذى هو أول ضرورات الفن ، اعتزلنا الرقص والغناء ، وأقمتا في قصرينا اللتين إن شاء الله ، تكلاً ما عينه ، ويسندنا ما ادخرناه لهذا الند المحتوم

آه لو كان للرجال مثل لإرادة وداد !
لقد تألق نجمهما في عالم الغناء كما تألق نجم أختها في عالم الرقص ... وقد جئن الأستاذ صادق بسيدة كما جئن الأستاذ زكريا بوداد ... لكن الأختين التزما الحفاظ أعواماً ثلاثة استطاعتا خلالها اقتناء

— ألا أقول لك يا زكريا ؟
 — تقول لي ماذا ؟
 — لقد صرنا هربين يا صديقي ، والبنتان في شبابهما الزيان ، ثم لا تنس أنهما أصبجتا من النني بمكان ييسدهما عنا كثيراً ... إنهما تطمحان إلى من هم أ كفا منا وأعلى مقاماً ...
 — ماذا تقول يا زكريا ؟
 — أقول الحق يا صديقي ... والرأى أن نظل عائشين في ظلهما نسمد ونشقى في وقت ممك ...
 وأطرق صادق رأسه ، ثم نظر إلى زكريا وفي عينه عبرة مترققة توشك أن تنهمر ، ولم ينبس بكلمة ثم نهضا لينهبا إلى منزل وداد ... أو فيللا وداد بمصر الجديدة ، فقد كانا على موعد معها لشأن من شئون العمل

— أهكذا يكون جزائي يا آنسة وداد ؟
 — أي جزاء يا رجل ؟ إن كنت في حاجة إلى تقود فأنا أعطيك ما تريد !
 — تقود ؟ أنا لست في حاجة إلى تقودك يا آنسة !
 — إذن ماذا تريد ؟
 — ألا تعرفين ؟
 — ومن يدري ؟
 — إذن أريد قلبك .. أو أريد قلبى يا عزيزتى !
 — لنة لأفهمها ... إسمع يا شيخ سيد أحمد ، لا تنظن أنك تكلم مطربة ممن تعرفهن في عرض الطريق
 — طبعاً ... أنا أكلم الآنسة الفتاة الكبيرة وداد بنت الشيخ محمد الفقى الله رحمه !
 — رحمه الله رحمة واسعة ، وهل في ذلك ما ينقص قدرى !

تلك النظرات المهادئة التي لم تطفها الصنعة ، وحسب الجبين تلك الأشرافة التي تملأ القلوب نوراً ووضاءة ، أما شعرها فقد كان فاحماً كساجياً يندودن على الكتفين ، ثم تطير خصلة منه غير مصفوفة على الجيد ، في حين تنتثر أخرى في الهواء ، حسب ما يتفق الثنى في الرقص وكانت سيدتهم كل هذه اللفات لا تثير الحيوان في اصلااب النظارة ، بل كانت تبتسم في أفئدتهم روعة الفن ونعمة التلذذ به عمتراً بسحر التصوير وجمال توزيع الضوء ... ثم ... سمو الفناء الجليل الذى كانت وداد تبعثه مع التسميم من فوق القمم ومن صميم الوديان أو من بين السحب !
 وتبسم الحظ الوافر للفتاتين

لكن زكريا لم يمد يده يطيح صبراً على حاله البرحة من هيامه بوداد ؟ ولا الأستاذ صادق بمطيق التجلد على هوى سيدة

— لست أدري يا صديقي زكريا لماذا أرسلاك القضاء إلى بهذه الفتاة ! لقد أودتني حبها السقام ، وصرت من غرامى بها في جحيم وفي نعيم ، وأخشى أن يمحرق جحيمي جننى !

— أسكت يا صادق ! أسكت يا عزيزى ! والله إن قصة حينا لتثير الشجون ... إن كنت أنت في جحيم وفي جنة ، فأنا في علة دأعة لأحسبها تنهى إلا بميتى ... عجباً لهذه الفتاة عجباً ! إنها لنزاً إليها سر غامض .. أتصدق أنني لم أستطع إلى اليوم أن أنزع منها تصريحاً أو تليحاً بأنها تميل إلى ولو بعض الميل ، ولو كصديق ، ولو كرجل لقها ألحانها جميعاً وعلها أسرار الموسيقى ! أنا ؟ لشد ما يحزننى أنها هزمتنى ! أنا الذى لا أعلمها إلا أحاديث الحب وكلمات النزل وأهات الغرام ! أعلمها كل ذلك وأعجز عن اجتثاث شيء ولو تأفها من الحب في قلبها !

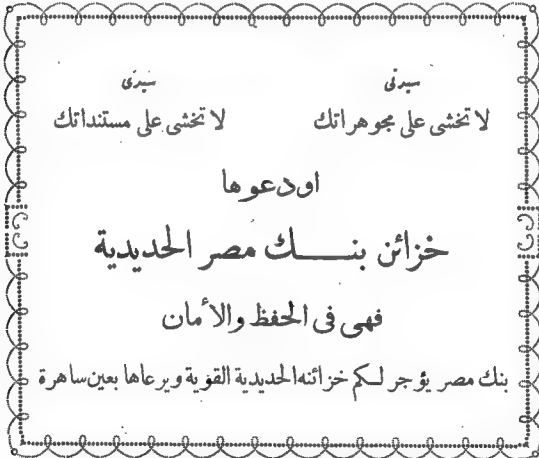
— ولماذا ؟ هل أنا كذابة !
 — أستغفر الله أن تكوني يا أمي ... ولكن
 لأراهما وليقتنع الشيخ سيد
 وكان خالد أفندي عبد النبي قد أقدم مع الشيخ
 ليخطب سيدة فتفتح ثم قال إنه لا يظن أن الأنسة
 وداد تزيد عن ثمانى عشرة سنة ، وكان تعلقاً ثقيلًا
 ما كان أغناه عنه ... وذهبت الأم ثم عادت بورقتين
 دفنتهما إلى وداد التي أغرقت في الضحك إغراقًا
 شديدًا ، لأن الورقتين كانتا ورقتي عقد إيجار ...
 ثم ذكرت وداد ليلة أمشير التي لا تنسى ، وأنها
 جاءت لأما بورقتي الميلاد لتستعين بهما في إشمال
 النار ... فكانت تسلية ظريفة أمحكت الجميع ...
 ولما هدأت العاصفة قال خالد :

— وأنا يا ست سيدة !
 — وأنت ماذا يا سيد خالد ؟
 — إنه ليسعدني أن تقبلي زوجًا
 — أنا ؟
 — طبعًا أنت ؟
 — أنا لا شأن لي في هذه الأمور يا عزيزي
 — ولن الشأن إذن ؟
 — سل وداد !
 — أسأل وداد وأملك حاضرة !
 — أمي لا تجيد هذه الأمور كثيرًا !
 وهنا ثارت الأم وزجرت ابنتها فقالت وداد :
 — تريد أن تقول لى وإلاها شريكنا في عمل
 لا نستطيع أن نتركه ، وعملى وعملها لا يسمحان
 بالزواج يا أماه ، وإذا كان لا بد من زواج ...
 وهنا دخل الأستاذان زكريا وصديق جثة قفلا :
 — رُسْنَا ... أليس كذلك يا آنسة وداد ؟

— ومن قال إن ذلك ينقص قدرك !
 — إسمع يا شيخ سيد ! كم سنة عمرك ؟
 — خمس وأربعون
 — وكم سنة عمري ؟
 — خمس وعشرين !
 — كذاب !
 — بل أكثر من خمس وعشرين !
 وكانت أمها حاضرة هذا اللقاء ، وكانت أمها تود
 من قلبها أن تزوجه ابنتها ودادًا ، لأن الرجل ليس
 طاعنًا في السن كما تحسب الفتاة ، ثم هو في سمة
 من الميش ، ولم يكن أحد يظن أن مثل الشيخ سيد
 يرضى أن يتزوج بنت الشيخ محمد الفقي ، فلما جاءت
 مسألة السن تدخلت وادعت أن ودادًا لا تزيد عن
 عشرين أو إحدى وعشرين ، ثم قالت : إن شهادة
 ميلادها موجودة وكذلك شهادة ميلاد سيدة ، ومع
 أن الموقف لم يكن موقف هزل ، فقد تضاحكت
 وداد فجأة ؛ ثم بالنت في الضحك حتى استلقت على
 كرسي اللرايح القريب ، وهي ما تكاد تمكك نفسها
 من شدة الضحك

— ماذا أضحكك يا وداد ؟
 — لا شيء يا أمي ...
 — لا يمكن ... لا بد أن أعرف !
 — لقد ذكرت شيئًا ...
 — وماذا ذكرت ؟
 — شيئًا قديمًا ... قديمًا جدًا !
 — تكلمي يا وداد
 — أمتًا كدة أنت أن شهادتى ميلادى وميلاد
 سيدة عندنا ؟
 — طبعًا ... ! إلى محفظة بهما
 — إذن قولي هاتهما

- ثم قال زكريا :
 — ألسنا أحق من هذين ؟
 وقال صادق :
 — ألسنا أحق يا آنسة سيدة
 فقالت وداد :
 — إذن كنتما غتبتين ؟ ومحمبا كل شيء !
 فقال زكريا :
 — أى والله !
 فقالت وداد :
 — إذن فابشرا
 فقال زكريا :
 — بشرك الله بكل خير يا ... يا حبيبتى !
 — إذن فابشرا ألسنا لن تزوج أبداً يا أستاذ زكريا
 وهنا وجه الجميع ، ونهض الشيخ سيد احمد
 فجاء فقال :
 — ومن يرضى أن يتزوج مطربة ؟
 وقال خالد :
 — ومن يرضى أن يتزوج راقصة ؟
 ثم انطلقا غير مأسوف عليهما
 قالت وداد :
 — أسمعتم يا زكريا ؟ أعرفت لماذا نرفض أن
 نتزوج ؟ أليست حياة الفن شقاء في مصر ؟ ! وأنت
 يا سيدة ! هل عرفت أن المال لأمثالنا هو كل شيء ؟ !
 دبرنى فضيلة



الأعصاب الفروض أنه مصاب به ... فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عائلة بما ستكون عليه رحلتك ! فلسوف تدفن نفسك حيث لا تتحدث إلى مخلوق من الأحياء ، وعندئذ تضاعف الكآبة مرض أعصابك ؛
وها أنا أكتب في الحمال خطابات توصية أقدمك بها إلى جميع الأشخاص الذين أعرفهم هناك . ولقد كان بعضهم ، على ما أذكر ، وديماً ظريفاً »

تذكر فرلمتون كلات أخته وتساءل في نفسه : ترى مسز سابلتون التي سيتقدم إليها بعد لحظة بأحد خطابات التوصية التي يحملها ، تدخل في نطاق هذا البمض الوديع الغفويظ »

ولإذ حظت الفتاة الرقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر الغريب سألته :

— أتعرف كثيرين من أهل هذه الناحية ؟
فأجلب :

— أكاد لا أعرف أحداً هنا . ولقد كانت أختي كما تعلمين ،

مقيمة هنا في الأبرشية منذ حوالى الأربع السنوات ، وقد أعطيتى خطابات توصية لفريق من أهل هذه الناحية ...

الباب المفتوح

للكاتب الإنجليزي الكبير « الساق »
نكلم لانت نادعبد الحميد محمدت

تعريف

« الساق » أو « ساق » كما تطلق بالإنجليزية هو الاسم المستعار الذي تخيره الكاتب الإنجليزي الكبير هكتور هيوغو مونرو لتوقيع مقالاته وقصصه السديدة التي ظهرت في المصنف والمجلات الإنجليزية . وقد تخير هذا الاسم من إحدى رباعيات عمر الخيام التي يخاطب فيها « الساق » بقوله : « إذا صرحت أيها الساق بالرفق للتعثرين على الأعشاب انتار النجوم ... الخ »

« وقد ولد مونرو في بورما سنة ١٨٧٠ ومات أمه وهو في السنة الأولى من عمره فظل أبوه هو وأخوه إلى نورث ديفور ليبشوا بين جنسهم ومهتهم . وقتل مونرو في فرنسا سنة ١٩١٦ فلاحى مبارك الحرب الكبرى . وله كثير من القصص القصيرة والمقالات النقدية البارعة . وقصة « الباب المفتوح » التي نعرضها هنا هي إحدى قصصه القصيرة الطريفة »

— ستحضر خالتي في الحمال يا مستر « نتل » ، ولكن يجب في الوقت نفسه أن تتجهد في إلهاء حديثك مني

بهذه الكلمات بادرت الفتاة ضيفها عند عودتها إلى غرفة الاستقبال ، حيث كانت قد تركته ريثما ذهب لإخبار خالها بقدمه :
وفاتنا صبية رزينة لم تتجاوز الخامسة عشرة من سننها

وحاول فرامتول نتل أن يتخير الكلمات اللائقة التي يستطيع أن يرضي بها ابنة الأخت المائلة أمامه دون أن يكون في هذه الكلمات ما لا يرضى بنير مقتضى ، الحالة التي ستحضر بعد قليل . وقد شك الفتى بينه وبين نفسه أكثر مما شك في أي وقت مضى ،

فبإ إذا كانت هذه الزيارات الرسمية التي يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التي لا تربطها بها أية رابطة على الإطلاق ، سيكون لها أثر مزال في علاج مرض

من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الديدان الفضل عندهم لصيد البكاشين ساخت أقدامهم في بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا في ذلك الصيف الذي كثرت أمطاره ، على ما تعلم حتى إن الأماكن التي كانت مأمونة في السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فأنهارت ، وقد اخفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثره ، وهذا هو أفظع ما في المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التآثر ، ثم مضت تقول :

— ومسكينة خالتي لا تفكك تتصور أنهم سيمودون يوماً ما ومهم كلهم الأسود الصغير الذي ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون إلى البيت من هذا الباب كما نمودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو النيب في تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط النسق . وما أتتس خالتي العزيرة فلمك كررت على سمي قصة خروجهم ، إذ كان زوجها يحمل معطف المطر الأبيض على ساعده ، بينما روني أخوها الأصغر ينشد أغنية : «لماذا تهب يا برقي» ، كما كان يفعل دائماً ليفيظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفي عليك يا سيدي ، أنني في بعض الليالي الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسي غالباً شعور خفي بأنهم جميعاً سيمودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بمض الشيء ، وأحس فرامتون بالفرج عند ما دخلت الحالة إلى الترفة تسوق أمامها سلسلة من المآذير

وصاغ الفتى كلامه الأخيرة في لهجة تنم عن الأسف فتأملت الفتاة الرزينة حديثها قائلة :

— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئاً إطلاقاً من أمر خالتي ؟
فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها فهو لا يدرى إذا كانت متزوجة أو أرملة . ولكن شيئاً في الترفة لا يستطيع أن يتبينه على التدقيق كان يوحى إليه بأن في البيت رجالاً ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد نزلت بخالتي مأساتها الكبيرة في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ووافق ذلك الوقت الذي غادرت فيه أخنك هذه الجهات

فسأل الفتى الذي لم يكن ليتصور أن الناس يجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ المطمئن :

— تقولين مأساتها ؟
فقالت الفتاة وهي تشير إلى أحد الأبواب المطلة على الشرفة وكان مفتوحاً :

— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحاً في مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟
فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أية علاقة بالمأساة التي تشيرين إليها ؟

فسرعت الفتاة تحكي القصة الآتية :

— في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتي وأخوها الأصغر منها سنّاً ليصيدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا

لتأخرها في إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك
بحديثها ؟

فقال فرامتون :

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون في نشاط وخفة :

— أرجو ألا يضايقك فتح هذا الباب ، فإن
زوجي وأخوي على وشك أن يعودوا من الصيد ،
وقد تمودوا أن يدخلوا دائماً من هذا الباب ، ولقد
خرجوا اليوم لصيد البكاشين في البرك ، ومامن شك
في أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدى المسكنة
آثار ما تحمل أقدامهم من الأوحال ، وهذا هو
شانكم أيها الرجال ؛ فهل توافقنى على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث في انشراح عن الصيد وعن
ندرة الطيور ، وبخاصة البط في فصل الشتاء ، ولقد
بدا هذا الحديث لفرامتون مزيجاً فظيماً ، فحاول
جاهداً أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهولاً ،
فلم ينجح في ذلك إلا بعض النجاح ، وقد تبين أن
مضيفته لا توليه من عنايتها إلا جزءاً جد يسير ،
ولكن نظراتها كانت تتخطاه إلى الباب المفتوح
وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فامن شك
في أن زيارته هذه الأسرة في مثل هذه القدي كرى
المؤلة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

ومرور الوم لفرامتون أن القوم الثراء الذين
يجتمع بهم والدين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى
تعرف أقل ما يمكن من التفصيل عن مرضه وعلة
ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء في أمرهم في بأن أزم الراحة

الثامة وأن تجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد
عن كل شيء يتصل بالمجهود الجسمي ، ولكنهم غير
متفقين اتفاقاً تاماً فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقال مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها في هذا السؤال صوت الذى جاهد
التشاؤب في اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت
بغاة وبدا عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا
التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

— ها هم قد عادوا آخر الأمر في الوقت
الناسب لشرب الشاي . ألا يبدو عليهم أن الأوحال
تفطيم إلى رؤوسهم ؟

فارتجفت الفتى ارتجافاً خفيفاً ، ثم نظرت إلى ابنة
الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة
تحدق من خلال الباب المفتوح ، وفي عينها معنى
الرب الحاطف . فدار فرامتون في مقدمه وقد أحس
بصدمة مرهشة من جراء خوف لا يدرك مناه
ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فراى خلال النسخ الحابط ثلاثة أشخاص
يجتازون الحقل متجهين إلى الباب المفتوح ، وكانوا
جميعاً يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم
يحمل ما عدا البندقية مغطاً أبيض من سحاطف
الطر ألقاه على كتفه ، وكان يتعقب أقدامهم كلب
صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا
الجمع في سكوت من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش
يضى في النسق :

« إلى أسالك يا برنى لماذا تيب ؟ »

لم تكذب عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الشاب

أبي الغلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي الغلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

مصحح ودرجه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زنائي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

أمسك في عنف بمصاه وقيمته ، وفي أسرع من
لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرسوف
والباب الخارجى كأنه السهم المارق ، حتى أن رجلاً
مقبلاً على دراجة لم يتيق التصادم به إلا في اللحظة
الأخيرة منحرفاً فجأة إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال جامل
المطعم الأبيض :

— ها نحن يا عزيزتى قد عدنا ملوئين بالأحوال
ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل
الذى تلاشى لمجرد ظهورنا ؟

فقال مسر سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جداً اسمه مستر « كل »
لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكذب يوماً
حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يتلقى بكلمة
وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح
عرفت غيف

فقال ابنة الأخذ في هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرنى أن
بعض الكلاب الضالة هاجمته مرة وطاردته حتى
أزيمته الحرب منها إلى مقبرة في ناحية ما على ضفة
نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل في قبر جديد
لم يدفن فيه أحد بينا الكلاب من فوقه تنبح
مكثرة عن أنيابها ، وفي ذلك ما يكفي لهرز أعصاب
أى إنسان

لقد كانت خاصة هاتان الرزينة اختراع الروايات
على البدهة !

عبد الحميد محمدى

مَا اخْبَرْتَهَا ...؟

أَقْضُوصَةً مُصَرَّسَةً
بِقَلَمِ الْآنِسَةِ جَمِيلَةِ الْعَسَلِ دَبْلَى

منقطع محموم ...
وشكت المرسلة في أمره ...
واستطلعت أن تفهم بحكم غريزتها
أن أمام ناظره خيال امرأة ، قد
تكون سبب هذه الصدمة أو سبب
هذه الحمى ... الله يعلم
وانتهزت فرصة عفوه العميقة
فانسلت خفية إلى غرفته تبحت

في محفظته ... حتى رأت بين أوراقه رسالة موجزة
من فتاة تقول فيها :

أخي الفاضل

لا أحب أن أكون أكنوبة هائلة في تاريخ
حياتك ، إذن يجب أن نسدل الستار

واستمع إلى بققك ولملك لا تكون من الظالمين .
لقد تمارفتنا على غير ارتقاب ، ونحايينا لغير غاية ...
ولملك تذكر يوم لقيتني في منزل الخالة وقدمتي إليك
زوجها ... وكان ذلك في عيد ميلاد ابنته ...
وانتهزت فرصة خلو المكان إلا منا غدتني عن
نفسك في صراحة مطلقة أكبرتك من أجلها ...
وصورت إلى في صرارة ما تمنانيه من حرمان وآلام
من جراء يثملك ... ولم تكند تصل إلى هذا الحديث
الحزين باكياً في هدوء حتى أحسست أن دموعك
خرجت من قلبك لتسكب في قلبي ، ولذا أوكد لك
أن دموعك وحدها هي التي جذبتني ... ثم مررت
في حديثك على حياتك الخاصة فأفهمتي أنك تلعب
بالحسان وتقضى طوال الليل خارج الدار مع جمهرة
من الشبان وعلفت على ذلك بأنك مضطر إلى هذا
الفساد لخلو قلبك من الحب ولعدم توفيقك إلى إخرأة
تحميمك وترعاك ...

صنع الرجل عند ما بلغه خبر خطبتها وكان على
يقين من أنها لن تزوج غيره ، لأنها أحبت بدليل
أنها بادلت الحب وارتنفت به زوجاً ، والآن ما عساه
يفعل ... هل ينتقم ؟ أم يتناساها ويحب غيرها ؟
أم يسى إليها عليها تمود إليه ... ؟

وارتمى الرجل على مقعده مهموماً مفكراً يتخيلها
بجملها الرائع وروحها الساحرة وعواطفها الطاغية
وعقلها الناب ...

استعاد كل ماضيه وما يحمله من ذكرى جامعة ،
فأحس أن خسارته يفقدها لن تموض أبداً ...
أبداً ... وأنه لن يثر على فتاة غائلها عفة ورقة
وسحراً وذكاء ...

فأأظلم المصاب !

بكي فلم يرفه السمع عنه !

وخرج إلى الشارع يتمشى كالشارد فاصطدم
بسيارة حمل على أثرها إلى المستشفى ... وظن الأطباء
أن الحمى التي اتابته من أثر الصدمة . ولو أنهم كانوا
بخفايا القلوب عاين لمرقوا موضع الداء الدفين ،
ولأدركوا أن الحمى في قلبه ، وصداها في غه !

خائنة ... غادرة ... بجمرة ...

لم يكن لديه سوى ترديد هذه الألفاظ بصوت

ولكنني اتخذت الحب وسيلة إلى إصلاحك
لأنك أهممتني أنك لا تردع عن الإثم إلا إذا أجبته
إصراراً ...

ولم أمقتك بل كنت أشفق على شبابك الذي
يذوبه الفجور وكنت أعنى أن أخلق منك الرجل
الكامل ، ثم أدع الطبيعة بمد ذلك ندينني منك
أو تقصيني عنك ...

نوهت لي عن الزواج فلم أمانع ... لا حباً فيه
أو فيك ... بل رغبة في أن أصل بك إلى مستوى
أرفع من مستوى الرجال ... نحييت في سبيلك عالى
ووقتي وجملتك عمود تفكيرى وحسنى ... على أمل
أن تصلح ولكنك كنت تقول ولا تفعل ... كنت
نصارحني بأنك ستمصل كذا وكذا ... وقد عملت
كذا وكذا ... فإذا اكتشفت الحقيقة واستوضحت
الأمر ... ظهر كذبك ونفاقك ...

رأه ... لشدة ما عذبنى هذا وكنت أصبر راحية
أن تكون من المهتمين ...

كانت رسائلى وحدها كافية لإصلاحك وكان
حنوى وعطفي كافيين لإشبعاك ... ولكنك
في الواقع خلقت لغير الحب الأكيد - صدقتى -
لم يكن في نيتي أن أحب غيرك أو أتزوج سواك؛
إذ كنت أريد أن أشعر بالثقة الخالدة ، لأنني خلقت
رجلاً ... وعجيب أن يكون الماطفة شيطان يحولها
من الفضيلة إلى الرذيلة ومن الأمل إلى اليأس ومن
الحب إلى الكراهية ...

وكان شيطان حبي ... كذبك ... فطني عليه
وجوله إلى بأس حبيب

ولطالما صارحتك بذلك وقلت لك إن الرجل الذي
يكذب مرة لا يصدق مرة. وأخشى أن تنفقدني بسبب
(٩)

واقترعنا على أمل أن نكون كصديقين أو أخوين،
ولم أر غرضاً في قبول صداقتك ما دامت تدفع عنك
الضر والشر كما زعمت ...

ترسلنا وتقبلنا وحاولت جهدى أن اتخذ من
رسائلى أداة لإصلاحك وأن أسيطر على عواطفك
كلما قابلتك لأوجهك إلى الطريق المستقيم ...

فلم أدع صغيرة ولا كبيرة تدفعك في طريق الهدم
إلا لفت نظرك إليها ...

أغريت بك بكل ما في قلبي من رحة وبكل ما في
عقلي من ذكاء لأتشكك من البؤرة الدنسة وأرفضك
من الأحوال إلى سماء الطهر والكمال ...

فكنت تكتب إلى بأسلوب رائع لتوهمني أنك
تسير في الطريق المرجو في غير هواة ... وأنت على
خير ما أعنى لك من خير وقضية

وبرغم تصرفاتك الماطفة التي كنت أكتشفها
بالمصادفة ... كنت أتماسح وأقول لنفسى من المسير
أن يتحضر من قيود المجتمع دفعة واحدة ...

وفي الواقع يا أخى أنت بارع في تليق الأذى ..
بدرجة أننى كنت أثق فيك مع أن البراهين تؤكد
سوء تصرفك .. والكذب عندك غريزة. أوه .. لا
لطالما ضابقتي كذبك وأرقى وأسلمنى إلى أسر الآلام
وأظلم الأحلام ... ورغم ذلك كنت أريد أن أجرب
قدرتى فيك ...

فكنت أجهل وأتماسح على آجح في تادية
مهمتى ...

ولكن عبتاً ...
كيف أجمع وأنت بعيد عني تعيش هناك
كما يحلو لك ... مطمئناً إلى تسامحي وحبي ...
في الواقع لم أجبك ...

هذا الكذب غاذر ... فكنت تدافع في براعة
الحامين ولباقة السياسيين حتى أضطر للسكوت لأعن
إيمان وتسليم بل عن جد ورجاء ...
أخيراً ...

أجل أخيراً أيقنت أننا لو تزوجنا لا يمكن أن
تتفق أبداً ... أبداً ... وسنكون وصمة في جبين
التفاهم الروحي الأكيد - فأثرت أن أقف بجانبك
موقف الأخت البارة تراك من بعيد بقدر المستطاع
مرحبة بالخطيب الحبيب لما يلفتنا من تفاهم وتألف ...
وأحمد الله الذي وحد بين قلبينا وروحينا ...

والتي أريد منكم الآن ... أن تعود إلى رسائل
وأن تستعيد ذكرى كل ما قلته لثرى أننى أخلصت
لك يوم ظننت أنك تصلح لأن تكون مثل الأعلى ...
فلسا واجهتني بحقيقتك تبه وجداني ، فإذا بالحب
كظلك الذي تلاشي عند ما اختفيت عن ناظري
في آخر لقاء ...

يا سیدی ... أو يا أخى إن شئت : الحب
كالبنیان تندك قوائم عرشه بالثقة ويزعزعها الشك
وأخيراً يحطمه الكذب والبهتان

ونصيحتي إليك أن تحب المرأة صادقاً وتفهمها
صادقاً وتكشف لها عن مساوئك صادقاً ، ثم حاول
إصلاح نفسك صادقاً ، إنها تدفع دماً ثمناً لهذا الصدق.
والشيطان يسخر منك عندما ما يحلل لك الكذب
غاذر ...
كوثر

فهمت المرضة كل شيء ... فأشقت على الرجل
وفكرت ، أترى المرأة أخطأت ؟
... وكانت المرضة ذكية فلم تشأ أن تحكم لها
أو عليها حتى تراها ...

ولكن كيف ؟

آه ... ها هو عنوانها في الرسالة ...
إذن فلتكتب إليها فالريض يحضر ويدعوها ...
وظل المريض يهذى :
خاتنة ... غادرة ... مجرمة ...

اندمل جرح الصدمة الطارئة ولم يندمل جرح
القلب الداى ...
حتى جاءت

مریض يحضر يدعوها ؟ ... ولم تجد غضاضة
في عيادته .

وأفهمتها المرضة في حكمة وزدها ... أنها بثت
إليها رحمة به لأنه يهذى باسمها وقد فهمت من هذيان
كل شيء .

فشكرتها الفتاة وولجت باب المريض في هدوء
ولحفة ... ونادته ...

فرفع بصره في بلاء ، وقد أريد وجهه فجأة ...
ثم غص طرفه ملياً ، وأخيراً ابتسم في صرامة وقد
انطلق وجهه وغنم ... كوثر ...
قالت : ساء من مصابك . لكن المرضة طمأننى
فالحمد لله

قال : وهل تهيك حياتى ... خبر لى أن أموت
قالت : كيف لا تهمنى حياتك وأما أرجو لك
كل خير وتوفيق ...

وهنا أحس الرجل بانتعاش غريب ففسى ما كان
يشغله من الهواجس القاتمة ، واعتدل في مقعده ثم
اقترب منها ليجر أنفاسها البقية بأنفاسه الحرى
فأثلك : أوتدكرن يا كوثر ما سر من حلو الأيام ...
فلم تشأ أن تنير مجرى خياله وقالت : طبعاً أذكر
فأبسم : وأعقب : أذكرن يوم اجتمعنا في غفلة

يا قرة العينين بل يا منية القلب المذاب
تفديك روي يا حبيبي في حضور أو غياب
ما العيش بعدك في الحياة سوى ريق من سراب
خذني إليك ونجني مما ألقى من عذاب
أنا إن أعش فلاجل أن ألقاك عنوان الشباب
أنا إن أعش فلاجل أن أدنيك من كل الرغاب
أمودعي عند المساء وتاركى لضي ارتقاب
أعطاني ؟ مهلك للى أن أعود إلى صوابي !
يا مهجتي الحرى حنا ناك قدسنت من العتاب
ماذا علي إذا فتحت له لدى الترحيب بابي
ووهيته ما شاء من عطفي وحي السطاب
يا ويح نفسي، هل أطيق غيابه بعد اقتراب ؟
أطيق وهو هو الضي بخاطري مثل الشهاب ؟
يا من هدته عوافي في كل غتلف الشهاب
أبدأ أحن إليك يا رض الأمانى المذاب
وهنا انشرح ليما ثم عاد يتألمها في لهفة بادية
فائلا : غنى يا كوثر ... أعيدي على مسمي هذا
النشيد ... إن كلامك أعذب من أغاريد البلابل ...
غنى غنى ...
فاغتصبت بسمة وقالت بصوت تشيع فيه المرارة:
— عند ما تعاودك العافية كاملة أحمك أجمل
الأنشيد ...
فاتصبت واقفا قائلا :
— أما بخير ... انظري ... هانذا أتحرك ...
وأسير أيضا ... في مقدوري أن أخرج الآن ...
ولابد أن أخرج منك ... لن أتركك تخرجين وحدك
فأشفت عليه لأن آثار الحى كانت ما زالت
ظاهرة عليه وقالت :

القدر تحت خيلة في إحدى الحدائق النائية وكنا
أشبه بمصفورين اليقين ضمهما الوكر في حى الصفاء ،
وأحسست يومئذ رغم حاجز الغفة الذى كنت تحرصين
دائما على إقامته بيننا أننا التحطنا ببطاء واحد —
لا أذكر كيف كان — أكانت ماديقنا هى التى
تغطى روحينا ، أم نورالحب هو الذى كان يكتنفنا حتى
بننا كأننا نور من نوره . لقد كنت أجهل موضعك
منى وموضي منك ... ولما سألتك : أين أنا منك ؟
أجبتنى : وأين أنا منك ؟

ولم يكن كلامنا بهذه الحروف المهودة بل كان
بلنة الصمت الجليلة التى تنساب من قلب إلى قلب
كما ينساب النور فى الأفق . ولما قلت لك : يخيل
إلى لو أننى جردت نفسى من الغفة واعتصرتك
لما ارتويت أبدا ... أبدا ...

فأشحت بوجهك عنى حياء واجتمعت عنى ثم
قلت : لأنك بقدر ما تسلب منى أسلب منك !
فانهمرت دموى من فرط النشوة وقت : كل
يوم يزداد حسنك كأن فى ميعتك كنزا من الجاذبية
لا ينفى

قلت برأسك دلا لا قائلة : من عند ربى . ولما
عاودنى السهوم وأنت حياى وبدا على وجهي ظلال
أحلاى ...

أهبت بي إلى مكالمتك ... ولكننى كنت متفانيا
فى نفسك سارحا فى جنبات قلبك
وظل قلبي يخفق ، ونظرك ينطق
وما زلت أذكر نشيدك الذى كنت أنتنى به
دائما كأنه تمويذنى الخالصة :
أخشى عليك من العباب بطنى عليك بلا حساب

— لأعودك في الغداة وأصحبك إلى الخارج ...
والآن يجب أن أخرج ...

وحاول أن يستلمها فاعتذرت وانصرفت وتركته
واجماً ساكناً لا يدي حراكاً كالطفل الصغير الذي
تركه أمه فيمجز عن اللحاق بها أو استبقائها بجانبه

صرت الأيام وهي تموده ... حتى عوفي وترك
المستشفى ... وطلب إليها أن تزوره في منزله فوعده
وانظر في اليماد فلم تحضر، وصرت الأيام تباعاً
ولم تمد ...

وعثر الرجل على الرسالة وكان نسبها، أو لعل
الحى هي التي أنستة إياها فقرأها ...
تذكر كل شيء ... فثار جنونه واشتمل وجدانه
مفكراً فيما يصح أن يمله . حتى صبح عزمه على أن
يبحث بجميع رسائلها إلى خطيبها، وهي مجموعة موفورة
من الحب المشوب التأنج، وفيها ميثاقها على ألا تتخذ
منه بديلاً ...

قد يتخيل المحب أن في مقدوره أن يصنع
ويغفر وأن ينسى الإثم والبهتان
وقد يسهل ذلك على المحب الماقل النبيل إلى
حد ما ...

وقد يعتقد المحب أن حبيبه كان يجب من قبل
غيره ... ولكنه لا يسار هذا الاعتقاد إذ ليس لديه
ما يشبهه ... حتى إذا حدث ما يؤكد هذا الزعم
حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فإما هجر لقاء بعده،
أو شك يظل يندب صاحبه على طول الأيام ...
وخطيب الفتاة كان رزيناً حكماً ولكنه إنسان

له غرائز البشر وخصائص الحب ...
لطالما قالت له الفتاة إنها عرفت كثيراً وجملت
بعض المحبين، وسارت أحياناً في طريق الحب إذا تراءى
لها عفا بريئاً حتى إذا تكشفت لها عن خدعة تنحت
عنه وابضمت ... وكان يستمع إليها ويسامرهما دون
أى عيب أو ملام ...

ولكنه اليوم بعد أن تسلم رسائلها ساوره الشك
واعتره الريبة؛ وفاجأها ثأراً لا تملكها وكانت تبدلت من
ملائكتها إلى شيطان رجيم أمام ناظره فاحتاج وراح
ربمها بأشعث التهم وهي ساكنة هادئة باسمه ...

حتى إذا اتبعى قالت له : كلانا خدع في الآخر
يا سيدي ... أنت ظننتني ملكاً كريماً فأحببتني
وأنا ظننتك المثل الأعلى للرجولة الكاملة فأحببتك.
والآن ... ليس ثمة ما يدعو للغضب ما دمنا في أول
الطريق ... فليبحث كل منا عن شريكه ...

فاعتاظ وفاض شكه وقال : آه في الطريق
أكثر من رجل ينتظرك لأنك رميت شبكة الخداع
على كثيرين ... أصدقيني هل أحببت هذا الرجل ؟

قالت : أجل ، كما أحببتك قبل اليوم . فدهش
الرجل لجراثمها، ولكنه ظن أنها تهاجمه فماد يقول :
ولماذا لم تزوجه ؟ قالت : إذا خاب المحب انتصر
العقل بما يكتسبه من التجارب والأهوال ...

أما الزواج فخياره موت لا حياة بعده مهما تجدد
بطل طابع الخيبة على جبين المرأة مدى السنين ...
وصمتت ملياً ثم قالت : يا سيدي إن الرجل إذا أحب
صدقاً يفقر للبني إثمها ... وأنت كما زعمت تخيبي ...
فكيف تريد أن تحاسبني على تصرف لا تدري كيف
فعلته ولماذا ؟ !

لم تمد لي صلة بك أوبه ...
 فقاطعها : أنسيت حتى يا كوتر ... لقد أحبتني
 حباً لم تحبه امرأة لرجل وكذلك أحبتك أنا ...
 فمادت تضحك ، ثم قالت : لقد أحبت طيفاً
 مجهولاً فيك ... أما أنت فلم أحبك ... أحبت
 الإنسان الذي أنشده فيك وله كنت أكتب وعليه
 أحنو ؛ فلما وجدت ذاك غير قادرة على حفظ الروح
 الذي أهفوا إليه تنحيت عنك باحثة عن مرقذاك الروح
 لقد كنت تحاول أن تخدعني بالحب لتبأى بحبي
 ففدعتك بالحب أيضاً لأعرف حقيقتك ؛ فلما
 عرفتها ارتفعت إلى سماءى ... ولما كنت لاحت في
 مضى أننى كنت أحاول دائماً أن أرفسك إلى الألفى
 الذى أعيش فيه موطنه النفس على التناعة بك
 لو استطعت الصمود إلى ... فلما فشلت ومجرت عن
 السمو بنفسك إلى مستوى ... تركتك فى الأوحال
 وحكك وحلقت فى عالى النورانى هناك ... فباذني
 أريد أن أهبط إلى الأرض لأعيش معك لا تكون
 حبة وفيه بينا فى عمق هذه الحنة البلة والموان ...
 لماذا لم ترتفع بانسانيتك إلى سماءى مادمت تهوانى
 كما كنت ترم ...
 إن الرجل الذى يعجز عن السمو بنفسه فى سبيل
 الحب لا يقدر قيمة الحب ولم يكن محباً أبداً ...
 أفصمت ماذنى إذا استغلت الحب فى سبيل الإصلاح
 فإذا عجز الخراب به من حب ، وإن عجز
 عن البلوغ بصاحبه إلى الغاية التلى فليذهب فى ذمة
 التاريخ الضائع ...
 ماذنى إذا ابتسمت ساخرة من عفتك فى التفرير
 فى ظناً منك أن كل الفتيات أسيرات الكلم الممول
 والحب المصطنع !

إذا صعب عليك أن تغفر ذنبى فى ماضى فقد
 صعب عليك أن تغفر ذنوبى فى حاضرى والإنسان
 لا يسلم من الخطأ ... إذنى ابحت لك عن فتاة لم تعرف
 على أى رجل ، وأنصحك أن تأخذ طفلة لم تبلغ
 الرابعة من عمرها ... وتركته وانصرف
 يا للشيطان ... إنه يلعب على مسرح العقول
 بمهارة ...

خرج الرجل وانقطع عنها فوطنت النفس على
 أن ترفضه وتساره ...
 وحاول الرجل أن يسألها فلم يستطع لأن ثقته
 بطهرها من اختباراته كانت أشد تأثيراً فى نفسه
 من شكه فيها ، ولكن يعاوده من حين إلى حين وقع
 رسائلهما فى نفسه فيأرق ويتألم ، وظل كذلك ...
 حتى ذلك اليوم الذى بشت فيه أخته إلى كوتر رسالة
 تدعوها لزيارتها لأمر هام ...

فذهبت كوتر ، وفى فيها أن تضع حداً للعلاقة
 بينها وبين أخيها وتعلن له رفض يده ...
 وهناك قابلتها أخته ، ودخل الخادم يطلب الأخت
 لمقابلة الوالد ... فخرجت وغابت ... ثم دخل الرجل ...
 دخل الرجل الحبيب الأول ... مفاجأة لم تكن
 متأهبة لها . كيف حضر إلى هنا . ولماذا ؟

لم يترك لها الرجل فرصة لمخاطبته إذ قال :
 كوتر ... يدعشك أن ألتأك فى منزل خطيبك ،
 ويعد أن عرف علاقتنا القديمة ... ولكنه نبيل
 كريم كما يدل تصرفه ... إذ لم يشأ أن يحطم قلبى
 فأبج لي لقيامك هنا لنجدد العهد وقد تنازل عنك لي
 فضحكت الفتاة منهكة وقالت : ها ها ها .
 أترأى سلمة وأنا لا أدري !

لأى غاية ولن أجبك أيضاً لغاية ... بل أجبتك
لأصلحك ...

إذن لم أكن أنا التي أجبتك ... إنما هو الحب
الذى سخرنى ليهديك ... فكفرت به

قال : سأكون كما تشائين ... صالحاً تقياً
مؤمناً محباً ونياً ... إن قبلتى زوجاً ؛ وإن أبيت
فلأمت ، ولتزل عليك نعمة الله ...

فقلت : الله يعلم كيف أنصى فى سبيل الإيمان به
فحسى ...

وهنا دخل خطيبها ملتفتاً إلى الرجل مصوباً إليه
نظرة شذراء ، ثم قال : كفى يا صاحبي . لقد فهمت كل
شيء ... إنها ملك .

« النصورة »

محمد المصطفى

ما ذنبى إذا تغيتت بعذب الشيد متاجية الإلف
المجهول ، فتظنك المعنى بذاك القصيد ؟!

ما ذنبى إذا صعب عليك تفهم الحقيقة لتسدرك
معنى الحب ؟!

وما ذنبى إذا عجزت عن إصلاح نفسك لتدعيم
حياتك كما ترجو ...

فقاطعها : أنت الجانية . كان فى مقدورك إصلاحى
ورعايتى ... لقد تركتني وسط أعاصير الحياة الهوجاء
فقلت : أكننت تريد أن أجس نفسى فى دارك
لأرطك ...

فقال : كنت أريد أن أتزوجك ...

فضحكت متهمكة ثم أعقبت : هيه ... آه ...
كان يجب أن أقدم إليك لأعقد عليك ... أليس
كذلك ؟! ... معذرة يا سيدي ... كان يجب أن
أفعل ذلك ...

فقال : لقد لوحث لك كثيراً فكنت تعاطلين
فأجابته جادة : اسمع . الرجل الذى يريد المرأة
ويتمناها لا يسألها رأيها ، ولا يستشيرها ماذا يفعل
لنيلها . إنه يقتحم الطريق الشائك فى سبيل الوصول
إليها ، بل يختطفها من بين ذراعى القدر إن تحدها ،
أنفهم ؟

أما هذه التماويز الشيطانية التى يلجأ إليها
الرجل ليخدر بها أعصاب المرأة ليطيل من عمر الحب
لينعم ويتسلل فلا أجزها ولا أنفهمها

أنت تعرف جيداً أننى دفت. الثمن غالياً من
عواطفى لإقناذك ... ولكنك أيت إلا أن تمشي
فى الظلام فما ذنبى ...

ولقد أكدت لك أكثر من مرة أننى لم أجبك

المجموعة الأولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأذينة لوميروس ، ومذكرات
نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه
ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجره البريد

فقدنا ذلك مرة

عن الانجليز
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

يصدق فيها وأجاب : « ذلك
لأنني لا أثق بأنني أستطيع أن
أفعل شيئاً يسرك »

ثم قال بصوت منخفض :
« ولا أثق بأنك تحبيني ،
ولذلك أفضل الظهور معك
في مثل هذه المكان على الظهور
معك في الأماكن المزدحمة »

فضهدت الفتاة تهنأ يدل على الحزن وقالت :
« إنني أتمنى من أعماق قلبي أن أحبك فانت عزيز
عندي ، ولكن أعطني مهلة فرجاً ... »
فقاطعها بقوله : « إنني لا أستعجبك ، وإنني
مستعد لانتظارك سنوات »

ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : « أنا لست
راغباً في الانتظار سنوات ولكن إذا لم يكن بد
من ذلك فساأنتظر »
قالت الفتاة : « لقد ناقشت نفسي كثيراً في هذا
الأمر ولا أرى من جنى أحد أن يطالب الآخر
بالانتظار ، على أنني أجده نفسي أفضل ذلك وهكذا
أكثر النساء »

وعادت الفتاة إلى ابتسامتها الحزينة فاجابها
في رقة : « ولكنني راغب في الانتظار ، وأنا مكثف
بما ترين إعطائه لي ، وكل ما أتمناه أن تنسى بطرس
والزمن كفيف ... »

فهزت الفتاة رأسها وعضت الفم ثم قال :
« وهل ترين أنه من انصاف نفسك أن تستعمرى
في طريق أنت تعرفين أنه لا أمل فيه ؟ إنه لم يعد
شك في أنه قد مات ، وأنت قد نزعمت خاتم الخطبة ،

« ما أغرب هذا المكان يا جيمي ؟ »

ونظرت الفتاة إلى جوانب المطعم نظرة استخفاف
فقال لها صاحبها : « إياك أن يسفكك فرانسو وأنت
تقولين ذلك فيطلب إليك الخروج من المطعم »

وكان فرانسو هو رئيس الخدم وقد وقف مزهواً
بين الجالسين كأنه يعتقد أنه ليس في لوندرا مطعم
آخر غير مطعمه ، ومشى نحو هذين الصاحبين وقال
بلهجة إنكليزية مشوبة بلهجة فرنسية : « من زمن
لم تأت أيها السيد ، وأنت يا آنسة هذه أول مرة
تورين فيها المطعم » في اسبابه ؟

فقال الفتاة وهي تبسم ابتسامة رقيقة : « ولكن
أرجو ألا تكون آخر مرة »

قال التدل : « إن الدين يزورون هذا المطعم
مرة يمودون دائماً إليه لأنهم يعرفون مزاياء »

ضحكت جيمي وطلب الشاب الذي معها أنصاف
الطعام فذهب فرانسو ، وقال الشاب لصاحبه :
« أظنك تضايقت من هذا المطعم ولكني أحبه
وأفضله على كثير من المطاعم »

قالت جيمي : « ولماذا تظنني أتضايق منه ؟ »
ثم زعمت قفازيها فبدا تحتها كفان جبيلتان أخذ

أليس الأولى بالإنسان أن يواجه الحقائق ؟
ضحكت الفتاة ضحكة خفيفة ثم قالت بصوت يشبه
البكاء : « نعم ذلك هو الأولى بالطبع ، ولكن
ألا نستطيع أن نقتنع بالصدقة في البداية يا جورج ؟
فقال : « نعم أستطيع أن أقنع بها »
قالت : « إنني أشعر بأنني فقدت جزءاً من نفسي
وأظنني عاجزة عن أن أحب امرأة أخرى أى رجل
وأنا أميل إليك يا جورج ، ولكنني لا أعرف هل
أحبك كما كنت أحب بطرس ؟ »
فقال : « أنا أعرف أن ذلك هو الذى سيكون
ولهذا أخاطر »

قالت جيمى : « أنت تستحق كل شيء يا جورج
ولن أقدم نفسي في حبك إذا استطعت »
فقال : « إن أقل ما تهيئته لى أحب من أكثر
ما تهبه امرأة أخرى أيها المزنة . ولست أريد
استمجالك ولكن ما هو الفندق فوق هذا المطعم
فهل تقولين نعم ؟ إنك لن تنسى هذه الليلة وأقسم
إنك لن تندى عليها »

فسكتت الفتاة لحظة ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة
وقالت : « نعم » . فقال : « هل أنت راغبة يا جيمى ؟
فهزت الفتاة رأسها وقالت : « إننى أعنى ما أقول »

بعد ساعتين عادت جيمى إلى غرفتها وأغلقت
الباب ، وكانت لا تزال ترن في أذنها قبلاته وهما
وقفت لحظة بجانب الموقد وهي تبسم ابتسامة حزن
ثم ذهبت إلى الحائط فوفقت أمام صورة ضابط في
فرقة الحرس ثم جثت أمام هذه الصورة خمس دقائق
خالت في أثنائها إن الصورة تفتح شفتيها وتتكلم ،
فقالت : « إنه صديقك يا بطرس فأرجو أن تسامحنى

استحلفك بالحب أن تسامحنى يا بطرس »
وخالت أن الصورة تبسم ابتسامة رفيق ثم مدت
يدها إلى اللنضدة فتناولت خاتم الخطبة الذى أهدها
إليها بطرس قبلته وهي تبكي
وقضى جورج شهرين وهو سعيد ولم يبق غير
أسبوعين على زواجه من جيمى حينما حدث هذا
الحادث الفجائى الذى لا يكاد يحتمل التصديق فوجد
أمامه بطرس

وكان اسم بطرس قد نشر منذ ثلاثة أعوام في
قوائم المفقودين في الحرب . واعتقد الجميع أنه مات
لا تقطع أخباره طول هذه المدة
وأحس جورج بدوار شديد ثم مشى إلى بطرس
وقال بصوت يتهجد : « أين كنت يا عزيزى بطرس
وما الذى تفعله هنا ؟ »

وقيل أن يجيب بطرس على هذا السؤال لاحظ
جورج أن بجانب بطرس امرأة من نساء النور
الفجريات فدهش وأعاد سؤاله : « ما الذى تفعله
هنا يا بطرس وما الذى جاء بك ؟ »

وكانت الفجرية ويطرس يحملان بعض الألعاب
التي تلعب بها قبائل النور في المدن الكبرى . وقال
بطرس : « خفض من صوتك حتى لا يسمعك
البوليس »

وقالت الفتاة : « إنه لا يريد أن يُعلم رئيسه
السابق في الجيش بأنه عاد إلى إنكلترا »
قال جورج مخاطباً بطرس : « ولكن لماذا لم
تخبر أصدقاؤك بموعدك ؟ »

فقال الفجرية : « إنه لا أصدقاؤه لغيرى »
قال جورج في نفسه : « إذا لم يكن الأمر غير
مفهوم ألبتة فلا بد أن تكون قصة بطرس إنه نجح

ولكنه لي ولا أريد أن تنسى ذلك »
وتركهما جورج وهو يمشي متباطئاً وقد انطبعت
في تخيلته صورة ليزا وهي تنظر إلى بطرس نظرة الأم
الرحيمة إلى ابنها المريض
ولم يزل يسير حتى وصل إلى حي ييكاديللي، وليس
يشغل ذهنه إلا خاطر واحد هو أن بطرس لا يزال
على قيد الحياة . وكان يقول إنه من المستحيل على
جيمي أن تعرف الحقيقة ما لم يخبرها بها، وأن بطرس
في حالته هذه سعيد مع ليزا وليزا سعيدة معه . وأنه
من المحتمل ألا تعود ذاكرته إليه . وما فائدتها ؟
ولماذا أكثر من السلام مع ليزا ؟ ولماذا دعاها إلى
منزله ؟ ولماذا لا يقول إن هذا الرجل ليس هو الذي
كان يعرفه ، وإنه لا شأن له معه ؟ إن تغيير حالة
بطرس تضر كثيرين ولا تقيد أحداً حق ولا بطرس
نفسه ...
وتقابل مع خطيبته جيمي فلاحظت عليه التغير
الشديد فقال : إن حادثاً حدث فشغلني عن كل شاعل
وقال : « إذا رأيتني أبكي فلا تملق أهمية على ذلك »
ثم استدرك فقال : « إنه لا يريد إخبارها » وتظاهر
بالضحك وقال : « إنه لم يجد هدية مناسبة ليقدّمها
في المرس ، وأن هذا هو الذي يشغل خاطره »
سكتت جيمي وسكت جورج أيضاً . وكان
شارد الدهن . ثم قال : « أريد منك شيئاً هو أن
تمطين صورة بطرس التي عندك »
فوقفت جيمي وهي مندهشة وكادت تنقطع
أنفاسها وقالت : « لهذا علاقة بهدية المرس ؟ »
فقال : « أريد شيئاً شبيهاً بذلك »
قالت : « ما أعزك يا جورج ! ما أعزك ! لقد
كنت أفكر في ذلك منذ عدة شهور أنني سأعطيك
الصورة »

من الحرب بأعجوبة وإنه فقد ذاكرته فغنى كل شيء
بتملق بالماضي
وقال مخاطباً بطرس : « ومن أي عهد تطلب
هذه الألباب المتنوعة ؟ » فقالت الفتاة بمحبة :
« هذا ليس من شأنك ولا علاقة لك به فإني أتولى
شئونهم »
لم يتردد جورج لحظة واحدة وكان صوت خفي
يهمس في نفسه قائلاً : « لا تكن أحمق وتجاهله فإن
جيمي لن تعلم شيئاً عن أمره »
ثم قال : « لقد كان الأمر غلطاً مني وقد حسبت
صديقاً لي كنت أظن أنه مات » فقال بطرس : « إنني
لا أذكرك ، إنني فقدت ذاكرتي وهذه ليزا تنظر
في شئونهم »
قال جورج في رقة : « أنا أعرف ذلك وألف
شكر لك يا ليزا . ولكني أدهوكا إلى زيارة منزلي
وهذا عنوانه »
ثم كتب عنوان منزله في ورقة وسلمها إلى الفتاة
وهو يقول : « إن تركه على هذه الحالة مؤلم يا ليزا
وأريد أن أعرضه على أحد الأطباء »
قال بطرس : « شكراً لك ولكني لا أريد أن
أرى طبيباً » . فقالت ليزا : « بل خير لك يا بطرس
أن يراك طبيب ويظهر أن هذا الرجل رقيق القلب »
ثم التفتت إلى جورج وقالت : « ألا تأخذه مني
إذا تم شفائه ؟ »
قال جورج بلهجة جدية : « إنني أعدك بالألا
أحاول أخذه منك . ولكن عديني أنك ستأتين إلى
منزلي . إنني أطلب ذلك لمصلحته فقط »
نظرت ليزا إلى جورج نظرة بين الرجاء وبين
الخوف وبعد تردد لحظة قالت : « إنني سأأتي به .

فنظرت إليه نظرة خوف ، وكان أول ما فعله الطبيب أن عرض على بطرس صورته في ثوبه الرسمي مشتم ليزا إلى جانب بطرس ووقفت معه أمام الصورة وكانت هي البائدة بالكلام فقالت بلهجة الأم حين تخاطب ابنها المريض : « هذه هي صورتك يا بطرس . هل كنت ضابطاً بهذه الرتبة ؟ »

ثم بدت على وجهها علامة الرهو وهي تنظر إلى حبيها وإلى صورته وهو ضابط . وقال بطرس : « لست أبذكرك ، وهذه الصورة تصيب رأسي بالعدياع » وبدأ عليه التم قفضت ليزا وقالت : « وما فائدة ذلك ؟ هذه سخريه بنا . إن هذه الصورة كادت تبجنه فلماذا لا تتركه وشأنه ؟ » فقال : « لأنى أحاول أن أنبهه »

فوضعت المرأة ذراعها حول عنق بطرس وقال الطبيب : « إننى أريد أن أخفسه في غرفة أخرى وأن أكون معه على انفراد »

فصربت النعجزة رجلها الأرض وقالت مخاطبة جورج : « هل تريد أن تترك ليزا ؟ »

قال جورج برفق : « إننا لا نريد أن نأخذها وقد وعدتكم بذلك »

نظرت المرأة إليه نظرة ألم وقالت : « هل تقسم على ذلك ؟ » ؛ فلما قال إنه صادق وفي وعده قالت :

« إنها ترى أموراً غريبة وأنها لا تفهم شيئاً مما تراه — قال لها الطبيب : « كيف وجدته ؟ » فقالت النعجزة : « وجدته ضالاً في الجاهل التي فيها خيام قبيلتنا ، وهو لا يبي شيئاً فأخذته وعينيت به وعلمته ألحاف النعج ، ونحن سعيدان معاً . وهو لا يتذكر أى شيء . في عهد مضى على مقابلي إياه »

وقال جورج : « إن هذا طبيب من أكبر

ثم صعدت إلى غرفتها وأتت بالصورة وأوصته بالعناية بها . ثم وضت يدها على كتفه وقالت : « لا أعلن الآن أنك ستنتظر مكثفياً بالصدافعة مدة طويلة . »

وفي اللحظة التالية كانت وحدها . وبعد لحظة كان جورج مع الطبيب ، وكان الطبيب يقول : « هل تقول إنه فقد ذاكرته تماماً ؟ »

فأجابه : « إنه لم يعرفنى » ثم نظر الطبيب إلى الصورة وقال : « أهذه صورته ؟ » فقال : « نعم »

— وهل علم أهل ؟ — لم يعلم أحد إلى الآن غيرى وفيرك ، وقد حصلت على الصورة اليوم من جيمي دافترى

قال صديقه الطبيب : « نعم أنك حصلت عليها من خطيبك ؟ »

فأجابه : « نعم وقد كانت خطيبة لبطرس وهي تظن أنه مات . وهذا هو السبب الوحيد الذى جعلها تقبل خطبتي »

ومضت فترة في صمت وكلا الرجلين ينظر إلى الآخر . وقد كانت نظرة الطبيب مزيجاً من الدهشة والإعجاب ثم قال : « ولكن ما رأيك إذا نجحت العملية ؟ »

فقال جورج : « وهل تظن في العالم هدية في العالم أفضل من العريس الذى تحبه الفتاة ؟ »

قال الطبيب : « وإذا لم تنجح العملية ؟ » فقال جورج : « الله أعلم ! إننا لم نصل إلى تلك الناية »

وفي هذه اللحظة دخل بطرس تقوده ليزا وسأت عن الرجل الجالس إلى جانب جورج فقال :

هو الطبيب

يراقبها وهو مطرق فقالت : « إننى لا أريد شفقتك ولكنى أريد رَجُلِي »

ولما رآه يتأمل فى صورة الفتاة قالت « تذكر الخسارة التى تخسرها بسبب هذه الشفقة . وإنى طالما كنت أفكر من زمن طويل فى أن بطرس ليس بالرجل الذى أصلىح له ، ولكننى أفتنه وألغنى » .

قال جورج : « وهل أنت حسنة الحظ يا ليزا ؟ »
فقالت : « لقد كنت سعيدة ولكننى أخذت نصيبى من السعادة عامًا »

قال : « ما الذى تفعلين الآن ؟ » . فقالت :
« ليس هذا شأنك ولكنه شأنى » . ثم خرجت مندفعة من الباب ...

وقال الطبيب بعد أن فحص بطرس إنه يستقد أن العملية ستنتج تمام النجاح ، وأنه سيجريها فى صباح الند ، وأرسل الخدم فأعدوا ليزا ، وطلب إليها الانتظار مع المريض ، وأن تجعله ينام ؛ فبقيت .
وهى تنظر إلى المريض نظرة الإنسان إلى أعز ما يملكه

ونجحت العملية بمعاونة ليزا . وفى الصباح التالى وجد جورج ورقة كتب عليها : « لا تبشوا عني — ليزا »

فلم يكن فى وسعه أن يفعل أى شئ لأنه لا يعرف عنوانها . ولو كان يعرفه لكتب إليها أن بطرس قد استرد ذاكرته ، ولكن عهدًا واحدًا قد اختفى من ذهنه تمام الاختفاء ؛ فهو لا يعرف أى شئ عن الأعوام الثلاثة الأخيرة . وكان من أوائل الأسئلة التى ألقاها كيف تسير الحرب الآن ؟ ونسى ليزا وعهدا !

الأطباء باليزا ، وهو يستقد أن إجراء عملية جراحية له يشفيه من مرضه ، ويسيد إليه ذاكرته .

فقلبت النجربة : « وبذلك يعرف أنه كان ضابطًا »
وقال جورج : « نعم ويتذكر حياته الماضية كلها . وبطرسك هذا باليزا هو السير بطرس سفوندون الذى كنا نحسبه مات فى الحرب »

ثم عرض عليها صورة فتاة وقال : « وقد كان مخطوبًا إلى هذه السيدة » . فقلبت النجربة : « إنه لا ينظر إلى أى إنسان إذا رأى صاحبة هذه الصورة »
قال جورج : « وحى تحبه جدًا يا ليزا ، وهو أيضًا يحبها ، ولا أعرف أن فى العالم اثنين يحب أحدهما الآخر مثلها ومثله . وهذه الفتاة مخطوبة لى الآن »
فقال ليزا : « وإذا شئ بطرس فإنها تتركه »
قال بطرس : « نعم هذه هى الحقيقة كما يظهر لى الآن » .

ثم ضحكت النجربة ضحكة أدل على الحزن من الدموع وقالت : « والممل الذى تريده الآن يجعلنى ويملك من أنفس الناس »

فقالت جورج : « نعم يا ليزا وإنما أقول ذلك لتعلمى أن التضحية ليست من جانبك فقط بل أنا مشترك معك فيها . والطبيب يريد أن يبق بطرس هنا هذه الليلة ليجرى له العملية غدًا فانتظرى معه إذا شئت »

نظرت ليزا إلى صورة جيمى وقالت : « وفى غد تأخذ هذه الفتاة . لماذا تأبئنا ولماذا تريد أن تأخذ منى ؟ إنه سعيد ، وإننى سعيدة . لقد قلت لك إنه سعيد منى .

وقد بكت النجربة كما يبكي الطفل وظل جورج

قالت : « لست أهم ماذا حدث ولا أعرف
إلا أن بطرس قد عاد »

فقال جورج : « هذا يكفي ! أليس يكفي
يا عزيزتي ؟ » ثم أمسك بيدها اليسرى وأخرج
خاتم الخطبة الذي كان قد أهداه إليها وهو يقول :
« لا تنسى الخاتم في هذا الأصبع ولكن احتفظي
به لديك تذكراً لي »

وهنا سمعت صوت بطرس فقالت : « ادخل
فكلمه فهو ينادي ». فقال : « كلا يا عزيزتي فهو
لا يريدني وسأخرج الآن من المنزل »
ثم خرج من منزله فلم يكن المحبان في حاجة
إليه ولا إلى ليزا
ولكن كلا أخذ نصيبه من السعادة عاماً كما
قالت الذجيعة .

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جون المولاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة غالية تدل على من آثار آلمن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وقتها ١٥ قرشاً

في هذه الأثناء استبطلت جيمي صاحبها جورج
فجأت لزوره في منزله . ولكن لما وقع نظرها
على النائم في السرير اسفر وجهها وتحركت شفتاها
وصارت يدها تنقبضان وتبسطان . وصاحت :
« لقد جننت ! لقد جننت ! إنني لا أصدق نظري
فهل هذا هو بطرس يا جورج ؟ »

وسمعا بطرس فالتفت ورآها وقال : « أنت
جيمي ! تعالى يا عزيزتي »

فصاحت صيحة فرح ، وجثت على ركبتيها عند
سريره . فأغلقت جورج الباب وخرجت من الغرفة .
جلس وخواطره ساجحة في العالم المجهول . فلم ينهه
إلا بجي ليزا . وقالت : « لقد رأيتها وهي تأتي »
قال جورج : « لقد استرجع ذاكرته يا ليزا ،
ولكنه نسي الثلاثة الأعوام الأخيرة »

قالت وشفتاها ترتعشان : « هل نسيي ؟ »
فقال : « نعم يا ليزا ، ونسي ألعاب النجر ،
ونسي كل شيء في هذا العهد . وهو يظن أنه لا يزال
في الحرب »

قالت ليزا : « وهل هي معه الآن ؟ » . فقال :
« نعم هي معه »

قالت : « الأفضل أن أذهب فلا أريد أن أراه
معه ، إن ذلك يكسر قلبي ، لقد أخذت نصيبه منه
عاماً ودعته بالأمس »

ثم ذهبت فراقبها من النافذة فראها تنقف كما
خطت خطوات وتلفت إلى المنزل

قالت جيمي لجورج : « أهذه هي هديتك ؟ »
فأجابها وهو يتشم وعيناه مفرورتان بالدموع :
« نعم فهل أحببتها ؟ »

وضرب الطبيب الأرض
بقدمه محققاً وهو يهتف:

— ما أنت إلا وحش
غليظ القلب ... ولكنني
لا أسمع لك أن تفعل ذلك ...

هل فهمت؟ إن كان عليك
حقاً أن تمسح حقل الحنطة
فلا أقل من استدعاء المرأة

« رابت » للعتاية بأملك وأنا أصر على ذلك ...
أما إذا لم تفعل ما أشرت عليك به ... فسأتركك
تموت وحيداً كالكلب الأجرد إذا ما اقتربك
المرض بأنياه وحانت منيته ... فتذكر ذلك
أى أحاسيس وجلة خالجت غيلة أونوريه في تلك
الحظة؟ لقد كان يخاف الطبيب الوحيد في القرية،
ولكنه إلى جانب ذلك كان يبعد المال ويقدمه؛
وتردد قليلاً قبل أن يسأل الطبيب في النهاية قائلاً:
بارتياب:

— وكَم تطلب المرأة رابت أجراً للعتاية بأى؟
وتتم الطبيب:

وأنى لي أن أعلم .. إنها تتقاضى أجرها بالنسبة
للمن الذى تعمل فيه ... فما عليك إلا أن تفق
معا شخصياً ... وإننى أنذكرك أننى أريد أن أراها
هنا قبيل مرور ساعة واحدة

— حسن .. يمكنك أن تطعن أبىها الطبيب ..
هأنذا ذاهب إليها
وغادر الطبيب القرية بعد أن قال للشاب بلهجة
تهديدية متوقعة:

— مرة أخرى ... إننى لست هازلاً في تحذيرى
إياك ...

الشَّيْطَانُ لِجِ لِلْكَاتِبِ الْفَرَنْسِيِّ دِي مُوَبَايَّان بِعَظْمِ الْأَدِيبِ عَادِلِ الْجَمَالِ

كانت المرأة المجوز مُسجاة على فراشها وهي
تعالج سكرات اللوت، وترقب من بين أهدابها الزهقة
إنها وهو منتصب أمام طبيب القرية وتحاول بكل
ما أوتيت من قوة وإحسان أن تثبين ماهية الممس
الذى كان يذور بينهما . كانت هادئة ساكنة رغم
تقها من أنها ستموت عن قريب ... ولكنها كانت
مستسلمة للواقع اللوس . . . فهي قد أكلت الثانية
والتسعين من عمرها ... وهذا يعنى أنها قد أتمت
رسالتها في الحياة

وتخلت شمس يوليو النافذة ... وغمرت أشعتها
المحبية أرض القرية وارتفع صوت الطبيب قائلاً بشدة:
— إنك لا تستطيع أن تترك أمك وحيدة
يا « أونوريه » وخصوصاً وهى في مثل تلك الحالة
فهي قد تموت بين آونة وأخرى
وأجلب أونوريه بقلة اكتراث:

— مهما يكن الأمر ... يجب على أن أذهب
لحصاد الحنطة ... وهما هو ذا الجو اللامع لذلك ...
ماذا تقولين في ذلك يا أماء؟

ورغم شعور المرأة برعشة اللوت وهى تسرى
في جسدها ... فقد أشارت إلى أنها بالواقعة وهى
تحت تأثير جشمها وعبادتها للمال .

يأتسون من التحسن كما تملين ... وأنا أشفق على النساء اللاتي يشتغلن بأنفسهن .. يا لآمي المسكينة .. لقد كانت تعمل كفتاة في الماشية رغم بلوغها الثانية والتسعين .

وأجابت الأم رابت في اقتضاب وتحفظ :
— إنني أحتاج سمرين .. فلا أغنياء .. فرنكان اليوم وثلاثة ليل ... أما للفقراء ... ففرنك واحد لليوم واثنان ليل ... وسأعمالك كالفرق الثاني : واحد واثنان ...

وراح أونوريه يفكر .. إنه يعرف أمه تماماً .. ويعرف مقدار مقاومتها للبرص ... فلربما عمرت أسبوعاً آخر رغم زمم الطبيب بموتها العاجل فأجاب المرأة قائلاً :

— كلا .. : إنني أريد أن أكاثك إجمالاً لإتمام المهمة .. إنه نوع من المقامرة .. فلقد أكد الطبيب أنها ستموت حالاً .. فلو تم ذلك فسيكون ربما لك وخسارة لى . أما إن عمرت يوماً أو اثنين . فسيكون ذلك أقل ربما لك وأقل خسارة لى ..

ونظرت إليه الأم رابت بهشة ... فلم يسبق لها أن حامل محتضراً بقدر ... وترددت لحظة ... وبقاة ... راودتها فكرة الخداع فأسرعت قائلة :

— لا يمكننى الموافقة على ذلك حتى أرى أمك — إذن ... هيا بنا لرؤيتها

وجفت المرأة بينها ثم تبعته صامتة طوال الطريق ، وحين مرورهم بالحقل المجاور للمنزل صرا بمجموع الماشية وهي ترى الكلا الجاف ... ففتم أونوريه : « اطمئنا ... فستأكلون القمح الجديد عن قريب » .

ولم تكن المرأة المعجزة قد ماتت بيد ... بل كانت مستلقية على ظهرها ، وقد امتلأت يداها فوق

وحين انفرد الشاب بأمه التفت إليها قائلاً بلهجة الملوك :

— إننى ذاهب لاستدعاء الأم « رابت » كما أصر على ذلك هذا الفر ... فكفوى هادئة حتى أعود ، ودون أن ينتظر إجابتها غادر الغرفة

كانت الأم « رابت » امرأة عجوزاً تشتغل بكي اللباس وتنظفها ... وإلى جانب ذلك كانت تعمل كمرضة لقاء أجر معلوم ، وكان وجهها مجعداً كفتاحة مُمعرة ... وهي حقود حسود ... ذات طبع حاد لا يمكن أن يعت للرحمة البشرية بصلة

وحين استقبلت أونوريه في منزلها ... كانت منهمكة في سراج بعض الألوان لصبغ ثياب بعض فتيات القرية فيأدها قائلاً :

— كيف حالك أيها الأم رابت ؟ هل تسير الأمور في طريقها المادى ؟

والفتفت إليه المرأة بحمية :

— نعم . نعم ... شكرأ ... كيف حالك أنت ؟

— على أحسن حال ... إنها أى التى تشكو

— أمك ؟

— نعم أى

— وما خطبها ؟

— إنها في طريقها نحو الأبدية وهذا كل ما هنا لك

— هل بلغ بها سوء الحال إلى ذلك الحد ؟

— لقد قال الطبيب إنها لن تضر حتى الضحى

— إذ لا بد أن تكون انتهت الآن ؟

وتلمع أونوريه قليلاً ... فلقد أراد أن يهون

المهمة التى جاء من أجلها ... فكانت المرأة أشد

منه دهاء .. فلم يجد بداً من مفتاحتها مباشرة بقوله :

— كم تأخذين للمناية بأى حتى النهاية ؟ إننا

وعادت معه وهي تضطره إلى الإسراع غير عابئة
 بدعشة الرجال الذين كانوا ينظرون إليهما باستغراب،
 ولا ينظرات النساء اللاتي كن يرمعن علامة الصليب
 على صدورهن. وراهن أونوريه عن بعد... فتسائل
 عن سبب إسراع القس، وما كان أسرع جاره
 في الإجابة عليه قائلاً :

— إنه سيتلقى اعتراف أمك دون شك
 ولم يساور أونوريه المصير لذلك... بل واصل
 الحصاد في هدوء.

وتلقى القس اعتراف مدام بوتيمبس، ثم غادر
 السكان.. وصرة أخرى أصبحت المرأتان على انفراد،
 وابتدأت الأم رابت تفقد صبرها وهي تعجب كيف
 أن المرأة لم تمت حتى الآن

وشحب لون النهار... وازدادت برودة الجو.
 وراحت فراشات الليل يحوم حول النافذة يحاول
 التحرر من أسرها كروح المرأة المجوز التي كانت
 راقدة دون حراك وعيناها مخملتان وكأنها في انتظار
 رؤية شبح الموت... بينما كانت أنفاسها تتدافع من
 صدرها بطيئة ذات صغر خافت أليم.

وعاد أونوريه... فوجد أمه ما زالت على قيد
 الحياة... فتسائل دهشاً عن كيفية إمكان ذلك...
 ثم ودع الأم رابت بعد أن أوصاها أن تمود في تمام
 الخامسة من صباح اليوم التالي... وفعلت عادت المرأة
 قبل انبثاق الفجر وأسمرت بسؤال أونوريه قائلة :

— ألم تمت أمك بعد ؟
 وأجابه وهو يسير نحو الحقل :
 — كلا وأظنها أحسن حالاً

وشاقت الأم « رابت » ذرعاً ، فتوجهت توا
 إلى حجرة المرأة المحتضرة فوجدتها كما كانت بالأسس
 تماماً ... هادئة ساكنة مفتوحة العينين ، وبداهها

غطاء الفراش الملون وقد بدا عليها الضعف والهمال.
 واتجهت الأم رابت نحو الفراش ثم حدثت في المرأة
 المحتضرة وتحدثت بنفسها ثم صرت يبيدها على صدرها
 وهي تصني لصوت تنفسها الخافت الذي يشبه الزرع،
 وألقت عليها بضغ أسئلة حتى تتأكد من ضعف
 صوتها ؛ ثم غادرت الغرفة بعد ذلك الامتحن ببقعها
 أونوريه . كان رأيها الشخصي أن المرأة لا يمكن
 أن تستمر على قيد الحياة حتى المساء
 وسألها أونوريه بلهفة :

— والآن ؟
 وأجابه المرأة بنجبت :
 — ستعيش يومين وربما ثلاثة أيام .. وسأهاضي
 منك ستة فرسكات
 وردد أونوريه قولها :

— ستة فرسكات ... يا لله ... ست فرسكات
 كاملة؟؟ هل جنت أيتها المرأة؟؟ سوف لا تعيش
 إلا خمس أو ست ساعات على الأكثر
 واشتد الجدل بين الرجل والمرأة وأمرت
 المرأة على الرحيل ... فتخيل أونوريه حنطته في انتظار
 الحصاد ، فلم يجد بدا من الخضوع وتقم مستسلماً :
 — سأعطيك المبلغ على أن ينتهي الأمر كلية
 مهيا طال أمده

وأوسع خطاه نحو الحقل ... في حين رجعت
 الأم رابت إلى حجرة المريضة وهست قائلة لها :
 — لا شك أنك تريدن الاعتراف يا مدام
 بوتيمبس ؟

وأشارت مدام بوتيمبس برأسها لإيجاباً ...
 فنهضت الأم رابت يسرور ونشاط وهي تهف :
 — يا إله السموات... سأذهب لإحضار القس
 وأسرع المرأة في طريقها نحو القس ...

فبليت مضطربة حائرة ، لا يستقر رأسها على الوسادة في مكان واحد .

واختفت الأم رابت حينئذ وراء الستار المسدل بجانب الفراش . وتناولت من صندوق بالقرب منها ملءة بيضاء ألقتها فوق رأسها فحجبها من قبة رأسها إلى أخمص القدم . ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مديية . ثم أمسكت بيدها مكنسة مستطيلة ، وما كادت تنتهي من كل ذلك حتى صعدت فوق مقعد مرتفع .

ولجأة رفعت الستار وبدت بهيئتها أمام المريضة وصرت لحظة فزع ورعب ... وحاولت المرأة السكينة بكل قواها أبت تهرب من الشيطان ... شيطان الموت الرهيب ... ولكنها ما كادت تتحرك حتى خانها قواها وارتعت على الفراش مرة أخرى وانتهى كل شيء .

وبكل هدوء وودعة ... أعادت الأم رابت بضاعتها إلى أماكنها ... ثم أغلقت عيني المرأة الميتة ... العينين الفزعيتين المحدقتين في خوف وفزع ... ثم ركعت على ركبتيها جانب الفراش وابتدأت تصل على الراحلة بحكم المادة

وحين عاد أونوريه من الحقل عند الغروب ... وجد الأم رابت راكعة على ركبتيها تصل ... فتأكد أن روح أمه قد صعدت إلى باربيها وأبتدأ يفكر .

لقد استعمرت المرأة في خدمة أمه ثلاثة أيام وليلة ... أي أن أجراها كان يجب أن يكون خمس فرنكات ... ولكن ... يجب عليه الآن أن يدفع ستة وغنم قائلا بغضب :

— يا للحظ السيء ... لقد خسرت فرنكاً

هارون النحال

ممدودتان فوق غطاء الفراش الملون ... يبدو عليهما الضعف والزال؛ ورأت الأم رابت أن المرأة يمكن أن تظل هكذا يومين أو أربعة .. بل ربما عاشت أسبوعاً آخر ... فأحسّت باقْباض يسود نفسها ... ويحقد هائل نحو ذلك الذي خدعها بأمه التي لا تريد أن تموت . وظلت عيناها عدقتين مدام بوتيمس طيلة هذا الصباح حتى عاد أونوريه للقضاء . ثم رجع إلى حقله لإكمال حصاد حنظلته .

وكادت الأم رابت تفقد شعورها . فلقد خيل إليها أن كل دقيقة تمر إنما هي زمنٍ مسروق منها ومن حقها أن تتقاضى عليه أجراً .

وأحسّت رغبة قوية . رغبة مجنونة في أن تضغط على ذلك العنق المزيل فتخمد أنفاس المرأة التي كانت تسلبها وقتها المقدس ، ولكنها استطاعت حينئذ أن تتصور بشاعة جرمها .

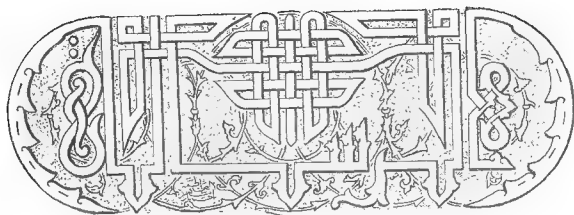
وراودتها فكرة أخرى .

واقتربت من المرأة المحضرة ، وهجست تسألها — ألم ترى الشيطان بعد ؟

فأجابها مدام بوتيمس هامة :

— كلا

وابتدأت المريضة تلتقي على مسامعها بعض القصص الخرافية النفيسة . فقالت : إن الشيطان يظهر عادة لهؤلاء الذين على وشك الموت قبل موتهم بدقائق معدودات ... ثم راحت تصف لها شكل الشيطان ، قادت أنه يحمل في يده عصداً كبيراً وعلى رأسه قدر مملوءة بسائل ينثى مسمر به ثلاث قرون . واستمرت في حديثها الرهيب ، فعددت لها أسماء من زعمت أن الشيطان قد ظهر لهم قبل موتهم : وفعل ذلك الحديث فعل السحر في مدام بوتيمس .



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النِّشَاءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرْتَضِدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الْمَشْرِقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

، وَشَرَاهُ الْإِلَهِيُّ سَمَرُ قُرْبَانِ ، وَالْخَارِجِيُّ مَا يَسَارِي جَنَاهُ مِصْرِيَاءَ ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بِخَصْمِ ٢٠٪



عبدالله

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية لفن القصص والذبح

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — ١٥ يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٨

من احسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
٥٦٢	اختيار زوجة	عن الانجليزية
٥٦٣	دموع قديمة	أفصوصة مصرية
٥٦٤	زوجة	أفصوصة مصرية
٥٦٥	الأعمال والآمال	عن الانجليزية
٦٠٥	الورقة الثالثة عشرة	لكاتب القصص فيليبس أونهم
٦١١	نصيحة	عن مجلة تروستورى
		عالم الأستاذ عبد الحميد حمدي
		عالم الأستاذ درويش خبطة
		عالم الأستاذ جيلة الملايلى
		عالم الأستاذ عبد الطيف النشار
		عالم الأديب عزت السيد ابراهيم
		عالم السيد ناصر مرز

على بقعة مرتفعة إلى الشمال ،

ولم يكن يفصله عن فناء السجن

غير « الطريق الكبير »

مات أبي وأنا في العشرين

من عمري ، وبعد شهر من

موته تزوجت من جون

هارداواي وهو الحبيب الوحيد

الذي عرفته

اخْبِئْكَ زَوْجَتِي

(قصة مخفية جازة مائتي جنيه)

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحليم محمد

وكانت ضربة أبي جون مجاورة لمزرعتنا ،
وقد اتفقنا على أن نعيش في بيتنا لأنه كان أكبر
من بيت جون وأقم استمداً

ورغب أبو جون في أن يعيش معنا وكان
كما يصف نفسه « قد ولد ضارحاً » فأشرف بنفسه
على خدمة أرضنا وأرضه

وكان جون أشد ميلاً إلى الماشية منه إلى الأرض
وكذلك كان شائقاً ، لهذا ربط بيننا نوع من الشركة
الطبيعية ، فكان جون يرعى القطيع الذي تركه
لي أبي

وجرت أمورنا سهلة هنية مرضية إلى أن ساءت
الأقدار هائل كيليون إلى طريق حياتنا

وكانت الفتيات من صاحباني يقطن لي إني جميلة
وإني لو عنيت بمظهرى وبترتيب شعري لأصبحت
في طليمة الجليات ، على أن جمال وجهي لم يدخل
إلى نفسى شيئاً من الضرور الذى يسهه عادة مثل هذا
الإطباب

وكان جون أجمل رجل في المقاطعة ، طويل
القامة مستقيم الصدر قوى البنية ، أسود العينين ،
له شعر فاحم متواج تحمده عليه جميع الفتيات .

أخفاً كانت هذه الزوجة غير ودية ؟ وهل
كانت أية امرأة أخرى كذلك غير سلوكها
إذا هي فوجئت بـ ... ؟

كنت في الثانية والعشرين من عمري عند ما وقع
هذا الحادث . وكانت عشرون سنة من هذا العمر
قد انقضت مفعمة بكل أسباب السعادة . كنت محبة
لعيشى ولكن فلسفة حياتي كانت بسيطة فالرجال
في نظري إما خيرون وإما سيئون . والسيئون منهم
كانت نجسهم عن العالم تلك السجون النبراء القائمة
كذلك السجن الذى يقع في الوادى القريب منا .
والحياة عندى شئ يجب أن يعيشه الإنسان ويتم
به ، ولم تكن الأيام في نظري من الطول بحيث
تسبب لجميع مباحج الحياة . وكانت لنيري من الناس
أحزانهم ولكن أجنحة الحزن العابسة لم تهو ناحيتي
مرة من المرات ، ولقد كنت طليقة فرحة ككل
شئ صغير في ضربة أبي

كان اسمي إيلن دراكوت وكنا نعيش منذ
ولادتي في الولايات المتحدة على رمية حجر من سجن
الولاية . وكنا إذا ذكرنا السجن أشرنا إليه بأه
البناء الواقع هناك في النحدر ، لأن بيتنا كان قائماً

إنما هو عصني الزواج عنيد ، فهو يغيل إلى غائلة الجماعات غير المستقيمة في المدينة ، ويشرب قليلاً ولكنه لم يقع قط في ورطة ، وقدراقبه أبوه مراقبة شديدة في طفولته . لذلك قد أبطأ في الاستفادة من تجارب الأيام ، ويغيل إلى أن جون يشمر بشيء من الخيلاء في أن يصطحبه رجل أكبر منه سناً مثل هایل ، فمليك يابنتي بالصبر ، ومتى وضعت مولودك فسيمسح جون رجلاً غير الذي ترين الآن

بعد هذا الحديث غابت مخاوف وشرعت أسلى

نفسى بأشياء آخر خارج البيت

وكانت الدراسات الخارجية للكلية قد شاعت في تلك الأيام فسجلت اسمي في درس التاريخ الانجليزي ، ووجدت أعظم اللذة في اللذاكرة التي كانت تشغل ليالي طوالاً لولاها لكانت ليالي وحدة مملّة مزيجية .

وقد ضحك جون من أن زوجته أصبحت طالبة تسمع بأنفها ولكنى تركته في تهكمه ومضيت في درسى .

وفي يوم من الأيام سمح جون لهایل أن يأخذ قتيلاً من الماشية إلى السوق على غير إرادتي ، وكان كل شيء في هذه الأيام ينقل على قطرات سكة الحديد ، وكان من المألوف أن يصحب القططع في العربّة أحد الرجال ، وقد أردت أن يذهب جون بنفسه على عادته ، ولكنه رفض أن يسمع أى معارضة في ذهاب هایل بدلاً منه ، ولما عاد هایل نقدني في الحال نصيبي من ثمن القططع ، وكنت لا أزال غاضبة ، فسلته صكاً بالمبلغ دون أن أنطق بكلمة واحدة قد لاحظت أنه سكران .

ولما ذهبت إلى البنك لإيداع المال علمت أن جون

وكان من الناحية الخلقية مثله من الناحية الجسمية شديد الاستقامة ، وكان مبدؤه ألا يقضى نظره أمام أى مخلوق وألا يدين لإنسان

لقد وهبت جون هارداواى من الحب كل ما تستطيع زوجة صغيرة سليمة الجسم أن تهيب الرجل الذى تحبه ، وكنت كذلك أحيطه بنوع من حب الأمومة الذى لم ينم به قط ، فقد مات أمه وأنى ونحن طفلان ، ويظهر أن هذا العامل المشترك كان من الروابط التى جمعت بين قلوبنا

ولقد بلغ من حبي جون أنى حين كنت أراه يكاد يزلنق في طريق خطرة متقاداً لبعض الرجال ، الأكبر سناً والأكثر تجارباً ، لا أتردد في أن أصارحه برأى ، ولكنه لم يكن يصنى إلى نصائحي . على أنى لم أكن بطيحي لوحدة ولم أكن ميالة إلى مضايقة الناس بتدخل فى أمورهم لذلك كنت أكتف حزينى في نفسى عندما كان يتركى الليلة بعد الليلة ليذهب إلى المدينة مع هایل كيليون

وكنت بعض الأحيان أتوسل إليه أن يترك هایل وأن يبقى معى في البيت إذ كنت وحيدة منقطعة ولكنه كان يجيبني على ذلك بقوله :

— ولكنك لست وحيدة بإعزرتي فإن أبى معك ولكن أباه كان يعمل كثيراً ، وكانت حاجته شديدة إلى التمتع بساعات نومه ، فلم يكن لي من عمل إلا أن أجلس في الطابق الأول وحيدة أو أصمد إلى فراشي فأبكي حتى أنام ، ولم يكن كل ما يهمنى أننى وحيدة فقط ولكننى بدأت على مرور الأيام أشعر بالخوف من سلطان هایل على جون

وقال لي حى مرة وهو يحاول أن يواسينى :

— لا تخافى فليس هایل بالشرير الذى تصورين

إلى جانبه . واستعان جو بما يحمل من الحجر على إفاقة جون من غيبوبته . وكان جوادا المتعاريكين قد اختفيا ، ولكن جو قال إنه سمع ركض الخيل في طريق المدينة في أثناء مجيئه منها

وعادوا بجون إلى المدينة؟ ولم يكن في وسعه أن يخبرهم بأكثر من أن هایل غلبه من أول لكمة فأفقده الرشد . وأودع الشريف جون سجن اللقاطمة حيث وجده أبوه في صباح اليوم التالي وقال لي حيى عند ما عاد إلى البيت :

— يريد جون ألا تهتمى بما حدث فهم سيحققون معه التحقيق الابتدائي بعد ظهر اليوم وسينتهي كل شيء على خير

فلما بكيت صارخة في حال عصيبة قال حيى :
— لا تخافى يا إيلن واذكري أن في أحشائك جنينا يجب أن تفكرى فيه

ولاحظت في عيني الرجل نظرة غريبة فبذلت جهدا عنيفا لأخفف من ضربات قلبي الهائجة وصحت :
— ولكن يا أبى إذا كان هایل ميتا وليس هناك شهود على ما حدث فإذا يكون موقف جون ؟ فقال الرجل في حزم :

— نعم يا إيلن إلى أرى المركز دقيقا حرجا ولكنى واثق من براءة ابني

وبدأت محاكمة جون في اليوم التالي للتحقيق الابتدائي ، ولقصر الوقت بين التحقيق والمحاكمة رفض طلب إطلاق سراحه بكفالة فيق في السجن

ولما كانت حالتى الصحية لا تسمح لا تسمح لي بحضور المحاكمة فقد اكتفى بسماع شهادة قصيرة أدليت بها ولم أر جون بعد ذلك إلا عندما أحضره الشريف إلى ليودعى الوداع الأخير ، فقد حكم عليه بالسجن المؤبد

لم يودع نصيبه ، وكانت قد مضت عدة أيام بعد عودة هایل وتسديده ثمن القطيع ، فلما جلسنا إلى مائدة المشاء ذكرت ما علمت من البنك لجون وقلت له محذرة :

— يجب ألا تحمل هذا المبلغ الكبير من المال ملك يا جون حينما ذهبت فقد يهاجمك بعض الأشرار فأجاب جون في شيء من الكآبة :
— ليس عندي من المال ما أودعه ، فقد ادعى هایل أن المال كله له

ولكن جون دافع عن صديقه عند ما رمى أبوه هایل كيليون بعبارة تحقير وازدراء ، فقال :

— سأحصل على مالى يا أبى عند ما يفيق هایل ، وإلى لأظنه قد وقع في أيدي عصابة هناك في ميدان السوق فمضوه إلى اجتماع أعدوه . ولتلق يا أبى أن هایل رجل مستقيم

وقضت الأسرة بقية وقت المشاء في صمت . وبعد قليل وصل هایل إلى فناء البيت راكبا وخرج جون معه متجهين إلى المدينة على عادتهما . أما ما حدث بعد وصولهما إلى المدينة فقد علمناه من غيرهما على الصورة الآتية :

تعارك جون وهایل أمام قاعة البليارد عندما أعلن هایل أنه غير مدین لجون بشيء من المال . وكانت المركة حامية جدا فأتل كل فيها أخاه قتالا عنيفا عند ما حاول المشاهدون أن يفرقوا بينهما . على أنهما بعد ذلك تركا المدينة عادين وهما في أعين الناس على خير ما يكون من المودة والصداقة ، ولكنهما في الواقع قد استأفيا القتال على مفترق الطريق

ورآهما جو استامسى في أثناء عودته وكان جون فاقد الوعي ، أما هایل فكان جثة هامدة وبندقيته

النفس والجسم ، ولكن الأمل في محاكمة ثانية شجنى على احتمال الصدمة ، على أن هذا الأمل لم يكن ليتحقق ، ولكنه على كل حال قد قوائى على النهوض يوم أحضر الشريف كلم هاوكنز زوجى إلى البيت لتودى قبل الذهاب به إلى السجن فك الشريف القيد الحديدى من يدى زوجى لجرد دخولها إلى البيت ثم أدار لنا ظهره وأطل من الشباك ، فماقتى جون وقال :

— إلين . تقى بأنى برىء من قتل هايل فتناك بأن الله موجود فى السماء

قال جون هذه الكلمات فى ثبات وخشوع كما لو كان يقسم قسباً عظيماً ، ولأول مرة زال من نفسى كل شك فى براءة زوجى . فماقتة وأنحنيت عليه فقال :

— لم يكن بد من أن أراك يا إلين لأقول لك هذه الكلمات لأنى أعلم أنك كنت تشكين فى برائى . لقد قرأت أفكارك يا عزيزتى ، وكنت دائماً قادراً على قراءتها ، والآن أطلب منك أن تمدينى بالآتمضرى أبدأ إلى السجن لرؤيتى . فإنى لا أطيع أن تربى أنت أو طفلنا سجيناً . ولا تكنى لى فإن ذلك يصعب على البقاء هناك ... وستكفل أبى بزيارتى . والذى أرجوه منك يا إلين هو ألا تخبرى طفلنا أن أباه سجين . عودبه على أن يحسبى ميتاً . وثمة شىء تستطيعين أن تملينى من أبلى . فساتظر فى الساعة السادسة من كل مساء أنت أمحك تقولين : « إنى أحبك يا جون » كما كنت تقولين كلما كنت بعيدة فى الكلية وسأسمع كلامك وسأرد عليك بمثلاً »

وكنت أنا وجون نمتقد بالإيماء وقد أقمنا الدليل على قوته فى كثير من الغرض .

بنى الحكم على جون على شهادة القرائن ؛ فقد روى قسته على حقيقتها فى غير تردد ، ولكن القاضى والحلطين لم يقيموا لها كبير وزن . قال إن هايل كان لا يزال تحت تأثير السكر عند ما غادر المدينة ، ولم يستطع أن يقول أين ذهب بمال جون ، فتشاجرا وكان هايل هو الذى ضرب الضربة الأولى مدعياً أن جون قد وصفه بأنه لئس ، على أنهما لم يلبثا أن تصالحا وشكما على ما كان منهما ، ولكنهما فى أثناء عودتهما إلى البيت استأنف هايل القتال

وفى منفرد الطريق ترجلا عن جواديهما وقررا أن يتقاتلا ببضائهما عارية عن القفازات ، وألقيا ببندقيتهما على الأرض وأجفل الجوادان . فركضا هاريين . وضرب هايل الضربة الأولى فكانت ضربة قاضية أقعدت جون وعيه فلم يعرف شيئاً بعد ذلك إلى أن استيقظ فوجد أستماسى منحنياً عليه وقال جون :

— لقد كانت بندقيتان ملقيتين على الأرض إحداهما إلى جانب الأخرى فابحنوا عن بندقيتى فحيث وجدتموها وجدتم القتال

ولكن القرائن ضد جون كانت من القوة بحيث بدت ككاته عديمة القيمة ، وكان الشعور العام متجهماً إلى أنه بعد أن قتل هايل أتى ببندقيته بعيداً حتى إذا شعر باقتراب أستماسى اصططح النيبوبة والإغماء . واعتقد آخرون أن البندقية التقطها أحد الباحثين عن الأشياء الغريبة عندما ازدحم الناس حول الجثة ليلية ارتكاب الجريمة . ولم يصدق ببراءة زوجى إلا نفر قليل من شهود المحاكمة

ولما وصلنى خبر الحكم على زوجى شرمت بأن الحياة لا تساوى متاعها ، وأحسست بأننى مريضه

وتنطق حى البصرة الأخيرة بلهجة المواساة
الرقية . فتألبت حزنى واستويت جالسة فى فراشى
وكانت الساعة قد اقتربت من السادسة مساء .

تذكرت وعدى لجون فصليت لله ضارعة وقتل
بينما ذهب حى لإحضار الحساء :

— القم ممكنه من أن يسمعى .

فلما دقت الساعة السادسة قلت :

— إنى أحبك يا جون .

وبعث هذه الرسالة بكل ما فى نفسى من قوة
معنوية .

واضطربت إلى أعماق نفسى عند ما سمعت الرد
يلب فى أذنى .

— إنى أحبك يا إلين .

كانت هذه الرسائل فائمة رسائل إبحائية عديدة
ينتنا فلم أنس قط أن أرسل كل يوم هذه الرسالة
الطائرة التى كان جون ينتظروها إليه وهو جالس
هادىء فى سجنه الصخرى .

وكان حى يذهب بنظام لزيارة جون فى المواعيد
المحددة للزيارة ولكنى لم أعرف قط ما كان يجرى
بينهما من حديث . على أنه كان يلىنى أموراً تتصل
بجون كالفرة التى كان زوجى يملها فى أيام الأحاد ،
وهى مؤلفة من جماعة لم تكن من قبل تهتم بأى شأن
من شئون الدين ، وأخبرنى أيضاً أنه إدارة السجن
عهدت إلى جون بالإشراف على الحركة الرياضية
الجديدة التى أدخلت على نظام السجن .

وأخبرنى مرة أن جون أقنع فريقاً من المسجونين
بالمدول عن الحرب من السجن ، وسلم الأسلحة التى
صنعوها بأيديهم إلى أولى الأمر دون أن يذكر لهم
أسماء التذمرين . وفى مرة أخرى أخبرنى أن جون

وقد سألنى جون :

— أو ستفعلن هذا الذى أطلب منك يا إلين ؟
فوعده فى كلمات تقطعها الزفرات :

— نعم يا أعز الناس على نفسى لا بد أن أفعل
ذلك ولن أنسى أبداً ، وإنى لأصدقك ، وأعتقد
ببراءتك وبأنك لم تقتل هايل كيليون . لن أنسى
ذلك ما حييت .

وكانت عينا جون جافيتين عند ما قبلنى ، وكان
صوته ثابتاً رزيناً عند ما ألقى إلى بكلمة الوداع .
وكان ظاهراً أنه قد غالب نفسه وشعوره قبل حضوره
لوداعى ، ولكنى تملقت به فى عنف عند ما أمد
الشريف القعيد الحيدى إلى يده وقال : « هلم بنا
يا جون فلا بد من أن نذهب » .

فقال جون :

— ابق مع إلين يا أبى وحافظ عليها ، واعن
بأمرها واحضر لرؤيتى كلما استطعت الحضور .

وكان من نعمة الله على أن أسأبى الإغماء ؛
فغفلنى حى إلى فراشى . وفى المساء شعرت بأنه
يفسل وجهى ، وكان الطبيب قد غادر النزل فى
هذه اللحظة ، وسمعت جركة فى المطبخ بالطابق
الأول .

وقال حى :

— يجب على الإنسان أن يحتمل الحياة يا إلين .
وليكن طفاك أول ما تفكرن فيه ، وسأحضر لك
الآن شيئاً من الحساء الساخن ، وقد حضرت مارى
جوز وفرائك لمساعدتنا ، وقد عطينا بكل شئء
فى البيت ، وإنى لوائق من أنك ستزودين بالشجاعة
فى حياتك المقبلة . ومن المحتمل أن نصل إلى عاكة
جديدة كما تعلمين .

من يشهد موعد غرامنا غير النجوم والقمر أو ربما خيالات الشتاء القارس .

وكان في مرعانا الجوار للتل على مقربة من مزرعة السجن أكمة صغيرة ، فكنت أقصد إليها غالباً بعد انتهاء عملي ، وكان يلذ لي أن أجلس فوقها وأرقب مصاييح السجن حين تضاء . فكان المنظر أشبه بقصر من قصور الجان بأضوائه البراقة التي تبعث بأشعتها إلى غسق الوادي المنحدر . فلم يكن السجن في هذه الساعات ليشبه في شيء مأوى الآمال الضائعة ويدت المقاب .

كان يحلو لي أن أجلس هناك وأفكر في جون فأرسل له وأتلى رسالتي حينما الصامتين . وكان يفيل إلى في بعض الأحيان ، عندما يكون ضوء النهار لم ينب بعد عن الأرض المرتفعة ، أن بناء السجن وحش رابض في ظلال الوادي ، فكنت أبغضه لأنه قد ألهم جيبي .

وفي مساء يوم من الأيام أتيت بروني مي في هذه الرحلة اليومية ، وكان قد بلغ السنة الخامسة من عمره . فلما وقفنا هناك مولين ظهرنا ناحية الشمس النارية ، رأينا فريقاً من المسجونين في عربة محملة بالحشائش الجافة تسير بهم مطبقة في الطريق الموصل بيننا وبين السجن ، وكانوا عابدين من أحد الحقول البعيدة وقد استلمت أن أرى هؤلاء الرجال الصامتين رؤية تامة ، ولكن بعد المسافة لم يمكنني من تمييز قسبات وجوههم . وعلى حين فجأة وقف واحد منهم ورفع قبعة السجن ، وبقي على ذلك إلى أن غابت العربة عن نظري . فساءلت نفسي: أيمكن أن يكون هذا الرجل هو جون ؟ وذكرت عندئذ أن حي قد أخبرني أن جون كان يشرف على الفرقة من

اعترف له بالقيادة والشجاعة لإخماده حريقاً في نبات القنب .

ولم يدهشني معاملت من صفات الشجاعة والقيادة التي تميز بها جون ، ولكنني دهشت عندما سمعت أنه قد اختار العمل في المناجم مع أشد المسجونين تهوراً . وقد قال الحارس لحى إن جون اختار هذا العمل لأن هؤلاء المسجونين كانوا بحاجة إليه لأنه يستطيع أن يقودهم إلى حياة أفضل من حياتهم الحاضرة إذا هو فضل هذا النوع من العمل على الترس الديني الذي كان قد عهد إليه بإلقائه أول الأمر .

ولقد شعرت عندما سمعت هذا الكلام بشعور الفخر بزوجي . فكان من النادر أن يفيب ذكره عن رأسي واحتفظت بصورة جون الفوتوغرافية على مائدة زينتي ، وكنت أقول لابني الصغير :

— هذا هو أبوك ، ونحن نحبه وهو يحبنا ، وما نستطيع أن نراه أبداً ، ولكننا نعلم أنه يفكر فينا على الدوام .

وكنت قد وضعت ابني بعد شهرين من دخول أبيه السجن ، وكان طفلاً جميلاً قوياً ، وقد سمعته رونالك كلم أبي ، ولكن اسم روني كان أكثر انطباقاً عليه ، وتصدت أنا وحى أن ندعوه بهذا الاسم الصغير . وقبل أن يتكلم بوقت طويل تعلم أن يهز يده مرسلاً في الهواء قبلة إلى صورة أبيه وكانت أول كلمة نطق بها هي كلمة « أبي » .

وكتبت في بعض الأحيان خطابات مطولة لجون أصف له فيها ابنتنا الصغير ، ولكنني لم أرسل قط هذه الخطابات .

حافظت على وعدى لجون بالبقاء بتيدة عن السجن ، وكنت في كل ليلة أتحدث إليه ، وليس

فليس معنى هذا أن الحياة كانت كلها متاعب وأحزاناً
فلقد أصبحت في تلك الأيام امرأة كثيرة المشاغل ،
فقد غيرت طبيعة مزيجي من البيع بالجملة إلى الاتجار
في الألبان ، وقد ارتقت سمعة تظلمان هارداواي
في جميع أرجاء الولاية وحصلت على الجوائز الأولى
في الماراض ، وصرت من العملاء الدائمين مع مخازن
ألبان الحكومة ، وتلقيت كثيراً من المحاضرات
الخارجية في كلية الزراعة الحكومية

واشتركت في كثير من النوادي وهذا هو
الميدان الذي أجهه إليه نشاطي ووجدت فيه العزاء
من الأحران التي كادت تدفني في الظلام . وكان
حبي ابني أكبر عامل في شعوري بالانفراح والسعادة
فقد قضينا ممّا أوقانا هنية حقاً ، وقابلت كثيرين
من أطفال الرجال وكان في مقدوري أن أتزوج
إن أردت ، ولكن لم يكن هناك غير رجل واحد
يحتفظ له قلبي بلحب والولاء هو جون هارداواي
وفي أحد أيام الشتاء من العام السابع لسجن
جون عاد حبي إلى البيت مصاباً ببرد شديد ، وكان
قد ذهب لزيارة جون وقد بدا عليه أنه يشعر بهبوط
في حاله النفسية ، ولما ذهب روني إلى فراشه حملت
حبي في إصرار على أن يقص عليّ ما حدث

قال : إن جون قد أصبح بطالاً في السجن ،
وقد شب حريق في مصنع الرائب أودى بحياة
كثيرين من المسجونين وأحد الحراس ، وأتخذ
جون أرواحاً عديدة بسرعة تفكيره وحسن قيادته ،
وقد لحقته بعض الإصابات ولكن أباه لم يقف على
ميلنها لأنه اضطر أن ينادر السجن قبل أن ينتهي
الطبيب من عمله ، فقد أمر جون على أن يتولى
الطبيب إسعاف جميع المصابين سواء وأن يتركه

المسجونين التي عهد إليها أن تعمل في الزراعة هذا
الصيف . ففرت أن جون هو ذلك الرجل الذي
وقف وحياي أنا وولدا هذا التحية الصامتة .

ولم أخبر حبي بما حدث فقد كان هذا الحادث
أمراً مقدساً احتفظت به لنفسى ، ولكنه عند ما عاد
إلى البيت بعد يوم الزيارة من الأسبوع التالي قالى :
— لقد غزمت يا إيلين ألا أخذ روني منى مرة
أخرى إلى المرحى ، وأظن أنني أنا نفسى لن أذهب
إليها ، فهناك مغريات لا تقوى الطبيعة البشرية على
مقاومتها . وجون رجل برى ، فتنفسه خالية من
الشعور بمدل ما ينزل به من عقاب، هذا الشعور الذى
من شأنه أن يجعل كثيرين من الرجال على أنف
يخضعوا لأحكام السجن ممتثلين . ولقد كان جون
حتى الآن مثلاً طيباً في السلوك ، ولكننا جميعاً
معرضون للتأثر بالمغريات

فصحت :

— ولكن أليست لى يا أبى حقوق ؟ أيجب
عليّ ألا أشعر أنا أيضاً ؟

فأجابني حبي :

— تذكرى يا إيلين أن جون لو هرب من
السجن لموقب كما يقابب أى سجين آخر ، وهو حتى
الآن قد حصل على أحسن تقرير يحصل عليه السجن
فإذا هو أضع سمته هذه فقد كل ثقة فيه إلى الأبد
لم أخذ روني منى بعد ذلك ولكننى كنت أذهب
وحدى وأجلس مفكرة في جون أمله أن أراه مرة
ثانية ، ولكننى لم أسمع صوت عربة السجن قادمة
إلا مرة واحدة بعد ذلك ، فطرحت نفسى على
الحشيش حتى مررت فى

وإذا كنت قد رويت هذه الحوادث الحزنة

هو إلى أن ينتهي منهم جميعاً

وأوقدت حى في فراشه بعد أن وضعت على صدره « اللصقة » التى يجبها، ولكن أعراض البرد اشتدت عليه وساءت حاله، وحضر الطبيب لميادته ولكنه لم يستطع أن يعمل شيئاً . وفى اليوم التالى توفى حى وتركى أنا ورونى وحيدين، فكانت وفاته صدمة شديدة لى فقد كانت منزلته فى نفسى بعد منزلة أبى مباشرة، وكان الرفيق الذى لا يفارقه رونى وعلمت بعد مدة طويلة أن الحروق التى أصيب بها جون كانت شديدة، وكان أفضلهما ما أصاب يديه، وقد فقد أحد إبهاميه من جراء ذلك الحادث فكان كل ما استطعت أن أعمله هو أن أزيد فى رسائل الإيمائية إليه حاملة له حى من فوق تلك الأكمة التى لم أقطع يوماً عن زيارتها

وبعد وفاة حى انتقل فرانك ومارى جوز للإقامة معنا فى البيت، وقد كانا حتى الآن يساعدانى فى أعمال مصنع الألبان، ولكنى أصبحت محتاجة إلى مساعدتهما فى أعمال المزرعة أيضاً . لذلك أصلحت بيت جوز ليسكنه جاك وود وأخته جين، وقد أثبت جاك أنه مدير صالح للمزرعة، ولم تلبث جين أن عرفت فى جميع الجهات المجاورة بمهارتها ونشاطها وكانت جين فى نهاية السنة العشرين من عمرها جميلة للنظر جذابة الروح، وكانت شديدة الحب لرونى فكان الطفل دائماً على استعداد لمصاحبة الخالة جين، فكان من النادر أن تذهب إلى المدينة قبل أن تمر علينا بمرحبها فتستعصج معنا، ولم يكن جاك أقل تعلقاً برونى من أخته، وهكذا كان الطفل يقضى أغلب أوقاته عندهما لم أنكم حتى الآن كثيراً عن طفلى، والحنى

أنه أصبح فى العام السابع من عمره صديقاً كاملاً يشبه أباه فى شكله شيئاً شديداً، كانت له عيناه الكبيرتان السوداوان اللتان تلمعان فى النضب وتشتان فى السرور، أما شعره فكان فى سواد شمرى . وكان الطفل نظيفاً بطبيعته مثل أبيه، فالناظر إلى وجهه ويديه يخيل إليه أنه لا ينقطع لحظة عن تنظيفها، وكان يندر أن يراه الإنسان منفكراً أو شرس الخلق، فلم يكن يحتاج إلا إلى القليل من الإرشاد، وكان شديد الاهتمام بكل ما يدور حوله، فكان فى هذه السن طفلاً محبوباً من كل من يراه، كثير التخييل بعض الأحيان ولكنه كان دائماً شديد التأمل

كان الشتاء فى هذا العام قارساً مثلنا أيامه الطويلة الفظيمة، ولكن أيام النصف لم تلبث أن أقبلت، وكنا فى الأيام الأولى من شهر أبريل، وقد بدأنا نسمع نقيق الضفادع فى بركة المرمى . فاقبضت مبهجة عندما مررت بالبركة فى طريقى إلى أكنى الحبوبية . وقد شعرت بانتعاش فى نفسى لأنى سأستطيع الآن أن أذهب إليها فى أغلب الأوقات لأتبادل مع جون رسائل حبنا، وإذا بشت إليه رسالتى فى هذه الليلة شعرت بأنه أقرب إلى منه فى أى وقت مضى .

لقد قدر أن تكون هذه هى آخرى زيارتى للأكمة . وكانت الضفادع تنق مطمئنة وأنا غائبة إلى البيت مبطة فى مشيتى . وفى منتصف الطريق التقيت بمارى جوز وكانت قادمة للبحث عنى، فإ رأتى حتى قالت وهى تلهث :

— لقد كنا نبث عنك فى كل مكان، فقد اعترف دبنى بلان بأنه هو الذى قتل هايل كيلبون (٢)

في أنشائها رواية بلان وتمد فيها الأوراق الخاصة بالإفراج عن جون ، وقد قضيت هذه الأيام منهمكة في إعداد ما تتطلبه عودته من مظاهر الاحتفال ، وقد قلت لروني إن أباه عائد إلى البيت فلم يكن الطفل أقل متى تأثراً وابتهاجاً بهذا النبأ السعيد

وحضر فرانك إلى البيت في اليوم الثالث لتأكيد البوليس من صدق رواية بلان وأخبرني بأن الأمر قد صدر بالإفراج عن جون وأنه سيعود إلى البيت في اليوم التالي ، ثم مضى ليشرّف على حلب الماشية وصعدت إلى الطابق العلوي لألبس رداء نظيفاً قبل الإشراف على عملية إخراج الزبد وإعداد أدوات التبريد

فلما علت إلى الطابق الأول سمعت دقاً شديداً على الباب الجانبي ، فظننت أن الطارق قد يكون جون ولكني لم ألبث أن ذكرت أنه لا يمكن أن يجيء بهذه السرعة ، فذهبت أفكاري كل مذهب ، غير أنني لم أتصور أن جون يطرق باب بيته . وبينما هنده الأفكار تساورني تخيلت جون وهو يدخل من الباب مندفعاً يبحث عني في لهفة وشوق فأنحأ ذراعيه كما كان يفعل عادة

ثم فتحت الباب فرأيت واقفاً على عتبة رجلاً قنر المنظر يلبس صديراً قصيراً تميل قمته إلى الأمام حتى تكاد تخفي عينيه ، وقد أمسكت إحدى يديه الوسختين طرف الباب ، وقد بدا ما بقي من إبهامه المقطوع بشع المنظر لم تلتم نديته الثمناً تاماً ، فجذعت أول الأمر ووددت لو أن فرانك أو ماري كان معي ، ثم قلت :

— أسعدت مساء ، هل تريد شيئاً ؟

فراجع الرجل قليلاً وقال في صوت أجش :

فهو مريض ، وقد أحضروا له التفسير فاعترف له بكل شيء ، فلست عرياً بمسز هارداواي فإنهم يريدون أن تذهي مباشرة إلى بيت بلان

لم أرد أن أسرع لأنني أردت أن أبقى هناك تحت سماء أربيل أشكره هذا النبأ المبارك ، على أنني لم أضع وقتاً في الوصول إلى بيت بلان

وكان ديني في الواقع مريضاً جداً ، ولكنه في هذيان روى قصة ما حدث على مفترق الطريق منذ سنوات عديدت فقال إنه كان عائداً في طريقه إلى بيته على جواده الصغير بمسد زيارة لإحدى المائلات المجاورة ، فلما وصل إلى مفترق الطريق رأى جون وهابيل يتقاتلان ، وكان هابيل قد أتى بجون على الأرض وشرع يخنقه ، فالتقط بلان إحدى البندقيتين من على الأرض وأطلقها على هابيل فأصاب الطاق جنبه

وكان جون فائد الوعي فسقط هابيل إلى جانبه جثة هامدة ، ولم يبين بلان إذا كانت الإصابة قاتلة أو إذا كان المصاب لا يزال حياً ، ولم يلبث أن سمع صوت جواد قادم من ناحية المدينة ، فوثب إلى مرج جواده ودفعه مسرعاً في الطريق المارض ، وكان لا يزال حاملاً البندقية في يده ، فلما وصل إلى البيت وضعا على رف هناك وهي لا تزال هناك من ذلك التاريخ

وهكذا وضع الحق في قصة جون ، فهو بمد اليوم حر طليق وسيعود إلى بمد قليل ! ولو أن السعادة تقتل الإنسان لكانت تقتلني في تلك الليلة لم يمش ديني حتى يحاكم على قتلته ، فقد قضى عليه المرض بمد أسابيع قليلة من هذا الاعتراف وكان لا بد من انتضاء بضعة أيام بمحقق البوليس

المجاورة . ثم صعدت السلم بتبعي جون سبطاً فلما دخل الحمام أسرع بنقل ثيابه إلى الغرفة التي كان يسكنها أبوه . وكانت هذه الثياب هي التي كان يلبسها قبل ذهابه إلى السجن ، وهي البقية التي وضعتها في الصندوق الخشبي بعد إخراجنا ثياب أبيه وأدركت أن الثياب ستكون واسعة عليه جداً فقد نخل جسمه كثيراً ، وبالأمر رقت ثوب النوم ذا الطراز القديم أمام عيني وقبلت رقبته وتصورت جون وهو يلبسه . والآن إذ أسرع بوضع الثياب فوق سريره تحدثت الصمغ من عيني واجتهدت في تملك عواطفى حتى لا يخوننى صوتى عند ما ناديته من خلال باب الحمام قائلة :

— لقد أعددت لك الثياب على الفراش وهناك ثياب أخرى في الصندوق ، فلتحضر إلى المشاء متى انتهيت

وحرصاً على حياتى لم أستطع أن أودع كلانتي شيئاً من حرارة الحب . ونزلت إلى الطابق الأول مهزوزة الأعصاب لحد عنيف وقد سحق الحزن قلبى فلم أستطع الإشراف على عملية اللبس ، وتولت ماري العمل نيابة عني وقد قالت :

— من رأيي أنه كان يجب أن يخبروك بما ستواجهينه فإن حياة السجن تشوه رجالاً مثل جون تشويهاً فظيماً ، فعملهم هذا إثم وعار . ولا يجب إذا شمرت بانكسار نفسك فدعى عنك أمر اللبس فسأؤتله واذهبي أنت فاجلسي وحاولي أن تأثني ما طرأ على حياتنا من تبدل

فقلت في نفسي : إنني لن آلف ذلك أبداً ! فإذا عساني أستطيع أن أقبل ؟

لقد تعودت أن أري جون جالساً معي إلى اللائدة

— إلين ! ألا تعرفيني — أنا جون ؟

فصحت :

— جون ؟ أوه ، لا ! لا ! لست أنت جون ،

لست أنت زوجي !

ثم تذكرت السنوات العديدة التي مرت بنا ؟ فطلعت لهجتي وقلت :

— جون ؟ آه . عزيزي . أدخل .

وشمرت على حين غفلة أن الدنيا قد فقدت بهجتها ، وأدركت أن جون زوجي قد بات في نظري في عداد الأموات ، لقد ختمت مأساة حياتي بهذه الخاتمة الموحمة .

ودخل جون البيت متردداً وكان يرتجف من فجة رأسه إلى أخمص قدمه . وقال :

— لقد أفرجوا عني بأسرع مما كانوا يتوقعون يا إلين ، ولم أستطع أن أنتظر إلى الغد فقطعت الطريق جرياً ، واجتازت المرعى بجوار الأكمة فشمرت بوجودك فوقها ، فانطرحت على الأرض وقبلت البقعة التي وطأها قدماك يا عزيزتي ولكن التي أراها الآن ليست إلين التي عهدتها ، فهذه امرأة جامدة كأنما يفصل بينها وبينى مدى بعيداً أين ولدي؟ هل علمته أن يكرهني أيضاً ؟

فقلت :

— مه يا جون ! وسنتكلم بعد أن نتنسل وترتدي ملابس نظيفة . إنك متأثر بما صر بك من حوادث ومفاجآت ، وهما هي غرفة أليك في انتظارك وستجد فيها ملابس جديدة معدة لك

لم أخبر جون أنني قضيت النهار كله في غمل متواصل لإعداد غرفتنا على ما يجب أن تكون بعد أن نقلت فراش روني إلى الغرفة الصغيرة

وأصبح ينتظر ما يلقى إليه من التلميحات ، ولكنه كان يعمل برغبة صادقة ولادة واضحة في إنجاز ما يشير عليه فرانك بميله

وكان في سلوكه مميّزاً رقيقاً غير فضولى ، وكان في بعض الأحيان يشهد به التواضع إلى حد الحجل ؛ وكان قليل الالتفات إلى روني ولكنى لاحظته بعض الأحيان وهو يرمي الطفل بين ملأه الحب والاهتمام ، أما روني فلم يقبل قط أن يكون جون أباً له .

شهر واحد من هذه الحياة كاد يدفعه إلى الجنون . ولو أن جون ضحى بين ساعديه وقبلنى بالقوة لكان من المحتمل أن أتور في وجهه وأن أدفنه عني ولكنى لم أكن لأحتقره كما احتقرته الآن يجب أن ينتهي الأمر بيننا بالطلاق . ولقد شعرت باقتراب هذه النتيجة ، فإن الأمور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه الآن ، ولكنى ترددت في النطق بالكلمة التي تؤدي إلى هذه الناية . لم يبق في نفسى شيء من الحب لجون ولكنى لم أرد أن أجرحه ، فقد أعرف أن نفسه الحساسة لا تزال مقيمة في جسمه المشوه ، فالجرح الذي أصابه كان بالفعل بالثأر عميقاً ، عميقاً إلى أبعد مدى

وجلس في إحدى الليالي الممطرة إلى مكتبي أراجع بعض الحسابات الهائلة ، وكان روني قلقاً كثير الحركة ضايقي بكثرة مطالبه فوضع جون الصحيفة التي كان يقرأها جانباً وناداه :

— تمال يا بنى

وكانت حركة جون غير متوقفة فلم أملك أن وكفت عملي ونظرت لأرى ما يكون ، فرأيت روني يذهب إلى جانب أبيه ، فقال جون :

فلن أستطيع أن أتعود أبداً أن أرى مكانه هذا الرجل المشوه الذي عاد ليدعوني امرأته .

ساعدت ماري في إعداد مائدة العشاء ، ولكن ماري هي التي أرشدت جون إلى مكانه على المائدة . ولقد جلست ساكنة كشخص متجمد ، أما روني فقد استدارت عنه من الدهشة ولم ينس بيتت شفة ولم يأكل شيئاً . وتكلم فرانك وجون فيما طرأ على الزهرة من تغير وعن شؤون التعاون وعن موت أبيه ، ولكنهما لم يذكرأ شيئاً عن شؤون جون نفسه ، فكان الرجل غريباً على مائدته .

لقد نظف جون نفسه جهداً ما استطاع ولكن الصابون لا يزيل قذارة السجن من أول مرة . وكان جون شاعراً بحالته فلم يأكل إلا قليلاً . وعند الانتهاء من الطعام قال فرانك :

— لا تزال هناك بقية من الضوء تمكّنك يا جون من مشاهدة بعض أعمالى في الزهرة إذا أردت أن تمر بها قبل هجوم الظلام .

فنهض جون وتلصق بقمته ثم بدا عليه أنه يتذكر فتبع فرانك عارى الرأس يسير بخطوات ثقيلة أشبه ما يكون بالشيخ الهرم . ولعل وراء جفنيه المسيلين دموعاً متجمعة تنهش البصر كالدموع التي ملأت عينى في تلك اللحظة .

وعاد جون متأخراً في المساء فأوى إلى الغرفة التي كان يسكنها أبوه ، ولم يحاول أن يفتح باب غرفتي ، ولو أنه حاول ذلك لوجده موصداً بالفتاح واستمرت حياتنا شهراً كاملاً على هذا النمط .

ولو أن جون بدأ في الحال يساعد في أعمال الزهرة ولم يكن له من مركز محدد في العمل فقد ثلاثى ما كان يتميز به في شبابه من النشاط والخفة والتسلط

عدت إلى مواصلة عملي ، وتكلم جون ورونى عن مركب وعد جون ابنه بأن يصنعها له من قطعة خشب صغيرة وجدها ، وقد فهمت من حديث جون أنه قد غوى الحفر في الخشب واشتغل به .

وبعد برهة قصيرة أخذت رونى إلى فراشه في الطابق الثانى ، ولما عدت وضع جون جانبها المجلة التى نشرت فيها مقالتي الأخيرة عن صناعة الألبان . وسألنى :

— إلين ، ألا تشعرين بأنك تريدن أن تتكلمي ؟ أظن أن هناك أموراً يجب أن تتكلم فيها معاً ، فإنت أنت بالسعيدة ولا أنا بالسعيد . لقد قاسمتنا كلانا الألم الشديد من هذه التجربة الفظيمة . وليس أحد منا يعلم على ما حدث ، وما أنا بالرجل الذى أخذه منك ولا أنت أيضاً بالفتاة التى تركتها ورأى .

ولسكل منا ذكرياته القديمة لا يستطيع نسيانها ، وكلانا صغير ، فإنا لم أتجاوز السادسة والثلاثين ، والماضى وراءنا ، ولا يزال أمامنا مستقبل طويل وعلينا أن نفكر فى مستقبل ولدنا ، فهو فى هذا الجو المشبع بالأسى والتوتر سينشأ قلقاً تيمساً ، لهذا أشعر بأنه يجب علينا أن نعمل فى الحال عملاً ما لتصحيح هذا الموقف .

لقد قررت أن أذهب إلى البيت . الآخر ، وافترقت مع جاك وجين على إعداد ما يلزم لأن أقيم هناك وأحتل مركزى الشرعى مديراً للزراعة . ولدينا كية وافرة من الأرض يا إلين تمكننا من تربية ما نشاء من القطعان دون تعرض لقطع معمل ألبانك . ولك إذا أردت أن تحصى فى عمالك كما مضيت حتى الآن .

ثم رفع المجلة وقال :

— قل لى ما هى الهدية التى تفضل أن أحضرها لك ... ؟

فأجاب رونى مسرعاً :

— جواد

— حسن ! فلأحضر لك « سيسى » خاصاً بك .

فقال رونى فى لهجة التوكيد :

— لا . فإنى أريد جواداً كالذى يركبه أبى ،

جواداً أبيض كبيراً

— ولكنى لا أفهم يارونى ما تريد؟ فإنا أبوك

ولكننى لا أركب جواداً أبيض

فقال رونى والتفت إلى :

— أقصد أبى الحقيقى الذى أراه فوق مائدة

زينة أُمى ، فقد حدثنى عنه ... ألم تحدثينى يا أُمى

عن أبى ؟

فقلت :

— لقد رويت له يا جون قصة جالاهاد فكان

بعد ذلك يقرئها دائماً بصورتك الفوتوغرافية . ولقد

علمته أن يحب صورتك هذه ولم أحلم قط ...

فقاطعت جون قائلاً :

— فهمت ... فهمت ... رونى يحسب أن له

أبوين ، فإذا نفعل فى ذلك يا إلين ؟ هل ترين أن أُرَكِّه

فى أحلامه ، أم نوظفه كما استيقظنا أنت وأنا ؟

فأجبت فى حدة :

— بل لنتركه فى أحلامه

فأجاب جون فى لهجة حازمة لم يتكلم بمثلهما منذ

عودته من السجن :

— أما أنا فأرى الأمرين . فإن عقل الطفل

أشد ليونة من عقل الإنسان الكبير ، وسيدرك

الحقيقة تدريجاً ثم يقبلها .

يريد هو لا حيث تريد هي . فلا أنا أحبك ولا أنت
نحبنى .

فرفع جون رأسه في حركة سرية ، ولكنه
حول نظره جانباً وقال في هدوء :

— إذن أنت تقرن اقتراحي وتوافقين على أن
أنتقل من هنا ، وهذا هو ما توقعت من قبل ،
وطبيري أن يقيم روني معك ولكنني أريد أن أراه
في أغلب الأوقات
فقلت :

— هذا طبيري وروني صبي رقيق الحس وفي
مقدورك أن تكسب حبه وسداقته في سهولة . وهو
لا يزال أصغر من أن يفهم الأمور على حقيقتها ،
وإني أريد منك يا جون أن تحبه ، كما أود أن تدرك
مبلغ حزني لما صارت إليه الأمور ، وإني لأخجل
من موقعي بعد الذي قاسيته أنت من الآلام ، ولكنني
أريدك كما كنت يوم أخذك من زوجي الصغير
الجميل بحمسه القوى الرشيقي ونظرة الثابتة وشمه
العزيز ... ويديك يا جون ...

« ألا فأغفر لي يا جون ولتبق هنا فلا تتركنا
وسأحاول أن أصلح كل شيء ! »

ثم غطيت وجهي يدي وبكيت
فقال جون :

— أبداً ! فإن بقائي هنا أسوأ من إرسالك
إلى السجن لتتقضى فيه بقية حياتك . لقد كنت
أفكر في غلطتي حين منمتك من زيارتي في السجن
وانتهيت إلى أن النور الورقي هو الذي حملني على
ذلك ... على أن أولى غلطاتي مع ذلك كانت ترك
إليك قضين لياليك وحيدة مندفاً وراء هابل كيليون
في حياتك الجنونية ، ولقد دفعت ثمن ذلك غالياً

— إنك قد نجحت نجاحاً مدهشاً . وإني لمحب
بروحك القوى وقدرتك على إنعام الأعمال الكبيرة
التي اضطلمت بها . فانت امرأة عاملة قديرة وتستطيعين
أن تمنى بأمر نفسك ، وليست بك من حاجة إلى
إحداث أى تغيير في أسلوب حياتك ، وروني ابنك .
ولم أترك قط لنفسى العنان في الشغب به ، لأننى
أدركت منذ اللحظة الأولى شمورك نحوى . لقد
قضيتنا عدة أعوام متقاربين تقارباً شديداً من الناحية
المنوية . فلا يتفق مع هذا أن أعجز اليوم عن قراءة
أفكارك . وأريد يا إيلين أن أشكرلك قبل أن نفرق
تلك الرسائل التي لم أكن لأحتمل حياة السجن
بدونها ، ولقد دأبت على انتظارها كل يوم حتى
اليوم الأخير .

انهمرت دموعي لأننى لم أستطع حبسها ، وكان
من موجبات الغراء أن أعلم أن جون كان معتمداً
منى أيضاً حتى أنه يريده الذهاب .

ولكنني شعرت في كلماته بتيار خفي من الحزن
أثر في نفسى . وقد وقف عن الحديث ، ولكنه
لم يرفع نظره إليّ حين جاوبته :

— لقد كانت الغلطة الأولى غلطتك أنت يا جون
حين حملتني على أن أعاهدك بالألا أزورك في السجن .
ولو أنني رأيت بالتدريج ما طرأ عليك من تغير لكان
من المحتمل أن أحتفظ بحبك حياً في نفسى ، غير
أنك مع ذلك على حق فيما تقول ، فليس اللوم فيما
حدث واقع على أحداً .

« إن الغلطة هي غلطة المجتمع في أن تؤخذ منى
شاباً قوياً جيلاً ثم ترد إلى شيخاً مكسور القلب .
وإني ما زلت على استمعداد لأن أوجه الأمور خير
وجهاً ، ولكن حب المرأة يا جون يسقط حيث

يحمل بها جون ويمرّزها في الخيال
وقلت لابي :
— أعطني يا روني إحدى لعبك فمفدك منها
كثير
فقال الصبي :
إذن خذي هذه المروس الصغيرة فإن الأولاد
لا يلعبون بالمرائس
ثم مضى يقول في حماسة :
— أنظري يا أي إلى هذا الجواد وهذه البقرة
والخنزير الصغيرة ، أنظري إلى ذيلها الجميلة الملقوفة
نظرت ولكنني لم أستطع أن أرى شيئاً لأن
السموع قد ملأت عيني . لقد كان جون يفكر
في ابنه الصغير وهو في السجن فصنع له هذه اللعب
من الخشب !
وقال الطفل :

— إلى أحب جون مثل جبي أبي الذي
في الصورة . وهو أب خزين جداً ولكنه يضحك
معى ويروي لي أعجب القصص ، ويسمجني غداً
في سيد المصافير التي كان يصطادها وهو صغير .
فهو كان صغيراً مثلّي وكان يعيش في المزرعة التي
يمش فيها الآن جاك وجين ، وهو يبرف أشياء
عن رعاة البقر وعن المهند ويرف كل شيء تقريباً !
ولقد كان الأمر كما قال جون : الطفل يألف

حكم الظروف بأسرع مما يألفه الكبار
وفي مرة أخرى عاد روني من زيارة أبيه
وأخبرني أن جون يعرف كل شيء عن
السجن ، فهم هناك يجلسون الرجال يمدّون عن
أبنائهم الصغار ويتألمون لأن هؤلاء الرجال أشدّاء ،
وأنا أعرف أن جون لم يكن رجلاً شريفاً لأنه

يا عزيزتي ، دفعتني ندماً وحزناً ، ولكنني الآن أريد
أن أعيش ... وإنك لحطّاء إذ تتصورين أننا نستطيع
أن نكون سعدين أو حتى راضين في حياتنا معاً في
هذا البيت ، ولقد قررت الانتقال إلى البيت الآخر
غداً ، وعندى بعض أشياء أريد أن أرتبها ، وهي ما يحويه
الصندوق الذي جاءني أمس من إدارة السجن .
وأنا من أجل ذلك ساعد إلى الطابق الثاني
والآن أرجو يا إيلين ألا تحاولي مرة أخرى
إصلاح ما حدث ، وإنك لتعلمين أن لا فائدة في الندم ،
ولنمش من الآن للمستقبل ، لمستقبل ابننا الصغير
حيث جون تحية السماء وتركت الغرفة وقد
شمعت الآن بالارتياح بعد أن واجهنا قضيتنا بهذه
الصراحة

انتقل جون إلى البيت الآخر ليمش فيه وعاد
كل شيء إلى ما كان عليه قبل عودته من السجن ؛
غير أنني أصبحت أشعر بأن هناك شيئاً ينقصني . لقد
أضعت شيئاً كان يشغل ناحية من حياتي ثم مضى
فأنا شاعرة بفقدانه . لقد فقدت زوجي من قبل ،
أما الآن فقد انتزعت ذكراه أيضاً من قلبي
وكان روني يقضي وقتاً طويلاً في البيت الآخر ،
وقد استحكمت الصداقة بينه وبين جون منذ اليوم
الأول حين عاد إلى يحمل بين ساعديه مجموعة من اللعب
المصنوعة من الخشب ، وقال :

— أنظري يا أي ... هذه مزرعة كاملة أعطاهالي
جون . أنظري هذه الفتاة الجميلة التي تشتغل بصناعة اللبن
ومد يده باللمبة في وجهي ، فكانت تتألاّ جيلاً
لفتاة عقت جدّاً لها كالتاج حول رأسها ، وقد نثني
ذيل رداًها إلى أعلى فهي صورة طبق الأصل لي يوم
تركني جون ذاهباً إلى السجن : هي الفتاة التي كان

الجديدة ، فلقد كان الغدير الذى أحدثته فيه المدرسة كبيراً . وكانت الفتاة تستوقفه كل ليلة عند عودته لتمطيه فطائر طازجة من الجوزيل أو الكمك ، وكانت دائماً تخطبني بالتليفون إذا هم أبقتهم عندها وقتاً طويلاً . وكانت تقول فى بعض الأحيان : لقد ذهب رونى مع والده إلى جهة ما وسيحضر إليك بعد قليل

وكتب أشعر بالطمئنان والرضا حين أعلم أن رونى فى بيت جين

كنت فى هذه الأيام كثيرة المشاغل فقد قبلت أن أتولى كتابة صفحة فى مجلة مصانع الألبان ، عدا الاشتراك فى مسائل أخرى كثيرة ، وكلما كثرت أعمالى قل تفكيرى فى نفسى . ولقد عاد إلى الشعور بالسعادة ، فكنت على الأقل أنعم بالحياة وقد خلت نفسى من كل غل أو حقد أو غيرة

وعاد شهر إبريل وكان الربيع بارداً رطباً ومحبباً رونى إلى المدرسة فى صباح أحد الأيام ، وكانت السماء قد أمطرت بعد العشاء مطراً بارداً فاعتزمت أن أذهب هذا المساء بنفسى إلى المدرسة لإحضاره ، ولكن جاءنى رجل لأخذ صور للرحلة . وبلغت الساعة الخامسة قبل أن أتنبه إلى الوقت ، فجزعت لمدم عودة رونى إلى البيت ودققت التليفون لبيت جين وود ولكن لم ألق ردّاً لى . وإذا كنت أناأهب إليس معطى استمداداً للخروج أبصرت بجون يحمل رونى إلى البيت ، وأسرعت إلى الباب وفتحت لحظة وصوله إلى عتبته وصحت .

— ماذا حدث يا جون؟ هل أصيب رونى بسوء؟

فأجلب جون :

— هو مريض فلا تجزى . لقد مرض

لم يعمل العمل الذى أدخل السجن من أجله ، ويقول جون إنه يحدث أحياناً أن يمتدب الناس بسبب أغلاطهم ، وهذا هو ما يحمل الإنسان على التفتيز والحذر من الوقوع فى بعض الأغلاط مثل إيدائك شخصاً تحبه فى سبيل الجرى على هواك

ويصر جون يا أى كل شيء عن الفهم . يعرف العناصر التى يتولد منها ، كما يعرف طريقة إخراجه من الأرض ، وسيفتح عماء هناك بجموار التل ويسمح للفقراء أن يحضروا إليه ليأخذوا ما يحتاجون إليه من الفهم لتدفئة أطفالهم الصغار . وهكذا أطلع جون رونى على السر الذى اجتهدت فى إخفائه عنه . ولقد عرفت كيف حدث ذلك ، فقد سأله رونى السؤال الذى كان يحيره فأجاب عليه جون بالصدق وحدث الطفل كما لو كان يحدث رجلاً رشيداً

لقد شعرت فى أحيان كثيرة أن رونى محتاج إلى صبة رجل طيب ، لذلك فكرت فى أن أتزوج مرة أخرى تحقيقاً لهذا الغرض ... والآن أرى أن رونى قد أحب جون ، بل هو يحبه أكثر مما يحبى ولكننى لم أغضب لذلك !

كانت هذه أول سنة لرونى فى المدرسة ، ولقد كنت أتتبع بلهفة حركات تقدمه ، وكان يمر فى طريقه إلى المدرسة ومنها بيت جين وود ، وكانت جين تأتى به إلى البيت فى أغلب الأحيان ، وكان جون يصحبهما فى بعض الأوقات . ولقد قايلت صداقته لجين دون أن أحس بأقل أثر من التيرة ، وقد خطر لى - إذا كانت جين تهتم به - أن أطلقه فقد تكون قادرة على إسماده ، وما من شك فى أنها تصبح زوجة صالحة .

ولم تكن جين أقل منى ابتهاجاً بحياة رونى

في ميران القدر ، فقد اقتربت الأزمة وجلس الطبيب متجنباً عند نهاية السرير رقب التنفس ، ووقفت إلى جانب السرير ووقف جون إلى الجانب الآخر وعند منتصف الليل تلاشي الظل الأخير عن وجه روني ولم يبق مكانه إلا شحوب زائق . ثم فتح عينيّه يتلمس أحداً حوله وقال همساً :

— جون ؟

فأجابه جون :

— هانذا ياروني ، هانذا يا صديقي العزيز ...

فرت على الشفتين الصغيرتين ابتسامة ملائكية وقال :

— حدثني يا جون عن بعض المهنود ورعاة البقر فقال جون :

— لا شك في أنني أعرف من أخبارهم أشياء كثيرة رائعة ولكن يجب الآن أن تنام هادئاً فترة طويلة

فأطاع روني إشارة أبيه وأدار رأسه واستغرق في النوم

فوقف الدكتور جونستون وقال :

— سيميش . وكل ما يحتاج إليه الآن هو العناية . ترى هل أعدت ماري شيئاً من القهوة ؟ أظن أنني أشم رائحة قهوة وسأهبط إلى الطابق الأول لأرى رفعت رأسي فראبت جون ينظر إلى بينين ملوفاً الحب ، فقلت همساً :

— جون ، جون ، إلى أريدك ، أريدك كما أنت فدار جون حول السرير قادماً بحوى وقابله في منتصف الطريق ، وإذا أنا بين يديه يضمني من جديد بعد هذه السنوات الطوال ، وهو يقول :

— إلى أحبك يا إلين ، ولم يقف قلبي قط عن

(٣)

في المدرسة وجاء إلى بيتنا ماشياً ، ومن هناك حملته إلى هنا .

وبينا هو يتكلم ذهب بروني إلى الصفة فأرقده فوقها ، وكانت حرارة الصبي مرتفعة ولم يكن في استطاعته أن يرفع رأسه ، وقد قال لي في صوت خافت :

— لماذا لم تحضري يا أمي ؟ لقد شعرت بأني

مريض جداً

عندئذ أدركت أنني كنت حتى هذا الوقت أفكر في نفسي وفي أهالي أكثر من تفكيرى في روني على الرغم من شدة حي له .

وإذ استوى جون واقفاً بعد أن رتب الوسائد بما يتفق وراحة روني قال له الصبي :

— ابني هنا يا جون

فأجاب جون :

— سأعود يا روني ، فهناك شيء آخر لا بد من عمله وسأراك ثانية يا عزيزي .

ثم التفت جون إلى وقال :

— سأقله إلى فراشه يا إلين ، ولكنني ذاهب الآن لإحضار الطبيب فأعطيني مفاتيح سيارتك .

عرفت حكم الطبيب قبل أن يتنطق بكلمة « نيمونيا » فسيت كل شيء في الدنيا إلا هذا العالم الصغير الذي يحيط برودي وهو في فراشه يكافح الموت .

وبقي جون بجانب روني الذي لم يسمح له بالذهاب وقضى إلى جانبه أياماً وليالي طوالاً لا يفارقه لحظة في أثناء يقظته ، ولا يئمه عنه إلا قليلاً إذا هو نام .

وكان يعني بابنه المريض في لطف وحنان ولكنيه لم يكن أقل لطفاً وحناناً مع الزوجة التي جحدته .

ثم جاءت الليلة التي علقت فيها حياة الصغير

— لقد نمت كثيراً ولكنها كانت تتجلد
فلا تشكو

ثم مضى يقول :

— إنكما لا تدركان مبلغ سرورى بشفاء
طفلكما . وستصبح حياتكم جميعاً سعيدة رائعة
بعد الآن . وأنت أيضاً يا جون اذهب واسترح

وسأبقى أنا هنا فترة من الزمن

قضيت أنا وجون ساعتنا الأولى معاً محاولين
أن نجتمع فيها كل ما فقدنا من السعادة طوال هذه
السنوات المرة . وإن هناك من التجارب ما لا يستطيع
الكل أن تصفه ، إنما يستطيع أن يقدرها من
يمر بها فيعرف قيمة الحياة بعدها

عبد الحميد محمد

النبيض بجبك ؛ ولكنني تركتك متعدياً أن الحياة
بدونك كانت مستطاعة ميسورة ، ولم أكن أثق
بضبط نفسى إذا نظرت إليك . وكنت أخشى أن
تدرك أننى أحبك ، والآن ستمود إلينا السعادة
يا عزيزى .
فأجبت :

— جون ، إنى أحبك حباً صادقاً آخر الأمر
فقال جون فى رقة ولطف :

— ترى هل يفرح صبيتنا الصغير بهذا ؟

لم أجب على هذا السؤال لأن الطبيب عاد فى هذه
اللحظة إلى الغرفة وقد فاجأنا بقوله :

— خذ زوجتك فأرقدوها فى فراشها
ولما نظر إلى وجهي قال :

سبرى

لا تخشى على مستنداتك

سبرى

لا تخشى على مجوهراتك

أودعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهي فى الحفظ والا مان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

مُسَهَّدَةً تَحْتَ ذَوْبِكَ الْفَضَى
وَمَنْ لَا تَجِدُ أَحَدًا غَيْرَكَ تَجِلُهُ
مُسْتَوْدَعًا لِأَسْرَارِهَا ، قَتَشْكُو
إِلَيْكَ بِهَا وَمَنْ وَاقَعَهُ بِكَ ،
مُؤْمِنَةً أَرْسَخَ الْإِيمَانُ بِالْوَهْيَتِكَ
الَّتِي تَمْسَحُ الدُّمُوعَ وَتَكْتُمُ
الْأَسْرَارَ وَلَا تَقْشِي مَا تُوْحِنُ
عَلَيْهِ مِنْ بَنَاتِ الْقُلُوبِ !

نظر إسماعيل أفندي إلى

القمر الساطع خلال الشرفة الكبيرة ، وظل ربه
مسيبها كأنه في حلم ، ثم اقترح أن يذهب الجميع
إلى الحديقة ليجلسوا ثمة تحت قمر الدنيا وسماء الدنيا ،
وليشرفوا من ربه الخلد على النيل القديم المقدس
المتثل في هدوء ودعة لوصي خون^(١) العظيم
كان إسماعيل أفندي في مستهل حياته ضابطاً
من ضباط البوليس ، وكانت له سطوات كان صداها
يتجاذب في فضاء قلبه ، فتارة يتشم وتارة يتجهم ،
وتارة يشرد له ... وهكذا كان يبدو أثر ذكرياته
على وجهه حين يفعل بها

وكان يقص لأبنائه بعض مجازفاته في مطاردة
الصوص لإذ هو معاون بوليس بندر طنطا منذ ثلاث
وعشرين سنة ... وكانت طريقته في القصص طريقة
جذابة شاققة ، ولذلك كان أبنائه يصغون إليه إصغاءً
تاماً ، وكانت القصة - أو الحادثة - التي يروي
وقائعها قصة أخلاقية رائحة ممثلة بالمخاطرات التي
يزيدها ظلام الليل ، وتقيق الضفادع ، وعواء الذئاب
في ريف القرية الشاسع روعة ورهبة .

(١) خون وخونسو من أسماء القمر عند المصريين
القديما ...

دُمُوعٌ فَلَيْكُمُ كَيْتٌ

أَقْصُوصَةٌ مُصَرِّصَةٌ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْحِي خَشَبَةِ

جلس الوالد السميد يسمر إلى أولاده السعداء
حول منضدة كبيرة في الردهة الفسيحة المزدانة
بصور المظلل وأعلام الفكر . وكانت ثريات الكهرواء
تسكب أضواؤها على الوجوه المصغية إلى الحديث
الساحر الجذاب ، يلقيه إسماعيل أفندي عبد الرعوف
بطريقته الرائعة وأسلوبه القوي وعبارته الهادئة فينفذ
بكل ما فيه من جمال إلى أفتنة بنيه

وكانت ليلة من ليالي الصيف المظمرة . وليالي
الصيف المظمرة في مدائن الوجه القبلي عامة وفي مدينة
النيل عروس مصر العليا خاصة تشبه ليالي القدر ..
لأنها ليالي الأحلام والمحبة والشعر والسمر الجميل
الحلو الذي تهدهده أغاني الصميد الفتاة ، وتحمله
نسائم الصحراء فترطب به القلوب والأكياد
لأن ما أروعك يا قمر الصميد ! ولشد ما كان
أباؤنا مدهورين فيك حين اتخذوك إلهاً !
خونسوا !

هكذا كانوا يُسَبِّحُونَ لك ويضرعون
بأَكْفِهِمُ إِلَيْكَ ، ويتمنون عليك الأمان !
فكم سطرت في أديمك الثلاثي* من قصة حب
يا خونسوا الجميل ، وكم شهدت دموعاً تدرفها عيون

- معذوراً وهو في غير حاجة إلى السرقة ؟
 - قد يكون معذوراً لأنه ربما نشأ في منزل
 يعلم الإجرام !
 - فلسفة جديدة !
 - ليست فلسفة لكنها الحقيقة !
 - وكيف ؟
 - لوعلمنا الناس وحاربنا الفقر لأنتفت الجريمة
 - وما علاقة المنزل بكل هذا ؟
 - المنزل هو البناء والسكان ، وما دام البناء
 غير صحيح فسيظل الجسم غير صحيح . وما دام الجسم
 غير صحيح فسيظل صاحبه يفكر تفكيراً سقيماً
 ملتوياً ، ومع ذلك فهو لا يفكر إلا في الشر والحسد
 والحقد و ... الجريمة ... هذا من جهة البناء ...
 ومن جهة السكان ، فهم غالباً امرأة جاهلة شريرة ،
 وابنة أجهل من أمها تريد أن تترجأ بآية وسيلة إذا
 دب الحيوان في أسلابها ... ثم أبناء متخاضعون
 متنافرون لا يرحم بعضهم بعضاً ، ولا يريد أحدهم
 الخير للآخر ، لا سيما إذا كان أحدهم متزوجاً ...
 - أرجوك أن تدع هذا كله ... ولكن ماذا
 أبكاك ؟ أحقيقة أنك تألت لأن الرجل ترك أسرة
 لم يكن لها عائل غيره ؟
 - هذا هو !
 - أبداً ! ...
 - إذن فاذا تحزين ؟
 - أحرز ؟
 - أجل
 - لا بد أن في المسئلة سراً ، وقد حاولت إخفاءه
 عنا بهذه الفلسفة في أصل الجريمة !
 - أبداً
- لكن إسماعيل أفندى سكت عن الحديث فجأة ،
 وانتظر أبنائه أن يصل قصته ، بيد أنه لم يفعل ،
 وبدل أن يتكلم راح ينظر إلى القمر ، أو إلى خونسو بلنة
 الصربين القدما ، كما كان ينظر إليه عبادة
 الأولون ... ثم راح الأبناء الراجين أن يذرف أبوم
 عبرة تفرقت فوق خديه الشاحبين ، لم يستطع أن
 يمنعا من أن تنزرف .
 ولم يخرجوا أحد من الأبناء أن يسأل أباه لماذا يبكي ،
 لكن أهمهم لم تبال أن تفعل ...
 - أوه ! ماذا ؟ لعلك أسفت لأنك تسببت
 في إعدام اللص ؟
 - أبداً .. آه .. أجل .. والله لقد آلمني ذلك !
 - وله ؟ أليس يستحق القاتل أن يُقتل ؟
 - قد يستحق القاتل أن يقتل ، لكن كثيرين
 من القتلة لا يستحقون أن يقتلوا .
 - إذن تريد أن تضع شريعة جديدة ...
 - لست أحاول ذلك .
 - ولكن قل لنا أولاً : لماذا أحزنك إعدام
 القاتل إلى هذا الحد ؟
 - لقد ترك أسرة شقية لا عائل لها غيره .
 - ولم لم يتشم عيشه من طريق حلال ؟
 - ومن يدري أنه لم يفعل ! لا شك عندي
 أن أكثر لمصوص بلادنا مضطرون إلى هذه الدانة
 برغمهم .
 - ومنهم المجهول عليها وهو في غير حاجة
 إلى السرقة .
 - هذا حق لكنه قد يكون معذوراً كذلك !
 - كلام عجيب ، وأعجب منه أنه يخرج من فم
 رجل كان ضابط بوليس فيما مضى ... وكيف يكون

— كلا، كلا ... لا داعي ... صاغى أبوك
يا إحسان ... قبلي يده ! هذا هو أبوك يا وجدى ...
ما هذا الظلام الحالك الذى انتشر فجأة فى عيني
إسماعيل ؟ إحسان ؟ من إحسان يا ترى ؟
لقد وجه إسماعيل وجوماً شديداً ، ووقف
العائلة السعيدة ترمق القادمين بأعين دهشة سامحة ...
من هؤلاء يا ترى ؟ لقد تساءل الصغار كل بينه
وبين نفسه : من هؤلاء ؟ من إحسان ؟ ومن
وجدى ؟ ومن هى هذه السيدة ... ؟ إن السيدة
تقول : إن أبهم هو أبو إحسان وأبو وجدى ،
فإحسان إن صح هذا هى أختهم ... ووجدى ...
هذا الشاب الياض المحب يبذلته العسكرية هو
أخوهم ... أخت من الطريق وأخ من السيارة ...
وعائلة طرقت باب الحديقة من جوف الليل القمر
ما هذا يا خونسو ؟ ما هذا يا كاتم الأسرار
الرهيب ؟ ألم يتفق عيالك على أنك مستودع بنات
القلوب التى لا يشفى منها شيئاً ؟ كيف تفجأ عائلة
بمائلة هكذا من غير أهبة وعلى غير استعداد ... ؟
ألا ما أقساك يا خونسو الخبيث الساهر السامى !
تقدمت إحسان إلى إسماعيل افندى فصاحت ،
ولما همت بتقبيل يده سحبها فى رفق وتلطف ...
ثم تقدم وجدى افندى فصافح الرجل المرتجف
المضطرب ، ولم يحاول تقبيل يده ، بل لم يحاول
الانحناء القليل اليسير وهو يتناول اليد القاسية
الصارمة التى كان يعنى نفسه منذ أن أدرك معنى
الحياة وحملها الثقيل بحسابها المسير
أما سميحة هانم ، أم الأنجال وربة العائلة ، فقد
أحسّت أنها فى مسرح كبير شاسع مكتظ بالرواد ،
تضج جنباً إلى جنب الصغير والتصفيق والصخب ... وأول

— أبدأ ... هل هذا صحيح ؟
— وماذا يهمنى أن أقول كل شيء عن سرحدت
بمنذ ثلاث وعشرين سنة ؟
— ليس يهمنى شيء ؟
— بلى ... لا يهمنى مطلقاً ...
— على كل ، شكراً للقمر المحبب الذى أبكاك !

وقبل أن تنهض الأسرة المباركة لتنام ، وكانت
الساعة توشك أن تدق الحادية عشرة سمع صوت
سيارة تقف عند باب الحديقة ، فأومأ إسماعيل افندى
إلى الخادم لينظر من القبل
من ؟

سيدة نصّف^(١) مُلثمة بكتام أسمر خفيف
يداعب التسميم حواشيه ، وفتاة ناهد فى مقبيل الصبا
ورشح الشباب ، ترفل فى ثياب ثميّة تدل على السمة
والثروة والميش الناعم المنفجر ... ثم شاب سامق
كالمرح يثب فى خطاه كذكر الحجل ، عليه بذلة
رسمية بما يلبس تلاميذ مدرسة البوليس ، أخذ القمر
يراقص أزوارها الصغر النحاسية ويغازل أثرطها
الحر الزاهية

— مرحباً مرحباً ، لعلكم فضلتم أن تستريحوا
عندنا !

— شكراً يا إسماعيل بك ! ألا تستطيع أن تذكر
من أنا ؟

— أنت ! ! ! أهلاً وسهلاً ... إجلسوا
أولاً ... أو ... لعل الطقس ملائم هنا ... أو ...
تفضلوا فى حجرة الجلوس يا حامد ... يا حامد ...
أودة الجلوس يا ولد !

في كل مرة بمعنى جديد لم يخطر لها ببال ، ثم كانت تارة تصدق وأخرى تكذب ، تصدق لأن ألفاظ الرسالة ألفاظ خزينة مكتوبة فيها إخلاص وفيها دموع وفيها حشرات ، وتكذب لأنها لم تهمد في زوجها إلا الأمانة والصدق والبساطة أحياناً . فكيف يستطيع أن يخفى عليها سره هذا وهو سر هائل هكذا ؟

وخيل لسميحة هائم أن الرسالة مفتوحة أمام عينيها . فهي تتلوها سطرًا سطرًا وكلمة كلمة . بل خيل إليها : (أن) خروف الرسالة أحلام سوداء غافق بعضها بعضها ، وأخذت ترقص في رأسها المضطرب هكذا :

حضرة السيدة المحترمة حزم إسماعيل بك عبدالرؤف « لا تنزجي يا أختاه فهذه رسالة من أخت ، أو صديقة ، لا تحقد عليك ، ولا تنمى لك إلا كل خير وسعادة ... على أنني لست أدري إذا كنت قد علمت قمتي أو عرفت اسمي قبل اليوم ؟ أنا أخرج أنك لا تعلمين من أمري شيئاً ، ولذلك ، فربما تظنين أنني أرسل إليك بهذه الكلمة الحزينة لأحدث في حياتك الهائلة حدثاً يرق صفاءها لا قدر الله .. كلا يا أختاه ... فلقد صبرت للنكبة التي حلت بي صبراً جميلاً ، وكسرت حياتي لإسعاد ولدى مجدى وإحسان ، وسأحت لإسماعيل على ما صنع بي ، وإن لم يكن له عذر قط ... قد لا تظنين أنني أقصد إسماعيل بك عبد الرؤف زوجك المحترم .. إطمئني يا أختاه ... إنه هو نفس الرجل الذى أمتنى ... قد لا يكون عندك خير بما كان بيننا منذ ثلاث وعشرين سنة ... أوه ! ثلاث وعشرون سنة زمان طويل جداً وقديم ، وإشارة الذكريات التى ترجع

المصفيق الصاخين هو ذلك القمر الساطع الساخر في عليائه ، الذى يكاد ينشق قطعتين من شدة الصغير والتصفيق

لقد راحت سميحة هائم تنهرس في هذا الركب الذى انشق عنه جوف الليل كما تنشق القمام عن عفاريت سليمان !!

وراحت تسائل نفسها عن هذا الفتى وهذه الفتاة ولدى السيد إسماعيل زوجها العزيز

ثم جعلت تفكر في الرسالة التى وردت باسمها اليوم تحمل إليها نبأ هذا اللقاء المفاجئ العجيب .. « لقاء سيدة يسعدنا كثيراً أن نتال مساعدتها في أمر هام سيوجب السعادة لكثيرين ، وسيفتح جراحاً طال عليها الزمان ما قفنا تسبب آلاماً لكثيرين ... » ... هذه كانت من الرسالة الهائلة التى تسلمتها سميحة هائم اليوم واليوم فقط ... لقد تسلمتها في الساعة الثامنة صباحاً ، والساعة الآن الحادية عشرة ونصف مساءً ... فكأنه لم يمض إلا نصف يوم وبضعة ساعات حتى تم اللقاء الذى أئذرت به - أو خبرت به - الرسالة الهائلة

ولم تكن سميحة هائم تصدق أن وراء زوجها الوفى الأمين سرّاً عيقاً كهذا السر ، إذ كيف يكون ما جاء في الرسالة حقاً وهذا هو زوجها الوفى الأمين يماشرها عشرين عاماً لا تدل إلا على الوفاء المحم والمحببة الصافية لها ولا يبتأها ... وكيف يستطيع رجل مثل هذا الرجل الوفى الأمين أن يكتم سرّاً مثل هذا السر في أعماق قلبه فلا يبوح به لزوجته التى هى نصف حياته إن لم تكن حياته كلها ؟!

لقد قرأت سميحة هائم رسالة تلك السيدة التى وصلتها اليوم عشرات المرات ، وكانت تخرج منها

استشاط غضباً ، ودر لنا حيلة ليجمعنا وإياه مما
ليرى فينا رأيته ... وأأسفاه إيتيه لم يفعل يا أختاه !
لقد جمعنا ليلتي حنفي بيد إسماعيل ! ... أما كيف كان
ذلك فلهدا قصة طويلة حالكه ما تزال طلي الكنان
إلى وقتنا هذا ، وأنا ألخصها لك في كلمات ... لقد
احتبت المناقشة بين أبي وبين ... حبيبي ... وم
الوالد اللعيط المبروح في عرضه الطمون في شرفه
أن يبطش . بإسماعيل ، فأخرج من حبيبه غدارة
عشوة ليفرغ نلرها في صدر الشاب ، ولست أدري
كيف نسي إسماعيل عند ذلك حبه ، وتمنعت
في رأسه عسكريته ؛ فإيه أخرج مسلسلته بأسرع
من البرق ، ثم أطلقه في رأس أبي ...

— يا للهول ! ... إني أذكرك الوالد المسكين
يا أختاه وهو يسقط إلى الأرض ناظراً إلى ... إلى
أنا وحدي ... تصوري أيها العززة موقفي ذاك بين
أبي وبين حبيبي ... أستغفر الله ... بل بين أعز
الآباء وأكرمهم وبين هذا الحبيب الوحش القاتل ،
سافك الدماء ! ... على أن أبي العززة كان كريماً
حتى في موته ... لقد ظل يجمود بروحه أكثر من
عشر دقائق نسي فيها موقفه ومأساة ، وذكر
خلاصه وخلاص ... لإسماعيل !!

« لقد طلب إلى قلماً وورقة ، فأحضرتها
على عجل ، فكتب بيد مرتجفة أنه ينتصر تخلفاً من
مرضه ، وسجل الاعتراف بكتابة اسمه في هدوء
عجيب وطمانينة لا يذكرها أحد ساعة الموت !

وقيل: أن يلفظ آخر أنفاسه ، انحنى إسماعيل
يقبله ، فتبسم أبي ثم تمتم : « هل تزوج كريمة
يا إسماعيل ؟ » . فأجهش إسماعيل بالبكاء ثم قال :
« لاطمن أيها الوالد فسأزوجها ، والله على ما أقول
شهيد ... »

إلى قبل هذا التاريخ هوشى مؤلم ، ومثير للمواقف .
لماذا لا نفعل أن نسي هذا الماضي ؟ أه ! قد تصف
بنا ضرورة فتثير هذه الذكريات برغمنا ... فتلك ...
لا تنزعجى يا أختاه إن لم تكوني قد عرفت مأسا ذكره
لك ... فتلك ... لقد حدث أمر قهري بيني وبين
إسماعيل بك قبل ذاك التاريخ البعيد ... قد تسأليني
ماذا حدث ، وسأربحك حتى لا تفكرى طويلاً ...
لقد أحبني إسماعيل وأحبته ، وأحب كل من
الأخر حباً من ذلك الحب الذي تستمر ناره
بسرعة وفي عنف لأنه يصادف قلوباً خالية فيتمكن
ويكون جارحاً عارماً قوياً ... حب الشباب يا أختاه ...
وأحبسك قد أحببت إسماعيل كما أحبته ، لأنه قبل
عشرين سنة كان في سميري القائمة ، خلابة الفتات ؛
وكان في روحه شيء غريب غامض تنجذب إليه
أرواح الفتيات في شدة من دون أن تكون لمن
إزادة في ذلك ، فلا يلبث أن يقن في شراكه
كما تقع الحشرة في نسيج المنكبوت ... أخشى أن
أملك لأنني أطيع عليك ... فأعذريني إن خرجت
عن موضوع رسالتي ، لأنني أذكرك بما كان
في إسماعيل ، زوج كليتنا ، من جاذبية وسحر ،
لأن تذكرك بهذا سيكون أقوى أدلتي عندك
على صحة قولي ... ولا بد أنك تذكرين جاذبيته وسخره
تماماً ، خصوصاً إذا كننا قد نحاً بيننا قبل الزواج .

— فما نخبنا يا أختاه ، وسبقته موعنا ، فترعرع
وأطلقنا كالذوذة الباسقة ... وأرتبط قلبانا برابط
قوى مقدس ... لكننا لم نصبر على جوى الحب
كما يصبر الآخرون . لقد زلت قدمنا بإسريحة هام .
يا لله لماذا أبوح بكل هذا ؟ ... ولما لاحظ للأسف
عليه . — أو المغفور له — والدي ما تغير من حلي ،

بين أبنائه ... فأصر على وجوب اشتراك الوالد في خطبة ابنته ، وفي عرسها أيضاً ...

— حاولت يا سميحة هانم أن أثنيه عن هذا الإصرار فأبى ، وقال إنه ذهب إلى الدنيا وعرف من سيرة إسماعيل بك الشيء الكثير ... إن جميع أهالي الدنيا يمتدحون أخلاقه ويطرون سيرته ، ويضمونه في القروة من شرفهم جميعاً ، فإذا بمنته من المشاركة في عرس ابنته ، ولماذا لا تنتهز هذه الفرصة الثمينة لنسيان الماضي ؟

— خفت يا أختاه أن أصر على الرفض خشية من النواقب ، وإقصاء لأشباح الذكريات المرة حتى لا تمكر عليّ صفواً أحزاني ؟ أجل ! صفواً أحزاني يا أختاه ... فقد صار لأحزاني صفو رضية به ، فأنا أجموع قصته في سكون وهدوء وشجاعة ... لأنني أنسى ماضى كله في سبيل حاضري المستمر ، وهو السهر على تربية ولديّ الذين فرأبوا وتركها في عنق ...

— فإذا تقولين يا سميحة هانم ؟ هل كثير أن عرفت هذا السر للزعج الذي ما أظن لإسماعيل قد وقفك عليه ؟ وهل كثير أن أضرع إلى هذا الوالد الكريم أن يشارك في عرس ابنته مشاركة إن شاء جعلها رضية ، وإن شاء جعلها فعليه ؟ إن هذا أو ذاك لا يكلفه كثيراً ... فأنا والحمد لله في سمة ، وقد ترك لي المرحوم والدي أطياناً واسعة وعقاراً عظيماً ومالاً جماً ... فمن جهة المادة لا أريد أن أكلفه شيئاً ، والذي أطلبه منه أن يكون أباً لإحسان يوماً أو يومين ، وأن يذكر تضحيتي في سبيل ولديّ ؟ فقد رفضت خطبة أطباء ومقرين

وقيدت الحادثة انتحاراً كما أراد والدي الكريم الرحيم البار ، ولم يحنث إسماعيل فيما قسم عليه أبي ، وتزوجنا ، ورشونا المأذون قعيد التاريخ في صحيفة سابقة ، حتى لا يكون كلام بين الزوج وبين الحادث وبين الوضع ...

وعشنا في ظلال الحزن أعواماً ثلاثة ، كانت تتمثل لنا الحياة طوالها جصياً لا صبر لنا عليه ... فقد فترحبنا ، وخذلت جنوته التي كانت تشيع بالكهرباء في جوانبنا ... وولدت لإسماعيل إحسان ، لكنه لم يرها إلى اليوم ، فهل تصدقين ذلك ؟ وظلي أنه لا يذكر أخطاها وجدى ... وجدى الحبيب الذي لو رأيته اليوم لسرك شبابه ، وراقت عتفوانه ... وجدى هذا لا يذكره إسماعيل أبوه ... كما لا يذكر أخته ، لأنه ، عفا الله عنه أبى إلا أن تنفصل قبل أن أضع ابنته بأربعة أشهر ، وكان عمر وجدى إذ ذاك عامين ونصف العام على وجه التقريب ولم أعارضه فيما رأى ... وأبرأته من كل شيء ، وافترقنا على ألا نلتقي إلا الأبد

وعلمت بعد ذلك أنه خطبك وبني عليك ، فو الله ما حزنت لهذا ولا ضقت به ، بل ذكرت الله ربى لي ولولدى ، وصليت له من أجلهما

واليوم ... وبعد عشرين عاماً يا سميحة هانم ... كبرت عزيزتك - إن رضية مفي هذا التمييز - «إحسان» وتقدم إلى خطبتها شاب رضى الخلق سرى النفس كريم الأرومة ، من أسرة عريقة في بلدتنا طنطا . وهو طيب من أشهر أطباء المدينة له جاه وله سمعة طيبة ... غير أنه ، ولا أدري كيف عرف هذا ، علم أن والد إحسان ما يزال حياً يزدد وإنه يقيم في منزله في مدينة النيا كاحسن ما يقيم الوالد الكريم

وزوجته بحباً ومحباً وهياماً بهيام ... فياترى ، هل كان
 يذكر كرمية في فصول غرامه التي كان يعلها بهذا
 سميجة ، ويرتلها على سمها ترتيلاً ؟ ؟ أليس في هذا
 المشق بعد المشق نفاق على القلب وتدليس على الروح ؟ ؟
 لقد تكلم إسماعيل عن الجريمة والجرمين الليلة ، وقد
 سكت فجأة وهو يقص على أبنائه إحدى مخاطرته ...
 فلماذا سكت فجأة يا ترى ؟ ؟ أليكون قد ذكر هذه
 اللامسة الدامية ؟ ؟ إنه لا بد قد ذكرها إن لم يكن قد
 ذكر ما هو أشد منها هولاً وأغزر دماء بريئة ؟ ؟
 ولكن وجدى ... هذا الفتى المشوق السهمى
 ما ذنبه ؟ ؟ كيف ساغ لإسماعيل أن يتركه ويترك
 ما في بطن أمه ثم يفر كالجبان الفذل ليتزوج مرة
 أخرى بدل أن يتكف في خلوة أو يتزل الناس
 في جبل أو دير ؟ ؟ ألا ما أشقى الإنسانية بكثيرين
 ممن ينتسبون إليها ظالماً وهم إلى وحوش الغاب أقرب !
 ثم هذه الفتاة الجليّة إحسان ؟ ؟ كيف نشأت
 طوال هذه السنين ؟ ؟ قد يظن الإنسان أنها كانت
 تكون أشد شقوة لو أنها كانت فقيرة ، والإنسان
 حين يظن هذا ينسى أن ملء العالم ذهباً لا يؤمّض
 على فتاة مثل إحسان تلك الأبوة التائهة ... إنها
 لا بد قد سألت نفسها ألف ألف مرة: أين أبى مادام
 موجوداً ؟ ولماذا لا يعيش مع أبى كما يعيش الآباء
 مع الأمهات ؟ ولماذا يكون أبى بها هكذا وكل الآباء
 بشر لهم قلوب وفي قلوبهم رحمة وعطف ومحبة ؟ ؟
 لا بد أن إحسان قد سألت نفسها هذه الأسئلة ألف
 ألف مرة ، بل هي تسألها صباح مساء وفي كل
 لحظة . وليس صحيحاً أنها لا تعرف ما الأبوة لأنها لم
 تجربها ولم تنعم بها ... ليس صحيحاً هذا ...
 وإلا فقد بطل علماً بالله لأننا لم نره ، فإن إحسان

ومحامين وقضاة ، وفضلت أن أعيش لوجدى وأن
 أعيش لإحسان أرحامها بين الأمومة الحزينة الباكية
 وأعطف عليهما بالصدر الذى كله أشجان وحشوه
 آلام وذكريات وأحزان ...

« فإذا تقولين إذن ؟ هل ستكونين شفيعى
 لدى هذا الرجل ؟ هل تضمنين صوتى إلى صوتك
 في سبيل إيقافه من هذه التومة الطويلة ؟ ! لقد
 عزمتم أن أزورك فجأة ... و ... وربما لا يمضى
 طویل حتى أكون عندهم ...

« وتقبل يا أختاه تحيات أم مهيضة كسيرة ،
 وقبلات ابن يتيم وأبوهى ، وسلام فتاة بريئة لم تسعد
 بوالدها القريب البعيد ! ! »

« كرمية بهاء الدين »

تخيلت سميجة أن هذا الخطاب الطویل مبسوط
 أمام عينها ، فهي تقرأه ، ثم تقرأه ، ثم تعيد قراءته
 عشرات المرات فلا تستغرق المرة أكثر من طرفة
 عين ، وعجبت كيف يكون ما جاء فيه حقاً وكيف
 تكون هذه السيدة - كرمية هاتم بهاء الدين - حقيقة
 لا ريب فيها ... ثم تفرست في الشاب ... وجدى ...
 ما أحلى هذا الاسم وبأرقه ! ! وجدى ! ! الثمرة
 البريئة لحماقة عاشقين ! ! فياترى ، هل يعرف وجدى
 هذه القصة القديمة المألوفة ... ؟ ؟ إنه قطعة من أبيه
 ما في هذا شك ، وما هي ذى خلال فضية من أشعة
 القمر تنكسر على جبينه فتعكس السحر من ناظره ...
 صورة قديمة كالصورة التي وصفتها كرمية هاتم في
 خطابها لشباب إسماعيل وجاذبيته وسحره ... ولقد
 أحبت سميجة هاتم زوجها لإسماعيل وهامت به بتأثير
 هذه الجاذبية الفاضلة التي كانت تفيض بها روحه
 كما ذكرت كرمية ... لكن إسماعيل أيضاً كان يبادل

لقد نظر كل من هؤلاء نظرات تأهبة إلى السيدة اللثمة في ضوء القمر ، فلما قالت قولها ، انصرفت نظراتهم متباعدة تنتثر على وجه أبيهم ووجه إحصان ووجه وجدي ... لكنهما كانتا أعلقت بوجه الوالد من أوجه الغرباء المفاجئين !

هل عرفت الماء الآسن الراكد حين تقذف فيه بحجر ماذا ترى على سطحه من تغيرات ؟ لقد كان وجه إسماعيل أفندي يشبه تماماً ! بل كان وجه إسماعيل أفندي يتقلص مرة ثم تملؤه كآبة ثم تشيع في أساريه ظلمات فتجمله كالبهر اللجج ... ففمه مغفور كالهوة السحيقة بين كل موجتين ، وعيناه كأنهما زورقان يتلاعب بهما الماء ليقذف بهما من حلق ...

— لماذا لا تحب أبنائك يا إسماعيل بك

— أبنائي ؟ أ ...

أجل ... إحصان التي لم ترها قبل اليوم ، ووجدي الذي كان أعز خلق عليك في الحياة ؟ ... ألا تذكر ؟ هل نسيت ؟ محباً ! هل نسيت كل شيء ؟ ...

— ومن أنت ؟ ...

— من أنا ؟ ... أنا أم ولديك هذين ! أنا

كرمة بهاء الدين !

— أم ... كرمية !

ثم التفتت كرمية إلى سميحة هائم فقالت :

— هل وصلك خطابي يا سميحة هائم ؟

— أجل يا عزيزتي لقد وصلني

— لعله لم يزعجك !

— وكيف يزعجني وقد كتبتك عزيزة جداً مثلك ؟

— عفواً ... كم كنت أفضل ألا أسبب لكم

فكراً قد يسوؤكم !

تنبش كما ينبش أترابها ، ولكل من أترابها والد بر حيم محب ودود ، لكن إحصان ليس لها أب لابر ولا غير بر ، وإذا سألت أنها أجابتها بدموع غزار حرار ، ثم لم تشأ أن تكذب ابنها ، فتصرفها عن سؤاها في رفق وعطف وحزن وتلد

ما هذا الوالد اللثيم الذي يفر من أبنائه كما تفر ذكران القطا والكلاب والحير و ... و ... ؟ كيف يسمو علينا نحن الأكدميين الحام والمصافير وسائر الطير وهي من مراتب الحيوان ولو أن لها أجنحة !؟

— « صاغى أباك يا إحصان ! قبل يده ! هذا هو أبوك يا وجدي ! » قد يكون الإنسان جالساً مع بعض صحبه فيسقط عليه جلود من الصخر فجأة فلا يحس الألم في الحال ، لكنه يقع في شبه غيبوبة عميقة إذا أفاق منها بدأ يصيح كالطفل ، وقد لا يشعر أين مكان الألم من جسمه ، لكنه كلما ذكر أن حجراً سقط عليه من علو استفزع الأمر واستمر في الصياح ... وهكذا كان حال إسماعيل أفندي حينما سمع السيدة تقول هذه العبارة المائلة : « صاغى أباك يا إحصان ! قبل يده ! هذا هو أبوك يا وجدي ! » إنه فوجئ لأول مرة في حياته بأن له ابنة تدعى إحصان ! لم يكن يعرف ذلك من قبل ، وإن يكن يعرف أنه ترك كرمية حاملاً ... يا لقسوة القواد الذي ينسى رجولته تحت إصر الجرمية !؟ لقد نزل عليه الخبر كما يصطدم رأس السارية بمامود من حديد أو جدار من الحجر الصلب ، وقد أسلمه ذلك إلى غيبوبة عميقة زاد في عمقها أنها حدثت أمام زوجه وأبنائه ...

شهادتي على ما أقول... لقد طلبت لك السعادة كاطلب
لنفسى المودة على تربية ولدى... وكان يبكي فقط
أن يسألا عن والدهما أين هو؟ فأقول لهما إنه حى
يزرق، وهو سعيد، فاطلبا من الله أن يزيد سعادة،
أليس كذلك يا وحدى

— أوى

— ماذا يا بنى؟

— أريد أبى أن يفكرنا؟

— سله أنت يا بنى... إنه لا يد جيبك بالحق...

فهذه لحظة لا يستطيع فيها لسان آدم أن يفترى...

إنها لحظة من لحظات الله

— أبى

— ...؟

— ألت أنا حبيبك وحدى؟

— وحدى من

— حبيبك وأعز الناس عليك، وحدى الصغير.

ألت أنت الذى كتبت هذا الكلام تحت صورة

هذه من سبعة عشر عاماً؟

ومد الشاب يده بالصورة بعد أن أخرجهما من

جيبه، ثم أعطاها لأبيه... ولكن الأب الشارد

كان ما يزال فى غيبوبته فلم يده ليتناول الصورة

القديمة العزبة التى طالما طبع عليها آلاف القبل،

وسفح عليها آلاف العبرات قبل أن يتمرر الغرار

من كريمة.

— لماذا يا بنى تأتى أن تتناول الصورة؟ هل

صرت قاسياً لى هذا الحد؟... تكلم أرجوك...

لقد كبرت، ولى سبعة عشر عاماً أو أكثر لم أرك.

ألم تفكر فى كما فكرت فىك؟ كم كفى أنعى أن

أراك أيها الوالد... أهؤلاء... أولئك... الله

— ولماذا يسوؤنا أن نعرف؟

— هذا أمر طبيعى إن لم يكن إسماعيل بك

قد ذكر لك شيئاً من ماضيه

وهنا تدخل إسماعيل قائلاً:

— على أننى لا أدرى ما الذى جعلك تذكرينى

بعد عشرين سنة؟

— وهل كنت تظن أن الدهر كله يفصل

بينك وبين أبنائك؟

— من هم أبنائى؟

من هم أبنائك؟ إسماعيل بك! أفنى تماماً،

ولا تجعل البلوى بلوتين بإنكارك... قد تحاول

أن تقطع الزمن فتجعل لك ماضياً تحب أن تجعله

أسرتك الثانية براءة من أسرتك الأولى، ثم تجعل لك

حاضراً تشعره أنك ملك... إحذر أن تحاول هذا

أيها الرجل... على أننى لست أفهم لماذا تحاول ذلك؟

لقد جاهدت طويلاً أن يظل وحدى يذكرك،

ولا ينسبك لأنك أبوه، ومن لا والد له فهو

لاشرف له وإن يكن هو مظلوماً فى ذلك. أما إحسان

فهى ابنتك التى فررت من أبوتها فظلمتها وهى لم تر

الدنيا بعد، فهل تريد أن تنكرها هى أيضاً؟

قبل أن تقفل، تذكر أنك كنت رجلاً رسمياً من

رجال الحكومة، ففكر فى العواقب التى تنبى

على إنكارك... وأريد أن أطمئنتك... إلى لم أحضر

إلى هنا لأننى عليك صوفك... أولاً قصص منك...

لا... لقد نسيت كل شيء... لقد علمتنا مأساتنا الخير

المحض، فأنا ووجدى وإحسان نمرح دائماً منذ

فررت. فى رعاية الله وحمايته... وقد عرفت أنك

تزوجت من مميحة هانم فى نفس الشهر الذى بنيت

عليها فيه، فلم يثر فى قلبى أى حقد عليك، بل والله

— شكرًا لك يا سميحة هانم ... أرجو ألا أكون قد سببت لك قلقًا

— أى قلق يا عزيزتى ! كلا والله ... عسى ألا تتأثرى من إسماعيل ... إن الموقف صربك من غير شك ...

— ولماذا يرتبك ؟

— لماذا يرتبك ؟ على الأقل لأنه لم يذكر لنا عنكم شيئًا مطلقًا ... ثم هذه السنون العشرون ... إنها عمر يا كله يا عزيزتى ...

— ألم يقرأ خطابى يا سميحة هانم ؟

— خطابك ؟ ... بل أنا الذى قرأته !

— وهو ؟

— لم يقرأه ... بل لم أذكر له عنه شيئًا

— وله ؟

— لأننى لم أصدقته بدى رأى ... إنه قصة

مشجية ، أليس كذلك يا كريمة هانم ؟

— لكن لهجته الباكية تدل على أنه حق !

— الآن فقط عرفت أنه حق .. بل ربما لم يحو

كل الحق يا كريمة هانم ... ما شاء الله ! إن صورة

وجدى وهو صغير تشبه صورة عبيد تمامًا

— ومن عبيد ؟

— عبيد أبى ، أخو وجدى !

— والخط الذى في ظهر الصورة !

— هو خط إسماعيل ، ليس في هذا شك !

— إذن ... فأليك هذه الصورة أيضًا ...

— آه ... آه ... هيه !

— آه ماذا يا سميحة هانم ؟ !

— هذه هى صورتك !

— هى بعينها ... هل كنت تعرفينها ؟

— لقد كشفتها في كتاب قديم بمد (دخلتنا) !

ما أسمعنى بهم ! كم كنت أتمنى أن يكون لى أخ هؤلاء إذن أخوتى ! تكلم يا أبى ... لى أحسن كأنما قلبى يجذب إليك ...

يبد أن الرجل وقف متخشبًا بل وقف كأنه صنم من أصنام بوذا ... تفكير عميقة لكنها من صخر ، ولا يهيم أن تكون من مرمر ! وهنا تألت سميحة هانم لضراعة الشاب الذى يشبه أباه شبهًا كبيرًا ، فقات والمه يتعصر فؤادها :

— لم لا تجيب يا إسماعيل ؟ أليس وجدى ابنتك ؟

— ليس أبى ولا أعرفه !

— عجيب جدًا ... لكنه يشبهك كثيرًا ...

— هذا لا يهم !

— أرنى الصورة يا وجدى أفضى !

ثم تناولت الصورة وجلت ترمقها في ضوء القمر ، فراعها أن يكون الخط خط زوجها ...

لكنها لم تعجل ، بل دعت الجميع ليدخلوا فقد أخذ

الموقف يتحرج ، ولم يُحسّ القادمون بأية تحية ،

وليس هذا من عرف الصعيد الكريم الضياف ...

وحاولت كريمة هانم أن تتندر فأقسمت سميحة أن

تقبل دعوتها ... وهنا بدأ الجميع يتحركون كالأشباح

التعبة إلى الداخل ... وبقى إسماعيل فلم يتحرك ..

وبقى معه ولده .. وجدى .. وعبيد

ولما جلسوا قليلا في الترفة الفسيحة المؤتمنة ،

وشربوا عصير البرتقال الثلوج ... دار الحديث

فكان ذا شجون :

— صرح بك يا كريمة هانم ... ما شاء الله

الآنسة إحسان جميلة جدًا ... إن شاء الله ربنا يتم

بخير .. الله ! إن لها خالًا في خدها .. مثل إسماعيل

تمامًا ... وفي نفس الموضع

— ومع ذلك فأنت التي تقولين هذا !
 — ولم لأقول هذا وقد خيل لي أنه ربما فرمنا
 مثلاً فرمنا ؟ !
 — لا ... لا قدر الله ... ولماذا يصنع ؟ إنه لم
 يفر منا يا أختاه ، بل هو قد فر من الذكريات ،
 ولولا هذا ما أعفيتها ...
 — هذا ضعف ، فقد غفر له والدك قبل أن
 يموت وأجابه من القصاص العادل ... إن هذه يد
 لا يبجدها إلا لثيم ...
 — سيدتي ... أنا أعتذر ... يبدو لي أنني
 ورطتك في الثورة على زوجك ...
 — بالمعنى ... حقيقة أننا كنا نبش سماء ،
 لكن أحلامه كانت تنفص علينا صفونا ، وكان
 جعلنا أسبابها رهقنا بل زيجنا ... لقد كانت تتناهى
 حالات من الدهول والشرود هي أشبه بالجنون ...
 فكنا كلنا نبي من أجله ... ولن ننسى مرة حين
 سمعناه يصرخ في سكوت الليل طالباً المغفرة من
 ابنه ... قائلاً : يا رب ... إغفر لي يا بني ... ليست
 خطيئتي أنا وحدي ... إصغى عني يا وجدي ! ...
 هذا الغلام الذي لأشك الآن في أنه هو ... ولقد
 جعل مرة بضحك في رمضان ساعة الأصيل ويقول :
 نفاق ... رياء ... أنا منافق ... لقد كنت لأصوم
 رمضان ... ولكني أصومه منذ عشرين سنة ،
 وكنت لأصلي كذلك ، ولكن هأنذا أصلي منذ
 عشرين سنة أيضاً ؟ فلماذا ؟ لماذا أعبد الله على هذا
 النحو ؟ ! أليغفر لي ؟ ... أبدأ ... أبدأ ...
 لن يفر الله لي .. فالآن يا سيدتي عرفت السبب ..
 لقد كان يخفى عنا كل شيء ، فأما وقد عرفنا كل
 شيء فسيكون يسيراً جداً أن نعالجه ... لقد كسبنا
 كثيراً ...

— ثم ...
 — ثم أنكر أن تكون السيدة شيئاً إلا ...
 — إلا ماذا ؟
 — ... ؟ ...
 — لعله أخبرك أنها حظية أو واحدة من
 صويحاته ! !
 — لا تخزي يا كريمة هانم ... الحق أن زواجكما
 بعد الحادث المؤلم الذي ذكرته لي كان ينبغي ألا يتم !
 — وأين كنت أذهب بوجدي يا أختاه ؟
 — وجدي ... آه ... بل كان ينبغي أن تزوجا !
 ما ذنب وجدي ؟
 — لو لم يكن في أحشائي منه شيء لما آثرت أن ..
 ثم حبس السمع منطق السيدة المحزونة فلم تستطع
 أن تكمل
 — على كل حال لقد برهنت على نبل وأرومة
 بجدي يا كريمة هانم !
 — شكراً لك يا أختاه ! ماذا كنت أستطيع
 غير هذا ؟ !
 — عجيب جداً أمر إسماعيل ... الآن عرفت
 سر أحلامه !
 — أحلامه ... ؟ !
 — أجل ... لقد كان يحلم في اليقظة وفي المنام ..
 وكان يتمم بكلمات لا تفهمها وعيناه مفتوحتان
 جاحظتان
 — ولكن لماذا يحاول أن يتكرنا ؟ لعله ظن
 أننا في حاجة إلى عونه للمادى ؟ !
 — وإذا كنتم كذلك فإذا بمنكم من طلب هذا
 المون ؟ إنه ملازم بهذا بل هو ملازم بأكثر من هذا ...
 إنه ملازم بنفقة ابنته طوال هذه السنين ، وأحسب
 أن نصف ثروته لن تقوم بذلك !

الشاب بالسر المائل . ربما ذكر له أنه ابن إثم ،
وثرعة جريئة . ولذلك تار وحدى وحاول أن يقتل أباه

وسافرت الأمرتان إلى نبطا للاحتفال بعرس
إحسان ... وحينما تقدمت الفتاة لتأخذ من والدها
هديته — ألف سهم من أسهم بنك مصر — نظر
إليها أبوها نظرة عقيمة صامتة ، ثم طبع على جبينها
الجليل قبلة طويلة ... لكنه سقط إلى الأرض
مغشياً عليه .

وتقدم الدكتور العريس فجثا بجانب الرجل
وأخذ يفحصه ، ثم أمر بإخلاء الردهة لتجديد
الهواء ...

وتوفى إسماعيل أفندى عبد الرؤوف في مدينة
المنيا العامرة بعد عرس ابنته بمشرة أيام ، بعد أن
كُتبت في معالجته حيل الأطباء ...

لكنه مات كريماً آخر الأمر ، وترك خلفه
قلوباً صريحة دبرنى ضربة

— عجيب جداً ... إنك زوجة كاملة !
— أشكرك .. بل أنا شريكك في هذا الأمر
ورجائي أن تليين معه ، فهو رجل طيب ، وقد تنفيعه
أكثر من أى شخص آخر .
ماذا حدث في الخارج ؟
ما هذا الصباح الشديد ؟

— كلا ... كلا ... لا تقتلني يا وحدى ...
حرام عليك يا بنى ... أنا أبوك ... كيف تبوء
بائى؟ ... تعال ... سأقدم لك الدليل الذى يبدد
شكوكك ...

كانت هذه الكلمات ترتفع ثم ترتفع ... ثم
دخل إسماعيل أفندى فجأة ... وتناول صورة كبيرة
ذات إطار مذهب فكسرها ، وقضى ألغافها من
خلف ، ثم أخرج من داخل ذلك كله صورة
متوسطة قدمها للفتى الذى كان يمدو وراءه ...
لوجدى !

— ها أنت ذا يا بنى ... أليست هذه صورتك
ببنى وبين أمك . . . أليست هى نفس صورتك
وأنت طفل ؟ لقد صورت الصورتان ، هذه والى
معك ، في يوم واحد ... فاطمئنى يا بنى ... إنك
ابنى وأنا أبوك

وتناول وحدى الصورة من يده فغمضها فيها
ثم ذهب إلى أمه باسماً فقدم إليها الصورة قائلاً :
— لقد تكلم والدنى كلاماً لم أصدق ... يبدو لى
أنه متعب ، أو مريض ... أصبح ما قال يا والدنى
— ماذا قال لك يا بنى ؟

— لا داعى لذكر ما قال ... لا بد أنه متعب ...
إن هذه الصورة التى كان يحتفظ بها هى حسي ...
أليست ابن حلال يا أبى ؟
ففرقت الأم كل ما قال زوجها القديم . لقد طمن

الأم فرت

للساهر الفيلسوف مومن الأولانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة علمية تدبج من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً

زفر حبيبت

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَنْثَى جَمِيلَةِ الْعَالَمِ

السبب حسب ما يرسمه ذهنه
على ضوء تفكيره وإحساسه ..
وأنا وحدي كنت أعرف
السبب ... فقد أهدى لها
خطيبها أول يوم صار حجابها
باقة من زهر البنفسج ثم جعله
بعد ذلك تحية معطرة يقدمها
إليها كلما تقيا حتى خيل للفتاة

أن هذا الزهر رمز سعادتها المنشودة ومفتاح تفاؤل
نفسها المتمطشة لكل ما تطمع إليه عذراء في سن
الشعرين من عمرها ... وكانت تحرص كل الحرص
على أن يحتفظ الزهر بروقه وعطره حتى أنها راحت
تبحث في كتب الطبيعة لتعلم كيف تصون الزهر من
الذبول ، وانتقت له إناء جليلا كانت لانتي بأى عمل
في منزلها إلا تنظيفه ، ولم تحاول أن تعرف تنظيف
أى أداة من أدوات البيت غيره ...

لم أرها غير مرة واحدة وهي تقبل منه الباقة
— لما زارها في منزلها — تقبلته في فرحة الطفل
الطروب الذي عثر على أعز ما يتمناه من لعب
قد يكون ذوف في سبيل الثور عليها أحر الدموع .
قبلت الزهر في حنان ثم وضته في الإناء بخفة
مالحتها فيها أبدا ... كأنها تستودع أحلامها وأمانها
قلب القدر ... حتى في يوم العيد كان يرفق الهدية
بالباقة ...

تصرف مألوف كأي عمل معروف ... إنما
الإنسان هو الذى يخلق من الدم الوجود بحسبه
وتفكيره ... نحن نرى الزهر في كل مكان وبجمل
به كل مكان نترين به ... ولكن الإحساس الذى

في مثل هذا اليوم من العام للماضى دعنى
صاحبتى لحضور عرسها وقد أسمعنى يومئذ أجل
أناشيد السعادة المرتبة ، وأرتقى الأمل الوضاء إلها ما
وسعرا

يا لفرحة العروس عند ما يجمع القدر بينها
وبين الرجل الذى تحبه

لا أحسب إلا الفرحة خلقت لها في مثل هذا
اليوم . وما زالت صورتها برداء عرسها الأبيض
ترادى لى من وراء الخيال الذاهب تمثل ما كان
يحبوها من صرح وبشر لا أدرى إن كان مبهما
ذلك الزواج المرغوب فيه ، أم الحب المشبوب الصادق ،
أم أن الله خلق الهبة والمسة لها وحدها أم خلقها
لها — لا أعرف — والذى أعرفه أنى تمتد يومئذ
أن ينيلني الله ما يبيت في نفسى هذه الفرحة الصافية
فأكتسب مثلا من الأمل المحقق طلعة الأطفال
الأبرياء وفرحة السعداء المتفائلين ...

وتساءل الناس في شبه همس ما الذى حداها
أن تضع باقة زهر البنفسج على صدرها والمفروض
أن تضع باقة من الفل أو الياسمين لثماثل لون
رداء العرس الأبيض ... وصور كل متسائل

الابتدائية ثم تركت المدرسة وخلفتها ورأتى فى الفرة الثانية، وظلت هكذا متوانية متأخرة لا تترك الفرة إلا بعد أن تمسكت بها سنتين على الأقل ...

وهى فى المنزل لا تمتاز عن المدرسة لا تحاول أن تساعد أمها فى أى شىء وتستنكر القيام بأى عمل مهما كانت ظروف البيت، وتعتقد أنها خلقت لتبدي جمالها الذى منحها الله أكبر قسط منه، ولكى تجيد لعب الباسكت والتنس وتقارن بين جمال جريتنا ونورما وبين عظمة جارى كوبر ورامون

هى بحق تجيد معرفة كل ما يتعلق بالسبنا والمسخ والريضة والتججيل

وساءلت نفسى يوم علت بخطبتها: أيمكنها أن تكون ربة بيت ...

وأيقنت يومئذ أنها لا بد ما كفة على دراسة شئون الدار وخصوصاً بعد أن انقطعت عن المدرسة ولكى أنا كد من محبة يقينى سألها:

— ما ذا أنت فاعلة فى مقبل الأيام؟ علك بدأت تفهمين حقيقة الواجبات المنزلية ...

فضحكت فى بلاهة وقالت: أى واجب يا صاحبتى أظنن أنه يمكن أن أعرف غير مضجى الذى أفضى فيه ساعات النوم والمائدة التى أجلس عليها وقت تناول

الطعام والقيثار الذى أعزف عليه بنى الألحان؟ ...

قلت: مه.. أظنن ذلك كفيلاً بهيئة بيتك .. هناك غير ذلك أشياء أكثر أجلاً شأننا وأعظم خطراً..

بيتك ليكون كاللوحه الظليلة لزوجك والفردوس الأرضى لأمرتك التى سوف يكل القدر أمر تكوينها وإسماها إليك ... وتكونين بحكم الزواج ملكة مسئولة عن مملكها الصغيرة المتواضعة

يفهم هذا الرؤية الزهر غير ما يفهم ذلك، والشعور الذى ينتابنى حيناً أرى الزهر أو الورد وخصوصاً ما تراح إليه نفسى ويطمئن إليه قلبى غير الشعور الذى ينتاب صاحبتى أو أى إنسان ... فأنا أرى فى الياصمين معنى يوحى إلى بأحب الأخيلة يننا على عليه غيرى غير آبه. قلت لصاحبتى مرة لأداعبها:

— ما أعجب شأنك ... إن فى لون البنفسج معنى يدفع المرارة إلى النفس
فصرقتى على شفى بأطراف أناملها فى لطف وهى تقول:

— لو قدم لك خطيبك زهر « التبولب »
لكانت أحب الزهور إليك

فطوقتها بذراعى وأنا أنظر إليها مسرورة لسعادتها وتفاؤلها قائلة:

— الآن فهمت يا صاحبتى أن السعادة فى المعنى لا المظهر

ثم حضرت مجلسهما مرة أخرى فشمت فى الرجل غموضاً لا يتفق مع براة الفتاة ... وأنا

أعترف أن الغموض لا يحدث إلا مع عشيقين مدسنيين يحاول كل منهما أن يخفى حقيقته ليحظى برفيقه ...

أما الخطيبان الحبيبان فلا مكان لتألفهما غير الصراحة والصدق

وعجبت كيف اتفقا مع تناقضهما، ولكنتى رجحت أن يكون الله جمهما لحكمة لا يعلمها إلا هو

كانت الفتاة فى نهاية مرحلة التعليم الثانوى ولقد ذهبت إلى المدرسة تنفيذاً لأمر والدها الذى

يرغب أن يجعل منها فتاة مستنيرة ولكن الفتاة لا تميل إلى التعليم مطلقاً فقد كانت ممتعة فى المدرسة

البيت كالمملكة يحتاج للآداب والفنون والفلسفة ؟
لا تضحكي فلست هازلة ... إن أعقد المسائل
العالية تشبه أبسط الظواهر التزلية ... إنه مملكة
تحتوي مجموعة وزارات ، وأنت وحدك المسئولة أمام
الله والشريعة والناس عن رئاسة هذه الوزارات
وتسييرها بمحكمة تتطلب منك عقلاً علياً يشبه عقل
وزير المعارف وسياسة وزير الخارجية وحكمة وزير
الداخلية وإدراك وزير الصحة ولباقة وزير التجارة
والصناعة وذكاء وزير الزراعة وقوة وزير الحربية ..
وأخيراً لك قلب الملك الصالح .. فظلت تضحك
حتى كادت تستلقي على ظهرها وهي تقول : ما دام
في وسع زوجي أن يحضر إليّ الخدم فلماذا يهم ؟
حسبي أن أشرف على الوزراء .. وقمعت ، وساورتني
مرارة من الشك في سعادتها الرقيقة ولكنني
لم أشأ أن أكون متشاعبة .. قلت : يا منى : الخادم
لا يمكن أن يحسن العمل إن لم يلحظ فيك خير
مثال للماملين النابهين . أبعدى عن ذهنك يا عزيزتي
هذا الخاطر ، وثأ كدى أن يتك لا تثبت أركانه
إلا إذا ثبتت قوائم عرشك فيه بفضل قلبك وعقلك
إفتحي قلبك .. وحكي عقلك ..

ليكن هذا ششارك دائماً .
وهنا دخل الخطيب فهرعت إليه تقول : أحمد ،
جيتي تخيفيني من الحياة الزوجية ..

فريت الخطيب على خدنها في لطف قائلاً :
لا شك أنها تدابعك .

قالت في دلّ ظريف : بل تجد !
فلم أشأ أن أسارحه بالأمر خوفاً من أن يكون
(٥٠)

فهزت كتفها ومطت شفيتها وقالت في غير
اكثرث : خطيبي يجيني وأنا أحبه

قلت : للزواج مطالب أخرى غير الحب أكثر
خطورة . إن الحب يقنع بكل شيء لأن من صفاته
التسامح واللين ، أما الزواج فيحتاج إلى العقل والحكمة
بجانب القلب والإيمان

فقلت مستخفة : بقي أن تقول لي ويحتاج
للشعر والفلسفة أيضاً ...

قلت : ما عنت هذا ... ولا يمكن أن أقوله
لأن هذه ملطفات تلجأ إليها النفس بإيماء غير مدرك
ولا علاقة لها بالزواج ، فالشاعر غير الزوج وكذلك
الأديب أو الرسام أو الممثل أو الفلاح أو الوزير
فسياسة الزعيم في مكتبته غير معاملته لأسرته ، أنظري
إلى الفلاح ... إنه أمام صاحب الأملاك كالعبد القليل
ولكنه في المنزل كسيد أمر قاهر ، والدكتاتور كقوة
القدر الجائر يبدو أمام الناس ، ولكنه أمام زوجته
أو أولاده اللطف من السحر . والتي أرجوه يا عزيزتي
كصديقة تحببك السعادة أن تحاولي معرفة المسئولية
التي ستلقى على عاتقك . أنت مسئولة عن سعادة زوجك
وتكييف حياته ومساعدته بفكرك وحسك ليسمو
بنفسه وأسرته إلى السكينة ، ومسئولة عن صنفارك ليكون
لهم في العالم مكان على ... ومسئولة عن بيتك ليكون
مجملاً عالمياً ...

فقاطعتني متهمكة ... أي جمع تمنين يا صديقتي ؟
أتريدن أن يكون بيتي أكاديمية للملوم والفنون
والآداب ؟

ثم ضحكت متهمكة ...
قلت : وأجل منها إن شئت ... إني والله ، أليس

فهزت كتفها ، ونظرت إليه كأنها تستسلمه الجواب ، فقال مسرعا : أقوم أنا بكل شيء .

قلت : ولكنك لا تعرف واجبات ربة الدار والزوجة والأم ، أنت تعرف واجب الزوج ، ورب الدار .

قال مستخفاً : ياسى تستعين بكتاب التدبير .
فقلت ضاحكة : آه نسيت « مرشد الفتاة »
قلت : وغيره إن شئت ... إنما التجارب أنفع من القراءة .

ووجدت من الميث أن أحملها على تعرف ما وراء المستقبل القريب لأنهما في نشوة الحب .
فانسحبت راجية لهما كل خير وتوفيق .

واليوم عيد ميلاد زفافها السعيد ، وقد مضى العام دون أن أراها إذ سافرت مع زوجها بعد الزفاف مباشرة إلى مقر عمله ، وأتت رسالة منها البارحة تنبئني بأنها نقلت منذ أيام إلى المنصورة وأنها متلهفة لرؤيتي ...

وتذكرت أن ذاك اليوم عيد ميلاد زفافها فذهبت إليها لأقدم إليها تهنئتي الصادقة ولملأني كنت شغوفة لرؤيتها بعد ذاك العام لأعرف ماذا فعلت بحياتها الزوجية وكيف صارت .

وهرعت إليها وبى من الشوق إليها ما يزى بشوق كل حبيب .

وطرقت بابها وقلبي يخفق ويكاد من لهفة الحنين بصمت ...

ولما فتحت الباب أدخلتني الخادم في غرفة (الصالون) وهرمت دقائق ، وأنا وحدى أنتظرها ، تأملت خلالها محتويات الرفة . ولشد ما أدهشني أن أرى الأثاث

على يقين من أنها ملته بشئون البيت . فافتح ناظره على ما لا يعلم فيرتد .

فقلت : اسمع ياسيدى ... كنت أنصفح هذه المجلة فأعجبني ذاك القصيد ... قلت لها اسمى ... فقلت : لا أحب أن أسمع غير كلام خطيبى ... وأنت تعرف أنني أحبها ... (فطيماً عزت) ... وإذا كان هذا حالها اليوم فما عساها تفعل بعد الزواج ؟ طبعاً ستسنى جيمى .

فأبسم وقال : وهل يمكن أن تنساك ؟ إنها تحبك ؟ ! ... وكل ما في الوجود يذكركها بك . فقاطمته قائلة : لا ... إنها لم تقل ذلك ، ولكنها تقول : يجب أن أقوم بشئون البيت . ثم دنت منه راجعة على كتفه في خفة مرهفة : وأنت تعرف أنني لا أعرف أى عمل في البيت . ثم مطت شفرتها وهي تقول : حتى ملايسى لأعرف كيف أنظّمها أو أعلقها على المشجب . فضحك طويلاً وقبض على يدها وهو يقول : لا تفكرى في هذا .. سيقوم الخدم بأعمال البيت ، وأنا مستعد يا حبيبتي للقيام بكل عمل بدلاً منك ...

فنظرت إليه فرحة ، وقد شاع طرب نفسها من كل خالجة فيها . لكنني تأملت إذ كان في مقدوره أن يهيب بها إلى تعرف المسؤولية في لطف للتحاول أن ترضيه على الأكل ولكي يشعرها بقيمة حياتها ، وضرورة تأدية واجباتها - ولوفعل - لردّها إلى عقلها وعملت على تعرف ما لم تعرف .

فقلت في شبه دمدمة : وإذا مرض الخادم ؟ فأنعقت : غيره يقوم بمهله .

قلت : لنفرض أن الخدم تأمروا عليك ، وتركوك بفتنة كما حدث لإحدى الملاكات فإذا تفعلين؟

قالت : بل اثنا عشر دهرأ يا جيمى
قلت : إذن أحسست بالوحشة كما أحسست بها
ولقد ظننت أن زوجك أنساك جيمى وسعادتك .
عنت من ذا كرتك ذكريات الطفولة اللذيذة بأجل
ما فى الحياة من طهر ومرح وحلم وسذاجة
فتهدت قائلة : ليت هذه الأيام يا جيمى قيدتنا
فى باطن النيب كما تقيد الجاذبية البدر بين الأرض
والشمس ، أو لعلنا متنا قبل أن تفتح بصائرنا
على ضوء الأحلام والآمال فتتخيل ... حتى إذا
داهمنا الواقع رأينا الحياة تنفى وراها من الحقائق
ما تخفى ...

وغالبت دموعها — على ما أظن — لأننى لحت
الضوء يبدو فيهما وتلاشى ليبدو أكثر قوة والتماعا
وكانت لمهجتها متكسرة عميقة بطيئة كأنها
آتية من أعماق الأبد ... تخرج قوية ثم تفت وتلاشى
لطول مسافة الزمن ... فمجبت لهذا المظهر الجديد
الذى لم أتيبته فيها من قبل فقلت : لم يكن فى حسابى
أن الزواج يعلم الفلسفة ، أهكذا يمتحك الزواج من
من الحكمة فى عام ما لم تمتحك إياه الحياة فى عشرين
عاماً ... يا هجبا !!

قالت : وعلى أكثر ... ثم أسندت رأسها
إلى صدرى كأنها تحاول أن تتخيل — بالإحساس على
الأقل — أنها مرتكزة على صدر حنون . ثم رفضت
بصرها إلى فى التماع مترقق باللمع الحار وغمغت :
جيمى ... كيف ترفنى ؟

قلت : آه . أنسىنى ما يجب أن أقوله ... ترى
هل جئت بجميلة أو جميل ، وكنا اتفقنا منذ زمن
أن نسمي كل منا بكرة باسم صديقها تحميد لك كرى
الصدقة الأكيدة البريئة

الجديد يبدو كأنه من تراث جدنا القديم أى خيبة
ساورتنى عند ما لحت الإهمال يتجسم فى الترفة ؟
ورددت طرفى لكليلا أشوب حرارة حنينى
بمرارة أنين نفسى لما أصابها من ألم له فى عالم الحقيقة
صورة مرسمة فى أرجاء هذا (الصالون) ...
ودخلت (منى) وقبل أن أعانقها ارتمت على
صدرى كأنما شاءت أن تستودعه حرارة وجدانها
لتستريح حتى أحسست أن كل كيانى بمحاربتها يحس
ويتنفس ... ثم رفعت وجهها بيدي وأنا تأمل الوجه
الجميل فى شغل لأتبين وجه المرأة وأقارن بينه وبين
وجه المذراء ...

أجل ... نظرت إليها طويلاً لأقارن بين وجه
رفيقة طفولتى وبين وجه المرأة التى تخطت قبلى عتبة
باب المسؤولية

وظللت هكذا أناملها لأقارن بين حياة الحلم
الماضى والواقع الراهن ، وبين حياة المتعة والحربان
كما يقولون ...

لم تتكلم ونظرت إلى بعينين دامتتين وشتتين
مرتمشتين ... ولم أتكم ونظرت إليها بعينين شاع
منهما خوف عليها وحجى لها ، وقد بدت ظلال هذا
الشعور الحار المتوذب على شففى فى شبه بسمة صريرة
وأخيراً تمنت بصوت من يستيقظ بمد حلم
عميق : منى ...

فاجأبتنى بصوت مرتمش كأنه قطرات من الماء
الصافى تنسكب فى هواده ورقة تمازجها قوة لا تبين :
جيمى ...

قلت : أخيراً التقينا ... مضى العام ... اثنا عشر
شهرأ هى فى حسابى اثنا عشر عاماً ...
ونظرت إليها نظرة معناها : أليس كذلك ؟

فتمتعت بشفتين مبلتين بالمسوح : جاءت
جيلة ...

ولم أدمها تم عبارتها وعدوت أبحث عن
الطفلة الجميلة التي كانت تتصورها قبل زواجها أجل
أطفال العالم، ورحمت لها منهج حياتها رسماً يسمو بها
فوق متن الريح لتستقر على عرش الطهر والرفعة
والكمال

هرعت إلى غدها عل الصغيرة نائمة فيه ...
تدفني عواطفى لالهامها كأنها كانت ابنة روى
قبل أن تكون ابنة أمها .. ولا لم أجد لها في مخدع
الأم ضحك من خيالى الذى أنساى أنها لا بد أن
تكون في مخدع صغير خاص جصل لنوم الصغيرة
بعض الوقت ، وتحرسه ملائكة الرحمة والحب كل
الوقت ، ولكننى لم أجد السرير الصغير أيضاً ..

أنتكون في غرفة أخرى ؟ لا بد . وقبل أن أغادر
الغرفة لحقت في منى قائلة : جيبك تمياً . وجذبتني في دفق
وحى تقول : لم يشأ الله أن يتركها تحت تصرف القدر
الجائر . فاستردها ليستودعها حنان حور الجنان .
ثم صممت من فرط الالتئاع وتركت دموعها تمير
عن أساها .

فهمت وحنوت عليها أشجها بأجل الأمانى
المرتبعة قائلة في النهاية : آمنى بالله ! فقالت بلجة
الخشوع :

عندما ولدتها وجربت كيف يفصل الله بين
الروحين بقدرة قادره .. آمنت بالله وأقمت له الصلاة
ولما ماتت وكنت يومئذ متبرمة من حياى ناقة
على ولادتها ... ازددت إيماناً به وروح أرتل باسمه
بكراً وأصيلاً .

قلت وأنا أشد منها إيماناً : يا سبحان الله ...
في لحظة يثبت لنا الله قدره وعظمته بما تعجز عن
إثباته قوى المالين في أجيال . ثم اغتصبت ضحكة لأدفعه
عنها وقلت : أئذ كرين يا « منى » يوم كنت أدعوك
لنؤدى فريضة الصلاة معاً ؟ ... كنت تضحكين
وتسخرين منى وتقولين : فرضت الصلاة على الناس
يوم كان لا عمل لهم . أما اليوم فالوقت يضيق بالعمل
والجهد . ثم تبسمين في بلاهة وترددين : إن الله
غفور رحيم ...

ولطالما حاولت أن أغلب شيطانك بنصحك
فكنت أفشل لأن تأثير يشكك كان أشد وأقوى
عليك منى ... لأن أمك متمدينة متطرفة لا تقم
للحياة ميزاناً إلا بما يجلبه عليها من طرب ومسرة
ومتعة ...

وهنا لحت الأمى ببالها فسحبت رأسها وأسندته
إلى صدرى ورحت أنا أفكر في ماضيها وحاضرها .
وأقارن بين هذا وذاك ...

من يصدق أن منى المرحمة الطروب الجاهلة التى
تبدو كأنها في سن الثامنة من عمرها أو أقل يتناهى
قد بلغت الحلقة الثانية منه من - يظن أنها الآن تبدو
وكأنها في سن الخمسين من عمرها مع أنها لم ترد
على العشرين غير عامها الأول من عمر الزواج ؟ -
تبدل بالرح سكون رهيب خفيف وتلاشت
النضارة ليحل مكانها الشحوب البارز .

لم يصدق أن يقارن بين ابنة العشرين الحالة
التفاقة ، وبين أختها المتألة التشائمة ليعرف أن عمر
الحياة ليس في حساب الزمن إنما في معناه وما يجلبه
من صرح أو ترح . ولجأة تذكرت زوجها ...

حتى ينعم الجيران نحتكا ..
قلت : حقاً ، ولقد حرمتم متعة الضحك الأكيد
منذ فارقتك

قالت : إذن ماذا تفهمين من دموى
قلت : قد تكون الدموى من تأثير الفرح
كما تكون من تأثير الحزن . ولقد تمددت أن أبجأ
ما اتباني من شك في سعادتها لأستنطقها
فقلت : قولي ذلك لن لا يعرفك ... أما أنا
فقد علمتني كيف أعرف ماذا أنت قائلة قبل أن تفصحى
عن صراخك

قلت : تقرير جميل ... من تلم مدرسة الزواج حقاً .
كل ما فيك قد تغير ...

فقاطعتني : ذهب جالي وتلاشى فرحى ومات
بهجتي ...

قلت : أمن أجل موت طفلة تيمتين نفسك
حسبك زوجك والله نعم الموضع ... وماذا يجدى
الحزن ؟ ...

قالت : لم يكن مصابي في ابنتي كصابي في زوجي
فاضطربت وقلت : أمرض هو ؟

قالت : لو كان هان الخطيب ، على الأقل كنت
أتمزج بالأمل في المعافاة
قلت : لهجتك صروعة تخيفني ، أفصحى ماذا
جربى ؟ ...

قالت : مات وهو حى
قلت : يا لله ! هل أسألك مس من الجنون
يا « مى » كيف تهمين زوجك الحبيب بالوت
وهو حى

صمتنا إذ سمعنا طرقة على الباب . فزاد وجه

فرقت وجهها في رفق وأنا أقول : فانتى أن
أسألك كيف حال زوجك ؟ .

ففظرت ببدا كأنها تفكر فيما تقوله .
فنجبت لهذا النظر واضطرت أن أكرسوالى :
زوجك كيف حاله ؟

فنهتت وأطرقت قائلة بصوت خفيض : بخير ..
نشمت في لهجتها سرأ رهيباً أفزعنى وراعى أنها
جملت حيزاً من الفراغ بين (زوجى بخير) حتى أحسست
أنها تفصل بينهما لكيلاً تصل بين زوجها وانحير
فارتعدت وخفت أن يكون جد لها مالا أرجوه
فقلت لأستدرجها : أهو على سفر ؟ الفروض أن
يكون في المنزل اليوم لأنه يوم العطلة الرسمية ...

فقلت وقد اعتدلت كأنها تتأهب لمصارحتى
بما كتمته عني : أتمررين صلاح ؟

قلت : كيف لا أعرف زوجك ؟ مالك شاردة
كالذاهلة هكذا ؟ أترين عجيبى أزعجك ! اعله لا يبيع
لك لقاء صديقاتك ، إن كان ذلك كذلك فدعيني
أنصرف وحسى أننى رأيتك فكل ما أعتناه هناك

ووقفت أناهب للانصراف فأجلستنى في هدوء
وحى تقول : جيى ، كان يجب أن تفهمى كل شىء
بمجرد رؤيتى ، وأنت أعرف الناس بطبيعتى ...

من كان يظن أن « مى » الزهرة الناضرة تدبل
دون أوان ؟ ولطالما قلت لك عند ما كنت أراك تتألمين
لشهد محزن : يا صديقتى ... خلقنا لنضحك وإذا

عشنا لمشاطرة الناس ألاهمهم ماذا نستبقى من الزمن
للفرح .. لا شىء بالأكيد . إذن خير لنا أن نخلق
البهجة والمسرّة لنقلب بها الحزن والعنى ...

ولطالما دأبتك بنواحدى لأبدد تهيمك ولا أترك

لثأنتس بك وأجمل منه أنها تملك الاعتبار على نفسك
لكيلا تمجز عن ارتداء ملابسك إذا كانت مريضة
مثلاً أو على سفر !

قال : يا آنسة . . . ينجلني أن أصور لك مبلغ
إحالتها وعدم اكتمالها بحياتها المنزلية .. أعرف أنك
صديقتها ، وأعرف أن لك في الحياة رأياً سديداً .
فإذا تقولين لمن تمجز عن إعداد الغداء إذا خرج
الخدام وتضطرننا لأكل الجبن والزيتون في الظهر .
أو استحضار اللحم والخضار من (مطبخ) السوق
فصرخت في وجهه : حضرتك تعرف أنني لا أعرف
كيف (أطبخ) ؟ وتزوجتي وأنت تعلم أنني لا أعرف
أن أؤدي أى عمل منزلي ؟ فقاطعتها : لكن الفتاة
في بيت والدها غير المرأة في بيت زوجها ...

وهنا خفت أن يشتد عراهما ؛ فمضت
صديقتي وخرجت بها إلى الخارج ، ثم رجوتها أن
تتركه ريثما يبدأ وتبشر الخدام لإعداد لوازم راحته
وتعمل له كوباً من الليمون أو الشاي أو القهوة
حسب ما يجب . وتركها بعد أن هدأها ، وقد فهمت
من حوارهما لم مات قلب الرجل ، ولم شقيت المرأة .
ولما عدت إليه وعدته أن أرشد صاحبتى
إلى ما يحمله من شئون الدار . ولما هدأت قلت بلهجة
جادة : اسمح لأختك أن تقول لك كلمة تقبلها مني
بسعة صدر الرجل الحكيم ، تذكر أنني أعرفت كيف
تحياتها وتزوجتها وأنت قلت لها على سمع مني إنك
رضيت بها زوجاً حبيبة ، ولم تأبه يومئذ لمجزها
عن تأدية مهامها ، فما ذنبها ياسيدي ؟

فكر واحفظ الجواب لنفسك وخذ من الجواب
ما يمينك على توجيه زوجك إلى حياة الاستقرار

« المنصورة »

بمحمد العمودي

صاحبتى امتناعاً ثم سمعنا يسأل الخادم بلهجة جافة :
من هنا ؟

فقلت لها : اسرعي إليه لتستقبله ثم تعالى معه
إلى — إن شاء — لأخيه

فلم تتحرك ولازمها الوجود ... وقبل أن أحلها
على الخروج دخل علينا وقد ابتسم — ولعله تكلف
البسمة — قائلاً : كيف حال الآنسة ؟ أراك على
أحسن حال ، صحتك ونصارتك ...

فقاطعتها لكيلا يستطرد : وأنت علك كذلك
فقاطعتني : الجو هنا بديع ... بديع جداً ...
فهمت أنه لا يريد أن يتعرف بأنه على خير
ويأني أن أشتد رائحة سوء تفاههما ...

فاحترمت رغبته واستأذنت لأنصرف وقبل أن
أصالحهما خاطبها بلهجة جافة : لقد نسيت هنا بعض
أوراق رسمية في غلاف كبير ، أين هو ؟

قالت : لا أدري !
قال (موجهاً الكلام إلى) : اسمي « ياستي »
الهامم (مديرة البيت) لا تعرف أين يضع زوجها
حاجياته .

فابتسمت على مضض قائلة لها : أنت مخطئة
يا منى إن كان ذلك حقاً ... على أنك لا بد تريدن
أن تعلميه كيف يأخذ معه أوراقه خوفاً من أن
تتمطل أعماله . لا شك ، وأظنه عقاب حلل بإصلاح بك
فقاطعتني : ذلك تبليط قد أقبله لو كنت أجهلها .
ثم انفجر كالبركان التأثير مردفاً :

إنما حضرتها لا تعرف كيف تكون زوجة ...
أقوم في الصباح ... أردت ملابسي وحدي وهي
في مضجعها وإذا قامت فلست أقول لى لا تتأخر
فضحكت : جميل أن تدعوك دائماً إلى المودة

وقال : « سنذهب غداً إلى
السينما يا عزيزتى » فقالت :
« لا بأس ولكن على ألا نغيب
أكثر من ساعتين »
وقال : « إن القطعة التى
يمرّحها الجيران على البيان هذه
الليلة قطعة جميلة » فقالت :
« نعم إن هذا الدور من أحسن
الأدوار »

ومضت فترة في صمت كان فيها الزوجان يصنعان
إلى البيان، قالت الزوجة : « هل كنت مشغولاً ؟ »
فقال : « نعم . لقد استغرق شغلنا طول النهار
ويظهر أن أكثر الناس أغنياء . فهم يشترون أماناً
من كل نوع وبأى ثمن . إن الأغنياء سعداء المحظوظ
قالت : « لا تكرر هذه الجملة الطالفة . فإن حظك
ليس باليسير » . فقال : « إننى غير ساحط على الحظ
ولم أقصد إلى الشكوى ؛ ولكن تجارة الأمانات
تدهش الإنسان لكثرة ما يراه فيها من الغرائب .
وإذا استثنينا الأطباء فإن تجار الأمانات يطلعون
على الباطن من حياة أية طبقة أخرى ، وقد أثبتت
نفسى خطأ هى أنى لا أسأل أى سؤال ، ولا أفتح
فمى بكلمة عما أراه .

ثم أشمل لفافة أخرى وتناول الجريدة ، وقرأ
قليلاً لزوجته ثم كتب خطاب شكر . وخرج من
المنزل فاشتري عليه سكار وطاق . وكانت الساعة
قد تجاوزت العاشرة . فاطماً الزوجان التور وناما .
وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى تناولا
طعام الإفطار ، وقبل الزوج زوجته وهو ينادى بالمنزل
وسألها عن رأيها فى الذهاب إلى السينما . فقالت إنها

الأغنياء والفقراء

عزرا لانجستر
بقلم الأستاذ عبد المصطفى النشار

جلس فردريك جيمز بحيث ماداً قدميه أمام
الموقد جلسة تدل على العظمة والزهو . وكان له الحق
فى ذلك فقد تقرر فى ذلك اليوم أن يزداد راتبه الأسبوعى
من ثلاثة جنيهات إلى خمسة . وفى هذه الزيادة تقدير
عظيم لخدمته مدة سبعة أعوام فى شركة بنسبيت

وكان يسمع وهو جالس هذه الجلسة صوت
زوجته وهى تنفى فى غرفة المطبخ أغنية هندية وتفسل
أطباق السردين من آثار المشاء ، وكان فى الوقت
نفسه يسمع صوت البيان فى المنزل المجاور

وأشمل فردريك جيمز لفافة وألقى نظرة على
إحدى الصحف ولكنه كان لشدة سروره لا يستطيع
أن يتناولها ليقرأها ، وكان يفكر فى مستقبله فينش
نفسه بالأمل فى صبروته يوماً من الأيام مثل المستر
بنسبيت الذى أصبح من أغنى الأغنياء بسبب الاتجار
فى المروشات

ودخلت زوجته وفى يدها عدد من الملاحق
والشوكات والسكاكين فوضعتها فى مكانها ثم التفتت
إلى المرقد الذى عليه ابنها التامم . وعادت فالتفتت
إلى زوجها الذى كان يتأمل فى وجهها أو لعلها لم تحل
فى عينيه إلا الآن

الأمريكي ويظهر أنه متمجّل جداً ولا أعرف ماذا يريد وقد يدعوك عمله إلى الاشتغال طول النهار » فقال سميت : « لا بأس »

ولكنه ذكر في نفسه موعده مع زوجته في الساعة السادسة ، ووصلت المرة إلى ريشموند في نصف ساعة ، ثم وقفت عند منزل ، فاستقبلهما رجل يظهر أنه كان في انتظارهما ، وهو صغير الجسم كبير العمر بمجد الجلد أسمر اللون . وقال ساعة أركما : « بول وبسيت ؟ » . فأحى المستر بنسيت رأسه وقال : « أنا بنسيت وهذا مساعدى »

فنظرة المستر مارشال إليهما نظرة احترام . وأدهش سميت أن تكون كل هذه النظرة موجبة إليه . ثم مشيا إلى الردهة فظهر أن المنزل خال من الأثاث

ونادى المستر مارشال فنزلت سيده مسرعة وحيث الزائرين ثم تبادلت مع زوجها المستر مارشال نظرة ، وجلس الجميع فأخذت الزوجة تملى على سميت بيان الأثاث المطلوبة من سجاجيد ومفروشات وكراسى وأدوات زينة الخ الخ

ولم يزالوا يتنقلون من غرفة إلى غرفة وسميت يكتب قوائم جديدة حتى أصبح عن الأشياء المطلوبة يستغرق ثروة رجل ميسور ... ولكن ذلك لم يكن كثيراً على المستر مارشال ملك الثروات والبوتاس فلما صارت الساعة الماشرة قال مارشال : إنه متمجّل جداً

قال بنسيت : إنه سيمرض عليه المناذج وقاعة الأمان في ظرف أسبوع ، فغضب مارشال الأرض بقدمه وقال : « ليس الأمر أمر غناج ولا أمان

ستقابل في الساعة السادسة قرب دارالسيا في شارع كرانبورن .

وفي الساعة التاسعة وأربع دقائق كان جالساً إلى مكتبه فجاء الخادم وأخبره بأن المستر بنسيت يريد أن يراه في اللحظة التي يأتى فيها .

قال في نفسه : « لماذا يردنى ؟ » . ثم خالجه الشك في أن يكون قد حدث خطأ ، وأن زيادة المرتب ليست له . وألقى نظرة على الأوراق التي أمامه وذهب إلى « قدس الأقداس » وهذا التعبير صالح جداً للاعتراب عن نظرة الموظفين إلى الرؤساء .

وقابل المستر سميت سكرتير الرئيس فاستأذن له عليه ...

وقف الرئيس وهو رجل طويل القامة متقدم في السن ذو لحية كبيرة يبدو عليه التهذيب وقال الرئيس : « ماذا تعمل يا مستر سميت ؟ » فقال : « أنا في قسم المبيعات يا سيدي »

قال الرئيس : « أرى أن تترك هذا القسم فاذهب وسلم ما بمهدتك وانتظرنى عند أسفل السلم بعد خمس دقائق »

وبعد أربع دقائق ونصف كان سميت ينتظر بالحارس في أسفل السلم . وبعد نصف دقيقة زل الرئيس فتجاهل وجود سميت في طريقه وخرج من الباب فجلس في المرة ثم التفت إلى سميت وأشار له بالجلوس

وجرت المرة إلى شارع اكسفورد . وفي الطريق قال الرئيس : « نحن ذاهبان إلى ريشموند لنقابل فيها عميلاً جديداً هو المستر مارشال فلا كستون

فصاح الأمريكي محمداً : « اللورد في جهنم . استمدع خمسين عاملاً بالتلفون واستحضر أنواعاً مختلفة من الستائر لعمل التجارب »
 ووجد التاجر حاسة الرجل لا تقبل المناقشة ؛ فاستدعى العمال بالتلفون وترك الستريسميث لينوب عنه وعاد إلى متجره ليرسل البضائع .

لم يمض غير عشر دقائق حتى صارت حديقة المنزل المراد فرشته بالأثاث كأنها ممسكة لكثرة من جاء إليها من العمال ولكثرة السيارات في الحديقة وأمام الباب .

وكان سميث واقفاً أمام النافذة ينظر مفروشات الترفة التي هو فيها فلمح عربة نغمة تقف عند الباب وسمع الجرس يدق وعلى أثر ذلك دخلت الترفة زوجة الستريسميث فلبستون تبعها فتاة متناهية في الحسن وقالت الفتاة لأُمها : « من هذا ؟ »

فأجابها : « هو تاجر الأثاث »

ثم نخرجتا وسمع سميث صوت الفتاة تقول : « ألم يأت خبر عن السكونت ؟ »

قالت : « كلا »

وقالت الفتاة : « ما أشد الشبه بين الشاب الواقف في الترفة وبين أنطونيو ! »

وكان سميث قد أزم نفسه ألا يهتم بشؤون النير فلم يمر هذه المحاورة اهتماماً وانتقل إلى الترفة المجاورة ليبدأ المعدادات لفرشها . وفي هذا الحين رأى الذين جاءوا في العربة الفخمة يدخلون كمن حديقة الدار وهم جماعة من الصينيين وقالت السيدة : « عفواً يا ماستر

ولكني أريد أن يكون المنزل مفروشاً بكل ماطلبتة في الساعة الثالثة من هذا النهار »

وكان ينسيت قد لاحظ على عميله الجديد علاماً عليها دالة على الجنون ، فبعد الحركة الأخيرة لم يبق عنده شك في صدق هذا الظن

قال صاحب المتجر : « أظن هذا مستحيلاً »
 فقال الأمريكي : « كم عدد موظفيك ؟ »

قال : « عندنا في المصانع والتاجر والإدارة والمخازن بضعة آلاف »

قال الأمريكي : « هذا حسن فادعهم جميعاً إلى العمل » فقال صاحب المتجر : « أخشى أن تكون تكاليف ذلك ... »

قال الأمريكي مقاطعاً : « إنني لم أسألك عن التكاليف ... أليس في المدينة سيارات ؟ أليس فيها تليفونات ؟ أليس عندكم مخازن ؟ إنني أكرر لك القول بأنني لا أبالي بالتكاليف وبأنني أريد أن يكون المنزل مفروشاً في الساعة الثالثة »

دارت عينا بنسبيت كما تدور عينا كلب الصيد حين يرى الأرنب ؛ ولم يقين بعد هل هو الأرنب أم لا . واستمر الأمريكي يقول : « استحضر أسطولا من سيارات النقل وخمسين رجلاً لفرش كل غرفة »

قال سميث : « ولكن السجاجيد والستائر ... »
 فقال الأمريكي مقاطعاً : « مالها ؟ إن المقاسات أملك وقد فرش اللورد جاستوتش منزله بالأمس . وغرفته في مثل اتساع هذه الغرف »

قال سميث : « ولكن منزل اللورد ... »

وعلى أثر خروجه دخل مئات من المال يحملون
الأسبلة والستائر والنفارق والكراسي . وبعد
قليل دخل المستر بنسبيت وأخذت المطارق تدق
والغروشات ترتب وسميث واقف راقب ذلك ويشترك
في كل عمل يستطيع الاشتراك فيه

وفي وسط هذه الحركة القوية أعلن المستر
فلكستون أن الساعة هي الثانية عشرة ، وأنه لم يبق
غير ثلاث ساعات . وأخذ سميث يصيح بالمال أن
يسرعوا . فلما انتهى فرش الغرفة الأولى جاء
فلكستون بستين جنبا وأمر بتوزيعها على المال
مكافأة لهم على الإصرار ، واستنهاضاً لهمتهم حتى يتم
العمل في الموعد المطلوب .

وفي الساعة الثانية وخمس دقائق كان سميث واقفاً
وحده ليستريح قليلاً في غرفة لم تفرش بعد . وكان
يرتب بنظره كيفية فرشها . فرأى على حين فجأة أربعة
من الصينيين ، وأشار له أحدهم فتبعه إلى أعلى السلم
وهناك شعر بمادة ذات رائحة غريبة قد أُلقيت على
وجهه . ثم امتنع شعوره بعد ذلك .

ولما أفاق سميث بمذآك وجد نفسه نائماً مكتوف
اليدين في سفينه ، ورأى البحارة حوله جميعاً من
الصينيين . نخل نفسه في إحدى حزر الأرخيل
الياباني ، أو في حزر الهند الشرقية .

ولكن وجه الغرابية هو أن البحارة كانوا
يتكلمون باللغة الإنكليزية .

وقال لأحدهم : « أين نحن الآن ؟ » . فأجابته :
« ستعلم متى جاء سعادة الحاكم » .
قال سميث : « ولماذا أنا مقيد اليدين ؟ » .

سميث لا تزعج من أي شيء وستنال رضية على كل
شيء تفعله . إن حادثاً لم يكن منظرأ قد وقع الآن
وزيد منك أن بدى شخصية لست صاحبها لمدة
لحظة واحدة . ولك مكافأة كبيرة »

قال : « لا مانع يا سيدنى ولك الشكر »

ودخل الصينيون فاستقبلتهم السيدة وكان
يصحبهم المستر فلكستون . وقدمت السيدة للمستر
سميث باسم السنيور أنطونيو بن الكونت أندوسى
فأحنى رجل وجهه من بين الصينيين رأسه أمامه .
واضطر سميث برأ بوعده لصاحبة المنزل إلى إحناء
رأسه أيضاً . وتقدم المترجم لينقل إلى اللتين الصينيتين
والإنكليزية كلام الطرفين

قالت صاحبة المنزل : « إن سعادة الحاكم
الصينى يريد منك يا سنيور أنطونيو تنازلاً كتابياً
عن خطبتك لرودا مالسترا وعن جميع الحقوق التى
لك في مملكة جزيرة بارى »

وهنا غمز المستر فلكستون ذراع سميث فقال
لأنه يستعد لتوقيع هذا التنازل

وقال المستر فلكستون : « إن هذا الشرط
هو الذى اتفقنا عليه لزوجك من بنى وسيتزوج
سعادة الحاكم الصينى من رودا التى كانت خطوبة لك »
ثم كتب ورقة هذا نصها :

« أنا أنطونيو برونو أندوسى أقر أنى نزلت
عن خطبة الأميرة رودا مالسترا وعن حقوق كلها
في مملكة جزيرة بارى » .

وقدم هذه الورقة إلى الحاكم الصينى فتناولها
هذا ثم أحنى رأسه وخرج مسرعاً

القدر على يد هذا الحاكم الصني، وبعد دقائق دخل الحاكم ونظر إليه نظرة وعيد وقال: «إنني أمرت بإعادتك إلى منزلك ولكن إذا فنت بأية كلمة عن أي شيء مما رأيته اليوم فاني سأهشم رأسك وسأني لتأديك ولو كنت في أقصى مكان من الأرض» وكان صوت هذا الجبار مثل نظرانه شديد الدلالة على الوعيد

قال سميت: «لن تجرد مني غير الصمت وألف شكر لك»

وبعد قليل كان سميت منغمض العينين في عربة تجرى في شوارع لوندرا وهو لا يعرف هل مضى عليه بمدفارقته هذه المدينة أيام أو ساعات أو أعوام ولم يرفع للتدليل عن عينيه إلا عندما وقفت به العربة أمام باب منزله. وكان تشييع الصني له نظرة تهديد قال جواباً عليها إنه ذاكر وعده وإنه سيلزم الصمت

ودخل سميت إلى منزله فنظر إلى نتيجة معلقة على الحائط فوجد أنه لا يزال في اليوم الذي باشر فيه المهمة في بيت فلستون، ونظر إلى ساعته فوجد نفسه في الساعة الخامسة فأسرع إلى مقر عمله وهناك رأى كل شيء على نفس النمط الذي كان عليه عند ما ترك هذا التجار. وتلقاه المستر بنسبيت فقال: «كيف حالك الآن يا مستر سميت؟»

قال: «بخير»

وقال بنسبيت: «لقد علمت أنه أغخم عليك في أثناء العمل بمنزل فلستون فنقلوك إلى منزلك في عربة» فقال سميت: «نعم لقد كان الأمر كذلك»

فأجابه البحار: لا أستطيع إخبارك بشيء حتى يأتي الحاكم. ولكن لماذا تتكلم بالانكليزية؟ أأنت إيطاليًا؟

قال سميت: أنا فردريك سميت، وصناعتي كاتب في شركة بنسبيت. فتدخل بحار آخر وقال: أأنت السنيور أنطونيو؟

حاول سميت أن يتذكر كيف وأين سمع هذا الاسم ولكن ذاكرته خائنه وقال: إنه جائع فجاء له البحار بقليل من الطعام ثم غلبه التماس بعد ذلك فنام وعند ما أفاق من النوم سمع البحارة يتكلمون وكان واحد منهم يقول: إن سعادة الحاكم لم يطمئن إلى التنازل الذي كتبه السنيور أنطونيو وليس يكفي أن يطالب بحقوقه في الملك ولا أن يأمن في حب خطيبة أنطونيو ما دام هذا الأخير موجوداً. ولذلك اختطفه بعض أعوانه وجاءوا به إلى هنا لإرساله إلى جزر الملايو. ولكن الغريب أن الرجل كما ظهر لنا الآن ليس إيطاليًا مع أنه اعتقل في نفس المنزل الذي وقعت فيه الوثيقة بتوقيع أنطونيو. وكان أحد الذين اختطفوه ممن حضروا توقيعه على وثيقة التنازل فلا يبعد إذن أن يكون الأمريكي قد خدع الحاكم وجاء رجل مزيف ليمثل دور السنيور أنطونيو وهنا تهامس البحارة بلزوم الصمت لأن سعادة الحاكم مقبل

وعند مجيئه سمع سميت صوت رئيس البحارة وهو يكلمه بصوت منخفض فلم يتبين ما قاله. ثم سمع الحاكم يقول بصوت كهزيم الرعد: «لا تتركوه يتكلموا! إقظموا رقبته وألقوه في الماء» اضطرب سميت لملبه أن هذا الكلام عنه وانتظر ما يجتبه له

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمّد وفريحي وطبعه الأستاذ

محمود عيسى زباني

ثمة ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الثمن ١٢ قرشاً

ولكنه عجب من رواية ما أصابه على هذه
الصورة المقتضية . وتذكر وعده بلزوم الصمت
فسكت ...

وقبيل الساعة السادسة أسرع إلى المكان الذي
اتفق مع زوجته على مقابلتها فيه ليذهبها إلى السينما ؟
فوجدتها في انتظاره وقال : « أظنني جئت متأخراً »
قالت : « كلا بل جئت في الموعد . هل كان
عندك اليوم شغل كثير ؟ » فأجابها : نعم نعم
لا نستريح طول النهار بل هي حركة مستمرة »

قالت : ماذا رأيته اليوم ؟ فقال : إنني لا أحب
التدخل في شئون العملاء وإذا استئينا الأطباء
فلا أحد يطلع على أسرار البيوت كما يطلع عليها تجار
المفروشات ؛ ولكنني أنظر ولا أسأل ، وأى شأن
لي بأسرار العملاء ؟ لقد تنازلت اليوم في أثناء عملي
عن حقوق في مملكة باري ، وعن خطبتي للأمة
رودا الصينية وخطبتي بنت مليونير أمريكي واختطفني
رجال المصابة الصينية وكاد رأسي يقطع بالسكين ؛
وسافرت في السفينة إلى جزر الملايو ، وهناك
أعود في الساعة السادسة بعد أدائي كل هذه الأعمال »

فضحكت زوجته لاعتقادها أنه يمزح وقالت :
« هل كنت اليوم تمثل في رواية من روايات شارلي
شابليان ؟ »

فقال : « سامعيني إذا لم أجيبك فإني مأمور
بالصمت »

وكم يرى المرء في حالي النوم والإغماء ، وكم
في شئون الحياة مما يظنه المرء حقيقة رآها وهو وم
يخيل له . أليست الأعمال كلها وليدة الآمال ؟ !

عبد اللطيف النشار

الورقة الثالثة عشرة

للكاتب القصصى فليبير أوستنهم
بقلم الأديب عزت السيد إبراهيم

— حلاً وفي أى سيارة
لأمر هام

— حسن ...

واعتر سلين إلى رفاقه
ووضع قبضته على رأسه وارتدى
معطفه واستقل أول سيارة
صادفته إلى مسكن صديقه
اللورد مينشنجهام ...

ودخل سلين مسكن صديقه بالطابق الثالث
وبعد أن أعطى الخادم قبضته ومعطفه ولج غرفة
المكتب حيث رأى اللورد جالساً مع اثنين من رفاقه
على مائدة اللعب وقد طفت على وجوههم موجة من
القلق والاضطراب ... ومد رب البيت يده مصافحاً
سلين قائلاً :

— إننى سعيد بمجيئك يا سلين ... أظنك
تترف رفيقاً

فأثنى إليهما سلين بالتحية وقد عرف الأول
جورينج بيت الموظف بوزارة الخارجية والثانى السير
مارتن فيليبس عضو البرلمان والسنام فى عدة شركات
وله اسم رنان فى الأسواق المالية، ولحظ سلين خلو
المقعد الرابع ولما كان يعرف أن لعبة البريدج
لا تصلح إلا بوجود شخص رابع قال :

— ولكن أين رابعكم ؟

— كان صديقنا رونى كارترت جالساً منذ ساعة
نحن الأربعة حول المنضدة وقرق الورق أحدهما دخل
خادى طومسون وأخبر كارترت أنه مطلوب فى
التليفون فخرج هذا ولا يزال نصيبه من ورق اللعب
فى يديه يرتبه أثناء سيره إلى قاعة التليفون وبقينا
ننتظره مدة طويلة دون أن يمرد، وأخيراً أتت لأرى
ماذا يفعل فوجئت الغرفة خالية وأوراق اللعب ملقاة

خرج جاسبر سلين مع رفاقه من المقصف
إلى قاعة اللعب بمتدى لاقتدر عندما جاء الخادم قائلاً :

— التليفون يناديك يا سير جاسبر

فازم سلين الصمت برهة وهو يفكر فىمن
سيحدثه فى مثل هذه الساعة من الليل ثم قال :

— هل تعلم من هو ؟

— لم يذكر لى اسمه يا سيدى ولكنى أظنه
صوت اللورد مينشنجهام وهو يطلبك لأمر هام
فنظر سلين إلى رفاقه قائلاً :

— احجزوا لى مكاناً على المنضدة فسوف أعود
بعد أن أعلم لم يطلبنى مينشنجهام فى مثل هذه
الساعة من الليل

ودخل غرفة التليفون ووضع الساعة لصق
أذنه وقال :

— أهذا أنت يا مينشنجهام ؟

فأجابه الصوت فى لهجة مختصرة :

— نعم أيها الدجال ... ماذا تفعل عندك ؟

— كنت على وشك أن ألعب البريدج

— هذا ما كنت أفضل أنا أيضاً لولا مكالمة

الأقذار . هل تستطيع الحضور حالاً إلى بيتى فى
كننجهام مانشون

— حالاً ؟ أم بعد انتهاء اللعب ؟

— هل اهتديت إلى شيء ؟
 — إن التليفون مطل وسأهبط الآن لأوجه
 بعض الأسئلة إلى البواب قبل أن زور الأميرة
 الروسية
 وبسؤاله أجاب بأنه واثق من عدم دخول أحد
 أوخروجه من المارة وكذا أكد خادماً المصعد، وطلب
 سلين من البواب أن يرافقه إلى الطابق الأول حيث
 غصوا جميع الأبواب فإذا هي محكمة الإبرصاد وعندما
 سأل البواب عن أصحاب هذه المكاتب قال :
 — إنهم جميعاً محترمون فسترها بل المحامي خرج
 مبكراً الليلة ولم يلبث وكيله أن تبعه وأما كاتبه والخادم
 فقد خرجوا في الساعة السادسة، ومستر سمسون
 متمهد الأفلام الأمريكية يستأجر المكتب لمدة ثلاثة
 أعوام وقد خرج مع سكرتيرة السحابة السابعة
 والشخص الثالث هو مستر ميشايل تاجر الفراء
 والتحف وهو رجل لا غبار عليه
 — وما ذا تقول عن سكان الطابق الثاني ؟
 — إنها الأميرة الروسية ماذوبيل وهي أرملة
 كريمة نادراً ما تخرج ولكنها كثيراً ما تزار من بعض
 الشخصيات البارزة ...
 — وهل عندها خدم كثيرون ؟
 — سكرتيرة صغيرة ووصيفة وخمسة آخرون
 من الرجال
 وبعد أن نفحه سلين بورقة مالية ليفك عقدة
 لسانه سأله :
 — لقد رأيت في غرفتك آلة تليفونية لتصلك
 بجميع سكان المارة فما السبب الذي من أجله قطع
 السلك الموصل إلى تليفون اللورد مينشنجهام ؟

على المنضدة بجوار آلة التليفون وباب المسكن مفتوحاً
 على مصراعيه فاستدعت الخادم ورحنا نبحت في
 أرجاء البيت دون جدوى
 وأخيراً هبطت الدرج إلى البواب فوجدته في
 حجرته المظلمة على الباب، وبسؤاله أجاب أنه واثق من
 عدم خروج أى شخص في نصف الساعة الأخير
 وبذلك اخفى كارترت ولكفى لا أغنه اخفى بعيداً
 بل هو في نفس المارة، ولكن أن ؟ هذا
 ما استدعيتك من أجله والطابق الأرضي كله حوانيت
 مطلة أبوابها على الطريق العام والطابق الأول عبارة
 عن مكاتب لبعض رجال الأعمال وتنفق أبوابها في
 تمام الساعة السابعة من كل يوم والطابق الثاني
 الذي يقع أسفل مسكني مباشرة تسكنه الأميرة
 الروسية ماذوبيل
 — وهل كان يعرفها كارترت ؟
 — كلا ...
 — إذن دعنا نبحت في مسكنك أولاً ...
 وتقدمهم سلين إلى قاعة التليفون فوجد ورق
 اللعب مرتباً حسب لونه ولكنه عند ما عده دهش
 إذ وجده اثنتي عشرة ورقة بدلاً من ثلاث عشرة فأخذ
 سلين يبحث عن الورقة الناقصة في جميع أرجاء البيت
 ولكنه باء بالفشل فحاول أن يتصل بالسترال بالتليفون
 ولكنه وجده مطلقاً فسأل طومسون :
 — هل تحدث مستر كارترت من هذه الآلة ؟
 — نعم يا سيدي
 — وهل حدثني سيدك اللورد منها أيضاً ؟
 — كلا يا سيدي بل تحدث إليك من غرفة
 البواب عند ما هبط لسؤاله ...
 ودخل اللورد مع صديقيه فسأل سلين :

وغاب الخادم برهة ثم عاد يقول :

— تفضل يا سيدي .

ثم قاده إلى قاعة الجالوس ، حيث وجد الأميرة ممددة على إحدى الأرائك ، وهي ممتشحة بالسواد بينما جلست على يمينها فتاة ممسكة بكتاب كانت تقرأ فيه لسيديتها وبعد أن أبدى لها سليل أسفه على إزعاجها أشارت له بالجلوس .

فأطاعها وسرد لها قصة اختفاء صديقه كارترايت والأبحاث التي قام بها دون أن يجده أو يثر عليه ، ثم أردف :

— ولم يبق ياسيدي الأميرة سوى مسكنك فهو الذي لم نفتشه .

وامتعضت الأميرة وبدا على وجهها الأستغراب على شيء من الضيق ثم قالت :

— ثقي ياسير جاسبار أن أحدكم لم يدخل مسكني منذ الساعة الثامنة مساء ، وغير ذلك فأنا لا أستقبل سوى أصدقائي الأغزاء أما صاحبك فأنا لم أسمع باسمه قبل الآن .

— ولكن يا صاحبة السمو إن الظروف التي أحاطت باختفائه غريبة وليس من المعقول أن إنساناً مكوناً من لحم ودم وعظام يتبخر ويصمد إلى السواء وقد بحثنا عنه في كل شبر من المارة فلم نثر له على أثر ولا أطمع في شيء سوى أن تسمحي لنا بالبحث هنا حتى يهدأ بالي وأطمعن أصدقائي الذين ينتظرونني في الطابق الأعلى ...

فصاحت الأميرة برهة ثم قالت :

— كما تشاء يا سير جاسبار . اقرعي الجرس يا آنا ليرافق جرابلنج السير جاسبار .

فشكر سليل الأميرة وتبع الخادم الذي أخذ

— يا إلهي . . لقد كان سليماً عند ما رأيته

لآخر مرة

— أفهم ذلك فقد حدثني اللورد في الساعة التاسعة من تليفونه فلا بد إذن من وجود أحد إما خرج أو دخل إلى المارة بعد الساعة التاسعة

— كلا يا سيدي ما عدا سكرتيرة الأميرة التي تخرج في مثل هذا الوقت من كل يوم لتزده السكيتين الصغيرتين ، وكذلك أحد خدم الأميرة فقد خرج ليدخن سيجارة أمام الباب وليتظار عودة الفتاة ، أما فيما عداها فلم يدخل أو يخرج أحد من الساعة السابعة . وفي رأيي أن مستر كارترايت ألقى بنفسه من نافذة أو هبط إلى مسكن الأميرة .

— سنرى ذلك فأرجو لا تنادر غرفتك

حتى آذن لك .

ثم صعد سليل إلى رفاته وقال : إنه لم يبق إذن سوى البحث في مسكن الأميرة فقاطعه اللورد :

— من الصعب أن تفعل ذلك يا سليل إذ كيف تطرق باب سيدة في مثل هذا الظرف والساعة الحادية عشرة مساء .

وأحسن سليل وهو مهبط إلى مسكن الأميرة أنه يقترب من حل هذه المشكلة الدقيقة وعند ما ضغط بأصبعه على زر الجرس انفرج الباب عن خادم وقور فسأله :

— هل سمو الأميرة موجودة ؟

— نعم يا سيدي ، ولكنها لا تستقبل أحداً

في مثل هذه الساعة من الليل .

— إن الأمر أهم مما تظن فأرجو أن تقدم إليها

بطاقتي هذه :

— قبل أن تقدم على أى مناصرة لتأكد من أن هذه الورقة هى الناقصة فهل مع أحد منكم العشرة الدينارى ؟

— كلا !

— حسن . إذن فقد كانت هذه الورقة ضمن أوراق كارترايت وما احتفظ بها إلا سهواً أو ليعيث بها فى طريقه . . . وقد وجدتها مطوية بمجلة طليات على منضدة الأميرة

فقال اللورد مينشجهم :

— ولماذا دخل هذا الأحمق عند الأميرة وغاب لديها إلى هذا الوقت ... هل وجدته ؟

— كلا .. لم أترك شبراً فى مسكنها إلا وبحيث فيه كما أكدت الأميرة أن أحداً لم يدخل عندها هذه الليلة ، فأين إذن اختفى وشهادة البواب تثبت أنه لم يخرج من الباب

فقال جورج بيت :

— لعله قفز من النافذة ...

— إننا فى الطابق الثالث والشارع مرصوف - ولو فعل لدقت عنقه ... وعلى كل حال لنجرب هذه الفكرة . وهبط الأربعة إلى الطريق العام بعد أن طلب سلين من خادم المصعد أن لا يسمح لأحد مهما كان بالدخول أو الخروج من البارة

ورافق سلين البواب فطافا حول البيت يبحثان - عن أى أثر يؤيد شكوكهما دون أن يوفقا وكان الضوء ينبعث من نوافذ مسكن الأميرة فسأل البواب :

— نوافذ من تلك التى تحت نوافذ الأميرة ؟

— إنها نوافذ مستر ميشايل تاجر الفراء والماديات ... وهو رجل ضخم الجثة مرسل اللحية برأس عدة موظفين ...

يطوف به غرف السكن ابتداء من خدع الأميرة ، وغرفة الزينة دون أن يقف على أثر يدل على زيارة كارترايت هذا السكان ، وأخيراً قال جرابلنج :

— لم يبق يا سيدى مكان لم تره .

فنفخه سلين بورقة مالية ثم عاد به إلى قاعة جلوس الأميرة التى ابتدرته قائلة :

— لأعتقد أنك وجدت صديقك ياسير جاسبار غريباً تحت فراشي أو فى خزانة ثيابي !

وتفزع وجه سلين بحمرة الحجل ، ثم كرر شكره للأميرة على سماحها له بالتفتيش فى مسكنها ثم قبل يدها وحيا السكرتيرة وتأهب للانصراف بينما قالت ربة البيت :

— أرجو ألا تكون هذه آخر مرة تروني فيها ياسير جاسبار .

— سأفعل دون شك يا صاحبة السمو .

وبينا هو فى طريقه إلى باب الخروج لمح شيئاً على منضدة صغيرة فتقدم منها وراح يظاها بأنه يشتم باقة الزهر الموضوعة عليها بينما تناول ذلك الشيء ، وأخفاه دون أن يراه أحد لأن جسمه كان حائلاً بين المنضدة وقاعة الجلوس التى فيها الأميرة والسكرتيرة وصعد سلين إلى رفاقه وقبل أن يسألوه عما فعل ابتدرهم قائلاً :

— ليمد كل منكم أوراق لبيه

فقبلت الدهشة ألسنتهم ولكنهم أطاعوه فإذا مع كل ثلاث عشرة ورقة بينما عد سلين الأوراق التى تركها كارترايت على المنضدة الجاورة للتليفون فإذا هى اثنتا عشرة ورقة ، وهنا أخرج من جيبه الشيء الذى وجدته على منضدة الأميرة فإذا هو الورقة الثالثة عشرة ، ثم قال :

ثم التفت إلى البواب قائلاً: احتفظ بهذه الفتاة
ربما أتحدث بالتليفون

وحاولت الفتاة أن تصيح لولا أن وضع الرجل
يده على فمها ، بينما طلب سليم سكوتلانديارد وطلب
حضور المفتش ستمبسون مع أربعة من رجاله ، فلم
تتض عشر دقائق حتى كانوا جميعاً في كنفهم
مانشون ، وسرد عليهم سليم قصة اختفاء كارتريت
وعندئذ قال المفتش :

— لقد أمانا اليوم تقرير عن المدعو ميشايل
تاجر الفراء

فالتفت سليم إلى البواب قائلاً : أعط حضرة
المفتش المفاتيح الاحتياطية ودع الآمنة تتركها
وما إن فعل حتى قال المفتش :

— إننا سنهاجم عصابة قوية فأرجو أن يتكرم
أصدقاؤك بالابتعاد

ولكن اللورد ورققاؤه أبوا إلا المكث ،
ففتح المفتش باب تاجر الفراء وأشعل الضوء الكبريائي
فوجدوا أنفسهم في ردهة مليئة بأنواع الفراء ،
وعندئذ سطع ضوء في إحدى الغرف المظلمة على الردهة
ثم انطفأ ، فطلب سليم من المفتش أن يرسل اثنين
من رجاله الأشداء لحراسة البهارة من الخارج فقبل
ثم تقدموا جميعاً إلى الغرفة التي انبث منها الضوء
ولكن بانها كان موصداً ففتحه بالفتاح الاحتياطي
ثم دلف إليها شاهراً مسدسه ، ولشد ما دهش عند
ما وجد أن المكان خال إلا من روني كارتريت وقد
شد وثاقه في مقعد ضخم وتدل من السقف
سلم من الجبال النظيفة وما كاد روني يرى أصدقاؤه
حتى صاح :

واتجه سليم إلى اللورد ساثلر عما إذا كان
يمتلك سلاحاً ومصباحاً كهربائياً ، فدهش أصدقاؤه
بينما أتى اللورد بما يريده سليم التي قال :

— في استطاعتكم أن تهبطوا معي لاختلاس
السمع خلف باب مكتب مستر ميشايل ، فإن لم نسمع
شيئاً فقد عجزنا عن الاهتداء إلى صديقنا كارتريت
وعند ما صاروا أمام الباب تقدم سليم وراح
يصيح بأذنه من ثقب الفتاح ، وبعد برهة أضأت
عيناه يريق غريب وأشار لرفاقه بالمضي إلى غرفة
البواب وأعطاه مسدساً وأمره بأن يحذر من
خروج أحد من البهارة بينما يتصل هو بقسم
البوليس ... وعند عودته سمع رنين جرس المصعد
فناد يسأل البواب :

— من ذا الذي يطلب المصعد ليخرج في هذه
الآونة من الليل ؟

— لا أدري يا سيدي

وبعد الخادم بالمصعد ثم ما لبث أن هبط وفي داخله
مدموذيل أنا سكرتيرة الأميرة وهي تحمل الكلب
الصغير على يدها ، فاعترضها سليم قائلاً :

— آسف يا سيدتي فليس الوقت مناسباً لذهاب
الكلب فضلاً عن أنك خرجت به قبل الآن
فالتفت الفتاة عليه نظرة احتقار وأجابت :

— إنني أخرج به جملة مرات كل ليلة ولولا
زيارتك المتأخرة لكنت ...

فقاطعها سليم :

— آسف يا سيدتي ، فليست زهرة الكلب

بالأمر الهام

مسكن الأميرة الروسية لمقابل مندوب وزارة الخارجية عندها ... وما كنت أقبل يد الأميرة حتى هم على الطاهي وكان ما تعرفونه

وعند ما سأل سلين وزير الخارجية عما تم في أمر هؤلاء الجواسيس أجابه :

— خشنا أن نناقهم فنشأ عن ذلك أزمة دولية فاكفينا بنفهم جميعاً وأرجو ألا يصل خبر هذه الحادثة إلى الصحف حتى لا ينقلب علينا الرأي العام وسأل كارترائت سلين : كيف أمكنه أن يعلم السكان الذي سجن فيه عند الأميرة ، فقال وهو يضحك :

— عرفته بشورى على ورقة اللعب الثالثة عشرة يا صديقي ! عزت السيد ابهامهم

— إن هذا السلم المثل وصل إلى مطبخ الأميرة وقد صعد الطاهي اللين مع ميشال منذ برهة ... هيا قبل أن يلوذوا مع عصبتهم بالفراق ... إنهم جواسيس ملاعين

وفي مساء اليوم التالي كان السير جاسبار مدعواً مع أصدقائه في الحفيل الذي أقامه وزير الخارجية اعترافاً بجميعه حيث قال :

— إن الحكومة يا مستر جاسبار عاجزة عن شكرك لشكرك من القبض على هذه العصابة بعد أن فشل رجال بوليسنا في تعقب أثرها ، ولم نكن نظن في يوم من الأيام أن الأميرة الروسية ماديزويل مندججة فيها ، بل كنا نعلم أنها فرت من روسيا بأموالها بعد أن ادعت أنها من مؤيدي الثورة ، ثم تغير اعتقادها فاعتنقت البلشفية طاعة أنها تنفيذ بلادها فأخذت توافي حكومة موسكو بتقاريرها السرية حتى حدثت هذه الحادثة الأخيرة التي تعرفنا من كارترائت

فقال سلين : ولكن كارترائت لم يذكر لي شيئاً عنها

— هناك باخرة تخمر حباب بحر للامش وعلى ظهرها مليون من الذهب الروسي وقد بذل معتقو البلشفية هنا جهدهم كي يحصلوا على ما اعترفته حكومتنا من أمر ضبطها ، وكان كارترائت هو الرجل الوحيد الذي يعرف ذلك فنصب البلشفيون هذا الفخ لاصطياده وانزع المعلومات منه .

وقال كارترائت يروي ما حدث له : عند ما طلبت إلى التليفون خاطبني شخص وقال لي كلمة للورود السرية الخاصة بوزارة الخارجية وهي « إنك مطلوب » حالاً « فأنهت أوامره التي كانت تقضى بالمحيط إلى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالوثنامة الثانية

٥٠٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فراراً من ذلك المار... لقد
حلت النكبة... فالأحرى بهم
أن يلبشوا في علمهم وألا
يذهبوا بعيداً، وأن يصمدوا
للأرزاء حتى تخف وتلين
قناتها...»

ولم تلبث نفس الصحيفة

أن طلعت على القراء بعد يومين بخطاب خارجي موجه
إلى حنا ومارغريت رئيسي الأسرة المنكوبة، وكان
هذا نصه:

عزيزتي مارغريت... عزيزي حنا

ما أشد الشبه بين موقفكم الآن بعد نكبتكم
وآخر وقفته أسرق لشر سنين خلت! وسأنقص
عليكم حادثنا مفصلاً على قدر إمكانية أمل أن يجردوا
فيه عزاء لمصائبكم وسلواناً:

كان عدد أفراد أسرتنا مطابقاً تمام الانطباق
لأفراد أسرتم: أب وأم وثلاث بنات كبار وابن
صغير، وقد كان الأخ على أي حال أصغرنا سناً
وأنا إليه في الكبر.

عشنا في بلدة لا تقاس بمدنيتكم، فقد كانت
صغيرة الحجم ولا يربو عدد سكانها على ستة آلاف
شخص، وفي مثل هذه البلدة يندر ألا يكون
شخص ملماً بأسماء باقي الأشخاص وأحوالهم،
وعلى ذلك كنا معروفين من السكان جميعاً...
وهذا وحده كاف لجعل فضيحتنا أشد من أن تتحمل

نصائحنا!...

مترجمة عن مجلة "تروستوري"
بقلم السيد ناصح عزيز

طلعت إحدى الصحف الصادرة في (أمريكا)
ذات يوم على القراء وفي إحدى زواياها نبأ مؤلم تحت
عنوان: «خطب عالي» وهذا نصه:

هناك أسرة تتألف من الأب (حنا)
وزوجته (مارغريت) وأطفالها الأربعة. وقد كانت
إلى عهد قريب أسرة سعيدة هائلة؛ ولكن الدهر
يأبى أن يبق على سعادة أو يديم سروراً

فقد هربت ابنة حنا الكبرى بصحبة رجل
متزوج لكي تعيش معه. وكل ما كان وقع هذه
المصيبة على هذه الأسرة أليماً!! لقد أصبح أعضاؤها
نهب الأسمى والنم، وشعروا بالتحجج بتمرهم وانخزي
يحيط بهم فسحبوا أنفسهم من المجتمعات وأصبحوا
عن أصدقائهم بمنزل

ثم أوعزت (مارغريت) إلى (حنا) أن يبيع
حائوته بنية الرحيل إلى مدينة ثانية حيث لا صلة
لأحد بهم ولا علم له بشارم

ولكن حنا... كان من رأيها أنه ليس لمجرد فضيحة
فرد من أفراد الأسرة يهيم الباقون على وجوههم

من المعلوم أن الخطب يشتد وقمة على المرء كلما عظم شأنه ، وتعالى قدره ! فن البديهي أن يعظم في نظرنا ما نزل بنا ، ونحن أسرة ألفت المجتمعات ، وربطها التقاليد الدينية السائدة ، فكان أفرادها في الكنيسة أعضاء عاملين !

أنهت تحصيلي العالي في الكلية وأنا مشرفة على الحادية والعشرين ... وسرعان ما شملت وظيفة تدريسية شاعرة في مدرسة محلية ...

أما أختي سوزان فلم تدرس سوى سنتين فقط في البدء ... لم تكن نفلن أننا سنقع في فضيحة ... أما الآن وقد حلت الكارثة وأسابنا

القدر بسهمه الصائب فقد حجبنا أنفسنا عن جميع الناس ... حتى عن أصدقائنا القدماء ! ولا تسألني عمادى أختي وأختي السفرى أثناء تنقلهما في المدارس الجديدة لتلقى العلم ، من ألم وكبد ...

وقد دار بخلدنا أخيراً أن مواجهة الصدمة في محلنا ليس في قدرتنا ، فاعتزلنا الرحيل ... وكان علينا قبل تنفيذ فكرتنا أن نعمل أشياء كثيرة بسرعة متناهية ... لذلك ألحطنا على الوالد أن يترك شغله دون أن يتقاضى لقاء خدماته الطويلة شيئاً ! غير أنه كان قد ادخر من شغله قليلاً من المال كان خير عون لنا بعد أن تنسركلنا الدهر ، فصممنا على تشييد دار جديدة لنا ... بعيداً جداً ... حيث لا يعرفنا أحد

ولم يواننا الحظ في بيع دارنا (وهل لي أن أقول إننا ذوو حظ ؟) ، فإنا لم نجد لها شارباً فتركناها خاوية ! ...

تركنا دارنا بعد أن أدبر عنا الحظ ، فاصدين بلداً

لمعشر سنوات مضت ... بدأت أختي الكبرى المشرفة على الثالثة والعشرين تنامي رجلاً متزوجاً ولم يعش طويلاً وقت حتى عرف الجميع ذلك ولم نكن لنندرك ما سيعقب ذلك حتى نزلت المصيبة !

فقد أعلنت جهراً أنها عازمة على الذهاب بصحبة الرجل المتزوج للمعيشة معه ... وتركت البيت فملاً أثر تصريحها ومحبتها حيث أخذنا في التنقل من محل لآخر كما كانت تستدعيه لذلك أعماله ... ولكنهما كثيراً ما قصدا بلدنا في عطلة آخر الأسبوع أو في العطل الأخرى ...

وما كان يطرق سمع زوجة الرجل علاقته بأختي حتى طلبت الطلاق على الفور ... وقد أجيب مطلبها في الوقت المناسب وعلى أثر ذلك اقترن الرجل بأختي (سوزان) وعاشا في بيته رغم قضاياهما جلّ الأوقات في السفر والتنقل

وهكذا ... ضربت أختي سوزان رقماً قياسياً في الوقاحة إذ ذهبت تنهّل السعادة من أحضان زوجها وخلفتنا نحرق الأرم وتنذب حولنا المآثر ... وزوجو بآزوائنا اندمال قلبنا المكوم !

كان أبي يشتغل في معمل إعداد اللوازم الحديدية ، وكان يظهر عليه أنه قادر على تجميل بيته وتجهيزه وإدخال ضروب اللو والترف إلى أسرته ...

وقد أنهى بصحبة أمي الشطر الأكبر من عمره في المدن ... فأصبحت بذلك ذوى صلة بكثير من الأصدقاء

ولم نعد ترى ابتسامته القديمة المشرقة : تلك الابتسامة التي طالما علت شفثتي فأسكرتنا بهجة ورضى

وأخيراً ... حدث الأمر الذي لا مفر منه !
 مهما أردت التخلص من شيء بهروبك منه وجدت ذلك الشيء مندفعاً نحوك اندفاع السهم ، لا يعوقه عن مواجهتك عائق خصوصاً إذا كان في الأمر فضيحة

فقد قذفت الأقدار إلى قريتنا شاباً جاء من مدينتنا القديمة لقضاء عطلة عيد الفصح فيها، ويشاء حظنا المائر أن يلح أخى (بوب) في الطريق وأن يعرفه على الفور ! ولم يأل جهداً في استقصاء أخبارنا فلم أنى أشغل وظيفة تدريسية، وهنا تأتي بقية القصة رجعت إلى وظيفتي بعد انقضاء العيد، ولكنى لم أكُد أخطو فيها حتى لمست في الجو تكهرباً .
 قلنا خطأ شعور الإنسان إذ ما لبثت أن كشفت سر ذلك التكهرب، فقد أخطرتني المدرسة باستفانتها عن خدماتي منذ الآن !

يا لله ! ألاحظ النقص البائس أينما حل ! ماذا ترائي فاعلة بعد هذا اللصاب ؟ ولم يبق لدى شك في أن حالة والدتي الصحية ستتردد رداءة وخطورة عما كانت عليه في السنة الماضية . وظهر لدينا جلياً أن سحابة اليأس والقنوط مشوكة أن تظلنا جميعاً ولم يكن في وسعنا بعد الآن غير السفر ثانية إلى بلدة أخرى نلتهمس فيها بالاستقرار والصحة . فصارنا فضاءً وحيداً والذي الأقدار على أنها لم تربطه الآن بمعمل آخر ليضحي ثانية به .

ألقت السفينة مراسها في مدينة تناثرت المباني في أرجائها، وتمالت سحب الدخان من أفواه الدخان

بعيداً نأمن به شر المار ... وأخيراً أشرطنا على قرية من ... الصغيرة النائية فمشتا فيها ، وكانت هذه القرية واقعة في الشمال ، وقد تيسر لي الحصول على وظيفة تدريسية فيها .

دعنا سبتمبر ونحن في مقرنا الجديد ، وقد عثر والذي على شغل ولو أنه لم يكن راغباً فيه ...

وكان من المنتظر أن نكون فرحين بعد عثورنا على مورد معيشتنا ، ولكن في الحقيقة لم تكن كذلك ! فقد غدت والدتي مريضة قانطة ، ولم تكن تقدر أنها ستشعر بكل هذه الآلام حتى كانت تمثنتا على الرخيل ، وقد كان عجيباً حقاً أن تشمر بأى ألم بعد انتقالنا إلى عشنا الجديد تاركين مهد الفضيحة وراءنا بعيداً ، ولكن لعل ذلك راجع إلى انقطاعها عن الأصدقاء القدماء ... الأصدقاء الذين تربطنا بهم رابطة الصداقة المتينة التي يرجع عدها إلى زمن الطفولة ، وقد أحس والذي أيضاً بهذه الخسارة رغم أننا لم نعدم أصدقاء عديدين في محلنا الجديد ، ولكن ما أشد تباين الصداقتين !

والآن ، لأبسط لكم حالنا .. لقد زمني المرض والقلق ، وكان هذا حال أخى الصغرى ، وأخى بوب المشرف على الخامسة عشرة !

وسوف لا أطيل الكلام حول تلك السنة التي قضيناها في قرية من ... وإنما يكفي أن أقول إن والدتي ضمعضها المرض طوال الشتاء ، ولزمتني الكتابة مع أخى وأخى

أما والذي فبالرغم من تركه العمل لم يكن يشكو شيئاً ، ولكن ظهر عليه أنه يتقدم في العمر بسرعة

تحرك الحب الأسمى وهو أقوى صلة وأعظم
رابطة على سطح الأرض !

من الجائر أن والدتي قد ظنت في وقت من
الأوقات — بسبب الفضيحة — أنها قطعت تلك
الرابطة وأسقطت ابنها من حسابها ، ولكن ...
ولكن صرخة الطفل وقت الكرب يجب أن تلي !
وهكذا كانت ... فقد قرر والدي ووالدتي
الذهاب لرؤية سوزان ، ولم يمكن تركهما يذهبان
دون أن أرافقهما ... فقد كانت محبة والدي
متضمنة وخشيت أن تصبح السفرة ولقاء الجرعة
وبالآ عليها ، لذلك صحتهما

لا أنسى قط نظرة الارتباب المشوبة بالفرح
التي ظهرت على وجه سوزان المذبة عند ما فتحت
عينها فأبصرت والديها واقفة بجانب سريرها !

كانت لحظة عذبة خالدة ... أنت على جميع
ما حمل قلب والدي من الأحقاد التي ولدتها السنتان
الحاليتان ! لقد أجهشت في البكاء ، وأخذت دموعي
تنهل على خدي ... وفي نفس الوقت تملكنتي
الدخشة وعبراني الدهول لما أبصرت من قدرة والدي
على التجلد وحبس الدموع في ذلك الموقف المائل !
والدي التي كانت آثار المرض : مرض الجسم
والنفس ، ظاهرة على قسما وجهها بجلاء ووضوح !
مضت بضمة أيام كانت حياة أختي سوزان
خلالها معلقة في الزمان ، ولكن والدي لم تدع
للأس إلى نفسها سبيلا . وأخيرا ... أخذ الخطر
يزول تدريجيا حتى أيقنا أن سوزان لن تلبث طويلا
أن تنافي !

كثيفة قاتمة ... فزلنا في تلك المدينة مصممين
على السكنى فيها .

وبعد أيام أسعفى الحظ بالشور على وظيفة
تدريسية في (مدينة المصانع) ... وكان لرئيسي
القديم الفضل الأكبر في إيجادها لي .

أما أختي وأخي فقد شغلا وظيفتين في حانوتين
صغيرين ، فقد كان من المسير جدا العثور
على وظائف حسنة في ذلك الوقت . وكانت الحاجة
أيضا هي التي دفعتهما لهذا الشغل التافه الأجرة .
وقد كان الشتاء التالي من أشد أيام حياتنا
إذ لم يكن يتنا مريحا كالبيوت التي أكثرتناها
سابقا ... ولم يشأ والدي أن يتورط في شغل آخر
بعد الآن !

انصرم الشتاء وأقبل الربيع بإشراقه ، وعبر
أزهاره ، وسحر جماله ، حاملا تحت طياته نبا خطيرا
فقد وافقنا الأبناء بحلول كارثة مروعة شنت
شمل أختي سوزان وبعلها ... ومفاد تلك الأخبار
أن السيارة التي كانا يسوقانها انقلبت فقتل الزوج
شر قتلة ، وأصبحت سوزان بمجرع خطيرة نقلت
على أثرها إلى المستشفى وهي بين الحياة والموت !
هل تحسبان أننا فكرنا يوما في الذهاب إليها !
نحن كثيرا ما دعونا وابتلنا لو أنها ماتت ،
إذا كان ذلك أولى من أن تجلب لأمرتنا تلك
الفضيحة !

أما الآن ... وهي بين برائن الموت ... فهل
في الإمكان تكرارها ؟

كنا أثناء زيارتنا سوزان قد استأجرنا غرفة في إحدى المنازل، قصدنا أصدقاء كثيرين ليمروا عن مرورهم بشقاء سوزان لماذلا ترجمون للميشة في منزلكم؟ لماذا بالله؟ كان هذا السؤال يتردد على ألسنة جميع أصدقائنا وقد أسمعونا إياه أكثر من مرة. حقا... لقد خطرت لنا نفس الفكرة حينما تم أخذت في النمو... لماذا لا نرجع إلى منزلنا الذي لا زلنا نملكه...؟ لماذا لا نهرب إليه في التو والاحظة بعد كل ما حدث! ولم يلبث الخاطر أن بث إلى العمل وتحقق. فقد رجعنا إلى منزلنا في البلدة، وقلقت راجمة لأتسهي أجل تعليمي في (مدينة المصانع) ... وبعد ذلك قصدت دارنا في بولية حيث كانت في انتظارى وظيفة تدريسية... نفس الوظيفة التي أسندت إلى قبل فرارنا بسنتين؟

وأخيرا تزوجت منذ خمس سنوات وسبقني أختي الصغرى في زواجها بسنة واحدة، وعشنا سيدتين بالقرب من والدينا. وبفضل إتمام الحظ وزوال التجهيم أصبح والدي قادرا على الساعمة في الشركة التي كان بها عاملا من قبل. ولم تلبث الشركة أن أصبحت تحت إدارته الحازمة حيث لاقت نجاحا باهرا فالتصمت أعمالها وعظمت شهرتها!

أما والدي فقد استرجعت سرورها وبشرها، ولم يمد يلقها المرض ثانية، ولم يزل أخي بوب في عمله مثال النشاط والإقدام!

فلأجل ذلك... أحب أن أمس في أذنك يا عزيزي حنا ألا تضحي بمملك وبمجهوداتك التي بذلتها في أحسن سنى حياتك متشبها بالأمم الواسي، الأمل في إيجاد سلوة عن الخطب بذهابك إلى محل بناء عن بلدك؛ فقد علمتنا التجارب القاسية أننا لا نقدر على الإفلات من المه أو الحزب من المتاعب، ووجدنا أن الأجدر بنا مواجهتها في المحل الذي وقت فيه، إذ يظهر أن تلك المصيبة تلاحق الشخص إلى أقاصي الممودة!

وفي نفس الوقت... أحرص على توطيد علاقاتك

لشد ما يتبدل الأحوال! فقد وجدنا بعد رجوعنا إلى منزلنا القديم في بلدنا أن المار القديم قد طمست معالمه وتطرق إليه النسيان فقد كانت السنتان اللتان احتجبتا فيهما كفيلتين بتخفيف وطء المار القديم، وتقليل تأثيره. أما نحن فنادر ما كنا نفكر فيه

دخلت سوزان على أترشائها المستشفى للتدرب على التمريض، وقد رعت في عملها فأرسلت إلى مدينة نائية لتقوم بمملها كمرضة؛ ولا زالت إلى الآن تمارس مهنتها بجد ونشاط. ولم يكن يؤرقها ويشغل فكرها سوى شيء واحد: ذلك هو عارها القديم! أه لو أمكن اندثاره ونسيانه، إذا لماشت

سعيدة هائلة!

مع الأصدقاء ، فأنهم عند الشدة درع حصين ،
وخير معوان على درء الكوارث أو إضعافها !
إيه مارغربت المرزبة ... لقد أطلتكم على
قصتنا ولا شك أنك قد ظفرت بحقيقة لا شك فيها ،
ذلك أن الزمن كفيل بإزالة القسم الأكبر من الشقاء
والبؤس ... وعما قريب سيوانتكم الحظ قسمدون !
أنا لا أنكر أن ملاقاتكم ما زل بكم في مدينتكم
يفتقر إلى شجاعة في البدء ... ولكن ذلك خير
لكم من الفرار إلى بلد آخر مادامت المصائب
تلاحق الإنسان أينما ذهب أو حل !
وفي النهاية ... أختم كلمتي هذه بيشمة أبيات
اقتطفها من قصيدة صغيرة طالما وجدت الراحة

في ترديدها أثناء ما حل بنا وهي :
عند بلوغك أخطر نقطة في حياتك ،
يجب عليك مواصلة سيميك برغم كل الصعوبات
إذ لا سبيل لرجوعك إلى الوراء أو إلى أي
جهة أخرى .
وليس لك سوى السير حثيثاً إلى الأمام ،
فإن الياجير لن تلبث أن تبسده ، والصاعقة
العاتية عن قريب ستزول .
والله على إراحتك خير معوان ونصير !
المختصة : م . ب . س
« البصرة »
ناصر عزيز منصور
مدرس بمدرسة المشار الابتدائية

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومتنوعة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

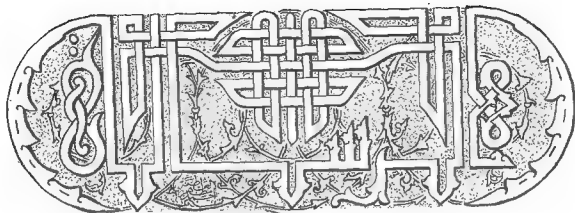
كتاب النقد التحليلي للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالم النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناه المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يفتي القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه تلخصه تلخيصاً
واظفاً .

يبلغ في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

وتعنه ١٢ قرشاً خلاف أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة



مَجْلَدُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هَدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدِيدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيُو فِي النُّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِ هَادِيَوَانَ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك في الدفء ستون قرناً ، والمناجى ما يصادى جنبها مصرى ، وللبدا العربية بمضمم ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

أنودارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الهرولة

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — أول يولية سنة ١٩٣٩

العدد ٥٩

من لخصن القصص



فهرس العدد



صفحة			
٦١٨	حياة للفسر	أنصوصة مصرية
٦٢٣	وعيتها حياة ثانية	عن الانجليزية
٦٤٢	الأب	لكاتب الأثنائ ولهم شعبتون
٦٥٢	إضرأ الشيطان لأدم وحواء	من الأدب الفرنسى
٦٥٧	عابد الشمس	أنصوصة مصرية
٦٦٦	الطائر الأزرق	لكاتب الأسبائى روين داربو
٦٦٩	جندي قبل الاعدام	عن الانجليزية
			بلم الأستاذ فحيد محسوط
			بلم الأستاذ عبدالحمد حمى
			بلم الدكتور على حبيب
			بلم الأدب محمود الرمسنى
			بلم الأنسة جملة اللايلى
			بلم الأدب شمكرى محمد عياد
			بلم الأدب مصطفى صبرى

حَيَاةُ الْغَيْبِ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسَاطِينِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفُوفٍ

فَأَزَاحَ الجريدة عن وجهه
ونظروا إلى حديقة البيت المجاورة
نظرة التمع فيها الاتيهاج فرأى
وجهًا مشرقًا ينو إليه بعينين
سوداوين صافيتين يطالعهما
بالبراءة والحسن ، فأحس
إحساس الحارثان هب عليه نسيم

بارد ممطر بالياسمين ورد تحيتها قائلاً :

— أهلاً بالآنسة سمارا !

فانقسمت إليه ووقفت تلاعب كلبها الأبيض
الصغير . كانت في السادسة عشرة ، يتجاذب وجهها
الصباح وقدما المشوق براة الصبا وأنوثة الشباب
وأشار إلى كلبها وسألها :

— كيف هو اليوم ؟

— تم شفاؤه ... الحمد لله ...

فضحك قائلاً :

— لعل هواء الإسكندرية لم يوافق مزاجه ؟ !

— على العكس كان يبدو على الشاطئ والدنيا

لا تسمه من الفرح ...

فنظر إلى وجهها الذي كسا الشاطئ بياضه
حمرة كأنه غمسه في الشفق وقال بركة :

— لقد اكتسبت بشرة جديدة يا سمارا !

فاستضحكت ، وعدا الكلب في تلك اللحظة .

فولته ظهرها وعدت وراءه ...

ويدا عليه تنير ظاهرها ، ففاضت من عينيه نظرة
الجد والرزاة وخلفتها نظرة حنان وأحلام ، وطاب له
أن يختلس منها نظرات طويلة سعيدة ، فشاهدها ،
وهي تجلس إلى الكرسي ، وتنحنى لتلاعب كلبها
الصغير ، وجعلت أناملها تنخل شعره الأبيض

ساعة الأصيل هي الساعة المختارة التي يهبط
فيها عبد الرحمن أفندي إلى حديقة البيت الصغيرة
وهي عادة التي يلازمها أو التي تلازمه أغلب شهور
السنة ، لأنه من القلة النادرة التي لا ترتاح إلى ترك
البيت إلا لعل أو ضرورة . وقد زل إلى الحديقة
ذلك اليوم من أيام سبتمبر المتدلة ، وأتى عليها
النظرة الممهودة ، وتمشى بين طرقاتها اللتوية يسرح
بصره بين شجيرات الورد وأمسى الزهور ، ثم
جلس على أريكة على كتب من السور اللقمان من
الأسلاك الشائكة الذي يفصل بين حديقة بيته
وحديقة البيت المجاور ، وبسط جريدة من جرائد
المساء كانت مطوية تحت إبطه ومضى يطالع ...

وكان في مشيته كما كان في جلسته آية للرزاة ؛
فمن كان يراه لا يشك لحظة في أنه يلازم رب بيت
وعاقل أسرة ؛ فخره وإيمانه تفرق دائماً بالهدوء
والإتزان ، ونظرة عينيه تلوح فيها الرزاة والرجولة
والمسؤولية ، ورأسه الكبير وشاربه النزير يدلان على
أنه ابن أربعين وإن كان في الحقيقة لم يماز
الخامسة والثلاثين إلا بشهور قليلة . وكان مستغرقاً
في مطالعته حين استيقظ فجأة على صوت رقيق يهتف
به قائلاً :

— سميدة يا عمي ...

من الجفص الثاني التي رمتها بها الأقدار في عزلة القاسية ... قسرب الحب إلى قلبه خفية ، في أناة وهدهد ، وبلا قصد وأحزن قسرب الكرى إلى أجفان حالم مستسلم إلى هبات التسمم اللطيفة في جلسة طويلة هادئة على شاطئ النيل ...

وكان في أول عهدها بها يتمتع بطفولها السعيدة ومجد فيها منفذاً لحنان صدره المكتوم ، فلما أن انقلب عاشقاً أنشبت فيه الحيرة أطاقرها وحرم التناعة السعيدة وصار يبذل كل شيء حتى عطفها وحدها ، لأنها كانت تقبل عليه ببراءة ولم تشمر حياله شعور امرأة بأزاء رجل ، وقد حادجها صرات بنظرات نفذ منها لبيب الهوى قهراً فلم تستجب له ولم تحس به وأصرت على أنه «عها العزيز» لا أقل ولا أكثر . ما عسى أن يكون ردّها لو طلب يدها ؟ ... كيف يكون شعورها ؟ ... وكيف تكون دهشتها ؟ ... وماذا تقول لأبيها ؟ ... وماذا تقول لنفسها ؟ ... وهل يمكن أن يراها بعد ذلك كما يراها الآن في حديثها وأن يتمتع برؤيتها مقبلة مدبرة مجددة مداعبة أم ينقطع عهدها إلى الأبد ؟

وهب أنه وجد من نفسه الشجاعة الكافية لأن يفتح أباه — صديقه العزيز — في هذا الشأن الخطير فما عسى أن يقول له ؟ ... ياله من قول عسير ... وفكر طويل ، ثم أغض عينيه وحدث نفسه وكأنه يحدث صديقه : «صديقي العزيز لقد جئت أحدثك في أمر خطير لم تكن تتوقع أن أحدثك فيه أبداً ، وربما لم أكن أتوقع ذلك أنا أيضاً ، ولست واثقاً من موافقتك ولا من أهليتي للطلب الذي أقدم به ولكني لم أرد أن أصيب فرصة ذهبية لجرد توهي الإخفاق ... سيدي ... وصديقي ... »

ولم يتم حديثه لأن صوتاً عذبا أيقظه من حلمه قائلاً :

— أألم أنت ؟

فأقبله خافق القلب وقد تولاها ما يشبه الرعب ، وقال :

الطويل ، ومضى السكب يلمق يدها مسروراً ويشب على ركبتيها وذنبه يرقص طرباً ، وفي أثناء ذلك تدلت خصلات شعرها الحريري وحامت حول عنقها وخديها ، وكان في مشاهدته سعيداً متبهجاً ، ولكن انقبض صدره فجأة ، فلوى رأسه ونظر إلى الأمام بعينين لا تريان شيئاً ، لأنه تذكر أن سلوكها نحوه لم يتغير منذ كانت تدرج في الطفولة والصبا ، وأنها ما تزال تناديه بقولها « عسى » كما كانت تفعل وهي صغيرة تلعب بالمراس ، وكان فيما مضى يفرح بهذا النداء ويمدح آية على ما له في نفسها ونفس أبيها من المودة والصداقة ، أما الآن فهو يضيق به ويتأذى منه ولا يكاد يسمعه حتى ينقبض صدره وتتولى عنه البسرة وأتمجه بصره إليها مرة أخرى وتساءل — ولم يكن يفعل ذلك للمرة الأولى — أمن للمستحيل أن تصير سمارة زوجي يوماً من الأيام ؟

وهن رأسه في إنكار واستغراب كأن الفرض من المستحيلات حقاً ، ولكنه لم يسلم بلا جدال فتساءل مرة أخرى : ما وجه الاستعجال ؟ ... المرء ... فهو ابن ستة وثلاثين وهي بنت ستة عشر ، فمشرون عاماً تفصل بينهما وهو عمر طويل يبرر «عمومته» لها فكيف يتأتى لهم أن يصير زوجاً وحييناً ؟! حقاً إن الكثيرين لا يعترفون بمقبة العمر ، ولا ينزلون عند حكمها ويذلونها بغير مبالاة ، ولكن لكل نصيحة من هذا القبيل ثمن ، فما عسى أن يكون الثمن الذي يبدله لثل هذه النصيحة الغالية ؟ ... هو في الواقع ليس إلا موظفاً منسياً في وزارة الداخلية لا يتجاوز مرتبه خمسة عشر جنياً فلا مكانة له يستند بها ، ولا مال له يسد له على نقائصه سترأ من الزوا والجلال ؟ ومع ذلك فهو يحبها ، ويبدو له أنه لم يكن من جهاد به ، وكيف كانت تتاح له النجاة منه وقد كانت تنمو تحت بصره يوماً بعد يوم ستة عشر عاماً ؟ ... وكانت إلى ذلك الإنسانية الوحيدة

جلس الشاب إلى جانبه وقال :

— كان قصر البني أمس حافلاً بالحوادث الزمجة
ومضيت أغلب الليل أستقبل صرعى القضاء والقدر
وكان عبد الرحمن يرمق شقيقه وهو يتكلم
بمبتين سامعتين وعقله دائم على التفكير ... كان
ذا قلب كبير يفيض حناؤه ، فهو يحب شقيقه وقد
أمدّه هذا الحب الأخوي بالمون والصبر فرباه ورعاه
كما ربى أخوين له من قبل ، ولكن يداخله أحياناً
من ناحيته خوف وجفول وربما أكثر من ذلك ...
نعم هي الحقيقة فهو يكرهه أحياناً وهو أشد ما يكون
كراميه له إذا جرى ذكر سمارة على لسانه ، فحرد
نطقه لذلك الاسم الحبيب يؤذيه ويمدبه وتستحيل
هذه الكرامة المؤتة مقتاً إذا وقت عينا الفنى
عليها أو عيناها عليه كما حدث منذ حين قليل ...
على أن هذا لا يبنى أن هذه الكرامة عاطفة نابتة
فهي مجرد انفعال عنيف ، وغير ذلك فهو يحبه ، وينظر
إلى مستقبله كشيء جميل من صنع قلبه وكده ، فأى
حيرة وأى عذاب ... أترى هل يظن الشاب إلى
ما يحدثه في نفس شقيقه الأكبر من الشقاء ... ؟
كلا ... هو بلا شك لا يتصور أن مثله يمكن أن
يجب هذه الصبغة الجميلة !

وكان الدكتور الشاب يفكر في تلك اللحظة
من حياته السعيدة في أمور هامة فقال لأخيه :
— لدى أمور هامة أريد أن أفضي إليك بها
ولم يدعه قلبه التلق يرتجح إلى هذه الرغبة فقال :
— إخلع ملاسك أولاً وارح قليلاً ...
ولكن الشاب قال بإصرار :
— استمع لى أولاً يا أخى فإن حياتى في مفترق
الطرق ...

فسكت الرجل وأردف الشاب :

— سنتهى بعد أشهر مدة تمرى كليب
امتياز فى القصر وقد أخبرنى أستاذى الدكتور

— كلا ...

— مبذرة ... رأيتك منمض العينين ...

— كنت أفكر ...

— وفيه تفكر ؟

حلق في وجهها مبتين حائرتين وتساءل بماذا
يجيب ؟ ... أبقول لها فيك أنت ؟ ... ولكنها مجازفة
سابقة لأوانها ، فلأزم الصمت ، وأحس رغم ارتباكها
بلاذعة سخريه لا تضرباه أمام هذه الطفلة ، وكان يتم
النظر في عينيها السوداءين ، وصرت دقيقة على جموده ،
فشمس بسرائر تخدير لذيذ ولم يد يد رى إلا سواداً
جليلاً ، ثم لاحظ تنيراً فجائياً يطرأ عليها ، فرأى
وجنتها تتوردان وشفتيها تتقلبان ، وعينها تتحولان
إلى هدف وراءه ... وشاهدها تفر نفاذة إلى داخل
البيت ، ونظر خلفه دمهشاً فرأى أخاه أنور يقف مبتسماً
ويعد له يده للسلام . وأحس بكآبة لم يد ما سببها
وخفق قلبه خفقان الخوف والخيبة ، ولكنه سلم
عليه مبتسماً وقال له : أهلاً كيف حالك يا دكتور ؟
فضحك الشاب وقال بصراحة :

— كم أنت سعيد يا أخى !

وأدرك ما يعنى من أنباء بصره ولهجته ، وآله
ذلك غايه الألم ، ولكنه تجاهل الأمر وقال بانكار :

— سعيد ؟

— طبعاً ، من يحدث سمارة يبنى أن يكون سعيداً
فأبسم ابتسامة صفراء وقال لنفسه : إما أن هذا
الشاب خبيث ما كره ، وإما أنه غي لا يفقه لما يقول معنى .
ليس السعيد حقاً من يحبه سمارة ولكنه من تحجل
من محادثته ومن يتورد وجهها حين رؤيته فلا تملك
إلا أن تفر هاربة . . . هذا هو السعيد حقاً . . .
أفلا يفهم ذلك هذا الشاب أم أنه يتنابى ويمكر ؟
على أنه كان يحرص على ألا يبدو عليه شيء مما
فى نفسه ، فقال بغير تجرى الحديث :
— كيف كانت ليلتك بالأمس ؟

فمدني أن تذهب غداً إلى مقابلة والدها ولعل لا أصعب
هناك بما يجيب أملي

— حسن .. ولكن ما الداعي إلى هذه السرعة؟

— لا بد من السرعة فليس أمانى سوى شهرور
قلائل يبنى أن يم في أفتانها الاتفاق والاستعداد
للسفر إلى إنجلترا

ثم ضحك الشاب وقال وهو يهيم بالوقوف :

— ألا ترى أني سأمضي شهر السهل خارج
القطر كالوجهاء ؟

فأقسم الرجل ، وجياه الشاب وذهب إلى داخل
البيت ...

وتبعته عيناه حتى غيبه الباب ثم عادتا تنظران
إلى الدنيا المحيطة نظرة ذاهلة لا تمي التفاصيل ،
فأحس إحساساً غامضاً بالسمره التي أخذت تشوب
الكون والسكون السارى في مفاصله ، وضاق بمجسته
فقام يتمشى في الحديقة الصغيرة بأثسا عزوفاً غثتفاً
ودار دورتين ثم رجع إلى الأريكة وارتى عليها
بشيء من العنف كأنه يسلم إليها حظه التمس لاجسمه
التهوك ...

ووجد في تلك اللحظة رغبة خفية قاهرة
في الفرار إلى الماضي ...

فطار خياله في الزمان عشرين عاماً في غمضة
عين إلى تلك الفترة من العمر التي تبدو فيها الحياة
كقطعة من المعجن في يد الخيال يبت بها كما يشاء
ويصنع منها ما يعلى عليه هواه . بعيداً عن قساوة
الواقع . في ذلك الوقت البعيد كان هذا الرجل
المتلي رزانه وهماً وحزناً صلياً صرحاً مدلاً يفيض
قلبه بالأفراح والآمال وقد ميزته الطبيعة مذ رأى
النور ، فكان أول من خفق له قلب والديه بالأبوة
والأمومة من الأبناء . ثم كان من بعد ذلك غلاماً
مجتهداً تضىء حياته المدرسية استعدادات عالية
ومواهب فامية تبشر بالنبوغ والنفوق والمستقبل

براون بأن التنية متجهة إلى اختياري عضواً في بشة
كلية الطب ...

فأحس الرجل بارتياح غير منتظر وقال بفرح :
— مبارك . مبارك . أنت أهل لتلك بغير شك .
والظاهر أنه كان لدى الشاب ما يقوله غير ذلك
لأنه قال بارتياك وبصوت خافت :

ولكني ... أهني ... أريد أن أقول ... إنني
إذا سافرت فلن أسافر منفرداً ...
— لا أفهم شيئاً ...

في الواقع أنه يفهم كثيراً ، أو فهم على الأقل
ما جعل قلبه يرتد إلى الجفول ، وكان الشاب قد
تقلب على ارتياكه فقال :

— سأسافر زوجاً إن شاء الله
— يا لها من مفاجأة ! ... إنه لم يسبق لك
التحدث إلى أحد في هذا الموضوع ... أليس
كذلك ؟

— بلى ...
— هل نبت في رأسك على حين غرة ؟
— كلا ولكني أوتر الصمت حتى أخرجني
عنه السفر المنتظر !

وسكت الأخ لحظة يتألب عواطفه ثم قال :
— هل أفهم من ذلك أنك وقتت إلى الاختيار ؟
فأخى الشاب رأسه وأشار بذقنه إلى بيت
الجار وقال :

— سمحاً ...
وساد الصمت ، وقلق الشاب لسكون أخيه ،
فسأله بلهفة :

— ما رأيك يا أخى ؟ ... ألا تمجيك ؟
فقال الآخر بسرعة :

— نعم الاختيار ... نعم الاختيار ...
فأبهج الشاب وقال :
— أشكرك يا أخى ... وأرجو ألا تتوانى ،

وربما كان الزمن في ذلك شأن وأى شأن ، فأكاد أكرم يخرج ضابطاً في مدرسة البوليس حتى تزوج وترك المبه له وحده وتبعه بمد قليل أخوه الثانى المهندس فاضطر إلى البقاء أعزب حتى هذه السن ...

ثم ذكر كيف أنه كاد يختار أخيراً ما يكمل به حياته وكيف جاء الاختيار بعيداً عن التوفيق وكيف أنه الطغنة التجلاء من يد طلباً أثرها بالحلب والمطف ، وقد طمنه وهو يضحك ضحكة مشرقة بالأمل والسعادة كأنه ذاك الحكيم الذى يترنم بأنشودة السلام وقدمه تقتل عشرات الأحياء التى لا تراها العين ...

وفى هو في أحلامه إذ سمع صوتاً ينادى قائلاً : « عبده ... لماذا تبقى في الظلام » هذا صوت أمه الحبيب ... رياه ... لقد لفه الليل وهو لا يدري ... وقام من جلسته متثاقلاً وسار يبطء إلى الداخل ويأجره أمه قائلة :

— هل حدثك أنور ؟

فقال : « نعم ... »

— ما رأيك ؟

— اختيار جميل يا أماء ، سأذهب غداً لمقابلة جارتنا وأطلب يد ابنته الجميلة لابنتنا النابه !

فقال بمحنت :

— لم يبق إلا أنت !

ولازم الصمت هذه المرة ...

من يعلم ؟ ... ليس الذى يلقى الآن بأشد قساوة مما لقي في ماضيه ، وما هذه بأول كارثة يجتحن بها قلبه الكبير ، وقد علمته الحياة فضيلة الصبر كما علمته حقيقة أجل : هي أنه يستطيع أن يسمد وهو يحقق السعادة للآخرين ... عجيب محفوظ

البسام ، ولكن الحقيقة أن ما خفى من فضائله كان أعظم ، وأنه كان ينتظر الفرصة فقط للظهور في أبهى الحلل ، وقد جاءت هذه الفرصة ولكنها لم تكن وأأسفاه سوى وفاة والده ...

ترك الوالد المتوفى أسرة بائسة مكونة من أرملة وأربعة أبناء أكبرهم — عبد الرحمن — في مستهل الشباب ، وأربعة جنهات معاشاً ، وهكذا تصدت الحياة للشباب السعيد الواسع الآمال بوجه عبوس ، استأذنه أشد الواجبات ، وحثمت عليه أن يخلع رداء الطفولة ليحمل على عاتقه اللدن أثقل التبعات ... وكان عليه قبل كل شيء أن يقنأى أطاعه ، ويذرج في الأكفان أماله ، ويقبر مواهبه لكي يهيئ للأمرأة الضعيفة حياة سعيدة ، وولبها بعض العناية التى كان يولبها لإيها الأب الراحل ، ورضى كرهاً بوظيفة بائسة لم يتصور قط أن تنتهى إليها أماله ...

كانت تلك الأيام في بدئها مؤلة شديدة المرارة تبيت في النفس الأسى والحسرة والياس ؛ ولكنها لم تبلغ به قط حد الثورة أو الغضب الهائل . لماذا ؟ كان قلبه كبيراً ينضج للحنان والأخوة . فوهبه أمه وإخوته ، وهانت لذلك تماسه ، وخفت الأيام من وقع الخيبة في نفسه ، وتجددت في قلبه آمال أخرى لا تتعلق بمستقبله هو ، ولكن بسعادة إخوته ومستقبلهم ، وذاق سعادة جديدة ، هي السعادة التى يجدها بذل النفس والعمل من أجل سعادة الغير ، وبذلك شغل الشاب مكان أبيه ، ودخل في طور الرجولة الحق قبل الألوان ...

وذكر هنا كيف أنه كان يشعر بالفراغ الأليم رغم امتلاء حياته بالأمال والأعمال ، ولكنه كان ينصح دائماً في إبعاد فكرة الزواج عن قلبه حباً في أسرته وإيثاراً لإخوته ، واستوصى بالصبر ، لكن أثبت له الأيام أن إخوته أقل صبراً وأعمى بنفوسهم منه

وَهَيْبَتُهَا حَيَاتَانِ

(قصة استحققت ما نعى جيبه)
عن الأستاذ عبد الحليم درويش

الليلة قد انتهت من تمرير
السيدة شيد بمد وضعا ولدها
الثالث ، وقد تركتها هي وطفلها
في حجة جيدة .

وفكرت وأنا أسير في
الطريق في مسكني المريح في بيت
السيدة ميل حيث قضيت الخمسة
عشر عاماً الأخيرة . فكرت

مسرورة في مطبخي النظيف الثير ، واعتزمت أن
أتمشى الليلة سحراً وخبيص البطاطس . فذلك الجو
هو الجو المناسب لثل هذا الشاء .

ولقد كنت دائماً أشعر بالذلة عند عودتي إلى
مسكني ، وكان في واجهة الطابق الأول من الدار .
فلما وصلت إلى الباب ففتحه وضغطت زر الكهرباء
فناصت غرفة الجلوس بضوء لطيف .

وإذ تلفت لأغلق الباب سمعت صوت نشيج
مكتوم فوقفت أسمع فكان الصوت آتياً من المسكن
المواجه لسكني .

كانت تقم في ذلك المسكن سيدة اسمها مسز
فرانكلن استأجرته منذ بضعة أسابيع ولم أعرف من
أمرها إلا الشيء القليل جداً . كانت شابة لا تتجاوز
سنها السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين ،
طويلة القامة ملفوفة ، سوداء العينين جذابتهما في
وجه أبيض مستطيل . وقد تعودت أن تصبغ شفيعا
بالأحمر الزاهي ، وكان ذوقها في لباسها جيلاً بسيطاً .
ولم أشك في أنها حين كانت أصغر سناً كانت مفروطة
الجمال . وقد أخبرتني مسز ميل صاحبة الدار أن
الساكنة الشابة تشغل بالتصوير للمجلات ، وتبعث

[لم ترد أن تميش بغير الرجل الوحيد
الذي حرك عوامل الحب في قلبها]

مضى على الآن ثلاثون عاماً في مهنة التمريض ؛
فقد أصيب زوجي — وأنا في الثانية والعشرين من
عمرى — بمرض طالت أيامه ؛ فمضيت بتمريضه
طوال المشرة الأشهر التي قضاها في الفراش ، حتى
إذا انتقل إلى العالم الآخر واصلت حياة التمريض .
ولقد خلقت بمض النساء عمرضات بالطبيعة ،
وأنا واحدة من هؤلاء ، وقد وجدت عملاً كثيراً
في بلدة أيسن أنجليان التي ولدت فيها ؛ وقضيت
حياتي بين أهلها الذين أعرفهم ، وأستطيع التفاهم
مهم .

وكان الأجر الذي أتأوله قليلاً ، لذلك لم أدرق قط
مألاً كثيراً ، ولكنني ادخرت طائفة كبيرة من
الذكريات لا تقوم بحال مهما كثر ؛ والآن يمر في
جميع أهل المقاطعة باسم العمة سارة كشنج .

وفي ليلة قارسة البرد من ليالي شهر نوفمبر عدت
إلى بيتي بسرعة ، وكانت الأشواء منبثة من نوافذ
البيوت التي صرحت بها . وكنت كلما استنشقت الريح
الباردة شعرت بأن الحياة شيء جميل . وكنت في تلك

بالمناجى إلى كتب الأزياء .

وإذ كتبت أليفة الروح فإني لم ألبث على أثر سكن مسز فرانكن في الدار أن خطبت ودهابنية الصداقة ، وكانت الشابة كريمة النفس ، ولكنى لاحظت بعد قليل أنها لا تريد أن ترتبط بروابط الصداقة مع أحد من الناس .

فلما سمعت صوت النشيج المكتوم نظرت خلال فتحات بابها فلم أر أراً للضوء ، فكرت فيها وحيدة في الظلام ، وقد تكون مصابة بأزمة مرضية حادة فاتجه قلبى إليها .

وقلت في نفسى : « إننى لا أستطيع أن أقصم الدار عليها غير مستأذنة » . ثم خطر لى خاطر سريع فدخلت إلى مسكنى ، ووضعت كيس نقودى على كرسي ، وخلعت قميصى ومغطى ، وكانت ساعتى في هذه اللحظة بدق الساعة .

رتبت شمعى ، واجترت الردهة ، وطرقت باب مسز فرانكن فلم أسمع جواباً ؛ فأعدت الطرق بأشد مما فعلت أول الأمر . فسمعت صوتاً مكتوماً يقول :

« مرحى ! من الطارق ؟ »

فأجبت :

« إنها العمة سارة » .

ثم قلت :

« أيمكن أن تقرضين شيئاً ؟ »

فقلت :

« أرجو أن تتفكرى لحظة واحدة » .

وسمعت حركة مشيها من وراء الباب المغلق . ثم انبث الضوء فجأة من فتحة عتبتها ، ولم يلبث أن فتح في بقاء ، ووقفت الشابة كالخيال بينى وبين

الضوء . وقالت :

— أتعصّلين بالدخول ؟

فشكرتها وخطوت إلى داخل الغرفة .

والتفتت إلى ؛ فسقط الضوء على وجهها فغمره ، وكان شعرها الأسود الكثيف مرتباً غير مشوش . وكان ثوبها الأسود منتظماً في بساطته ، كذلك كانت عيناها السوداوان براقتين لا أثر للدموع فيها . نفيل إلى أنه يكاد يكون من المستحيل أننى سمعت نشيجها منذ لحظة .

وسألتنى الشابة في اقتضاب وعلى فيها ابتسامة

رفيقة منتصبة :

— أى شئ أستطيع أن أقرضك ؟

قلت :

— ليس عندى شئ من الشاى . فهل يمكن أن تعطينى ما يكفى قحداً أو قحدين ؟

فأجابت :

— بدون شك وسأحضره في الحال !

فلما سارت متجهة إلى المطبخ غصت الغرفة بنظرة سرية لملأ أثير على ما يفسر أسباب حزنها تكطاب أو تلفراف مثلاً .

ولكنى لم أر شيئاً غير جريدة المساء ملقاة على الأرض إلى جانب كرسي موضوع تحت المصباح . وعادت مسز فرانكن إلى الغرفة وفي يدها علبة من الشاى . وقالت ملحة في لهجة سرية مقوثة :

— أرجو أن تأخذينها كلها فعدنى غيرها !

فشكرتها وأمالاً أزال غير رافية في الانصراف . فقد كانت روح النأسة تسود الغرفة ، ولقد كنت على يقين من ذلك . فقلت :

— إن البرد شديد في الخارج .

فارتجفت الشابة وقالت :

— أهو كذلك ؟

ثم اصطحب وجهها بلون أغبر ، ورأيت أصابعها الدقيقة تنقلص على ساعديها ، وقد ضممتها إلى صدرها من أثر التألم . فسألها بسرعة :

— أمریضة أنت ؟

فالت نحوى مترنحة ، والتفت نظرانا ، وكان الألم الصارخ يبدو جلياً في عينيها ، ولكنها قالت في لهجة القاني الذي فرغ صبره :

— لا . لا . أنا لست مریضة .

وخيل إلى أن عينيها تيمثان بنظراتهما إلى داخل نفسي ، وكأنهما لا تريان شيئاً .

واستمرت الجريدة الملقاة على الأرض نظري ، ففي رأس الصفحة الأولى كتبت هذه الكلمات بالخط المریض :

« سيشق كريح غداً . الرجل التهم بقتل زوجته ببقى جزاءه » .

ودون أن أفكر في كفاي قلت :

— إذن سيشقون كريح غداً .

لم أكد أطلق بهذه الكلمات حتى تصلبت الفتاة ونكصت عني كما لو كنت قد ضربتها ، وسقط ساعداها في دفعة واحدة إلى جانبيها ، ومال رأسها إلى الوراء ، وخرجت من حلقها صرخة فظيعة مختنقة حبست بين شفتيها الحراوين . وكانت صرخة غير دينوية تعجد لها نباح عظامي . فأمسكت بكتفيها وهرزتها في لطف . وقلت في لهجة الأمر :

— فني هذا يا مسز فرانكلن !

فانفتحت عيناها في بقاء ، فكانتا قفيضان يجرع بيجز القول عن وصفه . ثم قالت في همس حاد :

— نعم سيشقونه غداً .

وترنحت الشابة مائلة نحوى فأمسكت بها وأسندها وأجلسها على الكرسي . ثم لم تلبث أن استولت عليها قشمرة حادة . فكان الفزع الشديد الكامن في نفسها يهزها في عنف كإيهز ريح الشتاء الفاضب شجيرة ضئيفة .

فقلت وقد أملت لها لها :

— سأحضر لك شيئاً من الخمر فلا تتحرك حتى أعود إليك .

واجترت الدفعة جارية حتى وصلت إلى مطبخي فصببت نصف زجاجة من الخمر في قدح وعدت بسرعة إلى حيث كانت الشابة لا تزال ترتجف .

فركزت حافة القدح بين شفتيها وقلت :

— اشربي هذا !

فشربت جرعة أو جرعتين من الفدح ، وفي لحظات قليلة وقفت القشمرة فقالت وهي كالتائهة :

— شكرًا لك ، وأنا الآن على أحسن حال . كانت هذه الكلمات إيذاناً لي بالانصراف ، ولكنني لم أصغ لها . وقلت في لهجة الاعتراض :

— لا أستطيع أن أتركك على هذه الحال من المرض ، وأنت تعرفين أنني ممرضة . فاصمعي لي أن أبقى معك فترة قصيرة .

فهزت رأسها في إشارة رفض سريعة ، ولكن كتفها لم تلبث أن مالتا متبعتين . وقالت :

— نعم ، أرجو أن تبقى معي . لا تركيني وحيدة . إبقى معي حتى ... الصباح .

قلت :

— ألا ترقدن وتسمعين لي بأن أرحمك ؟ فقالت الشابة وكان صوتها الألم الجسم :

وما نمت كلمات الشابة المنكوبة حتى طوقها
بساعدى وصحت في لهجة المواساة والحنو :

« عزيزتى ! »

وعادت هيلارى تشجج نسيجاً جافاً لا يصحبه
دمع حتى ليخيل إلى الإنسان أنه يمزق قلبها قطعاً
وقلت لها في لهجة الرجاء :

— حدثيني بأمرك يا هيلارى ، ففي الكلام
تفريح عن نفسك
فقلت في صوت متوتر مخنق :

— ولم لا أنكم ، ليس في تاريخ حياتي ما يمد
أمرأً خاصاً أحاول إخفاؤه ، فلقد قرأ كل من أراد
قصتي منشورة على صفحات الجرائد ، فلماذا أخفى
عن إنسان واحد وجه الحقيقة فيها ؟

وبدأت هيلارى تذرع أرض الغرفة من جديد
جثةً وذوياً ، وكانت عيناها مسبلتين وشفتاها
ترجفان وقد لاحظها بيّنا عادت ذاكرتي إلى الماضي
مسرعة تستمرض ما قرأته من قصة هيلارى لي
وما قرأته بلخص في أن هيلارى كانت الابنة
الوحيدة لرجل غنى . وكانت يتيمة الأم منذ طفولتها
وكانت فتاة جميلة صلبة الرأي ، تملك المال الزائد جداً
على حاجتها . وقد أذيع أنها خطبت ثلاث أو أربع
مرات ، وقيل إنها هجرت أحد خطابها في اليوم
الذى حدد لمقد الزواج

وقد شملت الصحف وقتاً ما صفحاتها الأولى
بقصة حب هيلارى للشباب الجميل الذى كان يشغل
عند أبيها مركز رئيس الركيبة وهى قصة قصيرة
مكفهرة ، ولقد فصل أبوها هذا الموظف من عمله
وأسرع فصاحب ابنته في رحلة في أرجاء العالم المختلفة
وبذلك تلاشت قصة ذلك الترام

— تريحيني ؟ وهل أعرف الراحة بيّنا هو
ينتظر الموت ؟

ثم وثبت ووقفت على قدميها ، وشرعت تذرع
أرض الغرفة ذهاباً وجيئة . ثم وقفت أمامي على حين
لجأة ، وكانت عيناها في نظري كالجرتين المتقدتين .
وكان صوتها وهى تتكلم أشد فظاعة من عيناها ،
وقد قالت :

— إنهم سيشتقونه غداً . وليس في يدي من
شيء أستطيع عمله لإتقائه . . . نعم لا شيء على
الإطلاق !

فسألتها في صوت بالغ في الرقة :

— أو تخمينه ؟

فأجابت :

— أنا هيلارى لي

عندئذ أدركت سبب جزعها وآلامها
فقد قرأت ما كتب عن جريمة القتل التي اقترفتها
كريج ، كما قرأها كل من يطلع على الصحف ، فقد
شملت الصفحات الأولى من الجرائد أشهراً طوالاً ،
وفي أول الأمر تكرر اسم هيلارى لي عدة مرات
مقترناً بالظروف التي أدت إلى الجريمة ، ولكن في
القسم الأخير من المحاكمة اختفى هذا الاسم فلم يسمع
به أحد

نشرت قصة غرام هيلارى لي القصيرة على
جمهور متعطش للأخبار المثيرة ، وأضيفت لها الحواشي
التي تزيد الرغبة في قراءتها ، ولكن قصة هذا الترام
انتهت وطويت صفحاتها قبل حدوث القتل بزمان طويل
ولم يستطع القانون ولا الصحافة أن يجعلا أية حلقة
ترتبط بين حب نيكولاز كريج لهيلارى وبين قتله
أمرأته ليلى

لقد نجحت الصحف من جنباً « أنا ونيكولاز » شيئاً رخيصاً فاجراً ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك . فقد كان نيكولاز يشرف على خيل أبي شهوراً عديدة قبل أن أحبه ، ولم يكن في نظري غير واحد من الموظفين المديدين الذين يملكون في اصطبلات أبي ، على الرغم من أننا قد ركبنا معاً مرات عديدة ، إلى أن جاء اليوم الذي ذهب فيه لمقابلة أبي في بيتنا الريفي بنيو فرست وقد طلب أبي منه أن يصحبني في السيارة إلى ذلك البيت

ولما اقتربنا من منتصف الطريق داهمتنا عاصفة

هائلة

فتركنا السيارة وعدنا على الأقدام تحت المطر النهم إلى كوخ على مقربة من الطريق كان نيكولاز قد لمح . وطرقتنا باب الكوخ ولكننا لم نسمع لطرقتنا جواباً ، ولم يكن هناك من مكان آخر نستطيع أن نأوى إليه إثناء المطر ، لذلك عاجل نيكولاز قفل الباب بسكين ففتحه . وأسرع فأشعل النار وبجئنا في المكان فوجدنا ملابس جافة ، ولم أكن قد رأيت نيكولاز قبل هذا اليوم في غير ملابس الركوب فلما رأيته يرتدي سراويل من الصوف الأبيض وقميصاً من الصوف الأزرق رأيته إنساناً آخر غافلاً للذي كنت أراه

وطبخ نيكولاز لنا عشاء من بعض المأكولات المحفوظة في الלב التي وجدها في أحد الأصونة ، وكانت العاصفة لا تزال في عنفوانها ، وخيل إلينا أنها تشتد عنفاً مع توالي ساعات الليل ، وكان المطر يطرق النوافذ في شدة ، وكان عصف الرياح أشبه بولولة مجموعة كبيرة من الشياطين

وقال نيكولاز :

وحدث بعد ذلك أن أباهما ادواردي قد تروء ما بين عشية وضحاها نتيجة معلومات خاطئة اتصلت به في أعماله ، فلم يستطع الرجل احتمال التفكير في حياة الفقر فالتحق في غرفة مكتبة بيته في «سوري» وعادت الصحف مرة أخرى تذكر اسم هيلاري في رؤوس صفحاتها

وبعد ذلك تركتها الصحف مطمئنة فترة من الزمن إلى الليلة التي فيها أطلق نيكولاز كريج الرصاص على زوجته في مسكن بوست أند

كان نيكولاز كريج وزوجته متباعدين منذ سنوات ، لم يستطع أحد أن يكشف قط عن السبب الحقيقي لارتكاب الجريمة ، فمادت الصحف إلى ذكر قصة غرام هيلاري لى ولكنها لم تستطع أن تجد هيلاري لى

ولقد تخيلت هيلاري فتاة متفطرسة حجرية القلب ، أول تفكيرها وآخره وكله في نفسها ، وكان من الصعب أن أصدق أن السيدة الشاحبة اللون ذات العينين السوداوين اللتين تبيت منهنما آلام المذاب النفسى هي حقاً هيلاري لى المشعوذة الخداعة . ثم بدأت الفتاة تتكلم في جمل قصيرة مقتضبة كما لو كانت كل كلمة تنطق بها قطرة جديدة من الألم الصارخ تمصر من قلبها ، وكانت وهي تتكلم تدرع أرض الغرفة بخطواتها ، ولقد سبق لى أن رأيت حيواناً محبوساً في قفص يحطو مثل هذه الخطوات اليائسة

ولم أظلمها في أثناء حديثها ، بل جلست أصنى لها وقلبي يتفطر تألماً لها مع كل كلمة تنطق بها . وهذا ما قالته :

وما كدت ألفت بهذه الكلمات حتى اخضت
ابتسامة نيكولاز ورأيت شفتيه تنطبقان في خط
متجهم عابس ، وقال :
— إننى متزوج بالفعل يا هيلارى
وسمعتنى أقول صائحة :
— لا ، يا نيكولاز لا لا لا !
ولكن خيل إلى أن الصوت الذى يصيح بهذه
الكلمات لم يكن صوتى المألوف
فأقترن حاجباه في تقطيعية محزنة وقال في صوت
يقطر منه الألم :

— إننى متزوج منذ أربعة أعوام ، ولم أكن
إلا طفلاً عند ما التقيت بيللى ، وكانت راقصة فى أحد
المنتديات الليلية ، فغيل إلى أننى أحببتها ، ولست
أدرى لماذا تزوجت منى فقد ملت معاشرتى بعد بضعة
أشهر من الزواج
ثم ازدادت غنة الألم فى صوته وهو يقول :
— أنا لست إلا زوج المصادفة ، فإننا نميش
أحياناً بعيدين أحداً عن الآخر أشهراً عديدة متتالية ،
ثم ترسل إلى فأوانها - كالكلب الذى يسير فى كعب
صاحبه .

فسألته فى بلاهة :

— هل تحبها ؟

فأجلب :

« لا - لا أحبها الآن ، لا أحبها بعد الليلة
الماضية

فصحت محتدة :

— كان يجب أن تقول لى ذلك فى الليلة الماضية

فضمنى بين ساعديه وقال :

— لقد كانت الليلة الماضية جنوناً - جنوناً عذبا

— يدولى أنك مقرورة فدعنى ألف هذا الدثار
حوالك .

ووضع الدثار على كتفى قابضت له ، فإذا به
يضمنى على حين فجأة بين ساعديه ، وأندفع يقبلنى
قبلات ما عهدتها من رجل قبله ... قبلات جالمة ...
كما لو كان ذا مسغبة من الحب

ولقد تلمقت به وقلت فى نفسى : « إن هذا هو
الحب ، وإننى لم أعرف قط ما هو الحب حتى هذه
اللحظة »

لم أعد أشعر بشيء من البرد فلقد كنت
ألهب بنار سرور غريب ، فتركت له شفتى وقلبي
ونفسى ، وقد رأيت أن حق الحياة يقضى بأن
أكون معه فى ذلك المكان أغمره بحبى ، بل بدالى
أن ذلك أحق من كل شيء آخر عجلته فى حياتى
ولما أشرق الصباح أشمل نيكولاز النار وأعد
لنا القهوة قوية . فلما انتهيت من شرب فنجانى
ابتسمت له فى كثير من الإعجاب ، فلقد كان الرجل
الذى لا تملك امرأة نفسها دون الإعجاب به والافتخار
بقربه . كان طويل القامة يقرب طوله من ستة أقدام
عريض الكتفين دقيق الوسط والردفين ، وكان
شعره الكثيف الجمعد فى لون القمح الناضج . رمادى
العينين وأسمهما فى وجه قوى ترينه سمرة مبهجة ،
ورد نيكولاز على ابتسامتى بابتسامة عذبة رقيقة ،
فلححت برين أستانه البيضاء القوية
وصحنت فى لحظة :

— لنزوج يا عزيزى بأسرع ما نستطيع ،
وسنخبر أبى بزواجنا بعد عقده ، فإذا حاج غضبه
— وهو لا بد أن يهيج — فلنمشي بعيداً عنه حتى
يعود إلى نفسه ويهدأ غضبه

فقال في بطة :

— لقد ظننت أنك أحببتني ، بل لقد كنت واثقاً أنك أحببتني في الليلة الماضية .

فقلت غاضبة وقد سحبت ممطفي :
« فلتنس ذلك »

وحين وصلنا إلى ميتا الربوي انهار أبي على نيكولاز بكلمات التفضب العنيفة . ثم أزعجني أن سمعت نيكولاز يرد على أبي صائحاً بأنه قد أحبنى

واتصل خبر هذه المشادة بالصحف فخلقت منها قصة كبيرة ، وقد أمدني أبي إلى لندن في تلك الليلة نفسها وبعد يومين ركبنا الباخرة في رحلتنا العالمية ولم أحول أن أكتب لنيكولاز قبل سفرنا فقد كنت لا أزال أشعر بالجرح الذي أصابني وكنت في حيرة شديدة

وفي أقل من أسبوع في البحر فقد ظلي ما أصابه من مجود وعاد يشعر بالألم ، فأدركت أن نيكولاز قد أحبنى حقاً وأنتى كنت قاسية في صرفه من غير كلمة أزوده بها

لقد عرفت أننا لن نكون أبداً أحداً للآخر ، فهو قد أحب ليلى على طرازه إلى الليلة التي أحبنى فيها ، ولقد ثارت نفسي على فكرة الطلاق وسهرت ليلة كاملة في الكتابة إليه ، فقلت له في كتابتي إنني أحببته ، وإنني لن أستطيع أن أنساه أبداً ، وتذكرت غيبوبة حبنا وسألته أن يذكرني دائماً ، وخطمت الكتاب بأن طلبت منه ألا يراني بعد ذلك

وضمت هذا الخطاب في صندوق البريد بأول صرماً رسونا فيه . ترى لماذا تضع النساء قلوبهن على صفحات الورق ؟ لماذا يكنن كلمات قد تهلك الرجل الرسالة إليه ؟

جديداً على يا عزيزتي . وإنك لتنج من الساء إيهيلاري ولقد سمعت إليك ولستك . ولن أكون أبداً بعد ليلة أمس كما كنت من قبل ، لقد ضمت بين ساعدي النار والتلج وتربة النجم . ولن أدعك تتركيني أبداً ويجب أن تطلقني ليلى ، فهل تزوجين مني متى أصبحت حراً طليقاً ؟

ولكنني قد جرحت في عواطفى جرحاً بالئاً قاسياً ، فقد كان القى رجل امرأة غيرى .

فصحت وأنا أجاهد للتخلص من بين ساعدي :
— لا ، لا ، لا أنا لا أريد زوج امرأة أخرى ، لقد كتنا مجنونين في الليلة الماضية . نعم كتنا مجنونين وقمنا في شرك الغرام . أنا في هذا الصباح فقد عاد إلينا صوابنا . فلتنس ما كان يا نيكولاز ولتبدأ من اليوم حياة جديدة

فاقترب مني وتناول وجهي بين كفيه وقبلني في رقة ولطف وسألني :

— أمنتقدين حقاً يا عزيزتي أننا نستطيع نسيان الليلة الماضية ؟ لقد تذوقت عنوة تربة النجم يا إيهيلاري ، فلن أقتنع بعد الآن بما هو دونها . وسيأتى اليوم الذي تصبحين فيه لى دون سائر الناس فقلت له في خشونة :

— لا فائدة فيما تقول يا نيكولاز فلن أتزوج منك أبداً ، وسأنساك ، ويجب أن أنساك . وكان ما حدث ليلة أمس لم يحدث قط ، وإنى لا أريد أن تجري الأمور بيننا على هذا الأساس ولتعد الآن إلى السيارة !

ثم قلت في لهجة وحشية :

— من يدري إن لم يكن التلق قد بلغ أبى

في هذه اللحظة حد الجنون !

الأيام وظن أنه قد يساوي عندك مائتي جنيه وأخرجت من قطرها كتاباً رأيت على غلافه طابعاً أجنبياً والكتابة التي عليه من خط يدى ... وقالت المرأة وهي تبسم ابتسامتها الوحشة :

— إن في هذا الخطاب مادة ساخنة ، فهل بمسبك أن تنشر محتوياته على الجمهور ؟ وهل يحبب أن أقرأ لك تذكرة بما فيه ؟

فأمسكت بحجب الكتب ورأى لأسند نفسه وصحت بها ألا تقرأ شيئاً من الخطاب الذى شخص به نظرى وهى بمسكة به فى وجهي . لقد أحبيت رجلاً فى وقت من الأوقات ... أحبيتها حباً كلياً وكل حى له كان مكتوباً على صفحات هذا الكتاب . والآن يرسل هذا الرجل امرأته لتستبدل بهذا الحب نقوداً جامدة

ولقد سألت المرأة فى صراحة :

— لماذا لم يحضر نيكولاز بنفسه ؟

فضحكت وقالت :

— نيكولاز عامل فقير مسكين

ولقد شعرت كأن شفتى قد بردتا وتجمدتا حين قلت :

— أنت تطالبين مائتي جنيه ثمناً للكتاب ؟

أجابت المرأة :

— هو ذلك !

فשמعت بأن مرّ رجل الغضب يملأ داخل نفسي وفكرت لحظة فى أن أتناول سماعة التليفون وأدعو رجال البوليس ، ثم خيل إلى أننى أرى تلك الكلمات التى كتبها بخطى منشورة على صفحات الجرائد فلم أحتمل هذه الفكرة وقلت :

— سأشتري الكتاب

قضيت وأبى حوالى ثلاثة أشهر فى رحلتنا بعيدين عن لندن ، فلما عدنا إلى دارنا لم يمض علينا أسبوع واحد حتى فقد أبى جميع ثروته واختار أسهل الطرق للخروج من نكبتة

تولانى اليأس فى الأشهر الأولى بعد موت أبى ، وكان لى قليل من المال وورثته عن أبى ، فاختفيت عن العالم وعن أصدقائى إلى أن التأتأت جروحى قليلاً وبعد عام من موت أبى استعذمت قسماً من مالى فى أحد حوانيت الملابس بمانشيستر ، ودخلت العمل باسم مستعار واجتهدت جادة فى استئصال حياة جديدة وفى يوم من الأيام جاءت ليلى لمقابلتى . ولقد عرفتها منذ اللحظة التى وطأت فيها قدمها أرض الحانوت ، عرفتها قبل أن تقول : « وأنا لى كريج فهل أستطيع أن أراك على انفراد ؟ »

كانت المرأة جميلة مكثرة من الصباغ ، وقد أhal شعرها إلى لون البلاتينيوم ولكن جذوره بقيت سوداء ، وقد تصليت حواجبها بما استعملت من مواد ، وفى الجملة كانت ليلي شريرة رخيصة المدن وحقه

أجبتها :

« ألك أن تدخلى إلى مكنتى ؟ »

فلما أغلق علينا الباب رمقتى من فة رأسمى إلى إخص قدى وعلى فيها ابتسامة عريضة وحقه . وقالت وقد دخلت مباشرة فى الموضوع الذى جاءت من أجله :

— مى كتاب قد تحبين أن تشتريه . فقد نزل بى أنا ونيكولاز فى الأيام الأخيرة شىء من العسر المالى ، فضعن أشد ما نكون حاجة إلى المال فتذكر زوجى هذا الكتاب الذى بعثت به إليه فى يوم من

في الساعة الخامسة مساءً
وقد وجدت رقم تليفون نيكولاز في دفتر
التليفون فلما طلبته كان هو نفسه الذي أجاب النداء
فقلت له :

« لا بد لي من أن أراك »

فصاح صيحة أستطيع أن أقسم بأن غنة الفرح
فيها كانت حقيقية صادقة وقد قال :

« أين أنت يا عزيزي فأسألك في الحال »
نخبرته باسم الشارع ورقم السكن وفي أقل من
عشرين دقيقة كان معي

فأكدت أراه وأسمع صوته حتى بدأ قلبي يدق
دقاً عنيفاً حتى ينجح إلى أنني سأخفق

ولقد رأيت في عينيه نشوة الحب حين صاح :
« هيلاري حبيبي إنني لم أجسر قط على أن
أؤمل في هذه السماء ، لم أجسر قط على أن أؤمل
في أن ترسل إلي يوماً من الأيام
فقلت في حرارة :

« إجلس يا نيكولاز ولننته من هذا الأمر ،
فأنا هنا لأشتري صورة كتابي ، فكم تطلب ثمناً لهذه
الصورة ؟ »

لم أكد ألفظ بهذه الكلمات حتى رأيت أمارات
الدهشة والارتباك تملأ وجهه ، وقال في حدة :

« إنك لم تخبريني عم تتحدثين »

نخبرته بما حدث في بضع جمل قصيرة صريحة ،
قلت في ختامها :

« ولقد دفعت لامرأتك بالفعل مائتي جنيه وأريد
اليوم أن أنهي الصفقة معك »

وهنا علا اصفرار الموت وجهه نيكولاز ، وقد

كان في خزانة مكتبي ما يزيد قليلاً على مائتي
جنيه ، فعددت المائتين ووضعتها على المكتب ،
فوضعت هي الكتاب إلى جانبها ثم أخذت الأوراق
المالية فعدتها في ثأن ووضعتها في قطرها . ولم أكن
حتى هذه اللحظة قد لمست الكتاب ، إذ لم أحتمل
لسه وهي معي في الغرفة

ومشت المرأة إلى الباب ثم وقفت وقالت مكررة
ابتناسمتها الفاجرة :

— إنك لطيفة جداً في المعاملة فهل من رسالة
أحملكها إلى نيكولاز ؟

قلت :

— لا رسالة له عندي

وترددت المرأة لحظة وهي مسكة بأكرة الباب
ثم قالت :

— بهذه المناسبة أرى أن أخبرك بأن لدينا
صورة فوتوغرافية لهذا الكتاب ، فإذا أعسرنا
مرة أخرى فإني أخشى أن أضطر عندئذ للمودة إليك
ثم اختفت وراء الباب

فالتفتت الكتاب وبدون أن أخرجه من غلافه
مترقته لإرباكاً

وكانت الأيام التي أعقبت هذا الحادث أشبه
بكاوس فظليح . ففي كل يوم يشرق على كنت
أخشى أن تعود . وكلما دق جرس التليفون توقفت
أن أسمع صوتها . ولما لم أعد أحتمل عذاب الانتظار
قصدت إلى لندن لأشتري صورة كتابي الفوتوغرافية
ذهبت مباشرة إلى مسكن صديقة قديمة وكانت
قد خرجت في الساعة العاشرة للقضاء بعض حاجتها ،
فكان السكن تحت مطلق تصرفي إلى أن عادت

فأجابني وأعداً :

— أبداً يا حبيبتى .

صرمت الساعة وأنا ممسكة بالساعة بين يدي
أحاول بأثني ألا تغتلب منها ، وحتى في هذا الموقف
بين ساعديتي القويتين كنت أشعر شعوراً باطنياً بأن
هذه هي آخر ساعة ألقاها فيها .

وقبل أن يتركني وكند لي أنه سيجد طريقة
للحصول على صورة الكتاب . وقال في لهجة الوعد
الصادق :

— فعلى لن تؤذيك أبداً بعد الآن يا حبيبتى .
ثم قال :

— إنني أعرف كيف أعاملها ، وسأعجلها الآن
على أن تترك لي حريتي بالطلاق ، ويجب ألا يكون
لك أي نصيب في الموضوع . فأنت نجمة السابوة ؟
فلتدبري بأن تبقى بعيدة مهما حدث من أمر .
فوعده ، قبلني وانصرف .

وعدت إلى مانستر في الليلة نفسها .

يا لله ! كم غنيت لو أنني لم أتركه .

لقد انتظرت طوال اليوم التالي أن تأتيني رسالة
منه ، وقد حملت إلى صحف المساء الرسالة التي كنت
أنتظر . لقد قتلها في مسكنها ثم سلم نفسه للبوليس .
وراني لأعرف الآن أنه فعل ذلك في ثورة غضبه حين
عنفته بكتاتي ورفسته في وجهه وتحدته أن يجسر
على الاقتراب منها لأخذه .

ولقد أخذه فملاً وأعدمه قبل أن يحضر رجال
البوليس .

أخذت أول قطار إلى لندن وذهبت مباشرة إلى

اسودت عيناه من شدة الغضب ، وانتشل من جيبه
الداخلي حافظة تقود رقيقة ، وفتح أحد جيوبها
الداخلية ، فلم يلبث أن أهدق بصره بها بينما بدا الجزع
في عينيهِ ، وقال :

« أنا أعرف أنها شيطانة ولكنني لم يخطر لي
قط أنها تفعل ذلك ، لقد ضاع الكتاب ، وأحسب
أنها قد استماتت يعض أصحابها خفاف الأيدي على
سرقة »
فصحت :

« ألم ترسلها لي لتبيني الكتاب ؟ »

فأعاد حافظة تقوده إلى جيبه ، وفي أسرع من
لمح البصر انتقل إلى جاني وطوقني بساعده وقبلني
قبلات عنيفة وقال جواباً على سؤالي :

« إلى أجبك »

ثم صاح وقد أحكم تطويقني بساعديه
« سأقتلها من أجل ذلك »

فقلت راجية :

— لا تقل مثل هذا الكلام . فما أبلى ما حدث
وكل ما يهمني أن أراي مرة أخرى بين ساعديتي
يا حبيبتى

— ما كان أشد شعوري بالوحشة لبعديك ، وك
من مرة حملت بك ! وما كان أشد تشوق لرؤيتك ؟
إنني لم أعش قط معها ، حتى ولا ساعة واحدة بعد
تلك الليلة التي قضيناها معاً . فما كنت لأتخذ امرأة
غيرك ؟ فما زلت أنت نجمة التي بها أهدى يا حبيبتى .
فقلت :

— لا تتركني أبداً يا نيكولاز ؟ فما أريد أن
أفترق عنك .

معروف تقديمه له هو أن تبقى بعيدة عن هذه القضية »

وكان مستر لاين يحمل رسائل نيكولاز إلى ويحمل رسائل إليه. وبما قاله نيكولاز : « إن هجوم الساء لا مكان لها في السجن ولقد وعدني بأن تبقى بعيدة عن هذه المشكلة »

انتهت المحاكمة إلى نتيجة سريعة ، وقد صدمني القرار صدمة شديدة وإن كنت قد توقعت من أول الأمر . فقد كيفت الجريمة بأنها نتيجة الغيرة ، وقال نائب الادعاء : إن نيكولاز قد ذهب إلى ليلى يرجوها أن تعود إليه فلما رفضت أطلق عليها النار في ثورة الغيرة التي ملكت نفسه

وبعد أن صدر الحكم عليه حضرت إلى هذا المسكن حيث كنت واثقة أن ليس هناك من يعرفني . ولقد أردت أن أسهل حياة جديدة إذا أمكن إنقاذ نيكولاز

وكنت كلما صرت الأيام تملقت بالآمال تملق جنون ، أما الآن فلم يبق لي شيء حتى ولا الأمل . ولقد كنت أشعر واثقة بأنه سيرسل إلى لأراه مرة أخرى ولكن ها هي ذى الساعات الأخيرة تغشى مندفعة في سرعتها ؟ وهو هناك ينتظر الموت الذي بواقبه صباح الغد . وأنا هنا على مسافة أميال عديدة منه أحاول أن أعيش خلال ساعات الليل الفظيمة المريعة وسيكون الصباح نهاية كل منا ، فما أستطيع أن أحيأ بعد موته . ولن أحاول أن أبقي على قيد الحياة . وما أستطيع أن أتركه يموت وحده ، وما هي قيمة الوعد الآن ؟ يجب أن أذهب إليه ، ولا يزال (٢)

مستر لاين المحامي الذي كان يتولى أعمال أبي . فقلت له والزفرات تقطع حديثي :

— يجب أن تنفذه . فقد فعل ذلك من أجلي ، ويجب أن أذهب إليه فهو بحاجة إلى : فقال مستر لاين في حزم :

— يجب أن تبقى بعيدة عن هذا الأمر . فإنك لن تنفيده شيئاً باندفاعك إليه الآن ، بل لملك بذلك تفسرين قضيتي . فاركبي القطار التالي عائدة إلى مانستر ، وسأعمل باهيلاري كل ما أستطيع لإتقائه فقالت راجية :

— أرجو أن تكون دائماً على اتصال بي ؛ فيعندى بعض المال وسأفق كل ما أملك في الدفاع عنه فوعدني المحامي بقوله :

« سأبذل كل جهدي لمصلحته ، وسأتمسك بك يومياً »

وهكذا عدت إلى مانستر ، ولكنني علمت أن فترة اطمئنان القصيرة قد انتهت ، وأنه يجب أن أعود مرة أخرى إلى الاختفاء

وكانت شريكتي في التجسس رغبة أشد الرغبة في ابتلاع حصتي فيه ، فبعتها هذه الحصة وأرسلت ثمنها إلى مستر لاين لإتفائه في الدفاع عن نيكولاز ، ثم اختفيت من جديد

ولقد حاولت عدة مرات أن أرى نيكولاز ، ولكن محاولاتي ضاعت عبثاً ، فقد كان نيكولاز ومستر لاين متشددين في رفض طلبي . وقال مستر لاين في لطف :

« هو لا يريد أن تزوره يا هيلاري ، وأكبر

في الوقت متسع لذلك إذا أنا أردت الذهاب

وتناولت حقيبة يدها من فوق مائدة صغيرها
وقفتها لتعرف ما لديها من النقود ثم قالت :
« يجب أن أحصل على مال أكثر من هذا .
وستفرضني بعض المال فهل تضمنين على بذلك ؟ »
وكانت حينها براتين جامدتين كالأجاج وقد
تقلعت عضلات وجهها في حال عصبية خفيفة ، وقد
لاحظت أنها على وشك الإغماء ، لذلك أمسكت
بديها الباردتين بين يدي وأسندتها بقوة وقلت في
لهجة حازمة :

— اسمي يا هيلارى لى . لقد وعدته وهذا ،
ويجب أن تحافظي عليه . ومنذ بدء الخليفة نحي
الرجال أرواحهم في سبيل جهم المرأة . ولن يتحمل
نيكولاز مرارة توديعك له . فأكرهه يقابل الموت
كما يريد أن يقابله . دعيه يذهب وهو لا يزال يشعر
بنعيم القبلات الساوية على شفثيه ، وعظمة نجمته
أمام عينيه . صدقيني أنه يريد أن يلقى الموت على هذه
الصورة ...

فبدأت الفتاة تنسج نسيجاً عنيفاً وسألتني :
وأنا ؟ ماذا يكون من أمرى بعد موته ؟ ماذا
يكون من أمر اللند وجميع الأيام التي تمسب اللند ؟
ألا فاعلمى أن ليس لى بعد الآن مكان في هذه الدنيا
وليس هناك من به حاجة لى . فلقد كان هو الرجل
الوحيد الذى يعنى بأمرى .

فقلت :

إن لكل منا مكاناً في هذه الدنيا ، ولكل منا

عمل يؤديه . فنحن جميعاً أعضاء في مجموعة الدنيا
العظيمة ، وستجدين مكانك وعملك يا هيلارى لى ،

والأمر متوقف على شجاعتك وإيمانك
فأتجهت عيناها وقد ملتأت بأنا إلى الساعة المعلقة
فوق الجدار ، وقالت منتحبة :

— لم تبلغ الساعة الحادية عشرة بعد ولا يزال
الوقت يسمح لى بالذهاب إليه .
فقلت :

— إنهم لم يسمحوا لك برؤيته

فصاحت في عنف شديد :

— اللهم رحمتك في « اللهم رحمتك به وبى جميعاً ! »
ثم وجهت إلى الحديث وقد ملكت عيناها رعباً
فقالت :

— ابقى مى ولا تتركينى وحيدة ، فإذا جاءت
ساعة التنفيذ فأمسكى بيدي وادعى الله أن يميني
قلت :

— تعالى إلى مسكنى ، يا عزيزتى ، فيكون
الأمر أسهل عليك في غرفة لم تتألى فيها مثل ما تألت
في هذه الترفة .

ثم طوقها بإحدى وقدها خلال الردهة حتى
دخلنا غرفة جلوسى فارتعت مترنحة على أحد الكراسي
وهي ترتجف في حال عصبية عنيفة .

لحمت حقيبة أدوبي وذهبت بها إلى المطبخ ،
فسخنت ماء وصببت بمى الحمر في قدح ، وأخرجت
من علبة في الحقيبة قرصين ألقتهما في القدح ، فلما
ذابا صبيت على الحمر الماء الساخن ، وعدت إليها
فوضعت حافة القدح بين شفثيهما وقلت في لهجة الأمر :

وسحبت كرسياً إلى جانب وجلست عليه أرقبها
وكان وجهها أشبه بقناع من الشمع . وإذ كنت
أعلم أنها ستنام ساعات عديدة فقد اختلست فترة
أرحت فيها جسمي بقليل من النوم

ولما استيقظت كانت عيناها لا تزالان منغمستين
وكانت مستغرقة في النوم . وساءت نفسي لم لا تفلت
روحها المذنب من جسمها وتعرف بوسيلة ما غريبة
طريقها إلى الرجل الذي أحبته فتواسيه في ساعاته
الأخيرة؟ ورجوت الله أن يكون هذا هو الذي حدث
لم يبق غير خمس دقائق حتى تبلغ الساعة الثامنة
فأمسكت يديها المترهلة بين يدي ، فقد وعدتها
أن أفعل ذلك ، وشعرت بحوشة السكوت المربع
الذي يكسر القلب ... ثم دقت الساعة الثامنة
فأحييت رأسي ودعوت الله في بساطة أن
يبارك روحه

وما زالت هيلاري نائمة هادئة ، وقد ألقت
أهدابها السوداء خطوطاً من الظلال على وجهها
الأيض النحيل

ودقت الساعة التاسعة ، فقلت في نفسي :
— فلأبلغ بشيء من طعام الإفطار
ثم دق جرس التليفون فاخطفقت الساعة قبل
أن يدق مرة ثانية ، وسمعت التكلم يقول :
— أنا الدكتور مارتن . أيمكنك الحضور
في الحال ؟ عندي حالة وضع متعبة وأنا عتاج إليك
فأجبته :

— نعم يمكنني أن أحضر حالاً
فقال الدكتور :

— اشرب هذا كله
قالت متوجمة :

— إنني أشعر بالبرد الشديد
قلت :

— سيدفئك هذا

فجرت الفتاة كل ما في القدر ثم وثبتت واقفة
وعادت إلى حركتها الاضطرابية تذرع الثرفة ذهباً
وجيئة ، وكنت أرقبها عن كعب . وقد صاحت في
صوت مختنق قظيع :

— تسع ساعات ... ألا خبريني كيف أحتمل
عذاب هذه الساعات التسع ! خبريني كيف أحفظ
بعقلي إلى الساعة الثامنة ... والموت !
فقلت وأنا أطوقها بساعدي :

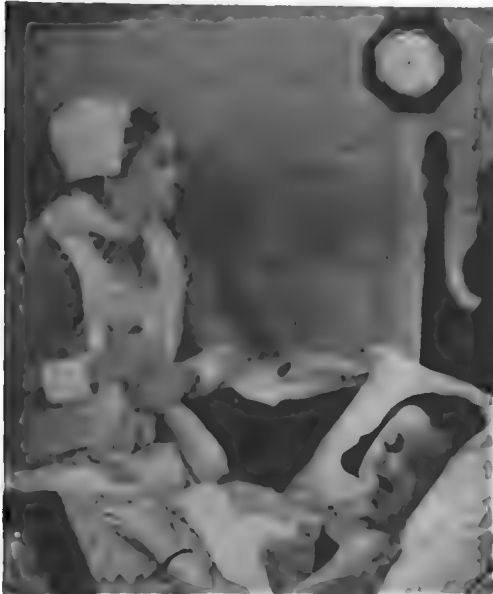
— قوى نفسك يا هيلاري واجتهدي في ألا
تفكرى في شيء

فأغمضت عينيها ومالت على متعبة وقالت همساً :
— أنا متعبة حائرة

ثم ارتجفت وهمت باسم نيكولاز ومالت إلى
الأمم فأمسكت بها وحمّلتها بين ساعدي
وأنا امرأة قوية وكانت هي هزيلة ضعيفة فحملتها
إلى غرفة نومي وأرقدتها على سريرى ، وخلعت
حذاءيها وجوربها وزعت ثوبها الخارجي وسحبت
عليها غطاء السرير ، وكان تنفضها إذ ذاك هادئة
منظما ، وكنت أعلم أنها ستنام إلى ساعة متأخرة
من الصباح ومن المحتمل أن تبغضني متى استيقظت
ولكني قد حميتها المذاب التي ينزل بها وهي ترقب
عقارب الساعة تدنو من الساعة الثالثة

و عرجه و هو صرخت إنه أألم أحضر و الساعه
الأولى أن تنى بأمرها ؟
فأجابت مسرعا :
— سأعمل لها بعض الحب . إن لم يودى

مرضى حتى من ذكر الصبية و سحر
إليك زوجها بعد خمس دقائق
ارتديت معطف و قبعت و ذهبت إلى غرفة النوم
فألقبت طرء على صلاتى و فوجئت و هى صعدت



مرحت إلى جو الصباح الذى من فوق
سهره أحمدة فى انتظارى و كتبها إلى جارت مسرعة
ذكر لك . فقال لى فى صوت أحضر مرعى
— مارى مرهضة جدا

هذه وصلت إلى لندن الآن و جرد
من ميل فصحى معها . فقلت لها
أنا معمره . فلبثت إلى صبحه تنه
و كانت مسر فراتكلن قد شعرت بالمرض و هى فى

فنظرت بسرعة إلى وجهه المتقعر وحاولت
مواساته فقلت :

— لا تنزعج يا نوم

لم يعض على زواج نوم من ماري أكثر من
سنة أشهر وكان زواجاً إجبارياً وقد سمعت أنهما
تاركا عماركا فظيماً وأنه هددها أكثر من مرة
بأن يتركها

ولم تكن المسافة بعيدة بين بيتي والبيت الصغير
الذي يسكنه بركز ، فدخلت إلى الدار بسرعة
وصعدت السلم الضيق إلى غرفة النوم حيث وجدت
الدكتور مارتن منحنياً على السرير فلما رأيته قال :
— حمداً لله إذ حضرت يا سيدتي الممرضة ،
فإن الشابة ضعيفة جداً ، وليس في مقدوري أن
أجمل الولادة طبيعياً

وكنيت أعرف ما يجب أن أعمل فبدأنا عملنا
في سرعة وسكون حتى إذا سلمني الدكتور طفلاً
قوياً باكياً قال لي في صوت متوتر :

« لا تهتمى الآن بأمر الطفل ، فكل جهادنا
الآن في سبيل إنقاذ الأم »

وبعد عشر دقائق قضيتها في جهد يائس التفت
عيوننا على الشابة ماري وقد جدت حركتها ، فهزرت
رأسي وقلت :

« لقد ذهبت إلى العالم الآخر »

ولما رفع الدكتور مارتن كفتيه التمتين رأيت
وجهه أغبر مجهداً . وقال في بلاء :

« لقد كانت صغيرة جداً لثل هذا الموقف ،
لقد كانت هي نفسها طفلة »

ثم وضع يديه على عينيه ، فقلت بسرعة :

« إنك متمب يا دكتور »

فهز رأسه وقال :

« لقد قضيت في هذه العملية الليلة كلها ، وقد

جئت إلى هنا مباشرة بعد عملية أخرى شاقة »

فقلت :

« إنك لن تستطيع عمل شيء آخر هنا ، فعد

إلى بيتك وحاول أن تنام »

فهز رأسه متمباً وقال :

« نعم ... أظنك على حق ، مسكينة هذه الطفلة

لقد تخنيت لو استطعت إنقاذها »

ثم مسح شعر ماري بأصابعه في لطف ؛ ثم سار

إلى الباب . وقال :

— أما ... ألك أن تخبري نوم ؟

فقلت :

— سأخبره يا دكتور .

وهبط الطبيب السلم الضيق ، وسمعته يستقل
سيارته ويسير بها ، فسميت شعر الميتة ، وعشقت
ساعديها على صدرها ، وضجبت الفناء على جسمها
الصغير .

وقلت في نفسي :

— مسكين هذا الطفل لقد كان خيراً له لو مات
هو أيضاً .

دقت الساعة الحادية عشرة فأخرجت الطفل
من الدار التي لفتته فيه ، وشرعت أدلك جسمه
بالزيت الساخن ، وكان صبيكاً لطيفاً قوياً .

فتح الباب ودخل نوم بركز فلما في تناقل
إلى الجدار وسألني في همس أجش وقد ملأ الجرح
عينيه :

— هل ماتت ماري يا أمة سارة ؟

فنطيت الطفل مرة أخرى وذهبت إلى حيث

وقب أبوه وقتل له في لطف :

— نعم يا نوم، قد ماتت ماري ولكنها قد تركت لك طفلاً ذكراً لطيفاً

فكانه لم يسمع ما قلت له فقال :

— لا بد أن أذهب إليها

ومشى يترخ متجهاً إلى السلم

وذهبت إلى المطبخ فوجدت إربق الشاي على الوجاق فلأثت قدحاً وشربته شاكرة

وبعد فترة قصيرة هبط نوم السلم مبكثاً وكان وجهه الصغير مجهداً ، فقال منهاجاً عبارته بنهد

عميق :

— هي راقدة جامدة لا تتحرك !

ولقد حاولت أن أواسيه ولكن لم أعرف كيف وبدأ الطفل يبكي عند ما حملته ووضعته على

ساعدي نوم قائلة :

— احمله حتى أسخن بعض الماء ، وإنه لطفل كبير يكاد يبلغ وزنه تسعة أرطال

ووقف نوم أول الأمر يحمل الطفل حائراً ، ثم رفعه إلى قرب كتفيه وضمه إلى صدره وأخذ يهينه

وطمئنته بقوله إنه أصبح في حضن أبيه . فسكت الطفل عن البكاء ، وبدأ الأب يظهر لإجابه بوليدته

وذهبت إلى المطبخ فأعددت شاياً جديداً وجئت بقطع من الخبز المقدد وعدت إلى نوم وألححت عليه

أن يأكل شيئاً ولكنه هن رأسه ، ومد إلى يديه بالطفل ثم اندفع على حين فجأة في البكاء وقد تقلصت عضلات وجهه وقال :

— يجب أن أتكل مع أحد من الناس يا عمة

سارة !

فجلست أحمل الطفل بين ساعدي وقتلت :

— تكلم معي يا نوم

فجلس أمامي وقد تقلصت أصابعه الشبكية بعضها ييمض حول ركبته حتى لقد ابيضت مفاصلها .

وانهمرت الدموع على خديه وبدأ يقول في حزن عميق :

— إنني لم أحبها قط ، وإنه ليحزنني أن أقول ذلك وهي راقدة في سرير الموت ، ولم أكن راغباً

في الزواج منها ولكن لم يكن من ذلك بد من أجل الطفل وكنت أنا المولوم . ولم تكن كلانا نرغب في

الطفل المنتظر ، فكنا صغيرين جداً فلم يكن ينبغي أن يكون لنا طفل فأنا لم أبلغ العشرين بعد وكانت هي

في السابعة عشرة وبعد أن تزوجنا وعشنا في بيت واحد أبض أحدنا الآخر بفضاً شديداً ، وكنا

تتأجر كل الوقت ، ومن أتمس الأمور أن يعيش إنسانان معاً وهما متباعضان مثل بنضنا

— ولقد اجتهدت أول الأمر أن أكون لطيفاً في عشرتها فقد كان يحزنني أمرها . ولكنها لم تكن

تترك لي فرصة الاستمرار في اللطف ، لقد أبغضتني لأنها كانت تترب أن تصبح أما . لقد كانت صغيرة

وجيلة وكانت تود أن تسعد بأيام شبابه . وقد اعترمت أن أتركها وأرحل بعيداً على أثر الولادة ، وقتلت لها

ذلك أمس فقط .

قلت لها : إنني سأب بعيداً عنك

وإني لأسف الآن أن قلت لها ذلك . ولقد عبرت لها عن هذا الأسف منذ لحظة وهي على سرير

الموت . ولكنها لم تسمعي . فعني لن تعرف بعد الآن أنني أسفت على ما قلت .

وحسبت التهنيدات صوت الفتى فوضع يديه على عينيهِ فلما نظرت إليه تألم قلبي لحاله ... إنه حقاً لفتى

بضمة منى « ولن يأخذه أحد من بين يدي »
فقلت معترضة لملي بقة الأجر الذي يتقاضاه :
— ولكن كيف تربيته يا قوم ؟ كيف تستطيع

أن تمنى بأمره ؟

فأجاب في صوت ملؤه الجذ :

— سأجد طريقى إلى ذلك ، وقد اعترمت ألا
أبعده عن بيتى . سأجد المرأة التي تحضر إلى هنا
مقابل الأكل والسكن . امرأة تمنى بابنى العناية
التي أريدها ، فهل تساعدنى يا عمة سارة في البحث
عن مثل هذه المرأة ؟

وكانت عبارته الأخيرة مشبعة بلهجة التوسل
والرجاء .

وعلى حين فجأة كشف الأمر أمام عيني وحلت
عقدة الخيط الربك ، ووجد السكان والعمل لن هى
أشد ما تكون حاجة إليهما . فقلت في لطف :
« إنى أعرف امرأة قد تقبل مسرورة أداء هذه
المهمة »

فقال الفتى متأنياً في حديثه :

« لقد قلت الآن إنه حينما كانت ماري فإنها
ستعلم بأننى أسف على ما قلت ، فأظن أننى لو حملت
ابنى الآن إلى حيث هى راقدة سأكون فسترانا معاً
وستعلم أننى لا أبغضه »

فسألته :

« أتريد أن أصمد معك »

أجاب :

« لا ... فإنى أفضل أن أذهب وحدى »

وفى الساعة الأولى جاءت إحدى الجارات لتبقى
مع قوم ربيما أذهب إلى بيتى ثم أعود . ثم خرجت
إلى جونوفير القاراس

تميس ! ليس له أهل يحيطون به ، فهو مخلوق وحيد
لا صديق له وبين يديه طفل عليه أن يعنى بأمره .
فقلت :

— لقد كنت أنت ومارى صغيرين جداً بالنسبة
للزواج . وأننا في الواقع لم نبض أحدكما الآخر
ولكنكما كننا نأثرين على الحياة ، ولو أنها طاشت
لصلحت الحال بينكما . فقال متنبهاً :

« لقد قلت لها أسس إننى أبغض مجرد النظر إليها »
قلت :

« ولكنك لم تقصد ما قلت ... وكفى واثقاً أن
مارى تعلم فى أى مكان كانت الآن— أنك لم تقصد
ما قلت »

فتوجع الفتى وقال :

« أود لو أصدق هذا الكلام »

قلت :

« حاول أن تصدقه يا قوم »

فسألنى في لهجة اليأس وقد رفع إلى عينيهِ
المنروقتين بالدموع :

« وماذا عسانى أن أفعل الآن ؟ »

فقلت في لهجة حازمة :

« يجب أن تواصل عمك . وعليك أن تربل
الأفكار المحزنة من رأسك ، وستجد بيتاً صالحاً
للطفل ويمكنك أن تدفع نفقات العناية به »

فوقف الفتى وإنيماً وأقبل نحوى فأخذ الطفل
من بين يدي ، وقال وقد زالت عن وجهه نظرة
الطفولة وبدت فيه خطوط جدية حابسة :

« هذا هو ابنى ، ولقد طردت من بيتى وأنا
في العاشرة من عمري ، فلم يكن لى قط: ما يمكن أن
أسميه بيتاً . ولكن هذا ابنى ... هو ملكى وهو

قضت يدي بين يديها وقالت :

— لقد كنت في شديدة الشفقة والرحمة ،
فساعديني الآن على الحياة في الأيام التي كُتبت لي
أن أعيشها

فقلت :

— إن هناك إنساناً أشد ما يكون حاجة إليك
ثم خبرتها بقصة توم وماري والطفل الذي
لا يريد أبوه أن يخرج من بيته ، حتى إذا انتهت
من قصتي وقفت مترنحة قليلاً وهي تقول :

— ذلك الطفل الصغير المسكين ! نعم سأذهب
إليه ، إنه ليندو غريباً أن يكون هناك حقاً من هو
في حاجة إلى

ورأيت عينيها وقد زال منهما أثر الجزع فكأنتا
هادئتين حزنتين لحده يستحيل وصفه
ثم قالت في بساطة :

— يريدني نيكولاز على أن أفضل ذلك . فقد
طلب مني في الليلة الماضية ألا أحزن .
وأسرعت هيلاري في ارتداء ملابسها حتى إذا
انتهت أحضرت لها قفصاً من الشاي ، وقلت :

— سنتفدى في بيت توم ، ولا بد أن يكون
المسكين جائعاً جداً .

وبينا كنا نصعد سلم بيت توم سألتها :

— هل تعرفين شيئاً عن الناية بالأطفال ؟

أجابت :

— أستطيع أن أنعم .

كان توم جالساً إلى جانب الموقد يحمل الطفل
على ركبتيه ، وكان بكاء الصغير يصعد من طيات
الثياب الملفوف فيه . فذهبت هيلاري مباشرة إلى
حيث يجلس وقالت :

ووجدت هيلاري لي لا تزال نائمة . ورأيت
على وجهها معالم الجمال والسلام

غسلت وجهي ويدي ورتبت شعري وارتديت
ثوباً نظيفاً

وتحركت هيلاري وتأوهت ثم فتحت عينيها
وقالت في شيء من الجحول :

— إنه الصباح

قلت :

— نعم يا هيلاري

غسلت وأزاحت شعرها الكثيف الأسود عن
جبهتها ثم قالت في لهجة مجردة من كل معنى :

— لقد مات

قلت :

— نعم يا هيلاري

قضت تقول متمهلة في الحديث :

— لقد حلت حلماً غريباً ، لقد خيل إلي أنني
اجتمعت به وتحدثت معه ، فقبلني وطلب مني
ألا أحزن . لقد كان ذلك حلماً ، ولكنه كان أشبه
بالحقائق حتى أنني احتفظت به ؟

وجمع حجابها في تعطب يدل على الحيرة وقالت :

— أنت سقيتي شيئاً يجلب النوم ؟

— نعم يا هيلاري

فسألتني :

— وهل علمت أن هذه هي الوسيلة الوحيدة
التي تتمكن من الوصول إليه ... والجلوس منه
آخر الأمر ؟ هل علمت أنني في أثناء النوم ينطلق
قلبي حراً فيذهب إليه ؟

أجبت :

— إنني لم أعلم ذلك ولكنني رجوه

لقد وجدته في تلك الليلة . لقد وجدته حقاً .
ولم أقفده قط منذ تلك الليلة . فهو أقرب إلى مما كان
في أى وقت من أوقات حياته . وهذا هو الذى
يشجئني ويهينى الأمل والسلام . وإنى لأعلم أننى
سأبقى دائماً قريبة منه . وإنى لأحلم به في أغلب
الليالى وأنا بذلك جد سعيدة
وسأعمل وأنتظر تلك الليلة التى يذهب فيها
قلبي إليه بدم نوبى فيلقاه وأعلم أننى سأبقى معه بدم
ذلك إلى الأبد

ثم ضحككت في رقة وقالت :

إننا نسمى ذلك الموت ولكننى أعلم أن هذا
الأمر متى جاء إن هو إلا حياة الخلود ...

عبد الحميد محمد

المجموعة الاولى

للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائبى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومتنوعة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

— إعطاني الطفل . فقد جئت لأعنى بأمره !
وجلس على أقرب كرسي ، وقد شعرت بجفأة
بأننى قد شخيت وتعبت جداً ، ولاحظت أن عقربى
الساعة قد أشارا إلى الثانية . فقلت في نفسى :
— سأتمشى الليلة بالسجى والبساطس .

وبقيت هيلارى لى مع توم إلى أن بلغ الطفل
السنة الثالثة من عمره ؛ ثم تزوج توم مرة أخرى
من فتاة طيبة جداً أحببت الطفل حباً شديداً . وغادرت
هيلارى البلدة ؛ فشعرت بوحشة شديدة لها لأننى
قد تموت أن أحبها .

وغابت هيلارى ستة أشهر . وفى إحدى الليالى
عند ما عدت من بيت بعض المرضى فوجدتها جالسة
في غرفة جلوسى ، فلما رأتنى ابتسمت وقالت :

— مرحى بإسارة ، لقد عدت لأقيم معك
إذا كنت محتاجة إلى
فقبلتها وقلت :

— بارك الله فيك ، إننى لم أشعر قط بوحشة
لإنسان كما شعرت بالوحشة لك .

فقالت :

— إنى أريد أن أعمل مثل عملك ، فهل تظنين
أننى أصلح ممرضة نافعة ؟
فقلت :

— إنك تصلحين ممرضة نافعة جداً للوالدات
قالت :

— إذن قد اتفقنا

ولما جلسنا تلك الليلة نتمشى في غرفة جلوسى
البهيجة تحدثت مئى عن نيكولا ، فقالت وقد
أكسبها برقى عينها جمالاً رائعاً :

الأب

لَكَابِ الْأُمَانِي وَلِهَلْ شَبَبُونَ
بِقَلَمِ الدِّكْتُورِ عَلَى حُسْنٍ

في الحصول على شبه العوبة
ألهوبها

على أن الرغبة كانت في نفس
امراتي أقوى وأمر، ولكنها
كانت تهرب من رغبتها في صمت
ويحال تكاد لا تدرك . غير
أنني لم أستسلم لتجاذلها وتهربها
ولربما لم يكن لي إلا الفرزة

التي تدفع الرجل ليصير أباً

وفي النهاية اشتدت الرغبة في المرأة أيضاً
وأصبحت تلح في الحصول على طفل ، ولما تمهينا
الطليعة ابناً وجب علينا بدورنا أن نخدعها كما خدعتنا
فأخذنا نبحت عن طفل غريب

ولكن ما العمل في ظرف مثل هذا ؟

عمدنا إلى مستشفى قريبنا حيث تله الشابات
أبناء لا يلبثون أن يصبحوا عبثاً عليهن . كلا
لا توجد هناك أم لا تحرص على ابنها كل الحرص
رغم كل شدة وضيق

في احتمال آخر : وهو أن نرضى بطفل من
هؤلاء قصد تربته فقط وفي هذا من المخاوف والمخاطر
أن يسترده أهله بعد زمن ؛ وكيف يكون حاله وقد
شغفت به حباً ؟

انتهى تفكيري في الطفل كالموبة وأداة للتلهي
وأصبحت أفكر في طفل يدوم لنا نسعد بنموه
ولا يمسرح أحد أن ينزعه منا ، يبق بيتنا ويقضي
الحياة معنا ويحبنا حب الأبناء للأباء الحقيقيين

حقيقة قد أصبح لنا في مدى الاثنتي عشرة
سنة من زواجنا كلبان ولكننا لم نرزق طفلاً واحداً
ولقد بدء الكبر على الكلب الثاني من كثرة
التجوال طوال هذي السنين فاستأجرنا منزلاً
كي تكفل له فيه الراحة

لذلك وجب علينا أيضاً البقاء معه في المنزل
ولو أن أقدامنا لا تشكو تبعاً بل على العكس تنحفز
كثافاً بالرحيل وحباً في الحركة . إذن وجب علينا
الخنوع لصيف مملوء بالأمطار وشتاء يكثف فيه
الضباب بينما كان في وسعنا — لولا هذا البيت —
الرحيل إلى الجنوب

هنا تولد في نفوسنا شغف جديد نحو حياة
أغريز وأوفر من الحياة التي نحياها . تتوق إلى حياة
تضاف إلى حياتنا ، فضمامنا إلى أسرنا فقط في الأسبوع
الثالث من حياة لم تقو عينا على شدة الضوء

وأضغنا إلينا ما طاب من دجاج وخراف أو ماعز
ولكن البيت ينقصه شيء ، ينقصه طفل
والواقع أنني في البداية ماشفت شغفي هذا إلى الرغبة

لامرأتى أخت التحت بمحاشية فتاة ثرية مسنة يجب أن تصحبها في رحلة . ولقد ملت زوج هذه الفتاة قبل ولادة طفلها . والآن تريد أن تكل أمر هذه الابنة إلى من تطلعن إليهم فسألننا إن كنا نقبل رعايتها لمدة ثلاثة شهور أو لنصف عام . ولم يحض خمس دقائق حتى كان الرد في صندوق البريد بالموافقة

موافقة ليس فيها تحفظ ، وقد غلبنا طيش المفاجأة فلم نفكر في صغوة انتراع الطفلة من بيننا بعد ربع أو نصف عام . لقد قبلناه اقتراحاً مفقداً لنا مما نحن فيه من اضطراب عائلي كاتلية لصوت القدر . وعلى كل حال إن هي إلا تجربة نتعرف بها حال طفل غريب بيننا ، وكيف نوفق بيننا وبين هذه الطفلة في هذه العلاقة الجديدة

جاءت الأم بالطفلة ، وتكاد تكون الأم أيضاً طفلة ، شقراء وضاعة الوجه باسمه كاللاك . وكانت طول يوم الفراق دأمة الابتسام فتفتقر عن ثنايا جميلة يبدو معها جانب من اللثة . بقيت معنا هذا اليوم تقود لنا طفلتها في كل تصرفاتها وعاداتها ، وتحدث إليها وتفتي لها ، ثم تنظر إلينا كي ترمق فينا عين الرضاء .

رضى ! وأى رضى ! لقد كنا نرعد من فرط النشوة . وبقينا نرقب اللحظة التي تفارقنا فيها الأم وتبقى لنا الطفلة وحدها ، وكنا نأخذ التمايل الدقيقة في عمن ونفهم شئون التقذية وطريقة حمل الطفلة والعناية بها .

أتعجب ! لقد ظهر أن زوجتى مدركة كل أمور الطفلة كالأم تماماً ؛ إننى لم أرزق طفلة بحسب

حقيقة أمرنا أن شغفاً قوياً ملك علينا مشاعرنا ، نريد أن يثمرنا حب طفل . حب إنسان لا تتغير ولا تبدل مشاعره نحونا شأن الأصدقاء الذين صافيناهم وفقدناهم . نريد حياته وحظوظه متصلة بنا لتكوّن وحدة سامية وسط هذه الحياة الملوقة بالبنفس الجمة الصماب والمتاعب

أيقال: عديم الأبناء عديم الهموم؟ إننا نريد هذه الهموم ! لقد أصبحنا لا نتمتع بالنسافة في الحياة إننا بنى الحياة كاملة بهمومها وآلامها وأيضاً بسعادتها

تصفحن الجرائد فوجدنا بين الإعلانات عدداً ليس باليسير من الأطفال قد عرضوا كسلعة تباع وأعلنوا عنهم بين المقار والأثاث والآلات المستعملة . وإن تعجب فمجب لمن يتناولون أموراً لا تكون في متناول أى إنسان : أعنى حظوظ البشر ولما كثر علينا المرض أصبح لنا أن نتخبط وندقق في الانتخاب

حقاً لقد صرنا نتخبر وندقق بيننا غيرنا من الآباء يقولون ما وهوا من بنين ؛ وهم بما وهوا سعداء حتى ليعلم الآباء الحقيقيون بأبنائهم المرضى أو المجزة أو الممي بحنان وعطف خارقين

أما نحن معشر الآباء المتجنين لا نعرف لرغائنا حد الاعتدال . إننا لا نبني سوى طفل كامل الصحة قوى البنية تام التكوين فتنة في جماله . فنحن نتطلب من دنيا التفائض كالأليس في ملتنا

ولما أضنانا البحث والتنقيب طوال ستة شهور أقبلت المقادير في عوننا

ولقد حمدنا الله كثيراً أن انتهى الفراق بهذه
الوداعة .

ولكنها ما وصلت إلى باب الحديقة حتى لاحظت
وأنا أرافقها خلف النافذة بناظرى أن خطاها بدأت
تتمثر فكأنها أخذت تستيقظ من حلم . وبدأت
تشر ييدها الخالية وكانت تحمل طفلها قبل هنيئة،
ثم حولت وجهها نحو الطفلة مرة أخرى ولكنها لم
ترها فقد اختفت خلف جانب من البيت وتابعتها
ناظرى وهي تسير في صحبة زوجتى بخطى خائرة
كالذين يعيشون في نومهم وهي تتبند بكل خطوة
تخطوها عن طفلتها وشاهدت أكتافها تهتز هزات
عنيفة نتيجة بكاء مكتوم

لا أعجب في الوجود من محكوم عليه بالإعدام
يحرك قدمه ويسى إلى مكان حنقه بنفسه .

هنا عني شعور من الحياء عظيم . هنا بداية
للإثم كبير

لقد تظاهرتنا جميعاً كأن كل ما في الأمر مرور
ربيع عام ولكننا نعلم في خفايا أنفسنا أنه وداع أبدي
وفي هذه اللحظة قضت في لأصرخ خلف الأم
لأقول لها : « قى لا شأن لى بطفلك »

فى هذه اللحظة انطلقت صرخة صادرة من الأم
ليست من أصوات البشر بل صرخة حيوان
لقد استحال إشفاق إلى حنق فما سمعت إلا
اتهماماً لى، لى لأتوارى خجلاً أمام جيرانى، ألم يكن
هذا هو القدر الصارخ الذى اغتال أباهما

والآن يحتل مكان الوالد آخر . أنا ذا الذى
يحتل مكان الوالد وبذا أكون قد أدبت عملاً جليلاً

بل وهبت امرأة فى حال جديدة ، والأمر الوحيد
الذى لم يكن فى استطاعة زوجتى القيام به هو تندية
الطفلة من ثديها ، وبذلك وجب على أن أتنازل عن
هذه الصورة الخلابية من الحياة

ترقد الطفلة فى الحديقة فى عربتها الزرقاء
الخشبية التى اشتريتها بمجرد حضورها ، وهى الآن
نائمة قد حولت وجهها إلى الجانب . وقبلما كانت
لا تحركنى قوة لمشاهدة رضيع ولو هنيئة قصيرة .
والآن وهبت المين التى ترى المعجزة التى يحملها
هذا الوجه الذى لا زال يحوى ضوئاً من أضواء
العالم الذى أتى منه ، وإنى لأشعر بإشفاق يتملكنى
إزاء هذه المخالفة الساجرة التى لا يدرك سوى الله
أى المتابع تنتظرها ، كذلك تملكنى الشعور القوى
بأن أتمهدها بمحايى وأدود عنها .

صه ! هناك ساعة الكنيسة تدق الساعة .

هت الأم تنهت للرحيل فى صمت وجود وفى
شئ من السرعة ، لأن الطريق إلى المحطة طويل .
وعادت إلى الحديقة والقبعة على رأسها وقد لبست
مطعها الصينى وأقبلت تودع ابنتها

بكاد وجه الصغيرة يهبط بين ثنيات الوسادة
وبقيت زاوية صغيرة من وجهها لتطبع الأم
عليها قبلتها . ولم تحاول أن توقظ الطفلة كي يكون
الفراق هيناً . ولم تبلل عينيها دمة واحدة ؛ وكل
ما حدث أن جانباً من فمها حوته قشعريرة فيها شئ
من المرارة

ثم قالت وهى تبتمس ابتساماً قواهنة « بعد ربيع
عام ! »

هذه الرواية التي تخليق بشموها

وبعد زمن هياماً للطفلة حظرة : سباحاً من
الحشب مربع الشكل فيه تتحرك جالسة وهي تستخدم
كلتا ذراعيها كأداة تترجح بهما وكأنها عائمة تسبح
بهما من مكان لآخر

ولقد عجبتنا كل العجب حين وجدناها في يوم
من الأيام فوق الأعشاب خارج الحظيرة . فقد نهضت
وعمدت إلى الملحق وأزاحتها فانفرج وهذه أول ظاهرة
ليقظة الذكاء ! والجليل الطريف أنها استخدمت
للخلاص والحرية

لقد أصبح في غير المستطاع حصر قوة الحركة
في الطفلة في هذا المكان الخشبي الضيق فقد طفت
على مقعها وطلقت تجوب الأنحاء طوراً هنا وطوراً
هناك ، تتحرك وفي صحبتها كلب وقط إلى أن تصل
إلى سور الحديقة ، ولا تمتداه كقوة لا تقبل ولكن
إلى متى ؟ ومتى تقتحم هذا الحصن أيضاً ؟

إن بين الأطفال والحيوانات لملاقة غريبة ...
تمدنها وتضع أصبعها في أعينها وتجنّبها من أذنها
وأذنها ، وكثيراً ما تصيح هذه الحيوانات من
من فرط الألم وتفر ، ولكنها لا تؤذي الطفلة
ولا تلبث بعد قليل أن تعود إليها . ولم يكن تنذير
الطفلة للحيوان عبثاً إذ لا بد أنه عن قصد يمت إلى
غريزة لا تدرك في الخلق من بداية نشأتهم ؛ ولا بد
أن الحيوان يشعر نحو هذه المخلوقة بشيء من التبعية
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تحس وتخضع للطفلة
البشرية فيها

كنا إذا تحدثنا إلى الطفلة - ولو أنها لا تفهم
ما نقول - نعتب أنفسنا : أمّاً وأباً . وهكذا

ربما كنت الوالد الوحيد الذي يستطيع أن يقول
عن طفليته ما أجملها وإنها أجل مخلوقة في العالم ،
أستطيع أن أقول ذلك ولا أكون موضع سخرية
لأنني حين أبهر لرأى هذه الميون المتحركة قليلاً ،
وأفقت بشرفها الحكم وهذه الأيدي الدقيقة الصغيرة ،
إن فعلت ذلك لا أسخر من نفسي فليس لي شخصياً
فضل في ذلك

لا يوجد في دم الطفلة ذرة واحدة تنفرها منا
ولا بد أنها شاعرة بطيب الميش بيننا كما لو كانت
مع أمها . بل هي الآن أسعد حالاً إذ بدلت قنّام
المدنية بدنيا ملؤها الشمس ، واستعاضت أرضاً
مغطاة بالأسفلت بأخرى تكسوها الحشائش . ولقد
أخذت الطفلة تنمو وتترعرع وتتفتح بعد أيام
قليل . وكثيراً ما تركناها عارية فوق الأعشاب
وبذا اكتسبت بشرتها سمرة جميلة

وكثيراً ما توافد علينا الجيران - وقد اكتسبنا
تفهم - ويقولون وهم يهبطون برؤوسهم إلى الطفلة :
« لقد صادفت الطفلة هنا مقاماً رحباً »

وحين تكون في الفضاء تجلس وتعلق في الهواء
بكلتا ذراعيها ، وتحدث ولو أنها لا تستطيع أن
تنطق بكلمة واحدة ، إن هي إلا أصوات ومقاطع
تطول وتقصر ، وحيناً ترتفع وحيناً تهبط ، وكأنها
تسافر وتحدث إلى جمع لا يرى من المستمعين
وكثيراً ما يقاطع الحديث ضحك فكها عجيب ، أما
ذراعاها فكانتا تارة تمتدان نحو السماء وتأتيان بحركات
فيها ازدياد واحتجاج غير مسموع ، وطوراً تجمع
هاتان الذراعان الدنيا كلها بينهما
وكثيراً ما وقفت في جانب من البيت لأشهد

وأنها لا تبكي قط ، فأجبتها على الفور في غير وعي :
« لقد أخذت هذا الطبع عني ! »

لقد زال من فكري كل ما يذكرك بالوالد الحقيقي للطفلة . ولما استحضرت لها قدحاً لتشرب منه اللبن نقشنا عليه الحرف الأول من اسمها إلى جانب الحرف الأول من اسمي ، وحين قيدنا اسمنا في قائمة الضرائب ووجب ذكرها قيدتها بلا تفكير إلى جانب اسمي

أنا خطاب من أم الطفلة ترجونا بل تتوصل إلينا أن نستبقها عندنا . ولقد أهملت الرد على هذا الخطاب لأن بقاء الطفلة عندي مسلم به لا شك فيه . أنا لن أفرط في هذه الطفلة إلى الأبد

إن هذه الطفلة تخلصني بقوة لإعاني ويقيني

— ٣ —

بعد حين حدث أمر أفرغنا
خرجنا مرة تمشي ، وفي أوبتنا سمعنا بكاء الطفلة عن بعد فسمعنا إليها سعيًا فوجدنا الخادمة تضربها بنصن شجرة وتقول لها : « أيها القبيحة » ولم تبد الخادمة أي اهتمام ، وادعت أن الطفلة كانت تبكي ولا تريد أن تقف بيكأها عند حد وإنما فعلت ما فعلت لإسكاتها . ولما أئبتها قالت : « ماذا ؟ ليست الطفلة طفلكم وليس للطفلة أب »

أي غش نطقت به الفتاة ! احتضر طفلتنا ولا تترف بأبوتي ؟ من هذا الحين أصبحتنا نحشى ترك الطفلة في البيت فوضعت توأمقداً أمام دراجتي وبدأ أصبحت في الإمكان أن تقطع معي المسافات الطويلة بين الأجرع والوديان لتسبح للعالم وتغني له ولقد بدأت الشكوك تتولد في نفسي نحو أهل القرية في أنهم إنما يضربون لي السوء ، وجعلت أجد

كنت أنمت نفسي فأقول للطفلة : « أريدن الذهاب إلى مكتب البريد مع أليك ١٩ »

وما تحركت قدمي إلى مكتب البريد إلا والطفلة معي . لأننا نسير في طرق ملأى بالحوانيت وأمام الحوانيت تقف الناس ، فأحمل الطفلة فوق ذراعي وأمر بها خلال المزارع ، ثم أخرج إلى الشارع الرئيسي بخطى مرنة ، وأشعر وكأن كنتي زودنا بمجانحين والكل يفوه بكلمة الإعجاب ، وتعر النساء بأيديهن فوق شعر الطفلة الحريري الأشقر الناصع إلى حشد البياض ، وحينما تقف بعض الفتيات المتجولات وينمن النظر في الطفلة وفي ، ويدمى أن يحسبني الوالد الحقيقي وهذا ما يمنني أزمه وأباهي . وحدث أن وقفت لإحداهن وتناولت يد الطفلة وتحدثت عن وجه الشبه بين الطفلة وبينني

بدأت أنسى شيئاً فشيئاً أن هذه الطفلة ليست طفلي وأخذت أشعر بتضاوة وإبلاص حين يذكر الناس أن الطفلة وجدت بيننا مكاناً رحيماً . إنني لا أريد أن يذكرك أحد أن الطفلة مقاماً أو موطناً في أي ناحية أخرى . وحينما كنت أفرس في المرأة لأرى وجه شبه بين الطفلة وبينني . فكثيراً ما يصبح بمرور الوقت بين الزوجين شبه ، وبين الصديق والصديق شبه ، حتى الكلاب تحمل من ملامح سيدها شيئاً ...

وكثيراً ما كنت أرحل بدراجتي ومعى الطفلة إلى البلدان القريبة حيث لا يعرفني أحد ؛ وهناك أستمتع بزهو الوالد دون أن يحكر على أحد نشوتي . وأصبحت أحتاجني المروء من الشارع الرئيسي حتى لا يذكرك مذكر بمرکز أبوتي . ولقد أطرت امرأتني مرة طبع الطفلة المرح وخلقتها المهادي

وكانت «لو» ملاك الشاطئ الرقيق الصغير .
وأما الوالد الذي يتقبل الاطراء والتهاني في مداعبة
وبساطة أجبت التظاهر بهما وفي الليل أضطجع
بقلب خائف من فرط الطرب بسماقي
ولم يكن البشر الأشقر وحده الذي اجتنب
قلوب الناس في «لو» فقد كانت على الشاطئ مثلة
أسوجية بطفلتها التي سادقت «لو» وقد حدث
لطفلتنا أكثر مما أسمع به فما انحنت رؤوس السيدات
إلا «للو» ولا قبلن غير «لو» ولا حملن فوق
أذرعهن سوى «لو» ولا كانت الهدايا إلا «للو»
ولقد كان بين الزلاء زوجان لم يرزقا ولدا مثلنا
انها لا على «لو» بالحلوى والحلى والسب إلى حد
اضطرا إلى منمنما في شيء من الشدة ، كذلك وجب
علينا أن تقى لطفلتنا من الاطراء والألقاظ الحلوة
المفسدة للصغار فقرنا بنضب الناس الذين بدأوا
يحقنون علينا حقنا مصدره الجسد

هنا شرعت بانتصار وزهو بترايدان ولو علم
الناس الحقيقة !

في هذا الحين بدت سحابة قاتمة في سماء حياتي
الجديدة إذ كلما كانت «لو» في جمع من الناس
الغريباء وأردت أخذها من بينهم بك
وقد كانت إلى هذه الآونة طفلة بنير عبرات ؛
وكانت إذا سقطت على الأرض تضحك ولا تعرف
للضحك نهاية

والآن تبتكي بكاء عجيبياً في هدوءه ، عجيباً في طوله .
وأعجب من هذا أنها تقوس أسابها الصغيرة وتعمل
بأظفارها رغبة في إيلاي

لقد أذهلتني بكأؤها الذي لا أنهم كنهه كما
أذهلتني هذه الرغبة الجديدة في إيلاي

في كل كلمة قلت غرضاً مقصوداً ، وبقيت في هياج
شان كل حياة تحوى كذبا

ليس هناك ثمة دليل على أن الناس لا يمتثلون
الطفلة الاعتبار كله . على أنه ليس هناك أيضاً أدنى
شك في أنهم أرادوا إيلاي . فقد كشف لهم عن
موطن الضعف عندى ، وهذا أمر كائن في طبيعة
البشر ؛ وبأدى بدء يأتون ما يفعلون حياً في الردع ،
ثم حباً في المداعبة ؛ وفي النهاية حباً في الإيذاء
للإيذاء فهم يعبثونني تعذيب الطفلة للكلب والقط
يسألون الطفلة عن أمها وهي لا تدري مايقولون
ولكن إلى متى تبقى لا تدري

لا بد من الخلاص من هذه القرية حيث يمرفا
كل إنسان إلى مكان تكون فيه غرباء يتحول
كذبي فيه حقيقة

— ٤ —

تدعونا رقة الطفلة إلى الرحيل للبحار وأقرها
منا البحار الجنوبية ، إذن هيا إلى البحار . هناك
عشش صغيرة من الخشب يجلس الناس حولها طول
النهار فوق الرمال وينطى التليان أطفالهم بالرمال
فلا يبدو منهم سوى الرأس وهذا ما فعلناه مع لطفلتنا
كي يقوى جسمها بهذه الوسيلة

ولقد وجدناها مرة تلهو بالرمال بمحرف وإناء
فأغمضنا أعيننا من ضوء الشمس ؛ وبعد ربع ساعة
اختفت فهمنا في خوف نبحث عنها فالفيناها في جمع
من السيدات والسادة التليان قد سمعوا بها وبشرها
الأشقر .

وكلا ستلت الطفلة عن اسمها أجابت «لو»
وبذلك احتفظت بهذا الاسم الذي أعطته لنفسها

— ٥ —

وفي السماء تبكي بكاء هجيباً طويلاً لا يؤثر فيه المطف
إلا أن يزيد في اشتداده

إن بكاءها موجه إلى الجهول، إلى الأب الذي
تسمر به شعوراً غامضاً .

هل هو يتأجها من عالم بعيد عن تصورنا ؟
وهل ينبطئ على امتلاك الطفلة ؟ أجل إلى لأشهر
بمدائه لي وقد بدأت النيرة تجدد منى غداً شهياً ...
وهذه لا تلبث أن تتحول إلى بغض طائش .

ولقد عمدت إلى صورته فأقصيتها حتى لا يتسنى
للطفلة الوصول إليها حتى بعد سنوات . سوف يأتي
الوقت الذي نقص عليها فيه قصته ونذكر لها أنها
ليست من دمنا وأنها لم تكن سوى ربيبة . ولكن
لا محالة في ذلك .

— ٦ —

وضمت الحرب أوزارها وسقط المارك ووصلت
أسمار الحاجات إلى الأرقام الخيالية وعاش المضارب
والفلاح في ثراء ورغد ، وعانت الطبقة المتوسطة
ما عانت ، فكانت « لو » الضوء والأمل والسعادة
التي تسبناهم الميش ، وقد وصلت إلى السن التي
يجب أن تذهب فيها إلى المدرسة .

قالت زوجتي : الآن حان الوقت الذي ترفع لها
فيه النقاب عن أكنوبتها .

قلت : إذن تكون قد أوجدنا سبباً لسخرية
الأطفال من « لو » وكيف تتحمل الصدمة ؟

إن التي يقودها إلى المدرسة ليس بوالدها الحقيقي
ككل الأطفال الآخرين . غير أنني كنت أخشى
في نفس الوقت أن أقفدها بهذا التصريح .

صارت تسمى كالطير في خفة ورشاقة إلى المدرسة

جاءت الحرب

وقف الناس على الشاطئ في لباس الحمام
والمصحف اليومية في أيديهم

إذن وجبت علينا العودة

وكنا نسمع سنابك الخيل تصطك بالأرض
وكانت هذه أول ظاهرة مبروعة للتنمية

ولقد وقف بنا القطار في كنستانس ومن ثم
وجب علينا الانتقال إلى ألمانيا سعيًا على الأقدام

وكانت النساء السويسريات وأطفالهن معهن
يشهدن بيمون بأكية الرجال الألمان الساعين إلى الموت .

وكنت أحمل طفلي فوق ذراع وجبتي بالنزاع
الأخرى ولذلك اختصني إشفاق معظم الناس، وهنا

كنت أستمري لذة الأبوة في معنى ما كنت أتوقمه
ولقد استقبلتني زوجتي وابنتي على المحطة لدى

أول عطلة لي في الجيش . ترى هل نسييتي « لو » ؟
كلا . وإن أنس لا أنس التعبير الرسم على

عيانها وهي تطل على لأول وهلة ، هذي الخالوة
الريقة النخورة أن لها أباً كما كنت نخوراً لكس

السبب .

ولكن ما هذا البحث والفحص اللذان تقوم
بهما عيناها ؟ هل بدأت صورتي تضئف في خيالها

مدة غيبتي ؟ وبدأت صورة والدها الحقيقي تمثل أمامها
ومصدر هذا إلهام غامض آثاره حينئذ ألم ترى هل

شعرت بحجية بعد طول الانتظار ؟ وهل من أجل
ذلك كان جودها وسكونها في البيت

صاحت طفلي رغم تطلق لها ؟ غير أنها كانت
تترجم مني وتجهد أمامي وترض عني وتتمدد إلى

هرائسها حيث خلقت لنفسها بيتها عالم غير عالمي

مصدر هذه النظرة، وإذ يلتقي ناظرى بنظر هذه المرأة في هذه الآونة تجمد كأن فكرة معذبة تمانينا والكارثة الكبرى أن الطفلة أخذت عن المرأة الجلود التى جعلها جامعة جامدة إزاء كل كلمة أوجهها إليها، وهذا ما أقام بين عالمها وعالمى سياجا. وحينا ألحظت في وجهها عداوة وصرارة ظاهرين يتبعهما بكاء هادئ طويل لا ينتهى إلى منتصف الليل إلا حين تجلس امرأتى إلى حافة سريرها وتضم الرأس الأشقر إلى صدرها في سكون

ويعد عام اتخذت «لو» لنفسها صديقا وهو طفل في الحادية عشرة من عمره عليه سياء أهل الجنوب وجعلت فيه المثل الأعلى لتخلياتها، وقد وفد إلى قريتنا لقضاء عطلة الصيف بها ولا يوجد في الوجود سواه من أخذ من نفسها هذه المكانة من الاحترام والتجعة، كما لا يوجد مخلوق تتق بكل كلمة منه غيره، وهو الوحيد الذى له سلطان عليها. وهنا أيضا وجدت بها تلقى الطرف بأحسة في الوجه الجديد... هى تبحث عن الوجه الفاضل في غيبتها لتقبيل وجه الوالد الحقيقي. والمعجب أن وجه هذا الطفل الأحمر الراسع المينين بسياء أهل الجنوب، يطابق وجه والدها الميت تماما - مع أن الطفلة لا تعرف عن والدها شيئا - ولقد أصبحت في محبة هذا الطفل هادة يتلأأ وجهها في سمادة نفسية دخيلة وكأني بها امرأة صغيرة قد ملأ الحب نواحي نفسها فبدت برشاقة لا حد لها، وكنت أشعر بسعادة لرأى هذين الطفلين جالسين متماثلين على مقعد طويل يتحدثان بصوت خافت؛ ولم يداخلني - وإيم الله - غيرة ولا حاولت أن أسمع ما يدور بينهما من حديث، وشعرت كأن جانباً من جزيرتي

رغم جميعها الضخمة التى تثقل عاتقها.

وكنّا نجلس مساء في شرفة المنزل الخشبية نمزق بالقيثار ونغنى وأخفت صوتى حتى يبق صوت «لو» عاليًا جليًا فتغنى في عذوبة كثرديد البلابل. ترى ماذا عانت هذه الروح الوديمة حتى يصدر غناؤها مرثدا الرنين؟

بدأت أشعر كأن نفسى في قرارها تغنى مأخوذة بقوة فائنة خفية وكان قدى بدأنا تسبحان خفة وطربا. لقد جعلت الطفلة منى رجلا طيبا

أواه، لقد عاودنى الوسواس بفقدانها. وأصبح الكذب لا يجدى فتيلًا

لقد وجدت لوزملاء للعب وإنه ليسرني أن أراها وسط الأطفال ترقص وترح بينهم والمعجب إذا كان الرجل وانصرف الأطفال عنها كانت لا تطيق البعد عنهم ولقد روعى عنادها وتعلقها بالأطفال حين انصرف عنهم عنها

ولقد نفر الطفلة منى تطرق في حبالها التى وقست فيه كل أرضها فقد أحست لأول مرة ما يخفى هذا الحب من اضطراب وأصبحت تقابل عطفى وإشفاقى لأول مرة. شئ من التمنع والجفاء. ولقد باغت الطفلة مرة وهى تفحصنى بنظرها خلسة فحسما وإنها لنظرة لا يمكن لمخلوقة أن تلقها على والدها الحقيقي وخاصة في هذه السن في عامها الثامن

والمصيبة أن والدة إحدى صويحيبات «لو» أحست أن هنالك سرا خلف علاقته «بلو» ولقد لحت هذه المرأة وهى تفحصنى بنظرها خلسة، وهذه هى نفس النظرة التى اكتشفته في «لو» والآن أعلم

« ليس بينك وبين لوشبه » إذ شمعت أنها قد جرححتى جرحاً قاتلاً فطردتها من بيتى .

— ٧ —

لقد اتابتنى حى فى الأعصاب لأفهم لها سببها وبعد ساعة من الإصابة كنت فى عربة المستشفى و « لو » فى صحبتي تنظر من نافذة العربة ولا تفهم للرحلة خطورة فلم تكن لها سوى زهرة سريمة . ووجب على زوجتي أن تبقى معى ، وتركنا لومع الخادمة فى البيت .

فى هذا الوقت كانت لو فى الخامسة عشرة من عمرها وقد وجدت مدة غيبتنا شأباً تملقت به وجعلت له من منزلنا موطناً رجلاً يدخل ويخرج ويأكل ويشرب كأنه فى بيته تماماً . وكنت أقول لها « كل ما نملك لك » فكانت تهب هذا الفتى — وكأنها فى حلم — كل ما يصل إلى يديها مأخوذة بزعرة حب الإعطاء . أما الشاب فكان من الماطلين الذين لا يصلحون لشيء .

ولما خرجت من المستشفى وعدت إلى البيت كان الفتى فى انتظارنا لدى الباب كأنه منا

يا للغربة ، يا له من أسر لا يدرك كنهه ، هو إنسان جديد أسود الشعر أحمر اللون بسيماه أهل الجنوب . ألا يشابه والد « لو » كل الشبه ؟ أليست له نظرتة تماماً ؟

لم يكن من سبيل إلى إقصاء هذا المتطفل من بيتى سوى استعمال القوة ...

فصرخت له صرخات كأنها جنت جنوناً . واتابتها هى أيضاً حى فى الأعصاب

نحو هذه الطفلة قد حل عنى وقد كان مما يملأ صدرى غماً تخفى عنى

ولما فارقتا الطفل اصطعبته « لو » إلى الحطة دون أن يبدو منها ما يشعر أنها تفقد من سماعتها شيئاً .

ولكنها بعد حين وقد أصبحت وحيدة بيننا وقد برد الفطار فى ناحية قاصية وبدت لها القرية كأنها غايبة « هنا ماتت الطفلة برأسها على المائدة وصرخت صرخة عالية وهذه نفس الصرخة التى تمت إلى الحيوان التى نفتشها أمها عند وداعها لها

ثم نطقت بالفاظ كأنها فى قوتها من أساطير الأولين ، ألفاظ ما كان يدور بخلد إنسان أن هذه الطفلة تنفوس بها ، قالت صارخة : « لماذا وجب عليه الرحيل ؟ لماذا لا يبقى هنا ؟ الأشجار باقية ، وكل الناس باقون . لماذا وجب رحيله هو ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ! »

كاد قلبي يتفطر شعوراً بجرحى وإثمي فأنا الوحيد الذى يعرف أن هذه الشكوى صادرة إلى الواصل المجهول

تم الاتفاق أن أعلم « لو » حقيقة أمرها فى عيد ميلادها العاشر واحتفظت لنفسى بأمر تعريفها بالدها الحقيقى وأزلت نفسى إلى مرتبة الربى فقط غير أن الوقت قد فات ولم أجد الشجاعة على ذلك .

وكنت أقول تبرا لوقفى لى أخشى عليها من وقع الخبر .

ولم يقف جنونى عند هذا الحد بل لقد طردت المرأة ذات النظرة الثرية عند ما قالت مرة :

إنها سفرة لمدة ثمانية أيام فأطاعت لو وأصبحت
لا تسمع لنا كلمة

وفي أثناء الطريق ونحن في القطار سردنا لها
الحقيقة مجردة فقبلتها دون انفعال نفسى رغم رقة
إحساسها ، وذلك ما كنت أخشاه ، فالحقيقة أخف
وطأة على النفس دائماً مما يمتد الإنسان والكذب
وحده هو الأثقل من الصخور عليها

وكانت أمها في انتظارها على المحطة فكان مشهد
أختين تتماقنان

ولم تتحول « لو » فرفضنا بفتة وتماق بالأم
وحدها

قد كان للكذب الطويل الأمد قوة هائلة
فبكت حين رحيلنا وبقيت لدى الأم كأنها في حلم
قد كان التباين عظيماً لا يتحملة هذا الرأس الصغير
في وضوح وروية

بقيت لدى أمها طابن كاملين بدل الأسابيع
القلال التي أرادت تخصيصها مع الأم ، وعوفيت
« لو » من البكاء الطويل المتواصل ولّى الآن أن
أنفَس الصمداء إذ تحررت من إخمى .

لم يضمف حبى بل زاد وبالع في الزيادة والسبب
في أنه لم يقف عند حد أن القدر لا يميزه لى ، وهذا
الحب سوف يقضى على راحة الطفلة كما تلهم الحرارة
النبات الذى يحتاج إلى طقس ندى .

أما هذا التطرف المضى في هذا الحب فصدره
الكذب .

وطفلى الحقيقى الذى لا تجزه لى الحياة - أين
هو فى هذا الكون ؟ ليس فى وسع أن يصل إلى
ينادىنى كما أأديه دون جدوى .

وهذا مصدر الآلام 1 على صين

فكان هذا المرض الواحد هو الشيء الوحيد
الذى بقى بيننا وابطا يصلنا

وأصبحت تصد كل كلمة تقال فى سبيل تهدئتها
أو التفتام معها فى شدة وعنف وعنت

وكنت أقول دائماً : « الفقراء أحسن الناس »
وها قد صادفت فقيراً فأباله لا يروقى الآن ؟

وإلى لأحبها من أجل بسالتها التى تذود بها
عن حبيبها ، وإنه لمسير على أن أفرق بين حبيبين
غير أننا هنا إزاء فتى طائل يزهو بكبرياء ويتأصبنى
العداء ويمطرق بوابل من الرسائل كلها تحد وخطرسه
وهذه الفتاة تميل إليه

إن « لو » لا تخصك أنت أيها الفتى الذى
ترتمى تحت قدميه بماطفة قوية هوجاء أعلم أنا وحدى
ماذا تريد

هى تبحث عن والدها . هى تبحث بمجد عن
تخصه ...

ليس فى وسى أن أهبها من مات غير أننا نستطيع
أن نعمل ما فى مقدورنا عمله حتى تكفر عن فريتنا
الكبرى مصدر كل بلاء ، فى استطاعتنا أن نردّها
لأما الحقيقة

أما مجرد الإفصاح عن الحقيقة فأصبح وحده
لا يجدى . إذن لها أن تقول : مالك تمنى عمن
أحب ولست بالذى ؟

يجب أن أردّها إلى أمها وعلى الأم أن تجد القوة
لإنقاذ ابنتها من المخاطر التى تقع فيها بالندفاع من
جاء جريئى

سافرنّا بها إلى براغ حيث تعطين الأم وقلنا لها

حواء — لست أنا التي
أفشيته ... !

الشیطان — إذا أنا وثقت
بك ... سأخذك بكلماتك

وسأفشي لك بهذا السر ... !
أنا لا أريد منك أى ضمان آخر

حواء — يمكنك أن تنق
بكلامي ... !

الشیطان — أنت في حجة رجل كريم النفس
ولكنى أراه ليس جديراً بمطفك وحنانك ... !
تقدر رأيتك وعرفته فقط غليظ القلب ... أحنى
لا يبقه شيئاً

حواء — هوليس بالقدر الذى تصفه به ولكنه
مع ذلك خشن بيض الغشوة .
الشیطان — سيق مع الأيام وبروض نفسه
ما دمت بجانبه على الرقة ولين الجانب ... !

ولكنه الآن أسلب من الحديد ... ! أليس
كذلك ... ؟

حواء — إنى لأعرفه نبيلاً يحمل نفساً عزيزة
كرمة ، وإنه لى خلق عظيم ... !

الشیطان — أولى لك أن تصفيه بأنه رجل
وحشى لا م له إلا مطاردة الحيوان ليقتربه ... !
هو كالحیوان فكرة ومعنى ، لا يعنى بنفسه ، بل
لا يريد أن يعنى بها .

لندعه وشأنه فهو خرف نفسه ، ولكن ألا
ترى منى أنه على الأقل يبنى له أن يعنى بشريكته
الوحيدة ورفيقته الأليفة

أنت كائن رقيق ضعيف لا حول له ولا قوة

من الأدب الفنى

اغراء الشيطان لآدم وحواء

مستمع الأذنين محمود المرسى

المظهر الأول : (الشيطان وحواء)

الشیطان — حواء ... ! ها نذا قد أتيت إليك
ساعياً للقائك !

حواء — لماذا ... ؟ ماذا تريد منى أيتها الشيطان
الريد ... ؟ ما وراك خبرنى ... ؟

الشیطان — إنى أبحث بحث المعنى عن سعادتك
التي تشدبها ، وشرفك الأتميل الذى تحافظين
عليه ... !

حواء — ليمتحنا إياها الله عز وجل ... !
الشیطان — لا تخافى ... لا ترتدى ... ! لقد
عرفت منذ زمن مديد أسرار السعادة الخالدة في هذه
الجنة ... ! سأخبرك كيف تحصلين عليها .

حواء — أبداً حديثك إذا وقص على ما تريد
وها أنا ذى أسنى إليك

الشیطان — أحقاً تستصين إلى ... ؟
حواء — أجل ... ؟ وسأكون لك مطيعة رقيقة !
الشیطان — وهل تحافظين على السر الذى سأفشى
به إليك ؟

حواء — أجل ... ولعمري بآبى ... !
الشیطان — ألا تفشينه ... ؟

كبيرة دبرت في الخفاء في هذا الفردوس الخالد
وذلك أن الثمرة التي منحك إياها الله ليست
أحلى من تلك التي طالما حذرك منها . أراه
لا يريد أن يمتك بها إذ يحمل صفات جلية
وفضائل جمة لا قبل لك بها ... هو يستكثرها
عليك ... !

فيها ينبوع الحياة والقوة والسلطان والعلم
والمعرفة بكل شيء ... أرى الأمل والنهاية وفيها
الخير والشر ... وبالجملة يجمع في نفسها كل شيء
في الوجود ... !

حواء - ترى ما طمعا وكيف يكون ذوقها؟
الشیطان - منحت طمعا من السماء وذوقا
إلهيا دونه كل ذوق أو طعم ... !

هي لجسديك النض الجليل ولجهايك الوضاح
الوسم أضمن غذاء وأشهى طعام ... استصبحين
بمدها ملكة الدنيا بأسرها والباء وعرشها ونجوم
وسميرها ... استعرفين كل ما هو موجود وكل
ما ينبغي أن يوجد ... ! وبالجملة ستكونين مليكة
مسيطرة على العالم بأسره ... !

حواء - أجمع الثمرة كل هذه الصفات ؟
واجباً ... !

الشیطان - أجل ... ! هي كذلك ... !
(تمك حواء الثمرة الحمرية وتتم النظر فيها وبعد
ما تأملها حنينة تحول) ؟
لا شيء يستهوي بصري غير منظرها الجذاب
الجميل ... !

الشیطان - ماذا يحدث إذا أكلت منها ؟
لا شيء ... حاولي ... سوف تكونين أرشق قدراً
وأهيف قامة ... ! إذا تذوقت هذه الثمرة العجيبة

أنت يا من هي أبدي من الزهر وأنصع من البلور
والتلج للتساقط على الجليد الرائق النقي - لقد خلق
الخلائق متكازوجين غير منسججين ، متنافرين غير
متوافقين ... !

واجباً ... ! أنت رقيقة الحاشية ، حلوة المشرع
وهو جاف غليظ القلب صلب بفيض روح جميل
كروحك . وعلى الرغم من ذلك أراك صابرة غافة
رزينة مثرة في غير ملل ولا خبر . كل أفكارك
وأرائك تصدر عن روية وغفل ... ! كلامك مغم
بالماني والمبر ، وقلبك يفيض بالمطف والحنان ...
خبريني هل ترينه بعد ذلك يطف عليك ويمطيك
حقك من العناية والرعاية .. ؟

وأخيراً ... ! أريد أن أقول لك شيئاً
حواء - لأنظارك رنين عذب وجرس شجي !
أفض إلى برك فأنا حفيظة عليه في قلبي ... !
الشیطان - أحذرك ... فهذا السرشي مقدس
ليكون بيننا نحن الاثنين أناشذك الله ألا تقضى
به لأي مخلوق ... !

حواء - من هذا الذي يستطيع أن يعرفه مني ؟
الشیطان - حتى ولو كان آدم نفسه ؟
حواء - أجل ... !

الشیطان - إذا آت لي أن أتكلم ... أصنى
إلى ... أنا لا أرى إنساً في هذا المكان غيرنا ...
وآدم هناك بعيد عنا لا يستطيع أن يسمع الحديث
الذي يدور بيننا

حواء - تكلم ... ! تكلم بصوت عال ، إنه
سوف لا يعرف كلمة ما ... !
الشیطان - أحذرك من مكيدة خطيرة وخديعة

وكيف نضمن خلودنا بهما !
آدم - لا تتق في الخائن ولا تعتقد في المجرم
إنك ما زلت ساذجة على حياك لقاء الطوية وصفاء
النفس وطهارة القلب ... !

تق بي أنا وحدي فأنا من معدنك وأنت مني
وكلانا صنو الآخر ... هيا نمرح في جنتنا التي
اختارها الله لإقامتنا ... لا تفسدي علينا هذه
السعادة التي منحنا إياها الله !

أين ورايك ظهورك كلام هذا الماكر الكاذب
الشديد التلغيق ... ! لا تسهوك ألفاظه المذبة
الزناة المنعممة ولا وعوده المسولة الخادعة !

هو لا يملك شيئاً حتى يمد هذه الوعود ، هو
منبوذ قد لعنه الله إلى يوم الدين !

أنصحك أيها الرفيقة الجميلة ألا تطعمي في شيء
أكثر مما نحن فيه ... نحن في جنان الفردوس
الخالفة حيث لا ظم ولا جوع ولا برد ولا سرور
ولكن ظلال الله والملائكة الأبرار في عليين .. فنحن
في حمى الله الرحيم المتعال

أتوسل إليك ألا تصني لهذا الشرير ... لأنه
زمن الألم والندم ... أنا أعرف به منك ولي خبرة
بأفعاله وخصاله ... !

حواء - كيف تعرفه هذا القدر من المعرفة ؟
آدم - ذلك لأنني بكوتة وخبرته عن كسب
حواء - ماذا يهمني من ذلك ... ! أنت إذا
نظرته فأني زعيمة بأنك ستغير رأيك فيه لأن هيئته
تحملك على ذلك ... !

آدم - كلا ... ذلك لن يحصل - لأنني لاتفقة
لي به ولا أعتقد بكلامه بعد الذي رأيت من خداعه

فستبهرين آدم بمنظرك الملائكي .. سيعبدك بعد
ذلك ولا يستطيع لك فراقاً ... !

حواء « مضطربة مترددة » - لست أدري ماذا
أفعل !

الشیطان - هلاً تريد أن تتقي بي ؟ ...
ألا تعتقدين في كلامي ... ؟ خذي أنت الثمرة أولاً
ثم أعط آدم إياها وانظرا ماذا يحدث بعد ذلك ...
ستكونان ملكا السماء والأرض . ستستوليان فوراً
على عرش الفردوس ، ستكونان كالملائكة العظيم
صفة وشبهاً . وإذا ذلك لا يستطيع أن يرفض لك
أمراً ولا يخفي عنكما سرّاً !

في اللحظة التي تأكلان من الثمرة حيث شئتما
ستتحول روحكما من حال مادية فانية إلى حال
روحانية خالدة ، إذ تشاركان الله في ملكه وتبوأ
مكانكما من عرشه

سوف تصبحان في قوة وعزة أنداد الله في الخير
والحق والجمال ...

هيا كلا منكما ما شئتما ... هيا إلى الخير ...
هيا إلى المجد .. إلى الخلود .. إلى الفخار والمظمة ..
حاولا ولا تخافا ... أجمعا الرأي ولا تترددا

فالتردد ليس خليقاً بكما وقد اصطفاكما الله !
وهنا ابتعد الشيطان عن حواء ونزل إلى الجحيم
وجاء آدم إلى حواء حزينا مكتئباً لحديثها مع الشيطان
الشرير وقال لها في حدة :

خبريني أيها المرأة ماذا طلب منك هذا الشيطان
البغيض وماذا يريد منك ؟

حواء - كان حديثنا يدور حول مجدنا وعظمتنا

- وخيانته وكذبه وتلفيقه ... !
 أنت . هيا إلى الخير فهو في متناول يدينا ...
 لا تدعيه أن يأتي إليك أو يقرب منك
 هيا لا تتمهل ... !
 آدم — كلا لن أقبل ما ندعوني إليه ...
 أخشى شيئا ... أخشى شيئا
 وأنكر صنيعته بأن سلب عرشه متجاوزاً كل حد
 حواء — تخطئ خطأ كبيراً إذا أنت أصررت
 على هذا الرفض
 من الكفر والتكران
 آدم — أوه، حسن ...! سأخذها ... !
 أنا لا أريد هذا الخبيث أن يصل إلى قلبك
 حواء — إذا فكل منها ما شئت ... وإذا ذاك
 الطاهر أو ينفذ إلى نفسك الصافية العذبة ... !
 ستعرف الخير ... والشر ...! هاأنذا أندوثها
 قبلك ... !
 آدم — إذا فقلت فأنا مقدم على أكلها بمدك
 حواء — نعم ...! سنأكلها ونقتسمها سوياً
 في أمن وسلام ... !
 (وعندئذ أكلت حواء جزءاً من ثمرة الحمرة وقالت لآدم.)
 ها أنا ذى قد ندوثها ... !
 يا إلهي ما أله طعمها ...! لم أندوق بعد طعماً
 أشهى منها ... !
 ما أجملك وأشمك أيها الفاكهة التي طالما
 حرمتنا إياك ... !
 الآن قد عرفت لماذا منعت عنا وحذرنا منها ... !
 آدم — ماذا تقولين ...؟ خبريني ما طعمها
 أسرعى .. وخبريني ... !
 حواء — لم يشنوق إنسان طعماً ألذ من ذلك .
 فالآن أنظر نظراً قاتماً ...! لقد أصبحت في صفوف
 الآلهة أذانيهم في العظمة ، وأساويهم في القوة
 والسلطان
 ما أعجب هذه الثمرة ... إنها ساحرة ... !
 كل يا آدم ولا تخف ... إنك ما زلت تجهل
 طعمها ... ! هيا لنأخذ هذا الخير الذي قدم لنا
 ليكون طوع بئانتا ... !
 آدم — وهل مدّاتها حُلّت إلى هذا القدر
 حتى تسبوننا وتقرّنا ...؟
 حواء — ستعرف حلاوة طعمها حين تأكلها
 وما دمت تهجم عن تذوقها فلا تستطيع أن تعرفها .
 فحاول ولا تخش شيئاً
 إنى لم أعهدك جباناً هكذا ... !
 آدم — بل أشعر بإحساس غريب وشعور
 غامض ! أتوجس خيفة أن يقع لنا شيء ... ! أقول
 لك الحق إن رعدة شديدة تستقلني ومجتاز جسمي
 وعقلي لا أعرف لها سبباً ولا أسلاً ... !
 حواء — لا تخف . أنا لا أشعر بمثل ما تشعر به

وا أسفاه ... ! ما أشقى الآثم وأبأس المجرم ...
ما الذى فعلته حتى غضب على الله هذا الغضب، وقضى
على هذا القضاء الذى لا مرد له ولكن أما قلت هذا
لرفيقتى ..؟ أما قلت لها إن شيئاً سيحدث لنا ...
ها نحن زان قد حرمانا جنتنا والسعادة التى كنا نخرج
فيها فى غير فكر ولا ندم ... !

الهم أنزل لعنتك وغضبك على هذا الأثيم فهو
الذى راودنا وهو الذى أغرانا !
ألا لعنة الله على هذه الشجرة ! لك الله يا أخواه !
هاأنا قد مت فى غير رحمة ولا أوبة ... !
وهبطت فى عالم لا أعرفه ... !
[ستار]

عمود المرصفي

كلية الآداب - القسم الفرنسى

لقد عرفت كل ما هو موجود، وسأعرف كل
ما سيوجد . عرفت سر العالم بأسره .

كل يا آدم وشاركنى فى أكلها ، أريدك سعيداً
مثلئى ... ! تدوق طعمها الجليل ولا تحرم نفسك .

أسعد نفسك بأكلها ، وأمنمها بجبالها التى
لا يضارح ... وطعمها الذى لا يقارن ... !

(فبأخذ آدم الطاحة على أثر هذا الاغراء ويقول لحواء)
إنى لأرى نفسى تثق بك ثقة عمياء لأنك رفيقة
حياتى ، وشريكى فى السراء والضراء ولا قبل لى
بالاستغناء عنك !

أيها الزهرة الجميلة التى لن تذبل وهى بين أناملى !
ويا أيها النشادة الحسنة التى استهوت قلبى
واستولت على نوازع نفسى وبهرت بصرى بجبالها
وخفة حركاتها

يا من لا تفارق تفرك الصغير تلك الابتسامة
العذبة السعيدة ...

يا من أسكن إليك بعد التعب والنصب
وأنا سعيد بقرار العين راضى النفس مطمئن البال ..
لا أطعم فى شيء إلا رضاك وحنانك ولا أتطلع
إلا لصحبتك ورفقتك !

أيها الخلق المطوف ... لأجدن نفسى لا تقدر
على ردّ سؤالك أو رفض ما تريدته منى ...

ولكن ... ما زلت لا أستطيع !
حواء - خذها من يدي وكلها ولا تخش سوءاً

(هنا يأكل آدم جزءاً من الثمرة ولم يكده يقضى من
أكلها حتى عرف خطيئته ؛ فحاول أن يخفى عنه حتى لا يراه
أحمد . وبعد من ثياب الأثيمة للزركشة غضف على عنه
من ورق الشجر ليستر جسده وعند ذلك أظهر دمه وأسفه
وأخذ في غير طائل فآثلا :

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جوزيف الويلاني

مترجمة بقلم

أحمد حسنى الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار القرن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً

ولا أحسبك إلا غاضبة على
عند ما تعرفين الآن أنني
لا أخف من دمك ولا أرفه
عن أساك ، بل أشدك من
شرك في قسوة لا تتفق مع
رحمتي التي جذبتك إلى كنف
في تواضع رغبة في مواساتي
وطمعا في نصيحة ترد إليك
كزيادك الزاهية

غائب الشمس

أقصصة مصرية

بقلم الأنيسة جميلة العادلي

أجل أجذبك في عنف وأنت بك في الحب الذي
أشعلته بيدك ... ليتطهر جسمك وتنصر ماديتك
في بوتقة الألم والعذاب ... وفي النهاية ستشعرين
عن يقين أنك شفيت رغم ما تركه القلب على جسمك
من علامات ما كابدة من عذاب

وليس الحب الذي أدفلك إليه كالنار أو الشرر
المتطاير ... إنما هو لهب النفوس كلها أجمعه بجرة
قلم من محيط الكون في دائرة محدودة ، ولا ألتقيك
وحدك إنما ألتقي ممك في وسط هذه الدائرة اللتهبة
بغير دخان ، أنفاس الرجل الذي خانك ، وأخرجها
في حرارة كما يقول وقد أتنن صياغتها بقلبه البارع
هذه الأنفاس التي تحمي وتعت ... الأنفاس
التي أحيتك وبشت في نفسك حلو الآمال ثم أماتتك
تاركة خلفك أبحر الآلام

هذه الأنفاس هي رسائل الرجل الذي أحبك
بالقلم ورتك بالقلم ، وهي التي أدفعا الآن غمما لما
أصابني منك من جهد الخيال ... فأعرضها لتكشف
للناس صورة من صور الأنثايل ... كيف يدع القلم
التصور ولا ينافي القلب التفرير ؟

والآن لا أريد إليك رسائل صاحبك التي بعثها

عزيزتي الحائرة
ما عساى أن أقول لك بعد أن مرضت ، وهل
يبرى الجرح غير يد الطبيب ؟ وطبيبك مع الأسف
رجل لا يعرف من المرأة غير جسمها ، ولا يلس
في الحياة غير مواطن المادة

وأنا لست طبيبة يا صاحبتى ... كل ما أجود به
على الخلائق حنانى وعطفى ، وهل يكفي الحنان لتضميد
الجروح ؟ لا أظن !!

ودليل أن الحنان يفتح دائما فوهة القلب فإذا
بميون من العواطف تتطلع إلى ما هو أعمق من
الحنان وأغزر من المطف ، إلى المهل العذب الذي
يفيض بالرحيق المشتوي الذي يصوره النطق في شبه
حروف تؤلف كلمة واحدة - الحب - ويتنم به الحس
ويسمي الشعور !

إذن لا فائدة من مواساتي بعد أن صدمتك
الحياة في الصميم ، تتركك إلى محط المعرفة فيلسوفة
بغير تعليم

خلي عنك نصائحي فإنها لا تجدى ... ومتى
أصلح النصح نخلت أو هدى ضالا ... ؟

حسبك ما علمتك إياه الحياة عن طريق صدمتك .
إنك الآن أكثر منى تفهما للحياة

خاطر جميل ، والآن وقد اكتملت هذه الأدوات
وارتحت بين أكتاف الريف الوداع الجميل فإني
أكتب إليك ذاكرة تلك السعادة التي غمرتني
بمعرفتك

وبعد: فإني طائر شاعر يعيش على الأحلام ويقتات
بالبذكريات لا يجب أن يصطدم بالواقع ولكنه دائم
الاصطدام، فهو يود الحياة مستقيمة سهلة، لا عوج
فيها ولا تنوء !

وإني لأطمح أن تفتحي لي كوة أطل منها على
دنياك، رياضها وجنانها، هضابها ونجادها، وأن تمديني
بفيض من الأحلام والإلهام في هذه البيئة أحياناً،
وبين هذه المكآف الحبيبة أنتقل وأعيش

— ٢ —

« هبة »

وصلتني رسالتك وأول ما ألاحظه عليها قصرها
— هذا القصر المخل — مع أني أريدها طويلة كالساعة
التي بيننا، متعددة المناظر كالتي أعلاها وأنا في الطريق
إليك ١١ . أريدها رسالة يشفق البريد من حملها،
ولسكنك أبدأ ضئيلة حتى بالكلام... آه... « هبة »
لقد وقعت في الشرك حتى لم يعد لي أمل في
النجاة، فانا - ولا أخني عليك - قد حاولت أكثر
من مرة ألا أسترسل منك في الكتابة . بل لقد
حاولت جهدي ألا أملكك على ذاتي مجردة طرية ،
ولكن قاتل الله الثلاثة : يدي ، وقلبي ، وفظري
أحبك ، نعم - وأعبدك ، وأحرق ذاتي بخوراً
في هيكلك المقدس ولسكنك لا تحسن أبداً بهذا
الحب البائد المحترق !

يا هبة . لا أحب أن أشرح أو أصف لك
مأعاني ، وكل ما أحب أن أقوله إني وهبت قلبي لك

إلى لأطلع عليها وأبدى رأيي فيما ينتجه القلم الصامت
على ضوء الحب الكاذب .

لا أردّها إليك سرّاً بل أردّها إليك جهراً
بين ضجيج كل من يجنب نظره ضوء الأدب ...
وقد لا يفيدك هذا - على ما أعتقد - إذ سوف
يترحم عليك كل قلب رحيم ... فأجبي كل ما يصل
حسك من مواساة الأرواح اللاصورية واستمضي
بها عما أسابك من بلاء روحي سببه لك ذلك الرجل
الذي يجب كل النساء كما تقولين ويمبد كل شمس
متجمسة في امرأة

آنسقي (هبة)

إنها لسكتة غير قصيرة طال فيها أمد الصمت ،
ولست أدري بماذا أو كيف أقطع عليك هذا الصمت
الناهل فأحرمك تأملات فلسفية ، وروى شعرية
سحرية ، ولست أدري أيضاً أعطى أنا أم مصيب
حين أفاجئك بهذه الرسالة فأقطع عليك سلسلة
خوارك والهاماتك ، وأثقلك من دنياك المشرقة
الواجعة ، إلى دنيانا العابسة الفارغة؟ وسواء أخطأت
أم أصبت فليس ثمة محيص من الكتابة إليك بعد ما
انتظرت أن تنكتني لي ولو بما يطمنني على سلامة
عودك ، ولسكني لم أحظ حتى الآن إلا بمزارة
الانتظار ! ولم يكن في الاستطاعة أن أكتب إليك
فيما سبق ، فانا شاب لم يأنف الكتابة بين الصخب
والضجيج والارتجال والانتقال ، ولم يكن ذلك
هو السبب الأصيل ، ولكن هناك سبب آخر ،
ذلك أني رأيت أن أخصك بأدوات جديدة للكتابة
فلا أكتب بها أو فيها إلا لك ، ولست أدري لتليل
هذا الخاطر، ولعله خاطر شعري، وعلى كل حال فهو

ولكن الذى لا أفضمه أو أطيعه أن تنفضي أنت منى . ومنذا الذى أؤذ به وأطمه على خبيثة نفسى بعد اليوم إذا كنت تعاملينى معاملة أولئك الأرقاء ؟

ألا فلتلق الله فى نفسى وقلبي فإنى لا أعتقد أنك تمانين ما أعانى وتجدين ما أجد وتحملين نفسك ما لا تطيق !

وإنى لأتمنى أن تظل نظرتك إلى واحدة على الأيام .

وإذا كنت هفوت هفوة لم أقصدها فحسبى عقاباً هذا السكوت الذى أقصض مضجعى وأمض نفسى وأطلق فى سماء حياتى سحب اليأس والضيق والبرم بالحياة

وأخيراً ما زلت لك المخلص الأمين .

— ٤ —

« هبة »

ومهما يكن من شئ فإنى مدين لك بهذه الرسالة التى فتحت أمام ناظرى آفاقاً جديدة وعوالم غريبة من نفسك — نفسك التى طالما لفتها شوب من الحذر والتموض . وهكذا لا بد للورد من وخز الشوك . والآن بعد أن اجتزت فترة الاختبار فى تجربتك القاسية فإنى أرى نفسك تبدو أمامى غارية من كل نوب مجردة عن كل غطاء ، وإذا هى طفلة وديمة طاهرة نبيلة تهيج أحياناً وتثور ولكن هياج النبوغ وانفعال المبقرية وما أشبهنى بالوجهة تحركها التسمية فإذا هى غاضبة ثم سرعان ما يستحيل هذا الغضب إلى رحمة وحنان على الصخور

وإنه ليسرنى أن تنثرى بين يدى نفسك ماحوته ووعته ثم لا بأس عليك من ذلك — وماذا يكون

فإذا شئت أن يحيا فهو لك . وإذا شئت أن يتحطم فهو لك أيضاً . ولكن رويدك فقد سرقت قلباً ونسيت مفتاحه ، وكنت أريد ألا أعطيك مفتاحه حتى يظل أمامك طلسماً وتظلين أمامه فى حيرة ولكن ما انتفاعى بالمفتاح ما دام قد سرق الكنز ؟ يا هبة

قلبي شره إلى آخر حدود الشره ، فهو إذا جاع أو عطش فلا خيرات الأرض وأغارها ولا أنهارها وبحارها بكافية لأن تسد جوعته أو تطفى حرارة ظلمته .

ولمأك بعد ذلك ترفعين كيف تنفضين به ومنه .

— ٣ —

هبة ا

ليتنى أدرى ما الذى ناك عنى ومثلك لا يمكن أن تكون إلا وفيه كريمة ...

يشهد الله أنى ما حملت لك أو أحمل إلا كل عاطفة شريفة ونية طاهرة مطهرة وقلبا يرف عليك ويشهد الله كذلك أنى لم أحلك من نفسى إلا فى أعمق مكان ولم أضمك إلا فى مصاف الآلهة الألى أوصل إليهم بصلواتى وفناء ذاتى ، ويشهد الله أيضاً أنها لكلمات يسيل بها القلم خالصة مخلصمة لا تعرف الرياء أو النفاق . فى مثل اضطراب الأمواج خواطرى فى هذه الأيام ، وكمثل التيب نفسى المظلمة — ا

ولو علمت أى حدث جرى وأية زلة ارتكبت لجثوت أمامك تائباً مستغفراً . لقد أفهم أن تنكر لى الحياة فلا آبه لها وأن ياتمر بى الوجدون فلا أحفل بهم ، وأن يقطع الأصدقاء خيل مودتى فلا ألتفت إليهم

في مثل هذه الظروف القابضة ؟ إنني لقادر على أن أعيش في كل صقع وأحيا في كل مكان ، وأن أقابل الشدائد فلا تنال مني إلا كما تنال الرياح المانية من الجبل الأثمن !

ولكن الذي لم أزل أهفو إليه وأفتش عنه هو القلب !

القلب الذي يؤنس وحشتي ويبدد ظلمتي ويقدرني دائماً على المقاومة والتجدد في الحياة !

ولا تغفلني أني أجرب قلبي بهذه الجمل الموشاة ، ولا تغفلني كذلك أنها كلمات ككلمات الكلمات التي اعتاد الرجل أن ينال بها إعجاب المرأة ويستولى على قلبها ، ولكنها كلمات أرومي فيها طويلاً قبل أن أسطرها - فهي كلمات من لحم ودم ، كلمات ترخر بالحياة وتبوح بالصنق ، ولولا أني واضح ظاهر ما سجلت إليك كلمة واحدة من هذا ...

وأنا إذ أبدى لهفتي إليك وانشغالي بك - أحب أن تقدرى هذه العواطف النبيلة

المواطف التي لا ترى إلى شيء وراءها ، فإنني أحبك لما يهزني من روحك القوية السمحة ودمائتك الفاتكة وشاعريتك التنوعة ، أما الجسم وإن كان رشيقة فاتنة بديماً فلا شأن لي به ولا مطمح ، وإذا كان هناك ما يخيفك من الرجال فليس الذنب على وإنما هو على سماحتك التي تفرض كل الرجال ملائكة لا أناساً

أما بعد فطارتك الفرد لا يزال بين يديك ، فخذار أن تنقل عليه بهذه الأساليب التي لا تجدى معه شيئاً وإلا ألجأته أن يهجر جنتك أسفاً ، وإذ ذاك ينظر قابلاً في وكره فلا ينفك ولا ينفع نفسه ، وبذلك تشقن نفسك وتشقني !

لو اتخذ كل منا من صاحبه أخاً لنفسه يهيم إليه بما يختلج في خاطره إن خيراً أو شراً دون خجل أو حياء ، ورب أخ لك لم تلده أمك .

أعود إليك يا صاحبي ...

كان يكفي أن أقف بك هنا لأترك القاري ينسرح بخياله في عالم نوراني يرى في سمائه كل ما يشتهي المخلص من أمان حسان ولكن لا بد أن أعقب على تعليقك بعد هذه الرسالة ... إذ تقولين إن تلك الرسائل رغم سحرها لم تبلغ عمق نفسك وإن الشك ظل يراودك ويقف بك بعيدة عن رغبات صاحبك حتى اشتدت حيرتك بين رغبتك وحذرك ...

قلبك يدينك منه

وعقلك يقصيك عنه ...

وضباب الشك يشرف على أحلامك فيشوه حقائق أمانيك ...

وظللت هكذا حتى كتب لك :

(هبة)

إسمي يا هناه !

إني لأعجب من تمردك على هذه الأيام ومعاولتك مسي بالإنجاء ، مساً دون مقتضى أو داع ! أتقصدين ذلك حقاً ؟ أم تقملين على سبيل التذلل ؟

أما الأول فلا أطيعه ، وأما الثاني فقد آتته على أن ألزم أنك في الوقت الذي أنتظر فيه رجعتك تفنيزين ، وأقرب تفنيزين ، وأتكلم فتسكتين ، وأنتي فتسكتين !

ومتى تؤدين رسالتك يا فتاتي ... إن لم تؤديها

أجلاى . لقد رأيتك فرأيتني منجذباً إليك أنجذاب الحديد بالمناطيس ، وتطلعت إلى عينيك فإذا بي أرى فيها رهبة مريد مقدس ... لقد كانتا عميقتين عمق الأبد تنظران إلى السماء كأنما تبحثان عن سر ضائع . وأخيراً استمتعت إلى حديثك فإذا كانت عليها طابع الدوام كأنما تحمل نيجارب القرون ...

حينئذٍ شمعت أنى ولدت ميلاداً جديداً وأن روض حياتي قد تجمت فيه أزهار من نوع جديد ! وحينئذٍ أيضاً حرصت على مودتك وعاهدت نفسي أن أكون حريصاً على الوفاء لك ما بقى بجسمي نفس يتردد !

والآن ، هل تدبرن مدى تأثيرك في حياتي ! لقد نقلتني من الظلام إلى النور وأجريت في أعصابي خلاصة أجيال من عزم وإرادة وعبادة للحق والقوة والحرية والجمال ... !

ثم هل تدبرن أيضاً وفأنى لك في بديك ؟ إننى أستمع بك عن رؤية الناس وموداتهم فأنت تصاصرني في وحدتي واجتماعي وأنت تمسحين عن جبينى عرق الملل والكلال كلما أجهدتني عجلة الحياة !

وأنت تفتحين أمامي أودية المجهول فأرودها ! وأنت تلازمينى في منزلي ، وأنت تؤبينى كلما أملت في واجب ! وأنت في النهاية تصممينى من التردى في مهاوى الهلاك وموارد الضلال ! ...

فلماذا أحبك حباً صرفاً ولهذا أدعوك إلى أن تصحى نظراتك إلى علاقتنا السبوية المباركة

وكل ما أريده أنت تهينى كل عاطفتك ولتتصارع حتى بالرغبات الخفية ولتفزعى إلى دنياي

أرجو أن يصلك هذا وقد عادت إليك ابتسامتك وإشراقك . أنا الآن طرح الفراش يا هبة ولا أحد مريض نسي إلا زفزفات حارة أصدها ، فالرحمة الرحمة ، — وأعلمي أن كلمة منك طيبة كفيلة بأن ترشح عني عبثاً ثقيلاً فهل أنت فاعلة ؟

(هبة)

لاني لأتالم ... بل أعجب كيف أنك إلى الآن لا تزالين تجهلين نفسيتي وعواطفى وميولى تماماً ... وأنا أطعم في أن يشملني حبك وتفرقى رغبتك الأكيدة في أن تكوني بجانبى إلى النهاية مهما جالت بيننا الحوائل

أنا الآن في المنزل جالس إلى مكنتي بصد أن عدت من العمل خائر القوى ، ومع أن الحر شديد والتعب يكاد يسك على مسارب أفكارى ، فإن بي نزوعاً إلى استئناف الكتابة إليك

وأحب أن تذكرى أن حبي لك غريب لا يمت إلى ما تواضع عليه الناس بصفة ، حب يميزه عن سائر أنواع الحب عمقه وطهارته وخلوه وإخصابه !

لست أنكر أنى عرفت من قبلك ألف قلب وقلب وحطمت ألف قلب وقلب ... حطمتها لأنى لم أجد فيها القوة السحرية الخفية التى تفتح عيني على النور وتوقظ فى أشواق الحياة وتدفعنى إلى الخلق والإبداع ، وتجعل الوجود فى ناظرى

حطمت كل هذه القلوب لأنها كانت كالمراسم والدي ، بل لأنها كانت (كورود البحار ١١) منظر ولا رائحة !

وإذا كنت لا أنكر ذلك فأنى لا أنكر كذلك أنك كنت المثل الأعلى الذى تصبو إليه بروحى ومن

ولست أدري كيف اجتذبتني إلى عالمها بين
هضاب وهاد وزهور وأشواك وتقطيب وإشراق
وهدوء وثورة وثرثرة وصمت وآمال وآلام وحقائق
وأحلام وتليخ وتصريح وبيان وغموض ، ولقد
قرأتها رسالة رسالة ، واستوعبتها فكرة فكرة ،
ووقفت على ما يحسن أمامه الوقوف فأريتك فيها على
اختلاف أغراضها وتباين مناجيها مثالا للفتاة الطيبة
السريرة ، الفتاة التي تحيا في الحياة بعقل حالم وخيال
كاشف وروح مستغرق وخطر متوثب وإحساس
متفتح وشعور غامر دافق !

أجل ، ورايتك أيضا مثالا للبصرية الفاتحة الخالقة
البصرية التي تميد الفن وتنفي في ذاته كما ينفي الصوفي
بين نور الإله الجليل ، ولقد وجدت في هذه الرحلة
الروحية متاعا لم أستلذه أو أكفه من قبل حتى لقد
أضيت فترة طويلة وأنا في ضيافتها ذاهلا عن نفسي
وعما يفمرها . من صخب الحياة ونخبجها ، وهكذا
هداني بل هودني بخلك الكتابي أن أفزع إلى كنانة
الذكرى كلما غلقت الأبواب ، وأوصدت المنافذ دوني
وإن في هذه الكنانة المستودعا حافلا بأفانين السوى
وألوان الزماء ، وذلك غاية ما أتمناه منك فاكثري بعد
ذلك أو لا تكتفي ، وجودي أو لا تجودي ، ونأني عن
شاعرك أو لا تنأني ، فإعاد يحفل بهذا أو ذاك مادام
ظفر منك أيها البخيلة ، بكنانة الذكرى

(هبة)

كان مما يقدرني على أعبائي الثقال وكان مما يجعل
الحياة في ناظري ، شعوري بأن الحياة رزقتني حبيبة
أفزع إليها وألوذ بها لدى الصدمات
وكان كذلك مما يعزيني ويحبيتي في الحياة

كلما أعوزك الصدق والحب في دنيا الناس ولتكوني
وفية لي في عجزى ومنعبي ولتصحسني ميولي
وتنفذي ما أرتاح إليه

لا أريد أن تعبري عما تطوى عليه جوانحك
بكلمة ولكن باختلاجة أو حركة أو روح عامة
تموج في رسالتك قشعرني بما لي عندك من منزلة
أو اعتبار

إنني لا أريد أن تقف علاقتنا عند حد السطحية
بل أريد أن أسمع منك : دع هذا وافضل ذلك وتعال
هنا واحذر أن تتأخر وأغضب منك إذا فعلت كذا
إنني لا أكون غاليا إذا قلت لك إن اهتمامي بك
يربو على اهتمام والديين والإخوة ، ولست أسفأ
على شيء ، فأنني ما دمت . أنت بجانبني أستمد من
تشجيعك قوة ومن حبك أشعة تبديد أمانى ضباب
الحياة ! ...

آه ! ماذا أقول ؟ ومالي أجشمتك ارتياد هذه
الوديان المتأشبة ؟ وأخيرا ... ثقي أنني سأطوى قلبي
على حبك وسوف أكون لك النوحة الفينائية التي
تفرعن إليها فتقء عليك من ظلالها ، وتضمك
إلى أحضانها كلما لجأت إليها
واهملي أن الغيب يضمرك حياة خالدة بحبي .
هبة ...

كلمات كثيرة تريد أن تنب من شفتي على أسلة هذا
القلم ولكنني أكبها بقوة هائلة !

آه لو تدرकिन ما أريد ، ولكن أنت لا ترجمين
مهجة صب .

كنانة الذكرى

ولبست هذه الكنانة إلا مجموعة من الرسائل
وعاها ظرف واحد وهبطت على منك في قترات
متقطعة ...

القديم ... عالم الظلام والنيب ، وسأقفل من وراءى
باب صومئى الأزلية وهبات أن أسمى لأى صوت !
أو أستجيب لأى دعاء ! أو أخف لأى نور !

وبعد فإذا كنت لا تسفين على أى شيء ، فإني
أسف على كل شيء ! وإذا كنت قد كتبت ما كتبت
إلى أخيراً وبسمة الحب والطفولة تهوم على نثرى ،
فإني قد كتبت هذا ودموع قلبي تكاد تترقى ،
يا إلهى ، حتى من كنت أرجو أن تتحقق على يديها
الآمال تكون هى آفة الآمال !

يا إلهى إن أحشائى تنقطع والدم الفائر يكاد
يلهب شرايينى ، فأقتضى يا إلهى وأنى على نفسى
الطليحة وروحي الكلمة برد الغراء

إلى هنا أكتفى بهذه اللغات من رسائل
صاحبك وهى فى الواقع خلاصة فناء الفكر فى القلم ..
ولا أقول فناء القلب أو الروح فى القلم لأن
فناءهما فى الواقع معناه خلود الحب ... أما وقد تلاشى
ذاك الحب فلا أظن للقلب أو الروح سلطاناً عليه ..
على أن هذه الرسائل لا تخلو من إغراء يعيش
الحرمة فى وجه الحسناء ويشمرها بأنها لإنسانة محبوبة
مرغوب فيها ...

ولعل صاحبى صدقت ذلك لأنها سايرت
صاحبها بمخاطرها عن طريق قلبها كما يقول
وباعتراها أيضاً .. إنما كانت فطنتها أشد من إيمانها
صرت الشهور وهو يحاول أن يثبت لها حبه
بأعذب الألحان الشعرية وهى حائرة بين ما يبعثه
فى صدرها من تخدير عاطفى . بين ما تلججه عليه من
آثار القلق والاضطراب والركود والاستسلام لخواطر
لا تتعلق بها .. فلطالما حدثها عن المنادى وأسمعها

شمورى أيضاً بأن هذه الحبيبة قد تخصصت فى دراسة
ميولى وأهوائى حتى أصبحت تعرف سباحات فكرى
وخليجات نفسى وهتافات شمورى

وكنت أستعبد أن تدب بيننا بدوات الشك
وهسات الفنون فىنا بيننا من حب وله الامتزاج
الساى وغذته العاطفة اللززة عن الشوايب ورعاء
الوفاء الكريم . واليوم ، بل ومن قبل اليوم ، يدهشنى
أن هذه الحبيبة قد بدأت تنأى بجانبها وتتمرد على
صلتنا الروحية المقدسة !!! فى مرة متفلة غاضبة ،
وأخرى صامتة لا تتكلم ولا تجيب ، وثالثة متوعكة
المزاج ورابعة تند بأن تتكلم ، وأخيراً هى تشتم
رائحة النفاق فى أنفاس ... ماذا أيتها الساحرة !

أبهذه السرعة تريد أن تتحلى من صلتنا ،
وأن تحطى كل ماشدناه من صروح ، وأن تفكرى
لمن حاشاه أن يتفكر لك مهما جازيته على الإخلاص
حرماناً وعلى الوفاء جحوداً ونكراناً

إنه لمن الجائر أن تبغى يمثل هذا الكلام الصارم
الملقى على عواهنه إلى من اعتادوا لإرسال الكلام على
عواهنه ترجية للفراغ ودفعاً للسأم

أما أنا الذى أفكر فى أكتب وأفكر فى
أقرأ ! أيمكن أن يحدث منى هذا ؟

على أن ما أذهلنى حقاً أن تختمنى رسالتك يقبلة
تذهب شغلايها بقلبي ، فهل تعرفين حقاً أننى أحاول
أن أتلهى بمحبك

إنك لتؤذين نفس الشاعر وتشتين إليها حيناً
ترجين بها فى أخلاط النفوس البشرية وتظنين أنها
صيفت من طبيعتهم أو نسجت على غرامهم !

وما دام الأمر كذلك فإني — مع إخلاصى
الدائم لك — قد صممت على أن أرجع إلى على

رجل يثور ويهدأ ويحب ويكره في آن واحد ،
وهأنذا أكتب ولا أدرى إلأم تنتهي مثل هذه
الكتابات الضالة .

ومع أني مضطرب الشعور موزع الخاطر ؛
فأني أحب أن أعتقد أني لم أكن عهدك مطلقاً ولم
أله بخلق أو مخلوق — حقاً إن حياتي كانت وما زالت
ملأى بالمعجائب والمفريات ، ولكن أي مفريات
هذه ؟ إنني لست بمن يجرؤون وراء ملأناهم حسباً
اتفق ، فأنا رجل فنان شاذ ، فإذا سقطت فهي سقطت
الفنان والحد لله إذ نجما ، وما كان لئلي أن يتلحى
بالموت . وبعد فإني أن تتبري الضباب براحك
الموجاء ، ودعيني — دعي هذا المريض يحلم —
يحلم بمقدم هذا الطبيب — وعينان لن لم يشفى من
هذا الداء لألقين به من حائي ، ولأذهبن أنا وهو
إلى الجحيم .

إلى هنا أدع صاحبك وأعود إليك . كيف
خدعك حسك أنت التي خلقت من مجموعة أعصاب
حساسة ... ؟

قد يكون للأسلوب الجذاب تأثيره على الأفتدة
والأفتدة الشاعرة على الأخص ، ولكن ما صلة
الحب بهمسات القلم ؟

قد تترضين وتقولين ، وهل كانت همسات القلم
إلا خواطر النفس وسوانح القلب .
ومعك الحق ، ولكن في غير هذا الزمن
بإصاحتي ...

فقد طشت المادية على كل شيء وشوهت جلال
الروحانية الشفيفة ...
اسمى إلى جدتك عند ما تقص عليك حديث

أناشيد الهوى المستمر بإيمانين
ومن الطبيعي أن تسترسل في خيالها وتقيم
لكل مشهد من أحيائه قصة واقعية أثرت في حياته
تأثيراً أهاب بشاعريته إلى التفتي ...
وشامت أن تظل في عراب تحفظها وتدأب
على اختياره حتى تتكشف حقيقة نفسه فككتبت
إليه تقول :
أتركك لتنغم بالحب في كل واد
فكتب إليها يقول :

يا لك طفلة ! أنا أحب ؟ ومن أحب ؟ وهل
خلق الله يد تلك التي تستطيع أن تنهض بحبي ... ؟
إنني يا عزيزي ما أحببت مطلقاً ، ولن أحب أبداً ...
إنني يوم أحب أحطم أو أحطم أو ما مما . وأين
هذه الحبيبة التي لها من الرهافة والحساسية
ما تستطيع أن تلمس نبضات قلبي واهتزاز مشاعري
وخلجات روحي ؟

إن هذا الشعر الذي كان يروقك أنت وغيرك
كذب كله ، إنه ضرب من النزل التجريبي ألقيت به
في محيط القلوب الفارغة انتقاماً منها وسخرية بها ،
لقد كان لي حبيبة واحدة ... آه نعم حبيبة صفتني
على خدتي بيد رطبة صغيرة يوم قالت لي :

أنت مجنون

حبيبة ضربت على تخوم عالمها مجائب الرق .
ثم سميت إليها في ضباب يتفلس عن شذى البنفسج
وأنا أعزف على أوتار قلب جديد أناشيد مجنحة . حتى
إذا انتهيت إليها تباينت وبجاءت ونفرت منمنمة :
أنا لا أعرفك

إذن دعيني من حديث الحب . فأنا لا أحب ،
فأني فتاة تطيق الإقامة بجانب رجل مريض النفس
والعقل ؟

بأسرته علاقة تبيح لها الزيارة في كل وقت
لم تجده ... فانتظرت وراحت تتلوى بمطالمة
الكتب والمجلات الملقاة على مكتبه ... ودفعها الفضول
إلى فتح درج مكتبه ... وبهد حذرة سحبت بعض
لغافات الورق ...

وبسرعة البرق الخاطف طلعت إلى غوى كل
رسالة ...

رسائل غزنام منوعة ...
كتبت إلى ثوب من الفتيات ...
عائشه ، فاطمه ، نهات ، سنيه ، نفوسه ، زينب
الح هذه الأسماء ...

وكلها تفيض بأحاديث الحب المشبوب المستعر
وكلها تصور غرام الكاتب
وكلها تنضه تحت قدمي المرأة في خضوع لا ينفق
مع كبرياء الرجل

رسائل ... بما تحويه من الحب وشوق وحنين ورغبة
وأمل وتوئب ... كتبها لشبرات الفتيات وكل
ما يفرق بين هذه وتلك ... اسم الرسل إليها

كان ذلك يكفي لرد الفتاة إلى عراب عقلها ...
محطمة ذلك الهيكل الخيالي الذي سمته حقيقة وسمت به
إلى ما وراء الخلود ، لكن هل كل فتاة يمكن أن
تتحد وتمود إلى نفسها دون عتاء كهذه ؟

لقد خفف الشك وطأة الصواب فهل كل فتاة
تشك في الرجل الذي تحبه !! أما أدعو إلى الشك
فيه لتظل بعيدة حتى إذا صدمها القدر به غر عليها
البكاء .

جميل الصوفي
(٧)

قلها . واسمى إلى نفسك — أنت المستفيرة المثقفة
ثم قولي أيكما أصدق وأعف وأقدر على الاحتمال
والصبر ...

الفطرة التي حاربناها في الصميم وشوهناها
بطواهر المدنية الراهنة التي عفت على الصدق والعفة
والقناعة والطأنينة

وفي الواقع لا ذنب لك ولا ذنب لصاحبك أيضاً
كلاكما مسرح لأضاليل الحياة . أنت مندورة لأنك
حسبت أن قلبك الطيب جدير بحب رجل ، وهو
مندور لأن المرأة تناديه من كل مكان ، في الشارع
وفي النوادي ، في المتاجر وفي المراقض ، وهي مستسلمة
تعيث بكل شيء في سبيل تحقيق أمنية ترجوها ...
ولا بد أن تأمل ولا بد أن تسمى إلى أملها ...
لأن الرجل في هذا العصر لا يبيح عن المرأة
المتحصنة التي تحبس نفسها داخل دارها خوفاً على
سمعتها وكرامتها ...

إذن كان أمر صاحبك في النهاية ... لا بد منه

قارئي في دهشة يتساءل : وما هذه النتيجة ؟
وكنيت أحب أن أتركه حيث هو يتساءل ويفكر ..
ولسكن لا بد من إجابته وإلا أهمني بالقصور لأنه
تمود أن يجد على مادته الأدبية كل ما تشتهي نفسه
أما أن يفكر ويبحث عما وراء هذا ونهاية ذاك
فلم يكن ذلك الوقت بعد ...

ذهبت صاحبتني لميادة صاحبها المريض بعد أن
أفهمها أنها سبب علته وأنه في طريقه إلى القبر ...
ذهبت إليه دون أن تحدد موعداً وكانت لها

لم تكن مجرد دعاة . فقد
كان سكيرا حزينا . وحين
كنا نسأله لماذا يبس ويحدق
في السقف ينأمن جميعا نضحك
كالجناين أو كالأطفال السذج
كان يجيب في ابتسامة صرة :
« يا رفاق ، إن برأسى طائرأ
أزرق ، ولهذا ... »

... ثم إنه كان عظيم الشفق
بارتياذ الحفول إيان الربيع . فقد
كان هواء الغابات يلائم رثتيه كما
كان الشاعر يقول لنا . وحين
كان يشوب من رحلته كان يحضر
نمه دائما باقات من الزهر
وبطاقات من الشعر . أما الزهر
« فليلني » جارة ، وهي فتاة
غيبسة لها خدان مودان وعينان
عميقتا أزرقه ؛ وأما الشعر فلنا ،
وكنا نقرؤه ونطرب له ، فقد كنا
جميعا نحب بجارسن . كان نبها

يوشك أن يتألق ، كان وقته لا ريب سيجيء . أوه ؟
سوف يحلق الطائر الأزرق في السموات الملي امرحى
باجارسن اهات أيها الساقى كاساً أخرى من الأبنست

خذ من الزهر بنفسجه ،
ومن الجواهر صغيره ^(١) ،
ومن الحياة الساء والحب
نك مبادى جارسن . ثم : « الجنون خير غن

(١) Sapphic نوع من الباقوت أزرق اللون

الطائر الأزرق

للكاتب الأستباني روبرت داسرو
بضم الأديت شكرى محمد عيساد

تصريف بالقصة

روبن دارو كاتب أسباني عاش
في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل
المعصرين وظهرته الأدبية قائمة على
أشعاره وإن كان قد جمع إلى الشعر
كثيراً من النقد والرحلات وقليل من
الأفانيس ، ويعد روبن دارو
صاحب أروع أسلوب أسباني في العصر
الحديث ، وشعره ينجح إلى الانحراق
في الوصف الحسى . ولكنه غنى
باللفظ الجميل والخيال البعيد . وقد
كان دارو مفرماً بالأدبين الآخرين
واللاتين . مطعم الانتاع بهما في شعره
وهذه القصيدة الصبغة من خير
ما كتب ، وأصح تخيلاً لتتوطر بته

باريس بلد طروب ولكنه
خفيف . فلم يكن أحد يرين رواد
مقهى بلومبير من الرسامين
والنحاتين والشعراء - وهم شباب
كلهم يطعمون إلى إكليل النار
القديم - من هو أحب إلى
القلوب من جارسن المسكين .
كان دائم الحزن ، يدمن شراب
الأبنست ، تسكره الأحلام
ولا تفوله الخمر ، يحسن - ككل
بوهيمى - ارتجال الكلام
وكانت ترين جدران حجرتنا

الصغيرة التي كانت مقعد اجتماعنا المرحه ، رسوم
بريشة من أصبح يوماً « دلا كروا » ^(١) ، بينها
آيات من الشعر في خط ثقيل متجعب ، مقطوعات
كاملة لطائراً الأزرق

والطائر الأزرق هو جارسن المسكين . ألا تعلم
لماذا أطلقت عليه هذه البكنية ؟ نحن الذين أطلقناها

(١) دلا كروا رسام فرنسي شهير ، ملون ماهر ومجدد
نادر كان رأس المدرسة الرومانتيكية في القرن التاسع عشر
(١٧٩٩ - ١٨٦٣)

الجلود « هكذا كان الشاعر يقول

وكان الحزن يرين على نفس جارسن من حين إلى حين ، فيقطع الشوارع لا يابه بالركبات الفاخرة ولا بالشباب الترانيق ، ولا بالنسوة الفارهات . وقد يتسم حين يمر بمحاثات جوهرى ؛ ولكنه كان إذا صادف مكتبة اقترب من النافذة وحدق في محتوياتها شرها . وكان يقول : إن الحقد يسمر قلبه حين ينظر إلى المجلات الضخمة ويشي وجهه المبوس . وليسرى عنه ألم قد ينظر إلى السماء ويتند ، ثم يهرع إلينا في التقي نثرا محتاجا فيطلب كأسا من الأيسنت ويقول : « أجل إن برأسى طائر أزرع حبيسا يريد الحرية »

وبدا بعض الصحاب يظن أنه مجنون واستشير إخصائى في العقل فقال : إنه مصاب « بالونومانيا ^(١) » ، ولم يبق شك في أمره حقا لقد كان جارسن المسكين مجنونا وذات يوم تسلم من أبيه خطابا . وأبوه هذا تاجر قديم من تجار القماش في نورماندى . وكان هذا مضمون الخطاب :

« لقد سمعت بمسلكك الطائش في باريس . واعلم أنك إن واطبت عليه فلن تنال دافقا منى . نال وقم على حساب المتجر ، فإذا أحرقت أبها الأحمق كل كتاباتك البليدة ، فإنك تستطيع عندئذ أن تنم بحالى »

وقد قرئ هذا الكتاب جهرة في مقهى بلووير هل تذهب ؟ ألا تذهب ؟ هل توافق ؟ هل تفكر في مثل هذا الخطاب ؟

مرحى يا جارسن ! لقد مرق الخطاب وأطل بجذعه من النافذة ، وهو يضحك في صوت مجلجل وأرجل مقطوعة تنتهى على ما أستطيع أن أذكر بهذين البيتين :

ولست يبك على شقوتي ولا أنا ذاك الذى يُشقى إذا ظل في رأسى المبقرى مقيا به الطائر الأزرق !

ثم بدأت أخلاق جارسن تتبدل ، فنجح إلى الثروة ومال إلى الرخ ، وابتاع سرة جديدة ، وبدأ قصيدة معنوة - بالطبع - « الطائر الأزرق »

وحينما كنا نلقى كل مساء كان يقرأ لنا منها جزءا جديدا . لقد كانت رائعة ، سامية ، خلابة . كانت تصور سماء بديمة ، وحياء طليقة ، وحقوقا كأنها رسمتها ريشة « كوردت ^(١) » السحرية تلوح وجوه الأطفال من بين أزاهيرها ، وعيني « نيني » غضلتين كبيرتين ، وطائر أزرع أرسله الله مخلقا فوق ذلك كله ، فبى وكره دون أن يعلم في رأس جارسن المسكين ، وبق هناك سحيبا . فإذا أراد الطائر أن ينطلق من عيشه ، رف بجناحيه ، وضرب بهما جذران سجنه ، فرفع الشاعر رأسه ، ويمقد جينته ، ويشرب الأيسنت بماء قليل ، وهو يجتر في نفس الوقت سيجارة . تلك كانت العقيدة .

وذات ليلة جاءنا جارسن يضحك ضحكات عالية ، ولكن الحزن مع ذلك جاثم فوقه .

لقد حلت جارتة الجميلة إلى القبرة . « لقد جشتم بشيء جديد : الجزء الأخير من قصيدتى . لقد ماتت نيني . الربيع يقبل وتدثر نيني يستطيع البنفسج أن يطمئن على سوقه . والآن إلى (١) كوردت : رسام فرنسى اشتهر بلوحاته الريفية

(١٧٩٦ - ١٨٧٥)

(٢) Monomania أو جنون الفكرة الواحدة

الفصول والغايات

معمزة الشاعر الشاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

خاتمة القصيدة ، إن الناشرين لم يتفضلوا على بقراءة
أشعاري . سوف يتصدع شعلكم جميعاً . إنه قانون
الزمن . يجب أن تمنون الخاتمة : « كيف انطلق
الطائر الأزرق إلى السموات الزرقاء ... »

الربيع في عنفوانه ! الأشجار تزهو بمخضرتها .
السحب وردية في الصباح شاحبة في المساء . التسميم
الرفيق يداعب أوراق الشجر ويلهو بمجنون أكرواح
القش . ولكن جارسن لا يذهب إلى الحقول .
ها هو ذا يأتي ، في سترة جديدة ، إلى مقهى بلومبير
الحبيب ، شاحباً وهو يسم في حزن : « ودعوني
يا أصدقائي بجلء قلوبكم ، فإن الطائر الأزرق يوشك
أن ينطلق ... »

وبكى جارسن المسكين ، وصافح أيدينا في قوة
وذهب

وقلنا جميعاً : سيمود الولد الماق جارسن إلى أبيه
في نورمانديا . وداعاً أيها الشمر ؛ وداعاً أيها الجمال ؛
لقد أزع شاعرنا أن يبيع القماش ؛ هيا ! كأساً
لجارسن

وفي اليوم التالي وقف رواد مقهى بلومبير جميعاً
في مسكن جارسن خشماً وبكياً

لقد كان الشاعر مسجى على فراشه الملطخ بالدم ،
ورأسه قد هشمته رصاصة وعلى الوسادة فلذ من
عنه ... فما أبشع !

وحين أفتنا من هول الصدمة ووقفنا نبكي على
جثمان صديقنا ، وجدنا تحت القصيدة الشهيرة ، وقد
خطت على الصفحة الأخيرة منها هذه الكلمات :
« اليوم ، في عنفوان الربيع ، فتحت باب الفصص
للطائر الأزرق المسكين »

آه يا جارسن ! وما أكثر الذين يغريهم الحزن
مثلاً فراك !
شكرى محمد عياد

جُنَيْتُ قَبْلَ الْإِعْلَامِ

عَنْ الْأَنْجَلِيَّةِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُصْطَفَى ضُبَّحِي

في السجن ينتظر تنفيذ العقوبة .
فيا ترى كيف يقضي الوقت إلى
أن تحين ساعته ...

وأثرت لمحة الرجل في نفس
القس . فقال روح عنه : دعنا
نأمل رحمة الله ... لماذا تياس !

قال : نعم . نعم . فلنبتل

إلى الله ولنضرع إليه إنه غفور رحيم .

كان « بني » قبل التحاقه بالجندية يقول لى :
سأعيش يا أبى خجولاً أمام نفسى وأمام الناس إذا
أنا لم أستعمل ذراعى القوتين المقتولين من أجل
بلادى عندما تقع الحرب ويدعوني الوطن . وكنت
أقول له : إذهب يا ولدى ، إذهب في حراسة الرب ،
وها قد حرسه الله !

ونطق مستر أوين بالبراءة الأخيرة في بلاء
كما لو كان رغم إيمانه قد ساوره الشك في رحمة السماء !
فقال القس : تشجع يا صديقي تشجع ،
ولا تقنط من رحمة الله !

وأصفت لومى لهذا الحوار ، وهى في موضعها
منكسة الرأس ، بالثة الأسمى ، بمنقمة اللون ، لما
أصاب أخاها « بني » ؛ لكن لم ترسل عينها دماً
ولم تسمع لهما وكبرها أن يشيعا على عيهاها .
وكانت على حداثة سنها تقوم بنصيب موفور في إدارة
شؤون البيت ؛ وذلك هبت واقفة حين سمعت طرقات
خفيفاً على باب « المطبخ » ؛ وأسرعت وفتحت
الباب ووجدت رجلاً يقدم إليها خطاباً .

وحملت الخطاب إلى أبيها وهى تقول :

— إنه منه ... من أخى ...

جلس مستر أوين في غرفته الخاصة بداره
الكبيرة في جرين مونت بالولايات المتحدة ، وكان
كاسف البال ، شديد الكآبة ؛ وإلى جانبه قيس
القرية يواسيه ويخفف عنه .

بينما مكثت لومى الصغيرة في ركن الغرفة نصت
إلى حديث الرجلين دون أن تلتفت بينت شفة .

وتكلم مستر أوين قال : كنت أحسب حين
وهبت ابنى لهذا الوطن أنى فعلت من أجل بلادى
ما لم يفعله أى رجل آخر في أمريكا على سمعتها ،
إذ ليس لى ولد غيره ؛ لكن هبتى لم تنش طويلاً ،
لأن ولدى المحبوب قد غلبه النماس فنام دقيقة واحدة
في نوبة حراسته بالمسكر ، وهو الذى لم ينفل لحظة
عن أداء واجبه ؛ وكان مثلاً للنشاط الوفور والمهمة
المالية ...

صحيح أنه قد استسلم للكبرى دقيقة ، واستحق
حكم الإعدام الذى صدر ضده . لكن ليتمهم رحمو
شبابه ، وراعوا حداثة سنه . هو في الثامنة عشرة
فقط ... من يصدق هذا ؟

إنهم الآن يهيئون لرميه بالرصاص . لأن هذا
التمس نام بضغ نوان ، ولم يظل ساهراً الليل بطوله
يراقب قدوم جيوش الأعداء المهاجمين . إنه الآن

فلما سقط « جى كار » مرصفاً بذلت كل جهودى من أجل راحته والأخذ بيده حتى تماثل للشفاء على أنه قبل أن تجتمع له قواه وترد إليه صحته صدرت الأوامر لفرقتنا بالتقدم إلى خطوط النار . وناه « جى » بحمله فحملته عنه فضلاً عن حقائبى وقطعتنا شوطاً بعيداً ، وانقضى النهار وبدأ الرجال يشعرون بالتعب وغارت قواؤنا جميعاً . أما « جى » فقد عجز عن مواصلة السير ولم يمش إلا بعد أن مددت له يد المساعدة

وحين شارفنا المسكر كنت فى أشد حالات التعب وأحوج الرجال إلى الراحة ، لكن شامت الصدف أن تكون نوبة الحراسة تلك الليلة لزميلى « جى كار » ورأيتُه محطاً يكاد يقتله الضعف والتعب فتقدمت للحراسة عنه ونسيت أنى فى تلك اللحظة كنت أشد منه ضعفاً وإعياءاً ووهناً ، وصدقنى يا أبى أنى كنت عند ما غالبى النوم على حال من التعب والإعياء بحيث لو أطلقت على رأسى رصاصة لما فتحت عيني أو حركت ساكناً

على أنى غطيتى وخبطتى أنى لم أفلت لحائتى إلا متأخراً جداً .. وعند ما وصل القس إلى هذا الحد من القراءة قاطعه مستر أوين بهذه العبارة :

شكراً لله ، إن إبني يموت شهيداً وليس خائفاً وعاد القس يقرأ هكذا :

قيل لى اليوم إن إعدائى تأجل يوماً واحداً بسبب ظروف طارئة ، وهذه فرصة لكى أكتب إليك كما يقول رئيسى الطبيب القلب . اصفح عنه يا أبى فإنه لم يفعل سوى أن قام بواجبه ، وقد كان يود بإخلاص أن يتفقدنى لكن القوانين العسكرية صارمة ولا حيلة فيها . كذلك أرجو ألا تضع مسئولية إعدائى على رأس « جيمى كار » فإن

وكان الخطاب وصية ميت أورشالة من القبر ! فقد تطالع فيه مستر أوين دون أن يجسر على فض غلافه وأرجفت أصابعه وهو يدفعه إلى القس كالو كان طفلاً لا حول له ولا قوة

وفض القس الغلاف وقرأ ما يلي :

أبى العزيز :

— عند ما تصلك هذه الرسالة أكون فى عالم الأبدية ! غالوت ينتظرنى عند باب السجن . ما أشد ما أخافنى هذا الخاطر وروعى ! على أنى فكرت كثيراً وقلت الأمر على كل الوجوه حتى لم يعد الإعدام خيفاً فى نظرى ... لقد احترموا آخر رغباتى فى الحياة وسوف لا يضمون الأغلل فى يدي ولا العصاية على عيني وعلى ذلك سألقى الموت كما يلقاه الرجل الشجاع الباسل وفى هذا تزية كبرى

غير أنى كنت أرجو أن تقضى الأقدار بغير ما قضت ، وأن تكون ميتتى أشرف من هذه الميتة كنت أود لو أموت شهيداً فى ساحة الوخى وحومة التضال مدافماً عن بلادى وفى سبيل المجد ، إما أن أعدم رمياً بالرصاص كالكلب وبهمة إهمال الواجب المسكرى وهو شئ يضارب الحياة ، فذلك ما يؤلنى أشد الألم ولا أدرى كيف لم تغطنى هذه الفكرة قبل أن تغطنى بنادقهم

أبى : سوف لا يكون فى حادثى ما يחדش اسمك أو يسم شرف أسرته . سأعترف ها هنا بكل شئ . وعند ما أفارق الحياة أمل أن تشرح للذاتى وأصدقائى ما وقع . أما أنا فرجل ميت والوقت لا يشكلمون

تذكر أنى كنت قد وعدت أم صاحبى « جى كار » أن أعنى بولها الذى هو زميلى فى الفرقة

قد دخل غرخته تراً وبدأ يلقى نظرة على الأوراق
السكدة على مكتبه وأقبل يفحصها وينظر في شئون
دولته ... وبدون أية جلبة فتح الباب بهدوء
وانسابت لوسى إلى الداخل وخطت نحوه ثم وقفت
قبالته بمخشوع ودهية : عينها إلى الأرض ويدها
منقبضتان

ووقع نظر الرئيس عليها ولم يبد عليه أنه غضب
أو تملل حين فوجئ بدخولها ، بل أبتسم لها مترقفاً
وخاطبها بصوت مشجع : قال :

— نعم يا صغيرتي ، ماذا تريدن في هذا الوقت المتأخر

— أريد حياة « بنى » يا سيدي

— بنى ؟ من هو بنى ؟

— أخى . إنهم يرمونه بالرصاص بسبب نومه

في نوبة حراسته

فماد مستر لنكون إلى الأوراق التي أمامه
ينظر فيها وهو يقول :

— آه ، لقد تذكرت الآن ؛ إنه نام في أحرج
الأوقات وأخطرها وأعلمي يا صديقتي الصغيرة أنه
اختار لنومه ساعة تتوقف عليها مصائر بلاده وحياة
أولف من الجنود . وهذا استهتار شنيع
قالت :

— وهكذا يقول أي لكن « بنى » السكين كان
معتباً جداً يا سيدي وكذلك كان « جى » وقد قام
أخى بعمل رجلين ولم تكن تلك الحراسة حراسته .
كانت النوبة على « جى » ولكن « جى » كان
مرريضاً وعند ما حل أخى عمله لم يكن يفكر في نفسه
ولا في تبه ونسى أنه منكم التوى

ورفع الرجل العظيم رأسه من بين الأوراق
وعاد ينظر إلى زائره الصغيرة وقال :

السكين منكسر القلب شديد الأسف لما حل في .
وقد ألح عليهم أن يأخوه فدية عني ولكن أحداً
لم يبر طلبه الثقافتاً بطبيعة الحال

أبى ، لا أجسر أن أفكر في أمي ولا في أختي
لوسى فيا ليتك تواسمها وتخفف دمهما وليتك
تقول لها إنى أموت شجاعاً بأسلاً وإنه عند ما تنتهى
الحرب سينسيان المار الذى سيلحق في الآن

في هذا السماء عند ما تقرب الشمس ويولى
النهار سوف تمر بخاطري صورة من صور السعادة
الضائعة فأرى قطمان الماشية تمشي الموبنا من الرعى
إلى الحظيرة وأرى بيمين الخيال شقيقتي لوسى
في الشرفة واقفة تنتظرني وتلوح لي حين تراني ؛
على أنها لن تراني ولن أعود !

أستودعكم الله واصفحوا عن ابنكم السوء الحظ
« بنى »

في ساعة متأخرة من تلك الليلة فتح باب الشرفة
الخلفية بمنزل مستر أون وانسابت من بين مصراعيه
صبيبة صغيرة وهبعت الدرج الذى يؤدي إلى الطريق
.. وكان المشاهد يحسها لسرعتها طائرة لا ماشية
وكانت تهول إلى جهة معينة لا تلتفت إلى يمين
أو شمال لكنها ترفع رأسها بين حين وحين شطر
السماء ويدها منقبضتان كأنها تنصرع إلى ربها وتبتهل
وبعد ساعتين طويتين قضتها هذه الصغيرة
تسير وحدها في ظلمة الليل ووحشته وصلت إلى محطة
ميل . وقبل أن تشرق الشمس كانت لوسى في الماشية
تسرع الخطا إلى البيت الأبيض الذى يقيم فيه
رئيس الجمهورية
وكان مستر لنكون (رئيس الجمهورية العظيم)

وكانت الصبية أخته « لوسى » واستقبلهما الرئيس
في غرفته الخاصة واحقن بهما وكان يلبس حلة عسكرية
جديدة ترين كتفها شارات الترقية التي رفعتها
إلى درجة ملازم وخاطبه الرئيس قال :
لقد عفوت عنك ورفعت درجتك يا بنى لأن
الجندي الذى يحمل حقائق زميله المريض ويموت
من أجل غيره دون أن يشكو أو يتبرم ، يستحق
تقدير الوطن .

وعاد بنى لوسى إلى جرين موتن ، حيث
استقبلهما الجماهير الهائفة في المحطة وبسطوا
يده لولده والدموع تنهمر من مأكيه على خديه وسمعه
الناس وهو يهتف بحرارة : « لله الحمد ! »
مصطفى ميسى

ما هذا الكلام يا طفلى؟ أنا أكاد لا أفهم
شيئا . تعالى إلى جانبي وقصص قصتيك
وبمثل العناية التي يبذلها دائما في مختلف شئون
الدولة أقبل الرئيس لتكولن يفحص هذه الدعوى
ومشت لوسى إليه فربت على منكبيه وحول يديه وجهها
إليه وأحست بطفه عليها فرددت قصتها وقدمت إليه
خطاب أخيها لأبيها فأخذها منها وألقى عليه نظرة
ثم قرأه بعناية ، وحالما انتهى منه أمسك قلبه وخط
بسرعة بضعة أسطر على ورقة ودفجها أمامه فأقبل
أحد الحجاب ، وسمعت لوسى الرئيس وهو يقول
للحاجب : ابث هذه الرسالة في الحال !
وبعد يومين من هذه المقابلة وفد إلى دار الرئاسة
جندي شاب ومعه صبية صغيرة . كان الشاب « بنى »

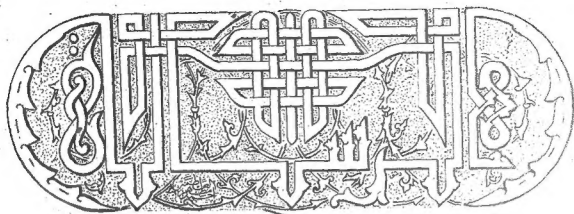
بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتقيم دعائم الاستقلال الاقتصادي

عاملوه ... وعاملوا شركائهم
تكتبوا ... التمر ليهودكم



مَجَلَّةُ الْآدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تُصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرسالة تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرسالة تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَحْيِي فِي النُّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَرَصُّدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِيِّ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُ الْآدَابِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاستاذان الذاهيان شوق قريشاً ، والحاجي ماساري جنيها مصرى ، وللبود العربية بمخيم ٢٠٪

FIN

DU

DOCUMENT

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصفه

1939

Volume 1